

# تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السبكي

(٥٨٤٩ - ٥٩١١ هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد المحلي

(٥٧٩١ - ٥٨٦٤ هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

مراجعة وتقديمه

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراوي

مشيخ عظم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المحققين بالأزهر الشريف

مَدَامُ الْوَحْدَانِ لِلنَّبِيِّ

رفع

عبد الرحمن الحمدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

تفسير الجلالين  
ومعه حاشية هداية الموحدين

حقوق الطبع  
محفوظة

طبعة عام ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



المملكة العربية السعودية - الرياض

المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨

ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

الموقع الإلكتروني: [www.madaralwatan.com](http://www.madaralwatan.com)  
البريد الإلكتروني: [pop@madaralwatan.com](mailto:pop@madaralwatan.com)  
[madaralwatan@hotmail.com](mailto:madaralwatan@hotmail.com)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٨/٢٢٤٧٧



# تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

(٨٤٩هـ - ٩١١هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد الحلي

(٧٩١هـ - ٨٦٤هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

راجعه وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم القارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف



دار الكتب والوثائق  
بمكتبة الأزهر





## تقريظ فضيلة الشيخ الدكتور / احمد عيسى المعصراوي

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ۖ فَيَمَّا يَنْزِيلُ لَكُمْ الْآيَاتِ نُنزِلُهَا مِنْ فَطْرٍ أَوْفَىٰ ۚ فَاذْكُرُوا الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الكهف: ١-٢]

أما بعد: فإن للقرآن الكريم أكبر شأن في أمر الإسلام، فهو هديهم في شريعتهم، وهو المنار الذي يستضاء به في أساليب البلاغة العربية، بل هو المنبع الصافي الذي ينهلون منه فلسفتهم الروحية والخلقية، وكما جعل المولى ﷺ النبوة نبينا ﷺ مختمة، وجعل شرائع غير المسلمين بشرية الإسلام من وجه منتسخة، ومن وجه آخر مكمل ومتممة، حيث قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فقد جعل المولى ﷺ كتابه المنزل على نبيه ﷺ متضمنا ثمرة كتبه التي أولاها أوائل الأمم؛ فقال سبحانه: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [١] فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿[البينة: ٢-٣].

وجعل معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم، فهو متضمن للمعنى الجم، وأنه لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه، ونفع ما يوليه، فهو كما قال الشاعر:

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتُهُ      يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا  
كَالشَّمْسِ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا      يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

ومع ذلك فإن محاسن أنواره لا تدرکها إلا البصائر الجلية، وأطاب ثمرة لا تقطفها إلا الأيدي الزكية، ومنافع شفافه لا تنالها إلا النفوس النقية، فهو كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ لَقَرَنَ كَرِيمًا﴾ [٧٧] فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿[الواقعة: ٧٧-٧٩]

ولذلك يعد علم التفسير هو من أجل العلوم التي توضح ما في القرآن من معنى ومبنى، وعلم التفسير في غنى أن يشاد بجلالته، وشدة اعتناء الأمة به، فإنه يستحق ذلك وأكثر، لجلالة ما يضاف إليه في هذا المحل، ويعد من أجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه تبارك وتعالى هو تعلم كتابه وتعليمه الناس ذلك حيث قال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمًا كَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] وقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(١)</sup>، فالخيرية تنأت بتعلم القرآن وتعليمه مع العمل به، ولذلك كانت معرفة تفسير آيات القرآن من أجل المعارف.

وبين أيدينا تفسير من تفاسير القرآن التي اشتهرت بين أهل العلم؛ ألا وهو تفسير الجلالين الذي كان ولا يزال موضع اهتمام العلماء وحفاوتهم، وذلك لسهولة تعبيره ودقة عرضه، والتي عبر عنها الإمام السيوطي بقوله: (وهو ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتنبه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، عن عثمان بن عفان حديث رقم (٥٠٢٧).

التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعريب محلها كتب العربية).

فالكتاب على ذلك موجز اقتصر فيه على ما هو ضروري لفهم النص إجمالاً مع بعض الاستطرادات في العربية أو القراءات، ومن ثم رآه العلماء في حاجة إلى تلك الحواشي لشرحه وتوضيحه.

وقد بلغ هذا التفسير من الإيجاز حدًا دفع بعض علماء اليمن إلى أن يعد حروفه، فوجدها مساوية لحروف القرآن إلى سورة المزمل، ولقد عبر الداوودي عن أهمية هذا التفسير بقوله عن الجلال المحلي: (وأجلّ كتبه التي لم تكمل: تفسير القرآن العظيم، كتب من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن)<sup>(١)</sup>. ويؤكد الإمام السيوطي هذا الكلام بقوله في مفتتح تأليفه للجزء الباقي، حيث قال: (هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وتتميم ما فاتته، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء بتمة على نمطه).

ولقد طبع هذا التفسير طبعات كثيرة على مر العصور، ومن هذه الطبعات الطبعة التي بين أيدينا، والتي بذل فيها محققها فضيلة الشيخ هشام برغش، جهدًا كبيرًا استطاع أن يُخرج إلينا نسخة محققة وموثقة تساعد القارئ على فهم النصوص وتوثيقها من مصادرها الأساسية، وتخرّيج جميع الأحاديث، مما يعطي للقارئ الثقة فيما بين يديه، إضافة إلى تلافيتها للأخطاء الواقعة في الطبعات السابقة إن شاء الله.

والله أسأل أن ينفعنا بهذا العمل، وأن يكون في ميزان حسنات كل من قام به، وأن يسخرنا لخدمة كتابه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف  
وأستاذ الحديث وعلمه بجامعة الأزهر









## المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، أحمدده سبحانه حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن هذا التفسير «تفسير الجلالين» من أوجز التفاسير وأدقها عبارة، وأكثرها انتشارًا؛ لما تميز به من سهولة العبارة ودقتها، مع الاهتمام بأرجح الأقوال، والبعد - في الجملة - عن الأقوال الشاذة.

إضافة إلى ما يحويه التفسير من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ووجوه القراءات المشهورة والإعراب، وشرح الغريب، مع إشارات مفيدة إلى آيات الأحكام؛ حتى بات هذا التفسير خلاصة من خلاصات العلوم.

ولا عجب أن يقول عنه صاحب «كشف الظنون»: «وهو - مع كونه صغير الحجم - كبير المعنى؛ لأنه لب لباب التفاسير».

ولا يدرك قيمته ويعرف منزلته إلا من طالع ودرس كتب التفسير بمدارسها المختلفة، وإلا العلماء الأفاضل وطلبة العلم النابهون.

ولذا كان هذا التفسير موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشرح كثيرة.

وقد انتشر هذا التفسير انتشارًا واسعًا، ومما ساعد على ذلك طباعته على هوامش المصحف الشريف.

غير أن هذا التفسير رغم مكانته هذه لم يخل من مؤاخذات، ولم يحظ بما يستحقه من عناية كافية وتنبيه على ما فيه من مؤاخذات وأخطاء، وأهم هذه المؤاخذات على تفسير الجلالين هي:

١- الوقوع في تأويل الصفات.

٢- اشتماله على بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة وروايات لا أصل لها.

٣- وجود بعض الإسرائيليات.

٤- بعض الاختيارات المرجوحة في تفسير بعض الآيات.

وقد تتبع العلماء والمفسرون جملة من هذه الأخطاء وقاموا بالتنبيه عليها، ومنهم القاضي محمد كنعان في طبعة المكتب الإسلامي ببيروت (قرة العينين على تفسير الجلالين)، إلا أن الكتاب لم يستوعب جملة من الأخطاء التي وقع فيها مفسرو الجلالين، إضافة إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها القاضي كنعان نفسه في التعليق، كما ذكر الشيخ محمد جميل زينو في

كتابه: «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين».

وكذا هناك تعليقات وتعقيبات نفيسة للدكتور محمد عبد الرحمن الخميس في رسالة صغيرة بعنوان «أنوار الهالين في التعقبات على الجلالين».

كما قام الشيخ صفى الرحمن المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ بالتعليق على التفسير المذكور في طبعة لدار السلام تعقب فيها الجلالين في تأويلهما لبعض الصفات... إلا أنه لم يستوعب ما وقع في الجلالين من تأويل.

وقد شرح الله صدري لاقتراح أحد الفضلاء - جزاه الله خيرًا - عليّ؛ أن أضع تعليقًا مختصرًا على ما وقع في هذا التفسير من تأويل لآيات الصفات؛ أين فيه عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم، فانشرح صدري لذلك، فاشتغلت به على عجزى آملًا أن أنضم لهذه الكوكبة من أهل العلم والفضل، في بيان ما وقع فيه صاحب التفسير من تأويل لآيات الصفات، وعرض مذهب السلف الصالح فيها، مع التحذير مما وقع فيه من إسرائيليات وأقوال مردودة، مع كشف لبعض غوامض هذا التفسير وعباراته المبهمة، مع ضبط النص ومقابلته على أكثر من نسخة مطبوعة.

ومن هذه الطبعات:

- ١- طبعة دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي مع حاشية الصاوي.
  - ٢- طبعة المكتبة التجارية مع حاشية الجمل.
  - ٣- طبعة دار المعرفة - بيروت ١٤١٦ هـ.
  - ٤- طبعة دار البشائر الإسلامية - دمشق ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
  - ٥- طبعة دار السلام - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
  - ٦- طبعة دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، المسمى (قرة العينين على تفسير الجلالين) للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- وقد جعلت طبعة دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي هي الأصل المعتمد لدقتها وقلة أخطائها، وإذا حدث اختلاف في النسخ أعتمد الأقرب منها الأوفق للسياق والمعنى، وأشير إلى ذلك في الحاشية.

## التعريف بالتفسير والمفسرين

أما التفسير:

فلم يضع الجلالان رحمهما الله تعالى لهذا التفسير اسمًا، بل عُرف بين العلماء بـ«تفسير الجلالين» وبـ«الجلالين» - اختصارًا - نسبة إليهما، وسماه بعضهم: «كتاب الجلالين في تفسير القرآن العظيم».

وقد اعتمد الجلالان في تفسيرهما هذا على عدد من التفاسير، أشار إليها الجلال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه: «بُغْيَةُ الوَعَاةِ فِي تَرَاجُمِ اللُّغَوِيْنَ وَالتُّحَاةِ» عند ترجمته للإمام مَوْفَى الدِّين: «أحمد بن يوسف الكواشي» الموصلي المفسر، المتوفى عام ستين وثمانمائة (٨٦٠هـ، الموافق ١٤٥٥م) حيث قال:

«وله التفسير الكبير والصغير، جَوَّدَ فِيهِ الإِعْرَابَ وَحَرَّرَ أَنْوَاعَ الْوُقُوفِ<sup>(١)</sup>، وَأَرْسَلَ مِنْهُ نَسْخَةً إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْقُدْسِ، قَلَّتْ<sup>(٢)</sup>: وَعَلَيْهِ اعْتَمَدَ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ الْحَلِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَاعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ أَنَا فِي تَكْمِلَتِهِ مَعَ الْوَجِيزِ<sup>(٣)</sup>، وَتَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ، وَابْنِ كَثِيرٍ».

ولم يكتب الجلال المحلي مقدمة ولا خاتمة للقسم الذي فسر، أما الجلال السيوطي فقد كتب مقدمة مختصرة في أول سورة «البقرة»، وكتب خاتمة للقسم الذي فسر، في آخر تفسير سورة «الإسراء».

وأما المفسران:

فقد أُلِفَ هَذَا التفسير عالمان جليلان؛ لقب كل منهما: «جلال الدين»، وهما:  
الأول هو: أبو عبد الله: «محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلي»، نسبة إلى «المحلة الكبرى» - مدينة في مصر - المتوفى عام أربعة وستين وثمانمائة (٨٦٤هـ، الموافق ١٤٥٩م). وهو الذي فُسِّرَ: «فاتحة الكتاب» ومن أول سورة «الكهف» حتى آخر سورة «الناس».

والثاني هو: أبو الفضل: «عبد الرحمن بن كمال الدين - أبي بكر - الأسيوطي، أو: الشُّيُوطِي» - نسبة إلى «أُسيوط أو شُيُوط» بضم الهمزة والسين - على خلاف بين العلماء -

(١) قوله: «وحرر أنواع الوقوف» أي: بيّن مواضع الوقف في القرآن الكريم وأنواعها؛ كالوقف التام والحسن والقيح... إلخ.

(٢) قوله: «قلّت» أي: الجلال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) قوله: «مع الوجيز»: هو تفسير مختصر للشيخ أبي الحسن: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المتوفى عام ٤٦٨هـ.

إحدى مدن الجنوب في مصر، وتعرف الآن بـ«أسيوط» بفتح الهمزة، المتوفى عام أحد عشر وتسعمائة (٩١١هـ، الموافق ١٥٠٥م).

وهو الذي فسّر التمة، أي: من أول سورة «البقرة» إلى آخر سورة «الإسراء»، - وقد وهّم صاحب «كشف الظنون» في نسبة هذا القسم إلى الجلال المحلي.. وكان عمره إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة أو أقلّ منها بشهور، وكان ذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين.

### مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به:

لما كان كتاب الجلالين من أجل كتب التفسير، فقد أجمع على الاعتناء به جم غفير من أهل البصائر والتنوير، وتوجّهت همهم لخدمته، فكان موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشرح كثيرة؛ توضح مجمله، وتزيل غامضه، وتبين دقائقه، ومن أهمها:

١- حاشية للشيخ محمد بن عبدالرحمن العلقمي، المتوفى (٩٦٩هـ) سماها: «قَبَسُ النُّبَرِينِ على تفسير الجلالين» فرغ من تأليفها عام (٩٥٢هـ). ولا تزال مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق.

٢- حاشية للشيخ محمد بن محمد الكرخي المتوفى، عام (١٠٠٦هـ) سماها: «مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ الْبَدْرَيْنِ على الجلالين» في أربعة مجلدات، وله حاشية أخرى صغرى عليه في مجلدين. (غير مطبوعتين).

٣- حاشية للشيخ الحافظ الملا علي بن محمد القاري، المتوفى عام (١٠١٠هـ) سماها: «حاشية الجمالين على الجلالين» فرغ من تأليفها عام (١٠٠٤هـ) طُبِعَ جزءٌ منها.

٤- حاشية للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الأزهري المعروف بـ«الجمال»، المتوفى عام (١٢٠٤هـ) سماها: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» وهي في أربعة مجلدات، مطبوعة معروفة.

٥- حاشية لتلميذ الشيخ الجمل معروفة بـ«حاشية الصاوي على الجلالين»، ألفها الشيخ: أحمد ابن محمد الخلوتي الصاوي، نسبة إلى بلدة «صاء الحجر» في إقليم الغربية بمصر، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

وهاتان الحاشيتان هما المشهورتان، المتداولتان من شروح «تفسير الجلالين».

٦- حاشية للشيخ سلام الله الدهلوي سماها: «حاشية الكمالين على الجلالين» طبعت عام (١٢٨١هـ).

٧- حاشية للشيخ محمد بن صالح أبي السعود السباعي الحفناوي المصري، المتوفى عام (١٢٦٨هـ) في ثلاثة مجلدات - مخطوطة..

٨- حاشية للشيخ سعد الله بن غلام القندهاري، سماها: «كشف المحجوبين عن خَدَي تفسير الجلالين» أو: «على تفسير الجلالين».

- ٩- حاشية للشيخ مصطفى الدّومي، المعروف بالدّوماني، ثم الصالحاني، المتوفّى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، في مجلدين سماها: «ضوء الثّيرين لفهم تفسير الجلالين».
- ١٠- حاشية للشيخ علي بن محمد عفيف الدين العقيلي الأنصاري الشافعي محدث الديار اليمنية، المتوفّى عام (١١٠١هـ).
- ١١- شرح على الجلالين للشيخ إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي، المتوفّى عام (١١٢١هـ).
- ١٢- حاشية للشيخ عطية الله بن عطية البرهاني الأجهوري، المتوفّى عام (١١٩٠هـ)، وسماها: «كتاب الكوكبين الثّيرين في حلّ ألفاظ الجلالين».
- ١٣- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد التّطواني الحائك، المتوفّى عام (١٢٣٧هـ).
- ١٤- حاشية للشيخ عبد الله بن محمد الثّراوي المصري، المتوفّى عام (١٢٧٥هـ)، سماها: «قرة العين ونزهة الفؤاد» في أربعة مجلدات لا تزال بخطه محفوظة في المكتبة الأزهرية.
- ١٥- حاشية للشيخ أحمد بن عبد الكريم الثّرمانيني - نسبة إلى «ثّرمانين» إحدى قرى حلب - المتوفّى عام (١٢٩٣هـ).
- ١٦- حاشية للشيخ محمد بن عبد الله الحسيني الزّواك الحديدي الزّيدي، المتوفّى عام (١٣١١هـ).
- ١٧- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد القصري الفاسي، المتوفّى عام (١٠٣٦هـ).
- ١٨- «مَسْرُة العينين على تفسير الجلالين» للشيخ محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي، المتوفّى عام (١٣٠٥هـ)<sup>(١)</sup>.
- ١٩- «قَرّة العينين على تفسير الجلالين» للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- ٢٠- هذا المختصر الذي سمّيته: «حاشية هداية الموحدين على تفسير الجلالين»،

\*\*\*



رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

## منهج العمل في الكتاب

- ١- قمت بضبط النص وتصحيحه ومقابلته على النسخ المطبوعة المعتمدة، وجعلت طبعة «دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي» هي الأصل المعتمد؛ لدقتها وقلة أخطائها، وعدم وجود سقط بها، ثم نسخة القاضي كنعان؛ «قرة العينين على تفسير الجلالين»، ثم نسخة الشيخ صفى الرحمن، وعند وجود اختلاف جوهري، أو سقط، أعتمد ما جاء في نسخة حاشية الصاوي إلا ما ظهر لي خطؤه، وهو نادر جدًا - مع الإشارة إلى الاختلاف أو السقط في نسخة القاضي خاصة، ووجه ذلك.
- ٢- تتبع ما وقع في الجلالين من تأويل لآيات الصفات، وبينت وجه مخالفتها لعقيدة السلف، وبينت عقيدة أهل السنة في تفسير هذه الآيات، في كل موضع وقف في فيه على شيء من ذلك، ولم أكتف بتناول بعضها والإحالة عليه.
- وكان هذا الأمر هو مقصود الكتاب الأول عند بدء العمل فيه، وقد استفدت في هذا الباب مما كتبه المفسرون الذين اعتمدوا طريقة السلف ونصروا عقيدة أهل السنة والجماعة؛ كابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وابن سعدي.
- كما استفدت كثيرًا مما كتبه بعض المتأخرين من أهل العلم ممن عرف بسلامة اعتقاده، ونصرتهم لعقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات؛ ممن تعقب بعض ما في الجلالين من تأويل، ومن ذلك:
- أ- «أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين» للدكتور محمد بن عبد الرحمن آل خميس.
- ب - «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين» للشيخ محمد بن جميل زينو.
- ج - تعليقات الشيخ عبدالرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِينَ؛ من سورة غافر إلى سورة الناس.
- د - «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي.
- إضافة إلى بعض الكتب والرسائل المتفرقة في هذا الباب؛ كالعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشروحاتها.
- ٣ - بينت ما وقع في الجلالين من إسرائيليات؛ مما لا يجوز نسبته إلى أنبياء الله الكرام أو الملائكة، وذكرت أقوال السلف وكلام أهل التفسير في كل ذلك.
- ٤ - قمت بضبط وشكل الكلمات التي قد يُشكل على القارئ فهمها أو نطقها النطق الصحيح.
- ٥ - كما اجتهدت في وضع علامات الترقيم بما يحقق توضيح المعنى وفهم العبارة، وإزالة ما قد يعثر بها من لبس أو غموض.

- ٦- كما بينت ما وقع في الجلالين من عبارات غامضة أو كلمات مشككة. وقد جعلت الآيات التي يتناولها المفسران بالتفسير بلون مغاير لغيرها من الآيات التي يذكرها المفسران في ثنايا الشرح؛ للتسهيل على القارئ في الوصول إلى الآيات موضع الشرح، وحتى لا تلبس عليه بغيرها من الآيات؛ حيث إنني اعتمدت رسم المصحف في الآيات كلها، وليس فيما يفسره المفسران أصالة في كل سورة.
- ٧- بينت أوجه القراءات المختلفة التي تعرض لها المفسران، وعزوتها لأصحابها، مع بيان السببي منها من الشاذ. وذلك بالرجوع إلى كتب هذا الفن ومتخصصيه.
- ٨- تعقبت ما اعتمده المفسران من أقوال مرجوحة، وذكرت قول جماهير المفسرين في هذه المواضع، وما اختاره محققوهم كالطبري وابن كثير.
- ٩- قمت بعزو الآيات التي وردت في أثناء التفسير، كما قمت بتخريج الأحاديث تخريجاً مختصراً، مع بيان درجتها من الصحة والضعف.. إذا كانت في غير الصحيحين أو أحدهما؛ بالرجوع إلى علماء هذا الفن، وكان جلُّ اعتمادي على كلام الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وما لم أقف له فيه على قول؛ فكنت أرجع فيه لكلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ أو الشيخ الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ. وإلا فكنت أرجع إلى كلام المتقدمين في ذلك كالهيثمي وابن حجر وغيرهما.
- ١٠- أثبت في الحاشية الأولى ما جاء من صحيح أسباب النزول، مكتفياً بما جاء في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- واقصرت فيه على الصحيح فقط؛ معتمداً في ذلك على ما صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في كتبه، وأما ما لم أقف فيه على كلام الشيخ الألباني كما في مسند الإمام أحمد - غالباً - فقد رجعت فيه إلى كلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ في الجزء الذي أتمه من المسند، وكذا رجعت لتعليقات الشيخ شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ في المسند.
- واكتفيت في أسباب النزول - في هذه الحاشية - بما صح في هذه الكتب فقط.
- وأما ما جاء في أسباب النزول - مما تعرض له المفسران - مما لم يصح في هذه الكتب الستة ومسند الإمام أحمد فقد جعلته في الحاشية الثانية.
- وكذلك ما ذكره المفسران في أسباب النزول في غير الكتب الستة ومسند أحمد - سواء أكانت صحيحة أم لا - فقد علقت عليها بالعزو والتصحيح أو التضعيف، في الحاشية الثانية.
- جعلت في هذه الحاشية بعض الفوائد المتعلقة ببعض السور أو الآيات من خلال الأحاديث الصحيحة في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- ١١- اعتمدت مصحف المدينة لانتشاره ولجمال خطّه، واجتهدت قدر الإمكان أن أجعل التفسير وحواشيه متوافقة مع صفحات المصحف الشريف، إلا في مواضع قليلة اضطرت

إليها لضيق المجال المتاح.

١٢- حيث إن «الجلالين» لم يتقيدا في تفسيرهما بقراءة أو رواية واحدة، ولم يلتزما بتقديم قراءة بعينها، مع ارتباط تفسيرهما بالقراءة أو الرواية التي اعتمداها؛ فقد تعذر اعتماد رواية بعينها مثل حفص عن عاصم، أو ورش أو غيرهما؛ ومن ثم فقد اعتمدت ما اعتمدها من قراءات أو روايات، وما خالف قراءة حفص جعلته بين معقوفين؛ هكذا [ ] .

وقد استغرق العمل في هذا الكتاب المبارك قرابة عشر سنوات كاملة، حرصت خلالها على عرضه على كثير من أهل العلم ممن لهم عناية خاصة بالتفسير والقرآن وعلومه، واستفدت من توجيهاتهم ونصائحهم، وقد حاز الكتاب والحمد لله إعجابهم وحظي بشنائهم، وشجعوا على إتمامه وإخراجه، حتى يسر الله ﷻ إخراجه على هذه الصورة الطيبة، فله سبحانه الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وأسأل الله ﷻ أن يتقبل مني هذا العمل بأحسن قبول؛ فهو سبحانه أكرم مسئول، وأرجى مأمول، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لعباده الموحدين. اللهم أنس به في القبر وحشتي، وفرج به يوم القيامة كربتي، ويمن به يوم النشور صحتي، وثبت به على الصراط محبتي...

وصلّى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

الإسكندرية

ليلة الجمعة / غرة جمادي الأولى ١٤٢٨ هـ

dr\_hesham\_barghash@hotmail.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

تَفْسِيرُ الْجَلِيلِ  
وَمَعَهُ حَاشِيَةٌ هِدَايَةُ الْمُؤَحِّدِينَ

التفسير للإمامين

جَلال الدّین  
عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرِ السُّيُوطِي  
(۸۴۹ھ - ۹۱۱ھ)

جلال الدین  
محمد بن أحمد بن محمد المحلی  
(۷۹۱ھ - ۸۶۴ھ)

## وَالْحَاشِيَةُ

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ هُشَيْبُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَعِيدِ بْنِ عَشْرٍ

رَاجَعَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم المقاريء المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف



## سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

[مَكِّيَّةٌ، سَنَعَ آيَاتُهَا بِالسَّمَلَةِ إِنْ كَانَتْ مِنْهَا، وَالسَّابِعَةُ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إِلَى آخِرِهَا. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهَا؛ فَالسَّابِعَةُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَيُقَدَّرُ فِي أَوَّلِهَا: «قُولُوا»؛ لِيَكُونَ مَا قَبْلَ «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» مَنَاسِبًا لَهُ بِكَوْنِهَا مِنْ مَقُولِ الْعِبَادِ] (\*) (١)

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية فُصِّدَ بها الثناء على الله بمضمونها على أنه - تعالى -: مالكٌ لجميع الحمد من الخلق، أو مستحقٌّ لأنَّ يحمدوه، (والله) عَلَّمَ على المعبود بِحَقِّ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: مالكٌ جميع الخلق؛ من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكلٌّ منها يُطْلَقُ عليه عالم؛ يقال: عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك، وَغُلِبَ في جمعه بالياء والنون أولي (٢) العلم على غيرهم، وهو (٣) من العلامة؛ لأنه علامة على موجدِه.

[٣] ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: ذي الرحمة، وهي: إرادة الخير لأهله (٤). [٤] ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٥) يَوْمِ الدِّينِ أي: الجزاء؛ وهو: يوم القيامة، وَخُصَّ بالذكر؛ لأنه لا ملك ظاهراً فيه أحد إلا لله - تعالى -: بـ دليل ﴿لِمَنِ الْأُمُورُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٦)، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿مَلِكٍ﴾ فَمَعْنَاهُ: مالك الأمر كله في يوم القيامة، أو هو موصوفٌ بذلك دائماً؛ كـ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ (٧)؛ فَصَحَّ وَقَوُّهُ صِفَةٌ لِعَرَفَةٍ.

[٥] «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أي: نخضع بالعبادة من توحيد وغيره، ونطلب المعونة على العبادة وغيرها.

[٦] «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» أي: أرشدنا إليه، وَيُجَدَّلُ مِنْهُ (٨):

[٧] «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» بالهداية، وَيُجَدَّلُ مِنْ «الَّذِينَ» بِصَلَاتِهِ (٩): «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» وهم: اليهود ﴿وَلَا﴾

وغير «الضَّالِّينَ» (١٠) وهم: النصارى. وَنَكْتُهُ البَدَلُ إِفَادَةُ أَنَّ الْمُتَهْتِدِينَ لَيْسُوا يَهُودًا وَلَا نَصَارَى. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا أَبَدًا، وَحَسْبُنَا اللَّهُ

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤٣) فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، وأخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله ﷻ في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني». النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٢٦)، وأخرجه الترمذي مطولاً، وفيه: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلاً». كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٣٠٧).

(١) في الأصل - من حيث وضع نسخ الجلال (أي السيوطي) - أورد تفسير سورة الفاتحة بعد سورة الناس؛ حيث إن المحلى هو الذي فسرها بعد سورة الناس؛ فجعلها السيوطي خاتمة وآخر التفسير؛ ليكون تفسير الشنخي متصفاً ببعضه إلى بعض.

(٢) في بعض النسخ: «أولوه» على تقدير نائب فاعل لأغلب.

(٣) أي: العالم.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب أَشْعَرِيٍّ من أشعرية ومعتزلة وغيرهما، ومذهب لسلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما ثبت بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به - شَيْخَانَهُ، ومن لوازمها إرادة الخير والإحسان والإنعام بن رحمه.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عمر وحزمة، وقراء عاصم والكسائي: ﴿مَلِكٍ﴾ (٦) غافر: ١٦. (٧) غافر: ٣. (٨) أي: بدل كل من كل، وهو قوله بعدها: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وفائدته التوكيد وانتصيص على أن صراط المسلمين هو المشهور عليه بالاستقامة على أكيد وجه وأبغ.

(٩) أي: إن «غَيْرِ» بدل من «الَّذِينَ»، وقيل: هي نعت للذين.

(١٠) فائدة: خبر الفاتحة قوله - تعالى -: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وأما لفظ «أمين» فليس منها ولا من القرآن مطلقاً، بل هو شقٌّ، وهو اسمٌ بقلبي بمعنى: «اللهم استجب».

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الرَّحِيمِ

يَوْمِ الدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

\*\*\*

بذكر أفعال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية، والله أسأل النفع به في الدنيا وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمه وكرمه.

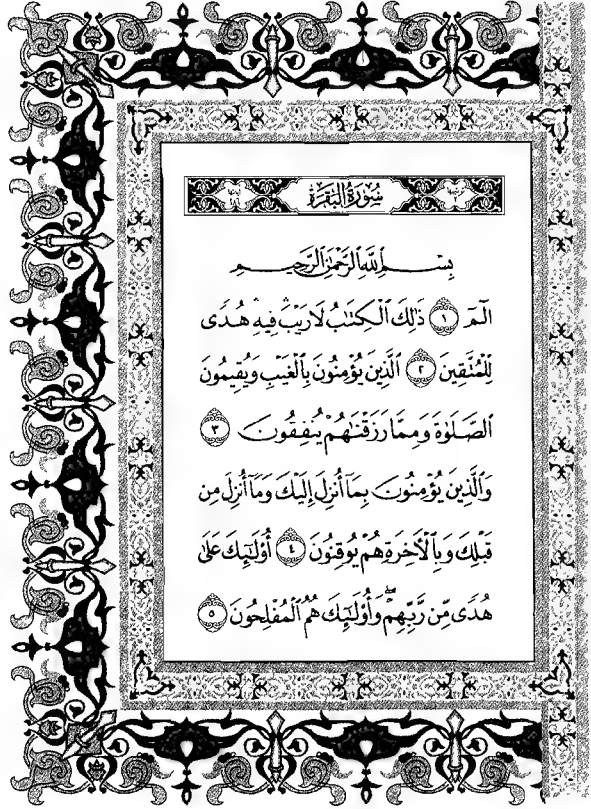
[١] ﴿الْعَرَبُ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله، وجملة النفي خير مبتدؤه ﴿ذَلِكَ﴾، والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبر ثان؛ أي: هادٍ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى بامتنال الأوامر واجتناب النواهي لاتقانهم بذلك النار.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُقِفُّونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون<sup>(١)</sup>.

[٥] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ اغاثزون بالجنة الناجون من النار.



### سُورَةُ الْبَقَرَةِ

[مدنية، مائتان وست أو: سبع وثمانون آية]\*

مقدمة السيوطي رَحِمَهُ اللهُ:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الحمد لله حمداً موافقاً لنعمه مكافئاً لمزيد، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وجنوده. هذا ما اشتملت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وتتميم ما فاتته وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء. بتتمة على نمط من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعرا ب ما يحتاج إليه، وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل

(م) فائدة: أخرج البخاري عن يوسف بن ماهر قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرك! قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعليّ. وُلِفَ القرآن عليه؛ فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيُّ قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر اخنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ الْكَافَّةُ مُؤَيَّدَةٌ﴾ وَاَلْكَافَّةُ أَهْلُكُمْ وَأَمْرٌ، وم نزلت سورة البقرة ونساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور. البخاري كتاب فضائل القرآن (٦٦) باب (٦) تأليف القرآن.

(١) من هنا إلى آخر سورة الإسراء من وضع السيوطي، وكان المحلي قد بدأ في تفسير البقرة، وبعد أن مضى في تفسير آيات يسيرة توفاه الله، وليس لدينا علم عن كم ما فسره المحلي من آيات. (٢) أي: علما قطعاً لا شك فيه.

[٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه<sup>(١)</sup>، ﴿أَمْ لَمْ نُنْزِئْهُمُ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعلم الله منهم ذلك، فلا تطمع في إيمانهم، والإنذار إعلام مع تخويف.

[٧] ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها واستوثق؛ فلا بدخلها خير ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ أي: مواضعها؛ فلا ينفقون بما يسمعون من الحق ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ﴾ غطاء؛ فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قوي دائم.

[٨] ونزل في المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ زوعي في معنى ﴿مَن﴾، وفي ضمير ﴿يَقُولُ﴾ لفظها.

[٩] ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بإظهار خلاف ما يبطنونه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدينية، ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن وتال خداعهم راجع إليهم؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيّه على ما أبطنوه، ويُعاقبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم، والمخادعة هنا من واحد؛ كـ «عاقبت اللص»، وذكر الله فيها تحسين<sup>(٣)</sup>، وفي قراءة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق، فهو يمرض قلوبهم أي: يضعفها ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿يَمَّا كَانُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالتشديد أي: نبي الله، وبالتخفيف أي: قولهم: ﴿وَأَمَّا﴾<sup>(٤)</sup>.

[١١] ﴿وَلِذَا قِيلَ لَهُمْ: أَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ وليس ما نحن فيه بفساد. قال الله - تعالى - ردّاً عليهم: [١٢] ﴿أَلَا لِلنَّبِيِّ هُمْ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٣] ﴿وَلِذَا قِيلَ لَهُمْ: آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ، ﴿قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ الجاهل؛ أي: لا نفعل كفعلهم. قال - تعالى - ردّاً عليهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[١٤] ﴿وَلِذَا لَقُوا﴾ أصله «القبوا»؛ حذف الضمة؛ للاستئفال ثم الباء؛ لاتِّفَاقِها ساكنة مع الواو ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَى شَتَّى طَائِفَةٍ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بهم بإظهار الإيمان.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَةَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يُكَذِّبُونَ ﴿١٠﴾ وَلَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَلَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴿١٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَلِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ فِي الدِّينِ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾

[١٥] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم باستهزائهم<sup>(٥)</sup>، ﴿وَيَسْتَكْذِبُ﴾ يجهلهم ﴿فِي طَائِفَتِهِمْ﴾ بتجاوزهم الحد في الكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيرًا، حال<sup>(٦)</sup>.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوُا الضَّلَافَةَ بِالْهَدْيِ﴾ أي: استبدلوا به ﴿فَمَا رَجَعَتْ يُجْزِيهِمْ﴾ أي: ما ربحوا فيها؛ بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وقالوا وهشام ورش إبدالها ألفاً خالصة والمد قدر ألف، فإذا كان بعدها ساكن مد للساكنين. وفصل أبو عمرو وقالوا وهشام من طريق الخليلاني بين الهمزتين بالألف. وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعين في كلمة، إلا ما يأتي النص على خلافه ويأنه إن شاء الله. وأجمعوا على عدم الفصل في قوله - تعالى -: ﴿أَلَيْسَ كَذِئْبًا خَرًّا﴾ وسهل همزتها الثانية نفع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرا الباقون ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾. (٣) أي: لكتلام، وكأنه إجابة سؤال تقديره: كيف يَخَادِعُ الله: أي: يبتال عليه وهو يعلم الضمائر؟! فيجيب عنه بما ذكر.

(٤) والتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، والتخفيف قراءة الباقين. (٥) وهذا تأويل، والصواب في هذا ونحوه إتيانه على ما يبيح لجلال الله وعظمته من غير أن يشق له اسم أو صفة؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع ولا مستهزئ. تعالى الله عن ذلك. قال ابن القيم: «وقد قيل: إن تسمية ذلك مكراً وكيداً واستهزاءً وخداعاً من باب الاستعارة ومجاز المقالة... وقيل - وهو أصوب -: بل تسمية ذلك حقيقة على بابه...» [إعلام الموقعين (٣/ ٢١٨، ٢١٩)]. ومن ذلك ما أخبر - شيخنا - أنه يفعله بالنافقين في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِن نَّارِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا ذُنُوبَكُمْ فُتْرِبَ فِيهِمْ يَوْمَ تَكُنُ يَأْتِيهِمْ فِيهِ الْآزِمَةُ وَظُهُورُهُمْ يَصِيرُ الْكَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، وهذا عدل منه - شيخنا - وحكمة، وإضاف.

(٦) أي: إن جملة ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في محل نصب على الحال، إما من الضمير في ﴿وَيَسْتَكْذِبُ﴾ أو من الضمير في ﴿طَائِفَتِهِمْ﴾.

السحاب<sup>(٤)</sup> ﴿ظَلُمْتُ﴾ متكاثفة ﴿وَرَعَدُ﴾ هو الملك الموكل به، وقيل: صوته ﴿وَرَقٌّ﴾ لمان شوطيه الذي يزجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي: أصحاب الصيب ﴿أَصْبَعُهُمْ﴾ أي: أناملهم ﴿فِي مَآذِنِهِمْ مِنْ﴾ أجل ﴿الْقَوَائِيْقِ﴾ شدة صوت الرعد؛ لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿الْمَوْتِ﴾ من سماعها؛ كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن، وفيه ذِكْرُ الكفر المشبه بالظلمات، والوعيد عليه المشبه بالرعد، والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون أذانهم؛ لئلا يسمعه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ علماً وقدرَةً؛ فلا يفوتونه.

[٢٠] ﴿يَكَادُ﴾ يقرب ﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كَلَّمَا﴾ أَضَاءَ لَهُمْ مَتَنَوُا فِيهِ﴾ أي: في ضوئه ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقفاً، تمثيلاً لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفهم عما يكرهون. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ومنه إذهاب ما ذكر.

[٢١] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَعْبَادُهَا﴾ وَحْدُهَا ﴿وَرَبُّكَمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئاً ﴿وَوَهَبَ لَكُمْ الْآيَاتِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعبادته عبادة، ولعل: في الأصل للترجي، وفي كلامه - تعالى - للتحقيق. [٢٢] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآرْضَ رِيشًا﴾ حال<sup>(٥)</sup>، بساطاً يُفْتَرَشُ، لا غاية في الصلاة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ سقفاً ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِيشًا لَكُمْ﴾ فلا تجمعوا لله أنداداً وأنتم تعلمون<sup>(٦)</sup> ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ وأدعوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

[٢٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ أي: المنزل، (ومن) للبيان؛ أي: هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب. «والسورة قطعة لها أول وآخر، أفلها ثلاث آيات»<sup>(٧)</sup>، ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ ألهمكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من غيره لتعينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمداً قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك، فإنكم عربون فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك قال - تعالى - [٢٤] ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما ذكر لعجزهم ﴿وَكُنْ تَفْعَلُوا﴾ ذلك أبداً؛ لظهور إعجازه، اعتراض<sup>(٨)</sup>، ﴿فَأْتُوا بِاللَّهِ﴾ وأنه<sup>(٩)</sup> ليس من كلام البشر ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ كآصنامهم منها؛ يعني: أنها مفرطة الحرارة تنقد بما ذكر، لا كنار الدنيا تنقد بالخطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُبَّتْ ﴿الْكُفْرِينَ﴾ يُعَذِّبُونَ بها، جملة مستأنفة<sup>(١٠)</sup> أو حال لازمة<sup>(١١)</sup>.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ صَمُّكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرُّ يُجْعَلُونَ أَصْلِعُهُمْ فِيءَ أَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ يَكَاذُ الْبَرُّ يُخْطَفُ أَبْصَارُهُمْ كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبَادُ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِيشًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾ أوقد ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارت ﴿وَمَا حَوْلَهُ﴾ فأبصر واستدفأ وأمن من يخافه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفاله، وجميع الضمير مراعاة لمعنى ﴿الَّذِي﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم، متحيرين عن الطريق، خائفين؛ فكذلك هؤلاء أمثوا بإظهار كلمة الإيمان؛ فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب.

[١٨] هم ﴿عُمَى﴾ عن الحق فلا يسمعون سماع قبول ﴿بِكُمْ﴾ خرس عن الخير فلا يقولونه<sup>(٢)</sup> ﴿عَمَى﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه<sup>(٣)</sup> ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة.

[١٩] ﴿أَوْ﴾ مَثَلُهُمْ ﴿كَصَيْبٍ﴾ أي: كأصحاب مطر، وأصله صوب من صاب يصوب أي: يزل ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي:

(١) وهو جعلها بمعنى: الذين.

(٢) وظاهر النظم، وكلام كثير من المفسرين أن الضمير راجع للصب.

(٣) أي: من الأرض، وهذا بناء على ما جرى عليه من أن ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: «خَلَقَ» التعددي لواحد وهو الأرض، وجرى غيره على أنه بمعنى: «صَنَعَ»، وأن ﴿وَرَبُّكَ﴾ المفعول الثاني.

(٤) بيان خللها من الواقع؛ فإن أقصر سورة ثلاث آيات، وليس من التعريف، ولو فرض أنها آيات لعجزوا أيضاً.

(٥) أي جملة: «وَكُنْ تَفْعَلُوا» معترضة بين الشرط وجوابه، ومعنى الاعتراض في الغالب التوكيد.

(٦) أي: وبأنه.

(٧) أي: لا ارتباط لها بما قبلها، وقعت في جواب سؤال مقدر، تقديره: هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن؟

(٨) أي: والتقدير: فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة للكافرين، ودفع بقوله: «لازمة» ما قيل: إنها معدة للكافرين اتقوا أم لم يتقوا. «حاشية الصاوي».

(٩) أي: رؤية نافعة.

(١٠) أي: قولاً مطابقاً للواقع؛ لما سبق أنهم مؤمنون بظاهرها.





[٣٨] ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كَرُورُهُ؛ لِيُعْطِفَ عَلَيْهِ ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ فَمَنْ بِي وَعَمِلَ بِطَاعَتِي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ بَأَن يَدْخُلُوا الجنة.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴿كُتِبَ﴾ كُتِبَ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فيها خَالِدُونَ؛ مَا كُنُونُ أَبَدًا، لَا يَفْنَوْنَ وَلَا يَخْرُجُونَ. [٤٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أَي: عَلَى آبَائِكُمْ مِنَ الْإِنجَاءِ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَفَقِّ الْبَحْرِ، وَتَظْلِيلِ الْعَمَامِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ بِأَن تَشْكُرُوهَا بِطَاعَتِي ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الَّذِي عَهِدْتُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الَّذِي عَهِدْتُ إِلَيْكُمْ مِنَ الثَّوَابِ عَلَيْهِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ ﴿وَأَيُّ قَارِعُهُنَّ﴾ خَافُونَ فِي تَرْكِ الْوَفَاءِ بِهِ دُونَ غَيْرِي. [٤١] ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ مِنَ التَّوْرَةِ بِمُوَافَقَتِهِ لَهُ فِي التَّوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ ﴿وَلَا تَكُونُوا أَزْوَاجًا ظَالِمِينَ﴾ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَن خَلَفَكُمْ تَبِعَ لَكُمْ؛ فَاتَّهَمَ عَلَيْكُمْ ﴿وَلَا تَنَزَّهُوا﴾ تَسْتَبَدُّوا ﴿بِاتِّبَاعِي﴾ الَّتِي فِي كِتَابِكُمْ مِنْ نِعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿تَمَنَّا﴾ قَلِيلًا عَرَضًا يَسِيرًا مِنَ الدُّنْيَا؛ أَي: لَا تَكْتُمُوهَا خَوْفَ قَوَاتٍ مَا تَأْخُذُونَهُ مِنْ سَفَالَتِكُمْ<sup>(١)</sup> ﴿وَأَيُّ قَاتِلُونَ﴾ خَافُونَ فِي ذَلِكَ دُونَ غَيْرِي. [٤٢] ﴿وَلَا تَلْسَبُوا﴾ تَخْطُبُوا ﴿الْحَقَّ﴾ الَّذِي أَنْزَلْتُ عَلَيْكُمْ ﴿بِالْبُطْلِ﴾ الَّذِي تَقْتَرُونَ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ نِعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أَنَّهُ الْحَقُّ.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ صَلُّوا مَعَ الْمُصَلِّينَ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ. وَتَزَلَّ فِي عِلْمَانِهِمْ - وَكَانُوا يَقُولُونَ لِأَقْرَبَائِهِمُ الْمُسْلِمِينَ: اثْبُتُوا عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ؛ فَإِنَّهُ حَقٌّ. [٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بِالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تَتْرُكُونَهَا فَلَا تَأْمُرُونَهَا بِهِ ﴿وَأَنْتُمْ تَنْتَلُونَ الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ، وَفِيهَا الْوَعِيدُ عَلَى مَخَالَفَةِ الْقَوْلِ الْعَمَلُ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سُوءٌ فَعَلَيْكُمْ فَتَرْجِعُونَ، فَجَمَلَةُ النِّسْيَانِ مَحَلَّ اسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِ.

[٤٥] ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾ اطْلُبُوا الْمَعُونَةَ عَلَى أُمُورِكُمْ ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الْحَسَنِ لِلنَّفْسِ عَلَى مَا تَكْرَهُ ﴿وَالصَّلَاةَ﴾ أَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ؛ تَعْظِيمًا لَهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «كَانَ ﷺ إِذَا خَرَجَ نَحْنُ، بَادَرَ إِلَى الصَّلَاةِ»<sup>(٢)</sup>. وَقِيلَ: الْخُطَابُ لِلْيَهُودِ لَمَّا غَافَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ الشَّرُّ وَحُبِّ الرِّيَاسَةِ؛ فَأَمَرُوا بِالصَّبْرِ وَهُوَ الصُّومُ؛ لِأَنَّهُ يَكْسِرُ الشَّهْوَةَ، وَالصَّلَاةُ؛ لِأَنَّهُ تَوَثَّرَ الْحُشُوعُ وَتَفَنَّى الْكِبَرُ ﴿وَرِئَاسَتَهَا﴾ أَي: الصَّلَاةَ ﴿لِكِبَرِهِمْ﴾ ثِقَلُهُ ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ السَّائِكِينَ إِلَى الطَّاعَةِ.

[٤٦] ﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يَقْرَأُونَ ﴿أَنْتُمْ مُتْلِفُونَ رِبِّهِمْ﴾ بِالْبَعْثِ ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>(٣)</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(٤)</sup> يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَأَيُّ قَارِعُهُنَّ<sup>(٥)</sup> وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإَيُّ قَاتِلُونَ<sup>(٦)</sup> وَلَا تَلْسَبُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(٧)</sup> وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ<sup>(٨)</sup> وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَسُوا الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ<sup>(٩)</sup> وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ<sup>(١٠)</sup> الَّذِينَ يَتْلُونَ أَنْتُمْ مُتْلِفُونَ رِبِّهِمْ وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ<sup>(١١)</sup> يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَيُّ فَضْلَتِكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ<sup>(١٢)</sup> وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ<sup>(١٣)</sup>

رَاجِعُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ؛ فَيُجَازِيهِمْ.

[٤٧] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا بِطَاعَتِي ﴿وَأَيُّ فَضْلَتِكُمْ﴾ أَي: أَبَاءَكُمْ ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عَالَمِي زَمَانِهِمْ.

[٤٨] ﴿وَأَتَقُوا﴾ خَافُوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ فِيهِ ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ بِالنَّاءِ<sup>(١)</sup> وَالْبَاءِ ﴿مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ أَي: لَيْسَ لَهَا شَفَاعَةٌ فَتَقْبَلُ ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فِدَاءٌ ﴿وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ﴾ يُعْتَمَدُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

(١) أَي: عَامَتِكُمْ.

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٨٨)، وأبو داود (١٣١٩)، وهو في صحيح الجامع (٤٧٠٣).

(٣) لابن كثير وأبي عمرو.

(٤) الشعراء: ١٠٠.

ذَلِكُمْ ﴿الْعَذَابُ أَوْ الْإِنْجَاءُ﴾ (١) ﴿بَلَاءٌ﴾ (٢) أَوْ إِنْعَامٌ (٣) ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٥٠] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ فَرَقْنَا فَلَقْنَا بَيْنَكُمْ﴾ بسببكم ﴿الْبَحْرَ﴾ حتى دخلتموه هارين من عدوكم ﴿فَأَنفَجْتُمْ﴾ من العرق ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴿قَوْمَهُ﴾ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ﴿إِلَى انْطِاقِ الْبَحْرِ عَلَيْهِمْ﴾.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا بِأَلْفِ دُونِهَا﴾ (٤) ﴿مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نعطيه - عند انقضائها - التوراة؛ لتعملوا بها ﴿ثُمَّ أَخَذْنَاهُ الْعِجْلَ﴾ الذي صَاحَهُ لَكُمْ الشَّامِرِيُّ إِلَهَا مِنْ بَعْدِهِ. أي: بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذهم؛ لوضعكم العبادة في غير محلها.

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ مَحْوُنَا ذُنُوبَكُمْ ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الانخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا عليكم.

[٥٣] ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ عطف تفسيرا؛ أي: الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ به من الضلال.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الذين عبدوا العجل: ﴿يَتَقَوْمُ إِلَٰكُكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ إِلَهَا ﴿فَتَوَلَّوْا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ خالفكم من عبادته ﴿فَأَقْبَلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: ليقتل البريء منكم المحرم ﴿ذَلِكُمْ﴾ القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ فوقكم لفعل ذلك، وأرسل عليكم سحابة سوداء؛ لئلا يبصر بعضكم بعضاً فيرحمه؛ حتى قتل منكم نحو سبعين ألفاً ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبِلَ تَوْبَتَكُمْ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَّابُ الرَّجِيمُ﴾.

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وقد خرجتم مع موسى؛ لتعتزلوا إلى الله من عبادة العجل، وسمعتم كلامه: ﴿يَتُوبُونَ لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ رَأَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ عباناً ﴿فَأَخَذْنَاكَ الصُّلْبَ﴾ الصبيحة؛ فَمُتُّمْ ﴿وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾ ما حلَّ بكم.

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحييناكم ﴿مَنْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا بذلك.

[٥٧] ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حرِّ الشمس في الشيء ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿الْمَنَّ وَالسَّلَوَىٰ﴾ هما التريغيبين (٥) والطيور السماني بتخفيف اليمم والقصر، وقلنا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تَدْخِرُوا. فكفروا النعمة وادخروا؛ فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لَأَن وَتَالَهُ عَلَيْهِمْ.

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٥﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتَوَلَّوْا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْبَلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهَنَّمَ فَأَخَذْنَاكَ الصُّلْبَ عَظِيمَةً وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢١﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلَوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٢﴾

[٤٩] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ أي: أباءكم، والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم الله على آبائهم؛ تذكيرا لهم بنعمة الله - تعالى -؛ ليؤمنوا ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يُذَبِّحُونَكُمْ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده، والجملة حال من ضمير ﴿نَجَّيْنَاكُمْ﴾ ﴿يُدَبِّحُونَ﴾ يذبحون ﴿لَا قَبْلَهُ﴾ أَبْنَاءَكُمْ ﴿الْمَوْلُودِينَ﴾ وَيَسْتَحْيُونَ يَسْتَيْقِنُونَ ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة له: إِنْ مَوْلِدًا يُؤَلَّدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبِيًّا لِدَهَابِ مَلِكِكَ ﴿وَفِي﴾

(١) أي: من حيث عدم الشكر عليه؛ فصار بلاء

(٢) راجع للعذاب.

(٣) راجع للإِنْجَاء.

(٤) بدون ألف لأي عمرو.

(٥) مادة صمغية حلوة؛ كالعمل يسقط على الشجر؛ كما يسقط الفل.



[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْيَمِّ: ﴿أَتَعْبُدُونَ إِلَّا مَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَوْ أَرِيحًا﴾ ﴿تَعْبُدُونَ مِنْهَا شَيْئًا وَهُمْ لَا حِجْرَ فِيهِ﴾ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا: ﴿أَيُّهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿سُجِّدُوا لِلَّذِينَ أَنزَلْنَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ عَبْدِكَ لِيُظَاهِرَ عَنْ رَأْيِهِ وَأَنَّا مُنْقِلِينَ﴾ ﴿وَقُولُوا لَهُمْ: ﴿مَسْأَلَتُنَا﴾ ﴿جَنَّةٌ﴾ أَيُّ: أَنْ نَحْطُ عَنْ خَطِيئَاتِنَا﴾ ﴿نَعْبُدُ﴾ وفي قراءة بالياء<sup>(١)</sup> والياء<sup>(٢)</sup> مبنيا للمفعول فيهما ﴿لَنُكْرِ خَلْقَكُمْ﴾ وَسَزِيدُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابا.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فَقَالُوا: حِجْرٌ فِي شَعْرَةٍ. وَدَخَلُوا يَرْحِفُونَ عَلَىٰ أَسْتَاهُمْ﴾ ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر؛ مبالغة في تبيين شأنهم ﴿وَجَزَاءٌ عَذَابًا طَاعُونَ﴾ ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم؛ أي: خروجهم عن الطاعة؛ فهلك منهم في ساعة سبعون ألفًا أو أقل.

[٦٠] ﴿وَإِذْ أَذْكُرُ﴾ ﴿إِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أَي: طَلَبَ الشَّقِيَّاءَ ﴿لِقَوْمِهِ﴾. وَقَدْ عَطِشُوا فِي الْيَمِّ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وهو الذي فُوَّ بِشُوبِهِ، خفيف مربع كراس الرجل رخام، أو كَذَا<sup>(١)</sup>، فضربه<sup>(٢)</sup> ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ انشقت وسالت ﴿وَمِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿فَدَعَا كُلُّ نَاسٍ إِلَىٰ آبَائِهِ﴾ سبط منهم ﴿مُفْرَقِينَ﴾ موضع شربهم؛ فلا يشركهم فيه غيرهم. وَقَالُوا لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها<sup>(٣)</sup>، من عني بكسر المثلثة: أفسد.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نَّبْرِيكَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ أَي: نوع منه ﴿وَجِوَارٍ﴾ وهو لمن والسوى ﴿فَأَنذَرْنَا لَكَ أَنَّكَ تَخْرُجُ لَنَا مَبْنًى﴾ مَبْنًى: مَبْنًى تَنْبُتُ الْأَرْضُ مِنْهُ لِلْبَنِيَّانِ ﴿بَقِيلَهَا وَقَتْلَهَا وَتَوْبَهَا﴾ حطتها وَوَعَدَهَا وَبَصَلَهَا قَالَ لَهُمْ مُوسَى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ أَحْسَنَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَشْرَفَ؟ أَتَأْخُذُونَهُ بِذَلَّةٍ وَالْهَمَزَةُ لِلْإِبْكَارِ، فَأَبَوْا أَنْ يَرْجِعُوا فَدَعَا اللَّهُ - تَعَالَى -؛ فَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَهْبِطُوا﴾ انزلوا ﴿وَيُصْرِكُوا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنْ لَكُمْ﴾ فيه ﴿مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ من النبات ﴿وَوُضِعَتْ﴾ جُعِلَتْ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الذَّلَّةُ ﴿الَّذِلُّ﴾ الذِّلُّ والِهوان ﴿وَاللَّسَنُكَّةُ﴾ أَي: أَثَرُ الْفَقْرِ؛ مِنَ السَّكُونِ وَالْخُرْجِ؛ فِيهِ لَازِمَةٌ لَهُمْ - وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ - لَزُومُ الدَّرْهِمِ الْمَضْرُوبِ لِسَكَّتِهِ<sup>(٤)</sup> ﴿وَيَكْفُرُوا﴾ رَجَعُوا ﴿بِقَضَائِهِ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ﴾ أَي: الضَّرْبُ وَالْغَضَبُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أَي: بسبب أَنَّهُمْ

وَإِذْ قُلْنَا أَذْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نَّبْرِيكَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجِوَارٍ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مَبْنًى تَنْبُتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقِيلَهَا وَقَتْلَهَا وَتَوْبَهَا وَوَعَدَهَا وَبَصَلَهَا قَالَ لَهُمْ مُوسَى: أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ أَحْسَنَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَشْرَفَ؟ أَتَأْخُذُونَهُ بِذَلَّةٍ وَالْهَمَزَةُ لِلْإِبْكَارِ، فَأَبَوْا أَنْ يَرْجِعُوا فَدَعَا اللَّهُ - تَعَالَى -؛ فَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَهْبِطُوا﴾ انزلوا ﴿وَيُصْرِكُوا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنْ لَكُمْ﴾ فيه ﴿مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ من النبات ﴿وَوُضِعَتْ﴾ جُعِلَتْ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الذَّلَّةُ ﴿الَّذِلُّ﴾ الذِّلُّ والِهوان ﴿وَاللَّسَنُكَّةُ﴾ أَي: أَثَرُ الْفَقْرِ؛ مِنَ السَّكُونِ وَالْخُرْجِ؛ فِيهِ لَازِمَةٌ لَهُمْ - وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ - لَزُومُ الدَّرْهِمِ الْمَضْرُوبِ لِسَكَّتِهِ<sup>(٤)</sup> ﴿وَيَكْفُرُوا﴾ رَجَعُوا ﴿بِقَضَائِهِ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ﴾ أَي: الضَّرْبُ وَالْغَضَبُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أَي: بسبب أَنَّهُمْ

﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ كزكريا ويحيى ﴿وَيَعْتِرِ الْقَتْلَ﴾ أَي: ظَلَمُوا بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَسْتَدُونَ؛ يَتَجَاوَزُونَ الْحُدُودَ الْمَعَاصِي، وَكَوَزَرَهُ<sup>(٥)</sup> لِلنَّاسِ كَيْدِ.

(١) لبايع.

(٢) لابن عامر.

(٣) جمع سته؛ وهو: الدرر؛ أي: أديارهم.

(٤) الحجر اللين.

(٥) يحكى كثير من المفسرين ومنهم: ابن كثير - ها أقوالاً كثيرة وغريبة في وصف الحجر، ومن أين جاء به، وكلها لا دليل عليها، وتَعَارَضَهَا يُدْلَلُ عَلَى عَدَمِ صَحَّتِهَا، والظاهر أنها من الإسرائيليات، ثم لا حاجة لنا في العلم بذلك، بل نعمل القول الأرجح ما ذكره الزمخشري - وحكاها عنه ابن كثير - بقوله: ... ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للمعد؛ أي: اضرب الشيء الذي يقال له: الحجر. وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجراً بيمينه، قال: وهذا أظهر في المعجزة، وأبين في القدرة.

(٦) أي: وعلى ذرياتهم وَمَنْ نَحْنُ نَحْنُ هُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(٨) الكلام على القلب؛ أي: لزوم السكة للدرهم؛ والمراد بالسكة: أثرها؛ لأن السكة اسم للحديدة المقوشة يضرب عليها الدراهم، فكل ذلك لا يخلو يهودي من آثار الفقر.

(٩) أي: اسم الإشارة؛ وهو لفظ: ذَلِكَ.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّدِيقِينَ مِنَ  
 ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ  
 رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا  
 مِيثَاقَهُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ  
 بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ  
 مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ  
 الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ  
 فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا فِرْدَةً خَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا  
 بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ  
 مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا  
 أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ  
 ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَنْعِنَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِخَبْرٍ قَالُوا  
 بَقَرَةً لَا فَارِصَ وَلَا يَكْرِعُونَ بَيْنَ ذَلِكَ قَالُوا قَاتِلُوا  
 تَوَمَّرُونَ قَالُوا أَنْعِنَا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِخَبْرٍ قَالُوا قَاتِلُوا  
 بَقَرَةً لَا فَارِصَ وَلَا يَكْرِعُونَ بَيْنَ ذَلِكَ قَالُوا قَاتِلُوا  
 تَوَمَّرُونَ قَالُوا أَنْعِنَا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِخَبْرٍ قَالُوا قَاتِلُوا

[٦٢] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ هَادُوا هُم  
 الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالصَّدِيقِينَ طائفة من اليهود أو النصارى ﴿٢﴾ مَنْ  
 ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فِي زَمَنِ نَبِيِّنَا وَعَمِلَ صَالِحًا

بشريعته ﴿٣﴾ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ أَي: ثواب أعمالهم ﴿٤﴾ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ رُوِيَ فِي ضَمِيرِ ﴿ءَامَنَ﴾ وَ﴿عَمِلَ﴾ لَفْظٌ ﴿مَنْ﴾  
 وفيما بعده معناه.

[٦٣] ﴿وَقَدْ﴾ اذْكُرْ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ عَهْدَكُمْ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ  
 ﴿وَقَدْ﴾ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ الْجَبَلَ اقْتُلَعْنَا مِنْ أَصْلِهِ عَلَيْكُمْ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ  
 قَبُولَهَا، وَقُلْنَا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَادْكُرُوا مَا فِيهِ﴾  
 بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النَّارَ أَوِ الْمَعَاصِيَ.

[٦٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الْمِيثَاقَ عَنِ الطَّاعَةِ  
 ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لَكُمْ بِالتَّوْبَةِ أَوْ تَأْخِيرِ الْعَذَابِ ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ  
 الْخَاسِرِينَ﴾ الْهَالِكِينَ.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ﴾ لَمْ قَسَمْ ﴿عَلَيْتُمْ﴾ عَرَضْتُ ﴿الَّذِينَ اعْتَدُوا﴾ تَجَاوَزُوا الْحَدَّ  
 ﴿مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ بِصِيدِ السَّمَكِ، وَقَدْ نَهَيْتَهُمْ عَنْهُ، وَهُمْ أَهْلُ أَيْلَةٍ ﴿فَقُلْنَا  
 لَهُمْ كُفُّوا فِرْدَةً خَاسِرِينَ﴾ مَبْعَدِينَ؛ فَكَانُوا وَهَلَكُوا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أَي: تِلْكَ الْعُقُوبَةُ ﴿نَكَالًا﴾ عِبْرَةً مَانِعَةً مِنْ ارْتِكَابِ  
 مِثْلِ مَا عَمِلُوا ﴿لِسَاءِ بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أَي: لِلْأَلَمِ الَّتِي فِي زَمَانِهَا وَبَعْدَهَا  
 ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ اللَّهُ، وَخُصُّوا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ الْمُنْتَفِعُونَ بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ.

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ - وَقَدْ قِيلَ لَهُمْ قَتِلُوا لَا  
 يُذْرَى قَاتِلُهُ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُدْعُو اللَّهَ أَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُمْ؛ فَدَعَاهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ  
 تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ مُهْزِوَةً بِنَا حَيْثُ تَجَبَّنَا بِمِثْلِ ذَلِكَ ﴿قَالَ  
 أَعُوذُ﴾ أَمْنَعُ ﴿بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الْمُسْتَهْزِئِينَ. فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُ عَرِمَ

[٦٨] ﴿قَالُوا أَنْعِنَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِخَبْرٍ﴾ أَي: مَا سَأَلْنَا ﴿قَالَ﴾ مُوسَى:  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً لَا فَارِصَ﴾ مُسْتَعْتَةً ﴿وَلَا يَكْرِعُ﴾ صَغِيرَةً  
 ﴿عَوَانًا﴾ نَصَفَ ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورَ مِنَ السَّنِينَ ﴿قَاتِلُوا مَا  
 تَوَمَّرُونَ﴾ بِهِ مِنْ ذَبْحِهَا.

[٦٩] ﴿قَالُوا أَنْعِنَا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِخَبْرٍ﴾ أَي: مَا سَأَلْنَا ﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ إِنَّمَا  
 بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْهَهَا شَدِيدُ الصَّفَرَةِ ﴿سُئِرَ النَّظِيرِينَ﴾ إِلَيْهَا  
 بِحَسَنَتِهَا؛ أَي: تَعَجَّبَهُمْ.

(١) أي: قبل بعثة محمد ﷺ، وأما من آمن بميسى وأدرك محمدًا ﷺ ولم يؤمن به فإنه كافر خالط مخلص في النار. كما في سورتي المائدة والنبأ، وكما صرح بذلك الأحاديث.

(٢) وقال مجاهد: الصابئون قوم بين الجوس واليهود والنصارى. (الطبري ١/٦٦٢). وقيل: قوم يعبدون الملائكة. وقيل: قوم يعبدون الكواكب. وقيل غير ذلك. وقال ابن كثير: وأظهر الأقوال والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه... أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا الجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم ياتون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويفتقرونه. اهـ. تفسير ابن كثير (١/١٠٠).

[٧٠] ﴿قَالُوا أَتُوعَدُنَا رَبُّكَ بِبَيِّنَاتٍ لَمَّا هِيَ﴾ أسأمة أم عاملة؟ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ﴾ أي: جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشْبَهُ عَلَيْنَا﴾ لكثرة؛ فلم نهتد إلى المقصودة ﴿رَبَّنَا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها، وفي الحديث: «لو لم يستثنوا لما بينت لهم لآخر الأبد»<sup>(١)</sup>.

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾ غير مذلة بالعمل ﴿ثِيَرُ الْأَرْضِ﴾ نقبها للزراعة، والجملة صفة ﴿ذَلُولٌ﴾ داخلة في النفي<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا تَسْقِي الْمَرْثَ﴾ الأرض المهية للزراعة ﴿مُسْلَمَةً﴾ من العيوب وأثار العمل ﴿لَا شِبْهَ﴾ لون ﴿فِيهَا﴾ غير لونها ﴿قَالُوا أَتَنْتَ حِثٌّ بِالْحَقِّ﴾ نطق بالبيان التام، فطلبوها؛ فوجدوها عند الفتى التار بأمه؛ فاشتروها بملء مسكها<sup>(٣)</sup> ذهبا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لئلا تمنها، وفي الحديث: «لو ذبحوا أي بقرة كانت، لأجزأتهم، ولكن شددوا على أنفسهم؛ فشدد الله عليهم»<sup>(٤)</sup>.

[٧٢] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ﴾ فيه إدغام الدال في التاء؛ أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿وَبَيْنَا وَاللَّهِ نُخْرِجُ مَظْهَرَ﴾ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ من أمرها، وهذا اعتراض<sup>(٥)</sup> وهو أول القصة<sup>(٦)</sup>.

[٧٣] ﴿فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ﴾ أي: القتل ﴿بِعَصْبَةٍ﴾ فضرب بلسانها أو عجب ذنبها؛ فحيا، وقال: قتلني فلان وفلان لا تبي عمه، ومات؛ فخرمنا الميراث وقيل، قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياء ﴿يُعَيِّنُ اللَّهُ الْمَوْتَ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تدبرون؛ فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة؛ فقومون.

[٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أيها اليهود؛ صلبت عن قبول الحق ﴿وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتل، وما قبله من الآيات ﴿نَهَى كَالْجِبَارَةِ﴾ في القسوة ﴿أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ منها ﴿وَإِنْ مِنَ الْجِبَارَةِ لَمَا يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فِيهِ إدغام التاء في الأصل في الشين ﴿فِيخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَبْطِئُ ينزل من علو إلى أسفل ﴿مِنْ حَشِيَةِ اللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيٍّ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم، وفي قراءة<sup>(٧)</sup> بالتحانية، وفيه التفات على الخطاب.

[٧٥] ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْتُوا لَكُمْ﴾ أي: اليهود ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ﴾ طائفة ﴿مِنْهُمْ﴾ أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُخْرِفُونَهُ﴾ يغيرونه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مفترون، والهمزة للإنكار؛ أي: لا تطمعوا؛ فلهم سابقة بالكفر.

قَالُوا أَتُوعَدُنَا رَبُّكَ بِبَيِّنَاتٍ لَمَّا هِيَ ﴿٧٠﴾  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ  
تُشِيرُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسْلَمَةً لَا شِبْهَ فِيهَا قَالُوا  
أَفَنْتَ حِثٌّ بِالْحَقِّ قَدْ بَحَوَّهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِذْ  
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ  
﴿٧٣﴾ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ  
ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
فَهِيَ كَالْجِبَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْجِبَارَةِ لَمَا يَنْفَجِرُ  
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فِيهِ خُرْجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ  
مِنْهَا لَمَا يَبْطِئُ مِنْ حَشِيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيٍّ عَمَّا تَعْمَلُونَ  
﴿٧٥﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْتُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ  
يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُخْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا  
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ  
عَلَيْكُمْ لِيُحَاوِرَكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾

[٧٦] ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أي: منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا﴾ بأن محمداً ﷺ نبي، وهو المبشر به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ أي: رؤسأهم الذين لم ينافقوا لمن نأفق ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: غزفكم في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿لِيُحَاوِرَكُمْ﴾ ليخاصمكم، واللام للضرورة ﴿بِهِ﴾ عند ربكم في الآخرة، وقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فشتتوهم؟! .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره، قال: قال ابن جريج: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أُبْرِأُوا بِأَدْنَى بَقَرَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا شَدَّدُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَابَّيْهُمُ اللَّهُ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَثْنُوا لَمَّا بَيَّنَّتْ لَهُمْ آيَةُ الْبَقَرَةِ اهـ. فالحديث فيه انقطاع.

(٢) أي: ليست مذلة لعمل ولا مثيرة للأرض.

(٣) الجلد.

(٤) ذكره ابن كثير كما تقدم وضعفه.

(٥) أي: جملة معترضة بين المعطوف؛ وهو: ﴿فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ﴾ الآية (البقرة: ٧٣)، والمعطوف عليه؛ وهو: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ (البقرة: ٧١).

(٦) وإنما أقرء ليوصل قبائح بني إسرائيل بعضها بعض.

(٧) لابن كثير.

﴿أَمَانٍ﴾ أَكَاذِيبُ تَلْقَوْنَهَا مِنْ رُؤْسَائِهِمْ فَاعْتَمِدُوهَا ﴿وَإِنْ﴾ مَا ﴿هُمْ﴾ فِي جُحْدِ نُبُوَةِ النَّبِيِّ وَغَيْرِهِ مَا يَخْتَلِقُونَهُ ﴿إِلَّا يَطْنُونَ﴾ ظَنًّا وَلَا عِلْمَ لَهُمْ.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ﴾ شِدَّةُ عَذَابٍ ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أَي: مُخْتَلِفًا مِنْ عِنْدِهِمْ ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَتُّةٌ قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا؛ وَهُمْ الْيَهُودُ غَفَرُوا صِفَةَ النَّبِيِّ فِي التَّوْرَةِ آيَةً الرَّجْمِ وَغَيْرَهُمَا، وَكَتَبُوهَا عَلَى خِلَافِ مَا أُنْزِلَ ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مِنَ الْخُتْلَافِ ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾ مِنَ الرِّشَاءِ<sup>(١)</sup>.

[٨٠] ﴿وَقَالُوا﴾ لَمَّا وَعَدَهُمُ النَّبِيُّ النَّارَ: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تَصْنِيبًا ﴿النَّارُ﴾ إِلَّا أَنْيَا مَقْدُودَةٌ قَلِيلَةٌ، أَرْبَعِينَ يَوْمًا، مَدَّةُ عِبَادَةِ آبَائِهِمُ الْعَجَلِ ثُمَّ تَرُولُ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿أَتُخَذْتُمْ﴾ خُذْتُ مِنْهُ هِمَزَةُ الْوَصْلِ اسْتِغْنَاءً بِهِمَزَةِ الْاسْتِفْهَامِ ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ مِثَاقًا مِنْهُ بِذَلِكَ ﴿فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ بِهِ؟ لَا ﴿أَمْ﴾ بَلْ ﴿فَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٨١] ﴿بَلَى﴾ تَمَسَّكُمْ وَتَخْلُدُونَ فِيهَا ﴿مَنْ كَسَبَ سَنِيئَةً﴾ شَرَكًا ﴿وَأُحْطِطَ بِهِ﴾ خُطِئْتُ بِهِ بِالْأَفْرَادِ<sup>(٢)</sup> وَالْجَمْعِ؛ أَي: اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ وَأَحْدَقَتْ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بَأَن مَاتَ مُشْرِكًا ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ رُوعِي فِيهِ مَعْنَى ﴿مَنْ﴾ [٨٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فِي التَّوْرَةِ وَقُلْنَا: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَالْيَاءِ<sup>(٣)</sup> ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ خَبِرَ بِمَعْنَى النَّهْيِ، وَقُرِئَ<sup>(٤)</sup>: ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ أَحْسَنُوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بِرًّا ﴿وَزَى الْقُرْبَى﴾ الْقَرَابَةَ عَطَفَ عَلَى الْوَالِدَيْنِ ﴿وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينِ﴾ وَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلًا ﴿إِحْسَانًا﴾ مِنَ الْأَمْرِ بِالْعُرْفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّدَقِ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ، وَالرَّفْقِ بِهِمْ، وَفِي قِرَاءَةِ<sup>(٥)</sup> بَضْمِ الْحَاءِ وَسُكُونِ السِّينِ مُصَدَّرٌ وَصَفٌ بِهِ مَبَالِغَةٌ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فَقَبِلْتُمْ ذَلِكَ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ، فِيهِ التَّفَاتُ<sup>(٦)</sup> عَنِ الْغَيْبَةِ؛ وَالْمُرَادُ آبَاؤُهُمْ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ؛ كَأَبَائِكُمْ.

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يَعْلَنُونَ ﴿٧٧﴾  
وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يظنون ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَأَمْرٌ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ دَقَّ أَوَّلُ لَيْلٍ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَزَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

قال - تعالى -: [٧٧] ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير<sup>(١)</sup>، والواو الداخل<sup>(٢)</sup> عليها للعطف ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يَعْلَنُونَ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره؛ فَيَزَعُوا<sup>(٣)</sup> عن ذلك؟! [٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أَي: الْيَهُودُ ﴿أُمِّيُونَ﴾ عَوَامٌ ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ

(١) أي: على سبيل التبريح؛ حيث اعتقدوا أن النافق يؤاخذ والكافر الأصلي لا حجة عليه، وله عذر قائم عند ربه.

(٢) أي: والواو الداخل الاستفهام عليها للعطف على محذوف تقديره: أيلومونهم على التحذير بما ذكر، ولا يعلمون... الخ.

(٣) أي: يتكلموا ويترجعوا.

(٤) بكسر الراء وضمة؛ جمع رشوة؛ بتثنية الراء.

(٥) بالافراد؛ أي: باعتبار ذات الشرك. والجمع؛ أي: باعتار أفراده، وقرأها نافع بالجمع (خطيباته) والباقون بالافراد (خطيبته).

(٦) بالياء لحزمة والكسائي وابن كثير.

(٧) قراءة شاذة، وقاعدة المفسر غالباً أنه يشير للشاذة بقوله: قرئ، والسبعية بقوله: في قراءة.

(٨) بفتح الحاء والسين لحزمة والكسائي، جعلاه صفة لمصدر محذوف، تقديره: وقولوا للناس قولاً حسناً.

(٩) وحكمته الاستعداد للسامع وعدم الملل منه، وهو من المحسنات.

وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَلَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ  
 اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ اَقْرَضْتُمْ وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾  
 ثُمَّ اَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا  
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ  
 وَإِن يَأْتُواكُمْ اَسْرَى تَفْذَرُوهُمْ وَهُمْ وَهْمٌ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ  
 اِخْرَاجُهُمْ اَفْتَوْهُمُوْنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُوْنَ بِبَعْضٍ  
 فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ الْاٰخِرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ  
 الدُّنْيَا وَنَوْمٍ الْقِيَمَةِ يُرَدُّوْنَ اِلَى اَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اَللّٰهُ  
 بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ﴿٨٥﴾ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اَشْتَرُوا الْحَيٰوةَ  
 الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ  
 ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ اَتَيْنَا مُوسٰى الْكِتٰبَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ  
 بِالرُّسُلِ وَاٰتَيْنَا عِيسٰى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنٰتِ وَاٰتَيْنَاهُ بُرْجِ  
 الْقُدُسِ اَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رُسُلُنَا يَمْأَلَا تَهْتَوٰى اَنْفُسُكُمْ  
 اَسْتَكْبَرْتُمْ فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُوْنَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوْا  
 غُلِبْنَا بِالْغُلَبِ اَللّٰهُ يَكْفُرْهُمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُوْنَ ﴿٨٨﴾

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ قلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ تريقونها  
 بقتل بعضهم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يخرج بعضهم  
 بعضاً من داره ﴿ثُمَّ اَقْرَضْتُمْ﴾ قِيلْتُمْ ذَلِكَ الْمِثَاقُ ﴿وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على  
 اَنْفُسكم. [٨٥] ﴿ثُمَّ اَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ﴾ بقتل  
 بعضهم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ تَظَاهَرُونَ ﴿فَرِيقًا﴾<sup>(١)</sup> فيه  
 إدغام التاء في الأصل في الظاء، وفي قراءة بالتخفيف على حذفها<sup>(٢)</sup>؛  
 تتعاونون ﴿عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم ﴿وَلِئِنْ يَأْتُواكُمْ  
 اَسْرَى﴾ وفي قراءة<sup>(٣)</sup>: ﴿اَسْرَى﴾: ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، وفي قراءة:  
 ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾ تنفذوهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو مما عهد إليهم  
 ﴿وَهُمْ﴾ أي: الشأن<sup>(٥)</sup> ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ اِخْرَاجُهُمْ﴾ متصل بقوله:  
 ﴿وَتُخْرِجُونَ﴾، والجملة بينهما<sup>(٦)</sup> اعتراض؛ أي: كما حُرِّم ترك الفداء،  
 وكانت قُرَيْظَةُ خَالِفُوا الْأَوْسَ، والنضيرُ المخرج؛ فكان كل فريق يقاتل مع  
 حلفائه، ويخرب ديارهم، ويخرجهم، فإذا أُبْرِزُوا فلولهم، وكانوا إذا شِئِلُوا: لِمَ  
 تقاتلونهم وتنفذونهم؟! قالوا: أُبْرِزْنَا بالفداء. فَيُقَالُ: قَلِمَ تقاتلونهم؟! فيقولون:  
 حياءُ أَنْ يَشْتَدَلَ حلفاؤنا، قال - تعالى -: ﴿اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾  
 وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو ترك القتل، والإخراج، والمظاهرة  
 ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ اِلَّا خِزْيٌ﴾ هوان وذل ﴿فِي الْحَيٰوةِ  
 الدُّنْيَا﴾ وقد خزوا بقتل قريظة، ونفي النضير إلى الشام، وضرب الجزية  
 ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّوْنَ اِلَى اَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اَللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ﴾  
 بالتاء<sup>(٧)</sup>.

[٨٦] ﴿اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اَشْتَرُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ﴾ بأن اتزوها عليها  
 ﴿فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُنْتَفُونَ منه.  
 [٨٧] ﴿وَلَقَدْ اَتَيْنَا مُوسٰى الْكِتٰبَ﴾ التوراة ﴿وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ  
 بِالرُّسُلِ﴾ أي: اتبعناهم رسولاً في إثر رسول ﴿وَاٰتَيْنَا عِيسٰى ابْنَ مَرْيَمَ  
 الْبَيِّنٰتِ﴾ المعجزات؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَاٰتَيْنَاهُ  
 قُوَيْنَا﴾ يُرْوَجُ الْقُدُسُ من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أي: الروح المقدسة  
 «جبريل» لظهارته يسير معه حيث سار، فلم تستقيموا ﴿اَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رُسُلُنَا  
 يَمْأَلَا تَهْتَوٰى﴾ تحب ﴿اَنْفُسَكُمْ﴾ من الحق ﴿اَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن اتباعه،  
 جواب كلما، وهو محل الاستفهام، والمرد به التوبيخ ﴿فَقَرِيقًا﴾ منهم  
 ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُوْنَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛  
 أي: قتلتم؛ كزكريا ويحيى.  
 [٨٨] ﴿وَقَالُوْا﴾ للنبي استهزاء: ﴿غُلِبْنَا غُلْفٌ﴾ جمع أغلف؛ أي: مغشاة

بأغطية؛ فلا نعي ما تقول. قال - تعالى -: ﴿بَلْ اِلِضْطِرَابٌ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿لَعَلَّهُم اَللّٰهُ﴾  
 أبعدهم من رحمته وخذلهم عن القبول ﴿يَكْفُرْهُمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل  
 في قلوبهم<sup>(٩)</sup> ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ «ما» زائدة؛ لتأكيد القلة؛ أي: إيمانهم قليل  
 جداً.

- (١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.
- (٢) أي: بحذف التاء الثانية التي ليست للمضارع، وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي.
- (٣) لحزمة.
- (٤) حزمة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ نافع وعاصم والكسائي (فأذروهم)، والحاصل أن القراءات خمس: ﴿اَسْرَى﴾ بالإمالة مع ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾ فقط، و﴿اَسْرَى﴾ بالإمالة وعندها مع ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾ و﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾.
- (٥) ويقال: ضمير القصة يفسره ما بعده. قال ابن هشام: ويختص بخمسة أشياء: كونه مفردة. ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعاً، وتأخير مرجعه، وكونه حملة، ولا يعمل فيه إلا الابتداء والناسخ، ولا يتبع.
- (٦) الجملة هي قوله: ﴿وَلِئِنْ يَأْتُواكُمْ اَسْرَى تَفْذَرُوهُمْ﴾ وقوله: «بينهما»؛ أي: بين المطلق؛ وهو قوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الآية، وامطوف عليه؛ وهو جملة: ﴿تَظَاهَرُونَ﴾؛ لأنها حال.
- (٧) بالياء لنافع وابن كثير وشعبة. وقرأ الباقون (تعملون).
- (٨) أي: الإبطالي.
- (٩) أي: كما ادعوا من أنها مغطاة، فهذا هو الخلل.

حسدًا وخوفًا على الرياسة، وجواب «لَا» الأولى دَلَّ عليه جواب الثانية ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿يَسْمَا أَشْرَوْا﴾ باعوا ﴿بِهِمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي حظها من الثواب، و«ما» نكرة؛ بمعنى: شيئًا؛ تمييز لفاعل «بَسَّ». والخصوص بالذم «أَنْ يَكْفُرُوا» أي كفرهم ﴿يَسْمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن ﴿بَعِيًّا﴾ مفعول له ﴿يَكْفُرُوا﴾ أي: حسدًا على ﴿أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(١)</sup> ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادَةٍ فَبَاءُ﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل الله، والتذكير للتعظيم ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقوه من قبل بتضييع النوراة والكفر بعيسى ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي النوراة، قال - تعالى -: ﴿رَبِّكُمُورُ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَّاءُ﴾ سواء أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿قُلْ تَقْتُلُونَ﴾ أي قتلتم ﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ من قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿بِالنُّورَةِ﴾ وقد نُهِيتُمْ فيها عن قتلهم، والخطاب للموجودين من زمن نبينا بما فعل آبائهم لرضاهم به.

[٩٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات؛ كالعصا، واليد، وفلق البحر ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إِلَهَا مِنْ بَعْدِ ذَهَابِهِ إِلَى الْمَقَاتِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذها.

[٩٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على العمل بما في النوراة ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الْطُورَ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها؛ ليسقط عليكم، وقلنا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ﴾ أي خَالَطُوا حُبَّهُ قُلُوبُهُمْ؛ كما يخالط الشراب ﴿يَكْفُرُهُمْ﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿يَسْمَا﴾ شيئًا ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ﴾ بِإِسْنَتِكُمْ ﴿بِالنُّورَةِ﴾ عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بها كما زعمتم؛ المعنى: لستم بمؤمنين؛ لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل، والمراد: آبائهم؛ أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالنوراة وقد كذبتم محمدًا، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿يَسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُ وَبِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَّاءُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبَكُمْ لِمَا سَمِعْتُمْ وَأَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من النوراة؛ هو: القرآن ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون: اللهم انصربنا بالنبي المبعوث آخر الزمان، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق؛ وهو: بعثة النبي ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾

(١) بالتخفيف فراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالتشديد.

(٢) أي: بسبب كفرهم.



يعمل السحر؛ لأنه كفر ﴿وَلَكِنَّ﴾ بالشديد والتخفيف <sup>(٣)</sup> ﴿الْشَّيْطَانُ﴾ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُ الجملة حال من ضمير «كفروا» ﴿وَمَا﴾ يعلمونهم ﴿مَا أَنزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ أي: ألهماء من السحر <sup>(٤)</sup>، وفُرى بكسر اللام <sup>(٥)</sup>، الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين، قال ابن عباس: هما ساحران، كانا يعلمان السحر، وقيل: ملكان أنزلا؛ لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنَ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ له نصحا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ﴾ بليّة من الله إلى الناس؛ ليمتحنهم بتعليمه؛ فمن تعلّمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعليمه. فإن أتى إلا التعليم علماءه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرَّةِ وَالزَّيْتُونِ﴾ بآن ينفص كل إلى الآخر ﴿وَمَا هُمْ﴾ أي السحرة ﴿بِضَارِينَ بِهِ﴾ بالسحر ﴿وَمِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ ولا ينفعهم وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلَّمُوا﴾ أي اليهود ﴿لَمَن﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها ﴿وَمِنْ﴾ موصولة ﴿أَشْرَنَهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَيْسَ﴾ شيئا ﴿شَرًّا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: الشارين؛ أي: حظها من الآخرة إن تعلموه؛ حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب، ما تعلموه.

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُوا﴾ بالنبى والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ عقاب الله بترك معاصيه؛ كالسحر، وجواب «لو» محذوف؛ أي: لأثيبوا؛ دل عليه ﴿لَمَنُوبَةٌ﴾ ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسام ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ خبره، مما شروا به أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه. [١٠٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ للنبى: ﴿رُعَيْنَا﴾ أمر من المراجعة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سب من الرعون <sup>(٦)</sup>، فشرّوا بذلك، وخاطبوا بها النبي؛ فنهى المؤمنين عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها: ﴿انظُرْنَا﴾ أي: انظر إلينا ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تومرون به سماع قبول ﴿وَلْيَكُنْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ مؤلم هو النار.

[١٠٥] ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب، عطف على أهل الكتاب، و«من» للبيان ﴿أَن يُزِيلَ عَلَيْكُمْ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ وحى ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسدا لكم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ نبوته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَائِمٍ وَمَا كَفَرَ سَائِمٌ وَلَا كَنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُ وَمَا أَنزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرَّةِ وَالزَّيْتُونِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنَ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْهُ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَنُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعَيْتَ وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُزِيلَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكَ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ عطف على «بذ» <sup>(١)</sup> ﴿مَا تَتْلُوا﴾ أي: تلت الشَّيَاطِينُ عَلَى عهد ﴿مُلْكٍ سَائِمٍ﴾ من السحر، وكانت ذفنته تحت كرسية لما نزع منكبه، أو كانت تسترق السمع، وتضم إليه أكاذيب، وتلقيه إلى الكهنة؛ فيدونونه، وفشا ذلك، وشاع أن الجن تغلم الغيب؛ فجمع سليمان الكتب ودفعها، فلما مات دلت الشياطين عليها الناس؛ فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنما ملككم بهذا فتعلموه. فرفضوا كتب أنبيائهم <sup>(٢)</sup>. قال - تعالى - تبرئة لسليمان وردا على اليهود في قولهم: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء، وما كان إلا ساحرا -: ﴿وَمَا كَفَرَ سَائِمٌ﴾ أي: لم

(١) استشكل بأن المعطوف على الجواب جواب، وقوله: ﴿اتَّبَعُوا﴾ لا يصلح أن يكون جوابا؛ لعدم ترتبه على الشرط؛ لأنه سابق على بعة الرسول ﷺ، فالأحسن عطفه على جملة: ﴿وَلَكِنَّ جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ الآية، فهو بيان لسوء حالهم.

(٢) هذه لتفاصيل من قصته مع الجن والكتب وما وجبوه منها من سحر ونحوه طارها من الإسرائيليات، التي تخالف مناصب الأنبياء وعصمتهم وشأنهم ولا يمكن التصديق بصحتها.

(٣) بتخفيف نون ﴿لَكِنَّ﴾ ورفع ﴿الْشَّيْطَانُ﴾ قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٤) وقيل: نافية؛ أي: لم ينزل على الملكين. قال ابن الأثيري: وهذا الوجه ضعيف جداً؛ لأنه خلاف الظاهر والمعنى.

(٥) وهي قراءة شاذة.

(٦) أي: الحق، والجبل، وقلة العقل، وهي بهذا المعنى عربية، وقيل: هي عبرانية، أو سريانية. ومعناها: اسمع لا سمعت.

(٧) وفيها إثبات صفة الرحمة على الوجه اللاتى بجلاله - سبحانه -، ومن آثار رحمته الشرع الذي شرعه لنبيه ﷺ ولأمته. وأما تفسيره الرحمة بالنبوة بخلاف الظاهر.



ولما طعن الكفر في النسخ، وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر ويهني عنه غداً، نزل: [١٠٦] ﴿مَا﴾ شرطية ﴿تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾ أي: نزل حكمها؛ إما مع لفظها أو لا، وفي قراءة<sup>(١)</sup> بضم النون من أنسخ؛ أي: نأمر أو جبرين بنسخها ﴿أَوْ تَنْسَأَهَا﴾ تؤخرها؛ فلا تنزل حكمها، وترفع تلاوتها؛ أو تؤخرها في اللوح المحفوظ، وفي قراءة بلا همز<sup>(٢)</sup> من النسيان<sup>(٣)</sup>؛ أي: ننسئها؛ أي: نمحها من قلبك، وجواب الشرط ﴿تَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿أَوْ يَسْئَلُكُمْ فِي التَّكْلِيفِ وَالثَّوَابِ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتقرير.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفعل ما يشاء ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَلِيٌّ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا تَصِيرُ﴾ يمنع عنكم عذابه إن أناكم. ونزل لما سأل أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذبيحة<sup>(٤)</sup>: [١٠٨] ﴿أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلْتُمْ مُوسَى﴾ أي: سأله قومه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قولهم: ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ وغير ذلك؟ ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: يأخذه بدله بترك النظر في الآيات واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ الطريق الحق، والسواء في الأصل الوسط.

[١٠٩] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ مصدرية ﴿يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُنُفَارًا حَسَكًا﴾ مفعول له، كائناً ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: حملتهم عليهم أنفسهم الخبيثة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ﴾ في التوراة ﴿الْحَقَّ﴾ في شأن النبي ﴿وَأَعْفُوا﴾ عنهم؛ أي: اتركوهم ﴿وَأَصْفَحُوا﴾ أعرضوا، فلا تجازوهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ فيهم من القتال ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١١٠] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقِيمُوا لِلنَّفْسِ مِنَ خَيْرٍ﴾ طاعة؛ كصلة وصدقة ﴿وَتَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيكم به.

[١١١] ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ جمع هَازِبٍ ﴿أَوْ نَصْرِيًّا﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ؛ أي: قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود. وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى<sup>(٥)</sup>، ﴿وَلَكِنَّ الْقَوْلَ﴾ آمَانِيَّتُهُمْ ﴿شَهَوَاتِهِمُ الْبَاطِلَةَ﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[١١٢] ﴿وَبَلَّغْ﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: انقاد لأمره، وخصَّ الوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء؛ فغيره أُولَى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَلَهُ أَتْرُفٌ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: نواب عمله الجنة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

(١) لاين عامر.

(٢) أي: مع ضم النون ﴿نَسِيتُهَا﴾ لاناع وعاصم وحزمة والكسائي، والقراءة المفسرة (نَسَأَهَا) لاين كثير وأبي عمرو.

(٣) الأولي أن يقول: من الإنساء؛ لأنه مصدر الرباعي الذي الكلام فيه.

(٤) واستشكل ذلك بأن هذه السورة مدنية، والسؤال من أهل مكة كان قبل الهجرة، فالحق أن يقال: إن سبب نزولها سؤال يهود المدينة إزال كتاب من السماء؛ لأن لسياق في محاطبة اليهود، ويكون قوله: ﴿رَسُولَكُمْ﴾ أي: محمد ﷺ لأنه رسول الخلق أجمعين.

(٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٥٤٨/١)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (٣٩٤/١)، وفي إسناده محمد بن أحمد؛ مجهول.

﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾  
 ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
 ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾  
 ﴿أَلَمْ تَرِيدُوا أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلْتُمْ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾  
 ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُنُفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ فَاعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾  
 ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾  
 ﴿كُلٌّ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَاللَّهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَانِي عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَانِي  
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ  
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ  
مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا  
أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي  
الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ  
وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾  
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قُنُوتٌ ﴿١١٦﴾ يَدْبَعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَلِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ  
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ  
كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ  
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ  
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَانِي عَلَى شَيْءٍ﴾ مُعْتَدٍ بِهِ، وكفرت  
بعيسى ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَانِي لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ مُعْتَدٍ بِهِ، وكفرت بموسى  
﴿وَهُمْ﴾ أي الفريقان ﴿يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ﴾ المنزل عليهم، وفي كتاب اليهود  
تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى، والجملة حال  
﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المشركون من

العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بيان لمعنى ذلك؛ أي: قالوا لكل ذي دين:  
ليسوا على شيء ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾  
من أمر الدين؛ فيدخل الحق الجنة والمظلم النار: [١١٤] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي:  
لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بالصلاة والتسبيح  
﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ بالهدم أو التعطيل، نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا  
بيت المقدس، أو في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت  
﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر؛ أي:  
أخيفهم بالجهاد؛ فلا يدخلها أحد أمناً ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوان بالقتل  
والسبي والحرية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار. ونزل لما طعن اليهود  
في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت: [١١٥]  
﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ (١) أي: الأرض كلها؛ لأنهما تاجبتاهما ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا﴾  
وجوهكم في الصلاة بأمرة ﴿فَوَجْهٌ﴾ هناك ﴿وَجْهٌ لِلَّهِ﴾ (٢) قبلته التي رضيها (٣)  
﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه (٤).  
[١١٦] ﴿وَقَالُوا﴾ بواو وبدونها (٥)، اليهود والنصارى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ  
الْمَلَائِكَةَ بنات الله: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال: تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً  
له عنه ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً، والملكية تنافي  
الولادة، وعبر بـ«ما» تعليلاً لما لا يعقل ﴿كُلُّ لَّهُ قُنُوتٌ﴾ مطيعون، كل بما يُراد  
منه، وفي تغليب العاقل. [١١٧] ﴿يَدْبَعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ موجدهم لا  
على مثال سيقن ﴿وَلِذَا قُضِيَ أَمْرٌ﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أي: إيجاده ﴿فَأَيْنَمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة (٦) بالنصب (٧) جواباً للأمر.

[١١٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: كفار مكة (٨) للنبي ﷺ ﴿لَوْلَا﴾  
هنا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ بأنك رسول الله ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ ما اقترحهنا على  
صدقك ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفار الأمم  
الماضية أنبيائهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعت وتطلب الآيات ﴿تَشَابَهَتْ  
قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يُوقِنُونَ﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون، فاقترح آية معها تعنت. [١١٩]  
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ مَنْ أَحَابَ إِلَيْهِ  
بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَنْ لَمْ يَجِبْ إِلَيْهِ بالنار ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ النار؛  
أي: الكفار ما لهم لم يؤمنوا؟ إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزء «تسأل» نهياً (٩).

(٥) ما حاء في نزول الآية (١١٥): أخرج مسلم عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا قَبْلَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ وهذا قول مجاهد وجماعة الشافعي. قال ابن القيم: إنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعاً ولا عرفاً... بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه... وأيضاً فمن المعلوم أن قلة الله التي نصبتها لعباده هي قبة واحدة... فكيف يقال: أي وجهه وجهها واستقبلتها فهي قبة الله...! وحمل الآية على استقبال المسافرين في التنقل، وعلى الراحلة، وعلى حال الغيم ونحوه بعد جئاً عن ظاهر الآية وإطلاقتها وعمومها وما قصد بها... والآية لا تعرض فيها للقبلة ولا لحكم الاستقبال؛ بل سياقها لمعنى آخر؛ وهو: بيان عظمة الرب - تعالى - وسعته، وأنه أكبر من كل شيء وأعظم منه، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله: ﴿وَاللَّهُ الْكَشِيُّ وَالْغَرِيُّ﴾ (١)، فيها بذلك معنى ملكه لا يهيم، ثم ذكر عظمته - سبحانه - وأنه أكبر وأعظم من كل شيء؛ فأينما ولى المبد وجهه فسم وجه الله، ثم ختم بأسس دالين على السعة والإحاطة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٥)، وأيضاً هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب، والرد على من جعل له ولداً، فقال - تعالى - بعدها: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (البقرة: ١١٦)، فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة، ولا سبق الكلام لأجلها... فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والإيمان والرد على المشركين لا بيان فرع معين جزئي. نقل عن: [المفسرون بين الإثبات والتأويل (١/ ٣٦٤ - ٣٦٧)] تصرف. ففسير الوجه بالقبلة فيه تعطيل لصفة الوجه. (٥) بدون الواو لابن عامر. (٦) لابن عامر. (٧) بـ«أن» مضمرة بعد فاء السبيعية.

(١) اختار القرطبي أنها عامة في كل مسجد إلى يوم القيامة؛ لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ضعيف. (٢) انظر الحديث وتخرجه في أسباب النزول. (٣) وفيه إثبات لوجه الله - تعالى - على الوجه اللائق به. - تعالى -، وإن لله وجهاً لا تشبهه الوجوه. (٤) وهذا قول مجاهد وجماعة الشافعي. قال ابن القيم: إنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعاً ولا عرفاً... بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه... وأيضاً فمن المعلوم أن قلة الله التي نصبتها لعباده هي قبة واحدة... فكيف يقال: أي وجهه وجهها واستقبلتها فهي قبة الله...! وحمل الآية على استقبال المسافرين في التنقل، وعلى الراحلة، وعلى حال الغيم ونحوه بعد جئاً عن ظاهر الآية وإطلاقتها وعمومها وما قصد بها... والآية لا تعرض فيها للقبلة ولا لحكم الاستقبال؛ بل سياقها لمعنى آخر؛ وهو: بيان عظمة الرب - تعالى - وسعته، وأنه أكبر من كل شيء وأعظم منه، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله: ﴿وَاللَّهُ الْكَشِيُّ وَالْغَرِيُّ﴾ (١)، فيها بذلك معنى ملكه لا يهيم، ثم ذكر عظمته - سبحانه - وأنه أكبر وأعظم من كل شيء؛ فأينما ولى المبد وجهه فسم وجه الله، ثم ختم بأسس دالين على السعة والإحاطة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٥)، وأيضاً هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب، والرد على من جعل له ولداً، فقال - تعالى - بعدها: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (البقرة: ١١٦)، فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة، ولا سبق الكلام لأجلها... فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والإيمان والرد على المشركين لا بيان فرع معين جزئي. نقل عن: [المفسرون بين الإثبات والتأويل (١/ ٣٦٤ - ٣٦٧)] تصرف. ففسير الوجه بالقبلة فيه تعطيل لصفة الوجه. (٥) بدون الواو لابن عامر. (٦) لابن عامر. (٧) بـ«أن» مضمرة بعد فاء السبيعية. (٨) تقدم الإشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة، وهبل: ويمكن أن يكون كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة. (٩) مع فتح التاء النافع.

[١٢٠] ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ بِلْتَمَّهِمْ﴾ دِينهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هِيَ الْإِسْلَامُ﴾ هُوَ الْهُدَى ﴿وَمَا عَادَهِ ضَلَالٌ﴾ وَلَيْنَ ﴿لَمْ قَسَمَ﴾ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴿الَّتِي يَدْعُونَكَ إِلَيْهَا فَوْضًا﴾ <sup>(١)</sup> ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ﴾ مِمَّا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَحْيٍ ﴿يَحْفَظُكَ﴾ وَلَا يُصَيِّرُ ﴿يَمْنَعُكَ مِنْهُ﴾.

[١٢١] ﴿الَّذِينَ آمَنَّا بِهِمْ﴾ الْكِتَابَ ﴿مَبْتَدَأٌ﴾ بِتَلْوَنِهِ حَتَّى تَلَاوَنَهُ ﴿أَيُّ يَقْرَءُونَهُ﴾ كَمَا أَنْزَلَ، وَالْجَمْلَةُ حَالٌ، وَ«حَقٌّ» نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَالْخَبَرُ: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ قَدِمُوا مِنَ الْحَبْشَةِ وَأَسْلَمُوا ﴿وَمِنْ يَتَّبِعُ بِهِ﴾ أَيُّ بِالْكِتَابِ الْمُؤْتَى بِأَن يَحْرِفَهُ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَائِرُونَ﴾ لِمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ الْمُؤَيَّدَةِ عَلَيْهِمْ.

[١٢٢] ﴿يَبْتَغِي إِسْرَاءَ بِلْ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي تُفْضِلُكُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ تَقْدِمُ مِثْلَهُ.

[١٢٣] ﴿وَأَتَّقُوا﴾ خَافُوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ تَغْنِي ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ فِيهِ ﴿شَيْئًا﴾ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ فِدَاءٌ ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ﴾ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿يُتَّقُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾.

[١٢٤] ﴿وَإِذْ أَبْتَلَى﴾ اخْتَبَرَ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ فِي قِرَاءَةِ: ﴿[إِبْرَاهِيمَ]﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿رَبُّهُ يَكْتُمُ﴾ بِأَوَامِرٍ وَتَوَاوَى كَلْفَهُ بِهَا؛ قِيلَ: هِيَ مَنَاسِكَ الْحَجِّ. وَقِيلَ: الْمَضْمُضَةُ، وَالِاسْتِنْشَاقُ، وَالسَّوَالُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَفَرْقُ الشَّعْرِ، وَقَلَمُ الْإِظْفَارِ، وَتَنْفِ الْإِطْبَاقِ، وَحُلُقُ الْعَانَةِ، وَالْخَتَانُ، وَالِاسْتِنْجَاءُ ﴿فَأَتَيْنَاهُ﴾ أَذَاهُ تَامَتْ ﴿قَالَ﴾ - تَعَالَى - لَهُ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قُدُوةً فِي الدِّينِ ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أَوْلَادِي: اجْعَلْ أَثْمَةً ﴿قَالَ لَا يَبْتَالُ عَهْدِي﴾ بِالْإِمَامَةِ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ؛ ذَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَبَالُ غَيْرُ الظَّالِمِ [١٢٥] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيَّكَ﴾ الْكَعْبَةَ ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مَرَجَعًا يَتَوَبُّونَ إِلَيْهِ

مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ مَأْمَنًا لَهُمْ مِنَ الظُّلُمِ وَالْإِغَارَاتِ الْوَاقِعَةِ فِي غَيْرِهِ؛ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى قَاتِلَ أَبِيهِ فِيهِ فَلَا يَهْجُوهُ ﴿وَأَعْيَدُوا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿مِنْ مَقَابِرِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هُوَ الْحَجَرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ عِنْدَ بِنَاءِ الْبَيْتِ ﴿مُصَلًى﴾ مَكَانُ صَلَاةٍ بَأَن تَصَلُّوا خَلْفَهُ رُكْعَتِي الطُّوَافِ، وَفِي قِرَاءَةِ يَفْتَحُ الْحَاءُ خَبَرٌ <sup>(٣)</sup> ﴿وَعَهْدُنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أَمْرَانِهِمَا ﴿أَن﴾ أَيُّ بَأَن ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ وَالْمُكِبِّينَ الْمُقِيمِينَ فِيهِ ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ جَمْعُ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ، الْمُصَلِّينَ.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَيْتَ﴾ الْمَكَانَ ﴿بَيْدًا﴾ عَائِلًا، ذَا أَمْنٍ، وَقَدْ أَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ؛ فَجَعَلَهُ حَرَمًا، لَا يُسْفَكَ فِيهِ دَمُ إِنْسَانٍ، وَلَا يُظْلَمُ فِيهِ

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ بِلْتَمَّهِمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَيْنَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ يَبْتَغِي إِسْرَاءَ بِلْ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ \* وَإِذْ أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَبْتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى وَعَهْدُنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَتُّهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

أَحَدٍ، وَلَا يُضَادُّ صِيْدَهُ، وَلَا يُخْتَلَى خِلَاهُ <sup>(٤)</sup> ﴿وَأَرْزَقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وَقَدْ فَعَلَ بِنَقْلِ الطَّائِفِ مِنَ الشَّامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَقْفَرُ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا مَاءَ ﴿وَمَنْ آمَنَ بِهِمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بَدَلَ مِنْ أَهْلِهِ، وَخَصَّصَهُم بِالْإِعْدَاءِ لَهُمْ مُوَافَقَةً لِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَبْتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. ﴿قَالَ﴾ - تَعَالَى -: ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قَامَتُهُمْ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ <sup>(٥)</sup> فِي الدُّنْيَا بِالرِّزْقِ ﴿قَلِيلًا﴾ مِدَّةَ حَيَاتِهِ ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ أَلْجَمَهُ فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ فَلَا يَجِدُ عَنْهَا مَحِيضًا ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الْمَرْجِعُ هِيَ.

(١) أي: على فرض وقوعه.

(٢) لابن عامر، سوى النقاش عن الأحفش. وذلك في ثلاثة وثلاثين موضعًا منها خمسة عشر في هذه السورة.

(٣) أي: اتخذوا، لنافع وابن عامر.

(٤) أي: حشيشه.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن عامر.

لتقدم قوله: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْغُلَّامِينَ﴾ ﴿وَأَرْأَى﴾ علمنا ﴿مَنَاسِكَ﴾ شرائع عبادتنا أو حجتنا ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سألناه التوبة مع عصمتها تواضعاً وتعليلًا لذريتهما.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ﴾ أي: أهل البيت ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكَ آيَاتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْقَرِيرُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه<sup>(١)</sup>.

[١٣٠] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿يَرْغَبْ عَنْ اللَّهِ﴾ فتركها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ جهل أنها مخلوقة لله، يجب عليها عبادته، أو استخف بها وامتنعها ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالسَّالَةِ وَالْخَلَّةِ ﴿وَأَيُّهُ﴾ في الآخِرَةِ ﴿لِمَنْ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[١٣١] ﴿وَإِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ انقاد لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّى﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿أَوْصَى﴾ ﴿بِهَآءُ﴾ بالملءة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ نبيه ويعقوب، نبيه قال: ﴿يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْأَلَكَ لَكُمْ الدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهي عن ترك الإسلام، وأمر بالثبات عليه إلى مصافدة الموت.

ولما قال اليهود للنبي: أأنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى نبيه باليهودية؛ نزل: [١٣٣] ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قيله<sup>(٣)</sup> ﴿قَالَ لِسَيِّدِي مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ بعد موتي ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عبد إسماعيل من الآباء تغليباً، ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَهًا وَحِيدًا﴾ بدل من إلهك ﴿وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ﴾، و﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار<sup>(٤)</sup>؛ أي: لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به؟.

[١٣٤] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب ونبيهما، وأنت؛ لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل؛ أي: جراؤه، استئناف ﴿وَلَكُمْ﴾ الخطاب لليهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يسألون عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْأَى مَنَاسِكَ وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى أَنْ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِسَيِّدِي مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَحِيدًا وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

[١٢٧] ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ﴾ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ ﴿الأسس أو الجدران﴾ مِنَ الْبَيْتِ بِنِيهِ، متعلق بـ"يرفع" ﴿وَيُسْمِعِيلُ﴾ عطف على إبراهيم، يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بناءً ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ منقادين ﴿وَلَكَ﴾ و﴿اجعل﴾ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ و﴿من﴾ للتبعيض، وأنى به؛

(١) الأولى: التعميم في تَقَبَّلْ احكاماً؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شؤنه؟ من صنعه، وقدره، وتشريعه، وجرائه، وإرساله رسله، وإنزاله كيبه، ... إلخ. وكذا يقال في كل موضع قصراً فيه الصنفان احكاماً على صنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٢) ثنايف وابن عامر.

(٣) أي: بدل اشتمال.

(٤) أي: فتارة تفسر بها وحدها، وتارة تفسر بها وبإبيل، وتارة تفسر بهبل وحدها.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ الْبُرْهَانِ  
خَافُوا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُلُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا  
أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ  
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ  
رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾  
فَإِنَّمَا يُعِطِلُ مَا تَأْمَنُّونَ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن تَقُولُوا  
فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ  
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ  
عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنِي فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ  
وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾  
أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُهُمْ  
اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ  
بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ  
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ «أو» للتفصيل، وقالوا الأول يهود المدينة، والثاني نصارى نجران ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلْ نَبْعَ إِيمَانَةٍ خَافُوا﴾ حال من إبراهيم، مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٣٦] ﴿قُلُوا﴾ خطاب للمؤمنين: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ من الصحف العشر ﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من التوراة ﴿وَعِيسَى﴾ من الإنجيل ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

[١٣٧] ﴿فَإِنَّمَا يُعِطِلُ مَا تَأْمَنُّونَ بِهِ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿يُعِطِلُ﴾ «مثل» زائدة ﴿مَّا تَأْمَنُّونَ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن تَقُولُوا﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف معكم ﴿نَسْتَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ يا محمد شِقَاقُهُمْ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة، ونفي الظير وضرب الجزية عليهم.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لـ ﴿آمَنَّا﴾ ونصبه بفعل مقدر؛ أي: صبغتنا الله؛ والمراد بها: دينه الذي فطر الناس عليه؛ لظهور أثره على صاحبه؛ كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ تمييز ﴿وَنَحْنُ لَهُ عِبِيدُونَ﴾. قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبيا، لكان منا. فنزل: [١٣٩] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتُحَاجُّونَنِي﴾ تخاصموننا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أن اصطفى نبيا من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فله أن يصطفى من يشاء ﴿وَلَكَّا أَعْمَلُنَا﴾ نجازى بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ نجازون بها؛ فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ الدين والعمل دونكم؛ فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

[١٤٠] ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿تَقُولُونَ﴾ بالباء والياء<sup>(١)</sup>: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ لهم: ﴿مَّا تَأْمَنُّونَ بِهِمْ﴾ أي: الله أعلم، وقد بُرِّئنا منهما إبراهيم بقوله: ﴿مَّا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> والمذكورون معه تنبَّه له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ أخفى على الناس ﴿شَهَادَةً عِنْدَهُ﴾ كائنة ﴿بِرَبِّهِ﴾ أي: لا أحد أظلم منه؛ وهم: اليهود؛ كَتَمُوا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالخفية<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[١٤١] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تقدم مثله.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ التي في البقرة، وفي الآخرة منهما: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَآلِهَتِهِ يَأْتَا مُسْلِمُونَ﴾. مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٣٨) القراءة في ركعتي الفجر.

(١) بالياء نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٢) آل عمران: ٦٧.

(٣) أي: ولحمد ﷺ بالرسالة؛ حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه في كتبهم فغيروها وبدلوها.

يا أمة محمد ﴿أَمَّا وَسَطًا﴾ خيارًا عدولاً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة: أن رسلم بلغنهم ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا صِغِيرًا لَكَ الْآنَ﴾ ﴿الْقِبْلَةَ﴾ الجهة ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أولاً؛ وهي: الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها، فلما هاجر، أمر باستقبال بيت المقدس؛ تألفاً لليهود؛ فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً، ثم تحول ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فيصده ﴿مِمَّنْ يَتَقَلَّبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرجع إلى الكفر؛ شكاً في الدين، وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وإنما كانت أي: التولية إليها لكثرة شاقة عبى الناس ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس<sup>(١)</sup>؛ بل يبيحكم عليه؛ لأن سبب نزولها السؤال عن مات قبل التحويل<sup>(٢)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ يَالْكَائِنِينَ﴾ المؤمنين ﴿لَزَوْهُ﴾ رَجِعُوا في عدم إضاعة أعمالهم، والرافة شدة الرحمة، وقَدَّمَ الأبلغ للفاصلة<sup>(٣)</sup>.

[١٤٤] ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبُكَ﴾ تصرف ﴿وَجْهَكَ فِي﴾ جهة ﴿السَّمَاءِ﴾ متطعلاً إلى الوحي ومتشوقاً للأمر باستقبال الكعبة، وكان يود ذلك؛ لأنها قبله إبراهيم، ولأنه ادَّعى إلى إسلام العرب ﴿فَلَوْ لَيْسَتْكَ﴾ تحولك ﴿قِبْلَةً رَضْنَاهَا﴾ تحبها ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ﴾ استقبال في الصلاة ﴿شَطْرَ﴾ نحو ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: الكعبة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ خطاب للأمة ﴿قُولُوا وَبُحْبُوحَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَهُ﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ التولي إلى الكعبة ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَمِنْ رَبِّهِمْ﴾ لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ بَعْدَ رِعَابِ﴾ بالناء<sup>(٤)</sup>، أيها المؤمنون من امتثال أمره، وبالباء؛ أي: اليهود من إنكار أمر القبلة.

[١٤٥] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام القسم ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ عَائِيَةٍ﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿مَا تَتَّبِعُونَ﴾ أي: [لا] يتبعون ﴿فَلَيْسَتْكَ﴾ عناداً ﴿وَمَا أَنتَ بِتَالِيٍّ فِلَهُمْ﴾ قَطَعَ لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَالِيٍّ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي: اليهود قبله النصارى، وبالعكس ﴿وَلَيْنَ أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْأَسْلَافِ﴾ الوحي ﴿إِذَا﴾ إن اتبعتم فوضاً ﴿لَيُنَالِ الْفَالِغِينَ﴾

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٤﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَتَقَلَّبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَقُلْ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٦﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَالِيٍّ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَالِيٍّ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٧﴾

[١٤٢] ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ الجهال ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ اليهود والمشركين: ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي شئ صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ على استقبالها في الصلاة؛ وهي: بيت المقدس؛ والإتيان بالسبب الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الجهات كلها؛ فَيُأْمَرُ بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام أي: ومنهم أنتم<sup>(١)</sup>؛ ذَلْ عَلَى هَذَا: [١٤٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (١٤٤): أخرج البخاري عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ - أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ - شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنزَلَ اللَّهُ: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ فتوجه نحو الكعبة... البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - (٢) سورة البقرة باب (٢).

(١) أي: من المهتدين أمة محمد ﷺ.

(٢) عبر بالإيمان عن الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

(٣) هو عند البخاري وغيره؛ وأخرجه البخاري في تفسير من حديث البراء (٤٨٦).

(٤) أي: مع أن العادة العكس؛ ليكون للأبلغ بعد غيره فائدة؛ فيقال: عالم تحرير، ولا يقال: تحرير عالم. والفاصلة هي الكلمة آخر الآية، كخافية الشعر وقرينة السجع.

(٥) وقيل: للتكثير. وهي بالنظر لفعل النبي ﷺ لا رؤية الله، وهو خطاب تودد.

(٦) لابن عامر، وحزمه، والكسائي، وقرأ الباقون بالياء.

الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ  
وَأَنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ  
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ  
هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ  
جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ  
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَلَهُ وَالْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ  
وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ  
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا  
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ  
ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ  
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو  
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُوا لِي آذِكْرُكُمْ  
وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿١٤٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ أَي: محمداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ  
أَبْنَاءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم؛ قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأيته؛ كما أعرف  
ابني، ومعرفتي لحمد أشد ﴿وَأَنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه ﴿١٤٧﴾ الْحَقُّ كائناتاً ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ فلا  
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ الشاكين فيه؛ أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: لا تمتز. ﴿١٤٨﴾  
﴿لِكُلِّ وَجْهٍ﴾ من الأمم ﴿وَجْهَةٌ﴾ قبله ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه في  
صلاته، وفي فراءة<sup>(١)</sup>: ﴿مُؤَلَّاهَا﴾ ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ بادروا إلى الطاعات  
وقبولها ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة؛  
فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١٤٩﴾ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر<sup>(٢)</sup> ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ وَإِلَيْهِ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء<sup>(٣)</sup>،  
تقدم مثله، وكرره؛ لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

﴿١٥٠﴾ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا  
كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ كره؛ للتأكيد<sup>(٤)</sup> ﴿لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾  
اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مجادلة في التولي إلى غيره؛ لستتفي  
مجادلتهم لكم من قول اليهود: يبعد ديننا ويتبع قبلتنا. وقول المشركين:  
يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالنعاد؛ فإنهم  
يقولون: ما تحول إليه إلا ميلاً إلى دين آبائهم. والاستثناء متصل؛ والمعنى: لا  
يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في  
التولي إليها ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ بامثال أمري ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي﴾ عطف على ﴿لِّئَلَّا  
يَكُونَ﴾ يَمْنَعِي عَلَيْكُمْ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾  
إلى الحق.

﴿١٥١﴾ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بـ﴿أَنْتُمْ﴾؛ أي: إتمام كياتمها بإرسالها  
﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ محمداً ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن  
﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن  
﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿١٥٢﴾ ﴿فَأَذْكُرُوا لِي﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قيل: مغفلة  
أجازكم. وفي الحديث عن الله: ﴿مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ  
ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالِي خَيْرٌ مِنْ مَلِيهِ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي  
بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالعصية.

﴿١٥٣﴾ ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على الآخرة ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على  
الطاعة والبلاء ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ خضتها بالذكور؛ لتكررها وعظمتها ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ  
الصَّابِرِينَ﴾ بالعون.

(١) لابن عامر.

(٢) ظاهره فرضاً ونقلاً؛ ولكن السنة حصصت ذلك بالفريضة، وأما النافلة فتجوز في السفر لغير القبلة بشروط.

(٣) بالياء لأبي عمرو.

(٤) لغزاة الحكم حينئذ؛ لأنه أول ما ورد من النسخ.

(٥) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

يَقُولُ ﴿يَلِكًا وَعَيْبًا﴾، يفعل بنا ما يشاء ﴿وَأَنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازينا، وفي الحديث: «من اشتَرَجَّ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ أَجْرَهُ اللَّهُ فِيهَا وَأَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرًا»<sup>(١)</sup>، وفيه أن مصباح النبي ﷺ طُفِقَ؛ فاسترجع؛ فقالت عائشة: إنما هذا مصباح!! فقال: «كُلُّ مَا أَسَاءَ الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مُصِيبَةٌ»<sup>(٢)</sup> [رواه أبو داود في مراسله].  
[١٥٧] ﴿أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نعمه<sup>(٣)</sup> ﴿وَأَوَلَيْكَ هُمُ الْمُتَهْتَكُونَ﴾ إلى الصواب.

[١٥٨] ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ جَبَلَانِ بِمَكَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أعلام دينه، جمع شعيرة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أي: تَلَبَّسَ بالحج أو العمرة، وأصلهما القصد والزياره ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إثم عليه ﴿أَن يَطَّوَّفَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَا﴾ بأن يسعى بينهما سبعًا، نزلت لما كره المسلمون ذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما، وعليهما صमान مسحونهما، وعن ابن عباس: أن السعي غير فرض؛ لما أفاده رفع الإثم من التخيير. وقال الشافعي وغيره: ركن، وتبين ﷺ فريضته بقوله: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الشَّعْيَ»<sup>(٤)</sup> [رواه البيهقي وغيره]، وقال: «إِذَا عَادَ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ»<sup>(٥)</sup> يَغْيِي الصَّفَا [رواه مسلم] ﴿وَمَنْ طَفَّعَ﴾ وفي قراءة<sup>(٦)</sup>: بالتحنية وتشديد الطاء مجزومًا، وفيه إدغام التاء فيها ﴿حَجًّا﴾ أي: بخير؛ أي: عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿وَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله بالإثابة عليه ﴿عَلَيْهِ﴾ به<sup>(٧)</sup>.

ونزل في اليهود: [١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الناس ﴿مَّا أَتَوْا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْفُتُوحِ﴾ كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ﴿وَمِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿أَوَلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يبعدهم من رحمته ﴿وَيُلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة.

[١٦٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وَأَسْلَمُوا﴾ عَمَلُهُمْ ﴿وَبَيَّنَّا﴾ ما كُتِبُوا ﴿فَأَوَلَيْكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبهم ﴿وَأَنَّا التَّوَّابُونَ﴾ بالموافاة. [١٦١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ حال ﴿أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة، ﴿وَالنَّاسِ﴾ قيل: غائم. وقيل: المؤمنون. [١٦٢] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة والنار المدلول بها عليها ﴿لَا يَصْفَقُهُمْ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ﴾ طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُفْهَلُونَ نوبة أو لعذرة. ونَزَلَ. لَمَّا قَالُوا: صِفْ لَنَا رُؤْكَ<sup>(٨)</sup>. [١٦٣] ﴿وَاللَّهُكَ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لا نظير له؛ لا في ذاته ولا في صفاته ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿أَرَأَيْتُمْ أَزْجَحْنَ الرَّحْمَ﴾ وطلبوا آية على ذلك؛ فنَزَلَ:

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٥﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بَشِيرٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَّتِ وَيَشِيرُ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٥﴾ أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوَلَيْكَ هُمُ الْمُتَهْتَكُونَ ﴿١٥٥﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَتَوْا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَوَلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوَلَيْكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أَوَلَيْكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٥٥﴾ وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٥﴾

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هم ﴿أَمُوتَ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ أرواحهم في خواصل طيور خُضِرَ تُشْرِخُ في الحِجَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ؛ لحديث بذلك<sup>(١)</sup> ﴿وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ تعلمون ما هم فيه. [١٥٥] ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بَشِيرٌ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ للعدو ﴿وَالْجُوعِ﴾ القحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالهلاك ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿وَالْتَمَرَّتِ﴾ بالجوائح؛ أي: لنختبركم؛ فننظر أن تصبرون أم لا؟ ﴿وَيَشِيرُ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء بالحنة. هم [١٥٦] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ بلاء ﴿قَالُوا إِنَّا﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٥٨): أخرجه البخاري عن زهري قال عروة: سألت عائشة رضي الله عنها فقالت لها: رأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفاء والمروة؛ قالت: بس ما قلت يا ابن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأصفار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند الشلل، فكان من أهل يثرب أن يطوف بالصفاء والمروة، فلما أسلموا سألو رسول الله ﷺ عن ذلك؛ قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة. فأقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية، قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما. ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعته. ولقد سمعت رجلاً من أهل العلم يذكرون أن الناس - إلا من ذكرت عائشة من كان يهل بمناة - كانوا يطوفون كلهم بالصفاء والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله، كما نطوف بالصفاء والمروة، وإن الله أنزل الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفاء والمروة؟ فأقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية. قال أبو بكر: فأنسخ هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما. البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٧٩) وجوب الصفا والمروة.

(١) وهو قوله ﷺ: «أَرَوَاهُ الشَّهَدَاءُ فِي أَخْوَابِ طُيُورٍ خُضِرَ تَرُدُّ أَهْوَاءَ الْحَقِّ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِيَابِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مُّعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْقُرْشِ». مسلم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود.  
(٢) مسلم (٩١٨) بوجه من حديث أم سلمة. (٣) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٣٣). (٤) وهذا تأويل كما هو مذهبه في الصفات، والصواب إثبات هذه الصفة وغيرها. الثابت بالكتاب والسنة. لله على الوجه اللائق به شُبْحَانَهُ، ومن لازمه إتمامه على من يرحم. (٥) ورواه أحمد في المسند (٢٧٤٧٤) من حديث حبيبة بنت أبي جراح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٦٨). (٦) ضعف بهذا اللفظ بصيغة الأمر، وصح بلفظ «تبدأ بما بدأ الله به» وبلغف «أبدأ بما بدأ الله به» عند مسلم وغيره (مسلم ١٢١٨).  
(٧) حمزة والكسائي. (٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٢٤٥/١) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهو موضوع كما ذكر صاحب الاستيعاب في بيان الأسباب (٩٠/١).



[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب ﴿وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والحيء، والزيادة والنقصان ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿يَبَا يَنْعُ﴾ النَّاسُ من التجارات والحمل ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ مطر ﴿فَأَخْسَا بِهِ الْأَرْضُ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يَبْسُهَا ﴿وَبَرَءَ﴾ فُوقَ وَنَشَرَ بِهِ ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاكِبٍ﴾ لأنهم يسمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَصَرَفَ﴾ أَلْتَبَعَ تَقْلِبُهَا جَنُوبًا وَشِمَالًا، حَارَةً وَبَارِدَةً ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿الْمُسْحَرِ﴾ المذلل بأمر الله - تعالى - يسير إلى حيث شَاءَ اللَّهُ ﴿يَبْنَ﴾ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴿بِلا عِلَاقَةٍ﴾ لَا يَكُنَّ دَالَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ - تعالى - ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[١٦٥] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أندادًا﴾ أصنامًا ﴿يُخَوِّدُهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كُفَّيَ اللَّهُ﴾ أي: كبحهم له ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من حُبهم للأنداد؛ لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ﴾ (١) تبصر يا محمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرُونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (٢)؛ يَصْرُونَ (٣) ﴿الْعَذَابِ﴾ لرأيت أمرًا عظيمًا، ﴿وَإِذْ﴾ بمعنى إذا ﴿أَنَّ﴾ أي: لأن ﴿الْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿بِلَهُمْ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وفي قراءة: ﴿يَرَى﴾ بالتحانية، والفاعل ضمير السامع (٤)، وقيل: «الذين ظلموا»؛ فهي بمعنى يعلم، وأن (٥) وما بعدها (٦) سدت مسد المفعولين (٧)، وجواب «لو» محذوف، والمعنى: لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معابنتهم له وهو يوم القيامة، لما اتخذوا من دونه أندادًا.

[١٦٦] ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿نَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: أنكروا إضلالهم ﴿وَوَقَدْ﴾ قد ﴿رَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على ﴿نَبَرَأَ﴾ ﴿يَهُمْ﴾ عنهم ﴿الْأَسْبَابُ﴾ الوُضُل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كُنَّا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَبَرَأَ مِنْهُمْ﴾ أي: المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ اليوم، «لو» للتمني، «ونبَرَأَ» جوابه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما أراهم شدة عذابه، وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيفة ﴿حَسَرَتِ﴾ حال، ﴿نَدَامَاتٍ﴾ (٨) ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ بعد دخولها.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَرَأَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَابَةٍ وَنَضْرَفَ الرِّيحَ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضَ لَا يَكُنَّ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٥) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا وَإِنَّمَا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) يَأْتِيهَا النَّاسُ كُفُلًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا لِّطَيِّبَاتِهَا وَلَا يَسْبِقُهَا حُطُوتُ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)

ونزل فيمن حَزَمَ السَّوَابِ ونحوها: [١٦٨] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُفُلًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا﴾ حال ﴿طَيِّبَاتٍ﴾ صفة مؤكدة؛ أي: مُشْتَبِلًا ﴿وَلَا تَسْبِقُهَا حُطُوتُ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه ﴿إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة.

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِالسُّوءِ﴾ الإثم ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ القبيح شرعًا ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر. وقرأ الباقون: (يرى).

(٢) أي: بضم الياء، لابن عامر. وقرأ الباقون: (يَرُونَ) بالبناء للفاعل.

(٣) على القراءة الأولى: يَصْرُونَ، وعلى الثانية: يَصْرُونَ.

(٤) لو قال: ضمير الرائي؛ لكان أظهر.

(٥) أي: الأولى مع معموليها.

(٦) وهو «أن» الثانية مع معموليها.

(٧) أي: فلذلك وجب فتحها، وإن لم يصح تأويلها بالمفرد؛ لأن وجوب الفتح مداره على أحد أمرين: إما تأويلها بالمصدر، وإما وقوعها موقع المفعولين لعلهم - كما هنا - مع عدم التعليق باللام.

(٨) جمع ندامة.

وَذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَشْبِعُ مَا الْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ عَمِيَ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ أَتَى اللَّهَ عَفْوَرٌ رَجِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْتَرُوا الضَّلِيلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: الكفار: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾: لا ﴿بَلْ نَشْبِعُ مَا الْقَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوابج والبهائم.

قال - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَتَّبِعُونَ﴾ ﴿وَلَوْ كَانَتْ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق ١٩ والهمزة للإنكار.

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ﴾ بصوت ﴿يَا﴾ (١) لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ ﴿أَي: صَوْتًا﴾

وَلَا يَفْهَمُ معناه: أي: في سماع الموعظة وعدم تدبرها؛ كالبهائم؛ تسمع صوت راعيها ولا تفهمه (٢)، هم ﴿صُمُّ بِكُمْ عَمِيَ﴾ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿الموعظة﴾.

[١٧٢] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ﴿مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴿عَلَى مَا أُحِلَّ لَكُمْ﴾ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿.

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أي: أكلها؛ إذ الكلام فيه، وكذا

ما بعدها؛ وهي: مَا لَمْ يَذْكُرْ شَرْعًا، وألحق بها بالسنة ما أُيِّنَ من حيٍّ؛ وخص منها السمك والجراد ﴿وَالْدَّمَ﴾ أي: المسفوح؛ كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ شُصَّ اللحم؛ لأنه معظم المقصود، وغيره يُنْبَغُ لَهُ ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ﴾

يُغَيَّرُ اللَّهُ ﴿أَي: ذُبِحَ عَلَى اسْمِ غَيْرِهِ، وَالْإِهْلَالُ رَفْعُ الصَوْتِ، وَكَانُوا يَرْفَعُونَهُ عِنْدَ الذَّبْحِ لِأَنَّهُمْ﴾ ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ أي: أَلْجَأَهُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِمَّا

ذُكِرَ، فَأَكَلَهُ ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ مُتَعَدٍّ عَلَيْهِمْ بَقِطِ الطَّرِيقِ (٣) ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فِي أَكْلِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لِأَوْلِيَائِهِ ﴿رَجِيمٌ﴾ بِأَهْلِ طَاعَتِهِ؛ حَيْثُ وَسِعَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَخَرَجَ الْبَاغِي وَالْعَادِي،

وَيُلْحِقُ بِهِمَا كُلَّ عَاصٍ بِسُفْرِهِ؛ كَالْأَبِيِّ وَالْكَاسِ (٤)؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُمْ أَكْلُ شَيْءٍ

مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَتَوَبَّ، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ.

[١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾ الْمُشْتَمَلِ

عَلَى نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ وَهُمْ: الْيَهُودُ ﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ﴾ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿مِنْ الدُّنْيَا،

يَأْخُذُونَهُ بِدَلَّةٍ مِنْ سَفَلَتِهِمْ، فَلَا يَظْهَرُونَهُ؛ خَوْفُ فَوْتِهِ عَلَيْهِمْ ﴿أُولَئِكَ مَا

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لِأَنَّهُمْ مَالَهُمْ ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ

الْقِيَمَةِ﴾ غَضَبًا عَلَيْهِمْ ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يَظْهَرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤَلَّمٌ مِنَ النَّارِ.

[١٧٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْتَرُوا الضَّلِيلَةَ بِالْهُدَى﴾ أَخَذُوهَا بِدَلَّةٍ فِي الدُّنْيَا

﴿وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ الْمَعْدَةُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَوْ لَمْ يَكْتُمُوا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ

عَلَى النَّارِ﴾ أَي: مَا أَشَدَّ صَبْرَهُمْ!! وَهُوَ تَعَجُّبٌ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ ارْتِكَابِهِمْ

مُوجِبَاتِهَا مِنْ غَيْرِ مَبَالَةٍ، وَإِلَّا فَأَيُّ صَبْرٍ لَهُمْ.

[١٧٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي ذَكَرْنَا أَلَهُمُ النَّارَ، وَمَا بَعْدَهُ ﴿يَا أَيُّهَا

أَنْتُمْ﴾ اللَّهُ سَرَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿مَتَّعٌ بِسَرَرٍ﴾؛ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ؛ حَيْثُ

آمَنُوا بَعْضُهُ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ بِكُتْمِهِ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بِذَلِكَ

- وَهُمْ الْيَهُودُ، وَقِيلَ: الْمَشْرُوكُونَ فِي الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ قَالَ بَعْضُهُمْ: شَعْرٌ.

وبعضهم: سحر. وبعضهم: كهانة - ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خِلَافٌ ﴿بَعِيدٍ﴾ عَنِ

الْحَقِّ.

(١) الباء بمعنى: على.

(٢) وقيل في تفسيره - أيضًا -: لثُلُ مَضْرُوبٍ لِشَبِيهِ الْكَافِرِ فِي دَعَائِهِ لِأَصْنَامٍ بِالْعَاقِ عَلَى الْبَهَائِمِ. وقيل غير ذلك.

(٣) وقيل: ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾ أَي: فِي الْمَيْتَةِ. أَي: غَيْرُ طَالِبٍ لِلْمَحْرَمِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الْحِلَالِ، أَوْ مَعَ عَدَمِ جَوْعِهِ ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أَي: مُتَجَاوِزُ الْحُدُودِ فِي تَنَاوُلِ مَا يُحِبُّ لَهُ اضْطِرَارًا؛ أَي: لَا يَشْبَعُ مِنْهَا.

(٤) الْأَيُّ: الْعَبْدُ الْهَارِبُ مِنْ سَيِّدِهِ، وَ «الْمُكَاسُ»: «الْمَكْسُ»: بَفَتْحِ الْمِيمِ: الْخِيَانَةُ، وَالْمَرَادُ بِهِ: الَّذِي يَأْخُذُ الضَّرِيَّةَ طُلْمًا.



فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيُّهَا مَعَدُّو دَنٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ مُخَفَّفًا وَمُنْفَلًا﴾ (١) ﴿جَنَفًا﴾ ميلًا عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعتمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غني مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٨٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي؛ فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها.

[١٨٤] ﴿أَيُّهَا مَعَدُّو دَنٍ﴾ نصب بالصيام، أو بصوموا مقدارًا ﴿مَعَدُّو دَنٍ﴾ أي: قلائل أو موقتات بعدد معلوم؛ وهي: رمضان، كما سيأتي، وَقَلَّةٌ تسهيلًا على المكلفين ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ﴾ حين شهوده ﴿سَفَرٍ﴾ أي: مسافرًا سفر القصر، وأجهد الصوم في الحالين؛ فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدلًا ﴿وَعَلَى الَّذِينَ لَا يُطِيقُونَهُ﴾ لكبر أو مرض لا يُؤجِبُ برؤيه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي: قدر ما يأكله في يومه؛ وهو: مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة بإضافة ﴿فِدْيَةٌ﴾ (٢)، وهي للبيان - وقيل: (لا) غير مقدرة (٣)، وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نُسِخَ بتعيين الصوم بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ أَشْهَرُ فَلْيَصُمْهُ﴾ قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على الولد؛ فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي: التطوع ﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

تلك الأيام [١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه ﴿هُدًى﴾ حال، هاديًا من الضلالة ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ آيات واضحات ﴿وَمِنْ الْهُدَى﴾ بما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَمِنْ الْفُرْقَانِ﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر ﴿بِنَهْمٍ أَشْهَرُ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم مثله، وكرر؛ لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد (٤) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر؛ ولكون ذلك في معنى العلة أيضًا؛ للأمر بالصوم (٥) ﴿عَطَفَ عَلَيْهِ﴾ ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد (٦) ﴿الْعِدَّةَ﴾ أي: عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَى مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

وسأل جماعة النبي ﷺ: أَقْرَبُ رُتْنَا فَتُنَاجِيَهُ أَمْ يَبْعِدُ فَتُنَادِيَهُ؟ فَتُرَلَّى: [١٨٦] ﴿وَرَدَا سَأَلْتُ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (٧) منهم بعسي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾ يداوموا على الإيمان ﴿بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يهتدون.

(١) يفتح الواو وتشديد الصاد لحزمة والكسائي وشعبة.

(٢) لتافع وابن دكران، ومع جمع ﴿مِسْكِينٍ﴾ تنافع وابن عامر.

(٣) أي: لفظة دالة غير مقدرة في قوله: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾، وعلى التفسير الأول بتقدير هـ لا تكون الآية محكمة، وعند عدم التقدير تكون منسوخة.

(٤) فإنه يعم المسافرين وغيره والمرضى وغيره.

(٥) أي: صوم القضاء يعني: من غير تعيد بتتابع أو غيره.

(٦) أي: بتشديد الميم مع فتح الكاف لشعبة.

(٧) أخرجه ابن جرير واليعقوبي في معجمه وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق الثعلبي بن حكيم عن أبيه عن جده. وفي الدر المنثور: عن طريق الثعلبي بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده

(١/٣٥٢)، وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على جامع البيان (٣/٤٨١).

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونُ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْاِيلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَالِنَاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

﴿وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

وَمَا ضَدُّ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ضَالِحُ الْكُفَارِ عَلَى أَنْ يَعُودَ الْعَامُ الْقَابِلُ وَيُحِلُّوا لَهُ مَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَتَجَهَّزَ لَعَمْرَةَ الْقَضَاءِ، وَخَافُوا أَنْ لَا تَقْبَلَ قَرِيشٌ وَيَقَاتِلُوهُمْ، وَكَرِهَ الْمُسْلِمُونَ قِتَالَهُمْ فِي الْحَرَمِ وَالْإِحْرَامِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ، نَزَلَ: [١٩٠] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَي: لِإِعْلَاءِ دِينِهِ ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾ الْكُفَّارَ ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ عَلَيْهِمْ بِالْإِبْتِدَاءِ بِالْقِتَالِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ الْمُتَجَاوِزِينَ مَا حَدَّ لَهُمْ، وَهَذَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ بَرَاءَةِ<sup>(١)</sup>، أَوْ بِقَوْلِهِ:

[١٨٧] ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ بِمَعْنَى الْإِفْضَاءِ ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ بِالْجَمَاعِ، وَنَزَلَ نَسْخًا لَمَّا كَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ عَلَى تَحْرِيمِهِ وَتَحْرِيمِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ بَعْدَ الْعِشَاءِ<sup>(٢)</sup> ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كِتَابَةٌ عَنْ تَعَانُقِهِمَا أَوْ احْتِجَاجِ كُلِّ مَنَهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونُ﴾<sup>(٣)</sup> تَخُونُونَ ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بِالْجَمَاعِ لَيْلَةَ الصِّيَامِ، وَقَعَ ذَلِكَ لَعَمْرٍ وَغَيْرِهِ<sup>(٤)</sup>، وَاعْتَذَرُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ﴾ إِذْ أَحِلَّ لَكُمْ ﴿بَشِرُوهُنَّ﴾ جَامِعُوهنَّ ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أَي: أَبْخَاةً مِنَ الْجَمَاعِ أَوْ قُدْرَةً مِنَ الْوَلَدِ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ اللَّيْلَ كُلَّهُ ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أَي: الصَّادِقُ؛ بَيَانٌ لِلْخَيْطِ الْأَبْيَضِ، وَبَيَانُ الْأَسْوَدِ مُحْذُوفٌ؛ أَي: مِنَ اللَّيْلِ، شَيْءٌ مَا يَدُو مِنَ الْبَيَاضِ وَمَا يَمْتَدُّ مَعَهُ مِنَ الْغَبَشِ<sup>(٥)</sup>

بِخَطَيْنِ أَيْضًا وَأَسْوَدٌ فِي الْإِمْتِدَادِ ﴿فَتَرَى أَقْمُولَ الصِّيَامِ﴾ مِنَ الْفَجْرِ ﴿إِلَى الْإِيلِ﴾ أَي: إِلَى دُخُولِهِ غُرُوبِ الشَّمْسِ ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ﴾ أَي: نِسَاءَكُمْ ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ مُقِيمُونَ بِنِيةِ الْإِعْتِكَافِ ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ مُتَعَلِّقُونَ بِهَا لَمْ يَخْرُجْ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فَيَجْمَعُ امْرَأَتَهُ وَيَعُودُ ﴿تِلْكَ﴾ الْأَحْكَامُ الْمَذْكُورَةُ ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ حُدُودُهَا لِعِبَادِهِ لِيَقْبَلُوا عَنْهَا ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ أَبْلَغُ مِنْ «لَا تَعْتَدُوهَا» الْمَعْرُوبَةُ فِي آيَةِ أُخْرَى<sup>(٦)</sup> ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا يَبَيِّنُ لَكُمْ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَالِنَاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ مُحَارَمَةً<sup>(٧)</sup> [١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أَي: بِأَكْلِ بَعْضِكُمْ مَالَ بَعْضٍ ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الْحَرَامِ شَرْعًا؛ كَالسَّرِقَةِ وَالْغَسْبِ ﴿وَلَا تَدْلُوا﴾ تَلْقُوا<sup>(٨)</sup> ﴿بِهَا﴾ أَي: بِحُكْمِهَا<sup>(٩)</sup> أَوْ بِالْأَمْوَالِ رِشْوَةً ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بِالْحَاكِمِ ﴿فَرِيقًا﴾ طَائِفَةً ﴿مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ مُتَبَسِّسِينَ ﴿بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنْكُمْ مَبْطُولُونَ.

[١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآهْلِ﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآهْلِ جَمْعُ هَلَالٍ: لِمَ تَبْدُو دَقِيقَةً، ثُمَّ تَزِيدُ حَتَّى تَمْتَلِئَ نَوْرًا، ثُمَّ تَعُودُ كَمَا بَدَتْ، وَلَا تَكُونُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ؛ كَالشَّمْسِ<sup>(١٠)</sup>؟! ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جَمْعُ مِيقَاتٍ ﴿لِلنَّاسِ﴾ يَعْلَمُونَ بِهَا أَوْقَاتَ زَرْعِهِمْ، وَمَتَاعِرِهِمْ، وَعِدَّةَ نِسَائِهِمْ، وَصِيَامِهِمْ، وَإِفْطَارِهِمْ ﴿وَالْحُجِّ﴾ عَطَّفَ عَلَى النَّاسِ؛ أَي: يُعْلَمُ بِهَا وَقْتُهَا، فَلَوْ اسْتَمَرَّتْ عَلَى حَالَةٍ، لَمْ يُعْرِفْ ذَلِكَ ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ فِي الْإِحْرَامِ؛ بَأَنْ تَتَقَبَّوْا فِيهَا نَقْبًا تَدْخُلُونَ مِنْهُ وَتَخْرُجُونَ، وَتَتَرَكُوا الْبَابَ، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَيَزْعَمُونَهُ بِرًّا ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أَي: ذَا الْبِرِّ ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ اللَّهُ بَرَّكَ مَخَالَفَتَهُ ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ فِي الْإِحْرَامِ

(٥) مَا حَاءَ فِي نَزُولِ آيَةِ (١٨٧): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ ﷺ: لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ، وَكَانَ رِجَالٌ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونُ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٦٥) - سُورَةُ ابْقِرَةُ: (٢) بَابُ (٢٧). وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: وَكَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الْإِفْطَارَ قَبْلَ أَنْ يَطْرُقَ لَهُ أَكْلُ لَيْلَةٍ وَلَا يَوْمُهُ حَتَّى يَمْسِيَ، وَإِنْ قَبَسَ مِنْ صِيْمَةِ الْأَصْحَارِيِّ كَانَ صَدْمًا، فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارَ أَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا: أَعْدَدْتُ لَكَ طَعَامًا؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ أَتَطْلُقُ فَاطْلُبْ لَكَ، وَكَانَ يَوْمُهُ يَعْمَلُ فَعَلَيْهِ عِيْدُهُ، فَجَاءَتْ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: حَبِيبُ لَكَ، فَلَمَّا اتَّصَفَ النَّهَارَ غَشِيَ عَلَيْهِ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ فَفَرَحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، وَنَزَلَتْ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الصَّوْمِ (٣٠) بَابُ (١٥).

(٥٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ آيَةِ (١٨٩): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ ﷺ يَقُولُ: (نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فَيَا؟) كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَجَاءُوا لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قَبْلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ = (١) أَي: دَخَلُوا وَقَتَهَا أَوْ بَعْدَ النُّومِ وَلَوْ قَلْبَهَا، كَمَا حَصَلَ لِقَابِ بْنِ صِيْمَةٍ؛ فَغَشِيَ عَلَيْهِ نِصْفُ الشَّهْرِ مِنَ الْجُوعِ، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٩١٥) وَسَيَأْتِي فِي سَبَابِ الزُّوْلِ. (٢) لَمْ يَقُلْ: «تَخُونُونَ» لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ الْخِيَانَةُ، بَلْ كَانَ مِنْهُمْ الْإِخْتِيَاءُ؛ وَهُوَ: تَحْرُكُ الْإِنْسَانِ لِلْوُقُوعِ فِي الْخِيَانَةِ. (٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (١٥٣٦٨) مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي مَتْنِهِ (٢٣١٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِنَحْوِهِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٢٠٢٨).

(٤) بَقِيَةُ اللَّيْلِ أَوْ ظِلْمَةُ آخِرِ اللَّيْلِ، وَالْمَرَادُ بِاسْتِدْنَاهُ مَعَهُ اتِّصَالُهُ بِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّعَاقُبِ. (٥) هِيَ آيَةُ ٢٢٩ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ. (٦) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ «تَدْلُوا» مُجْرُومٌ عَطْفًا عَلَى النَّهْيِ، وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ أَي: «وَلَا تُدْلُوا» لِإِعَادَةِ «لَا» النَّاهِيَةِ. (٧) أَي: تَسْرَعُوا وَتَبَادَرُوا؛ أَي: لَا تَسْرَعُوا بِالْخُصُومَةِ عَلَى الْأَمْوَالِ إِلَى الْحُكَّامِ، لِئَعْنُوكُمْ عَلَى إِطْلَاقِ حَقِّ أَوْ تَحْقِيقِ بَاطِلٍ. (٨) أَي: بِإِقَامَةِ الدَّعْوَى بِهَا بِاطْلَاقٍ. (٩) وَهَذِهِ صِيغَةُ سَوْأَلِهِمْ. (١٠) وَهِيَ قَوْلُهُ: «تَقَالِي» وَ«تَقَاتِلُوا الْمُتَشَكِّكِينَ كُلَّهُ» [بَرَاءة: ٣٦]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ بَعْدَ أَنْ حَكَى هَذَا الْقَوْلَ: «وَقَالَ هَذَا نَظَرٌ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: «الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ» إِنَّمَا هُوَ -

حَتَّى لَا تَكُونَ تَوْجِدَ فِتْنَةً شَرَكٌ ﴿١٩٤﴾ وَتَكُونَ أَلَدِينَ الْعِبَادَةِ ﴿١٩٥﴾ وَفِيهِ وَحْدَهُ لَا يُغْنِي سِوَاهُ ﴿١٩٦﴾ إِنَّا أَنْتَهُمَا عَنِ الشَّرِكِ فَلَا تَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ ذُلٌّ عَلَى هَذَا: ﴿فَلَا تَعْتَدُوا﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وَمَنْ انْتَهَى فَلَيْسَ بِضَالٍ؛ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيْهِ. [١٩٤] ﴿الْفِتْنَةُ الْفِتْنَةُ﴾ الحُرْمُ مُقَابِلُ ﴿وَالْفِتْنَةُ الْحَرْبُ﴾ فَكُلُّمَا قَاتِلُوكُمْ فِيهِ، قَاتِلُوكُمْ فِي مِثْلِهِ، رَدٌّ لِعِظَامِ الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ ﴿وَالْحُرْمَةُ﴾ جَمْعُ حَرَمَةٍ؛ مَا يَجِبُ احْتِرَامُهُ ﴿وَقِصَاصٌ﴾ أَيُّ: يُقْتَصُّ بِمِثْلِهِ إِذَا انْتَهَكْتَ ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ بِالْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ أَوِ الْإِحْرَامِ أَوِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ سَقَى مُقَابِلَتَهُ اعْتِدَاءً؛ لِشَبْهِهَا بِالْمُقَابِلِ بِهِ فِي الصُّورَةِ ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ فِي الْإِنْتِصَارِ وَتَرْكِ الْإِعْتِدَاءِ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ. [١٩٥] ﴿وَأَتَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طَاعَتُهُ بِالْجِهَادِ وَغَيْرِهِ ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أَيُّ: أَنْفُسَكُمْ، وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ ﴿إِلَى الْإِتْلَافِ﴾ الْهَلَاكُ؛ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ النِّفْقَةِ فِي الْجِهَادِ، أَوْ تَرْكِهِ؛ لِأَنَّهُ يَقْوِي الْعَدُوَّ عَلَيْكُمْ ﴿وَأَخْسِنُوا﴾ بِالنِّفْقَةِ وَغَيْرِهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أَيُّ: بِبَيْسِهِم. (٢)

[١٩٦] ﴿وَأَتَقُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أَدْوَمَا بِحَقْقِهِمَا ﴿فَإِنْ أَحْصَيْتُمْ مِنْكُمْ مِئْتَةً عَنْ إِمَامِهِمَا بَعْدُوا﴾ فَمَا اسْتَيْسَرَ تَيْسَرَ ﴿مِنْ أَلَدَيْنِ﴾ عَلَيْكُمْ؛ وَهُوَ: شَاةٌ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ أَيُّ: لَا تَحْلِقُوا ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ الْمَذْكُورَ﴾ الْحَجَّ وَغَيْرَهُ، أَوْ يَحْلِقَ ذُبْحَهُ؛ وَهُوَ: مَكَانُ الْإِحْصَارِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، فَيُذْبَحُ فِيهِ بَنِيَّةُ التَّحْلِيلِ، وَيَفْرَقُ عَلَى مَسَاكِينِهِ، وَيَحْلِقُ، وَبِهِ يَحْصُلُ التَّحْلِيلُ. ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ نَهْرِيًّا أَوْ يَدِيًّا مِنْ رَأْسِهِ﴾ كَمَلَّ وَصَدَّاعَ، فَحَلَقَ فِي الْإِحْرَامِ ﴿فَذَبِيهِ﴾ عَلَيْهِ ﴿مِنْ صِيَّامٍ﴾ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ ثَلَاثَةَ أَصْعَافٍ مِنْ غَالِبِ قُوَّةِ الْبَلَدِ عَلَى سِتَّةِ مَسَاكِينَ ﴿أَوْ شُكْلٍ﴾ أَيُّ: ذُبْحَ شَاةٍ، «أَوْ» لِلتَّخْيِيرِ، وَالْحَقُّ بِهِ مَنْ خَلَقَ لغير عِلْمٍ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلَى بِالْكَفَّارَةِ، وَكَذَا مَنْ اسْتَمْتَعَ بِغَيْرِ الْحَلْقِ؛ كَالطَّيِّبِ وَالْبَلْبِ وَالذَّهْنِ لَعَنَرُ أَوْ غَيْرِهِ ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ الْعَدُوَّ، بَانَ يَذْهَبُ، أَوْ لَمْ يَكُنْ ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ﴾ اسْتَمْتَعَ ﴿بِالْعُمْرَةِ﴾ أَيُّ: بِسَبَبِ فِرَاقِهِ مِنْهَا بِمَحْظُورَاتِ الْإِحْرَامِ (٣) ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ (٤) أَيُّ: إِلَى الْإِحْرَامِ بِهِ بِأَنْ يَكُونَ أَحْرَمَ بِهَا فِي أَشْهُرِهِ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تَيْسَرَ ﴿مِنْ أَلَدَيْنِ﴾ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ: شَاةٌ يَذْبَحُهَا بَعْدَ الْإِحْرَامِ بِهِ، وَالْأَفْضَلُ يَوْمَ النَّحْرِ (٥) ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ الْهَدْيَ﴾ لِفَقْدِهِ أَوْ قَدَّمَ ثَمَنَهُ ﴿فَصِيَّامٌ﴾ أَيُّ: فَعَلِيهِ صِيَّامٌ ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ لِلْحَجِّ أَيُّ: فِي حَالِ الْإِحْرَامِ بِهِ؛ فَجِبَاجٌ حِينَئِذٍ أَنْ يُحْرَمَ قَبْلَ السَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْأَفْضَلُ قَبْلَ السَّادِسِ؛ لِكِرَاهَةِ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَلَا يَجُوزُ صَوْمُهَا أَيَّامَ التَّشْرِيقِ عَلَى أَصَحِّ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ ﴿وَسَبْعَةٌ﴾ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى وَطَنِكُمْ مَكَّةَ أَوْ غَيْرَهَا، وَقِيلَ: إِذَا فَرِغْتُمْ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ، وَفِيهِ

وَأَقْبَلُوهُمُ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَأَلْفَنَةً مِنْهُمْ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْبَلُوا لَهُمْ فِيهِ فَإِنْ قَبِلْتُمْ فَاقْبَلُوا لَهُمْ كَذَلِكَ حَرَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩٧﴾ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٨﴾ وَقَبِلُوا لَهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٩﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتِ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٠٠﴾ وَأَتَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠١﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أَحْصَيْتُمْ رُءُوسَكُمْ فَاسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ رَضًا أَوْ يَدِيًّا مِنْ رَأْسِهِ فَفَذِيهِ مِنْ صِيَّامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ مَنِ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَّامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٠٢﴾

[١٩٧] ﴿وَأَقْبَلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾ أَيُّ: مِنْ مَكَّةَ، وَقَدْ فَصَلَ بِهِمْ ذَلِكَ عَامَ الْفَتْحِ ﴿وَأَلْفَنَةً﴾ الشَّرِكُ مِنْهُمْ ﴿أَشَدُّ﴾ أَعْظَمُ ﴿مِنْ الْقَتْلِ﴾ لَهُمْ فِي الْحَرَمِ وَالْإِحْرَامِ الَّذِي اسْتَقْبَلْتُمُوهُمْ ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَيُّ: فِي الْحَرَمِ ﴿حَتَّى يَقْبَلُوا لَهُمْ فِيهِ فَإِنْ قَبِلْتُمْ﴾ فِيهِ ﴿فَاقْبَلُوا لَهُمْ﴾ فِيهِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِلَا أَلْفٍ فِي الْأَعْمَالِ الثَّلَاثَةِ (١) ﴿كَذَلِكَ﴾ الْقَتْلُ وَالْإِحْرَامُ ﴿حَرَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. [١٩٨] ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا﴾ عَنِ الْكُفْرِ وَأَسْلَمُوا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لَهُمْ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ. [١٩٩] ﴿وَقَبِلُوا لَهُمْ

= من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكانه غير بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْكُلُوا أَمْثَلًا مِنْ لُحُومِكُمْ وَلَكِنْ أَنْ تَقُوتُوا وَأَقْبَلُوا أَمْثَلًا مِنْ أَوْيَاتِكُمْ﴾ البخاري - باب (١٨) كتاب العمرة (٢٦). وفي رواية عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأقربوا الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْكُلُوا أَمْثَلًا مِنْ لُحُومِكُمْ...﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٢٩). (٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٥): أخرج أبو داود عن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مئة مئة، لا إله إلا الله، يلقي يديه إلى التهلكة! فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام، قلنا: هل تم تقويم في أمواتنا ونصلحها، فأمر الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾؛ فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن تقويم في أمواتنا، ونصلحها، ونُدع الجهاد... أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٣).

= تهيج وإغراء بالأعداء الذين همهم قال الإسلام وأهله، أي: كما يقابلونكم فاقبلوهم أنتم؛ كما قال: ﴿وَقَبِلُوا الشُّرَكَاءَ كَقَبْلِكُمْ قَبْلَ تَقْبَلُوا لَهُمْ﴾؛ ولهذا قال في هذه الآية: ﴿وَأَقْبَلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾ أَيُّ: لِيَكُونَ هِمَّتُكُمْ مِثْلُ هِمَّتِهِمْ عَلَى قَاتِلِهِمْ كَمَا أَنَّ هِمَّتَهُمْ مِثْلُ هِمَّتِكُمْ عَلَى قَاتِلِكُمْ، وَعَلَى إِخْرَاجِهِمْ مِنْ بِلَادِهِمُ الَّذِي أَخْرَجْتُمْ مِنْهَا قِصَاصًا. وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أَيُّ: قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تَعْتَدُوا فِي ذَلِكَ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ ارْتِكَابُ الْمُنَافِقَةِ... مِنَ الْكُفَّةِ وَالْقَوْلِ، وَقَتْلُ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالشُّوَبِ الَّذِي لَا رَأْيَ لَهُمْ وَلَا قَاتِلَ فِيهِمْ، وَالرَّهْيَانِ، وَأَصْحَابِ الصَّوَامِعِ، وَغَرِيقِ الْأَشْجَارِ، وَقَتْلِ الْحَيَوَانِ لِغَيْرِ مَصْصَةٍ... (١) الحزمة والكسائي.

(٢) وهذا مذهب الأشاعرة وأمثالهم من المبتدعة الذين يؤولون الصفات بدعوى أنها توهم نفصاً في حق الخالق، أما أهل السنة فيثبتونها لله على ما يليق بجلاله، من غير أن يقتضي ذلك نقصاً أو تشبيهاً، كما يثبتون لأزواجه؛ وهو: إرادته - سبحانه - إكرام أهل محبته وإثباتهم، وهذه الصفة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

(٣) متعلق بـ «تتمتع» أي: واستمر تمتعه وانفعاه بالمحظورات إلى الحج. (٥) هذا قول الشافعي والجمهور على أن وقت ذبحه يوم النحر، فلا يجوز ذبح الهدي قبله كالأضحية.

النفات عن الغيبة<sup>(١)</sup>. **﴿وَتِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾** جملة تأكيد لما قبلها **﴿ذَلِكَ﴾** الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع **﴿لَيْسَ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ﴾** ساجدي المَسْجِدِ الْحَرَامِ، بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي، فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع، وفي ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان؛ فبو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن فعليه ذلك، وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني؛ لا، والأهل كناية عن النفس<sup>(٢)</sup>، وألحق بالمتمتع - فيما ذكر بالسنّة - القَارِئُ؛ وهو: من أحرم بالعمرة والحج معاً أو يُذْخِلُ الحج عليها قبل الطواف<sup>(٣)</sup> **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** فيما يأمركم به وينهاكم عنه **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** بِنُ خَالَفَةٍ.

[١٩٧] **﴿الْحَجُّ﴾** وقته **﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾** شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة، وقيل: كله **﴿مَنْ قَرَضَ﴾** على نفسه **﴿فِيهِ الْحَجُّ﴾** بالإحرام به **﴿فَلَا زَنْتَ﴾**<sup>(٤)</sup> جماع فيه **﴿وَلَا فُسُوقٌ﴾**<sup>(٥)</sup> مناص **﴿وَلَا جِدَالٌ﴾** خصام **﴿فِي الْحَجِّ﴾** وفي قراءة: بفتح الأولين<sup>(٦)</sup>، والمراد في الثلاثة النهي **﴿وَمَا تَقُولُوا مِنْ خَيْرٍ﴾** كصدقة **﴿يَسْكُنُهُ اللَّهُ﴾** فيجازيكم به. ونَزَلَ في أهل اليمن - وكانوا يَحْجُونَ بلا زاد؛ فيكونون كلاً على الناس<sup>(٧)</sup> - **﴿وَسَكَرُودُوا﴾** ما يبلغكم لسفركم **﴿فَلَا تَحِزَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّفْقَى﴾** ما يبقى به سؤال الناس وغيره **﴿وَالْقَوِيُّ يَكْأُولِي الْأَلْبَبِ﴾** ذوي العقول [١٩٨] **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** في **﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾** تطلبوا **﴿فَضْلًا﴾** رزقاً **﴿وَمِنْ رِزْقِكُمْ﴾** بالتجارة في الحج، نَزَلَ رِزْقاً لكرهتهم ذلك<sup>(٨)</sup> **﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ﴾** دفعتم **﴿وَمِنْ عَرَفْتُمْ﴾** بعد الوقوف بها **﴿فَإِذَا كُورُوا اللَّهَ﴾** بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء **﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾** هو جبل في آخر المزدلفة يقال له: فُوح<sup>(٩)</sup>، وفي الحديث: **﴿اللَّهُ يَلْقَاكُمْ فِي ذِكْرِ اللَّهِ وَيَذْغُو؛ حَتَّى أَشْفَرُ جَذَاهُ﴾** [رواه مسلم] **﴿وَأَذْكُرُهُ﴾** كما هدّ كنتم، لمعالم دينه ومناسك حجه، والكاف للتعليل **﴿وَأَنْ مَخْفَةٌ﴾** كنتم من قبله. قبل مدها **﴿لِمَنْ الْعَسَاكِلِينَ﴾** [١٩٩] **﴿ثُمَّ أَقْبِصُوا﴾** يا قريش **﴿وَمِنْ حَيْثُ أَكْأَصَ الْكَأَسُ﴾** أي: من عرفه؛ بأن تقفوا بها معهم، وكانوا ينفقون بالمزدلفة؛ ترفعان الوقوف معهم، و«ثم» للترتيب في الذكر **﴿وَأَسْتَفْزُوا اللَّهَ﴾** من ذنوبكم **﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾** للمؤمنين **﴿رَحِيمٌ﴾** بهم<sup>(١٠)</sup> [٢٠٠] **﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ أَدَائَكُمْ﴾** سدايكنكم عبادات حجبكم؛ بأن رَمَيْتُمْ جَمْرَةَ الْعَقِيقَةِ وَطَفَّئْتُمْ وَاشْتَقَرْتُمْ بَيْنِي **﴿فَإِذَا كُورُوا اللَّهَ﴾** بالكبير والثناء **﴿كَذِكْرُ آبَاءِكُمْ﴾** كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجبكم بالمفاخرة<sup>(١١)</sup> **﴿أَوْ أَسْأَدَ ذِكْرًا﴾** من ذكركم إياهم، ونصب **﴿أَسْأَدَ﴾** على الحال من ذكر المنصوب «أذكروا»؛

إذ لو تأخر عنه لكان صفة له **﴿فَمِنْ الْكَاسِ﴾** من يقول **﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾** نصيباً **﴿فِي الدُّنْيَا﴾** فَيُؤْتَاهُ فيها **﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ﴾** من خلقي نصيب [٢٠١] **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾** نعمة **﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾** هي الجنة **﴿وَقَدْ عَادَتْ الْبَارِ﴾** بعدم دخولها، وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين، والقصد به الحث على طلب خير الدارين، كما وعد بالتواب عليه بقوله: [٢٠٢] **﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾** ثواب **﴿قَرِيبٌ﴾** من أجل **﴿مَا كَسَبُوا﴾** عملوا من الحج والدعاء **﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا؛ لحديث

وأخرج البخاري عن حذيفة: **﴿وَأَتَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَكَ﴾** قال: نزلت في النفقة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣١).  
(٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٧): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوهم الناس، فأقول الله تعالى: **﴿وَسَكَرُودُوا﴾** فَيَكُنْ خَيْرَ الزَّادِ النَّفْقَى. البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٦) قول الله تعالى: **﴿وَسَكَرُودُوا﴾**....  
(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٨): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنته وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام، كأنهم تأثموا، فنزلت: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَسْتَغْفِرُوا﴾** فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ». البخاري - كتاب البيوع (٣٤) باب (١).  
(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٩): أخرج البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: «كانت قريش ومن دان دينها ينفقون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحِمْسَ، وكان سائر العرب -

(١) حيث روعي معنى ضمير الجمع **﴿مَنْ﴾**، ولو روعي اللفظ لقيل: إذا رجع، بضمير الغيبة.  
(٢) وهو معنى بعيد، والأولى ما قاله غيره: من أن المراد بالأهل: الزوجة والأولاد دون الآباء والإخوة، ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك، وإنما عبر بالأهل لكون شأن الوطن يكون بذلك.  
(٣) أي: قبل الشروع في طوافها. (٤)، (٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: **﴿فَلَا رِفْثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ﴾** بنون ورفع «رفث» و«فسوق». وقرأ بقية السبعة: **﴿فَلَا رِفْثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ﴾**.  
(٦) أي: «زنت» و«فُسُوقٌ» وهي قراءة بقية السبعة كما تقدم. (٧) وزن عمر.  
(٨) عن ابن عباس **﴿يَلْقَاكُمْ﴾** قال: كان أهل الجاهلية ينفقون في الموسم، يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحملات، ويحمل الديبات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم؛ فأقول الله: **﴿فَإِذَا كُورُوا اللَّهَ﴾**

أَتَقَىٰ اللَّهُ فِي حُجَّةٍ لَهُ الْحَاجُّ فِي الْحَقِيقَةِ ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْتُمْ لِيَّهِ تَحْشُرُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيكم بأعمالكم.

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة؛ لخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي الْخَضَاعُ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك؛ لعداوته لك؛ وهو: الأخنس بن شريق؛ كان منافقاً حلوا الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به ومحِبُّ له؛ فيدني مجلسه؛ فأكذبه الله في ذلك، ومَرَّ بِرِزْقٍ وَخُبْرٍ لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلة<sup>(٢)</sup>؛ كما قال - تعالى -: [٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ انصرف عنك ﴿سَعَىٰ﴾ مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ﴾ أي لا يرضى به<sup>(٣)</sup>. [٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتِ الْعُرَءُ﴾ حملته الألفه والحمية على العمل ﴿بِالْإِيمِ﴾ الذي أمر بألقائه ﴿فَحَسَبُكُمْ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمَ﴾ وليس الههاد<sup>(٤)</sup> الفراش هي. [٢٠٧] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ بِمِيعَةٍ ضَخِيمَةٍ﴾ أي: يذلها في طاعة الله ﴿بِآيَاتِهِ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ رضاه؛ وهو: صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله<sup>(٥)</sup> ﴿وَاللَّهُ زَوَّفٌ بِالْأَعْيَادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه. ونَزَلَ فِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا عَظَمُوا السَّبْتَ<sup>(٦)</sup> وكرهوا الإبل<sup>(٧)</sup> بعد الإسلام: [٢٠٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ نَسُوا أَنذَلُوا فِي [السَّلَمِ]﴾ بفتح السين وكسرها<sup>(٨)</sup>؛ الإسلام ﴿كَأَنَّهُ﴾ حال من ﴿[السَّلَمِ]﴾؛ أي: في جميع شراعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه بالتفريق ﴿وَكُلُّ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة.

[٢٠٩] ﴿كَانَ رَكْنُهُ﴾ ملتزم عن الدخول في جميعه ﴿وَمَنْ يَمَسَّ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

[٢١٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمره<sup>(٩)</sup>؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَّيْبٌ﴾<sup>(١٠)</sup> أي: عذابه ﴿فِي ظُلْمٍ﴾ جمع ظلة ﴿وَمِنَ الْقَصَارِ﴾ السحاب ﴿وَالْمَلَكُ﴾ وقضى الأمر<sup>(١١)</sup> ثم أمر هلاكهم ﴿وَزَلَّىٰ اللَّهُ رُجُوعَ الْأُمُورِ﴾ - بالبناء للمفعول والفاعل<sup>(١٢)</sup> - في الآخرة؛ فيجازي كلاً بعمله.

﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>(١٣)</sup> وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ الَّذِي الْخَضَاعُ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتِ الْعُرَءُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ وَجَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ بِثَمَنٍ خَسِيفٍ وَأَن يَصْرِفَ رِزْقَ اللَّهِ وَآلِهِ رِزْقًا يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تَرْجِعَ الْأُمُورُ

بذلك<sup>(١٤)</sup>.

[٢٠٣] ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي: أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجل بالنفر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا يَأْتِ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي: هم مخبرون في ذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ

- يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يقض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَّاشَ النَّاسُ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٣٥)، وفي رواية قال: «أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الحسن: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَّاشَ النَّاسُ﴾ قال: كانوا يقضون من جمع إلى عرفات» البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٩١) الوقوف بعرفة.

= كَوَكَّرُوا عَلَيْهِمْ أَوْ أَكَّسَدُوا... أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٥/٢) رقم (١٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٧/١). وحسنه صاحب الاستيعاب (١٤٢/١، ١٤٣). (١) لقد منها الحلال السيوطي كَقَوْلِهِ فِي وصفه نصف انهار بأنه من أيام الدنيا، والصحيح أنه نصف يوم مقداره خمسون ألف سنة، كما جاء في حديث ابن حبان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس رب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة...» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ في عقاب مانعي الزكاة في الجحر - قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد... البخاري (١٣١٤)، ومسلم (١٦٤٧)، وقد تكرر هذا السهو في السيوطي كَقَوْلِهِ فِي ثلاثة مواضع غير هذا، وهي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ كَانَ اللَّهُ سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾ آية ١٩٩ من آل عمران، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ٥١ من سورة إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرِعُ تَلْوِينٍ﴾ آية ٦٢ من سورة الأنعام. ووقع مثله من الجلال المحلي في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٧ من سورة غافر، وقد نيه على ذلك القاضي كسان في فقرة العتئين على تفسير الجلالين. (٢) أخرجه الطبري (٣٢٤/٢) في تفسيره عن السدي مرسلًا، وضعفه حذاً في الاستيعاب (١٤٤/١، ١٤٥). وهذا من تأويل صفة الحية التي يبيتها أهل السنة لله ﷻ على الوجه اللائق به، فهذا من تأويل الصفة ببعض لوازمها، وسبق بيان ذلك. (٣) جاء ذلك من عدة طرق كلها ضعيفة كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٦/١، ١٤٨). (٤) أي: اغترشوه بحرهم الصديد فيه كما كان في شرع موسى. والأثر أخرجه الطبري (١٨٩/٢) من طريق ابن جريج عن عكرمة به. وهو مرسى ضعيف كما في الاستيعاب (١٤٨/١). (٥) حيث حرموا أكل لحومها وشرب ألبانها. (٦) بالفتح قراءة نافع وابن كثير والكسائي، وقرأ الباقر بالكسر. (٧) وهذا تأويل تأنيدي للنصوص وكلام السلف، وهو مذهب المتدعة، أما الذي عليه السلف أهل السنة والجماعة: أن الإثبات والنجي صفتان من صفات الفعل له. شَيْخَانَهُ. وهما من أفعاله الاختيارية التي يبتون لها له. شَيْخَانَهُ. على الوجه اللائق بجلاله وعظمته منزها عن جميع التشبيه الذي يحظر في عقول المعطلة. [المفسرون بين الإثبات والتأويل (٣٧٩ / ٢)]. (٩) النحل: ٣٣. (١٠) قوله: (بالبناء للمفعول) يعني من الرجوع وهو الرد. وقوله: (والفاعل) يعني من -



سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَرَاهَاتِهِمْ مِنْ عَالِمٍ بَيْنَهُ وَمَنْ يَبْدُلُ نِعْمَةً  
 اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ  
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ  
 اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ  
 ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ  
 وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ  
 فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ  
 مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا  
 لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ  
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا  
 يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ  
 وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ  
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ  
 مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لِلْيَسْرَى وَالْمَسْكِينِ  
 وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

شامل للقليل والكثير، وفيه بيان التفق الذي هو أحد شقي السؤال، وأجاب  
 عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿فَلِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لِلْيَسْرَى وَالْمَسْكِينِ  
 وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي: هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ إيفاق أو  
 غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

[٢١١] ﴿سَلَّ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ نبيكنا: ﴿كَمَ عَالَمٍ بَيْنَهُمْ﴾ كم  
 استفهامية معلقة<sup>(١)</sup> ﴿سَلَّ﴾ عن المفعول الثاني، وهي ثاني مفعولي ﴿آتينا﴾<sup>(٢)</sup>،  
 وميزها<sup>(٣)</sup>: ﴿مِنْ عَالِمٍ بَيْنَهُمْ﴾ ظاهرة؛ كقلق البحر وإنزال المن والسلوى،  
 فبدلوا كفراً ﴿وَمَنْ يَبْدُلُ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: ما أنعم به عليه من الآيات، لأنها  
 سبب الهداية ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ﴾ كفراً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٢١٢] ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بالتمويه<sup>(٤)</sup>؛  
 فأحبوها ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هُمُ ﴿يَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لفقهم؛ كبلال وعمار  
 وصهيب؛ أي: يستهترون بهم ويعالون عليهم بالمال ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾  
 الشرك؛ وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾  
 أي: رزقاً واسعاً في الآخرة أو الدنيا؛ بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين  
 وراقهم.

[٢١٣] ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الإيمان فاختلفوا؛ بأن آمن بعض  
 وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة  
 ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب  
 ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ فيما اختلفوا  
 فيه ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: الدين ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي:  
 الكتاب؛ فآمن بعض وكفر بعض ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج  
 الظاهرة على التوحيد، و﴿مِنْ﴾ متعلقة بـ ﴿اخْتَلَفَ﴾، وهي وما بعدها مقدم  
 على الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيًا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ  
 آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ  
 يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق. ونزل في جهد أصاب  
 المسلمين: [٢١٤] ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لَمْ  
 ﴿يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من المؤمنين من الحن؛  
 فنصبروا كما صبروا ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ جملة مستأنفة مبينة ما قبلها ﴿الْبَأْسَاءُ﴾  
 شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءُ﴾ المرض ﴿وَزُلْزَلُوا﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّى﴾  
 يَقُولَ بالنصب والرفع<sup>(٥)</sup>؛ أي: قال ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاء  
 للنصر؛ لتناهي الشدة عليهم: ﴿مَتَى﴾ يأتي ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ الذي وعدناه؛  
 فَأُجِيبُوا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانه

[٢١٥] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الذي ينفقونه،  
 والسائل عمرو بن الجموح، وكان شيخاً ذا مال، فسأل ﷺ عما ينفق  
 وعلى من ينفق؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان لـ ﴿مَا﴾،

= الرجوع؛ فرجع يستعمل لارثاً ومتعدداً، وقراها ابن عامر وحزمة والكسائي بالياء للفاع والياقون بالياء للمفعول.

(١) التعليق: هو إبطال العمل لفظاً لا محلاً، والإلغاء؛ إبطاله لفظاً ومحلاً، فذكر جملة: ﴿كَمَ عَالَمٍ بَيْنَهُمْ﴾ في المعنى في محل المفعول الثاني لـ ﴿سَلَّ﴾. والتعليق مختص بأفعال القلوب، والسؤال وإن لم يكن من أفعال القلوب، إلا أنه سبب للعلم، والعلم منها، فأعطي حكمها من نصب المفعولين وصحة التعليق.

(٢) أي: إن ﴿كَمَ﴾ هي المفعول الثاني لـ ﴿آتينا﴾، ومفعول ﴿آتينا﴾ الأول هو: الهاء من الضمير «هم»، وهذا مذهب الجمهور.

(٣) إما يردت؛ ليعلم بها أن مدخولها وهو قوله: ﴿مِنْ عَالِمٍ بَيْنَهُمْ﴾، يميز لا مفعول ثانٍ لـ ﴿عَالِمٍ بَيْنَهُمْ﴾.

(٤) لباء سببية؛ أي: بسبب التمويه؛ أي: الزخرفة والبهجة.

(٥) بالرفع قراءة نافع، والنصب بـ (أن) مضمره، و﴿حَتَّى﴾ بمعنى: إلى، وهي تنصب المضمر بعدها إذا كان مستقبل، والرفع باعتبار ما بعدها حالاً مقارناً لما قبلها، أو أن الفعل بعده ماضٍ؛ بمعنى: أن القول وإنزالاً قد مضى.

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٣٣/١)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. والكلبي وأبو صالح متهمان بالكذب؛ فهو موضوع، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٥٨٥/١) نحوه، دون تسمية السائل، وعزاه لعبد بن حميد.

خبر لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ﴾ ذلك، فبادروا إلى ما يأمركم به.  
وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ سِرَايَاهُ وَعَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ<sup>(١)</sup>؛ فَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ  
وَقَتَلُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ أَجْرَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَالتَّبَسَّ عَلَيْهِمْ بِرَجَبٍ؛  
فَقَبِضَهُمُ الْكَفَّارُ بِاسْتِحْلَاحِهِ؛ فَنَزَلَ<sup>(٢)</sup>: [٢١٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ  
الْحَرَامِ﴾ الحريم ﴿وَقَالُوا فِيهِ﴾ بدل اشتمال<sup>(٣)</sup> ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿وَقَاتَلَ فِيهِ  
كَبِيرٌ﴾ عظيم وزر<sup>(٤)</sup>، مبتدأ وخبر ﴿وَصَدُّ﴾ مبتدأ<sup>(٥)</sup>، منع للناس ﴿عَنِ  
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرًا بِهِ﴾ بالله ﴿وَوَصَدُّ﴾ صد عن<sup>(٦)</sup>  
﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مكة ﴿وَأَخْرَجَ أَهْلَهُ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ  
والمؤمنون، وخبر المبتدأ<sup>(٧)</sup>: ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وزرًا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من القتال فيه  
﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي:  
الكفار ﴿يَقْتُلُونَكَ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّى﴾ كي ﴿يُرْذَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾  
إلى الكفر ﴿إِنْ أَسْتَظْهَمُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُبِيتَ﴾ وَهُوَ  
كَأَوْ قَاتَلَيْكَ حَيْثُ بَلَّغْتَ ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِي الْأَدْيَا  
وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو  
رجع إلى الإسلام لم يظلل عمله؛ فينبأ عليه، ولا يعيده كالخج مثلاً، وعليه  
الشافعي ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. ولما ظن السريّة  
أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر؛ نَزَلَ<sup>(٨)</sup>: [٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فَارْتَفَعُوا أَوطَانَهُمْ ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء  
دينه ﴿وَأُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ ثوابه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ للمؤمنين  
﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. [٢١٩] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار، ما  
حكمهما؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فِيهِمَا﴾ أي: في تعاطيهما ﴿إِنْكُمْ كَبِيرٌ﴾  
عظيم، وفي قراءة: بالفتنة<sup>(٩)</sup>، لما يحصل بسببهما من الخاصة والمشاغبة وقول  
الفحش ﴿وَمَنْعُ النَّاسِ﴾ بالذلة والفرح في الخمر، وإصابة المال بلا كد في  
الميسر ﴿وَأَشْمُهُمَا﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفاصد ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ  
نَفْعِهِمَا﴾ ولما نزلت شربتها قَوْمٌ وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة<sup>(١٠)</sup>  
﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي ما قدره؟ ﴿قُلْ﴾ أنفقوا ﴿الْمَعْرُوفُ﴾ أي:  
الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم، وفي قراءة:  
بالرفع<sup>(١١)</sup> بتقدير «هو» ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما تَبَيَّنَ لكم ما ذَكَرَ ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١٢)</sup>.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا  
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ  
لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ  
الْحَرَامِ قَاتَلَ فِيهِ قُلٌ قَاتَلَ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ وَكُفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَخْرَجَ أَهْلَهُ مِنْهُ  
أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ  
يَقْتُلُونَكَ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَظْهَمُوا وَمَنْ  
يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُبِيتَ وَهُوَ كَأَوْ لَيْتَكَ  
حَاطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ  
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ  
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ  
اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٩﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ  
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعُ النَّاسِ وَاشْمُهُمَا أَكْبَرُ  
مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ اللَّهُ كَذَلِكَ  
يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢٠﴾

[٢١٦] ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَلْفَتْحًا للکفار ﴿وَهُوَ كُرْهُ﴾  
مكره ﴿لَكُمْ﴾ طبعًا لمشقتة ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ  
وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ ليل النفس إلى الشهوات الموجبة  
لهلاكها، ونفورها عن التكليفات الموجبة لسمعتها؛ ففعل لكم في القتال - وإن  
كرهتموه - خيرًا؛ لأن فيه إما الظفر والغنيمة، أو الشهادة والأجر، وفي تركه -  
وإن أحببتموه - شرًا؛ لأن فيه الدل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَاللَّهُ يَكْتُمُ﴾ ما هو

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢١٩): أخرج أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم زين لنا في الخمر بيانًا شفاءً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية. أبو داود - كتاب الأشربة (٢٠) باب (١) في تحريم الخمر. صحيح سنن أبي داود (٣١١٧)، وسنن أبي الحديث بتمامه في سورة النساء الآية (٤٣)، والمائدة الآية (٦).

(١) لم تكن سرية عبد الله بن جحش أول السرايا؛ بل كانت خامستها وثامنة التحركات العسكرية، وقد ذكر أهل السير أنهم قتلوا ابن الحضرمي في آخر يوم من رجب والتبس عليهم بأول يوم من شعبان.

(٢) أخرجه نحوه البيهقي في السنن الكبرى (١٢/٩)، وفي دلائل النبوة (١٧/٣) من حديث عروة بن الزبير، وهو مرسل. وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٧٢٩/٥) رقم (٦٥١٣) من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٥/١)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠٤/٢) عن قتادة مرسلًا، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٠٢/١).

(٣) أي من الشهرة؛ إذ هو مشتمل على القتال لوقوعه فيه. (٤) أي: إن كان عمدًا، فإن كان خطأ فقتل السرية؛ فلا إثم فيه.

(٥) مع ما عطف عليه، وجعلناه أربعة فأخبر عنها بقوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ لأنه أفعّل تفضيل، وهو يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجردًا من (أل) والإضافة.

(٦) إشارة إلى أن ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ معطوف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (٧) أي: وما عطف عليه - كما سبق.

(٨) أخرجه بنحوه ابن إسحاق في السيرة (٢٣٩/٢)، (٢٤٠) من طريق عروة بن الزبير مرسلًا، والبيهقي في دلائل النبوة (١٨/٣)، والطبري في تفسيره (٢٠٧/٢). وهو ضعيف لإرساله كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٥٤/١).

(٩) أي: كبير، وهي قراءة حمزة والكسائي. (١٠) أي: عمرو، خبر مخلوف تقديره: هو.

[٢٢٠] ﴿فِي﴾ أمر ﴿الْأَنْثَى وَالْآخِرَةَ﴾. فأتخذون بالأصلح لكم فيها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ وما يلقونه من الخرج في شأنهم؛ فإن أكلوهم يأثموا، وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاماً وحدهم فخرج ﴿إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾ في أموالهم؛ بتبنيها، ومداخلتهم ﴿خَيْرٌ﴾ من ترك ذلك ﴿وَأَنْ تَخَالِطُوهُمْ﴾ أي: تخلطوا بنفقتكم بنفقتهم ﴿فَاِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين، ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه؛ أي: فلكم ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿وَمِنَ الْمُصْلِحِ﴾ بها؛ فيجازي كلًّا منهما ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ﴾ لَصَيَّقَ عليكم بتحريم المخالطة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه<sup>(٥)</sup>. [٢٢١] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ تزوجوا أيها المسلمون ﴿الشَّرِكَاتِ﴾ أي: الكافرات ﴿حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا تُؤْمِنَنَّ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾ حرة، لأن سبب نزولها العيب<sup>(٦)</sup> على من تزوج أمة، وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لجمالها ومالها، وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية: ﴿وَالْفَضْلُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وَلَا تَنْكِحُوا تَزَوَّجُوا ﴿الشَّرِكَاتِ﴾ أي: الكفار المؤمنات ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَمْ يَدْعُوا مِنْ خَيْرٍ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لماله وجسماله ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: أهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْفَارِ﴾ بدعاهم إلى العمل الموجب لها؛ فلا تليق مَنَّا كُفُّهُمْ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو﴾ على لسان رسله ﴿إِلَى الْيَتَى وَالْمَغْفِرَةِ﴾ أي: العمل الموجب لهما ﴿بِذُنُوبِهِ﴾ بإرادته؛ فتجب لإجابته بتزويج أوائله ﴿وَيَتَّبِعُ الْيَتَامَى لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون. [٢٢٢] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ أي: الحيض أو مكانه، ماذا يفعل بالنساء فيه؟ ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ قدر أو محله ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ اتركوا وطأنهم ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ أي: وقته أو مكانه<sup>(٧)</sup>، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّى يَبْهَرَنَّ﴾ بسكون الطاء وتشديدها والهاء، وفيه إدغام اتاء في الأصل في الطاء<sup>(٨)</sup>؛ أي: يتسلسل بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا تَبَهَّرَنَ فَأَتَوْهُنَّ﴾ بالجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ بتجنبه في الحيض؛ وهو: القُبْلُ، ولا تعدوه إلى غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ ييب ويكرم<sup>(٩)</sup> ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ من الأثام<sup>(١٠)</sup>. [٢٢٣] ﴿يَسْأَلُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: محل زرعكم الولد ﴿فَأَتُوا خَيْرَكُمْ﴾ أي: محله؛ وهو: القُبْلُ ﴿أَتَى﴾ كيف ﴿شَيْئًا﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار، ونَزَلَ رَدًّا لقول اليهود: «من أتى امرأته في قُبْلها؛ أي: من جهة دُبُرِها جاء الولد أحول»<sup>(١١)</sup> ﴿وَقَدِّمُوا لِأَشْيَاكُمْ﴾ العمل الصالح؛ كالنسيئة عند الجماع

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا أَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا تُعْجِبْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا تُعْجِبْكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَبْهَرَنَّ فَإِذَا تَبَهَّرَنَ فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ نَسَأُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ فَأَتُوا خَيْرَكُمْ إِنْ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُكْفَوُونَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُكْفَوُونَ﴾ بالبعث؛ فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَيُبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين اتقوه بالجنة. [٢٢٤] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ أي: الحلف به ﴿عُرْضَةً﴾ عِلَّةً مَانِعَةً ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: نَعْيًا<sup>(١٢)</sup> لها بأن تكفروا بالحلف<sup>(١٣)</sup> به ﴿أَنْ﴾ لا تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا فَكُفَرَةُ الْيَمِينِ على ذلك، ويسن فيه الحنث، ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه، فهي طاعة ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ المعنى: لا تمنعوا من

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٠): أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَامَى﴾ إلّا يأتي من أحسن [الأوامر: ١٥٢] ﴿وَأَنْ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى لُلنِّسَاءِ﴾ الآية (٢١٠)، انطلق من كان عنده نعيم فعزل طعامه من طعامه وشرا به من شرا به، فما يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يبعده، فاشد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷻ فأذن الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه، وشرا به بشرا به. أبو داود - كتاب الوصايا (١٢) باب (٧) مخالطة اليتيم في الطعام ...

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٢): أخرج مسلم: عن أنس ﷺ: أن اليهود كانوا إذا حاصت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ فأذن الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ...﴾ إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷻ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. مسلم - كتاب الحيض (٣) باب (٢) جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله.

(٥٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٣): أخرج البخاري عن ابن المنكدر قال: سمعت جابرًا ﷺ قال: «كانت اليهود تقول: إذا جامعنا من ورثها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿يَسْأَلُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ فَأَتُوا﴾

(١) التعيب من المسلمين. (٢) يشير إلى ما أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٤٥ عن ابن عباس أن الآية نزلت في عبد الله بن رواحة ﷺ؛ كانت عنده أمة سوداء فأعتقها وتزوجها؛ فأبوا عليه ذلك وعابوه؛ فأذن الله: ﴿وَلَكُمْ مَوْلَاكُمْ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾. وضعف إسناده في الاستيعاب (١٦٨/١)؛ قال: فيه أسباط من نصر؛ ضعفه النسائي وأبو زرعة وأبو نعيم وغيرهم. (٣) فهو مصدر مبني يصلح للحدث والزمان والمكان. (٤) بتشديد الطاء وفحها وفتح الهاء، قراءة حمزة والكسائي وشعبة. (٥) وهذا تأويل لصفة الحجة ببعض لوازمها، وسبق بيان المذهب الحق في ذلك وإثباته وغيرها من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به - شيخنا. (٦) الحسية والمعنوية. (٧) البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥) من حديث جابر. وانظر ما جاء في نزول الآية. (٨) المعنى: لا تجعلوا الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من البر والتقوى؛ يُدعى أحدكم إلى بر أو صلة رحم فيقول: قد حلفت بالله لا أفعله؛ فيعتل بيمينه في ترك البر والإصلاح. (٩) أي: غرضاً مانعاً من فعل البر. (١٠) هذا تفسير آخر للآية؛ أي: لا تكفروا بالحلف لما فيه من اجتذاب اسمه - تعالى - في كل شيء، وكان المناسب أن يقول: «أو أن» =

سَمِعُ ﴿١﴾ لِقَوْلِهِمْ ﴿٢﴾ عَزَمَهُمُ، المعنى: ليس لهم بعد تريض ما دُكِرَ ﴿١﴾ إلا الفئحة أو الطلاق.

[٢٢٨] ﴿وَالطَّلَاقُ يَرْبِصُهُ﴾: أي: لينتظر ﴿يَأْتِسُهُ﴾: عن النكاح ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾: (٥٥) تمضي من حين الطلاق، جمع قرء؛ بفتح القاف (٢)؛ وهو: الطهر (٣)، أو الحيض (٤)، قولان، وهذا في المذحول بهن، أما غيرهن؛ فلا عدة عليهن؛ لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ﴾ (٥) وفي غير الآيسة والصغيرة: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾، والحوامل: فعدهن ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (٦) كما في سورة الطلاق، والإمام: فعدهن قرءان بالشئ. ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهِنَّ أَنْ يَكُنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْسَالِهِنَّ﴾ من الولد والحيض ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِآلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ويؤملهن ﴿أَزْوَاجَهُنَّ﴾ ﴿أَتَتْهُنَّ بِهِنَّ﴾ بمراجعتن، ولو أتين (في ذلك) أي: في زمن التريص ﴿إِنْ أَرَادَا إِصْلَاحًا﴾ بينهما؛ لإضرار المرأة (٧)، وهو تخريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي، ﴿أَتَتْهُ﴾ لا تفضيل فيه؛ إذ لا حق لغيرهم من نكاحهن (٨) في العدة ﴿وَلَهِنَّ﴾ على الأزواج ﴿وَمِثْلَ الَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿بِالْمَقْرُونِ﴾ شرعاً؛ من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك ﴿وَاللِّزَالِ﴾ عَلَيْهِنَّ ذِمَّةٌ فضيلة في الحق؛ من وجوب طاعتهم لهم ما سافوه من المهر والإنفاق ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبره لخلقهم.

[٢٢٩] ﴿أَطْلُقَ﴾: أي: التطلق الذي يُرَاجِعُ بَعْدَهُ ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: أي: اثنتان ﴿فَإِنْ سَأَلْتَهُ﴾: أي: فعليكم إيساكن بعده بأن تراجعوه ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: من غير ضرر ﴿أَوْ تَصْرِيحٍ﴾: أي: إرسالهن ﴿بِإِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾: أيها الأزواج ﴿أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا عَاقَبْتُمُوهُنَّ﴾: من المهور ﴿شَيْئًا﴾: إذا طلقتموهن <sup>(٩)</sup> ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾: أي: الزوجان ﴿أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: أي: أن لا يأتيا بما خُذَ لهما من الحقوق، وفي قراءة: ﴿يَخَافَا﴾ <sup>(١٠)</sup> بالبناء للمفعول، فـ﴿إِلَّا يُقِيمَا﴾: بدل اشتمال من الضمير فيه، وقرئ: بالفوقانية في الفعلين <sup>(١١)</sup> ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَمْ نَ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: فلا جَنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ، نفسها من المال ليطلقها؛ أي: لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿يَتَلَفُ﴾: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾: فَلَ تَعُدُّوْهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ قَالَ تَلَفَ هُمُ الظَّالِمُونَ.

[٢٣٠] ﴿وَإِنْ طَلَّقَهَا الزَّوْجُ بَعْدَ الثَّانِيَيْنِ ۖ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ بَعْدَ الطَّلَاقِ الثَّالِثِ ۚ حَتَّىٰ تَنْكِحَ ۚ زَوْجًا غَيْرَهُ ۚ وَيُطَاهَا ۚ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الشَّيْخَانُ <sup>(١٧)</sup> ﴿وَإِنْ طَلَّقَهَا ۙ أَيْ: الزَّوْجُ الثَّانِي ۖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۙ أَيْ: الزَّوْجَةُ وَالزَّوْجُ الْأَوَّلُ ۖ أَنْ يَتَزَاوَجَا ۙ إِلَى النِّكَاحِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ ۚ إِنْ طَلَّقَ ۙ أَيْ قِيمَا حَدُودِ اللَّهِ ۖ وَكَذَلِكَ الْمَذْكُورَاتِ ۖ حَدُودُ اللَّهِ بِبَيْتِهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۚ

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِنْ شَيْءٍ بِهَمْ تَرْصُدُ أَرْبَعَهُ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ وَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالطَّلَاقُ يَتَرَضَّضُ بِأَنْفُسِهِمْ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَعْلُوهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ أَوْ تَشْتَمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ آلُ الْيَقِيمِ مَا حُدِّدَ اللَّهُ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَاقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٩﴾ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَنْ يَنْكِحَ رَجُلًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾

فَقُلْ مَا دُكِّرَ مِنَ الْبَرِّ وَنَحْوَهُ إِذَا حَلَفْتُمْ عَلَيْهِ، بَلِ اتَّبَعُوا كُفْرًا؛ لِأَن سَبَبَ نَزُولِهَا الْامْتِنَاعُ مِنْ ذَلِكَ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأَقْوَالِكُمْ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَحْوَالِكُمْ.

[٢٢٥] لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ الْكَاسِ ۚ فِي أَنْتُمْ بِهٖ ۖ وَهُوَ مَا يَسْبِقُ إِلَيْهِ  
 اللسان من غير قصد الحلف: نحو: والله، وبسبى والله، فلا إثم عليه، ولا  
 كفارة<sup>(١)</sup> ۚ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ أَى: قصده من الأيمان إذا  
 حنثتم ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ۚ لَمَّا كَانَ مِنَ اللَّغْوِ ۚ حَلِيمٌ ۚ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

[٢٢٦] ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلِّقُونَ مِن ثِيَابِهِمْ﴾ أي: يحلفون أن لا يجامعوهم ﴿فَرَضَ﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُبٍ فَإِنْ قَاءُوا﴾ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزَمَ﴾ لهم ما أنوه من ضرر المرأة بالخلف ﴿حُجْمَهُمْ﴾ بهم.

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ أَيْ: عَلَيْهِ؛ بَأْن لَا يَفِيضُوا؛ فَيُوقِعُوهُ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ

... حَرَّكْتُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴿٥٠﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣٩).

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٢٢٥): أخرج البخري عن عائشة رضي الله عنها قالت: **﴿لَا يُؤْمِنُكُمْ اللَّهُ بِالَّذِينَ﴾** أنزلت في قوله: لا والله، وبلى والله. البخاري - كتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (١٤).  
(هـ) ما جاء في نزول الآية (٢٢٨): أخرج أبو داود: عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها أنها طلقت على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن للمطلقة عدة، فأقرن الله ﷻ حين طلقت أسماء بالعدة للطلاق، وكانت أول من أنزلت فيها العدة للمطهقات. أبو داود - كتاب الطلاق (٧) باب (٣٦) (في عدة المطلقة) حسن. صحيح سنن أبي داود (١٩٩٦).

= تكتروا... بدلاً من قوله: «يأتون تكتروا» (١) أي: الأربعة أشهر. (٢) إنما ضبطه المفسر بالفتح قطعاً عنه أي يصح فيه الوجهان بالضم والفتح لأجل جمعه في الآية على «قروء»؛ مفردوها: «قروء» أما «قروء» فجمعها «أقرواء» (٣) وهو مذهب الجمهور. (٤) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في رواية، وهو الراجح بأدلة كثيرة جمعها ابن القيم في [زاد المعاد (٢٢٥/٤)]. (٥) لأحزاب: ٤٩. (٦) الطلاق: ٤. (٧) فحرم الرجعة إذا ذك. (٨) صوابه أن يقول: فلا حق لغيرهم في ردّهن ورجعتن كما عر به غيره. (٩) أي: وأما إن كانت في عصمته وهبت له صداقها أو بعضه فلا بأس بذلك. (١٠) لحزمة. (١١) وهي قراءة شاذة. (١٢) البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنَ أَوْلَادَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَلِلَّهِ يَمُوتُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ يُعْطِيكُمْ بِهِ أَنْ تَشْكُرُوا بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولا يخفى عليه شيء.

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْمَلُوهُنَّ﴾ خطاب للأولياء أي: تمتعهن من ﴿أَنْ يَتَكَبَّرَ أَوْلَادُهُنَّ﴾ المطلقين لهن؛ لأن سبب نزولها: أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها، فأراد أن يراجعها؛ فمنعها معقل بن يسار؛ كما رواه الحاكم<sup>(١)</sup> ﴿إِذَا رَزَّوْا﴾ أي: الأزواج والنساء ﴿بِئْتَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً ﴿ذَلِكَ﴾ النهي عن العضل ﴿يُؤَظُّ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنه المتفع به ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ترك العضل ﴿أَنْذَرُ﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَاللَّهُ يَسْتَلِمُ﴾ ما فيه المصلحة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فاتبعوا وأمره.

[٢٣٣] ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ﴾ أي: ليرضعن ﴿أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صفة مؤكدة<sup>(٢)</sup>، ذلك ﴿لَعَنْ أَرَادَ أَنْ يَمُومَ الرِّضَاعَةَ﴾ ولا زيادة عليه ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي: الأب ﴿رِضْعَتُهُ﴾ إتمام الولادات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع إذا كنَّ مطلقات ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر طاقته ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها ﴿لَا تُضَاكِرُ وَلَدَهُ﴾ يولد لها أي: بسببه بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودٌ لَمْ يُولَدْ﴾ أي: بسببه بأن يكلف فوق طاقته، وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعفاف<sup>(٣)</sup> ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أي: وارث الأب؛ وهو: الصبي؛ أي: على وليه في ماله ﴿وَمِثْلُ ذَلِكَ﴾ الذي على الأب للولادة من الرزق والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي: الوالدان ﴿فِيصَالًا﴾ فطاماً له قبل الحولين، صادراً ﴿عَنْ تَرَايَ﴾ اتفاق ﴿وَبَيْنَهُمَا وَتَشَاوَرُ﴾ بينهما؛ لتظهر مصلحة الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خطاب للآباء ﴿أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مراضع غير الولادات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إليهن ﴿مَنْ أَيْتَكُمْ﴾ أي: أردتم إيتاءه لهن من الأجرة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالجميل؛ كطبيب النفس ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمَلُوا﴾ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنَ أَوْلَادَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَلِلَّهِ يَمُوتُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ يُعْطِيكُمْ بِهِ أَنْ تَشْكُرُوا بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنَ أَوْلَادَهُنَّ فَلَا تَعْمَلُوهُنَّ أَنْ يَتَكَبَّرَ أَوْلَادُهُنَّ إِذَا تَرَضَّوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ يَوْلَادِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُ لَهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمَلُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(١) ما حاه في نزول الآية (٢٣٢): أخرجه البخاري عن الحسن قال: ﴿فَلَا تَعْمَلُوهُنَّ﴾ قال: حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه؛ قال: زوجت أخت لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها؛ فقلت له: زوجتك وأنت شاك وأكرمك فطلقتها؛ ثم جئت تخطفها ١٩ لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأقول الله: ﴿فَلَا تَعْمَلُوهُنَّ﴾، فقلت: الآن أقبل يا رسول الله، قال: فزوجها إياه. البخاري - كتاب الطلاق (٢٧)، باب (٧٥) نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث.

(١) أي: العدة.

(٢) أطلق الاستهزاء وأراد المخالفة.

(٣) رواه البخاري (٤٥٢٩)، وإحاكم (٢٨٠/٢).

(٤) وقائدتها اعتبار الحولين من غير نقص.

(٥) وتنبه على أنه حقيق بأن يتفقا على استصلاحه والإشفاق عليه؛ فلا ينبغي أن يحضروا به أو يتصافوا بسببه.

أَجَلَهُنَّ ﴿٢٣٥﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض للخطاب ﴿يَا مَعْرُوفُ﴾ شرعا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره.

﴿٢٣٥﴾ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ لَوْعَتُمْ﴾ أي من خطبة أَيْلَةٍ المتوفى عنهن أزواجهن في العدة، كقول الإنسان - مثلا -: «إني لك جميلة، ومن يجد مثلك، وزُت راعب فيك» ﴿أَوْ أَكْتَشَفْتُمْ﴾ أضمرتم ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَكَرْتُمْ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن؛ فأباح لكم التعريض ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نكاحا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: ما عرف شرعا من التعريض، فلكم ذلك ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي: على عقده ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ أي: المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُ﴾ بأن ينتهي ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَلِيظٌ﴾ لمن يحذرهم ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

﴿٢٣٦﴾ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١): ﴿تَمَسَّوَهُنَّ﴾ أي: تجمعوهن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَقْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرا، ومصدرية ظرفية؛ أي: لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض يائمه ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿وَعَلَى الْيَسِيرِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ﴾ الضعيف الرزق ﴿قَدَرُهُ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الروجة ﴿مَتْنَعًا﴾ تمتعا ﴿يَا مَعْرُوفُ﴾ شرعا، صفة ﴿مَتْنَعًا﴾ ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية، أو مصدر مؤكد (٢) ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

﴿٢٣٧﴾ ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيُصَفِّ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ يَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا بَرَّصْنَ أَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٥﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَشَفْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْ كُمْ سَتَدَّ كُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٦﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٧﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيُصَفِّ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ يَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٨﴾

﴿٢٣٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ يموتون ﴿مِنْكُمْ﴾ منكم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَّصْنَ أي: ليربصن ﴿يَا بَرَّصْنَ﴾ بتدبرهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل: فعدتهن ﴿أَنْ يَصْنَعَ حَمْلُهُنَّ﴾ بآية الطلاق، والأمة على النصف من ذلك بالشبهة (١) ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ

(١) أي عدة الأمة المطلقة؛ كما في حديث عائشة مرفوعا: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حاضنة». رواه الترمذي (١٨٢) وضعفه، وأبو داود (٢١٨٩)، وابن ماجه (٢٠٨٠)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (١١٩٩). ورواه الدارقطني عن ابن عمر مرفوعا ومرفوعا وصحح الموقوف كما في اللخيص الجير (٢١٣/٢).

(٢) الحزمة والكسائي.

(٣) في النسخة المطبوعة: «مؤكدة»، والمثبت من الصاوي.

[٢٣٨] ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها **﴿وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾** <sup>(١)</sup> هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال، وأفرادها بالذكور؛ لِقَضَائِهَا **﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾** في الصلاة **﴿فَلْيَتَنَزَّلِ﴾** قيل: مطيعين لقوله ﷺ: «كُلُّ قُتُوبٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ طَاعَةٌ» <sup>(٢)</sup> [رواه أحمد وغيره]؛ وقيل: ساكتين؛ لحديث زيد بن أرقم: «كُنَّا تَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ، فَأَمْرًا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنِ الْكَلَامِ» <sup>(٣)</sup> [رواه الشيخان]. [٢٣٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو أو سيل أو سبع **﴿وَفِي السَّالَى﴾** جمع راجل؛ أي: مشاة، صلوا **﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾** جمع راكب؛ أي: كيف أمكن؛ مستقبلتي القبلة أو غيرها، ويومئ بالركوع والسجود **﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾** من الخوف **﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾** أي: صلوا **﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾** قيل تعليمه؛ من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنى: مثل، و**﴿مَّا﴾** مصدرية أو موصولة.

[٢٤٠] ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليوصوا **﴿وَصِيَّةً﴾** وفي قراءة: بالرفع <sup>(٤)</sup>؛ أي: عليهم **﴿لَا زَوْجَهُمْ﴾** وليعطوهم **﴿مَتْنَعًا﴾** ما يتمتع به من النفقة والكسوة **﴿إِلَى﴾** تمام **﴿الْحَوْلِ﴾** من موتهم، الواجب عليهن تربصه **﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾** حال؛ أي: غير مخرجات من مسكنهن **﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾** بأنفسهن **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾** يا أولياء الميت **﴿فِي مَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾** شرعاً؛ كالترين، وترك الإحداد، وقطع النفقة عنها **﴿وَاللَّهُ غَفِيرٌ﴾** في ملكه **﴿حَكِيمٌ﴾** في شئيه، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث، وترصص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة في النزول، والسكنى ثابتة لها عند الشافعي <sup>(٥)</sup> - رحمه الله ..

[٢٤١] ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ﴾ يُعْطِيَنَّ **﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾** بقدر الإمكان **﴿حَقًّا﴾** نصب بفعله المقدر <sup>(٦)</sup> **﴿عَلَى الْكُفْرَيْنِ﴾** الله - تعالى -، كرره ليغمم المسوسة أيضاً؛ إذ الآية السابقة في غيرها.

[٢٤٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر **﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ﴾** لَمَلَكُمْ تَعْلَمُونَ تتدبرون.

[٢٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجب <sup>(٧)</sup> وتشويق <sup>(٨)</sup> إلى استماع ما بعده؛ أي: ينته علمك <sup>(٩)</sup> **﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾** أربعة أو ثمانية أو عشر أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً <sup>(١٠)</sup> **﴿حَدَرُ الْمَوْتِ﴾** مفعول له، وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم؛ ففروا **﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾** فماتوا **﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾** بعد ثمانية أيام أو أكثر؛ بدعاء نبهم **﴿جَزْئِيلٍ﴾** - بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي -، فعاشوا دهرًا عليهم أثر

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَعْفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

الموت لا يلبسون ثوباً إلا عَادَ كَالْكُنُ، واستمرت في أسباطهم **﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾** ومنه إحياء هؤلاء **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾** وهم الكفار **﴿لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾** والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال، ولذا عطف عليه: [٢٤٤] **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** أي: لإعلاء دينه **﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾** لأقوالكم **﴿عَلِيمٌ﴾** بأحوالكم فمجازيكم. [٢٤٥] **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ﴾** بإنفاق ماله في سبيل الله **﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾** بأن ينفقه لله **﴿يُكَلِّلُ﴾** عن طيب قلب **﴿فَيَضَعْفُهُ﴾** وفي قراءة <sup>(١)</sup>:

(١) ما جاء في نزول الآية (٢٣٨): أخرج أبو داود عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهجرة. ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله ﷺ منها، فنزلت. **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾** وقال: «إِنْ قَبِلَهَا صَلَاتَيْنِ بَعْدَهَا صَلَاتَيْنِ، أَبُو دَاوُدَ. كتاب الصلاة (٢) باب (٥) في وقت صلاة العصر (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٩٧). وأخرج مسلم عن شقيق بن عتبة عن البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية: **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾** فقراها ما شاء الله ثم نسخها الله فنزلت: **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾** فقال رجل كان جالساً عند شريق له: هي إذن صلاة العصر؟ فقال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله. والله أعلم. مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (٣٦) (الدليل من قال: الصلاة الوسطى صلاة العصر).

وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: **﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾** فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام. مسلم. المساجد ومواضع الصلاة (٥) باب (٧) تحريم الكلام في الصلاة.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٧٥/٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٢٥). (٢) البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٣٩). (٣) لنافع وابن كثير والكسائي وشعبة. (٤) أي: أربعة أشهر وعشرا. (٥) وتقديره: أحقه. (٦) أي: إلقاء للمخاطب في العجب، ويستفاد من الآية أن المخاطب لم يسبق له علم بتلك القصة قبل نزول الآية. (٧) أي: إيقاعه في الشوق؛ لأن ما سبق بعد الطلب أُلْدِمَ مما سبق فلا تعب، وعطف التشويق على العجب من عطف المسبب على السبب. (٨) فيه إشارة إلى أن الرؤية علمية، وضمن الفعل معنى الانتهاء؛ ليصح تعديته بماء إلى؛ أي: أُلْدِمَ ينته علمك إلى كذا. (٩) ذكر المفسر سنة أقوال، أصحابها الثلاثة الأخيرة؛ لأن ألوفاً جمع كثرة، ومبدؤه بعد العشرات. (١٠) لابن كثير. بالتشديد. مع الرفع، ولابن عامر. بالتشديد. مع النصب، ولحمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو بالرفع مع التخفيف ومع إثبات الألف، ولعاصم بالنصب مع التحفيف وإثبات الألف.

شَمُولٍ ﴿أَفَتَرَى إِلَىٰ آلِمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ بَعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالُوا هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَتَيْنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا سَبْطُ الْمُلْكَةِ وَلَا النُّبُوَّةُ، وَكَانَ دُبَاغًا أَوْ رَاعِيًا ﴿وَلَمْ يَكُنْ يَدْعُهُ مَلِكًا﴾ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَىٰ إِقَامَةِ الْمُلْكِ ﴿قَالَ﴾ النَّبِيُّ لَهُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي سَعَةِ فِي الْوَلَدِ وَالْجَسَدِ﴾ وَكَانَ أَعْلَمُ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَوْمَئِذٍ وَأَجْمَلُهُمْ وَأَتْمَمَهُمْ خَلْقًا ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مِّنْ يَّشَاءُ﴾ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فَضْلُهُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بَيْنَ هَؤُلَاءِ لَهُ.

﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: ﴿لَمَّا طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً عَلَىٰ مَلِكِهِ: ﴿إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِي الْقِبْلَةِ﴾ الصَّدُوقُ، كَانَ فِيهِ صُورُ الْأَنْبِيَاءِ، أَنْزَلَهُ عَلَىٰ آدَمَ وَاسْتَمَرَ إِلَيْهِمْ؛ فَغَلِبَهُمُ الْعِمَالَةُ عَلَيْهِ وَأَخَذُوهُ، وَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ، وَيَقْدُمُونَهُ فِي الْقِتَالِ، وَيَسْكُونُ إِلَيْهِ ﴿٢٤٩﴾﴾ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ لِّطَائِفَةٍ لِّقُلُوبِكُمْ﴾ وَبَيْنَ رِيكِكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ، وَهِيَ تَعَالَىٰ مُوسَىٰ وَعَصَاهُ وَعِمَامَةُ هَارُونَ، وَفَقِيزٌ مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ، وَرَضَاضٌ ﴿٢٥٠﴾ مِنَ الْأَوَالِحِ ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ حَالٌ مِنْ فاعِلٍ ﴿يَأْتِيَكُمُ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم﴾ عَلَىٰ مَلِكِهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّىٰ وَضَعَتْهُ عِنْدَ طَالُوتَ؛ فَأَقْرَأُوا مَلِكَهُ وَتَسَارَعُوا إِلَىٰ الْجِهَادِ؛ فَاخْتَارَ مِنْ شَبَابِهِمْ سَبْعِينَ أَلْفًا.

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ بَعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالُوا هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَتَيْنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مَّن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٩﴾

﴿فِيضَعْفُهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةٌ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة - كما سيأتي - ﴿وَاللَّهُ يَفْقَهُ﴾ يَمْسِكُ الرِّزْقَ عَمَّنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً ﴿وَيُضَيِّطُ﴾ يُوسِعُهُ لِمَنْ يَشَاءُ امْتِحَانًا ﴿وَلِأَيِّهِ تُرْجَعُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ بِالْبَعْثِ؛ فَيَجْازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ﴿٢٥٠﴾

﴿٢٤٦﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الْمَلِكِ﴾ الْجَمَاعَةِ ﴿وَمِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ أَيُّ: إِلَىٰ قِصَّتِهِمْ وَخَبَرِهِمْ ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ بَعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَتَيْنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ كَفًّا﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، وحاطني الذي كان يمكان كذا وكذا، والله لو استطعت أن أسرها لم أعلنها، قال: «راجعته في قراءه أهلكه» أحمد - المسند (٤١/٣) - وأصله في الصحيحين مطوّلًا، وسيأتي في سورة آل عمران، الآية (٩٢)، وانظر رواية الترمذي عند الآية (١١) من سورة الحديد.

(١) أي بفتح السين وكسرهما، والكسر قراءة نافع.

(٢) أي النبي المذكور في الآية السابقة.

(٣) الكلام عن التابوت وحيثه وتوارثه... إلخ لم ينبت فيه شيء عن النبي ﷺ وإنما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، وحملها عنهم بعض اصحابنا والتابعين، ومرجعها إلى وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وأمثالهما، والإسرائيليات على ثلاثة أقسام: الأول: ما علم صحته بالنقل الصحيح، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده؛ فهذا صحيح مقبول، الثاني: ما علم كذبه من شرعنا أو كان لا يتفق مع العقل؛ فهذا لا يصح قبوله ولا روايته، الثالث: ما سكت عنه؛ لا هو من قبيل الأول، ولا قبيل الثاني؛ فهذا نتوقف فيه لا نكذبه ولا نصدق.

(٤) وضاض (بضم الراء): أي فئات.



فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ  
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ  
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ  
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ  
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَمَنْ فَعَرَ  
 قَلِيلَةً عَلَيَّ فَتَةً كَثِيرَةً يَا ذِئْبُ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ  
 الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا  
 رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا  
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ  
 وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ  
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ  
 بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنِ اللَّهُ ذُو  
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا  
 عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

[٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حراً شديداً وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي؛ وهو: بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ أَي: من مائه﴾ ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أتباعي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ يَدْفَعْ﴾ ﴿فَأَنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح والضم (١) ﴿بِيَدِهِ﴾ فاشتفى بها ولم يزد عليها؛ فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لما وافوه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ فاقصروا على الغرقة، روي أنها كفتهم بشر بهم ودوابهم، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرقة ﴿قَالُوا﴾ أي الذين شربوا (٢) ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: بقتالهم، وجنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ﴾ بالبعث؛ وهم: الذين جاوزوه: ﴿كَمَنْ فَعَرَ قَلِيلَةً عَلَيَّ فَتَةً كَثِيرَةً﴾ خبرية، بمعنى: كثير ﴿وَمِنْ فَتَةٍ﴾ جماعة ﴿قِيلَ عَلَيَّ فَتَةً كَثِيرَةً﴾ بِإِذْنِ اللَّهِ بِإِرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنصر.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: ظهوروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٥١] ﴿فَهَزَمُوهُمْ كَسَرُوهُمْ﴾ بِإِذْنِ اللَّهِ بِإِرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة بعد موت شمويل وطالوت، ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كصناعة الدروع، ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ بدل، بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخریب المساجد ﴿وَلَٰكِنِ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فدفع بعضهم ببعض.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿وَأَنبَأْتُ اللَّهَ تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ﴾ بِالْحَقِّ بِالصدق ﴿وَأَنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ التأكيد «إن» وغيرهارد لقول الكفار له: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ (٣).

(١) أي: فتح العين وضمها، والفتح قراءة لدفع وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالضم.

(٢) أي: العصاة، وعلى هذا التفسير يكون قولهم تبرؤوا لنكولهم، وأكثر المفسرين على أنهم قالوا هذا القول بعدما عبروا النهر مع طالوت ورأوا جالوت وجنوده، وبعض المفسرين - ومنهم المصنف - أن العصاة لم يعبروا النهر، بل وقفوا بساحله وقالوا معتذرين عن التضلل منادين ومسمعين لطالوت والمؤمنين معه: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ﴾ الآية؛ ولذا قال المصنف: ... وجنوا ولم يجاوزوه. ويحتمل أن يكون القائلون هم طائفة ممن عبروا مع طالوت ولم يشربوا من النهر، ولكن حصل معهم نوع استضعاف لأنفسهم فجمعهم على الثبات والإقدام أهل الإيمان الكامل واليقين الراسخ.

(٣) الرعد: ٤٣.



اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُهُم مِّنَ  
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ  
أَنَآتَهُ اللَّهُ الْمَلَكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي  
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي  
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي  
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَّآلِ  
مَرِّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي  
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ  
وَقَالَ كَمْ لَيْتَ قَالَ لَيْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ  
لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ  
وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَنُظْئِرْ إِلَى  
الْعِطَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَامَ فَمَا  
تَبَيَّنَ لَهُ وَقَالَ أَعْمَى أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

[٢٥٧] ﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾ ناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾  
الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾  
يُخْرِجُهُم مِّنَ النَّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ذكر الإخراج؛ إما في مقابلة قوله:  
﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾، أو في كُلِّ مَن آمَنَ بالنبي قَتَلَ بعثته من اليهود ثم  
كَفَر به<sup>(١)</sup> ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٥٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ جَادَلَ ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لَدَى ﴿أَنَآتَهُ﴾  
عَاتَبَهُ اللَّهُ الْمَلَكُ ﴿أَي: حَمَلَهُ نَظَرُهُ نِعْمَةً اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ؛ وهو: النمرود﴾  
﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿حَاجَّ﴾ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿لَا قَالَ لَهُ: مَن رَّبُّكَ الَّذِي﴾  
تَدْعُونِي إِلَيْهِ؟: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أَي: يخلق الحياة والموت في  
الأجساد ﴿قَالَ هُو: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالقتل والعفو عنه؛ ودعا  
برجلين، فقتل أحدهما، وترك الآخر، فلما رآه نَحِيًّا<sup>(٢)</sup> ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ منتقلاً  
إلى حجة أوضح منها: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾  
أنت ﴿مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ تَحَيَّرَ وَدُهَشَ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي﴾  
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ بالكفر إلى محبة الاحتجاج.

[٢٥٩] ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَّآلِ مَرِّ عَلَى قَرْيَةٍ زَائِدَةً﴾ الكاف زائدة ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾  
هي بيت المقدس<sup>(٣)</sup>، راكبا على حمار، ومعه سلة تين وقدح عصير؛ وهو:  
عزيز<sup>(٤)</sup> ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقطوها لما خَرَبَهَا  
﴿بِخَنَصٍ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿قَالَ أَنَّى﴾ كيف<sup>(٦)</sup> ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟﴾  
استعطافاً لقصرته - تعالى<sup>(٧)</sup> - ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ وَالْبَيْتُ عَائِدٌ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾  
أحياء ليريه كيفية ذلك ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿كَمْ لَيْتَ﴾ مكنت هنا؟  
﴿قَالَ لَيْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه نَامَ أَوَّلَ النَّهَارِ، فقبض، وأحيى عند  
الغروب؛ فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَلْ لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى﴾  
طَعَامِكَ ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير مع طول  
الزمان، والبهاء؛ قيل: أصل من «سَانِهَتْ»<sup>(٨)</sup>، وقيل للسكت من  
«سَانِهَتْ»<sup>(٩)</sup>، وفي قراءة: بحذفها<sup>(١٠)</sup> ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف هو؛  
فَرَأَهُ مِيتًا وعظامه بيض تلوح! فَعَلْنَا ذَلِكَ لتعلم ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً﴾ على  
البعث ﴿لِّلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِطَامِ﴾ من حِمَارِكَ ﴿كَيْفَ﴾  
[نُشْرِهَا] نَحْيِيهَا<sup>(١١)</sup> ﴿بِضْمِ النَّونِ، وَقرئ: بفتحها<sup>(١٢)</sup>﴾ من «أنشر، ونشر»

لغتان<sup>(١٣)</sup>، وفي قراءة: بضمها، والزاي<sup>(١٤)</sup>؛ نحرهما ونرفعها<sup>(١٥)</sup> ﴿ثُمَّ  
نَكْسُوهَا الْحَمَامَ﴾ فنظر إليه وقد تركت وكسيت لحمًا ونفخ فيه الروح ونَهَقَ  
﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْمَى﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ اللَّهَ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي قراءة: ﴿أَعْلَمُ﴾<sup>(١٦)</sup> أمر من الله هـ.

(١) قوله: «ذكر الإخراج... إلخ» جواب عن سؤال مقدر حاصله: أن الكفار لم يكونوا في نور حتى يخرجوا منه إلى الظلمات، فكيف ذلك؟ أجاب المفسر بجوابين، الأول: أنه مشاكلة لما قبله، والمراد  
منهم من أصل النور، والثاني: أنه إخراج حقيقي، وهو في كل من آمن بالنبي ﷺ قبل موته ثم ارتد بعد ذلك (٢) أي: إن قوله: ﴿أَنَآتَهُ اللَّهُ الْمَلَكُ﴾ مفعول لأجله، وهو سحرور  
باللام لفقد أحد شروطه؛ وهو: عدم اتحاد الفاعل؛ لأن فاعل المحاجة هو النمرود، وفاعل إتياء الملك هو الله، وإنما حذف اللام لأن حذفها مطرد مع «أَن» و«إِنَّ». (٣) أي: بدل اشتمال.  
(٤) حيث لم يفهم معنى الكلام؛ لأن معنى: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: يخلق الحياة والموت، وما أجاب به اللعين ليس فيه خلق لهما كما هو ظاهر؛ ومن ثم فلم يلق عليه إبراهيم في ذلك وانتقل إلى حجة  
أخرى أظهر.

(٥) أشار بهذا إلى أن ﴿كَاذِبِي﴾ معمول لحذوف يدل عليه السياق، وبه قال بعضهم، لكن من قال به يجعل الكاف اسماً بمعنى «مثل» لا زائدة. أما من جعلها زائدة جعل مدحولها مَقْطُوعًا على  
الموصول ولا يكون في الكلام حذف عامر، فُلِقَ الشارح بين القولين على وجه أوجب صعوبة الفهم. (٦) وقيل: هي القرية التي خرج منها الألو فحذر الموت. وقيل: غيرهما.  
(٧) وهذا هو القول المشهور، وقيل: غير ذلك، وصحح البعض أنه رجل شاك في البعث، كما هو ظاهر الآية... ولعله الأقرب من هذه الحادثة والتي قبلها كدليلين عظيمين على قدرة الله، وعلى  
البعث، ولا فائدة في الاشتغال بتعيين ما أبهمه الله في كتابه، والله أعلم.

(٨) «بخت»: معناه: ابن، و«نشر»: اسم للضم؛ سمي بذلك لأن أمه لما ولدته وضعت عنده، فلما وجدته قالوا: بختنصر. أي ابن الصم، وكان كافراً مَلَكَ الأرض مشرقاً ومغرباً.  
(٩) وقيل: بمعنى: متى. (١٠) أي: لا يقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة.

(١١) أي: فهي لام الكلمة، والفعل مجزوم بسكون الهاء، فأصل سنة: سنهة، وهي ثابته وصلًا ووقفًا.

(١٢) أي: فهي زائدة، والام الكلمة واو، والفعل مجزوم بحذف حرف العلة، وثبت الهاء في الوقف لا في الوصل، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(١٣) أي: وصلًا، وظاهره أنها قراءة مستقلة وليس كذلك؛ وإنما هي بقية قراءة حمزة والكسائي، فهي عندهما ثبتت وفقًا وتحذف وصلًا.

(١٤) هذا التفسير لا يلزم مع قومه بعدها: ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لِكْسًا﴾، فإن الإحياء قبله لا بعده، ويمكن أن يراد بالإحياء جمعها وضم بعضها إلى بعض، وهو معنى قراءة الزاي المعجمة.

(١٥) وهي قراءة شاذة. (١٦) لف ونشر مرتب؛ أي: نُشْرِهَا من أنشر، ونُشْرِهَا من نشر. (١٧) وبها قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، والباقون بالراء.

(١٨) أي: نرفعها من الأرض وتردها إلى مكانها من الجسد وتركب بعضها على بعض.

(١٩) حمزة والكسائي.

وضمها<sup>(١)</sup>؛ أمهلن<sup>(٢)</sup> إليك وقطعن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ أَرْضِكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ أَوْ أَثَرَهُ أَدْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾ سريعًا ﴿وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعيه؛ فأخذ طاووسًا ونسرا وغرابًا وديكًا<sup>(٣)</sup> وفعل بهن ما ذكر، وأمسك رعو سهن عنده ودعاهن؛ فطارت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت، ثم أقبلت إلى رعو سهن.

[٢٦١] ﴿مَثَلُ﴾ ﴿صَفَةِ نَفَقَاتٍ﴾ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعائة ضعف ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ أكثر من ذلك ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾<sup>(٤)</sup> فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق المضاعفة.

[٢٦٢] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ على المنفق عليه؛ بقولهم - مثلاً -: «قد أحسننا إليه وحجرت حاله» ﴿وَلَا أَذَى﴾ له يذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ نواب إنفاقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٢٦٣] ﴿قَوْلٍ مَعْرُوفٍ﴾ كلام حسن، ورَدَّ على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٍ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ بالمر وتغيير له بالسؤال ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المأذ والمؤذي.

[٢٦٤] ﴿يَتْلَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ﴾ أي: أجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ إبطالاً ﴿كَالَّذِي﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ مراثيا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تَرَابٌ فَاصَابُهُ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَفَرَّكُمُ صُلْدًا﴾ صلباً أملس لا شيء عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف<sup>(٥)</sup>

ليبين مثلي المنافق المنفي رثاء الناس؛ وجمع الصمير باعتبار معنى «الذي» ﴿عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا﴾ عملوا؛ أي: لا يجدون له ثواباً في الآخرة؛ كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَئِنْ لَبِظْتُمْ لَقَدْ قُلْتُمْ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٣﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٦٤﴾ يَتْلَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي أَنْفَقَ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَاصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٥﴾

[٢٦٥] ﴿وَر﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى﴾ قال - تعالى - له: ﴿أُولَئِكَ تُؤْمِنُ﴾ بقدرتي على الإحياء؛ سأله مع علمه بإيمانه بذلك؛ ليجيبه بما سأل؛ فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَى﴾ آمنت ﴿وَلَكِنْ﴾ سألتك ﴿لِيُطْمَئِنُّ﴾ يسكن ﴿قُلُوبِي﴾ بالمعينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ﴾ [إِلَيْكَ] بكسر الصاد

(١) بالكسر قراءة حمزة وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) تفسير للفعل على كل من القراءتين، وأمره بإماليهن إليه؛ أي: تقريرهن منه ليتحقق أوصافهن، حتى يعلم بعد الإحياء أنه لم ينتقل جزء منها عن موضعه الأول أصلاً.

(٣) ولم يرد تمديدن وتعيينهن في شيء من الأخبار الصحيحة الثابتة، فالأولى الاقتصار على إطلاق القرآن دون تعيين.

(٤) لابد من تقدير مضاف في أحد الجانبين؛ أي: مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة، والشارح سلك الأول.

(٥) غني يعطي عن سعة.

(٦) الجملة استئناف مبني على السؤال؛ كأنه قيل: فماذا يكون مآلهم حينئذ؟ فقيل: لا يقدرون... إلخ.





[٢٧٥] ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٦﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُغْزِي الصَّدَقَاتِ وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ﴿٢٧٦﴾ يَزِيدُهَا وَيُنْمِيهَا وَيُضَاعِفُ ثَوَابَهَا ﴿٢٧٦﴾ كَلَّ كَلَامًا ﴿٢٧٦﴾ بِتَحْلِيلِ الرِّبَا ﴿٢٧٦﴾ فَاجْر بَاكُلَهُ أَي: بِعَاقِبِهِ ﴿٢٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٨﴾ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّفُوا اللَّهَ وَذُرُّوا ﴿٢٧٨﴾ اتركوا ﴿٢٧٨﴾ مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ صادقين في إيمانكم، فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى، نزلت لما عالت بعض الصحابة بغد النهي ربما كان لهم من قبل ﴿٢٧٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أَمَرْتُ بِهِ ﴿٢٧٩﴾ اعملوا ﴿٢٧٩﴾ بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَكُمْ، فيه تهديد شديد لهم، لما نزلت قالوا: «لا يذني» لنا بحربه ﴿٢٨٠﴾ إِنْ تَبَيَّنَ رَجَعْتُمْ عَنْهُ ﴿٢٨٠﴾ فَمَنْ رَوَّعَ أَصُولَ ﴿٢٨٠﴾ تَطْلِمُونَ ﴿٢٨٠﴾ بزيادة ﴿٢٨٠﴾ وَلَا تَطْلِمُونَ ﴿٢٨٠﴾ بنقص ﴿٢٨٠﴾ وَإِنْ كَانَتْ وَقَعَتْ غَيْرُ ﴿٢٨٠﴾ دُرُ عُسْرَةٍ فَنَظَرُكُمْ لَهُ أَي: عليكم تأخيره ﴿٢٨٠﴾ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴿٢٨٠﴾ بفتح السين وضمها ﴿٢٨٠﴾ أَي: وقت يسر ﴿٢٨٠﴾ وَأَنْ تَصَدَّقُوا ﴿٢٨٠﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الألف في الصاد، وبالتخفيف على حذفها ﴿٢٨٠﴾ أَي: تصدقوا على المعسر بالإبراء ﴿٢٨٠﴾ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ أنه خير فافعلوه، وفي الحديث: «مَنْ أَنْظَرَ مُغْسِرًا أَوْ وَضَعَ غَنَةً أَظْلَمَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» ﴿٢٨٠﴾ [رواه مسلم].

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٦﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُغْزِي الصَّدَقَاتِ وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ﴿٢٧٦﴾ يَزِيدُهَا وَيُنْمِيهَا وَيُضَاعِفُ ثَوَابَهَا ﴿٢٧٦﴾ كَلَّ كَلَامًا ﴿٢٧٦﴾ بِتَحْلِيلِ الرِّبَا ﴿٢٧٦﴾ فَاجْر بَاكُلَهُ أَي: بِعَاقِبِهِ ﴿٢٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٨﴾ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّفُوا اللَّهَ وَذُرُّوا ﴿٢٧٨﴾ اتركوا ﴿٢٧٨﴾ مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ صادقين في إيمانكم، فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى، نزلت لما عالت بعض الصحابة بغد النهي ربما كان لهم من قبل ﴿٢٧٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أَمَرْتُ بِهِ ﴿٢٧٩﴾ اعملوا ﴿٢٧٩﴾ بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَكُمْ، فيه تهديد شديد لهم، لما نزلت قالوا: «لا يذني» لنا بحربه ﴿٢٨٠﴾ إِنْ تَبَيَّنَ رَجَعْتُمْ عَنْهُ ﴿٢٨٠﴾ فَمَنْ رَوَّعَ أَصُولَ ﴿٢٨٠﴾ تَطْلِمُونَ ﴿٢٨٠﴾ بزيادة ﴿٢٨٠﴾ وَلَا تَطْلِمُونَ ﴿٢٨٠﴾ بنقص ﴿٢٨٠﴾ وَإِنْ كَانَتْ وَقَعَتْ غَيْرُ ﴿٢٨٠﴾ دُرُ عُسْرَةٍ فَنَظَرُكُمْ لَهُ أَي: عليكم تأخيره ﴿٢٨٠﴾ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴿٢٨٠﴾ بفتح السين وضمها ﴿٢٨٠﴾ أَي: وقت يسر ﴿٢٨٠﴾ وَأَنْ تَصَدَّقُوا ﴿٢٨٠﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الألف في الصاد، وبالتخفيف على حذفها ﴿٢٨٠﴾ أَي: تصدقوا على المعسر بالإبراء ﴿٢٨٠﴾ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ أنه خير فافعلوه، وفي الحديث: «مَنْ أَنْظَرَ مُغْسِرًا أَوْ وَضَعَ غَنَةً أَظْلَمَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» ﴿٢٨٠﴾ [رواه مسلم].

[٢٨١] ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول: تردون، وللفاعل: تسيرون ﴿٢٨١﴾ ﴿يَوْمَ إِلَى اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿٢٨١﴾ تَوْمَ ﴿٢٨١﴾ فِيهِ ﴿٢٨١﴾ كُلُّ نَفْسٍ ﴿٢٨١﴾ جَزَاءُ ﴿٢٨١﴾ مَا كَسَبَتْ ﴿٢٨١﴾ عملت من خير وشر ﴿٢٨١﴾ وَهُمْ ﴿٢٨١﴾ لَا يُلَاقُونَ ﴿٢٨١﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٥٠).

وأخرج أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت الآيات من سورة البقرة في الربا خرج النبي ﷺ إلى المسجد فقرأهن على الناس، ثم حرم تجارة الخمر. البخاري - كتاب الصلاة (٨) باب (٣٧) حرم تجارة الخمر في المسجد.

(١) وهو ربا الفضل ولا يكون إلا عند اتحاد الجنس.

(٢) وهو ربا النساء، ويكون في متحد الجنس ومختلفه، وهو البيع مع تأجيل العوضين أو أحدهما.

(٣) فيها إثبات صفة الحق له ﷻ على الوجه اللائق به - شُبْحَانَهُ - وعلى ما تقتضيه الحكمة البالغة.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب الأشاعرة ينفونها بدعوى أنها توهم نقضاً؛ فيرجعونها إلى معنى إرادة الثواب والعقاب، ومذهب السلف إثباتها على الحقيقة على الوجه اللائق به - شُبْحَانَهُ - دون أن يقتضي ذلك عندهم نقضاً ولا تشبيهاً، كما يثبتون لازم الحجة وهو الإكرام والإثابة، ولزام ضدها وهو الإهانة والعقاب، أما المعتزلة؛ فلأنهم لا يثبتون إرادة قائمة به فيفسرون الحجة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله، وضدها بالعقاب الواجب عندهم على الله؛ بناء على مذهبهم في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.

(٥) بصيغة الإفراد في نسخة، وفي أكثر النسخ بصيغة التثنية «لا يدي» وحذفت النون تخفيفاً؛ والمعنى على كل من النسخين: لا قدرة ولا طاقة لنا.

(٦) أشار بذلك إلى أن «كَانَ» تامة، و«دُوِيَ» ناعلة، وهو الأقرب، ويصح كونها ناقصة و«ذُرَّ» اسمها، وخبرها محذوف تقديره: غريماً لكم.

(٧) بالضم قراءة نافع.

(٨) وبالتشديد قراءة السبعة عدا عاصم.

(٩) من كل الذين أو بعضه.

(١٠) مسلم (٣٠٠٦).

(١١) أي: «تَرْجَعُونَ»، وهي قراءة أبي عمرو.

الكتاب ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدُّنْيُ لأنه المشهود عليه، فيقر ليعلم ما عليه ﴿وَرَبِّيَ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْحَسُ﴾ ينقص ﴿بَيْنَهُ﴾ أي: الحق ﴿سَهْلاً﴾ فإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَهْلاً مبدراً ﴿أَوْ ضَعِيفاً﴾ عن الإملاء ليضعف أو يكبر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْلِلَ هُوَ﴾ لجزس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُعْلِلْ وَلْيُؤْمَرْ﴾ متولي أمره من الولد ووصي وقِيم ومُتَزَجِم ﴿يَالْعَدْلُ﴾ واستشهدوا ﴿أشهدوا على الدين﴾ شهدين ﴿شاهدين﴾ من رجالكم ﴿أي: بالغي المسلمين الأحرار﴾ فإن لَمْ يَكُونَا ﴿أي: الشاهدان﴾ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَانِ ﴿يشهدون﴾ وَمَنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ ﴿ليدينه وعدائيه؛ وتعدد النساء لأجل﴾ أَنْ تَضِلَّ ﴿تسى﴾ إِحْدَهُمَا ﴿الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن﴾ ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾ بالتخفيف والتشديد <sup>(١)</sup> ﴿إِحْدَهُمَا﴾ الذكورة ﴿الْأُخْرَى﴾ النسية، وجملة الإذكار محل العلة؛ أي: لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال؛ لأنه سببه <sup>(٢)</sup>، وفي قراءة: بكسر <sup>(٣)</sup> ﴿أَنْ﴾ شرطية، ورفع ﴿تذكر﴾ <sup>(٤)</sup> استئناف <sup>(٥)</sup>، جوابه: ﴿وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا زَالَتْ دُعَاؤُكُمْ﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾ تملوا من ﴿أَنْ تَكْذِبُوهُ﴾ أي: ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿سَهْلاً﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيراً﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿إِلَّا أَجْلِيَّةً﴾ وقت حلوله، حال من الهاء في ﴿تَكْذِبُوهُ﴾ <sup>(٦)</sup> ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكُتُبُ أَفْسَطُ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أعون على إقامتها؛ لأنه يذكرها ﴿وَأَدَقُّ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا﴾ تقع ﴿بِجَزْءٍ خَاصَّةٍ﴾ <sup>(٧)</sup> في قراءة: بالنصب، فـ ﴿تَكُونُوا﴾ ناقصة، واسمها ضمير «التجارة» <sup>(٨)</sup> ﴿تُحْبِرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تقبضونها ولا أجل فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه؛ فإنه أدفع للاختلاف، وهذا وما قبله أمر نذير ﴿وَلَا يُضَارُّكُمْ كِتَابٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صاحب الحق ومن عليه؛ بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة، ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفها ما لا يليق في الكتابة <sup>(٩)</sup> والشهادة ﴿وَأِنْ تَقْعَلُوا﴾ ما نهيتهم عنه ﴿فَلَيْتُمْ سُوءُكُمْ﴾ خروج عن الطاعة لاحق ﴿بِكُمْ﴾ وَأَتَمُّوا اللَّهَ فِي أمره ونهيه ﴿وَيُعْطِيكُمْ اللَّهُ مِنْ مَصَالِحِ أُمُورِكُمْ﴾ حال مقدرة، أو مستأنف <sup>(١٠)</sup> ﴿وَأَنَّكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بَيْنِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَآكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْحَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْلِلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلْيُؤْمَرْ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْذِبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِمْ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّكُمْ كِتَابٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَقْعَلُوا فَايَأْتِهِمْ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

[٢٨٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم ﴿بَيْنِي﴾ كُتُوبٌ وقرض ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَآكْتُبُوهُ﴾ استئنافاً، ودفعاً للنزاع <sup>(١)</sup> ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كِتَابُ الدِّينِ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴿بالق في كتابته لا يَرِيدُ فِي الْمَالِ وَالْأَجْلِ وَلَا يَبْخَسُ﴾ ولا يَأْبَ ﴿يَمْنَعُ﴾ كَاتِبٌ ﴿مِنْ﴾ أَنْ يَكْتُبَ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهَا ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي: فَضْلُهُ بِالْكِتَابَةِ؛ فلا يَخِلُّ بها، والكاف متعلقة بـ ﴿يَأْبَ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تأكيد ﴿وَلْيُمْلِلْ﴾ يُعْلِلُ

(١) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية للإرشاد لا للوجوب، وهو مذهب الجمهور.

(٢) عبارة غير المفسر: متعلقة بـ ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ وهي الصواب؛ لأن التعلق المذكور على وجه التعليل للهي عن الإباء؛ أي يحرم عليه الإباء المذكور؛ أي الامتناع من الكتابة؛ لأجل تعليم الله - تعالى - إياها؛ فيجب عليه أن يذللها كما أمره الله - تعالى - ولا يخل بها؛ فالكاف للتعليل، و«ما» مصدرية، والهاء للكتاب.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ولازمة سكون المذال، فتكون: ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾، قال البعض: من «الذكر» الذي هو ضد الأنثى؛ والمعنى: إن المرأة الثانية إذا شهدت مع الأولى ذكرتها؛ أي: جعلتها كالذكر؛ أي: كالجعل الذي لا يحتاج إلى غيره في الشهادة.

(٤) أي: لأن الضلال سبب الإذكار، والإذكار مسبب عنه؛ فنزل منزله؛ ومن شأن العرب إذا كان لليلة علة قدموا ذكر علة العلة، وجعلوا العلة معطوفة عليها بالفاء؛ لنحصل الدلائل مع عبارة واحدة، وهذا مما يعول فيه على المعنى ويهجر فيه جانب اللفظ، فلا يرد كيف جعل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ علة لاستشهاد المرتين بدل رجل مع أن علة إما هي التذكير. [تفسير أبي السعود].

(٥) لحزمة.

(٦) أي: إن أداة الشرط لم تعمل في لفظه، وجملة «فَقَدْ كَرِهَ» خير لبتداء محذوف؛ أي: «فهي تذكر» والجملة في محل جزم جواب الشرط.

(٧) أي: قراءة السبعة عدا عاصم. وقرأ عاصم بالنصب.

(٨) أي: لا تمهلوا الأجل في الكتابة، وإنما تقولون: ثبت كذا مؤجلاً بكذا.

(٩) أي: اسمها مضمر فيها وتقديره: إلا أن تكون المعاملة أو المباينة أو استجارة.

(١٠) مثل أن يأمر بكتابة ما لم يطلع عليه، أو يمنع من إعطائه أجرته له.

(١١) والأولى الإقتصار عليه؛ لأن جملة حالاً بخلاف القاصرة التحوية: أن الحملة المضاربة المثنية إذا وقعت حالاً فإن الصمير يلزمها وتخلو من الواو، ولا يصح أيضاً عطفها على جملة: ﴿وَأَتَمُّوا اللَّهَ﴾؛ لأنه يلزم منه عطف الخبر على الإنشاء.



[٢٨٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ مِنْ مَسَافِرٍ وَتَدَايَعْتُمْ عَنْ سَفَرِكُمْ فَلْيُؤْثِرُوا بِكُلِّ مَقَامٍ مِمَّا مَكَانَتْ فِيهِمْ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ لِيُذَكِّرُوا بِهِمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي الْحَضَرِ لَوَجَدْتُمْ أَنَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ وفي قراءة: ﴿فَرَاهَانٌ﴾ جمع رهن<sup>(١)</sup> ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ تستوثقون بها، وَيَتَبَيَّنُ الشُّكُّ جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب، فالتقيد بما ذكر؛ لأن التوثيق فيه أشد<sup>(٢)</sup>، وأفاد قوله: ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿إِنْ آمَنَ بِكُمْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: الدائن المدين على حقه فلم يترهن ﴿فَلْيُؤْثِرُوا﴾ الذي أَوْثِقَ: أي: المدين ﴿أَمْسَتْهُ﴾ دينه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكُنْثُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا دعيت لإقامتها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي قَلْبِهِ حُصٌّ بِالذِّكْرِ؛ لَأنه محل الشهادة، ولأنه إذا أثم تبعه غيره<sup>(٣)</sup>؛ فيعاقب عليه معاقبة الآمين ﴿وَاللَّهُ يَمَسُّ مَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ﴾ لا يخفى عليه شيء منه. [٢٨٤] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا أَوْ تُنْقَبَرُوا أَوْ تُنْفَخُوا أَوْ تُنْفَخُوا أَوْ تُنْفَخُوا﴾ تظهرها ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من سوء العزم عليه ﴿أَوْ تُنْفَخُوا﴾ تسروه ﴿يُمَاسِكُكُمْ﴾ يخبركم<sup>(٤)</sup> ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [فَيَعْتَقُ لِمَنْ يَشَاءُ] المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه، والفعلان بالجزم عطف على جواب الشرط، والرفع<sup>(٥)</sup> أي: فهو ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم. [٢٨٥] ﴿آمَنَ﴾ ضَلَقَ ﴿الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه<sup>(٦)</sup> ﴿كُلٌّ﴾ تنوينه عوض<sup>(٧)</sup> من المضاف إليه ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع والإفراد<sup>(٨)</sup> ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يقولون: ﴿لَا تَقْرَأُ بَيْنَ أَصْحَابٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَاكَ﴾ أي: ما أمرنا به سماع قبول ﴿وَأَلْمَنَّا﴾ نسألك ﴿عَفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع بالبعث. ولما نزلت الآية التي قبلها شكك المؤمنون من الوسوسة، وشق عليهم المحاسبة بها؛ فنزل: [٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير؛ أي: ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر؛ أي: وزره، ولا يؤخذ أحد بذنب أحد، ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه، قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤْخِذْنَا﴾ بالعقاب ﴿إِنْ كُنَّا سَيِّئِينَ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصواب لا عن عمد؛ كما أخذت به من قبلنا، وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة؛ كما ورد في الحديث<sup>(٩)</sup>، فسأله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا مِنْ إَصْرِكَ﴾ أمرا يثقل علينا حمله ﴿كَمَا كُنْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: بني إسرائيل؛ من قتل النفس في التوبة، وإخراج رُبع المال في

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةٌ﴾ **فَإِنْ آمَنَ بِكُمْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلَئُوذُ الَّذِي أُوتِئْتُمْ آمَنَتْهُ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي قَلْبِهِ حُصٌّ وَاللَّهُ يَمَسُّ مَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ** **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا أَوْ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُنْفَخُوا أَوْ تُنْفَخُوا أَوْ تُنْفَخُوا** **يُمَاسِكُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** **لِمَنْ يَشَاءُ** **وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ** **وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** **عَفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** **رَبَّنَا لَا تُؤْخِذْنَا إِنْ كُنَّا سَيِّئِينَ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**

الزكاة، وقُرِئَ موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قوة ﴿لَنَا بِهِ﴾ من التكليف والبلاء ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ ائتم ذنوبنا ﴿وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إقامة الحجة والغلبة في قتالهم؛ فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء، وفي الحديث: «لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة: قد فعلت»<sup>(١٠)</sup>.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٢٨٤ - ٢٨٦): أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله، كلنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها. قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا: كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، س قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلت بها أنفسهم فأثرت الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ» =

(١) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿فَرَاهَانٌ﴾. (٢) أي: كل من ﴿وَرَاهَانٌ﴾ جمع ﴿وَرَهْنٌ﴾، مثل شَقَف وشَقْف، وكَفَف وكَعَاب. (٣) لأهل العلب في السفر عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والعرض للموت، وبيت السنة جواز الرهن في الحضر كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ اشترى طعاماً من يهودي ورتقه درهما من حديد. البخاري (٢٠٦٨)، ومسلم (١٦٠٣). (٤) أي: في الإثم، لأنه ملك الأعضاء، إذا ضلَّ صُلِحَ الجسد كله، وإذا قُتِلَ فسد الجسد كله كما في حديث العمان بن بشير في الصحيحين؛ البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩). (٥) قوله: «يخبركم»: جواب عن سؤال وهو: أنه كيف قال في الإخفاء بحاسبكم به الله، مع أن حديث النفس لا إثم فيه ما لم يقع؛ للحديث المشهور فيه: فأجاب: بأن المراد بالخاصة سجد الإخبار به لا المعاقبة عليه، ولا حامل على هذا التقدير؛ إذ إن المواخذة إما أن تكون منسوخة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ كما في حديث مسلم. أو أن تكون المواخذة على ما أخفوه من العزم القاطع والاعتقاد الجازم، وليس مجرد حديث النفس والوسوسة. (٦) أي: على الاستعفاف، والجزم قراءة نافع وابن كثير وحزمة والكسائي وأبي عمرو. (٧) وهو أحد الوجهين، والوجه الثاني: أن يكون ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، و﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ ثانٍ خبره ﴿آمَنَ﴾. (٨) أي: عن ﴿الرَّسُولِ﴾ و﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾. (٩) بالافراد قراءة حمزة والكسائي. (١٠) وهي قوله ﷺ: «ذُفِعَ عَنْ أَهْلِ الْخَطَا وَالْشَّقَاةِ وَمَا اشْكُرْهُمَا عَلَيْهِ»، رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر الغفاري مرفوعاً به، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣١). (١١) مسلم (١٢٦)، وانظر الحديث وتخريجه في أسباب النزول.



عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَقَى اللَّهُ، فَأَخَذُوا مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>، وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَا أَخَافُ عَلَى أَتَمِّهِ إِلَّا ثَلَاثَ جَلَالٍ...» وَذَكَرَ مِنْهَا: أَنَّ يُفْتَحَ لَهُمُ الْكِتَابُ؛ فَيَأْخُذُهُ الْمُؤْمِنُ يَتَّبِعُ تَأْوِيلَهُ، وَلَيْسَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾»<sup>(٢)</sup> الحديث.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْصِرَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿سَيَبْقَى وَرَأْسُكَ هُمْ وَقَدْ كَنَّاكَ﴾ بفتح الواو<sup>(٣)</sup>؛ مَا تَوْفَدُ بِهِ. [١١] ذَلَّيْهُمْ ﴿كَذَّابٌ﴾ كعادة ﴿آلِ وَرَعَوَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ كعاد وثمود ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْذَرُهُمُ اللَّهُ﴾ أهلهم ﴿يَذَّبُونَهُمْ﴾ والجملة<sup>(٤)</sup> مفسرة لما قبلها<sup>(٥)</sup> ﴿وَاللَّهُ شَوِيدٌ آفِيْقَابٌ﴾. ونزل - لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام مرجعة من بدر؛ فقالوا: لا يغرنك أن قلت نفرا من قريش أعمارا لا يعرفون القتال -: [١٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَلْذَبُونَ كَفَرُوا﴾ من اليهود: ﴿سَقَاتُوكَ﴾ بالياء والياء<sup>(٦)</sup>، في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك ﴿وَيُشْخِرُونَكَ﴾ بالوجهين<sup>(٧)</sup>، في الآخرة ﴿إِلَّا جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها ﴿وَيُشْخِرُ لِهَآذِهِ﴾ الفرائض هي<sup>(٨)</sup>.

[١٣] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ عبرة، وَذَكَرَ الْفِيلُ<sup>(٩)</sup> لِيُفْضَلَ ﴿فِي يَتَنَيْنَ﴾ فرتين ﴿الْفَتَنَاتِ﴾ يوم بدر للقتال ﴿فَقَدْ تَغَيَّرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته؛ هم: النبي وأصحابه، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يُشَلِّتُهُمْ﴾ أي: المسلمين؛ أي: أكثر منهم، وكانوا نحو ألف ﴿رَأَى الْقَتْلَ﴾ أي: رؤية ظاهرة معانية، وقد نصرهم الله مع قتلهم ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَقْوَى﴾ يقوي ﴿يَضْرِبُوهُ مِنْ نِسَاءٍ﴾ لَكَ فِي ذَلِكَ المذكور ﴿لِيُزَيِّنَ لِأُولَى الْأَنْفُسِ﴾ لذوي البصائر؛ ألا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟! [١٤] ﴿رَبَّنَا لِلنَّاسِ حُوبُ الشَّهَوَاتِ﴾ ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، رَبَّنَا اللَّهُ<sup>(١٠)</sup> ابتلاء أو الشيطان<sup>(١١)</sup> ﴿مِنْ أَلْسِنَةٍ أَلْسِنَةٍ وَالْبَصَرِ وَالْفَنَاطِيرِ﴾ الأموال الكثيرة ﴿الْمُقَنَطَرَةِ﴾ الجمعة ﴿مِنْ أَلْسِنَةٍ أَلْسِنَةٍ وَالْبَصَرِ وَالْفَنَاطِيرِ﴾ الحسن ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مَنْكَ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا﴾ يُتَمَتَّعُ بِهِ فِيهَا ثُمَّ يَفْنَى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَعَالِ﴾ المرجع؛ وهو: الجنة؛ فينبغي الرغبة فيه دون غيره. [١٥] ﴿قُلْ﴾ يا

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْصِرَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ سَيَبْقَى وَرَأْسُكَ هُمْ وَقَدْ كَنَّاكَ ﴿كَذَّابٌ﴾ كعادة ﴿آلِ وَرَعَوَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ كعاد وثمود ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْذَرُهُمُ اللَّهُ﴾ أهلهم ﴿يَذَّبُونَهُمْ﴾ والجملة<sup>(٤)</sup> مفسرة لما قبلها<sup>(٥)</sup> ﴿وَاللَّهُ شَوِيدٌ آفِيْقَابٌ﴾. ونزل - لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام مرجعة من بدر؛ فقالوا: لا يغرنك أن قلت نفرا من قريش أعمارا لا يعرفون القتال -: [١٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَلْذَبُونَ كَفَرُوا﴾ من اليهود: ﴿سَقَاتُوكَ﴾ بالياء والياء<sup>(٦)</sup>، في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك ﴿وَيُشْخِرُونَكَ﴾ بالوجهين<sup>(٧)</sup>، في الآخرة ﴿إِلَّا جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها ﴿وَيُشْخِرُ لِهَآذِهِ﴾ الفرائض هي<sup>(٨)</sup>.

[١٣] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ عبرة، وَذَكَرَ الْفِيلُ<sup>(٩)</sup> لِيُفْضَلَ ﴿فِي يَتَنَيْنَ﴾ فرتين ﴿الْفَتَنَاتِ﴾ يوم بدر للقتال ﴿فَقَدْ تَغَيَّرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته؛ هم: النبي وأصحابه، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يُشَلِّتُهُمْ﴾ أي: المسلمين؛ أي: أكثر منهم، وكانوا نحو ألف ﴿رَأَى الْقَتْلَ﴾ أي: رؤية ظاهرة معانية، وقد نصرهم الله مع قتلهم ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَقْوَى﴾ يقوي ﴿يَضْرِبُوهُ مِنْ نِسَاءٍ﴾ لَكَ فِي ذَلِكَ المذكور ﴿لِيُزَيِّنَ لِأُولَى الْأَنْفُسِ﴾ لذوي البصائر؛ ألا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟! [١٤] ﴿رَبَّنَا لِلنَّاسِ حُوبُ الشَّهَوَاتِ﴾ ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، رَبَّنَا اللَّهُ<sup>(١٠)</sup> ابتلاء أو الشيطان<sup>(١١)</sup> ﴿مِنْ أَلْسِنَةٍ أَلْسِنَةٍ وَالْبَصَرِ وَالْفَنَاطِيرِ﴾ الأموال الكثيرة ﴿الْمُقَنَطَرَةِ﴾ الجمعة ﴿مِنْ أَلْسِنَةٍ أَلْسِنَةٍ وَالْبَصَرِ وَالْفَنَاطِيرِ﴾ الحسن ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مَنْكَ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا﴾ يُتَمَتَّعُ بِهِ فِيهَا ثُمَّ يَفْنَى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَعَالِ﴾ المرجع؛ وهو: الجنة؛ فينبغي الرغبة فيه دون غيره. [١٥] ﴿قُلْ﴾ يا

محمد لقولك: ﴿أَوْيَيْتُكُمْ﴾ أخبركم ﴿يَخْتَرُ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ المذكور من الشهوات، استفهام تقرير<sup>(١٢)</sup> ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خير مبتدؤه ﴿جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ أي: مقدرين الخلود<sup>(١٣)</sup> ﴿فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وغيره ما يُشْتَقَدُّ ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ بكسر أوله وضمه لغتان<sup>(١٤)</sup>؛ أي: رضا<sup>(١٥)</sup> كثير ﴿وَبِئْسَ اللَّهُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ عالم<sup>(١٦)</sup> ﴿وَالسَّابِقُ﴾ فيجازي كلاً منهم بعمله.

- لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم. فسلم وقال: أشرف نبورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. سبق تخريجه في تفسير سورة الفاتحة. وأخرج الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفِي عَامٍ، وَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَاتٍ خَتَمَ بِهَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَا يَفْرَاقُ فِي دَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرُبُهَا شَيْطَانٌ». الترمذي. كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٤) ما جاء في آخر سورة البقرة. صحيح سنن الترمذي (٢٣١١).

- (١) البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).
- (٢) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٨٠).
- (٣) وهي قراءة العشرة، وقرأ الحسن بضم الواو مصدر بمعنى: الإيقاد.
- (٤) أي حملة: ﴿كَذَّبُوا...﴾ الآية. (٥) وهي قوله: ﴿كَذَّابٌ﴾ آلِ وَرَعَوَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ الآية [آل عمران: ١١].
- (٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.
- (٧) أي: بئاء والياء، بالياء قراءة حمزة والكسائي.
- (٨) أخرجه أبو داود عن ابن عباس، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٦٤٧). وحسنه في الاستيعاب مجموع طرقه. الاستيعاب في بيان الأسباب (٢٣٢/١، ٢٣٣).
- (٩) وهو ﴿كَانَ﴾ ذَكَرَ الْفِيلَ والجور والجرور، وهو قوله: ﴿كَانَ﴾. (١٠) كما في قول عمر: «اللَّهُ لَا ضَرَرَ لَنَا عَلَى مَا زَيَّنْتَ لَنَا إِلَّا بِكَ» [رواه البخاري معلف في الرقاق باب قول النبي ﷺ: «هذا المال خضرة حلوة»].
- (١١) أي: بالوسوسة.
- (١٢) وليس المراد به هنا طلب الإقرار والاعتراف من المخاطبين كما هو معنى الاستفهام التقريري في الأصل، بل المراد به التحقيق والتثبت في نفوس المخاطبين.
- (١٣) أي: ففي حال مقدرة.
- (١٤) وهما قراءتان، والصم قراءة شعبة.
- (١٥) أشار بذلك إلى أن كلاً من المكسور والمضموم مصدر «رضي» فهما بمعنى واحد، وإن كان الثاني سماعيًا والأول قياسيًا.
- (١٦) وهذا تأويل، وصفة البصر من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة على الوجه اللاتق به دون أن يقتضي ذلك نقضاً أو تمثيلاً له بالخلق كما قال - شيخنا -: «لَيْسَ كَيْفُوهُ شَيْءٌ وَفَوْهُ أَلَسْبِيحُ الْخَبِيرِ» [الشورى: ١١].

معبود في الوجود يَحَقُّ ﴿إِلَّا هُوَ﴾. شهد بذلك ﴿الْمَلَكُ﴾ بالإقرار ﴿وَأُولُوا أَلْبَانٍ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿قَائِمًا﴾ بتدبير مصنوعاته، ونَصَبَهُ على الحال<sup>(١)</sup>، وابعامل فيها معنى لجملة: أي: تَقَرَّدَ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره تأكيداً ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[١٩] ﴿إِنَّ الْذِينَ﴾ المرضي ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو ﴿الْإِسْلَامُ﴾ أي: الشرع المبعوث به الرسل، المبني على التوحيد، وفي قراءة ففتح ﴿إِنَّ﴾ بدل من «أنه... إلخ»، بدل اشتمال<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا﴾ الكُتُبَ اليهود والنصارى في الدين؛ بأن وَحَّدَ بعض وكَفَّرَ بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلَهُمْ﴾ بالتوحيد ﴿بَنِيًّا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ يَتَّخِذَ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة له.

[٢٠] ﴿فَإِنَّ حَاجُونَكَ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿فَقُلْ لَهُمْ: أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ﴾ انْقَذْتُ لَهُ أَنَا ﴿وَمَنْ أَتَّبِعُ﴾ وخص الوجه بالذكر؛ لشرفه؛ فغيره أولى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا﴾ الكُتُبَ اليهود والنصارى ﴿وَالَّذِينَ﴾ مشركي العرب: ﴿ءَسَلْتُمْ﴾ أي: أسألوا ﴿فَإِنْ أَسَلْتُمْ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ من الضلال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإسلام ﴿فَكَيْفَا عَيْتِكَ الْبَلْغُ﴾ أي: التبليغ للرسالة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم، وهذا قبل الأمر بالقتال<sup>(٣)</sup>.

[٢١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَيَقْتُلُونَ﴾ وفي قراءة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ أي: يَكْفُرُونَ<sup>(٥)</sup> الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْقِسْطِ بالعدل ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ وهم: اليهود؛ روي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً، فنهام مائة وسبعون من غيادهم؛ فقتلواهم من يومهم ﴿فَيَكْفُرُوا﴾ أعلمهم ﴿بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ مؤلم، وذكر البشارة تَهَكُّمَ بهم، ودخلت الفاء في خبر «إن»؛ لشيبه اسمها الموصول بالشرط<sup>(٦)</sup>.

[٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوا من خير؛ كصدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها؛ لعدم شرطها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ نَّعِيرِهِ﴾ مانعين من العذاب.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَتَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفَتَا عَذَابِ النَّارِ ﴿١٩﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٢٠﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكُ وَالْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا أَلْسِنَةً إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّخِذَ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ حَاجُونَكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتَّبِعُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا أَلْسِنَةً وَالْأَمِيعِينَ أَسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلْتُمْ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَغْيِرُ حَقَّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَيَشْهَرُهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّعِيرٍ ﴿٢٥﴾

[١٦] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من «الذين» قبله ﴿يَقُولُونَ﴾: يا رَبَّنَا إِنَّا أَمَتَا، صدقنا بك وبرسولك ﴿فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفَتَا عَذَابِ النَّارِ﴾.

[١٧] ﴿الْمُسْبِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية، نعت ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ في الإيمان<sup>(١)</sup> ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ المنصديقين ﴿وَالْمُسْتَفْهِرِينَ﴾ الله؛ بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ أواخر الليل، غُضِّتْ بالذكر؛ لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

[١٨] ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ يَشْرَحُ لخلقها بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

(١) بالتصديق بالقلب واللسان، والانقياد بالقلب واللسان والجوارح.

(٢) إم من لفظ الجلالة، أو من الضمير المتفصل ﴿هُوَ﴾ بعد ﴿إِلَّا هُوَ﴾، والثانية: أنه قائم بالقسط، ومتعلق الأولى تنزيه ذاته، ومتعلق الثانية تنزيه صفاته.

(٣) وهي قراءة الكسائي، والتقدير: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين...

(٤) وهذا بناء على تفسيره الإسلام بأنه الشرع؛ لأن وحدانية الله اشتمل عليها الإسلام، أما إذا فُسر بالإيمان أو التوحيد كان بدل كل من كل. وذكر الرضي: أن بدل الاشتمال أن يكون المخاطب منتظراً للبدل عند سماع البدل ومنه ما ليس كذلك.

(٥) أي: فهو منسوخ.

(٦) الصوابُ ذَكَرَ هذه العبارة بعد قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية [آل عمران: ٢١]؛ لأن القراءتين إما هما في الثانية، أما الأولى فهي ﴿يَقْتُلُونَ﴾ لا غير؛ فذَكَرَها هنا شَقَّ قَلَمٍ مِنْ الشَّارِحِ.

(٧) في قراءة حمزة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾.

(٨) واسمها الموصول هو ﴿الَّذِينَ﴾ وهو في الأصل مبتدأ، والمبتدأ متى وقع اسم موصول ولو منسوخاً قرن خبره بالفاء، إلا إذا نسخ به، ولعل، وكأنه؛ فتمتنع الفاء عند الجميع لتغير المعنى لانتهاء معنى الخبرية؛ فلا يبقى الكلام محتماً للصدق والكذب بخلافه بعد دخول «إن».

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَيُتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۖ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَن تَشَاءُ ۚ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرُفُّ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ۚ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمُ تُقَاتُوا ۚ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلِ إِن تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

[٢٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا﴾ حظًا ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يُدْعَوْنَ﴾ يُدْعَوْنَ ﴿إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ يُدْعَوْنَ ﴿فَيُتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ عن قبول حكمه؛ نزلت في اليهود؛ زنى منهم اثنان؛ فتحاكموا إلى النبي ﷺ؛ فحكم عليهما بالرجم، فأبوا، فجيء بالتوراة، فوجد فيها؛ فرجما؛ فغضبوا.

[٢٤] ﴿فَكَيْفَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: بسبب قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أربعين يومًا مدة عبادة آبائهم العجل ثم نزول عنهم ﴿وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من قولهم ذلك.

[٢٥] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة. ونزلت - لما وعد ﷺ أمته ملك فارس والروم؛ فقال المنافقون: هيهات -: [٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ يا الله ﴿مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ من خلقك ﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ وتزله من ملكه ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ بإياديه ﴿وَتُزِيلُ مَن تَشَاءُ﴾ بزرعه منه ﴿وَبِيَدِكَ﴾ بقدرتك <sup>(١)</sup> ﴿الْخَيْرُ﴾ أي: والشر ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢٧] ﴿تُؤَلِّجُ﴾ تدخل ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ تدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿وَمِنَ الْحَيِّ وَتَرُفُّ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رزقًا واسعًا.

[٢٨] ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ بالوئهم ﴿مِن دُونِ﴾ أي: غير ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: بالوئهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ دين ﴿اللَّهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمُ تُقَاتُوا﴾ مصدر تقية؛ أي: تخافوا مخافة، فلكم مولائهم باللسان دون القلب، وهذا قبل عزة الإسلام، ويجري فيمن هو في بلد ليس قويًا فيها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يخوفكم ﴿اللَّهُ تَقَاتُكُمْ﴾ أن يغضب عليكم <sup>(٢)</sup> إن واليائهم ﴿وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ المرجع؛ فيجازيكم.

[٢٩] ﴿قُلِ لَهُمْ﴾ أي: لهم ﴿إِن تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿أَوْ تُبْذَرُوا يُعَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تظهِرُهُمُ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب من والاهم.

(١) وهذا تأويل كالح، ومعنى ركبك، ومذهب السلف الصالح إثبات ما أثبت الله لنفسه وأثبت به رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تكيف ولا تمثيل ولا تعطيل، ثم ما يقول هؤلاء في قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: ﴿يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَبْقِيَنَّهَا نَفَقَةٌ﴾ وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي فيها إثبات صفة اليد والأصبع وغيرها على الوجه الذي يليق بربنا جل وعلا؛ ثم إن يد القدرة والنعمة لا يعرف استعمالها ألية إلا في حق من له يد حقيقية.

(٢) يشير بذلك أن المراد بقوله - تعالى -: ﴿تَقَاتُكُمْ﴾ أي: غضب نفسه، وهذا مذهب المؤولة، وأما السلف فيثبتون النفس لله ﷻ، ولكنهم اختلفوا أهى صفة ذات أم هي الذات نفسها؟ وإلى الأول ذهب ابن خزيمة؛ حيث ترجم في صحيحه: باب ذكر البيان من خير النبي ﷺ في إثبات النفس لله، أما ابن تيمية فقد رجح أنها بمعنى الذات، ونسب لجمهور العلماء. [الجموع (٩/ ٢٩٢)].

[٣٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ خِثْرًا وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ مِنْ دُونِهَا وَمِنْ أَلْفِ مِائَةٍ مِنْ ثَمَرَةٍ مُّغْتَنِيَةٍ﴾ يعني: أنفسهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> يجعل الأنبياء من نسلهم.

[٣٤] ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ دُورِهَا﴾ ولِدَ ﴿بَعْضُهَا مِنْهُمْ﴾ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٣٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَتْ أُمُّ آدَمَ إِنَّهُ كَانَ لَكُم مِّنْ دُونِكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

فدعت الله، وأحست بالحمل: يا ربِّ إني نذرتُ أن أجعل ﴿لَكَ مَا فِي

بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ عتيقًا خالصًا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَقَبَّلَ مِنِّي﴾

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للدعاء ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالثَّيَّاتِ، وهلك عمران وهي حامل.

[٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ ولدتها جارية، وكانت ترجو أن يكون غلامًا؛ إذ لم

يكن يحرر إلا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ معنرة: يا ربِّ إني وضعتها أنثى والله

أَعْلَمُ ﴿أَي: عالم﴾ ﴿وَمَا وَضَعْتُهَا﴾ جملة اعتراض من كلامه - تعالى -، وفي

قراءة: بضم التاء<sup>(٢)</sup>، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبتُ ﴿كَالْأُنثَى﴾ التي وُهِيت؛

لأنه يُقصد للخدمة، وهي لا تصلح؛ لضعفها وعورتها وما يعتريها من الخيض

ونحوه ﴿وَلِأَنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ولِأَنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا ﴿أُولَآئِهَا مِنِّي﴾

أَلَسْتُ بِأَنَّي الرَّحِيمِ المطرود، في الحديث: ﴿مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا مَشَى الشَّيْطَانُ

جِئَ يُؤَلِّدُ؛ فَيَسْتَهْلِكُ صَارِحًا إِلَّا مَرْيَمَ وَآلَهَا﴾<sup>(٣)</sup> [رواه الشيخان].

[٣٧] ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: قبلَ مريمَ من أمها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا

نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أنشأها بخلق حسن؛ فكانت تنبت في اليوم؛ كما نبت المولود

في العام، وأنت بها أمُّها الأجر سدة بيت المقدس؛ فقالت: دونكم هذه

النذيرة. فننفسوا فيها؛ لأنها بنت إمامهم؛ فقال زكريا: أنا أحقُّ بها؛ لأن

خالتيها عندي. فقالوا: لا حتى نفترع. فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر

الأردن، وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد أولى بها، فثبت

قلم زكريا؛ فأخذها وبنتى لها غرفة في المسجد بشلم لا يصعد إليها غيره،

وكان يأتيها بأكلمها وشربها ودهنها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء

وفاكهة الشتاء في الصيف؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَوَكَّلْنَا بِهَا رَبِّهَا﴾ ضَمَّهَا

إليه، وفي قراءة: بالتشديد<sup>(٤)</sup>، ونصب ﴿زكريا﴾ ممدودًا ومقصورًا<sup>(٥)</sup>، والفاعل

﴿اللَّهُ﴾ ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ الغرفة، وهي أشرف المجالس

﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنَزَّلُ الْمَلَكُ﴾ من أين ﴿لَسِبَ هَذَا كَلِمًا﴾ وهي

صغيرة: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرُؤُا مِنْ يَكَاةٍ يُخَبِّرِ

حِسَابًا﴾ رزقًا واسعًا بلا تبعة.

يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿إِذْ قَالَتْ أُمُّ آدَمَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِقَاءِ رَبِّي وَإِنِّي بِغَفْلَةٍ مِّنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنَزَّلُ الْمَلَكُ إِلَيْكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

[٣٠] اذكر ﴿يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾ ﴿مِنْ سُوءٍ﴾ مبتدأ خبره: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كرر للتأكيد ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. ونزل - لما قالوا: ما نعبد الأصنام إلا حبالاً لله؛ ليقربونا إليه<sup>(٦)</sup> -: [٣١] ﴿قُلْ لَهُمْ يَٰ مُحَمَّد: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ بمعنى: يتبعكم<sup>(٧)</sup> ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِمَنِ اتَّبَعْتِي مَا سَلَفَ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ به.

[٣٢] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر؛ أي: لا يحبهم؛ بمعنى: أنه يعاقبهم<sup>(٨)</sup>.

(١) يشير إلى ما أخرجه الواحدي بنحوه عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، وقال الحافظ في العجايب (٢/٦٧٨): «وهذا من منكرات جوير؛ فإن آل عمران مدنية، وهذه القصة إنما كانت

بمكة قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيها في أوائل الزمر»، وضعفه جُدًا في الاستيعاب (١/٢٤٢).

(٢) وهذا تأويل لصفة الحق التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ بيض لوائهما، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وأنهم يثبتونها على الوجه الذي يليق به - شيخانته.

(٣) وهذا تأويل مخالف لظاهر اللفظ ومذهب السلف، وسبق بيان ذلك مرارًا، ومن لازم عدم محبته - شيخانته - لهم أنه يعاقبهم.

(٤) اراد: عالمًا زَمَانِيًّا.

(٥) لابن عامر وشعبة، وعلى هذه القراءة يكون ذلك من كلامها اعتذارًا.

(٦) البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة.

(٧) والقراءة المفضلة بالتخفيف لئلا يبين كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٨) بالمد؛ أي: زكرياء، لمن سبق ومعهم شعبة.

هَذَاكَ دَعَاكَ يَا رَبِّهِ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتِئْتُكَ الْأَنْتَ كَلِمَةً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَآذَكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَيِّحٌ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْرَئِيلَ ﴿٤١﴾ وَآذَكَرَ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُومُ أَفَنُتِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَرْيَمُ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

[٣٨] ﴿هَذَاكَ﴾ أي: لما رأى زكريا ذلك، وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادرٌ على الإتيان بالولد على الكبر، وكان أهل بيته انقروا ﴿دَعَا رَبَّهُ﴾ لما دخل المحراب (١) للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولذا ضاحيًا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

[٣٩] ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: جبريل (٢) ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد ﴿أَنَّ﴾ أي: بأن، وفي قراءة: بالكسر (٤) بتقدير القول ﴿اللَّهُ يُبَشِّرُكَ﴾ متفلاً ومخفلاً (٥) ﴿يَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أي: بعيسى أنه روح الله، وسُمِّيَ كلمة؛ لأنه خلق بكلمة: ﴿كُنْ﴾ ﴿وَسَيِّدًا﴾ متبوعاً ﴿وَحَصُورًا﴾ ممنوعاً من النساء ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ روي أنه لم يعمل خطبة ولم يهْمُ بها.

[٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ ولَدٌ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي: بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بلغت ثمانين وتسعين ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق الله غلاماً منكماً ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لا يعجزه عنه شيء، ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال، ليُجاب بها. ولما تأقت نفسه إلى سرعة التبشُّر به.

[٤١] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ عَائِشَةُ﴾ عليه ﴿أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله - تعالى - ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: ليلاتها ﴿إِلَّا رَمْرًا﴾ إشارة ﴿وَآذَكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَيِّحٌ﴾ صلٌ ﴿بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْرَئِيلَ﴾ أواخر النهار وأوائله.

[٤٢] ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي جبريل: ﴿يَمْرُومُ﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال (٧) ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أهل زمانك.

[٤٣] ﴿يَمْرُومُ أَفَنُتِي لِرَبِّكَ﴾ أطبعيه ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي: ضلِّي مع المصلين.

[٤٤] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَرْيَمُ﴾ في الماء يفترون، ليظهر لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يرعى ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتها؛ فنعرف ذلك؛ فتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي.

(١) أي: المسجد.

(٢) فيه إثبات صفة السمع لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه ..

(٣) فهو من تسمية الحصى باسم العام تعظيماً له.

(٤) لحزمة وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي، ويكون بفتح الياء وسكون الراء وضم الشين.

(٦) ولعل الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا هي الإشارة بطرف خفي إلى رد ما قاله الكفار من أنها زوجته، فإن العظيم عالي الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس؛ فكان الله يقول: لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها. (حاشية الصاوي على الجلالين).

(٧) أي: ومن الحيض والنفاس وكل قدر.

[٤٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي جبريل: ﴿يَمْرُومُ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ: أي: ولد ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبتها إليها تنبيهاً على أنها تلده بلا أب؛ إذ عادة الرجال نسبهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جلال ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلى ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله.

[٤٩] ﴿وَمَا يَجْعَلُهُ رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ؛ فنفخ جبريل في جيب درعها؛ فحملت، وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل، قال لهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿أَلَمْ آتِ﴾ أي: بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ علامة على صدقي ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هي: ﴿آيَةٌ﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup>: بالكسرة؛ استئنافاً ﴿أَخْلَقُ﴾ أصور ﴿لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ مثل صورته؛ فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف<sup>(٢)</sup> ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وفي قراءة<sup>(٣)</sup>: ﴿طَائِرًا﴾ ﴿يَذُنُ اللَّهُ﴾ يارادته، فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خلقاً؛ فكان يطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ﴿وَأُتْرِيقُ﴾ أشفي ﴿الْأَكْصَمَةَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَنْبَرَمَ﴾ وَخَصَّصَ بالذكر؛ لأنهما ذاء إعياء<sup>(٤)</sup>، وكان بعثه في زمن الطب؛ فأبرأ في يوم خمسين ألف بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُتْرِيقُ يَذُنُ اللَّهُ﴾ كرهه؛ لنفي توهم الألوهية فيه؛ فأحيا «عازر» - صديقاً له - وابن العجور، وابنة العاشر؛ فعاشوا وولد لهم، و«سام بن نوح» ومات في الحال ﴿وَأُتْرِيقُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ﴾ تخبون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعانبه؛ فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً لِّكُمْ﴾ إن كنتم مؤمنين.

[٥٠] ﴿وَمَا جِئْتُكُمْ بِمُضِلٍّ لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ قَبْلِي﴾ من التوراة ولأجل لكم بمن الذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فيها؛ فأحل لهم من السمك والطير ما لا صبيحة له<sup>(٥)</sup>، وقيل: أحل الجميع؛ فبعض بمعنى «كل» ﴿فَيَجْعَلُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كرهه تأكيداً ولبيني عليه ﴿فَأَنْفُخُوا اللَّهُ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته. [٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَكَّبَ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ فكدبه ولم يؤمنوا به.

[٥٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ أعواني ذاهباً<sup>(٦)</sup> ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ الْخَوَارِجُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أعوان دينه؛ وهم: أصفياء عيسى، أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً من الحوَر؛ وهو: البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿أَمَّا﴾ صدقنا ﴿وَاللَّهُ وَشَهِدَ﴾ يا عيسى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ﴾.

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي آلَمِهِمْ وَكَهَلًا وَمِنْ الْأَصْلَحِينَ ﴿٤٩﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٠﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٥١﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُ الْأَكْصَمَةَ وَالْأَنْبَرَصَ وَأُنْخِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٣﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ أَنَّكُمْ قَالْتُمْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَمَّا يَأْتِيهِمْ وَأَشْهَدُ بِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٥﴾

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي آلَمِهِمْ﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهَلًا﴾<sup>(١)</sup> وَمِنْ الْأَصْلَحِينَ.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بنزوح ولا غيره ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون.

[٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالنون والياء<sup>(٢)</sup> ﴿الْكِتَابَ﴾ الخط<sup>(٣)</sup> ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(٤)</sup> وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

(١) أي: ويكلمهم بأن يدعوهم إلى دين الله حال كونه كهلاً، والكهل: ما بين الغلام والشيوخ، وقيل: من له ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: من ناهز الأربعين، وقيل: في الآية إشارة إلى نزوله. عَلَيْهِ السَّلَامُ . في آخر الزمان؛ ففيها إخبار عن معجزتين وحجتين.

(٢) بالنون قراءة السبعة عما عاصم ونافع.

(٣) أي: الكتابة، وقيل: المراد جنس الكتب الإلهية.

(٤) قيل: المراد بها العلم، وقيل: تهذيب الأخلاق. وقيل: قوة الفهم وحسن التدبير للأمور بوضعها في مواضعها.

(٥) لنافع.

(٦) ويصح أن يعود على الطين، وحكمة المغيرة بن ماها وما يأتي في آخر المائدة أن التكلم هنا عيسى، وهناك الله ﷻ.

(٧) لنافع.

(٨) أي: أغنيا الأطباء الذين كانوا في زمنه.

(٩) أي: شوكه يؤذي بها، وأما ما له صبيحة فهو باق على حلمه لم يحرم.

(١٠) حَذَّاهُ الْمَقْدُرُ عَلَى أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، عَلَى أَنَّهُ هَلْ مِنْ الْبَاءِ فِي «أَنْصَارِي» قَالَ كُونِي ذَاهِبًا إِلَى اللَّهِ؛ أي: مُتَجِّيًا إِلَى اللَّهِ وَشَارِعًا فِي نَصْرَةِ دِينِهِ، وَقَالَ السَّيِّدُ وَابْنُ جَرِيرٍ: «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» [آل عمران: ٥٢]: مع الله. وقال الحسن وأبو عبيدة: «إِنَّ» بمعنى: «فِي»؛ أي: من أعواني في الله؛ أي: في ذات الله وسبيله.



[٥٣] ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ مِنَ الْإِنْجِيلِ وَآتَيْنَا الرَّسُولَ عِيسَى ﴿فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لَكَ بِالوَحْدَانِيَّةِ وَلِرَسُولِكَ بِالصِّدْقِ. قَالَ - تَعَالَى :-

[٥٤] ﴿وَمَكْرُواهُ﴾ أَي: كَفَرُوا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِعِيسَى؛ إِذْ وَكَّلُوا بِهِ مِنْ يَقْتُلُهُ غِيلَةً ﴿وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ بِهِمْ؛ بَأَنَ أَلْقَى شِبْهَ عِيسَى عَلَى مَنْ قَصَدَ قَتْلَهُ فَقَتَلُوهُ<sup>(١)</sup> وَرَفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ أَعْلَمُهُمْ بِهِ.

[٥٥] اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قَابِضُكَ ﴿وَرَأَيْتُكَ﴾ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ مَبْعَدُكَ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا صِدْقُوا بِنُفُوتِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى﴾ فَوَقَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ؛ وَهُمْ: الْيَهُودُ؛ يَبْلُغُونَهُمْ بِالْحِجَّةِ وَالسِّيفِ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ.

[٥٦] ﴿فَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْرَبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الَّذِينَ﴾ بِالْقَتْلِ وَالسَّبِي وَالْجَزْيَةِ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ ﴿وَمَا لَهُمْ بَيْنَ نَصِيرَتِكَ﴾ مَا نَعِينُ مِنْهُ.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَصَلُّوا الصَّلَاةَ فَتُؤْتِيهِمْ بِأَلْيَاءٍ وَأَنْوَنَ<sup>(٢)</sup>﴾ أَجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أَي: بِعَاقِبَتِهِمْ<sup>(٣)</sup>؛ رَوَى أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَرْسَلَ إِلَيْهِ سَحَابَةً فَرَفَعَتْهُ؛ فَتَعَلَّقَتْ بِهِ أَثْمُهُ وَتَكَثَّرَتْ؛ إِنَّ الْقِيَامَةَ تَجْمَعُنَا. وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ الْقَدَرِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَعَاشَتْ أُمُّهُ بَعْدَهُ سِتِّ سِنِينَ<sup>(٤)</sup>. وَرَوَى الشَّيْخَانُ حَدِيثًا: «إِنَّهُ يَنْزِلُ قَرِبَ السَّاعَةِ، وَيَحْكُمُ بِشَرِيعَةِ نَبِيْنَا، وَيَقْتُلُ الدَّجَالَ وَالْخَنَزِيرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَضَعُ الْجُزْيَةَ<sup>(٥)</sup>». وَفِي حَدِيثٍ مُسْلِمٍ: «إِنَّهُ يَكْتُبُ سَبْعَ سِنِينَ<sup>(٦)</sup>». وَفِي حَدِيثٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ: أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَيَتَوَفَّى وَيُصَلَّى عَلَيْهِ<sup>(٧)</sup>. فَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ مَجْمُوعَ لَيْلَتِهِ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ الرَّفْعِ وَبَعْدَهُ.

[٥٨] ﴿وَذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ مِنْ أَمْرِ عِيسَى ﴿تَنْتَلُوهُ﴾ نَقَصَهُ ﴿عَلَيْتُكَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿وَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ حَالُ مِنَ الْهَاءِ فِي ﴿تَنْتَلُوهُ﴾، وَعَامِلُهُ مَا فِي ﴿ذَلِكَ﴾ مِنْ مَعْنَى الْإِشَارَةِ<sup>(٨)</sup> ﴿وَالَّذِيكَ الْحَكِيمِ﴾ الْحَكَمُ؛ أَي: الْقُرْآنُ.

[٥٩] ﴿إِنِّي مَثَلٌ عِيسَى﴾ شَأْنُهُ الْغَرِيبُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ مَادَمَ﴾ كَشَأْنُهُ فِي خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ أَبِي، وَهُوَ مِنْ تَنْشِيهِ الْغَرِيبِ بِالْأَرْغَبِ؛ لِيَكُونَ أَقْطَعُ لِلْخَصْمِ وَأَوْقَعُ فِي النَّفْسِ ﴿خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بِشَرِّهَا ﴿فَيَكُونُ﴾ أَي: فَكَانَ؛ وَكَذَلِكَ عِيسَى قَالَ لَهُ: «كُنْ» مِنْ غَيْرِ أَبِي؛ فَكَانَ.

[٦٠] ﴿أَلَحَى مِنْ رَبِّكَ﴾ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ؛ أَي: أَمْرُ عِيسَى ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ الشَّاكِكِينَ فِيهِ.

[٦١] ﴿فَمَنْ حَاكَمَكَ﴾ جَادَلَكَ مِنَ النَّصَارَى ﴿فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بِأَمْرِهِ ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ

(١) وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ الَّذِي صَلَبَ شَابٌ مِنْ تَلَامِيذِ الْمَسِيحِ، وَيَقْتُلُ مَكَانَهُ لِيَكُونَ رَفِيقَهُ فِي الْحَقَّةِ. الدَّر الْمَشُور [٢/٢٧٢].

(٢) بِالنُّونِ، لِلْسَّبْعَةِ عَدَا حَفْصٍ.

(٣) وَهَذَا تَأْوِيلُ سَبْقِ التَّشْبِيهِ وَالرَّدِّ عَلَيْهِ وَإِبْثَاتِ صِفَةِ الْحُبِّ لِلَّهِ ﷻ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمِنْ لَازِمِ عَدَمِ حَاجَتِهِ سُبْحَانَهُ لَهُمْ أَنَّهُ يِعَاقِبُهُمْ.

(٤) وَهَذَا ثَابِتٌ لَهُ بِسَنَةِ صَحِيحَةٍ وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي يَتَوَقَّفُ فِي الْقَوْلِ بِهَا.

(٥) الْبُخَارِيُّ (٣٤٤٨)، وَمُسْلِمٌ (١٥٥).

(٦) مُسْلِمٌ (٢٩٤٠).

(٧) وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ (٤٣٢٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَثَرِيُّ فِي صَحِيحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣٦٣٥)، وَالصَّحِيحَةُ (٢١٨٢)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَفِيهِ: «وَيُصَلِّيُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ».

(٨) لِأَنَّهُ مُضْمَنٌ مَعْنَى أَشْيَرٍ، وَاعْتَرَضَ ذَلِكَ بَأَدِّ الْعَامِلِ فِي الْحَالِ هُوَ الْعَامِلُ فِي صَاحِبِهَا، وَصَاحِبُهَا هُوَ الْهَاءُ فِي: ﴿تَنْتَلُوهُ﴾؛ فَالْعَامِلُ هُوَ: ﴿تَنْتَلُوهُ﴾. قَالَ بَعْضُهُمْ مُعْتَدًّا عَنِ الْمَفْشَرِ: أَنَّهُ خَلَطَ إِعْرَابًا بِآخَرِ.

(٩) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ كَمَا فِي الدَّر الْمَشُور (٢٣٢/٣) وَأَصْلُهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ (٢٤٠٤).

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَآتَيْنَا الرَّسُولَ فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿وَمَكْرُواهُ﴾ وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿فَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْرَبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ذَلِكَ تَنْتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿إِنِّي مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقْتُهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ﴿أَلَحَى مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فَمَنْ حَاكَمَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿

وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فَجَمَعَهُمْ ﴿ثُمَّ لَبَّيْهُلْ﴾ تَضَرَّعَ فِي الدُّعَاءِ ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ بَأَنَ نَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنِ الْكَاذِبَ فِي شَأْنِ عِيسَى. وَقَدْ دَعَا ﷺ وَفَدَّ نَجْرَانًا لِلذِّكْرِ لَمَّا حَاجُوهُ بِهِ؛ فَقَالُوا: حَتَّى نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ثُمَّ نَأْتِيكَ. فَقَالَ ذَوُو رَأْيِهِمْ: لَقَدْ عَرَفْتُمْ نُبُوَّتَهُ وَأَنَّهُ مَا تَهْلُ قَوْمٌ نَبِيًّا إِلَّا هَلَكُوا فَوَادَعُوا الرَّجُلَ وَانْصَرَفُوا. فَأَتَوْا الرَّسُولَ ﷺ وَقَدْ خَرَجَ وَمَعَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَفَاطِمَةُ وَعَلِيٌّ، وَقَالَ لَهُمْ: «إِذَا دَعَوْتُ فَأَمْنُوا»، فَأَبَوْا أَنْ يَلْعَنُوا وَصَاحِبَهُ عَلَى الْحَزْنَةِ<sup>(٩)</sup>. [رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ]. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يِيَاهِلُونَ، لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا. وَرَوَى: لَوْ خَرَجُوا لَأَحْتَرَقُوا.

فيجزيهم، وفيه وضع الظاهر موضع المضمَر.

[٦٤] ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى: ﴿تَمَتَّلُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّيَةٍ﴾ مصدر، بمعنى: مستو أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هي: ﴿أَنْ﴾ نَ ﴿لَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا تَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما اتخذتم الأَحْبَارَ والرهبان ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَعْرَضُوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا﴾ أَنْتُمْ لَهِم: ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ موحدون. وَتَزَلَّ - لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه. وقالت النصارى كذلك -: [٦٥] ﴿يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم <sup>(١)</sup> ﴿وَمَا أَزَلَّتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بزمن طويل، وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم؟! [٦٦] ﴿هَٰذَا لِلنَّبِيِّ﴾ أَنْتُمْ ﴿مَبْدَأُ﴾ يا ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ والخبر: ﴿حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ مِنْ أَمْرِ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَزَعَمْتُمْ أَنْتُمْ عَلَىٰ دِينِهِمَا﴾ فِيمَا تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴿مِنْ شَأْنِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وَاللَّهُ يَمْلِكُ شَأْنَهُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٦٧] قال - تعالى - تبرئة لإبراهيم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مُسْلِمًا﴾ موحداً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[٦٨] ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ﴾ أَحَقُّهُمْ ﴿بِإِبْرَاهِيمَ﴾ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي زَمَانِهِ ﴿وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾ محمد؛ لموافقته له في أكثر شرعه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أمته؛ فهم الذين ينبغي أن يقولوا: نحن على دينه. لا أَنْتُمْ ﴿وَاللَّهُ وَفِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> ناصرهم وحافظهم. وَتَزَلَّ - لما دعا اليهود مُعَاذًا وحذيفة وعمارًا إلى دينهم :-

[٦٩] ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم، والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[٧٠] ﴿يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعلمون أنه الحق؟! <sup>(٣)</sup>

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ <sup>(١)</sup> فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَزَلَّتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ <sup>(٢)</sup> هَٰذَا نَشْرُهُ هَٰؤُلَاءِ حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ <sup>(٣)</sup> مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ <sup>(٤)</sup> إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ <sup>(٥)</sup> وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ <sup>(٦)</sup> يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ <sup>(٧)</sup>

[٦٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ الخبر ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَيْكَ اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعته.

[٦٣] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَعْرَضُوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾

(٥) فائدة: أشرح الترمذي عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي ولادة من البين، وإن ولي أبي وعليل ربي». ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ﴾ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤) سورة آل عمران. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٩٤).

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١٨١، ١٨٠/٢)، ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٢١٦/٣)، والبيهقي في الدلائل (٣٨٤/٥) عن ابن عباس، وضعفه في الاستيعاب (٢٥٩/١، ٢٦٠).



وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرَاقًا يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ  
مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ  
عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ  
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ  
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ  
تَتَّخِذُوا الْمَالِيَةَ وَالنِّسَاءَ أَرْبَابًا أَيَا مُرُّكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ  
إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ  
مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا  
مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَلَخَذْتُمْ  
عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ  
مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

كاذبون. وَتَوَلَّى - لما قال نصارى نجران: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه <sup>(١)</sup> ربًا. أو  
لما طلب بعض المسلمين السجود له <sup>(٢)</sup>: [٧٩] «مَا كَانَ» ينبغي  
﴿لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ﴾ أي: الفهم للشرعية ﴿وَالنَّبُوءَ﴾  
ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ﴾ يقول: ﴿كُونُوا  
رَبَّيْنَيْنِ﴾ علماء عاملين منسوبين إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيماً ﴿بِمَا  
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بالضعيف والتشديد <sup>(٣)</sup> ﴿الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾  
بسبب ذلك؛ فإن فائدته أن تعملوا. [٨٠] «وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع <sup>(٤)</sup>  
استثناء؛ أي: الله <sup>(٥)</sup>، والنصب عطفًا على ﴿يَقُولُ﴾؛ أي: البشر <sup>(٦)</sup>، «أَنْ  
تَتَّخِذُوا الْمَالِيَةَ وَالنِّسَاءَ أَرْبَابًا﴾ كما اتخذت الصابغة الملاحكة، واليهود  
عزيرًا، والنصارى عيسى ﴿أَيَا مُرُّكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لا ينبغي له  
هذا <sup>(٧)</sup>.

[٨١] «وَلَا يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» حين ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ عهدهم  
﴿لَمَّا﴾ بفتح اللام؛ للابتداء وتوكيد معنى القسم <sup>(٨)</sup> الذي في أخذ الميثاق،  
وكسرهما متعلقة بـ «أَخَذَ» <sup>(٩)</sup>، و«مَا» موصولة على الوجهين؛ أي: للذي  
﴿آتَيْنَاكُمْ﴾ إياه، وفي قراءة: ﴿آتَيْنَاكُمْ﴾ <sup>(١٠)</sup> «وَمِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ  
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة؛ وهو: محمد ﷺ  
﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ جواب القسم: إن أدر كنتموه، وأتممهم تبع لهم في  
ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم: ﴿أَقْرَضْتُمْ﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَى  
ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ عهدي؟ ﴿قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ على أنفسكم  
وأتباعكم بذلك ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم.  
[٨٢] «فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» الميثاق ﴿فَإُولَٰئِكَ هُمُ  
الْفَاسِقُونَ﴾.

[٨٣] «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ» بالياء والتاء <sup>(١١)</sup>؛ أي: المتولون  
﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ بلا إباء  
﴿وَكْرَهًا﴾ بالسيف ومعانبة ما يلجئ إليه ﴿وَالَّذِينَ تَرْتَابُونَ﴾ بالياء  
والياء <sup>(١٢)</sup>، والهمزة في أول الآية للإنكار.

[٧٨] «وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرَاقًا يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ» ككعب بن  
الأشرف ﴿يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ﴾ أي: يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى  
ما حرفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: المحرف ﴿وَمِنْ  
الْكِتَابِ﴾ الذي أنزله الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ  
اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره (٣/٣٢٥)، وعزاه في الدر المنثور للبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن أبي رافع القرظي. وضعفه في الاستيعاب (١/٢٦٨).

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن الحسن كما في الدر المنثور (٣/٢٥٠). وهو ضعيف مرسل كما في الاستيعاب (١/٢٦٩).

(٣) بالتحفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، ويكون مع فتح التاء وسكون العين. وقرأ بقية السبعة: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتشديد مع ضم التاء وفتح العين.

(٤) أي: بضم الراء، قراءة نافع وابن كثير والكسائي. وقرأ أبو عمرو وبخلف عن الدوري: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ بسكون الراء، وبقية السبعة: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ بالفتح.

(٥) أشار بذلك إلى أن فاعل ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ - بالرفع - ضمير مستتر عائد على «الله».

(٦) أي: على هذا التقدير يكون فاعل ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ - بالنصب - ضميرًا مستترًا عائدًا على «بشر».

(٧) أشد بهذا إلى أن الاستفهام إنكاري تعجب.

(٨) أي: مؤكدة لليقين المأخوذ من الميثاق؛ فإنه تقدم أن معنى الميثاق عهد مؤكد يمين.

(٩) أي: على أنها للتعليل ﴿لَمَّا﴾؛ أي: لرعاية وحفظ ما آتيتكم، وهي قراءة حمزة.

(١٠) لنافع.

(١١) بالياء لأبي عمرو وحفص، وبالطاء للباقيين.

(١٢) بالياء قراءة حفص، وقرأ بقية السبعة بالياء.

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِالصِّدْقِ وَالتَّكْدِيبِ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ<sup>(٥)</sup> مخلصون في العبادة. ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار:

[٨٥] ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَصَى الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لمصيره إلى النار المؤبدة عليه.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَي: وشهادتهم ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ﴾ قد ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج الطاهرات على صدق النبي ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين.

[٨٧] ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يُخَفَّفُ.

[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup> بهم. ونزل في اليهود:

[٩٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيسَى﴾ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِمُوسَى ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفارًا ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٩١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْآخِرَةِ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَابًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِوَدٍّ﴾ أدخل الفاء في خبر ﴿إِنَّ﴾ لشبهه «الذي»<sup>(٧)</sup> بالشرط وإيدانًا بنسب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ تَنْصِيرٍ﴾ مانعين منه.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ في الركعة الأولى، وفي الركعة الأخرى بهذه الآية: ﴿وَرَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَ وَأَتَيْنَاكَ الرَّسُولَ فَاعْتَبْنَا مَعَ النَّبِيِّينَ﴾ أو ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (٢٩٢) في تخفيفها. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٢٢).

(٦) ما جاء في نزول الآيت (٨٦ - ٨٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم تدم، فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله ﷺ، هل لي من نوبة؟ فجاؤا قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلانًا قد تدم، وإنه أمرنا أن نسألك: هل له من نوبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. فأرسل إليه فأسلم. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧)، باب (١٥) نوبة المرتد، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٩٢). واسم هذا الأنصاري: احارث بن سويد كما في المطالب العالية لابن حجر (٣١٤/٣).

(٧) فيه حكاية بالمعنى؛ إذ المذكور في الآية «الَّذِينَ» لكن حكمهما واحد.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عَوجًا وَأُتِرْتُمْ شَهَادَةً وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾

تكن على عهده حرامًا كما زعموا ﴿٩٢﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿قَاتِلُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ لبيّن صدق قولكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؛ فبهتوا ولم يأثروا بها. قال - تعالى: ﴿٩٤﴾ ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل. ﴿٩٥﴾ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ في هذا؛ كجميع ما أخبر به ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن كل دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. ونزل - لما قالوا: قبلتنا قبل قبلكم: ﴿٩٦﴾ ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ متبعين ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ بالباء، لغة في «مكة»، سميت بذلك؛ لأنها تلك أعناق الجبارة؛ أي: تدفقها، بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة؛ كما في حديث الصحيحين<sup>(١)</sup>، وفي الحديث: «أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض زبدته يضاء؛ فحدث الأرض من تحتها»<sup>(٢)</sup>. ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من «الذي»؛ أي: ذا بركة ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه قبلتهم. ﴿٩٧﴾ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ منها<sup>(٣)</sup>: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت؛ فأتى قدامه فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه، ومنها: تضعيف الحسنات فيه، وأن الطير لا يعوله<sup>(٤)</sup> ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ واجب، بكسر الحاء وفتحها<sup>(٥)</sup> لغنان في مصدر حج؛ بمعنى: قصد، ويدل من<sup>(٦)</sup> «الناس»: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ طريقًا؛ فشره ﴿بِالزَّادِ وَالزَّاجِلَةِ﴾<sup>(٧)</sup>. [رواه الحاكم وغيره] ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم. ﴿٩٨﴾ ﴿قُلْ يَكْفُرُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه. ﴿٩٩﴾ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ﴾ تَصُدُّونَ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بتكذيبكم النبي وكنتم نفيه ﴿تَبِعُونَهَا﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿عَوجًا﴾ مصدر؛ بمعنى: معوجة؛ أي: مائلة عن الحق ﴿وَأُتِرْتُمْ شَهَادَةً﴾ علمون بأن الدين المرضي القيم هو دين الإسلام؛ كما في كتابكم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب، ولما يؤخركم إلى وقتكم؛ ليجازيكم. ونزل - لما مر بعض اليهود<sup>(٨)</sup> على الأوس والخزرج، وغاظهم تألفهم؛ فذكروهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن؛ ففشا جروا وكادوا يقتلوا: ﴿١٠٠﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾.

﴿٩٢﴾ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي: ثوابه؛ وهو: الجنة ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا﴾ تَصَدَّقُوا ﴿وَمِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازي عليه<sup>(١)</sup>. ونزل - لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها<sup>(٢)</sup>: ﴿٩٣﴾ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق الشما - بالفتح والقصر؛ فندر إن شفي لا يأكلها فحرم عليه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم، ولم

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نحلًا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد. وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها، طيب قال: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿قُلْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء. وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعا يا رسول الله حيث أراك الله. قال رسول الله ﷺ: «بيخ. ذلك مال رابع، ذلك مال رابع. وإني سمعت ما قلت. وإني أرى أن يجعلها في الأقرين» قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسما أبو طلحة في أقاربه وبني عمه، البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة آل عمران (٣) باب (٥).

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٧٥)، (٧٦)، والحاظ في العجاف (٧١٦/٢)، عن الكلبي وأبي ورق، وهو موضوع كما في الاستيعاب (٢٧٤/١)، (٢٧٥).

(٢) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) من حديث أبي ذر وليس فيه أن الذي بناه الملائكة.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره من طريق عبد الله بن عمرو ومجاهد موقوفًا عليهما. وعزه في الدر المنثور للطبراني والبيهقي في شعبه عن عبد الله بن عمرو [الدر المنثور (٢٦٥/٤)].

(٤) أشار الشارح بذلك أن آياته لا تنحصر في هذين المائتين؛ ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وإنما خصهما بالذكر؛ لعظمتهما، وأنها تقوم بهما الحجة على الكفار؛ إذ هم مبركون لهما بحواسهم.

(٥) ليس على هذا دليل والواقع على خلافه إذ إن الطير يعوله ويجلس على سقفه كما هو مشاهد.

(٦) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة. (٧) أي: بدل بعض من كل، ولعلنا محذوف تقديره: منهم.

(٨) الحاكم في المستدرک (٤٤٢/١)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، والترمذي (٨١٣) من حديث ابن عمر، والدارقطني من حديث أنس، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٣٥).

(٩) أخرجه ابن إسحاق في الغاري (١٨٥/٢) عن زيد بن أسلم، ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٧، ١٦/٤)، وضعفه الحاكم إسناده في الإصابة (٨٧/١)، وهذا اليهودي قبل اسمه: شاس بن



وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَلَنْ يَفْتَلُوَكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ إِلَّا دَبَارَ شَرٍّ لَا يُصْرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْذِّلَّةَ أَيْنَ مَا تَفْقَهُوا مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءٌ وَغَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ إِنَّهٗ أَلِيلٌ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَرَأَوْا تَحَوُّرَ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا [تَفْعَلُوا] بِالنَّاسِ (١) أَيُّهَا الْأُمَّةُ، والباء؛ أي: الأمة القائمة مِّنْ خَيْرٍ فَلَنْ [تَكْفُرُوا] (٢) بِاللَّهِ، أي: تعدوا ثوابه؛ بل تجاوزوا عليه. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٣).

أُخْرِجَتْ: أُظْهِرَتْ. لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ. كعب الله بن سلام وأصحابه. وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١) الكافرون.

[١١١] ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَلَنْ يَفْتَلُوَكُمْ﴾ أي: اليهود يا معشر المسلمين بشيء. إِلَّا أَذًى: باللسان من سب ووعيد. وَلَنْ يَفْتَلُوَكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ: الْإِدْبَارُ: منهزمين. ثُمَّ لَا يُصْرُونَ: عليكم؛ بل لكم النصر عليهم.

[١١٢] ﴿ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْذِّلَّةَ أَيْنَ مَا تَفْقَهُوا﴾ حينما وجدوا؛ فلا عز لهم ولا اعتصام. إِلَّا: كاتنين. وَحَبْلٌ مِّنَ النَّاسِ: (١) المؤمنين؛ وهو: عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية؛ أي: لا عصمة لهم غير ذلك (٢). وَبَاءٌ: رجوعوا. يَغْضَبُ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ: أي: بسبب أنهم. كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ: تأكيدًا. بِمَا عَصَوْا: أَمَرَ اللَّهُ. وَكَانُوا يَعْتَدُونَ: يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

[١١٣] ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: أهل الكتاب. سَوَاءٌ: مستويين. مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ: مستقيمة ثابتة على الحق؛ كعب الله بن سلام. وَأَصْحَابُهُ: يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ إِنَّهٗ أَلِيلٌ: أي: في ساعاته. وَهُمْ يَسْجُدُونَ: يصلون، حال.

[١١٤] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَرَأَوْا تَحَوُّرَ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك، وليسوا من الصالحين.

[١١٥] ﴿وَمَا [تَفْعَلُوا] بِالنَّاسِ﴾ أي: أيها الأمة، والباء؛ أي: الأمة القائمة مِّنْ خَيْرٍ فَلَنْ [تَكْفُرُوا] (٢) بِاللَّهِ، أي: تعدوا ثوابه؛ بل تجاوزوا عليه. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٣).

[١٠٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَيْدًا. وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ: تصير. الْأُمُورُ.

[١١٠] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يا أمة محمد في علم الله. تَقَالَى - خَيْرَ أُمَّةٍ

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. البخاري - كتاب التفسير

(٦٥) - سورة آل عمران (٣) باب (٧) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (١١٣-١١٥): أخرج أحمد عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم حرج إلى المسجد إذا الناس ينتظرون الصلاة.

قال: أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم. قال: وأزل هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَمَا [تَفْعَلُوا] بِالنَّاسِ﴾ مِّنْ خَيْرٍ فَلَنْ يَكْفُرُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ

بِالْمُتَّقِينَ. أحمد - المسند (٣٩٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٧٦٠).

(١) يعني: إلا بعهد من الله، وهو أن يسلموا.

(٢) لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله بأن يسلموا ارتفع عنهم الذل وعصموا نفوسهم وأموالهم، وإن كان من الناس فقد عصموا نفوسهم وعاشوا في ذل.

(٣) بالناس قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) أي: الباء والتاء، بالناس لمن سبق ذكرهم.



[١١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ أَي: من عذبه ﴿سَيِّئًا﴾ وخصهما بالذكر؛ لأن الإنسان يدفع عن نفسه نارة بفداء المال، وثارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأَوْلَٰدُكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١١٧] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الكفار ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي أو صدقة ونحوها<sup>(١)</sup> ﴿كَمَثَلٍ يَبِيعُ فِيهَا صِرًّا﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والعصية ﴿فَأَهْلَكْنَاهُ﴾ فلم ينتفعوا به؛ فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بضياغ نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضيعاعها.

[١١٨] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ أصفياء تطلعونهم على سركم ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأُولُوكُمْ خَبَلًا﴾ نصب بنزع الحافض؛ أي: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا﴾ تمنا ﴿وَمَا عَيْنُهُمْ﴾ أي: عتقكم؛ وهو: شدة الضرر ﴿فَقَدْ بَدَتْ﴾ ظهرت ﴿الْبَغْضَاءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَقْوَاهُمْ﴾ بالوقعة فيكم وإطلاع المشركين على سركم ﴿وَمَا تُخْفِي بُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ ذلك فلا توالوهم.

[١١٩] ﴿هَا﴾ للتبعية ﴿أَنْتُمْ﴾ يا ﴿أَوْلَادُ﴾ المؤمنين ﴿يُحِبُّوهُمْ﴾ لقراحتهم منكم وصدقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّوكُمْ﴾ لخلفتهم لكم في الدين ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بالكتب كلها، ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَٰلَيْكُمْ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنَ الْقَيْظِ﴾ شدة الغضب؛ لما يرون من اختلافكم، ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازًا، وإن لم يكن ثمَّ غَضٌّ ﴿فَلَمْ يُولَوْا يَعْظِمُكُمْ﴾ أي: افقوا عليه إلى الموت<sup>(٢)</sup>؛ فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، ومنه ما يضمرة هؤلاء.

[١٢٠] ﴿إِنْ تَسْتَكْسِمُ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةً﴾ نعمة؛ كنصر وغنيمة ﴿تَسُوْهُمْ﴾ تخزيهم ﴿وَإِنْ تَصِيبُكُم سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجذب ﴿يَقْرَحُوا بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل، وما بينهما اعتراض؛ والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم؛ فلم توالوهم؟! فاجتنبوهم ﴿وَإِنْ تَصَيِّرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَقْتُلُوا﴾ الله في مواليتهم وغيرها ﴿[يَضْرِبُوا]﴾ بكسر الضاد، وسكون الراء<sup>(٣)</sup> وضمها وتشديدها<sup>(٤)</sup> ﴿كَيْدَهُمْ سَيِّئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿بَالِيَاءٌ﴾ والتاء<sup>(٥)</sup> ﴿مُحِيطٌ﴾ عالم<sup>(٦)</sup>؛ فيجازيهم به.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلٍ يَبِيعُ فِيهَا صِرًّا أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْنَاهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأُولُوكُمْ خَبَلًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهُمْ وَمَا تُخْفِي بُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰذَا نَتْلُوهُ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَلَا يُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَٰلَيْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ أَن يَدْعُوا إِلَىٰ أُولَٰئِكَ لِيُنَازِلُوهُمْ وَمَكَرُوا مَكْرًا عَٰلِيمًا ﴿١١٩﴾ هَٰذَا نَتْلُوهُ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَلَا يُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَٰلَيْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ أَن يَدْعُوا إِلَىٰ أُولَٰئِكَ لِيُنَازِلُوهُمْ وَمَكَرُوا مَكْرًا عَٰلِيمًا ﴿١٢٠﴾

[١٢١] ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تُبُوْا﴾ تنزل ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ﴾ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴿لِقَوَائِمِ﴾ بأحوالكم؛ وهو يوم أحد؛ خرج النبي ﷺ بألف أو إلى خمسين رجلا، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وسوى صفوفهم، وأجلس جيشًا من الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل، وقال: «انضحوا غثًا بالثبلي، لا يأتون من ورائه، ولا تبرزوا غلبتنا أو نصيرنا»<sup>(٧)</sup>.

(١) كصلة الرحم ومواساة الفقراء.

(٢) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به، أو باشتداده إلى أن يهلكهم.

(٣) من صار يضير، وهذه القراءة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: تشديد الراء مع ضم الضاد من ضَرْبٍ يضرب، وهي قراءة بقية السبعة.

(٥) قراءة المشرة بالياء، والقراءة بالتاء شاذة، وقد سها السيوطي عن التنبيه إلى ذلك كما جرت عادته بأن يقول عن القراءة الشاذة: وقرئ.

(٦) فهو - سبحانه - محيط بهم وأعمالهم ومكائدهم، حافظ له، لا يعزب عنه شيء منه.

(٧) لم أشر عليه بهذا اللفظ لكن أخرجه البخاري (٣٧٣٧) من حديث البراء بن عازب نحوه.

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ لِيُثْقِلُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِ. وَتَزَلَّ. لَمَّا هَزَمُوا تَذَكَّرُوا لَهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ. ﴿١٢٣﴾ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ مَوْضِعُ بَيْنِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ﴿وَأَنْتُمْ أُولُوْهُ﴾ بِقَلْعَةِ الْعُدَدِ وَالسَّلَاحِ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ نِعْمَهُ. ﴿١٢٤﴾ ﴿إِذْ﴾ طَرَفَ لَهُ نَصْرُكُمْ ﴿نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تَوَدُّعُهُمْ تَطْمِينًا: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُثَبِّدَكُمْ﴾ يَعْنِيَكُمْ ﴿رِزْقَكُمْ﴾ ثَلَاثَةَ عَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَلِّينَ ﴿بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ﴾ (٩).

﴿١٢٥﴾ ﴿بَلَى﴾ يَكْفِيكُمْ ذَلِكَ، وَفِي الْأَنْفَالِ ﴿بَلَى﴾؛ لِأَنَّهُ أَمْدَهُمْ أَوْلًا بِهَا، ثُمَّ صَارَتْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ صَارَتْ خَمْسَةً؛ كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿إِنْ نَصَبُوا﴾ عَلَى لِقَاءِ الْعَدُوِّ ﴿وَنَتَّقُوا﴾ اللَّهَ فِي الْحَالِفَةِ ﴿وَيَأْتُواكُمْ﴾ أَيِ: الْمُشْرُكُونَ ﴿مِنْ قُورِهِمْ﴾ وَقَتْمِهِ هَذَا بِتَوَدُّعِكُمْ رِزْقَكُمْ بِخَمْسَةِ عَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿بِكَسْرِ الْوَاوِ وَفَتْحِهَا﴾ (١٠)؛ أَيِ: مُعْلِّمِينَ، وَقَدْ صَبَرُوا وَأَنْجَرَ اللَّهُ وَعَدَهُ، بَأَنْ قَاتَلَتْ مَعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى خَيْلٍ بَلَقَ، عَلَيْهِمْ عِمَامَتُ صَفَرٍ (١١) أَوْ بِيضٍ (١٢)، أَرْسَلُوها بَيْنَ أَكْفَاهِمُ.

﴿١٢٦﴾ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أَيِ: الْإِمْدَادُ ﴿إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ بِالنَّصْرِ ﴿وَلِيُطْمَئِنُّ﴾ تَسْكُنَ ﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾. فَلَا تَجْزَعُ مِنْ كَثْرَةِ الْعَدُوِّ وَقَتْمِكُمْ ﴿وَمَا أَنْصَرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يُوْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ، وَلَيْسَ بِكَرَّةِ الْجُنْدِ.

﴿١٢٧﴾ ﴿لِيَقْطَعَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ«نَصْرِكُمْ»؛ أَيِ: لِيَهْلِكَ ﴿حَطَرًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ ﴿أَوْ يَكْتَبَهُمْ﴾ يَذْلَهُمُ بِالْهَرِيعَةِ ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ يَرْجِعُوا ﴿حَافِينَ﴾ لَمْ يَنْالُوا مَا رَامُوهُ. وَتَزَلَّتْ. كَمَا كَثُرَتْ رِجَالُهُمْ شَجَّ وَخَجَّهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَعُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْذَّمِّ؟» (١٣) (١٤). ﴿١٢٨﴾ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بَلِ الْأَمْرُ لِلَّهِ فَاصْبِرْ ﴿أَوْ﴾ بِمَعْنَى: «إِلَى» أَنْ «يُتَوَبَّعَ عَلَيْهِمْ» بِالْإِسْلَامِ ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ بِالْكَفْرِ.

﴿١٢٩﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعِيدًا ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ الْغُفْرَةُ لَهُ ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تَعْذِيبُهُ ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لِأَوْلِيَائِهِ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِأَهْلِ طَاعَتِهِ.

﴿١٣٠﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي رَزَقْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِصْرَعَةً﴾ بِأَلْفٍ وَدُونِهَا (١٥)؛ بَأَنْ تَرِيدُوا فِي الْمَالِ عِنْدَ حُلُولِ الْأَجَلِ وَتَوْخَرُوا الطَّلَبَ ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ بِتَرْكِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَلْحَقُونَ﴾ تَفْزِزُونَ. ﴿١٣١﴾ ﴿وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أَنْ تَعْدُوا بِهَا. ﴿١٣٢﴾ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا رَسُولَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾.

إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣٣﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٣٤﴾ إِذْ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُثَبِّدَكُمْ رِزْقَكُمْ يَثَلَّةً عَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَلِّينَ ﴿١٣٥﴾ بَلَى إِنْ نَصَبُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ عَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٣٦﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِيُطْمَئِنُّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٣٧﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٣٨﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٣٩﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي رَزَقْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِصْرَعَةً وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٤١﴾ وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا رَسُولَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٤٣﴾

﴿١٢٢﴾ ﴿إِذْ﴾ بَدَلُ مِنْ «إِذْ» قَبْلَهُ ﴿هَمَّتْ﴾ بَنُو سُلَيْمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ جَنَاحِ الْعَسْكَرِ ﴿طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ أَنْ تَفْشَلَا تَجَبُّنَا عَنِ الْقِتَالِ وَتَرْجِعَا لَمَّا رَجَعَ عِبْدَاللهُ بْنُ أَبِي الْمُنَافِقِ وَأَصْحَابُهُ، وَقَالَ: غَلَامٌ نَقَلَتْ أَنْفُسُنَا وَأَوْلَادُنَا؟ وَقَالَ -لَأَبِي جَابِرِ السَّلْمِيِّ الْقَاتِلِ لَهُ: أَنْتُمْ دَعَمْتُمْ اللَّهَ فِي نَبِيِّكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ-: لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَا. فَتَبِعْنَاهُمَا اللَّهُ وَلَمْ يَنْصُرْهُمَا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ نَاصِرُهُمَا ﴿وَعَلَى اللَّهِ

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ آيَةِ (١٢٨): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَمْرِو أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الصَّلَاةِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا»، بَعْدَمَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ظَالِمُونَ﴾. الْبُخَارِيُّ كِتَابُ التَّائِبِينَ (٦٥). سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ (٣) بَابُ (٩).  
(٦) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَسَرَتْ رِجْلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجُمِلَ بِسَلْتِ الدَّمِ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟!» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيرِ (٦٤) بَابُ (٣٧) غَزْوَةُ أُحُدٍ.  
(٧) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٧٥/٨): «طَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو أَنَّهُ ﷺ دَعَا عَلَى الْمَذْكُورِينَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي صَلَاتِهِ؛ فَتَزَلَّتْ آيَةُ فِي الْأَمْرِينِ مَعًا؛ فِيمَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الْمَذْكُورِ، وَفِيمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنَ الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ. وَذَلِكَ فِي أَحَدِهِ...».

(١) بِالتَّشْدِيدِ، وَمَعَهُ فَتْحُ الْوَاوِ، قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ.  
(٢) قِرَاءَتَانِ سَبْعَتَانِ، وَهِيَ بِالْكَسْرِ: اسْمُ فَاعِلٍ؛ وَالْمَعْنَى: مُعَلِّمِينَ أَنْفُسَهُمْ آدَابَ الْحَرْبِ، وَبِالْفَتْحِ: اسْمُ مَفْعُولٍ؛ بِمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُمْ آدَابَهُ، وَبِالْفَتْحِ قِرَاءَةُ حِمْرَةَ وَالْكَسَاءِ وَنَافِعٍ وَابْنِ عَمَرَ.  
(٣) هَذَا مَا رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «فَضَائِلِهِ» عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: «كَانَتْ عِصْمَةُ جَبْرِيلَ يَوْمَ بَدْرٍ صَفْرَاءَ؛ فَتَزَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ كَذَلِكَ».  
(٤) هَذَا، مَا رَوَاهُ إِسْحَاقُ وَطَبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَتْ عِصْمَةُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عِصْمَتُهُمْ بَيْضَاءَ، مُعَلِّمِينَ بِالصُّبُوفِ الْأَبْيَضِ فِي تَوَاجِيهِ الدُّوَابِّ وَأَذْنَائِهِا»، وَجَمَعَ بَيْنَ الرَّوَاتِبَيْنِ بِأَنْ جَبْرِيلَ كَانَتْ عِصْمَتُهُ صَفْرَاءَ، وَغَيْرُهُ كَانَتْ عِصْمَتُهُ بَيْضَاءَ.  
(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (٤٠١٧) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَأَحْمَدُ (١٢٣٦٦، ١٢٦٦٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٦) بِالْفَتْحِ «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رِجْلَيْهِ...».  
(٦) أَيِ: «مُتَضَعَّةٌ» وَهِيَ قِرَاءَةُ: «بَيْنَ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ، وَمَعْنَاهَا كَمَا ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ: كَانَ الطَّلَبُ يَقُولُ: أَتَقْضِي أَمْ تَرِي؟ فَرُبَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ مَرَّةً؛ فَيَزِيدُ الدِّينَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً. وَ«مُتَضَعَّةٌ»: إِشَارَةٌ إِلَى تَكْرِيرِ التَّضْعِيفِ عَمَّا بَعْدَ عَامٍ كَمَا كَانُوا يَضْعِفُونَ، وَهَذَا تَوْحِيدٌ لَا تَقْيِيدٌ أَوْ بِحَسَبِ الْوَاقِعَةِ.



[١٤٣] ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ حيث قلتم: ليت لنا يوماً كيوم بدر؛ لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ﴾ أي: سببته: الحرب ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي: بصراء تتأملون الحال كيف هي؟ فلم انهزمتم؟! ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي قُتل، وقال لهم المنافقون: إن كان قُتل فارجعوا إلى دينكم:

[١٤٤] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كغيره ﴿انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري؛ أي: ما كان معبوداً فرجعوا ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَمُرَّ اللَّهُ شَيْئاً﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمه بالثبات.

[١٤٥] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿كَتَبْنَا﴾ مصدر؛ أي: كتب الله ذلك ﴿مُؤَجَّلًا﴾ مؤقثاً، لا يتقدم ولا يتأخر؛ فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت، والثبات لا يقطع الحياة؟! ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بعمله ﴿تَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: جزاءه منها ﴿تُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ ما قسم له، ولا حظ له في الآخرة ﴿وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ تُوْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: من ثوابها ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

[١٤٦] ﴿وَكَانَ﴾ كم ﴿مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ﴾<sup>(١)</sup> وفي قراءة: ﴿قَتَلَ﴾، والفاعل ضميره<sup>(٢)</sup> ﴿مَعَهُ﴾ خبر مبتدؤه: ﴿رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ جنوا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا أَسْتَكَاثُوا﴾ خضعوا لعدوهم؛ كما فعلتم حين قتل: قتل النبي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّعِيفِينَ﴾ عسى البلاء؛ أي: يبيهم<sup>(٣)</sup>.

[١٤٧] ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ تجاوزنا الحد ﴿فِي أَمْرِنَا﴾ إيداناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمنا لأنفسهم ﴿وَكُنْتَ أَقْدَامُنَا﴾ بالقرعة على الجهاد ﴿وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿فَقَاتِلْهُمْ﴾ الله ﴿تَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحَسَنَ تَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة، وحسنه: التفضل فوق الاستحقاق ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وَلِيَمُحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٤﴾ وَلَقَدْ كُثِرَتْ مَمْنَوَاتُ الْمَوْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَمُرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الدُّنْيَا تُوْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ تُوْتِيهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّعِيفِينَ ﴿١٤٨﴾ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتُبْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاقَاتِلْهُمْ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

[١٤٩] ﴿وَلِيَمُحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمْحَقَ﴾ يهلك ﴿الْكُفْرِينَ﴾.

[١٤٢] ﴿أَمْ﴾ بل<sup>(١)</sup> أ<sup>(٢)</sup> ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ عدم ظهور ﴿وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾ في الشدائد؟!.

(١) ﴿أَمْ﴾ منقطعة؛ فلذا فسرها المفسر «بل» التي للإضراب الانتقالي.

(٢) الهمزة المقدرة للاستفهام الإنكاري.

(٣) أخرجه ابن جرير عن الضحاك (٧٤/٤) من طريق جوير عنه به، وجوير ضعيف جداً كما في التقريب (١٣٦/١) وهو مرسل أيضاً، وضعفه حدداً في الاستيعاب (٣٠٥/١).

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿قاتل﴾.

(٥) يعود إلى النبي، ويحتمل أن يكون الفاعل «ريون»، وعلى القراءة الأولى: (قُلْ يكون نائب الفاعل: «ريون»، أو ضميراً مستتراً يعود إلى «ني».

(٦) هذا تأويل سبق الرد عليه مراراً وبيان مذهب السلف من إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سبحانه - ومن لازم محبته سبحانه للصابرين أن يبيهم ويكرهم.

[١٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿رُدُّوكُمْ إِلَى الْكُفْرِ﴾ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴿قِيلَ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ نَاصِرَكُمْ ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّصِيرِينَ﴾ فَاطِيعُهُ دُونَهُمْ.

[١٥١] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمِّهَا <sup>(١)</sup>؛ الْخَوْفُ، وَقَدْ عَزَمُوا بَعْدَ ارْتِحَالِهِمْ مِنْ أُحُدٍ عَلَى الْعُودِ وَاسْتِثْصَالَ الْمُسْلِمِينَ، فَرَجَعُوا وَهُمْ يَرْجِعُونَ <sup>(٢)</sup> ﴿يَمَّا أَشْرَكُوا﴾ بِسَبَبِ إِشْرَاكَهُمْ ﴿بِاللَّهِ﴾ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا حَقًّا <sup>(٣)</sup> عَلَى عِبَادَتِهِ؛ وَهُوَ: الْأَصْنَامُ وَمَا دُونُهَا. وَبَيَّنَّ مَوْتَى مَاوَى ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ هِيَ.

[١٥٢] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إِبَاكُمُ بِالنَّصْرِ إِذَا تَحَسَّنْتُمْ، تَقْتُلُونَهُمْ ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بِإِذْنِهِ يَارَادَتْهُ ﴿حَتَّى إِذَا فُتِنْتُمْ﴾ جِئْتُمْ عَنِ الْقِتَالِ ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ اخْتَفِئْتُمْ ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أَي: أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْقَامِ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ الرَّمِيِّ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَذَهَبُ فَقَدْ نُصِرَ أَصْحَابُنَا. وَبَعْضُهُمْ: لَا نَخَالِفُ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ أَمْرَهُ؛ فَتَرَكْتُمُ الْمَرْكَزَ؛ لَطَبِ الْغَنِيمَةِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ اللَّهُ﴾ مَا جِئْتُمْ مِنَ النَّصْرِ، وَجَوَابُ «إِذَا» ذَلِكَ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ؛ أَي: مَنَعَكُمْ نَصْرَهُ ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ فَتَرَكَ الْمَرْكَزَ لِلْغَنِيمَةِ ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فَبِتَّ بِهِ حَتَّى قَتَلَ كَعْبُ اللَّهِ بْنِ جَبْرِ وَأَصْحَابَهُ <sup>(٤)</sup> ﴿ثُمَّ مَكَنَّاكُمْ﴾ عَطَفَ عَلَى جَوَابِ «إِذَا» الْمُقَدَّرِ: رَدُّكُمْ بِالْهَزِيمَةِ عَنْهُمْ؛ أَي: الْكُفَّارِ ﴿لِيَتَّبِعَكُمْ﴾ لِيَمْتَحَنَكُمْ؛ فَيُظْهِرَ الْخُلُوصَ مِنْ غَيْرِهِ ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ مَا أَرَكْتُمُوهُ ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالْعَفْوِ.

[١٥٣] اذْكُرُوا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تَبْعِدُونَ فِي الْأَرْضِ هَارِبِينَ ﴿وَلَا تَلُوتُونَ﴾ تُعْرِجُونَ ﴿عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانَكُمْ﴾ أَي: مِنْ وَرَائِكُمْ؛ يَقُولُ: «إِنِّي عِبَادُ اللَّهِ» <sup>(٥)</sup> ﴿فَاتَّبِعْكُمْ﴾ فَجَازَاكُمْ <sup>(٦)</sup> ﴿عَمَّا﴾ الْهَزِيمَةِ ﴿يَعْمَرُ﴾ بِسَبَبِ عَمَلِكُمُ لِلرَّسُولِ بِالْخُلُوفَةِ، وَقِيلَ: الْبَاءُ بِمَعْنَى: عَلَى؛ أَي: مُضَاعَفًا عَلَى غَمٍّ فَوَيْتَ الْغَنِيمَةَ ﴿لِيَكَيْلًا﴾ مُتَعَلِّقًا بِ«عَفَا»، أَوْ بِ«أَتَابِكُمْ»؛ فَ«لَا» زَائِدَةٌ <sup>(٧)</sup> ﴿تَحَذَرُوا عَلَى مَا قَاتَلْتُمْ﴾ مِنَ الْغَنِيمَةِ ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ مِنَ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا  
يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ  
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّصِيرِينَ ﴿١٥١﴾ سَنُلْقِي  
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَمَّا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ  
مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا وَلَهُمُ النَّارُ وَيَسَّ  
مَوْتَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥٢﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ  
وَعْدَهُ إِذْ تَحَسَّنْتُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فُتِنْتُمْ  
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مَنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ  
مَنْ حُجِبَتْ عَنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ  
يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ  
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
﴿١٥٣﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُوتُونَ عَلَى أَحَدٍ  
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانَكُمْ فَأَتَابَكُمُ  
غَمًّا يَعْمَرُ لَكَيْلًا تَحَذَرُوا عَلَى مَا قَاتَلْتُمْ وَلَا  
مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٤﴾

(١) بالضم لابن عامر والكسائي.

(٢) أخرجه ابن جرير عن السدي (٨١/٤) وضعفه جدًا في الاستيعاب (٣٠٧/١).

(٣) سميت سلطانًا؛ لوضوحها وإثارتها، أو لقوتها ونفوذها.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).

(٥) أخرجه الطبري عن السدي (٨٠٥٠).

(٦) جعل الإثابة بمعنى: العقاب، وأصلها في الحسنات؛ لأنه وضعها موضع الثواب؛ ومعناه: جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون عَمَّا يَمُوتُ.

(٧) قوله: «فلا زائدة» راجع إلى تعليق «كَيْلًا» بـ«أَتَابَكُمْ» فقط؛ والمعنى: فجَازَاكُمْ بالغَمِّ لأجل أن تحزنوا، أما إذا كانت متعلقة بـ«عَفَا» فلا تكون زائدة؛ أي: عفا عنكم لأجل أن ينفي حزنكم.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَشْعِي طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفِّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَقُتِلًا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَعْقَرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

[١٥٤] ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً ﴿١﴾ نُّعَاسًا ﴿٢﴾ بدل ﴿يَمِينٌ﴾ بآلاء والنساء ﴿٣﴾ طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴿٤﴾ وهم المؤمنون؛ فكانوا يبدون ﴿٥﴾ تحت الحجب ﴿٦﴾ وتسقط السيوف منهم ﴿٧﴾ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴿٨﴾ أي: حملتهم على الهيم؛ فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي وأصحابه؛ فلم يناموا؛ وهم: المناقرون ﴿٩﴾ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ ظَنًّا ﴿١٠﴾ غَيْرَ الظُّنِّ

﴿الْحَقِّ ظَنٌّ﴾ أي: كظم ﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قُبِلَ ﴿١﴾ أو لا يُضَرُّ ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: النصر الذي وعدناه ﴿٢﴾ من زائدة ﴿عَنْ قُلٍّ﴾ لهم: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ بالنصب تأكيد، أو الرفع مبتدأ خبره: ﴿لِلَّهِ﴾ ﴿٣﴾ أي: القضاء له، يفعل ما يشاء ﴿يُخَفِّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ﴾ ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا﴾ لو كان الاختيار إلينا، لم نخرج؛ فلم نقل، لكن أخرجنا كركنا ﴿قُلٍّ﴾ لهم: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كَتَبَ اللَّهُ عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ﴾ قضي ﴿عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِنْ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم؛ فيقتلوا، ولم ينجم قعودهم؛ لأن قضاء - تعالى - كائن لا محالة ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ بختبر ﴿اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاء ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، لا يخفى عليه شيء؛ وإنما يبتلي؛ ليظهر للناس.

[١٥٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جفغ المسلمون وجفغ الكفار بأحد؛ وهم: المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ﴾ أزلهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسه ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يتعجل على العصاة.

[١٥٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المناققين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ جفغ غار؛ فقتلوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي: لا تقولوا قتلهم ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً﴾ في قلوبهم ﴿وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالثناء والياء ﴿بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١٥٧] ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد ﴿أَوْ مِتُّمْ﴾ بضم الميم وكسر هاء ﴿مِنْ مَاتَ يَمُوتُ﴾ ﴿وَيَمُوتُ﴾ أي: أناكم الموت فيه ﴿لَمَعْقَرَةٌ﴾ كائنة ﴿بَيْنَ اللَّهِ وَلِذُنُوبِكُمْ﴾ وَرَحْمَةٌ مِنْهُ لَكُمْ على ذلك، واللام ومدخلها جواب القسم ﴿١﴾، وهو في موضع الفعل، مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالياء والياء ﴿٢﴾.

(١) أشار بذلك إلى أن الأمانة والأمن بمعنى واحد، وهو الطمأنينة سواء زال الخوف أم لا؟ وقيل: إن الأمن هو الطمأنينة مع روائ سبب الخوف، والأمانة هي الطمأنينة مع وجود أسبابه.

(٢) أي: بدل كل من كل وهو ظاهر، لأن الأمانة هي النعاس بهيئتها، بدل اشتعال؛ لأن الأمانة لها اشتعال بالنعاس وهو له اشتعال بهاء؛ لأنه لا يحصل النعاس إلا للأمن.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي، وعلى الباء الضمير عائد على النعاس، وعلى الناء الضمير عائد على الأمانة.

(٤) أي: يبلون.

(٥) جمع حجة: اسم للترس والدرقة.

(٦) أي: ولن يظهر دبه ولا يتم ما دعا إليه.

(٧) أشار به إلى أنه استفهام إنكاري معناه النفي.

(٨) وجملة ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَيْرٌ مِنْهُ﴾، والرفع قراءة أبي عمرو.

(٩) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(١٠) بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(١١) قوله: (مِنْ مَاتَ يَمُوتُ)، راجع إلى قراءة الضم، من باب: قال يقول، وأصله: يموت؛ بسكون الميم وضم الواو، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها.

(١٢) قوله: (وَيَمُوتُ)، راجع إلى قراءة الكسر؛ وهي من باب: خاف يخاف، وأصله: من مات يموت؛ بسكون الميم وفتح الواو، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها، ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلت ألقا.

(١٣) وجوب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم؛ لقول ابن مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم \* جواب ما أعرت فهو ملزم

(١٤) بالياء قراءة السبعة عدا حفص.

[١٥٨] ﴿وَلَيْنَ لَامَ قَسَمَ مُتَمِّمًا بِالْوَجْهِينَ<sup>(١)</sup>﴾ «أَوْ قِيلْتُمْ فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لَا إِلَى غَيْرِهِ «تُحْشَرُونَ» فِي الْآخِرَةِ؛ فَيَجَازِيكُمْ.

[١٥٩] ﴿فِيمَا رَحِمَ مِنْ اللَّهِ لَيْتَ﴾ يَا مُحَمَّد «لَهُمْ» أَي: سَهَلَتْ أَحْلَاكَ إِذْ خَالَفَكَ «وَكُنْتَ فَطَا» سَجَى الْخَلْقِ «غَلِظَ الْقَلْبُ» جَافِيَا فَأَغْلَظْتَ لَهُمْ «لَا تَقْضُوا» تَفْرُقُوا «بَيْنَ حَوْلِكَ فَاعْتَفَ» تَجَاوَزَ «عَنْهُمْ» مَا أَنُوهُ «وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ» ذُنُوبَهُمْ حَتَّى أَغْفِرَ لَهُمْ «وَيَسْأَلُونَكَ» اسْتَخْرَجَ أَرْعَاهُمْ «فِي الْأَمْرِ» أَي: شَأْنِكُمْ مِنَ الْحَرْبِ وَغَيْرِهِ؛ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، وَلِيُشَبِّهَنَّ بِكَ، وَكَانَ ﷺ كَثِيرَ الْمَشَاوَرَةِ بِهِمْ «فَإِذَا عَزَمْتَ» عَلَى إِمْضَاءِ مَا تَرِيدُ بَعْدَ الْمَشَاوَرَةِ «فَقَرَّرْ عَلَى اللَّهِ» ثَوْبَهُ لَا بِالْمَشَاوَرَةِ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» عَلَيْهِ.

[١٦٠] ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ﴾ يُعْزِمُكُمْ عَلَى عُدُوِّكُمْ؛ كَيَوْمِ بَدْرٍ «فَلَا غَالِبَ لَكُمْ» وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ «يَبْرِكْ نَصْرُكُمْ» كَيَوْمِ أُخِيدٍ «فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِيهِ» أَي: بَعْدَ خِذْلَانِهِ؛ أَي: لَا نَاصِرَ لَكُمْ «وَعَلَى اللَّهِ» لَا غَيْرُهُ «فَلْيَتَوَكَّلْ» لِيَتَّقِ «الْمُؤْمِنُونَ». وَتَوَكَّلْتُ - لِمَا فَقَدْتُ قَطِيفَةَ حِمْرَاءَ يَوْمِ أُخِيدٍ؛ فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَعَلَّ النَّبِيَّ أَخَذَهَا -: [١٦١] «وَمَا كَانَ»<sup>(٢)</sup> مَا يَنْبَغِي «لِيَنْبِيَّ أَنْ يَقُلَ» يَخُونُ فِي الْغَنِيمَةِ؛ فَلَا تَقْنَطُوا بِهِ ذَلِكَ، وَفِي قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْمُسْمُولِ<sup>(٣)</sup>؛ أَي: أَنَّ يُنْسَبَ إِلَى الْغُلُولِ «وَمَنْ يَقْتُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ» حَامِلًا لَهُ عَلَى عُنُقِهِ «ثُمَّ تُؤْتَى كُلُّ نَفْسٍ» الْعَالُ وَغَيْرُهُ جَزَاءً «مَا كَسَبَتْ» عَمِلَتْ «وَهُمْ لَا يظْلُمُونَ» شَيْئًا<sup>(٤)</sup>.

[١٦٢] ﴿أَقْمِنِ أَتْبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ﴾ فَأُطَاعَ وَلَمْ يَغْلُ «كَمَنْ يَلَهُ» رَجَعَ «يَسْخَطُ مِنْ اللَّهِ» لِمَعْصِيَتِهِ وَغُلُولِهِ «وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ وَيَسُ الْمَصِيرُ» الْمَرْجِعُ هِيَ؛ لَا<sup>(٥)</sup>. [١٦٣] «هُمْ دَرَجَتٌ» أَي: أَصْحَابُ دَرَجَاتٍ «عِنْدَ اللَّهِ» أَي: مُخْتَلِفُو الْمَنَازِلِ؛ فَلْيَنْ أَتْبَعَ رِضْوَانَهُ الثَّوَابَ، وَلْيَنْ بَاءَ يَسْخَطُهُ الْعِقَابَ «وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ» فَيَجَازِيهِمْ بِهِ. [١٦٤] «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» أَي: عَرَبِيًّا مِثْلَهُمْ؛ لِيَفْهَمُوا عَنْهُ وَيُشِيرُوا بِهِ، لَا مَلِكًا وَلَا عَجَمِيًّا «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ» مَا يَنْبَغِي. «الْقُرْآنَ وَنَزَّلَ فِيهِمْ» يَطْهَرُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ «وَلَقُلْهُمْ الْكِتَابَ» الْقُرْآنَ «وَالْحِكْمَةَ» السَّنَةَ «وَوَيْنَ» مُخَفَّفَةٌ؛ أَي: إِنْهُمْ «كَانُوا مِنْ قَبْلُ» أَي: قَبْلَ بَعَثِهِ «لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» بَيِّن.

[١٦٥] ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ بِأُخِيدٍ يَقْتُلُ سَبْعِينَ مِنْكُمْ «قَدْ أَصَابَكُمْ مُثْلُهَا» بِيَدِ يَقْتُلُ سَبْعِينَ وَأَسْرَ سَبْعِينَ مِنْهُمْ «فَلْتَرْ» مُتَعَجِبِينَ: «أَنِّي» مِنْ أَيْنَ لَنَا «هَذَا» الْخِذْلَانُ وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ فِينَا؟! وَالْجُمْلَةُ الْآخِرَةُ<sup>(٥)</sup> مَحَلُّ الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ<sup>(٦)</sup> «قُلْ» لَهُمْ: «هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا الْمَرْكَزَ؛ فَخِذْلَانَهُمْ «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» وَمِنْهُ النَّصْرُ وَمَنْعُهُ، وَقَدْ جَازَاكُمْ بِخِلَافِكُمْ.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ الْآيَةِ (١٦١): أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَقُلَ» فِي قَطِيفَةِ حِمْرَاءَ فَقَدْتُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا، فَأَنزَلَ اللَّهُ ﷻ: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَقُلَ» إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الْحُرُوفِ وَالْقِرَاءَاتِ (٢٤) رَقْم (٣٩٧١). وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣٣٦٠).

(١) أَي: ضَمَّ الْمِمْ وَكَسَرَهَا، وَالْكَسْرُ قِرَاءَةُ حِمْرَةٍ وَالْكَسَائِيُّ وَنَافِعٌ.

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٩٧١)، وَالثِّرَمَذِيُّ (٣٠٠٩)، وَانْظُرْ مَا جَاءَ فِي نَزُولِ الْآيَةِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣٣٦٠).

(٣) لِحِمْرَةٍ وَالْكَسَائِيُّ وَنَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ.

(٤) قَوْلُهُ: (لَا)، جَوَابُ الِاسْتِفْهَامِ.

(٥) وَهِيَ قَوْلُهُ: «فَلْتَرْ».

(٦) أَي: فَهُوَ بِمَعْنَى النَّفْيِ؛ وَالْمَعْنَى: لَا تَقُولُوا ذَلِكَ حِينَ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ؛ فَسَبِيحُ ظَاهِرٍ لَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ.

وَلَيْنَ مُتَمِّمٌ أَوْ قِيلْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِيهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَقْمِنِ أَتْبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ يَلَهُ اللَّهُ كَمَنْ بَاءَ يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ وَيَسُ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أُولَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَابَتْكُمْ مِثْلُهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

للمؤمنين، وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ﴾  
بأفوههم مآ لیس فی قلوبهم ﴿ولو علموا قتلاً لم يتبعوكم﴾ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

[١٦٨] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله<sup>(١)</sup>، أو نعت ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾  
في الدين ﴿وَقَدْ قَاتَلُوا﴾ عن الجهاد: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي: شهداء أخيه  
أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُوا قُلُوبُهُمْ﴾ لهم: ﴿فَادْرَأُوا﴾ ادفعوا ﴿وَعَنْ  
أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ﴾ إن كنتم صديقين ﴿في أن القعود ينجي منه﴾.  
[١٦٩] ونزل في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ بالتخفيف  
والتشديد<sup>(٢)</sup> ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لأجل دينه ﴿أَمْوَاتًا بَلْ هُمْ﴾  
عند ربهم ﴿أَرْوَاحُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ تَحْضُرُ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ﴾  
كما ورد في الحديث<sup>(٣)</sup> ﴿يَرْزُقُونَ﴾ يأكلون من ثمار الجنة<sup>(٤)</sup>.

[١٧٠] ﴿وَرَحِيمٍ﴾ حال من ضمير «يرزقون» ﴿يَسَاءَ عَاقِبَتُهُمْ﴾ الله من  
فضله ﴿وَهُمْ﴾ هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾  
من إخوانهم المؤمنين، ويبدل من «الذين» ﴿وَأَنْ﴾ بآن ﴿لَا خَوْفٌ  
عَلَيْهِمْ﴾ أي: الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ المعنى:  
يفرحون بأمنهم وفرحهم.

[١٧١] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ ثواب ﴿مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه  
﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفًا على «نعمة» وبالكسر استئنافًا<sup>(٥)</sup> ﴿اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
الْمُؤْمِنِينَ﴾ بل بأجرهم.

[١٧٢] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ دعاء بالخروج  
للقاتل؛ لما أراد أبو سفيان وأصحابه العودة<sup>(٦)</sup>، تواعدوا مع النبي ﷺ سوق بدر  
العام المقبل من يوم أخيه ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بأخيه<sup>(٨)</sup>، وخبر  
المبتدأ: ﴿بِالَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَأَتَقُوا﴾ مخالفتهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾  
هو الجنة.

[١٧٣] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله، أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾  
أي: نعيم بن مسعود الأشجعي: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ  
جَبَعُوا كَتَمٌ﴾ الجموع؛ ليسأصلوكم ﴿فَاقْتَوْهُمْ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَرَادَهُمْ﴾  
ذلك القول ﴿إِيْنَا﴾ تصديقًا بالله ويقينًا ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافيًا  
أمرهم ﴿وَيَعْتَمِدُ الْوَكِيلُ﴾ المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ؛  
فوافوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه؛ فلم يأتوا،  
وكان معهم تجارات فباعوا وربعوا<sup>(٩)</sup>. قال الله - تعالى -:

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فِإِذَنْ اللَّهُ وَلِعَلَّ الْمُؤْمِنِينَ  
وَلِعَلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فِى سَبِيلِ اللَّهِ  
أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَتُكُمْ هُى لِّلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ  
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا  
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُوبُهُمْ قَادَرُوا وَعَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ  
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ  
مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ  
بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ  
الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ  
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ  
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

[١٦٦] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأخيه ﴿فِإِذَنْ اللَّهُ﴾ بإرادته  
﴿وَلِعَلَّ﴾ علم ظهور<sup>(١)</sup> ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

[١٦٧] ﴿وَلِعَلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن  
القتال؛ وهم: عبدالله بن أمي وأصحابه: ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾  
أعداءه ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُوا لَوْ  
نَعْلَمُ﴾ نخسين<sup>(٢)</sup> ﴿وَقِتَالًا لَا تَبَعَتُكُمْ﴾ قال - تعالى - تكذبتا لهم:  
﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم

(١) ما جاء في نزول الآية (١٦٩): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد حمل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياه في الجنة نرزق، فلا يرهبوا في الجهاد ولا يتكلموا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أعلمهم عنكم. قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية. أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٧) في فضل الشهادة. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٩).

(١) أي: بالنسبة للخلق.

(٢) وفي الآية قول آخر لعله الأقرب، وهو أن المعنى: لو تعلم أنه سيكون قتال لقاتلنا معكم. وفي الإتيان (١٢٧/٢) قال الشيخ السيوطي رحمه الله في كلامه على الحذف: «نحو ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَتُكُمْ﴾ أي: مكان قتال، والمراد مكانًا صالحًا للقتال، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخير الناس بالقتال، ويتفكرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه، فالعادة تمنع أن يريدوا: لو تعلم حقيقة القتال، فلذلك قدره مجاهد: مكان قتال». (٣) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾. (٤) بالتشديد قراءة ابن عامر. (٥) رواه مسلم من حديث ابن مسعود (١٨٨٧)، وسبق ذكره وتخريجه عند الآية (١٥٤) من سورة البقرة. (٦) بالكسر قراءة الكسائي. (٧) أخرج نحوه النسائي في التفسير (٣٤٣/١)، والطبراني في الكبير عن ابن عباس (١١/١١٣٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١/٦): «ورجلاه رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز، وهو ثقة، وصححه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٥/١)». وقال الحافظ في الفتح (٢٢٨/٨-٢٢٩): «الحقوف إرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس... وضعفه في الاستيعاب (٣٣٤/١)». (٨) فيه أن الذين استجابوا لله والرسول ﷺ هم الذين حضروا أحدًا، ونزلت في أهل أحد حين داهم للقتال ثانية، وقال: «لا يخرج نقتالًا من شهد القتال»، واستجاب له المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد والخوف المريد، وسار ﷺ والمسلمون معه حتى بلوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة، فالآية ليست في غزوة بدر الموعدة كما ذهب لبعضهم. وقول المفسر: لما أراد أبو سفيان وأصحابه... إلخ غير صحيح؛ إذ إن خروجه ﷺ والصحابه لم يكن نتيجة إرادة أبي سفيان وأصحابه العود كما ذكر. (٩) ذكره الواقدي في مغاريه (٢٨٤/١)، وأكثر أهل السير أن هذه الحادثة كانت بعد أحد في حمراء الأسد، ويؤيده ما أخرجه في الصحيحين عن عائشة ﷺ قالت لغروة: يا ابن أخي كان أبوك، منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون: خاف أن يرجعوا، قال: «من ذهب في إثرهم ... الحديث» البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (١٨٨١).



[١٧٤] ﴿فَأَنقَلَبُوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ بسلامة وريح ﴿لَمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته واطاعة رسوله في الخروج ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته.

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أي: القاتل لكم: إن الناس... إلخ ﴿الشَّيْطَانُ يَوْفَىٰ﴾ كُمْ ﴿أُولَآئِكَ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُون﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

[١٧٦] ﴿وَلَا يَخْزِيكَ﴾ بضم الباء وكسر الزاي<sup>(١)</sup>، ويفتحها وضم الزاي: من «خزته» لغة في «أخزته»<sup>(٢)</sup> ﴿الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعًا بنصرته؛ وهم: أهل مكة أو المنافقون؛ أي: لا نهتم لكفرهم ﴿إِنَّمَا تَن يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بفتحهم؛ وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا﴾ نصيبًا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة؛ فلذلك خذلهم الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

[١٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أَشْرَكُوا بِالْإِيمَانِ ﴿أَي: أَخَذُوهُ بَدَلَهُ﴾ كُن يَصْرُوا اللَّهَ بكفرهم ﴿شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء<sup>(٣)</sup> ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي﴾ أي: إملاءنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَبْرًا لِّنَفْسِهِمْ﴾ وأنهم ومعمولاها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية، ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُثَلِّي﴾ نعمل ﴿لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾ بكثره المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة في الآخرة.

[١٧٩] ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليرك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد؛ يفصل ﴿الْحَيِّثُ﴾ المنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة الميينة لذلك؛ ففعل ذلك يوم أُحُد ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيطبعه على غيبه؛ كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وَإِنْ تَوَيْمَنُوا وَتَشَقَّوْا النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء<sup>(٤)</sup> ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: بركاته ﴿هُوَ﴾ أي: بخلهم ﴿خَبْرًا لَّهُمْ﴾ مفعول ثان، والضمير للفصل، والأول<sup>(٥)</sup> «بخلهم» مقدرا قبل الموصول على الفوقانية<sup>(٦)</sup>، وقبل الضمير على التحتانية<sup>(٧)</sup> ﴿بَلْ هُوَ مَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ﴾ أي: بركاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه؛ كما ورد في الحديث<sup>(٨)</sup> ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والياء<sup>(٩)</sup> ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

(١) وهي قراءة نافع.

(٢) قوله: «من «خزته»... إلخ» راجع إلى القراءة الثانية بفتح الباء وضم الزاي.

(٣) قرئان سبعتان، وبإتاء قراءة حمزة. وعلى قراءة التاء وهي قراءة حمزة: الخطاب للنبي ﷺ، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول أول ل (تحسين)، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ﴾ في محل المفعول الثاني. وعلى قراءة الياء - وهي قراءة الباقيين - : يكون قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل (تحسين) وقوله: ﴿أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ خَبْرًا...﴾ سد مسد مفعولها كما ذكر المفسر.

(٤) التاء: قراءة حمزة، وبالياء قرأ الباقون.

(٥) أي المفعول الأول.

(٦) أي فتقديره: (ولا تحسبن بخل الذين يبخلون... إلخ) خبرا لهم؛ فقول المفسر: «بخلهم» فيه تسامح؛ لأن المقدّر قبل الموصول يكون مضافًا له لا للضمير، وإنما المضاف إلى الضمير هو ما قدر قبله. (٧) أي فتقديره: (ولا يحسبن الذين يبخلون... إلخ) بخلهم خبرا لهم.

(٨) وهو قوله ﷺ: «مثل مال مانع الزكاة شجاع أقرع له زبيبتان، يأخذ بلمرئيه ويقول: أنا كنزك، أنا مالك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾... الآية. البخاري (٤٥٦٥)، ومسلم (٩٨٨).

(٩) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وبإتاء قرأ الباقون.

فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَخْزِيكَ الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ أَنَّهُمْ لَن يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ كُفْرَهُمْ أَنَّهُمْ لَن يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ كُفْرَهُمْ أَنَّهُمْ لَن يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٩﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تَوَيْمَنُوا وَتَشَقَّوْا فَلَكَ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٨٠﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨١﴾

نَكَبَ ﴿وَقَتْلَهُمْ﴾ بالنصب والرفع<sup>(١)</sup> ﴿الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾  
 بالنون والياء<sup>(٢)</sup>؛ أي: الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة: ﴿ذُوقُوا  
 عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار. ويقال لهم إذا ألقوا فيها: [١٨٢] ﴿ذَلِكَ﴾  
 العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان؛ لأن أكثر الأفعال تُزاول  
 بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بذي ظلم<sup>(٣)</sup> ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فيعذبهم بغير  
 ذنب. [١٨٣] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوا﴾ محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾  
 قد ﴿عٰهَدَ إِلَيْنَا﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصده عنه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيََنَا﴾  
 بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ فلا تؤمن لك حتى تأتينا به؛ وهو ما يُتَقَوَّبُ به إلى  
 الله من نعم وغيره، فإن قيل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته، وإلا بقي  
 مكانه، وعُهِدَ إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد، قال - تعالى -:  
 ﴿فَلَمَّا﴾ لهم توبيخاً: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بالمعجزات  
 ﴿وَيَأْتِيَنَّكُمْ﴾ كتركيبا ويحيى قتلتموهم، والخطاب لمن في زمن نبينا  
 محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم؛ لرضاعهم به ﴿فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ إن  
 كُنتُمْ صَادِقِينَ في أنكم تؤمنون عند الإنيان به؟ [١٨٤] ﴿فَإِنْ﴾  
 كَذَّبْتُمْ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾  
 كصحف إبراهيم ﴿وَالْكِتَابِ﴾ وفي قراءة: ياتيات الباء فيها<sup>(٤)</sup> ﴿الْمُنِيرِ﴾  
 الواضح؛ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ الْجُورَ﴾ جزاء  
 أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ﴾ بُعِدَ ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾  
 فَقَدْ قَازَ نال غايه مطلوبه<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا﴾  
 مَتْنَعٌ الْمُنْعَى الباطل؛ يتمتع بها قليلا ثم يفتنى.

[١٨٦] ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ حذف منه نون الرفع؛ لتوالي النونات، والواو  
 ضمير الجمع؛ لانتفاء الساكنين؛ لُحْثِيُونَ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بالفرائض فيها  
 والحوالح ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالعادات والبداء ﴿وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا  
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ اليهود والنصارى<sup>(٦)</sup> ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من  
 العرب ﴿أَذْكَى كَثِيرًا﴾ من السب والطعن والتشبيب<sup>(٧)</sup> بنسائكم  
 ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ﴾  
 الْأُمُورِ أي: من معزوماتها التي يحرم عليها؛ لوجوبها.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ  
 سَنَكُفُّ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْآبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ  
 ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٦﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ  
 وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٨٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ  
 عٰهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيََنَا بِقُرْآنٍ  
 تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ  
 وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
 ﴿١٨٨﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكُمْ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءُوا  
 بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ  
 ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ الْجُورَ كَمَفْزَعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَازَ وَمَا  
 الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٩٠﴾ تَسَبَّحُوا فِي  
 أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا  
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْيَ كَثِيرٍ  
 وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٩١﴾

[١٨١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾  
 وهم اليهود قالوه لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقالوا: لو  
 كان غنيا ما استقرضنا<sup>(١)</sup> ﴿سَنَكُفُّ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا﴾ في  
 صحائف أعمالهم؛ ليجازوا عليه، وفي قراءة: بالياء مبنيا للمفعول<sup>(٢)</sup> ﴿وَوَقُلْ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٦): أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه - وكان أحد الثلاثة الذين تب عليهم - وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون، ومنهم المشركون يعبدون الأوثان، واليهود، وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالصبر والعفو، ففهم أنزل الله: ﴿وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية. فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رجلا يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة - وذكر قصة قتله، فلما قتلوه فرغت اليهود والمشركون، فعدوا على النبي ﷺ، فقالوا: طرق صاحبنا قتل. فذكر لهم النبي ﷺ الذي كان يقول. ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكف عنه وبينهم كتابا ينتهون إلى ما فيه. فكف النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة.

أبو داود - كتاب الخراج والإمارة (١٤) باب (٢٢) كيف كان إخراج اليهود من المدينة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٢٠٩٤).

(١) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٠/٢). عن ابن عباس بسند حسن.

(٢) لف ونشر مرتب؛ والنصب (وقتلهم): على قراءة (شون) وهي قراءة حمزة، والرفع (وقتلهم): على قراءة الباء للبيان.

(٣) على التفضيل في الهامش السابق.

(٤) قرأ هشام: (وبالزبر وبالكتاب)، وقرأ ابن ذكوان: (وبالزبر والكتاب).

(٥) هذا التفسير يورث عدم إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وهو مذهب المعتزلة - الذي هو أعظم نعيم وغاية مطلوب، كما قال البلقيني: استخرجته من الكشف اعتزلاً بالناقض من تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَازَ﴾. قال: أي فوز أعظم من دخول الجنة، أشار به إلى عدم الرؤية. والمصنف مذهبه إثبات الرؤية كما في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: أي لا تراه، وهذا مخصوص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْبُيُوتُ كَالْعِزَّةِ﴾ [البقرة: ٢٢، ٢٣] وحديث الشيخين: ﴿إنكم سترون ربكم...﴾.

(٨) أي بذكر محاسنهن وأوصافهن بالقصائد، وتناشدها بينهم، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف، لعنه الله.

[١٨٧] ﴿وَذَكَرْ﴾ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴿أَي: الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ لَنُؤَيِّدَنَّكُمْ ﴿أَي: الْكِتَابَ﴾ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿أَي: الْكِتَابَ، بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ فِي الْفَعْلَيْنِ<sup>(١)</sup>﴾ فَصَدُّوهُمُ طَرَحُوا الْمِيثَاقَ ﴿وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾ فَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ ﴿وَأَشْتَرُوا بِهِ﴾ أَخَذُوا بِدَلِهِ ﴿ثُمَّ قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ مَسْلَظِهِمْ بِرِيَاسَتِهِمْ فِي الْعِلْمِ، فَكَتَمُوهُ خَوْفَ قُوَّتِهِ عَلَيْهِمْ ﴿يُشْسُ مَا يُشْتَرُونَ﴾ شَرَاؤَهُمْ هَذَا.

[١٨٨] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ<sup>(٢)</sup> ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾ فَعَلُوا فِي إِضْلَالِ النَّاسِ ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالْحَقِّ وَهُمْ عَلَى ضَلَالٍ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ فِي الْوَجْهِ<sup>(٣)</sup> تَأْكِيدَ ﴿يَمْقَازُونَ﴾ بِمَكَانٍ يَنْجُونَ فِيهِ ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾ فِي الْآخِرَةِ؛ بَلْ هُمْ فِي مَكَانٍ يَعْذِبُونَ فِيهِ؛ وَهُوَ جَهَنَّمُ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤَلَّفٌ فِيهَا<sup>(٤)</sup>، وَمَفْعُولًا «يَحْسَبُ» الْأَوَّلَى ذَلِكَ عَلَيْهَا مَفْعُولًا الثَّانِيَةَ عَلَى قِرَاءَةِ التَّحْنَانِيَةِ<sup>(٥)</sup>، وَعَلَى الْفَوْقَانِيَةِ حَذْفُ الثَّانِي فَقَطْ<sup>(٦)</sup>. [١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خَزَائِنُ الْمَطَرِ وَالرِّزْقِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِهَا ﴿وَاللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَمِنهُ تَعْدِيدُ الْكَافِرِينَ وَالْإِنْمَاءُ الْمُؤْمِنِينَ.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْعَجَائِبِ ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بِالْجَوْنِ وَالزَّهَابِ، وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ ﴿لَا تُكَلِّمُ﴾ دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَتِهِ - تَعَالَى - ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ لِذَوِي الْعُقُولِ. [١٩١] ﴿الَّذِينَ﴾ نَعَتْ لَمَّا قَبْلَهُ، أَوْ بَدَلَ ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ مَضْطَجِعِينَ؛ أَيْ: فِي كُلِّ حَالٍ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَصْلُونَ كَذَلِكَ حَسَبَ الطَّاقَةِ ﴿وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لِيَسْتَدْلُوا بِهِ عَلَى قُدْرَةِ صَانِعِهِمَا، يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ خَلَقَ الَّذِي نَرَاهُ ﴿بَطَلًا﴾ حَالٍ، عَبَثًا؛ بَلْ دَلِيلًا عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِكَ ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تَنْزِيهَاً لَكَ عَنِ الْعَبَثِ ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ﴾ لِلْخُلُودِ فِيهَا ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ أَهْنَتْهُ ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ، فِيهِ وَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ<sup>(٧)</sup>؛ إِشْعَارًا بِتَخْصِصِ الْخِزْيِ بِهِمْ ﴿وَمِنْ﴾ زَائِدَةٌ<sup>(٨)</sup> ﴿أَنْصَارٍ﴾ يَمْنَعُونَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ - تَعَالَى.

[١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي﴾ يَدْعُو النَّاسَ ﴿لِلْإِيمَانِ﴾ أَيْ: إِلَيْهِ؛ وَهُوَ: مُحَمَّدٌ، أَوْ اقْرَأَنَّ ﴿أَنْ﴾ أَيْ: بَانَ ﴿وَأَمْسُوا بِرَبِّكُمْ فَاقْمَأْظِرُوا﴾ بِه ﴿رَبَّنَا قَاغُورَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ غَطًّا<sup>(٩)</sup>﴾ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا فَلَا تَنْظُرْهَا

وَأَذْأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَنُؤَيِّدَنَّكُمْ وَلَا تَكْفُرُونَ قَلِيلًا فَيُشْسُ مَا يُشْتَرُونَ أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطَلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَاقْمَأْظِرُوا رَبَّنَا قَاغُورَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّفْ مَعَ الْآبَرَارِ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ

بِالْعَقَابِ عَلَيْهَا ﴿وَتَوَقَّفْنَا﴾ أَقْبَضَ أَرْوَاحَنَا ﴿مَعَ﴾ فِي جُمْلَةٍ ﴿الْآبَرَارِ﴾ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ. [١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أَعْطِنَا ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ بِهِ ﴿عَلَى﴾ أَلْسِنَةِ ﴿رُسُلِكَ﴾ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْفَضْلِ، وَشَوَّاهُمْ ذَلِكَ - وَإِنْ كَانَ وَعْدُهُ - تَعَالَى - لَا يُخْلَفُ - مُؤَالٌ أَنْ يَجْعَلَهُمْ مِنْ مُسْتَحْقِيهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَّقُوا اسْتِحْقَاقَهُمْ لَهُ، وَتَكَرَّرَ «رَبَّنَا» مِبَالِغَةً فِي التَّضَرُّعِ ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ الْوَعْدَ بِالْبَعَثِ وَالْجَزَاءِ.

\*\*\*

(هـ) مَا جَاءَ فِي نزول الآية (١٨٨): أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْغُرِّ تَخَفُّوا عَنْهُ وَفَرَحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اعْتَدُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا، وَأَحْبَبُوا أَنْ يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ...﴾ الآية. الْبَخَارِيُّ: كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٦٥). سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ (٣) بَابُ (١٦).

(١) أَيْ: وَهَمَا: «يُؤَيِّدَنَّكُمْ» وَ«لَا يَكْفُرُونَ»، وَقِرَاءَةُ الْيَاءِ لَا يَنْبَغُ وَأَيْ: كَثِيرٌ وَهُوَ شُعْبَةٌ، وَقُرَأَ بِالْقَوْنِ بِالنَّاءِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

(٢) قُرَأَ بِالْيَاءِ: نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامَرٍ، وَبِالْقَوْنِ بِالنَّاءِ.

(٣) أَيْ: عَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ.

(٤) وَالتَّحْنِينُ: أَنْفُسُهُمْ نَاجِينَ.

(٥) وَتَنْذِيرُهُ: نَاجِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

(٦) حَيْثُ قَالَ: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: «وَمَا لَهُمْ».

(٧) لِلتَّوَكُّيدِ.

(٨) فِي نَسَخَةِ: «خَطَّةٌ»، وَالثَّبَتُ هُوَ الْمَوَاقِفُ لَمَّا بَعْدَهُ فِي قَوْلِهِ: «فَلَا تَنْظُرْهَا...» إلخ.

إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾ دِينِي ﴿وَقَتَلُوا﴾ الْكَفَّارَ ﴿وَقَتَلُوا﴾ بِالْخَفِيفِ وَالشَّدِيدِ<sup>(١)</sup>، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِتَقْدِيمِهِ<sup>(٢)</sup> ﴿لَا كُفْرًا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أَسْتَرَهَا بِالْمَغْفِرَةِ ﴿وَلَا دُخْلَهُنَّ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ مُصَدَّرٌ مِنْ مَعْنَى «لَا كُفْرًا» مُؤَكَّدٌ لَهُ ﴿وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فِيهِ الثَّقَاتُ عَنْ التَّكَلُّمِ<sup>(٣)</sup> ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ الْحِزَاءُ.

[١٩٦] وَنَزَلَ - لَمَّا قَالَ الْمُسْلِمُونَ: أَعْدَاكَ اللَّهُ فِيمَا نَرَى مِنَ الْخَيْرِ، وَنَحْنُ فِي الْجَهْدِ -: ﴿لَا يَغْنَبُكَ قَلْبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(٤)</sup> تَصْرِفُهُمْ ﴿فِي الْيَلَدِ﴾ بِالْجَارَةِ وَالْكَسْبِ.

[١٩٧] هُوَ ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ يَمْتَحِنُونَ بِهِ يَسِيرًا فِي الدُّنْيَا وَيَفْنَى ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلْهَادِ الْفِرَاشَ﴾.

[١٩٨] وَلَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لِيَجْزِ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ أَيُّ مُقَدَّرِينَ الْخُلُودِ ﴿فِيهَا نُزُلًا﴾ وَهُوَ مَا يُعَدُّ لِلضَّيْفِ، وَنُصِبَهُ عَلَى الْحَالِ مِنْ «جَنَاتٍ»، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الظَّرْفِ ﴿وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ﴾ خَيْرٌ لِلْآثَرِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

[١٩٩] ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ﴾ كَعَبِدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ، وَالنَّجَاشِيِّ<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ﴾ أَيُّ: الْقُرْآنَ ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ﴾ أَيُّ: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿حَشِيشِينَ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «يُؤْمِنَ» مُرَاعَى فِيهِ مَعْنَى «مَنْ» أَيُّ: مُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ أَمَّا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنْ بَعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا بَأَنْ يَكْتُمُوهَُا؛ خَوْفًا عَلَى الرِّيَاسَةِ؛ كَقَعْلٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يُؤْتُوْنَهُ مَرَّتَيْنِ؛ كَمَا فِي الْقَصَصِ<sup>(٦)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يَحَاسِبُ الْخَلْقَ فِي قَدَرِ نَصْفِ نَهَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا<sup>(٧)</sup>.

[٢٠٠] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْمَصَائِبِ، وَعَنِ الْمَعَاصِي ﴿وَصَابِرُوا﴾ الْكَفَّارَ؛ فَلَا يَكُونُوا أَشَدَّ صَبْرًا مِنْكُمْ ﴿وَرَابِطُوا﴾ أَقْبِمُوا عَلَى الْجِهَادِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تَفُوزُونَ بِالْجَنَّةِ وَتَنْجُونَ مِنَ النَّارِ.

\*\*\*

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَيْ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَهُنَّ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ<sup>(٨)</sup> لَا يَغْنَبُكَ قَلْبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَلَدِ<sup>(٩)</sup> مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَهَادِ<sup>(١٠)</sup> لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لِيَجْزِ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا نُزُلًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآثَرِ<sup>(١١)</sup> وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ<sup>(١٢)</sup> يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ<sup>(١٣)</sup>

### سُورَةُ النَّبَاِ

[١٩٥] ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دَعَاَهُمْ ﴿إِلَّيَّ﴾ أَيُّ: بَأَنِّي ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى بَعْضُكُمْ﴾ كَانَتْ ﴿بَيْنَ بَعْضٍ﴾ أَيُّ: الذَّكَورِ مِنَ الْإِنَاثِ وَبِالْعَكْسِ، وَالْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلُهَا؛ أَيُّ: هُمْ سَوَاءٌ فِي الْمَجَازَةِ بِالْأَعْمَالِ وَتَرَكَ تَضْيِيعَهَا، نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَسْمَعُ ذِكْرَ النِّسَاءِ فِي الْهَجْرَةِ بِنِسَاءِ<sup>(١٤)</sup>، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ مِنْ مَكَّةَ

(٥) مَا جَاءَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ (١٩٥): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَسْمَعُ ذِكْرَ النِّسَاءِ فِي الْهَجْرَةِ! فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ (صَحِيحٌ بِمَا قِيلَ) صَحِيحٌ سَنَ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٢٠).

(٥٥) مَا جَاءَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ (١٩٩): أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٥٦/١) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَعِيُّ النَّجَاشِيِّ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلُّوا عَلَيْهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَصَلِّي عَلَى عَبْدِ حَشِيٍّ؟ فَأَنزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ (٣٨/٣): «رَوَاهُ الرَّارِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُ الصُّبْرَانِيِّ ثَقَاتٌ». اهـ.

وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ. وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ (٣٥٢/١).

(١) بِالْشَّدِيدِ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ.

(٢) أَيُّ: يَتَقَدَّمُ الْمَبْنِيُّ لِلْمَفْعُولِ، لَكِنْ بِالْخَفِيفِ، وَتَكُونُ الْوَاوُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ بِمَعْنَى: مَعَ؛ أَيُّ: مَعَ كَوْنِهِمْ قَاتِلُوا فَلَمْ يَفِرُوا، بَلْ قَتَلُوا فِي حَالِ مَقَاتَلَتِهِمُ الْأَعْدَاءَ، وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةَ وَالْكَسَاةِ.

(٣) أَيُّ: وَكَانَ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يَقُولَ: «ثَوَابًا مِنْ عِنْدِي»، وَإِنَّمَا أَظْهَرَ مَحْسُورَ الْإِضْمَارِ تَشْرِيفًا لَهُمْ.

(٤) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ، وَذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٥٤/٢).

(٥) الْآيَاتُ مِنْ ٥٠ حَتَّى ٥٥ مِنَ السُّورَةِ.

(٦) سَبَقَ بَيَانُ أَنَّ هَذَا سَهْوٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ السَّيُوطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْبَقَرَةِ رَقْمَ (٢٠٢) - وَالصَّحِيحُ أَنَّ اللَّهَ يَحَاسِبُ الْخَلْقَ فِي قَدَرِ نَصْفِ نَهَارٍ مُقَدَّرُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَاعَةٍ؛ كَمَا فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُقَدَّرُ نَصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَاعَةٍ»، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي عِقَابِ مَانِعِي الزَّكَاةِ فِي الْحَشْرِ - قَوْلُهُ ﷺ: «فِي يَوْمٍ كَادَ مُقَدَّرُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَاعَةٍ حَتَّى يَقْضِيَ بَيْنَ الْعِبَادِ...» الْبُخَارِيُّ (١٣١٤)، وَمُسْلِمٌ (١٦٤٧).



تهاون الناس في تركه؛ وعليه فهو نذير، وعن ابن عباس: واجب.

[٩] ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لِيُخْفَ عَلَى الْيَتَامَى﴾ أي: ليخف على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: من بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةَ ضِعْفًا﴾ أولادًا صغارًا ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضَّيَاعَ ﴿فَلْيَسْعُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يحبون أن يُفعل بذريرتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا لِلْمِيتِ﴾ أي: قولوا سيديك صوابًا بأن يأمره أن يتصدق بدون ثلثه، ويدع الباقي لورثته، ولا يتركهم عائلة.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ أي: يأكلون أموال اليتيم ظلمًا ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي: بما يَكُونُ في بطونهم ﴿أَي: مِلًّا﴾ أي: مِلًّا ﴿نَارًا﴾ أي: نارًا، لأنه يقول إليها ﴿وَسَيَمْلَأُكِ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (١) يدخلون ﴿سَوِيرًا﴾ أي: نازًا، شديدة يحترقون فيها.

[١١] ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ أي: يأمركم ﴿اللَّهُ فِي﴾ أي: شأن ﴿أَوْلَادِكُمْ﴾ بما يُذَكِّرُ ﴿لِلذِّكْرِ﴾ منهم ﴿مِثْلَ حَظِّ﴾ أي: مثل حصة ﴿النِّسَاءِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصيب نصف المال ولهما النصف، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ أي: الأولاد ﴿نِسَاءً﴾ فقط ﴿فَوَقَّ﴾ أي: اتَّخَذْنَ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ﴾ أي: المِيتُ، وكذا الاثنين، لأنه للأختين بقوله: ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ أي: فما أُولَى؛ ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر؛ فمع الأنثى أُولَى، ﴿وَقَوْفٌ﴾ أي: قيل، صلة، وقيل: لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد، لما فهم استحقاق البنين الثلثين من جعل الثلث لواحدة مع الذكر ﴿وَلِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَحِيدَةً﴾ وفي قراءة: بالرفع (٢)؛ «فكان»: تامة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي: لليت، ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ أَلْسُدُّسٌ مِّمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ وَلَكُلُّ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى، ونكتة البدل: إفادة أنهما لا يشتركان فيه، وألحق بالولد ولد الابن، وبالأب الجد ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَرِثَتُهُ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها (٣)؛ «فراوا» من الانتقال من ضمة إلى كسرة؛ لثقله في الموضعين (٤) ﴿أَلْتَلَّثُ﴾ أي: ثلث

المال أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي: إثنان فصاعدًا - ذكورًا أو إناثًا - ﴿فَلِأَبَوَيْهِ أَلْسُدُّسٌ﴾ والباقي للأب، ولا شيء للإخوة، وإذ من ذكر ما ذكر من بديء تنفيذ ﴿وَصِيَّتِهِ يَوْصِي﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (٥) ﴿يَهَا أَوْ﴾ قضاء ﴿دِينٍ﴾ عليه (٦).

وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخرًا عنه في الوفاء: للاهتمام بها، ﴿عَايَاكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ مبتدأ خبره: ﴿لَا تَذَرُونَّ أَهْلَهُمْ أَقْرَبَ لَكُمْ تَعْمًا﴾ في الدنيا والآخرة؛ فظان أن ابنه أنفع له؛ فيعطيه الميراث؛ فيكون الأب أنفع، وبالعكس، وإنما العالم بذلك هو الله؛ ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ إِنْ أَلَّكَ كَانَ عَلِيمًا بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم؛ أي: لم يزل مُتَّصِفًا بذلك.

لِرَجَالٍ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةَ ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ الَّتِي تَلَمَّسُوا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) يَوْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِّمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتُهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يَوْصِي بِهَا أَوْ دِينَ عَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّكَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)

[٧] ونزل - ردًا لما كان عليه في الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار (١) -: ﴿لِلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حَظٌّ ﴿مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الْمُتَوَفَّوْنَ ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ﴾ أي: المال ﴿أَوْ كَثُرُ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعًا بتسليمه إليهم.

[٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ﴾ للميراث ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ ذُو الْقُرْبَى مِنْ لَارِثٍ ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ شَيْقًا قبل القسمة ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: قولوا لهم ما يحبون أن يفعلوا بهم من بعدهم، وبأن تعذرناهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار، وهذا قيل: إنه منسوخ، وقيل: لا، ولكن

في التلخيص - البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١) أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: عادي النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فوضأ منه ثم رش علي فأنفت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ أي: أُولَدِكُمْ. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٤). وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواق، فاجتازت المرأة بابيتي لها، فقالت: يا رسول الله، هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد، وقد استنفا عمهما مالهما وميراثهما كله فلم يدع لهما مالًا إلا أخذه فتمتري يا رسول الله؟ فوللة لا تكحان أبداً إلا ولهما مال. فقال رسول الله ﷺ: «يقضي الله في ذلك». قال: ونزلت سورة ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ أي: أُولَدِكُمْ. الآية. فقال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي المرأة وصاحبها» فقال لعمهما: «أعطتهما الثلثين، وأعطتهما الثلثين، وما بقي فلن». أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (٤) ما جاء في ميراث الصلب. وقال عقبه: «أخطأ يثرب فيه، إنما هما ابنتا سعد بن الربيع. وثابت بن قيس قتل يوم البمامة. ثم ساق رواية أخرى على الصواب.

(١) أخرجه نحوه الطبري في جامع البيان (١٧٦/٤) عن قتادة، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٣٦٧/١).

(٢) أي: لمن حضرته الوفاة. (٣) بالبناء للمفعول لابن عامر وشعبة. (٤) لنافع. (٥) بالكسر حمزة والكسائي. (٦) راجع إلى الكسر.

(٧) أي: في قوله: ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾، وقوله: ﴿فَلِأَبَوَيْهِ أَلْسُدُّسٌ﴾. (٨) بابنا للمفعول لابن كثير وابن عامر وشعبة.



الفاحشة: الزنا أو اللواط<sup>(١)</sup> ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: الرجال ﴿فَتَأْذُوهُمَا﴾ بالسُّبِّ والضرب بالنعال ﴿فَإِنْ تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَاعْرِضْهُمَا﴾ عَنْهُمْ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿حَسِيمًا﴾ به، وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجع عنده - وإن كان مُحْضًا - بل يجلد ويغرب، وإرادة اللواط أظهر؛ بدليل ثنية الضمير<sup>(٢)</sup>، والأول قال: أراد الزاني والزانية، ويرده تبيينهما بـ«من» المتصلة بضمير الرجال<sup>(٣)</sup>، واشتركا في الأذى. والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال لما تَقَدَّمَ في النساء من الحسب.

[١٧] ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: التي كتب على نفسه قبولها بفضلها ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ أَسْوَءَ الْعَمَلِ﴾ المعصية ﴿بِحَسْبِ الْهَلَاكِ﴾ حال؛ أي: جاهلين إذا عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْهُمْ﴾ زمن ﴿قَرِيبٌ﴾ قبل أن يُغْرَضُوا ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلفه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعهم بهم.

[١٨] ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وأخذ في النزاع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدته ما هو فيه: ﴿إِنِّي بُنْتُ الْكَفَّ﴾ فلا ينفعه ذلك، ولا يقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾ وهم كُفَّارٌ ﴿إِذَا تَابُوا فِي الْآخِرَةِ﴾ عند معاينة العذاب؛ لا تقبل منهم ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أَغْدَدْنَا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[١٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الذِّبْنَ﴾ أَمَتُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ ﴿أَي: ذَاتَهُنَّ﴾ كَرِهًا بالفتح والضم، لغتان<sup>(١)</sup>؛ أي: مُكْرِهِيَهُنَّ<sup>(٢)</sup> على ذلك - كانوا في الجاهلية<sup>(٣)</sup> يترئون نساء أقرانهم، فإن شاءوا تزوجوهن بلا صداقي، أو زُوَّجُوهُنَّ وأخذوا صداقهن، أو عَضَلُوهُنَّ؛ حتى يفتدين بما ورثته، أو يَمْتَنُّنَ فَرِيضَتَهُنَّ، فَنَهَوْا عَنْ ذَلِكَ - ﴿وَلَا أَنْ تَمْسُلُوهُنَّ﴾ أي: تمنعن أزواجكم عن نكاح غيركم؛ بِإِسْأَكِهِنَّ ولا رغبة لكم فيهنَّ؛ ضِرَارًا ﴿لِيَذْهَبُوا بِمَعْرُوفٍ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ بفتح الباء وكسرها<sup>(٤)</sup>؛ أي: بَيِّنَةٍ<sup>(٥)</sup>، أو هي بينة؛ أي: زنا أو نُشُوز<sup>(٦)</sup>؛ فلکم أن تُضَارَّوهُنَّ؛ حتى يفتدين منكم ويختلفن ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَمَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ولعله يجعل فيهن ذلك؛ بأن يرضاكم منهنَّ وَلَدًا صالحًا.

وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَحْشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّعَنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَقَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٨﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُنْتُ الْكَفَّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيهَا الذِّبْنَ أَمَتُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْمَلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِمَعْرُوفٍ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢١﴾

[١٥] ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَحْشَةَ﴾ الزَّنا ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ أي: من رجالكم المسلمين ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ﴾ وامنعهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّىٰ يَتَوَقَّعَنَّ الْمَوْتُ﴾ أي: ملائكته ﴿أَوْ﴾ إلى أَنْ ﴿يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الخروج منها - أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلًا؛ يجلد البكر مائة وتغريها عامًا؛ ورجم المحصنة، وفي الحديث: لَمَّا بَيَّنَّ الْحَدَّ - قال: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» [رواه مسلم]<sup>(١)</sup>. [١٦] ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَقَاذُوهُمَا﴾ بتخفيف النون وتشديدها<sup>(٢)</sup> ﴿يَأْتِيَنِهَا﴾ أي:

(١) مسلم (١٦٩٠). وقامه: «التيبُ تُوْجِمُ، وَالْجَزْمُ مُجْمَدٌ».

(٢) بالشديد مع المد اللام لاين كبير.

(٣) قولان للمفسرين، ورجح المصنف الثاني بقوله: «إرادة اللواط أظهر... إلخ».

(٤) أي: في قوله: «وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا»، وقد يقال: إنه فيه تغليب الذكر على الأنثى.

(٥) وهو قوله: «مِنْكُمْ».

(٦) وهما قرأتان، والضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) وفي بعض النسخ: «مكرهين» جمع مكره: اسم فاعل، ومفعوله محذوف؛ أي: مكرهين لهن.

(٨) أي: وفي صدر الإسلام.

(٩) بالفتح لاين كثير وشعبة.

(١٠) أي: فيها من يدعيها وأوضحها وأظهرها.

(١١) خروج عن طاعة الزوج.



وَأَنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ رَوْحٍ مَكَانَ رَوْحٍ وَءَاتَيْتُمْ  
إِحْدَاهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ  
بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى  
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا عَلَيْهِ  
﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ  
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ  
سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ  
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ  
الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ  
وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ  
وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ  
الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونَا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ  
أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَتَّخِذُوا مِنْ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا  
مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾

[٢٠] ﴿وَأَنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ رَوْحٍ مَكَانَ رَوْحٍ﴾ أي: أَخَذَهَا بَدَلَهَا  
بأن طَلَقْتُمُوهَا ﴿وَو﴾ قد ءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ ﴿الزوجات﴾ أي: الرِّجَالُ ﴿قِطَارًا﴾  
مَالًا كَثِيرًا ضِدًّا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾ ظَلَمْنَا  
﴿وَلِئَلَّا تُبَيِّنَ﴾ بَيِّنًا، وَنَصَبُهَا عَلَى الْحَالِ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ وَاللَّانْكَارِ فِي  
قَوْلِهِ: [٢١] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: بِأَيِّ وَحَةٍ ﴿وَقَدْ أَفْضَى﴾ وَضَلَ  
﴿بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ بِالْجَمَاعِ الْمُتَوَرِّدِ لِلْمُتَعَرِّفِ ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ  
مِيثَاقًا﴾ عَهْدًا ﴿عَلَيْهَا﴾ شَدِيدًا؛ وَهُوَ: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِفْسَاحِهِمْ بِمَعْرُوفٍ  
أَوْ تَسْرِيجِهِمْ بِإِحْسَانٍ.

[٢٢] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا﴾ بِعَنَى: مَنْ ﴿نَكَحَ﴾ أَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ  
إِلَّا لِكُنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ فَعْلَمِكُمْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ مُغْفَرٌ عَنْهُ ﴿إِنَّهُ﴾ أي:  
يُكَافَرُهُ ﴿كَانَ فَحِشَةً﴾ فِجْهًا ﴿وَمَقْتًا﴾ سَبًّا لِلْمَقْتِ مِنَ اللَّهِ - وَهُوَ  
أَشَدُّ الْبَغْضِ - ﴿وَسَاءَ﴾ بِسْ ﴿سَبِيلًا﴾ طَرِيقًا ذَلِكَ.

[٢٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ، وَشَمِلَتْ الْجَدَّاتِ  
مِنْ قِبَلِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وَشَمِلَتْ بَنَاتِ الْأَوْلَادِ وَأَنْ سَقَلْنَ  
﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ مِنْ جِهَةِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ أي: أَخَوَاتِ آبَائِكُمْ  
وَأَجْدَادِكُمْ ﴿وَحَلَائِلُكُمْ﴾ أي: أَخَوَاتِ أُمَّهَاتِكُمْ وَجَدَاتِكُمْ ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ  
وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ وَيَدْخُلُ فِيهِنَّ أَوْلَادُهُمْ ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قِيلَ  
اسْتِكْمَالُ الْحَوْلَيْنِ عَشْرَ رَضَعَاتٍ <sup>(١)</sup> - كَمَا بَيَّنَّ الْحَدِيثُ - ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ  
الرِّضْعَةِ﴾ وَيَلْحَقُ بِذَلِكَ - بِالشَّيْءِ - الْبَنَاتُ مِنْهَا؛ وَهُنَّ مَنْ أَرْضَعْنَهُمْ مَوْطُوَاتَهُ،  
وَالْعَمَّاتُ وَالْخَالَاتُ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ مِنْهَا؛ لِحَدِيثِ «يَخْرُجُ مِنَ  
الرِّضَاعِ مَا يَخْرُجُ مِنَ النَّسَبِ» [رواه البخاري ومسلم] <sup>(٢)</sup>.

﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ﴾ جَمْعُ «رَبِيبَةٍ»؛ وَهِيَ بِنْتُ الزَّوْجَةِ مِنْ  
غَيْرِهِ ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ تَرْبِيُونَهُنَّ، صِفَةُ مُوَافَقَةٍ لِلْغَالِبِ؛ فَلَا مَفْهُومَ لَهَا  
﴿وَمِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ أي: جَامِعَتُمُوهُنَّ ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا  
دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ إِذَا فَارَقْتُمُوهُنَّ  
﴿وَحَلَائِلُكُمْ﴾ أَزْوَاجُ ﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ بِخِلَافِ مَنْ  
تَبَيَّنَ فُتُوهُمُ؛ فَلَكُمْ نِكَاحُ حَلَائِلِهِمْ ﴿وَأَنْ تَتَّخِذُوا مِنْ الْأَخْتَيْنِ﴾ مِنْ  
نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ؛ بِالنِّكَاحِ، وَيُلْحَقُ بِهِمَا - بِالشَّيْءِ - الْجَمْعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَمَّتِهَا، أَوْ  
خَالَاتِهَا <sup>(٣)</sup>، وَيَجُوزُ نِكَاحُ كُلِّ وَاحِدَةٍ عَلَى الْإِنْفِرَادِ، وَمِلْكُهُمَا مَعًا، وَبَطْأً وَاحِدَةً  
﴿إِلَّا﴾ لِكُنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - مِنْ نِكَاحِهِمْ بَعْضُ مَا ذُكِرَ - فَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهِ ﴿إِنْ﴾ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا ﴿لَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ قَبْلَ النَّهْيِ  
رَحِيمًا﴾ بِكُمْ فِي ذَلِكَ.

(١) وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ وَهُوَ الرَّاجِحُ؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «كَانَ فِينَا أَثَرُ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُخْرَجُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ نُبَيِّنُ بِحَقِّهِ مَعْلُومَاتٍ، فَذُوِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ فِينَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ».

(٢) الْبُخَارِيُّ (٢٦٤٥)، وَمُسْلِمٌ (١٤٤٧).

(٣) الْبُخَارِيُّ (٥١٠٨)، وَمُسْلِمٌ (١٤٠٨).

مُتَزَوِّجِينَ<sup>(٥)</sup> «عَبْرَ مُسْفِحِينَ» زانين «فَمَا» فَمَنْ «أَسْتَمْتَعْتُمْ» تَمَتَّعْتُمْ «بِهِ» مِنْهُمْ «مَنْ تَزَوَّجْتُمْ بِالْوَطءِ» «فَقَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ» مُهُرُهُنَّ التي فرضتم لهن «فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» فِيمَا تَرْضَوْنَ «أَنْتُمْ» مِنْهُنَّ «بِهِ» مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ «مِنْ حَطِّهَا» أَوْ بَغْضِهَا أَوْ زِيَادَةِ عَلَيْهَا «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا» بِخَلْقِهِ «حَكِيمًا» فِيمَا دَبَّرَهُ لهن.

[٢٥] «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا» غِنَى لَهُ «أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ» الْحَرَائِرَ «الْمُؤْمِنَاتِ» وَهُوَ جَزْئِي عَلَى الْغَايِبِ؛ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ<sup>(٦)</sup> «فَمَنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» يَنْكِحُ «مِنْ فَنَيْتِكُمْ» الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ «فَاكْتَفُوا بِظَاهِرِهِ» وَكَلُّوا الشَّرَّاءَ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ الْعَالَمُ بِتَفْصِيلِهَا وَرُبَّ أُمَّةٍ تَفْضُلُ حُرَّةً فِيهِ، وَهَذَا تَأْنِيسٌ بِنِكَاحِ الْإِمَاءِ «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» أَي: أَنْتُمْ وَهِيَ سَوَاءٌ فِي الدِّينِ؛ فَلَا تَسْتَكْفُوا مِنْ نِكَاحِهَا «فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ» مَوَالِيَهُنَّ «وَأَتَوْهُنَّ» أَنْعَمُوهُنَّ «أَجُورَهُنَّ» مُهُرَهُنَّ «بِالْمَعْرُوفِ» مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ وَنَقْصٍ «مُحْصَنَاتٍ» غَفَائِفُ، حَالُ «عَبْرَ مُسْفِحَاتٍ» زَانِيَاتٍ جَهْرًا «وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ» أَيْ: لَا يَزْنُونَ بِهِنَّ سِرًّا «فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ زُوجَهُنَّ» وَفِي قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ<sup>(٧)</sup> تَزَوَّجْنَ «فَلَنْ أَتِيَنَّكُمْ بِحَسَنَةٍ» زَنَا «فَعَلَيْكُمْ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ» الْحَرَائِرِ الْأَبْكَارِ إِذَا زَانَيْنِ «وَمِنْ الْعَذَابِ» الْحَدُّ؛ فَيُجْلَدُ خَمْسِينَ وَيَعْرُضُ نِصْفَ سَنَةٍ، وَيُقَاسُ عَلَيْهِنَ الْعَبِيدُ، وَلَمْ يُجْعَلِ الْإِحْصَانُ شَرْطًا لَوْجُوبِ الْحَدِّ؛ بَلْ لِإِفَادَةِ أَنَّهُ لَا رَجْمَ عَلَيْهِنَ أَصْلًا «ذَلِكَ» أَي: نِكَاحُ الْمَمْلُوكَاتِ عِنْدَ عَدَمِ الطَّوْلِ «لِيَمُنَّ خَشْيَتُ» خَافَ «الْعَنَتِ» الزَّانَا، وَأَصْلُهُ الْمَشَقَّةُ؛ سَمِيَ بِهِ الزَّانَا؛ لِأَنَّهُ سَبِيهَا بِالْحَدِّ فِي الدُّنْيَا وَالْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ «مِنْكُمْ» بِخِلَافِ مَنْ لَا يَخَافُهُ مِنَ الْأَحْرَارِ؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا، وَكَذَا مِنْ اسْتَطَاعَ طَوْلَ حُرَّةٍ؛ وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَخَرَجَ بِقَوْلِهِ: «مِنْ فَنَيْتِكُمْ» الْمُؤْمِنَاتِ «الْكَافِرَاتِ»؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا - وَلَوْ عَدِمَ<sup>(٨)</sup> وَخَافَ - «وَأَنْ تَصْبِرُوا» عَنْ نِكَاحِ الْمَمْلُوكَاتِ «حَتَّى لَكُمْ» لَعَلَّ بَصِيرَ الْوَلَدِ رَقِيقًا «وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ» بِالْأُتُوسَةِ فِي ذَلِكَ.

[٢٦] «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ» شَرَائِعَ دِينِكُمْ وَمَصَالِحَ أَمْرِكُمْ «وَيُذَيِّبَكُمْ سُنَنَ» طَرَائِقَ «الَّذِينَ» مِنْ قَبْلِكُمْ «مِنَ الْأَنْبِيَاءِ» فِي الْحَلِيلِ وَالْتَحَرِيمِ فَتَتَّبِعُوهُمْ «وَيُؤْتِيَكُمْ عَلَيْكُمْ» يَرْجِعُ بِكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَى طَاعَتِهِ «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بِكُمْ «حَكِيمٌ» فِيمَا دَبَّرَهُ لَكُمْ.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِلَّاءَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَوْنَ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا<sup>(٩)</sup> وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَنَيْتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَحْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(١٠)</sup> يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيُهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيُؤْتِيَكُمْ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ<sup>(١١)</sup>

[٢٤] «وَمَنْ حُزِمَتْ عَلَيْكُمْ» الْمُحْصَنَاتُ «أَي: ذَوَاتُ الْأَرْوَاجِ» مِنْ الْأَنْسَاءِ «أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ قَبْلَ مَفَارِقَةِ أَرْوَاجِهِنَّ» حَرَائِرَ مُسْلِمَاتٍ كُنَّ أَوْ لَا - «إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»<sup>(١٢)</sup> مِنَ الْإِمَاءِ بِالسُّبْحِيِّ؛ فَلَكُمْ وَطْأُهُنَّ - وَإِنْ كَانَ لهن أَرْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ بَعْدَ اسْتِبْرَاءِ «كَتَبَ اللَّهُ» نُصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ<sup>(١٣)</sup> «أَي: كَتَبَ ذَلِكَ» عَلَيْكُمْ «وَأَحْلَلَّ» بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولُ «لَكُمْ» تَا وَرَاءَ ذَلِكَ «أَي: سِوَى مَا حُزِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» أَنْ تَبْتَغُوا تَطْلُبُوا النِّسَاءَ «بِأَمْوَالِكُمْ» بِصَدَاقِ<sup>(١٤)</sup> أَوْ ثَمَنِ<sup>(١٥)</sup> «مُحْصَنِينَ»

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ آيَةِ (٢٤): أُخْرِجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حَتِّينَ نَهَتْ جَيْشًا إِلَى أَوطَاسٍ فَلَقُوا عَدُوًّا فَقَاتَلُوهُمْ، فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا، فَكَانَ نَاشًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَمَرَحُوا مِنْ غَشْيَانِهِمْ مِنْ أَجْلِ أَرْوَاجِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي ذَلِكَ: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» أَي: فَهِنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عَذَبْنَهُنَّ. مُسْلِمٌ - كِتَابُ الرِّضَاعِ (١٧) بَابُ (٩) جَوَازِ وَطْءِ الْمَسِيئَةِ بَعْدَ اسْتِبْرَاءِ.

(١١) أَي: الْمَوْكِدَ لِعَامِلِهِ الْعَنْوِي، الْمُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «حُزِمَتْ»؛ فَإِنَّ التَّحْرِيمَ وَالْفَرْضَ وَالْكَسْبَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

(١٢) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ عَمْرٍو وَابْنِ عَامِرٍ وَشُعْبَةُ.

(١٣) أَي: بِالتَّزْوِيجِ.

(١٤) أَي: بِالْمَالِكِ.

(١٥) أَوْ مَمْلُوكَيْنِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «أَوْ ثَمَنِ».

(١٦) وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَإِنَّهُ إِنْ قَدَّرَ عَلَى طَوْلٍ حُرَّةً كَتَابَةِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّةً مُسْلِمَةً، وَاخْتَارَهُ الْقُرْطُبِيُّ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّ لَهُ ذَلِكَ، وَالْأُمَّةُ الْمُؤْمِنَةُ خَيْرٌ مِنَ الْحُرَّةِ الْكَتَابَةِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ. وَهُوَ الْأَوَّلَى وَالْأَظْهَرُ بِنَصِّ هَذِهِ آيَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١٧) وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْرَةَ وَالْكَسَائِيُّ وَشُعْبَةُ.

(١٨) أَي: عَدِمَ الطَّوْلَ، وَخَافَ الْعَنَتَ.

[٢٧] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كَوْرُهُ لِبَنِي عِيهِ ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ اليهود والنصارى، أو الجوس، أو الزناة ﴿أَنْ تَقِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ تعدلوا عن الحق؛ بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم.

[٢٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ يُهَيِّلْ عَلَيْكُمْ أَحْكَامَ الشَّرْعِ ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات.

[٢٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بالحرام في الشرع؛ كالربا والغصب ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ<sup>(١)</sup> ﴿أَنْ تَكُونَ تَجَارَةً صَادِرَةً عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَكُمْ﴾ وفي قراءة بالنصب<sup>(٢)</sup>، أَنْ تَكُونَ الْأَمْوَالُ أَمْوَالُ تِجَارَةٍ صَادِرَةٍ عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَكُمْ. وطيب نفس؛ فلكم أَنْ تَأْكُلُوهَا وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ. بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها. أيا كان في الدنيا أو الآخرة.

- بقرينة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في منعه لكم من ذلك.

[٣٠] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أَي: مَا نَهَى عَنْهُ ﴿عُدُوًّا﴾ تَجَاوَزًا لِلْحَالِ، حَالٍ ﴿وَطُلُوعًا﴾ تَأْكِيدًا ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ نَدْخَلُهُ ﴿نَارًا﴾ يَحْتَرِقُ فِيهَا ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هَيْئًا.

[٣١] ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ﴾ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَلَيْهَا وَعِيدٌ؛ كَالْقَتْلِ وَالزَّانَا وَالسَّرَقَةِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ إِلَى السَّبْعَةِ أَقْرَبُ<sup>(٣)</sup> ﴿تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصَّغَارُ؛ بِالطَّاعَاتِ ﴿وَنُدْخِلَكُمْ مَدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها<sup>(٤)</sup>؛ أَي: إِدْخَالًا، أَوْ مَوْضِعًا<sup>(٥)</sup> ﴿كَرِيمًا﴾ هُوَ الْحِنَةُ.

[٣٢] ﴿وَلَا تَتَمَتَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا أَوِ الدِّينِ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى التَّحَاشِدِ وَالتَّبَاعُضِ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾ بِسَبَبِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ مِنْ طَاعَةِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَحِفْظِ فُرُوجِهِنَّ - نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: لَيْتَنَا كُنَّا رِجَالًا فَجَاهَدْنَا؛ وَكَانَ لَنَا مِثْلُ أَجْرِ الرِّجَالِ<sup>(٦)</sup> - ﴿وَسُئِلُوا بِهَمْزَةٍ، وَدُونَهَا<sup>(٧)</sup>﴾ مِنَ الْفَضْلِ، مَا اخْتَجَمْتُمْ إِلَيْهِ يُفْطِكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(٨)</sup> وَمِنْهُ مَحَلُّ الْفَضْلِ وَسُؤَالِ الْكَمِّ.

[٣٣] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ﴿جَعَلْنَا مَوْلًى﴾ غُضْبَةً يَعْطُونَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴿لَهُمْ مِنْ الْمَالِ﴾ وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ بِالْف، وَدُونَهَا<sup>(٩)</sup> ﴿أَيْمَنُكُمْ﴾ جَمْعُ «يَمِين» بِمَعْنَى الْقِسْمِ، أَوِ الْيَدِ؛ أَي: الْخِلْفَاءُ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى الْخِصْمَةِ وَالْإِثْرِ ﴿فَتَأْتُوهُمْ﴾ الْآنَ

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَمُوتْ﴾ وَطُلُوعًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ وَلَا تَتَمَتَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿

﴿نُصِيبُهُمْ﴾ حَظُّهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَهُوَ: السُّدُسُ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مُطْلَعًا، وَمِنْهُ حَالِكُمْ، وَهَذَا مَنْسُوخٌ<sup>(١)</sup> يَقُولُهُ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

(٥) مَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ (٣٢): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا يَغْزُو النِّسَاءُ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَتَمَتَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. ائِرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٤١٩).

(١) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْاِسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ؛ لِأَنَّ التِّجَارَةَ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْأَمْوَالِ الْمَأْكُولَةِ بِالْبَاطِلِ، وَخَصَّ التِّجَارَةَ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهَا كَالْهَبَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْوَصِيَّةِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ بِهَا.

(٢) وَالْقِرَاءَةُ لِمُفْرَدَةٍ بِالضَّمِّ، نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٣) أَي: مِنْهَا لِلْمُسْلِمِينَ الَّتِي قَبِلَ بِهَا.

(٤) وَالْفَتْحُ قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٥) لَفٌ وَنَشْرٌ مُرْتَبٌ، فَاذْخَالًا عَلَى قِرَاءَةِ ﴿مَدْخَلًا﴾؛ وَمَوْضِعًا عَلَى قِرَاءَةِ: ﴿مَدْخَلًا﴾. فَيَكُونُ اسْمُ كَانَ.

(٦) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الطَّرِيقِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ (٩٢٣٩، ٩٢٤٠) وَنَحْوَهُ أَبُذَا عَنْ عَطَاءٍ (٩٢٤٥) وَنَحْوَهُ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ (٩٢٤٢) وَلَكِنَّهَا مُبْهِمَةٌ فِي النِّسَاءِ وَيَسَّرَ فِيهَا تَعْيِينَ أُمِّ سَلَمَةَ فِي هَذَا الْمَقُولِ. وَلَكِنْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ (٢٩٤٨) وَغَيْرُهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا يَغْزُو النِّسَاءُ وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَتَمَتَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وَأَنْزَلَ فِيهَا: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٧) بِدُونِهَا قِرَاءَةُ الْكَسَائِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ.

(٨) بِالْأَلْفِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٩) أَي: يَقُولُهُ: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٣].

(١٠) الْأَحْزَابُ: ٦.

أَمْوَالِهِمْ فَأَصْلَحْتُ مِنْهُمْ قَنِيتُ مطيعات لأزواجهن ﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ﴾ أي: لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿يَمَّا حَفِظْتُ﴾ من (١) ﴿أَنَّ﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج (٢) ﴿وَأَلَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصبانهن لكم؛ بأن ظهرت أمارته ﴿فَيُطْعَمْنَ﴾ فحقوقهن الله ﴿وَأُفْضَرْنَ﴾ في المصاحج اعزلوا إلى فراش آخر؛ إن أظهرن النشوز ﴿وَأُضْرَبْنَ﴾ ضرباً غير مبرح؛ إن لم يرجعن بالهجران ﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ﴾ فيما يراد منهن ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾ تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى ضربهن ظلماً ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيرًا﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن.

[٣٥] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين، والإضافة للاتساع؛ أي: شقاقاً بينهما ﴿فَابْعَثُوا﴾ إليهما برضاهما ﴿حَكَمًا﴾ رجلاً عدلاً ﴿وَمِنْ أَهْلِيهِ﴾ أقاربه ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ويؤكد (٣) الرُّوحُ حكمة في الصلاق وقبول عوض عليه، وتؤكد هي حكمة في الاختلاع؛ فيجتهدان وأمران الظالم بالرجوع، أو يفرقان؛ إن رأياه، قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ يُرِيدَا﴾ أي: الحكمان (٤) ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين (٥)؛ أي: يُقَدِّرُهُمَا على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرًا﴾ بالباطن كالظواهر.

[٣٦] ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وخذوه ﴿وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ﴾ شيئاً ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بالولدين إحساناً ﴿وَأُولَئِكَ جَانِبُ﴾ القربى ﴿وَالْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَى﴾ والمسنكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وآل الجنب البعيد عنك في الجوار أو النسب ﴿وَالصَّاحِبُ بِالْجَنبِ﴾ الرفيق في سفر أو صناعة، وقيل: الزوجة ﴿وَأَتَى السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الأرقاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ مَن كَانَ مُحْتَلاً﴾ مُتَكَبِّراً ﴿فَخُورًا﴾ على الناس بما أوتي.

[٣٧] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَتَخَلَّوْنَ﴾ بما تجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به ﴿وَيَكْسِبُونَ بَاطِلًا﴾ الله من فضله ﴿من العلم والمال﴾ وهم: اليهود، وخبر المبتدأ: لهم وعيد شديد (١) ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ بذلك وبغيره ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَصْلَحْتُ قَنِيتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعُظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَصَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيرًا (١) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيرًا (٢) وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسِنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَآتَى السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣) الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٤)

[٣٤] ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ مسلطون ﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن ﴿يَمَّا أَنْفَقُوا﴾ ينفقون ﴿بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: بتفضيله لهم عليهم بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وَيَمَّا أَنْفَقُوا﴾ عليهم ﴿وَمِنْ

(١) أشار المصنف إلى أن «ما» اسم موصول، أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف قدره بقوله: «هن».

(٢) وقيل: جفظ الله لهم؛ أي: توفيق الله لهم. وقيل: بهيئهم عن المخالفة.

(٣) اشتراط التوكيل هو مذهب الأحناف والشافعية، لانحصار مهمة الحكام عندهم في الإصلاح، ولا يحق لهما التفرق بين الزوجين إلا بتفويض منهما، بخلاف المذهب المالكي الذي يعطي الحكام حق الحكم بالتفريق من غير توكيل منهما.

(٤) ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين؛ والمعنى: إن يرد الزوجان إصلاحاً؛ معاشرته بالمعروف وترك ما يسيء، تحصل الموافقة بينهما.

(٥) ويحتمل أن يعود الضمير على الحكام؛ والمعنى: لا يحصل اختلاف بين الحكام؛ بن تحصل الموافقة بينهما.

(٦) أي: محذوف، وهذا تقديره.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ عَظَّمَ عَلَى الَّذِينَ قَبْلِهِمْ أَنْ يَقُولُوا أَمْوَالُهُمْ رِيشَاءُ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ أَكْثَرُنَ النَّاسِ قُرْبَانًا﴾ صاحبًا يعمل بأمره: كهؤلاء ﴿فَسَاءَ بَشَرًا قُرْبَانًا﴾ هو.

[٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْتُمْ مِمَّنْ رَفَعَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أي ضرر عليهم في ذلك، والاستفهام للإنكار، ولو: مصدرية<sup>(٨)</sup>، أي: لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بما عملوا.

[٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ أَخَذًا ﴿يُثْقَلُ﴾ وزن ﴿ذَرُّوْهُ﴾ أصغر غلة؛ بأن ينقصها من حسناته أو يزيدا في سيئاته ﴿وَإِنْ تَكُ الدَّرَّةُ حَسَنَةً﴾ من مؤمن، وفي قراءة: بالرفع<sup>(٩)</sup>؛ فدكانه: تامة ﴿يُضْعَفُهَا﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، وفي قراءة: ﴿يُضْعَفُهَا﴾ بالتشديد<sup>(١٠)</sup> ﴿وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدره أحد.

[٤١] ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها؛ وهو: نبيا ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿وَعَلَى هَذِهِ شَهِيدًا﴾.

[٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم الجزيء ﴿يُؤْذِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ﴾ أي: أن ﴿شَوِيْءٌ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل، ومع إدغامها في السين<sup>(١١)</sup>؛ أي: تنسوى ﴿بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ بأن يكونوا تراثًا مثلها؛ لعظم هولها - كما في آية أخرى ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبَسُنِي كُتٌّ ثَرَابًا﴾<sup>(١٢)</sup> - ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه، وفي وقت آخر يكتمونه، ويقولون: ﴿وَاللَّهُ رَيْبًا مَّا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾<sup>(١٣)</sup>.

[٤٣] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: لا تصلوا ﴿وَأَنْتُمْ شُكْرَى﴾ من الشُّرَابِ؛ لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال سكر ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ بأن تضحوا<sup>(١٤)</sup> ﴿وَلَا جُنْبًا﴾ بإبلاج أو إنزال، ونصبه على الحال، وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِيْ سَبِيلٍ﴾ مجتازي طريق؛ أي: مسافرين ﴿حَتَّى تَقْتَبِلُوا﴾ فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافر؛ لأن له حكمًا آخر سيأتي، وقيل: المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة؛ أي: المساجد، إلا عبورها من غير مكث ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْجِينَ﴾ مرضًا يضره الماء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين، وأنتم جنب أو محدثون ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المَعْدُ لقضاء الحاجة؛ أي: أحدث ﴿أَوْ لِمَسْتَمِ الْأُنثَى﴾ وفي قراءة: بلا ألف<sup>(١٥)</sup>، وكلاهما بمعنى: اللُغْسِ؛ وهو: الحِسْ باليد، قاله ابن عمر - وعليه الشافعي - وألحق به الحِسُّ بياقي البشرة، وعن ابن عباس؛

وَالَّذِينَ يُفْقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيشَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكْفُرْ أَكْثَرُنَ النَّاسِ قُرْبَانًا فَسَاءَ قُرْبَانًا وَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْتُمْ مِمَّنْ رَفَعَهُمُ اللَّهُ وَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْتُمْ مِمَّنْ رَفَعَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تَسْأَلُ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَقْتَبِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَجِينَ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لِمَسْتَمِ الْأُنثَى فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نُصُبًا مِنْ الْأَكْثَبِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ

هو: الجماع<sup>(١٦)</sup> ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ تطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أفصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراثًا طاهرًا، فاضربوا به ضربتين ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المؤقتين منه<sup>(١٧)</sup>، ودمسح يتعدى بنفسه<sup>(١٨)</sup> وبالخرف<sup>(١٩)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾.

[٤٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نُصُبًا﴾ خطأ ﴿مِنْ الْأَكْثَبِ﴾ وهم اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ تخطفوا الطريق الحق؛ لتكونوا مثلهم.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٤٣): أخرجه أبو داود عن علي بن أبي طالب أن رجلاً من الأنصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاها قبل أن تحرم الخمر، فأمرهم علي في المغرب فقرا: ﴿فَلْيَكُنَّ الْكَافِرُونَ﴾ فخلط بها، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾. وأخرج أيضاً: عن عمر بن الخطاب قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: =

(١) أي: والكلام على تقدير حرف الجر «في» الدخول على المصدر المقدّر: أي: وماذا عليهم في إيمانهم؟! (٢) لافع وابن كثير. (٣) لابن كثير وابن عامر.

(٤) قرأها ﴿نَشَوِيْ﴾ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، وقرأها ﴿نَشَوِيْ﴾ حمزة والكسائي، وقرأها ﴿نَشَوِيْ﴾ نافع وابن عامر. (٥) سورة الباء: آية ٤٠. (٦) سورة الأنعام: آية ٢٣. (٧) حمزة والكسائي. (٨) وهذا هو الصحيح في تفسير الآية - إن شاء الله - ولا ينفُضُ الوُضوءَ مجردُ مسح المرأة ولو بشهوة... لأن الأصل عدم النفض حتى يقوم دليل صحيح صريح على ذلك، ولما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ «وَقَلَّ يَغْسُ يَسَائِلُهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»، كما أن تفسير ابن عباس عليه السلام هو المناسب لسياق الآية كما بيّنه أهل العلم، وإن كانوا قد اختلفوا في صحة الحديث المذكور والذي أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، فقد

صححه ابن عبد البر كما في «البلل»، وأما ما ورد عن ابن عباس فقد قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إن ذلك صَحَّ عنه وهو الذي دعا له النبي ﷺ أن يعلمه التأويل، وهو أولى من يؤخذ قوته في التفسير إلا أن يعارضه من هو أرجح منه. انظر: [الشرح الممتع (١/ ٢٣٩)].

(٩) أي: من الصعيد الطيب، وهو مذهب الشافعي في الجديد، واستدل بحديث ضعيف، والراجح أن التيمم يكون بمسح الوجه واليدين إلى الكفين فقط، ويكون بضرية واحدة.

(١٠) فتكون الباء زائدة. (١١) وتكون الباء للتعدي.



[٥٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعاً من عذابه.

[٥٣] ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا﴾ أي شيئاً تافهاً قدّر النقرة في ظهر النواة؛ لفرط بخلهم.

[٥٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة وكثرة النساء؛ أي: يمتصون زواله عنه، ويقولون: لو كان شيئاً لاشتغل عن النساء<sup>(١)</sup> ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ جدّه؛ كموسى<sup>(٢)</sup> وداود وسليمان ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ والنبوة ﴿وَوَاتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا﴾ فكان داود تسع وتسعون امرأة، وسليمان ألف؛ ما بين حرة ورسولة<sup>(٣)</sup>.

[٥٥] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِ﴾ فلم يؤمن ﴿وَكُنْ يَوْمَهُمْ كَيْفَ كُنْتُمْ﴾ عذاباً لمن لا يؤمن.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْتَظِرُونَ﴾ نَصِيحَتِهِمْ ﴿نَدْخُلُهُمْ﴾ نَادَاهُمْ ﴿يَحْتَرِقُونَ فِيهَا﴾ كُلَّمَا نَصِغَتْ ﴿احْتَرَقَتْ﴾ جُلُودُهُمْ بِدَلْهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴿بِأَن تَعَادَ إِلَى حَالِهَا الْأَوَّلِ﴾ غير محترقة ﴿يَلْدُرُونَ فِيهَا الْعَذَابَ﴾ ليقاسوا شدته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قدر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ دائماً لا تتسخه شمس؛ هو: ظل الجنة.

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ أي: ما أؤتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾ نزلت لما أخذ علي ﷺ مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة الحنفي سادتها قسراً، لما قدّم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه؛ وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمتعه. فأمر رسول الله ﷺ برده إليه؛ وقال: «هاك خالدةً تالدة»<sup>(٤)</sup>، فعجب من ذلك؛ فقرأ له عليّ الآية؛ فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه شيبه بقي في ولده والآية. وإن وردت على سبب خاص - فعمومها مغتبر بقرينة الجمع ﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي لَكُمْ صِرَاطًا ﴿فِيهِ إِدْغَامٌ مِمَّ﴾ «نغم» في «ما» النكرة الموصوفة؛ أي: نعم شيئاً ﴿يُطَهِّرُكُمْ مِنْكُمْ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿يَصِيرُ﴾ بما يفعل.

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾  
أَمْرُهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ﴿٥٣﴾ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا ﴿٥٤﴾  
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿٥٥﴾ فَقَدْ آتَيْنَا  
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا ﴿٥٦﴾  
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَعْتَهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٧﴾  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْتَظِرُونَ نَصِيلَهُمْ نَارًا كَمَا فَضَحَتْ  
جُلُودُهُمْ بِدَلْهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ  
جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا  
أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٦٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ  
أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ  
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا  
بَصِيرًا ﴿٦١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي  
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ  
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٦٢﴾

﴿الْأَمْرِ﴾ أي: الولاة ﴿يُنْكَرُ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله<sup>(١)</sup> ﴿فَإِنْ  
لَنَنْزَعَنَّ﴾ اختلافهم ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ مدة  
حياته، وبعده إلى شيعته؛ أي: اكشفوا عليه منهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ﴾ ذَلِكَ ﴿أَي: الرد إليهما﴾ خَيْرٌ ﴿لَكُمْ مِنَ التَّنَازُعِ﴾ والقول بالرأي  
﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً.

(١) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ نَكَرًا قال: نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعث النبي ﷺ في سرية البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١١).

وأخرج أيضاً عن علي ﷺ قال: بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطعموه. ففضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطعموني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطب. فجمعوا. فقال: أقودوا ناراً، فأوقدوا. فقال: ادخلوها. فهجروا، وجعل بعضهم يسلك بعضاً ويقولون: فرنا إلى النبي ﷺ من النار. فمأزوا حتى خمدت النار فسكن غضبه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة إنما الطاعة في المعروف» البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٥٩).

(٢) والظاهر أن المراد بالناس هنا: الرسول والمؤمنون، والفضل: النبوة والكتاب والعز والنصر والتمكين، حسدتهم أي يهود على ذلك، كما اختاره طائفة من المفسرين؛ كالقاسمي والسدي. ولا وجه ظاهر لإحجام ذكر النساء، كما لا نقل صحيح. والله أعلم.

(٣) المعنى: فقد جمعنا أسلافكم من درية إبراهيم بين الملك والنبوة، فلا شيء تخصون محمداً ﷺ بأخسد دون غيره من أنعم الله عليه. وأما تخصيص المفسر الملك العظيم بتعدد الزوجات ففيه نظر، والصواب الإطلاق. والله أعلم.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول بدون ذكر جملة (هاك...)، وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»، يعني حجابة الكعبة [الدر المنثور (٣١٢/٢)]. وإسنادهما ضعيف كما في الاستيعاب (٤١٤/١)، وأخرج ابن إسحاق بسند صحيح في السيرة (٤١١/٢)، ونقله ابن كثير في تفسيره (٥٢٨/١) عن صفية بنت شيبة: أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت؛ فطاف به سبعمائة على راحلته... فلما فرغ من طوافه؛ دعا عثمان بن أبي طلحة فأخذ منه مفاتيح الكعبة؛ ففتحت له فدخلها... ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية؛ فقال رسول الله ﷺ: «أليس عثمان بن أبي طلحة؟» فدعي له، فقال: «هاك مفاتيحك يا عثمان؛ اليوم يوم وفاء وبره».

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾ الكثير الطغيان؛ وهو: كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْحُكْمِ وَإِلَى الرَّسُولِ لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ﴾ رَأَيْتُ الْمُتَنَفِّقِينَ يَصُدُّونَ ﴿يَعْرِضُونَ عَنْكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُّوْا﴾.

[٦٢] ﴿فَكَفَّ﴾ يصنعون ﴿وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عَقُوبَةٌ ﴿يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي؛ أي: يقفرون على لإعراض والفرار منها؛ لا ﴿ثُمَّ جَاءَ وَكَ﴾ معطوف على: ﴿يَصُدُّونَ﴾ يحلفون ﴿يَاللَّهِ إِنْ مَا أَرَدْنَا﴾ بالحكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحا ﴿وَتَوَقُّعًا﴾ تأليفاً بين الحصين؛ بالتقريب في الحكم دون الحمل على مؤ الحن.

[٦٣] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعَظَّمَهُمْ﴾ خوفهم الله ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ مؤثرا فيهم؛ أي: ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم.

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره؛ لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءَ وَكَ﴾ تائبين ﴿فَأَسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ فيه التفات عن الخطأ؛ تفخيما لشأنه ﴿لَوْجَدُوا﴾ الله تَوَّابًا ﴿عَلَيْهِمْ رَحِيمًا﴾ بهم.

[٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ (١) لا: زائدة (٢) ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ﴾ فيما شَجَرَ ﴿اخْتَلَفَ﴾ بينهم ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا ﴿ضَيْقًا أَوْ شَكًّا﴾ وَمَا قَضَيْتَ بِهِ ﴿وَيَسْتَلِيمُوا﴾ ينقادوا لحكمك ﴿سَلِيمًا﴾ من غير مغازاة (٣).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُتَنَفِّقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُّوْا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءَ وَكَ يَحْلِفُونَ يَاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءَ وَكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا

[٦٠] ونزل لما اختصم يهودي ومنافق؛ فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأثابه ففضي لليهودي؛ فلم يرض المنافق، وأثا عزم؛ فذكر اليهودي ذلك، فقال للمنافق: أكذاك؟ قال: نعم؛ فقتله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

(١) ما حاء في نزول الآية (٦٥): أخرج البخاري عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريح من الحرق، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فقل الأنصاري: يا رسول الله، أن كان «بن عمتك» فتلون وجهه، ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجذر ثم أرسل الماء إلى جارك». واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري. وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه معة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. البخاري. كتاب التفسير (١٢) سورة النساء (٤) باب (١٢).

(١) أخرجه التلمبي عن ابن عباس [الدر المنثور (٣٢٠/٢)]، وقال الحافظ في الفتح (٣٨/٥): «وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً؛ لكن تقوى بطريق مجاهد، ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد». وتُعَبُّ بأن في إسنادها الكلبي وأبا صالح وهما كذبان. (الاستيعاب ٤٢٤/١) وأخرج الطبراني في الكبير (١٢٠٤٥/٢٩٥/١١) وابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح عن ابن عباس قال:

• كان أبو بردة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه؛ فضاغر إليه أناس من أسلم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. فكان أبو بردة يفتيهم فيهم نزلت،... وقالت طائفة: نزلت في الزبير مع الأنصاري، وكانت الحصومة في سقي بستان... وذكر القصة.

(٣) وهو اختيار الرمخشري، وقال الطبري: قوله: ﴿فَلَا﴾ رد على ما تقدم ذكره، تقديره: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك. ثم استأنف القسم بقوله: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.



وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْتُلُوا مَنْ  
يَدْرِكُ مَا فَعَلُوا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ  
بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيهًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا أَلَّاتِيَتْهُمْ  
مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا  
﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ  
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ  
وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى  
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ بَيَّأْنُهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ  
فَإَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ تَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطُلَنَّ  
فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ  
مَعَهُمْ شُهَدَاءَ ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن  
لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ  
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ  
يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

[٧٤] قال تعالى: ﴿فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ  
يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
فَيُقْتَلْ﴾ يُعْتَشِّهُدُ ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يظفرُ بِغَدْوِهِ ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾  
ثوابًا جزيلاً.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مُفَسَّرَةٌ (١) ﴿اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ  
اقْتُلُوا مَنْ يَدْرِكُ﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مَا فَعَلُوا﴾ أي: المكتوب  
عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع: على البدل، والنصب: على الاستثناء (٢) ﴿مِنْهُمْ  
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ  
وَأَشَدَّ تَنبِيهًا﴾ تحقيقًا لإيمانهم.

[٦٧] ﴿وَإِذَا﴾ أي: لو تَنَبَّهُوا ﴿لَا تَنَبَّهُوا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا  
عَظِيمًا﴾ هو: الجنة [٦٨] ﴿وَلَهَدَيْتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

[٦٩] قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة وأنت في  
الدرجات العلى ونحن أسفل منك؟ فنزل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (٣) ﴿فِيمَا  
أَمَرَ بِهِ﴾ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ أَفْضَلُ  
أصحاب الأنبياء؛ لمبايعتهم في الصدق والتصدق ﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾ القتلى في  
سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ رفقاء في  
الجنة؛ بأن يستمتع فيها برويتهم وزيارتهم والحضور معهم - وإن كان مفرهم  
في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم ..

[٧٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: كونهم مع من ذكر، مبتدأ خبره: ﴿الْفَضْلُ مِنَ  
اللَّهِ﴾ تفصل به عليهم، لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بواب  
الآخرة؛ أي: ففوقوا بما أخبركم به ﴿وَلَا يَبْنِيكَ مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ (٤).

[٧١] ﴿بَيَّأْنُهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم؛ أي: احتذروا  
منه وتيقظوا له ﴿فَإَنْفِرُوا﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾ (٥) منفردين؛ سرية بعد  
أخرى ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين.

[٧٢] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطُلَنَّ﴾ لَيُتَخَذَرْنَ عن القتال؛ كعبد الله بن أبي  
المنافق وأصحابه، وجعلَهُ منهم من حيث الظاهر (٦)، واللام في الفعل: للقسمة  
﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ  
مَعَهُمْ شُهَدَاءَ﴾ حاضروا فأصاب.

[٧٣] ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة  
﴿لَيَقُولُنَّ﴾ نأدينا ﴿كَأَن﴾ مُحَقَّقَةٌ واسمها: محذوف؛ أي: كأنه ﴿لَمْ  
يَكُنْ﴾ بالياء والتاء (٧) ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وضادقة، وهذا راجع إلى  
قوله: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ واغترض به بين القول ومقوله؛ وهو: ﴿يَا﴾ للتنبيه  
﴿لَيَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أخذ خطأ وافوزا من الغنيمة.

(١) أي: بمعنى: أي، وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه.

(٢) أي: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، وهي قراءة ابن عامر.

(٣) أخرجه نحوه بإسناد حسن مجموع طرقه الطبراني في الصغير (٢٦/١)، والأوسط (١٥٢/١)، رقم ١٥٣ (٤٧٧) من حديث عائشة. قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» (٩١٤/٢): «رجال  
موثقون». وأخرج ابن شعبة في مصنفه (٥٠١/١) رقم ١١٨٢٣، والطبري في جامعه (١٠٤/٥) عن مسروق مرسلاً، ويشهد له رواية الطبراني عن عائشة.

(٤) سورة فاطر: آية ١٤.

(٥) مفرداً؛ ثبة؛ وهي: الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة.

(٦) أي: إنه ليس منهم في حقيقة الأمر، بل هو عدو لهم.

(٧) بالياء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

دعاهم؛ فَيَسَّرَ لِبَعْضِهِمُ الْخُرُوجَ، وبقي بعضهم إلى أن يُبْحَثَ مَكَّةَ، وَوَلَّى ﷺ عتاب بن أسيد<sup>(١)</sup>؛ فأُصِفَ مظلومهم من ظالمهم.

[٧٦] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَتَلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّاطِطِينَ﴾ أنصار دينه؛ تغلبوهم؛ لقونكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّاطِطِينَ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ واهيًا؛ لا يُقَاوَمُ كَيْدُ اللَّهِ بِالْكَافِرِينَ.

[٧٧] ﴿أَنزَلَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفار - لما طلبوه بمكة؛ لأذى الكفار لهم - وهم: جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فُرِضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فُرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ ﴿يَخَافُونَ النَّاسَ﴾ الكفار؛ أي: عذابهم بالقتل ﴿كَخَشِيتُمْ﴾ هم عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴿مَنْ خَشِيتُمْ لَهُ، وَنُصِبَ﴾ أَشَدُّ عَلَى الْحَالِ، وجواب ﴿لَمَّا﴾ دل عليه ﴿إِذَا﴾ وما بعدها؛ أي: فاجأهم الخشية ﴿وَقَالُوا﴾ جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ: ﴿رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا﴾ فَلَاحُزْنُنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ لَهُمْ: ﴿مَنْعَ الدُّنْيَا﴾ مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ فِيهَا، أَوِ اسْتِمَاعَ بِهَا ﴿قِيلَ﴾ أَيْلَ إِلَى الْفَنَاءِ ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿حَيْرَ لِمَنِ الْقُلُوبُ﴾ عَابَ اللَّهُ، بَرَكَ مَعْصِيَتِهِ ﴿وَلَا تَظْلُمُونَ﴾ بِالنَّاءِ وَالْبَاءِ<sup>(٢)</sup>: تَنْقُضُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ﴿قِيلَ﴾ قَدَرُ قَسْرَةِ النِّوَاةِ<sup>(٣)</sup>؛ فَجَاهِدُوا<sup>(٤)</sup>.

[٧٨] ﴿أَنبَأْنَا تَكُونُوا يَذْرُكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ لِحُطُونِ ﴿مُسَيَّدَةٍ﴾ مُؤْتَفَعَةٍ؛ فَلَا تَخْشَوُا الْقِتَالَ خَوْفَ الْمَوْتِ ﴿وَإِنْ نَصَبْتُمْ﴾ أي: اليهود ﴿حَسَنَةً﴾ خَطَبَ وَسِعَةً ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نَصَبْتُمْ سَيِّئَةً﴾ جَذَبَ وَتَلَا؛ كَمَا حَصَلَ لَهُمْ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ يا محمد؛ أي: بِشَوْكُمْ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿كُلٌّ مِنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ﴾ وَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ قِبَلِهِ ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي: لَا يَقَارِبُونَ أَنْ يَفْهَمُوا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلْقَى إِلَيْهِمْ، «وَمَا»: اسْتَفْهَامٌ تَعْجِيبٌ مِنْ فِرْطِ جَهْلِهِمْ، وَنَفْيٌ مُقَارِبَةٌ لِلْفِعْلِ أَشَدَّ مِنْ نَفْيِهِ.

[٧٩] ﴿مَّا أَصَابَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ خَيْرٍ ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أَتَلُكُ فَضْلًا مِنْهُ ﴿وَمَّا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ بَلَاءَةٍ ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ أَتَلُكُ؛ حَيْثُ ارْتَكَبْتَ مَا يَسْتَوْجِبُهَا مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ عَلَى رَسُولَاتِكَ.

وَمَا لَكُمْ لَا تَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَتَلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّاطِطِينَ إِنَّ كَيْدَ الشَّاطِطِينَ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فُرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ وَأَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَظْلُمُونَ فَيَبِيلًا ﴿٧٨﴾ أَيْسَأَلُكُمْ أَنْ يَذْرُكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ نَصَبْتُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نَصَبْتُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٩﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٨٠﴾

[٧٥] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَقْتُلُونَ﴾ اسْتَفْهَامٌ تَوْبِيخٌ؛ أَي: لَا مَانِعَ لَكُمْ مِنَ الْقِتَالِ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فِي تَخْلِيصِ ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الَّذِينَ خَبَسَهُمُ الْكُفْرَانُ عَنِ الْهَجْرَةِ وَأَذَوْهُمْ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَهُمْ﴾ كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنْهُمْ - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ دَاعِينَ: يَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ مَكَّةَ ﴿الظَّالِمُ أَهْلُهَا﴾ بِالْكَفْرِ ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ مِنْ عِنْدِكَ ﴿وَلِيًّا﴾ يَتَوَلَّى أُمُورَنَا ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ يَنْجِيهِمْ مِنْهُمْ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ

(٥) مَا جَاءَ فِي زَوَالِ الْآيَةِ (٧٧): أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَأَصْحَابًا لَهُ اتُّوا النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كُنَّا فِي عَرٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ؛ فَلَمَّا آمَنَّا صَرْنَا أَذْلَةً فَقَالَ: «إِنِّي أَمَرْتُ بِالْعَفْوِ، فَلَا تَقَاتِلُوا». فَلَمَّا حَوْلَنَا اللَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ آمَرْنَا بِالْقِتَالِ فَكَفُّوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿أَنزَلَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ - كِتَابُ الْجِهَادِ (٢٥)

بَاب (١) وَجُوبُ الْجِهَادِ. وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سَنَنِ النَّسَائِيِّ (٢٨٩١).

(١) اسْتِخْلَافُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ عَلَى مَكَّةَ مَذْكَورٍ فِي الْمَغَارِيِّ لِلَوَائِقِيِّ وَفِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ وَحَسَنَةِ الْأَبَانِيِّ فِي [فَهْمَةِ السَّيْرِ (ص ٤٠٠)] (وَجَعَلَ عَتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ أَمِيرًا عَلَى مَكَّةَ).

(٢) بِالْبَاءِ قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسَائِيُّ وَإِنْ كَثِيرٌ.

(٣) تَقْدِيمُ قَرِيبًا عِنْدَ الْآيَةِ (٤٩)، أَنَّ الْغَنِيلَ هُوَ الَّذِي فِي شِقِّ النِّوَاةِ طَوْلًا، وَلَيْسَ هُوَ قَشْرُ النِّوَاةِ.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرُءَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٢﴾ فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَنكَفَ الْأَنْفُسُ وَهَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكْفَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٣﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ۖ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٤﴾

تَقِيءُ مُقِيًا ۖ مُقِيدًا ۖ فَيَجَازِي كُلَّ أَحَدٍ بِمَا عَمِلَ.

[٨٦] ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ كَأَنَّ قِيلَ لَكُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴿فَحَيُّوا﴾ الْحَيَّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ۖ بَأْنُ يَقُولُوا لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ﴿أَوْ رُدُّوها﴾ بَأْنُ يَقُولُوا لَهُ: كَمَا قَالَ: أَيُّ الْوَاجِبِ أَخَذْتُمَا، وَالْأَوَّلُ أَفْضَلُ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ مُحَاسِبًا ۖ فَيَجَازِي عَلَيْهِ، وَمِنْهُ رَدُّ السَّلَامِ، وَخَصَّتِ السَّنَةَ الْكَافِرَ وَالْمُبْتَدِعَ وَالْفَاسِقَ وَالْمُسْلِمَ عَلَى قَاضِي الْحَاجَةِ وَمَنْ فِي الْحَقَامِ وَالْأَكْلِ؛ فَلَا يَجِبُ الرُّدُّ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ يُكْرَهُ فِي غَيْرِ الْأَحْيَاءِ؛ وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ: «وَعَلَيْكَ».

[٨٠] ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أَعْرِضَ عَنْ طَاعَتِكَ فَلَا يَهْتُمُّ بِكَ ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ حَافِظًا لأَعْمَالِهِمْ بَلْ نَذِيرًا، وَالْيَنَاءُ أَسْرَهُمْ؛ فَنَجَازِيهِمْ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.

[٨١] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أَيُّ: الْمُنَافِقُونَ. إِذَا جَاءُوكَ. : أَمَرْنَا ﴿طَاعَةٌ﴾ لَكَ ﴿فَإِذَا بَرَأُوا﴾ خَرَجُوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الطَّاءِ وَتَرْكِهِ (١)؛ أَيُّ: أَضْمَرْتُ ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ لَكَ فِي حَضُورِكَ مِنَ الطَّاعَةِ؛ أَيُّ: عَصِيَانِكَ ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ بِأَمْرِ يَكْتُبُ (٢) ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ فِي صَحَافَتِهِمْ؛ لِيَجَازُوا عَلَيْهِ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بِالصَّفْحِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يُقَى بِهِ؛ فَإِنَّهُ كَافٍ ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ مُقَوِّضًا إِلَيْهِ.

[٨٢] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ يَتَأَمَّلُونَ ﴿الْفَرُءَانُ﴾ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيْعَةِ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ تَنَاقُضًا فِي مَعَانِيهِ وَتَبَاطُؤًا فِي نَظْمِهِ.

[٨٣] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عَنِ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ ﴿مِنَ الْأَمْنِ﴾ بِالنَّصْرِ ﴿أَوِ الْخَوْفِ﴾ بِالْهَزِيمَةِ ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أَفْشَوْهُ؛ نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ فِي ضِعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ تَضَعُفُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَأَذَى النَّبِيُّ ﷺ (٣) ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أَيُّ: الْخَبَرُ ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أَيُّ: ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ؛ أَيُّ: لَوْ سَكَنُوا عَنْهُ حَتَّى يُخْبِرُوا بِهِ ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هَلْ هُوَ مَا يُبَغِي أَنْ يَذَاعَ أَوْ لَا ﴿الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ﴾ يَتَّبِعُونَهُ وَيَطْلُبُونَ عِلْمَهُ؛ وَهُمْ: الْمَذْبُوعُونَ ﴿مِنْهُمْ﴾ مِنَ الرَّسُولِ وَأُولَى الْأَمْرِ ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ لَكُمْ؛ بِالْفَرَانِ ﴿لَأَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنَ الْفَوَاحِشِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[٨٤] ﴿فَقَتِلَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفَّ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فَلَا تَهْتَمُ بِتَخْلُفِهِمْ عَنْكَ، الْمَعْنَى: قَاتِلْ - وَلَوْ وَحْدَكَ - فَإِنَّكَ مَوْعُودٌ بِالنَّصْرِ ﴿وَهَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ ﴿عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ﴾ حَرْبِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ مِنْهُمْ ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تَعَذُّبًا مِنْهُمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَأُخْرِجَنَّ وَلَوْ وَخْذِي (٤)﴾ فَخَرَجَ بِسَبْعِينَ (٥) رَاكِبًا إِلَى بَدْرِ الصُّغْرَى؛ فَكَفَّ اللَّهُ بَأْسَ الْكَافِرِ؛ بِإِلْقَاءِ الرِّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَنْعِ أُنْبِيَّ سَفِيَانٍ عَنِ الْخُرُوجِ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي آلِ عِمْرَانَ..

[٨٥] ﴿مَنْ يَشْفَعْ﴾ بَيْنَ النَّاسِ ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ مُوَافِقَةً لِلشَّرْعِ ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ مِنَ الْأَجْرِ ﴿مِنْهَا﴾ بِسَبَبِهَا ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ مُخَالِفَةً لَهُ ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ نَصِيبٌ مِنَ الْوِزْرِ ﴿مِنْهَا﴾ بِسَبَبِهَا ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾.

(١) بِالْإِدْغَامِ حُمَزَةً وَأُنْبِيَّ عَمْرُو.

(٢) وَصِفَةُ الْكِتَابَةِ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ - سَبْحَانَهُ - عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ، وَالَّتِي قَبْلَهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ يَدِيهِ عَلَى نَفْسِهِ: أَنْ رَزَعْتَنِي غَلَبْتُ نَفْسِي». وَفِي حَدِيثِ احْتِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى: «قَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى اسْمُ خَلْقِكَ اللَّهُ يَكَلِّمُوكَ اللَّهُ يَكَلِّمُوكَ وَنَحْنُ لَكَ الثُّورَاتُ يَدِيهِ» [متفق عليهما].

(٣) أَخْرَجَ نَحْوَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ [الدر المنثور (٢/٣٣٤)].

(٤) ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ (١٣٧/٢)، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَالِ الْبَرَةِ.

(٥) قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ خَرَجَ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي السَّنَةِ الْمَرِاجَةِ لِلْهَجْرَةِ.

[٨٨] ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم؛ فقال فريق: اقتلهم، وقال فريق: لا، فنزل: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ؟﴾ أي: تفتدوهم من جملة المهتدين، والاستفهام في الموضعين للإينكار ﴿وَمَنْ يُضِلِلْهُ﴾ أي: الله فلن يهديه لكم سبيلاً ﴿طريقاً إلى الهدى﴾<sup>(٥)</sup>.

[٨٩] ﴿وَرُدُّوهُ﴾ تَمَتُّوا ﴿لَوْ تَكَفَّرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا﴾ أنتم وهم ﴿سَوَاءٌ﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ توالوهم - وإن أظهرها الإيمان - ﴿حَتَّى يَخْرُجُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تُعَقِّقُ إيمانهم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَعَذَابُكُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ توالونه ﴿وَلَا تُصَيِّرُوا﴾ تنصرون به على عدوكم.

[٩٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ بلجئون ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم؛ كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عوير الأسلمي<sup>(١)</sup> ﴿أَوَّلَ﴾ الذين ﴿جَاءَكُمْ﴾ وقد ﴿حَصَرْتُمْ﴾ ضاقت ﴿صُدُّوهُمْ﴾ عن ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم؛ أي: مُتَّبِعِينَ عن قتالكم وقالهم؛ فلا تعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل - وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف - ﴿وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿كَسَلَتْهُمْ عَلَيْهِمْ﴾ بأن يقوي قلوبهم ﴿فَلَقَاتِلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأ؛ فآلفى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلَسَلَمَ ﴿الصلح﴾ أي: اتفادوا ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالأخذ والقتل.

[٩١] ﴿سَتَجِدُونَ مَخْرَجَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ﴾ يظهر الإيمان عندكم ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم؛ وهم: أسد وغطفان ﴿كُلُّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دعا إلى الشرك ﴿أَرْكَسُوا فِيهَا﴾ وقعوا أشد وقوع ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْزِلُوا﴾ يترك قتالكم ﴿وَوَلَّوْا إِلَيْكُمْ أَلَسَلَمَ﴾ لم ﴿يَكْفُوا﴾ أيديهم عنكم ﴿فَعَذَابُكُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ برهاناً بيناً ظاهرًا على قتلهم وسيبهم؛ لغدرهم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٨﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ أَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ وَأَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلْهُ اللَّهُ فَلَنْ يَهْدِيَهُ سَبِيلًا ﴿٨٩﴾ ﴿وَرُدُّوهُ﴾ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَخْرُجُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا تُصَيِّرُوا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُّوهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلَسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلِّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْزِلُوا وَيَلْقُوا إِلَيْكُمْ أَلَسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩١﴾

[٨٧] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ والله<sup>(١)</sup> ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ من قوركم ﴿إِلَى﴾ في ﴿يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ وَمَنْ﴾ أي: لا أخذ ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ قولاً.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٨): أخرج البخاري عن زيد بن ثابت ؓ قال: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس من أصحابه، فقالت فرقة: نقتلهم. وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾. وقال النبي ﷺ: «إنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد» البخاري - كتاب فضائل المدينة (٢٩) باب (١٠) مدينة تنفي الخبث.

(١) أشار بذلك إلى أن اللام في قوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ موطقة لقسم محذوف.

(٢) روى ابن أبي حاتم عن طريق مجاهد أنها نزلت في هلال بن عوير الأسلمي وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصد ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه [فتح الباري (١٠/٨)].



لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسَنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ٥٥ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ٥٧ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ٥٨ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٩ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٦٠ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ٦١

[٩٥] لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ بالرفع صفة، والنصب (١) استثناء؛ من زمانة أو عَمَى ونحوه. وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ

لضرر (دَرَجَةً) فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَلَا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْخَسَنَ﴾ الخسة ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ويبدل منه (٢) (٥٥).

[٩٦] ﴿دَرَجَتٍ مِنْهُ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ منصوبان بفعلهما المقدّر (٣) ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[٩٧] ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُوا﴾ لهم موبخين: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿قَالُوا﴾ معذرين: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿قَالُوا﴾ لهم توبيخا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم، قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي (٤).

[٩٨] ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الذين لا يستطيعون حيلة لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ طريقا إلى أرض الهجرة.

[٩٩] ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٠٠] ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا﴾ مهاجرا ﴿كَثِيرًا وَسِعَةً﴾ في الرزق ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾ في الطريق؛ كما وقع لجندع بن صُمْرَةَ الليثي (٥) ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٠١] ﴿وَلِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في أن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ بأن تردوها من أربع إلى اثنين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ﴾ أي: يبالكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بيان للواقع إذ ذاك (٥) فلا مفهوم له، وبينت السنة أن المراد بالسفر: الطويل؛ وهو: أربع برد؛ وهي مرحلتان، ويؤخذ من قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي (٦) ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ يبيّن العداوة.

﴿عَرَضَ الْحَبَشَةُ الْأَذْيَا﴾: تلك الغنمية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٧)، ومسلم - كتاب التفسير (٥٤) رقم (٣٠٢٥). وفي رواية لأحمد عن ابن عباس (٧٢٩/١): مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهو يسوق غنثا له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعدونا. فمدوا إليه قتلوه، وأثرا بغمته النبي ﷺ فنزلت هذه الآية... (٨).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩٥): أخرجه البخاري عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أُملي عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاء ابن أم مكتوم وهو يلحقا علي قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى. فأنزل الله على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم سوي عه، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٨).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٩٧): أخرجه البخاري عن محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكثبت فيه، فلفت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاه عن ذلك أشد النبي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناشا من المسلمين كانوا مع المشركين يكترون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾. الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٩).

(١) بالنصب قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

(٢) أي: غفر لهم مغفرة، ورحمهم رحمة.

(٤) ذكره الطبري مرسلًا عن قتادة في جامع البيان (١٥١/٥)، وكان شيخنا مريبًا كثيرًا، فلما سمع الآية قال: والله ما أنا من استثنى الله؛ فإني لأجد حيلة ولي من المال ما يلغني وأبعد منها، والله لا أبيت بمكة، أخرجنني. فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التَّجْعُ فأكبره الموت... وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠/٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٩٥٣/٢، ٩٥٤) بسند حسن عن الزبير بن العوام قال: هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة؛ فنهشته حية في الطريق؛ فمات ففوت فيه: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾... الآية.

(٥) أي: قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ الآية، إلخ.

(٦) وعليه أيضًا جمهور أهل العلم خلافاً للحنفية القائلين بوجوبه على المسافر.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مِّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٣﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقُوَىٰ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٥﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْمَكْتَبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٦﴾

[١٠٢] ﴿وَلِذَا كُنْتُ﴾ يا محمد حاضرًا ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب، فلا مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ﴾ وتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي: الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي: الطائفة الأخرى ﴿مِن وَرَائِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة، وقد فعل النبي ﷺ كذلك بطن نخل. [رواه الشيخان] ﴿وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمت إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم، فيأخذوك، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مِّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو أحد قولين للشافعي، والثاني: أنه سنة، ورجح ﴿وَحُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من العدو، أي: احذروا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة<sup>(١)</sup>.

[١٠٣] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ فرغتم منها ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين، أي: في كل حال ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أمنتُم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أدوها بحقوقها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: مفروضًا ﴿مَوْقُوتًا﴾ أي: مقدارًا وقها، فلا تؤخر عنه.

[١٠٤] ﴿لَا يَبُثُّ طَائِفَةٌ﴾ في طلب أبي سفيان وأصحابه، لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات -: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ﴾ طلب ﴿الْقُوَى﴾ الكفار لقتالهم ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا﴾ نجدون ألم الجراح ﴿فَلْيَهِنُوا يَأْمُونًا كَمَا تَأْمُونُونَ﴾ أي: مثلكم، ولا يجبنون<sup>(٢)</sup> على قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم تزيدون عليهم بذلك، فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾<sup>(٣)</sup> في صنعه.

[١٠٥] وسرق طُعْمَةُ بن أبيرق درْعًا وَخَنَافًا عند يهودي، فوجدت عنده،

فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قَوْمُهُ النَّبِيَّ ﷺ أن يجادل عنه ويرثه، فنزل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾<sup>(٤)</sup> القرآن ﴿يَا لَحَقَىٰ﴾ متعلق به ﴿أَنْزَلَ﴾ لِحَكْمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ ﴿أَعْلَمَكَ﴾ الله ﴿فِيهِ﴾ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ ﴿كُطْعْمَةً﴾ خَصِيمًا ﴿مَخَاصِمًا﴾ عنه.

(١) ما جاء في نزول الآية (١٠٢): أخرج أحمد عن مجاهد عن أبي عبيد الزرقي قال: كنا مع رسول الله ﷺ ببغداد فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القلعة. فصلينا بنا رسول الله ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا عرتهم. ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبياتهم وأنفسهم قال: فنزل جبريل القصة بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَلِذَا كُنْتُ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾. قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح. قال: فصفتنا خلفه صفين... إلخ. أحمد. المسند (٥٩٤/٦٠). وأخرجه أبو داود دون التصريح بلفظ الآية. وفيه نزلت آية القصر. كتاب الصلاة (٢) باب (٢٨١) صلاة الخوف. وصحيح سنن أبي داود (١٠٩٦).

(١) البخاري (٤١٣٧)، ومسلم (٨٤٠) من حديث جابر بن عبد الله. (٢) وهم جميع من حضر أحدًا من المؤمنين الناحين، وكانوا ستمائة وثلاثين.

(٣) في «حاشية الصاوي»: «يجبنوا»، وقال في «الشرح»: «الماسب «يجبنون» بالنون إلا أن يقال: حذفت تخفيفًا.

(٤) ذكره البيهقي في تفسيره (٢٨٢/٢).

(٥) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة نحوه [الدر المنثور (٣٨٤/٢)]، ورواه الكلبي عن ابن عباس كما في تفسير البيهقي (٢٨٣/٢)، ورواه الطبري برقم (١٠٤١٤) عن ابن زيد أيضًا (١٨٤/٩).

لأن وبال حياتهم عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَيُّهَا﴾ أي: بعاقبه<sup>(١)</sup>.

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: طعمة وقومه حياءً ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يَبْتَغُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ علماً.

[١٠٩] ﴿هَآؤُنْتُمْ﴾ يا ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جَدَلْتُمْ﴾ خاصمتهم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن طعمة وذويه، وقرئ: ﴿عَنْهُمْ﴾ (٢) وفي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلْ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِذَا عَذِبُهُمْ أَم مِّنْ يَّكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا يتولى أمرهم، ويذب عنهم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك<sup>(٣)</sup>.

[١١٠] ﴿وَمَنْ يَمَلَّ سَوَاءً﴾ ذنباً بسوء به غيره؛ كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يَطْلُبْ نَفْسَهُ﴾ يعمل ذنباً قاصراً<sup>(٤)</sup> عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه؛ أي: يَتُبُّ يَجِدُ اللَّهَ عَفْوَكَ لَهُ ﴿رَحِيمًا﴾ به.

[١١١] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿فَلْيَمَّا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لأن وِثْلَهُ عَلَيْهَا وَلَا يَضُرُّ غَيْرَهُ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ذنباً صغيراً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذنباً كبيراً ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيًّا﴾ منه ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿ثِيئَتَنَا﴾ برميهِ ﴿وَإِثْمَانَا﴾ بئساً بكسبه.

[١١٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾<sup>(٥)</sup> بالعصمة ﴿هَلَّتْ﴾ أضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَنْ يُضْلُوكَ﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضْلُوكَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من الأحكام والغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾.

وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا هَآؤُنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَم مِّنْ يَّكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا وَمَنْ يَعْمَلْ سَوَاءً أَوْ يَطْلُبْ نَفْسَهُ وَثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ وَعَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيًّا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

[١٠٦] ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ ما هممت به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي؛

(١) وهذا تأويل من المصنف رحمه الله لصفة عدم المحبة من الله بلامها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات وغيرها على ما يليق بجلال الله تعالى.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) أشار بذلك إلى أن الاستغفار إنكارى بمعنى النفي.

(٤) في حاشية الصاوي: «يعمل ذنب قاصره».

(٥) وفيها إثبات صفة الرحمة لله - سبحانه.



[١١٤] ﴿لَا حَيَّرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ دَجُونِهِمْ﴾ أي: الناس؛ أي: ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿وَاللَّهُ نَجْوَى﴾ مِّنْ أَمْرِ يَصْدَقُ أَوْ مَعْرُوفٍ عمل بِرٍّ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ الْمَذْكُورَ ﴿أَتَيْتَكَ﴾ طلب مَرْضَاتِ اللَّهِ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ تُؤْتِيَهُ﴾ بالنون والياء<sup>(١)</sup>، أي: الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١١٥] ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقًا ﴿غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: طريقهم الذي هم عليه من الدين؛ بأن يكفر ﴿تَوَلَّى﴾ مَا تَوَلَّى نَجَلَهُ وَالْيَا لَمَّا تَوَلَاهُ مِنَ الضَّلَالِ؛ بَأَن نَخْلِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَتُفْصِلُوهُ نَدْخَلُهُ فِي الْآخِرَةِ ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعًا هي.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق<sup>(٢)</sup>.

[١١٧] ﴿إِنْ﴾ مَا يَدْعُونَ عِبَادَ الْمُشْرِكِينَ ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿إِلَّا إِنْ شَاءَ أَصَانَا مُؤَنَّةً﴾ كَاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ ﴿وَلِإِنْ﴾ مَا يَدْعُونَ يَعْبُدُونَ بَعَادَتَهَا ﴿إِلَّا سَطَطْنَا مَرِيدًا﴾ خَارِجًا عَنِ الطَّاعَةِ لَطَاعَتِهِمْ لَهَا فِيهَا؛ وَهُوَ: إِبْلِيسُ.

[١١٨] ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أَبْعَدَهُ عَنْ رَحْمَتِهِ ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشيطان ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ لِأَجْعَلَ لِي ﴿مِنْ عَبْدِكَ نَصِيبًا﴾ خَطَا ﴿مَقْرُوضًا﴾ مَقْطُوعًا أَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِي.

[١١٩] ﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ﴾ عَنْ الْحَقِّ بِالْوَسْوَسَةِ ﴿وَلَا كُنْتُمْ فِي قُلُوبِهِمْ طُولَ الْحَيَاةِ﴾ وَأَنْ لَا تَهْتَ وَلَا حِسَابَ ﴿وَلَا مَرْتَبَةً تَلِيَّتُكُمْ﴾ يَقْطَعْنَ ﴿ءَاذَانَ الْأَنْفَعِ﴾ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ بِالْبُخَايْرِ<sup>(٣)</sup> ﴿وَلَا مَرْتَبَةً فَلْيَغْزِرْكَ خَلْقُ اللَّهِ﴾ دِينَهُ<sup>(٤)</sup> بِالْكَفْرِ، وَإِحْلَالَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَحْرِيمَ مَا أَحَلَّ ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ بِتَوَلَّاهُ وَطَبِيعَهُ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ يَتَّبِعُ لَصِيرَهُ إِلَى النَّارِ الْمَوْدِيَةِ عَلَيْهِ.

[١٢٠] ﴿يَعُدُّهُمْ﴾ طُولَ الْعُمُرِ ﴿وَيُؤْمِنُهُمْ﴾ نَبْلَ الْأَمَالِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ

﴿لَا حَيَّرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ دَجُونِهِمْ﴾ أَلَا مَنْ أَمَرَ يَصْدَقُ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَتَيْتَكَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ تُؤْتِيَهُ أَجْرًا عَظِيمًا وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تَوَلَّى مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا آيَاتُنَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَتَّخِذَ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَرْتَبَةً تَلِيَّتْهُمْ وَلَا مَرْتَبَةً فَلْيَغْزِرْكَ خَلْقُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مَنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا يَعُدُّهُمْ وَيُؤْمِنُهُمْ وَمَا يَعُدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا أُولَئِكَ مَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا

لَا تَهْتَ وَلَا جَزَاءَ ﴿وَمَا يَعُدُّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بِذَلِكَ ﴿إِلَّا عُرْوًا﴾ بَاطِلًا. [١٢١] ﴿أُولَئِكَ مَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ مَعْدَلًا.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ الْآيَاتِ (١٠٥ - ١١٦): أخرج الترمذي عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت مَثًا يقال لهم بنو أبيرق يشر، وبشير، ومبشر، وكان بشير رجلًا ناقصًا يقول الشعر بهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الحديث أو كما قال الرجل، وقالوا ابن أبيرق قالها ... فقدمت صافضة من الشام فباتع عمي رفاعه بن زيد حملًا من الدرهم فحمله في مشرة له، وفي المشرة سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت فنقبت المشرة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعه، فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشرتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتحسبنا في الدار وسألتنا، فقبل لنا: قد ربنا بني أبيرق استوفدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم. قال: وكان بنو أبيرق قالوا: ونحن نسأل في الدار. والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سبهن - رجل منا له صلاح وإسلام - فلما سمع لبيد اختط سيفه وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطكم هذا السيف أو لتيبين هذه السرعة. قالوا: إليك عنها أيها الرجل مما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها. فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له.

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعه بن زيد فنقبوا مشرته له وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي ﷺ: (سأمر في ذلك) فلما سمع بنو أبيرق أنوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة فكلوه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلته، فقال: عمدت إلى أهل بيت ذك منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة. قال: فرجعت، ولوددت أنني خرجت من بعض مالي ولم أكلهم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعه فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان.

فلم يلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ وَلَا تُكُنْ لِلْكَافِرِينَ حَافِظًا، بني أبيرق ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي ما قلت لقتادة ﴿إِنَّمَا اللَّهُ =

(١) بالياء قراءة حمزة وأبي عمرو.

(٢) جمع بحيرة، وهي أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتي في الخامس يذكّر، فكانوا لا يحملون عليها ولا يأخذون نتاجها ويجعلون لها للطوغيت. ويشقون آذانها علامة على ذلك.

(٣) وقيل: المراد بهلما التغير الوشم. وقيل: المراد خصاء الدواب. والأقرب كما اختاره بعض المفسرين: أنه يشمل تغير الخلقة الظاهرة؛ بالوشم والوشم والنقص والتفليج للحسن، ونحو ذلك، كما يشمل الخلقة الباطنة؛ حيث إنه - سبحانه - خلق عباده حنفاء مقطوعين على الحق، فأجتنبتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان.

وَعَدًا وَحَقًّا حَقًّا<sup>(١)</sup> ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: قولاً.

[١٢٣] وَنَزَلَ - لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب :: ﴿لَيْسَ﴾ الأمر منوطاً ﴿بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup> بل بالعمل الصالح ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، إما في الآخرة<sup>(٣)</sup> أو في الدنيا بالبلاء والنحن - كما ورد في الحديث<sup>(٤)</sup> - ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾<sup>(٥)</sup> يمنع منه.

[١٢٤] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ شَيْئًا﴾ من الصالحات مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ ﴿بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْمُولِ وَالْفَاعِلِ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا﴾ قَدَّرَ نَفْرَةَ النِّوَاءِ.

[١٢٥] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد<sup>(٧)</sup> ﴿أَحْسَنُ دِينًا وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: انقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مُؤْتَحِدٌ ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال؛ أي: مثلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صفيًا لخالص المحبة له.

[١٢٦] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَكُنَّ لِلَّهِ كِلَيْهُمَا شَيْءٌ﴾ علماً وقدره؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[١٢٧] ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾ شأن ﴿الْإِسَاءَةِ﴾ وميراثهن ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن من آية الميراث، وفتيكم أيضاً ﴿فِي يَتِمَّى الْإِسَاءَةِ الَّتِي لَا تُوَفُّنَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ فرض ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرَعُونَ﴾ أيها للأولياء عن<sup>(٨)</sup> ﴿أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن، وتعطلوهن<sup>(٩)</sup> أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن؛ أي: يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَوَيْ﴾ في ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الصغار ﴿مِنَ الْوُلَدِ﴾ أن تعطوهم حقوقهم<sup>(١٠)</sup> ﴿وَوَيْ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَقَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾<sup>(١١)</sup> كان به، عليماً، فيجازيكم به<sup>(١٢)</sup>.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا<sup>(١٣)</sup> لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا<sup>(١٤)</sup> وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا<sup>(١٥)</sup> وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا<sup>(١٦)</sup> وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا<sup>(١٧)</sup> وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي الْإِسَاءَةِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى الْإِسَاءَةِ الَّتِي لَا تُوَفُّنَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرَعُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلَدِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا<sup>(١٨)</sup>

[١٢٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وعدهم الله ذلك

كَانَ عَقُورًا رَجِيمًا وَلَا يُجَادِلُ... إلى قوله: ﴿عَقُورًا رَجِيمًا﴾ أي لو استغفروا الله لغفر لهم، ﴿وَمَنْ يَكْتِيبْ إِثْمًا﴾ إلى قوله: ﴿إِثْمًا ثَبِيثًا﴾ قوله للبيد: ﴿وَلَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ إلى قوله: ﴿مُسَوِّفٌ تُوَفِّيهِ آثَرَ عَظِيمًا﴾.

فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلح فرده إلى رفاعه، فقال قاتدة: لما أتيت عمي بالسلح، وكان شيئاً قد عسى أو عشي في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتته بالسلح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ يُنَاقِ الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدًى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ قُلُوبُهُمْ مَأْتُولٌ وَتُصَلِّوْهُمُ جَهَنَّمَ وَمَا كُنْتُمْ بِمُصِيرًا﴾<sup>(١٩)</sup> إِنَّ اللَّهَ لَا يَقُورُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَنْتَوِي مَا دُونَ ذَلِكَ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا.

فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأهات من شعره، فأخذت رحله فوضعتها على رأسها، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان؟ ما كنت تأتيني بخير. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (حسن). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٢).

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: ﴿قاربوا وسددوا﴾ ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها. مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٧): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَنَصِيرًا﴾ إلى ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَنَصِيرًا﴾ قالت: يا ابن أخي، هي التهمة تكون في حجر وليها =

(١) أشار بذلك إلى أن «وعداً» و«حقاً» منصوبان ب«يعلن» محذوفين من لفظهما، ويصح أن يكون «حقاً» صفة لدوعداء. (٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر من طريق جوير عن الضحاك كما في الدر المنثور (٣٩٩/٢).

(٤) يشير إلى ما أخرجه عبد بن حميد في مسنده، والترمذي في سننه وضعفه، في نزول الآية أن أبا بكر قال: يا رسول الله، وأنتا لم تعمل السوء؟ وأنا تجزئ بكل سوء عملناه؟ فقال ﷺ: وَأَمَّا أَنْتَ وَأَضْحَاكَ الْوَلَدُ فَتَجْزُونَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ دُونُ، وَأَمَّا الْأَخْوَارُ فَتَجْتَنِعُ لَهُمْ ذَلِكَ، حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَضَعَفَ الْأَبَانِي إِسْنَادُهُ فِي ضَعِيفِ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٣٢٤٣).

(٥) بالياء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. (٦) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

(٧) هذا على أحد وجهي التفسير، وأن الرغبة بمعنى: الزهد، والبعض قدر «في» إشارة إلى أن الرغبة بمعنى: الحب، ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: «هَذِهِ التَّيْمَةُ تَكُونُ فِي جِغْرِ وَلَيْهَا؛ فَيُرْعَبُ فِي جَعَالِهَا وَتَالِهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يُنْقَضَ صِلَاقُهَا، فَتَهْوَا عَنْ يَكَايِهِمْ إِلَّا أَنْ يُقْسَطُوا لَهُمْ فِي إِكْمَالِ الصَّدَقَةِ... الحديث. (٨) أي: تمنعوه.

(٩) وكانوا في الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقاً ولا النساء.

[١٢٨] ﴿وَإِنْ أَمْرًا﴾ مرفوع بفعل<sup>(١)</sup> يفسره ﴿خَافَتْ﴾ تَوَقَّعَتْ ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾ زوجها ﴿شُورًا﴾ تَرْفَعًا عليها بترك مضاجعتها، والتفسير في نفقتها، لبعضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاصًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ فيه إدغام الناء في الأصل في الصاد، وفي قراءة: ﴿يُصْلِحَا﴾<sup>(٢)</sup> من أصلح ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة؛ بأن ترك له شيئاً طلياً لبقاء الصحة؛ فإن رضيت بذلك، وإلا فعلى الزوج أن يوفيهما حقها أو يفارقهما ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفقرة والنشور والإعراض، قال - تعالى - في بيان ما يجبل عليه الإنسان: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ شدة البخل؛ أي: مجبِلَتْ عليه؛ فكأنها حاضرت له لا تعيب عنه؛ المعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها، والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا عَشْرَةَ النِّسَاءِ﴾ وَتَتَّقُوا الجور عليهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به<sup>(٣)</sup>.

[١٢٩] ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ تسووا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَبِيلُوا﴾ كَلَّ الْأَمِيلُ إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي: تتركوا المال عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أمي ولا هي ذات ثقل ﴿وَإِنْ تُصِلِحُوا﴾ بالعدل بالقسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

[١٣٠] ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ أي: الزوجان بالطلاق ﴿يُتَيْنِ اللَّهُ كُلاًّ﴾ عن صاحبه ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ أي: فضله؛ بأن يرزقها زوجاً غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ خلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبر لهم. [١٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِمَعْنَى الْكِتَابِ﴾ من قبلكم ﴿أَي: اليهود والنصارى﴾ ﴿وَيَاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ وَلَكُمْ:﴾ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بما وصَّيتم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وعبداً؛ فلا يضركم كفركم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَكِيمًا﴾ محموداً في صنعه بهم.

[١٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيداً؛ بأن ما فيهما له.

[١٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِغَيْرِكُمْ﴾ بَدَلِكُمْ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾.

وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُعِنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِغَيْرِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ مَنْ كَانَ يُرِيدِ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لمن أراده لا عند غيره، فلم يطلب أحدكم<sup>(٤)</sup> الأخسر، وملا طلب الأعلى بإخلاصه له؛ حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

- تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها، فريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيهما مثل ما يعطيهما غيره. فنهوا أن ينكحوا إلا أن يقسطوا لهم ويملوا بهن أعلى ستهن من الصداق ... قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتِيكَ النَّبِيُّ﴾، والذي ذكر الله أنه ينلي عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: ﴿وَإِنْ جُنِفَ إِلَّا نَقِيطُوا فِي الْبَيْنِ فَاكْبَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ الْقَسَدِ﴾، وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وَيَسْتَفْتِيكَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يعني هي رغبة أحدكم لبيته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن. البخاري - كتاب الشركة (٤٧) باب (٧) شركة اليم وأهل الميراث. (٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٨): أخرج البخاري عن عائشة رضيها: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمسكتر منها، يريد أن يفارقه، تقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٢٤). وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة. ففعل، فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. كأنه من قول ابن عباس. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٤).

(١) ولا يصح جعله مبتدأ؛ لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقدرا.

(٢) وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُصْلِحَا﴾.

(٣) في حاشية الصاوي: وأحدهم.

وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ المشهود عليه ﴿عَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ قَالَهُ أَوْلَىٰ بِهَا منكم، وأعلم بمصالحهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ في شهادتكم، بأن ثماثوا الغني لرضاه، أو الفقير رحمة له ﴿لَنْ﴾ لا ﴿تَعْدِلُوا﴾ عن الحق ﴿وَلَنْ تَلُودُوا﴾ تحرفوا الشهادة، وفي قراءة<sup>(١)</sup> بحذف الواو الأولى تخفيفاً ﴿أَوْ تَعْرِضُوا﴾ عن أداها ﴿فَلَنْ﴾ الله كَان يَمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿يَأَيُّهَا﴾ به.

[١٣٦] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴿مُحَمَّدٌ ﷺ﴾؛ وهو: القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على الرسل؛ بمعنى: الكتب، وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[١٣٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بوسى؛ وهم: اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادتهم العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبسى ﴿ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَنْ يَكُنَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحق.

[١٣٨] ﴿بَشِّرْ﴾ أخبر يا محمد ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ بِأَنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مؤلماً؛ هو: عذاب النار.

[١٣٩] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿يَجِدُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿أَيُّبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ استشفهم إنكاري؛ أي: لا يجدون عندهم ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة، ولا ينالها إلا أولياؤه.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول<sup>(٣)</sup> ﴿عَلَيْكُمْ﴾ الْكِتَابَ القرآن في سورة الأنعام<sup>(٤)</sup> ﴿أَنْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ فلا تعدوا معها<sup>(٥)</sup> أي: الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ إنكروا إذا إنكروا إنكروا معهم ﴿يَسْتَهْزِئُوا﴾ في الإنم<sup>(٥)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ شهداء لله و﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ إِنْ يَكُنْ عَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا قَالَهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُودُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَبَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

[١٣٥] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ قائمين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَاءَ﴾ بالحق ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ فاشهدوا عليها؛ بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿أَوْ﴾ على ﴿الْوَالِدِينَ﴾

(١) لحمرة وابن عامر.

(٢) أي: ﴿نَزَّلَ﴾ و﴿أُنْزِلَ﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

(٤) وهو قوله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا رَأَيْنَا أَكْبَرُ الْقُوَىٰ يَخُوضُونَ فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(٥) أي: كفروا أو غيره؛ فالراضي بالكفر كافر، والراضي بالهمج عاصي.

[١٤١] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ قبلة<sup>(١)</sup> ﴿يَرْبَعُونَ﴾ ينتظرون ﴿يَكُمُ﴾ الدوائر ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿وَمِنْ اللَّهِ قَالُوا﴾ لكم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد؛ فأعطونا من الغنمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ﴾ نشتول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَوَلَّيْنَا أَلَم﴾ ننفقكم من المؤمنين ﴿أَنْ يَظْفَرُوا بِكُمْ﴾ بتخذيلهم ومراسلتهم بأخبارهم؛ فلما عليكم المنة، قال - تعالى -: ﴿فَاللَّهُ يَجْعَلُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالاستئصال<sup>(٢)</sup>.

[١٤٢] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدينية ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ مجازيهم على خداعهم<sup>(٣)</sup>؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نية على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا كَسَالَةً﴾ متساقطين ﴿يَرَاءُونَ النَّاسَ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء.

[١٤٣] ﴿مُذَبِّذِينَ﴾ مترددين ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لَا﴾ منسوين ﴿إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: الكفار ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: المؤمنين ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ﴾ الله فلن تجد لهم سبيلاً طريقاً إلى الهدى. ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنجُذُوا الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْبُودُونَ أَنْ يَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بمواليتهم ﴿سُلْطَنًا نُبِينًا﴾ برهاناً يثبت على نفاقكم.

[١٤٤] ﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ فِي الذَّرِكِ﴾ المكان ﴿الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو فقرها ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعاً من العذاب.

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من انفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَأَعْتَصَمُوا﴾ رتقوا ﴿بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من الرياء ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما يؤتونه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة؛ وهو: الجنة.

الَّذِينَ يَرِثُصُوتُ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَةً يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنجُذُوا الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْبُودُونَ أَنْ يَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

[١٤٧] ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمة ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ به، والاستفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يعذبكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيمًا﴾ بخلفه.

(١) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ﴾ [النساء: ١٣٩]، والأحسن أنه نعت ثان للمنافقين.

(٢) دفع بذلك ما يقال: إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا، فأجاب بأن المعنى: أن الكفار لا يستأصلون المؤمنين، ويجاب أيضاً: أن المراد سبيلاً بالشرع؛ فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة؛ فمن ذلك أن الكافر لا يرث المسلم، وليس له أن يملك عبداً مسلماً، ولا يقتل مسلماً بالذمعي.

(٣) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها الله لنفسه، وسبق بيان مذهب السلف فيها وفي أمثالها في مواضع كثيرة ووجوب الإيمان بها وإثباتها لله على ما يليق به - سبحانه وتعالى - دون تأويل أو تعطيل أو تمثيل أو تكيف.

ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا﴾ بما يفعل.

[١٤٩] ﴿إِنْ تَبَدُّوا﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ من أعمال البر ﴿أَوْ تَخْفَوْا﴾

تعملوه سرًّا ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ ظلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

[١٥٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقْرِفُوا بَيْنَ

اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿بَأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ دُونَهُمْ﴾ وَيَقُولُونَ قَوْلًا يَبْغِضُ مِنْ الرُّسُلِ

﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ مِنْهُمْ﴾ وَنُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ الْكَفَرِ

وَالْإِيمَانِ ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا يذهبون إليه.

[١٥١] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد (٢) لمضمون الجملة

قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: عذاب النار.

[١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يُقْرِفُوا بَيْنَ أَلْحَرِ

مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ بِالْيَأْسِ وَالْيَأْسِ وَالْيَأْسِ ﴿أَجْرُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا ذَمِيمًا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[١٥٣] ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ

كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى نعتًا؛ فإن استكبرت ذلك

﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي: أبأؤهم ﴿مُوسَى أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى أَنْ

اللَّهُ جَهْرَةً﴾ عيانًا ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّلَافَةَ﴾ الموت عقابًا لهم ﴿يُظْلِمُهُمْ﴾ حيث

تعتتوا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾

المعجرات على وحدانية الله ﴿فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصلهم ﴿وَأَنبَيَا

مُوسَى سُلَاطِنًا مُبِينًا﴾ تسلطًا بينًا ظاهرًا عليهم؛ حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة

فأطاعوه.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيقَاتِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق

عليهم؛ ليخافوا فقبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ وهو مفضل عليهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب

القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ وفي قراءة بفتح العين

وتشديد الدال (٤)، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: لا تعتدوا ﴿فِي

الْأَسْبَتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك

فنقضوه.

﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وَكَانَ  
اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخْفَوْا أَوْ تَعْفُوا عَنْ  
سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ  
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقْرِفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ  
قَوْلًا يَبْغِضُ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا  
بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا  
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ  
وَلَمْ يُقْرِفُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ  
أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلَ الْكِتَابِ  
أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ  
مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى أَنْ اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّلَافَةَ يَظْلِمُهُمْ  
ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَبْنَا  
عَنْ ذَلِكَ وَأَنبَيَا مُوسَى سُلَاطِنًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ  
الطُّورَ بِمِيقَاتِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا  
لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

[١٤٨] ﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من أحد؛ أي:

يعاقبه عليه (١) ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به؛ بأن يخبر عن ظلم ظالمه

(١) وهذا تأويل لصفة المحبة التي أثبتها لنفسه ببعض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وإثباتها على ما يليق بجلاله - سبحانه ..

(٢) أي: وعامه محذوف ويقدر مؤخرًا عن الجملة المؤكدة لها، وتقديره: أحق حَقًّا.

(٣) بالنون قراءة السبعة عدا حمص.

(٤) لنافع، واجلس قالون حركة العين.

[١٥٥] ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ﴾ «ما» زائدة، «والباء» للسببية متعلقة بمحذوف؛ أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿وَيُثَقِّفُهُمْ وَكُفِّرُهُمْ يُبَايِنُ اللَّهُ وَقَوْلُهُمْ الْآيَاتِ يُعَيِّرُ حَتَّى وَقَوْلُهُمْ﴾ للنبي ﷺ ﴿قُلُونَا غُلَّتْ﴾ لا تعي كلامك ﴿بَلْ طَمَعُ﴾ ختم الله عليهم يكفِّرهم فلا تعي وغطا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قِيلًا﴾ منهم؛ كعبدالله بن سلام وأصحابه.

[١٥٦] ﴿وَيَكْفُرُهُمْ﴾ ثاني بعيسى، وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ هَتَّأْنَا عَظِيمًا﴾ حيث رموها بالزنا.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلُهُمْ﴾ مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ في زعمهم<sup>(١)</sup>؛ أي: مجموع ذلك عذبناهم، قال - تعالى - تكذيبا لهم في قتله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتول والمصلوب - وهو صاحبهم - بعيسى؛ أي: ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من قتله؛ حيث قال بعضهم - لما رأوا المقتول؛ الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده -: فليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿مَا هُمْ بِهِ﴾ بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع<sup>(٢)</sup>؛ أي: لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ حال مؤكدة لنفي القتل [١٥٨] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١٥٩] ﴿وَإِنَّ﴾ ما ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: الكتابي حين يعاين ملائكة الموت؛ فلا ينفعه إيمانه، أو قبل موت عيسى<sup>(٣)</sup> لما ينزل قرب الساعة - كما ورد في حديث<sup>(٤)</sup> - ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه، لما بعث إليهم.

[١٦٠] ﴿فَيُظْلَمُونَ﴾ أي: فيسبب ظلم ﴿مِنْ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَجَلَتْ لَهُمْ﴾ هي التي في قوله - تعالى -: ﴿حَرَمَتْ كُلَّ ذِي ظُلْفٍ﴾<sup>(٥)</sup> الآية ﴿وَبَصَدَّهِمْ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه صدا ﴿كَثِيرًا﴾.

[١٦١] ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْإِطْلَاقِ﴾ بالحكم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

[١٦٢] ﴿لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ﴾ الثابتون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبدالله بن سلام ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿يُؤْمِنُونَكَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ

فِيمَا نَقُصُّهُمْ مَيْثَقَهُمْ وَكُفِّرُهُمْ يُبَايِنُ اللَّهُ وَقَوْلُهُمْ الْآيَاتِ يُعَيِّرُ حَتَّى وَقَوْلُهُمْ قُلُونَا غُلَّتْ بَلْ طَمَعُ اللَّهُ عَلَيْهَا يَكْفُرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قِيلًا وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ هَتَّأْنَا عَظِيمًا وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَوَعَدْنا الْقِيَمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا فَيُظْلَمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَجَلَتْ لَهُمْ وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْإِطْلَاقِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَكَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا

قَبْلَكَ من الكتب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح<sup>(٦)</sup>، وفري بالرفع<sup>(٧)</sup> ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء<sup>(٨)</sup> ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

(٥) ثالثة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: وقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَوَعَدْنا الْقِيَمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٤٩) نزول عيسى ابن مريم، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧١) نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ.

(١) متعلق بقوله: ﴿فَيُظْلَمُونَ﴾، وفي نسخة «في زعمهم» بالإفراد؛ ويكون متعلقا بقوله: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾.

(٢) لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم.

(٣) وهذا وجه آخر في التفسير.

(٤) الأنعام: ١٤٦.

(٥) وذلك تعظيما لشأنهم.

(٦) وهي قراءة شاذة.

(٧) بالياء قراءة حمزة.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُكُورًا ۚ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۚ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَبِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُوتُ لَهُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۚ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۚ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ ﴾

[١٦٣] ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ ابن إسحاق ﴿ وَالْأَسْبَاطِ ۚ أَوْلَادُهُ ﴾ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ

وَأَتَيْنَا ﴿ دَاوُدَ زُكُورًا ﴾ بالفتح؛ اسم للكتاب المؤتى، والضم (١)؛ مصدر بمعنى: مزبورا؛ أي: مكتوبا.

[١٦٤] ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف من إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس، قاله الشيخ (٢) في سورة غافر (٣) ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى ﴾ بلا واسطة ﴿ تَكْلِيمًا ﴾.

[١٦٥] ﴿ رُسُلًا ﴾ بدل من ﴿ رُسُلًا ﴾ قَبْلَهُ ﴿ مُبَشِّرِينَ ﴾ بالثواب من آمن ﴿ وَمُنْذِرِينَ ﴾ بالعقاب من كفر، أرسلناهم ﴿ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾ يقال ﴿ بَعْدَ ﴾ إرسال ﴿ الرُّسُلِ ﴾ إليهم فيقولوا: ﴿ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتُنَبِّئَ مَا بَيْنَكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (٤) فيعناهم لقطع عذرهم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ﴾ في ملكه ﴿ حَكِيمًا ﴾ في صنع.

[١٦٦] ﴿ وَنَزَلَ ﴾ لما شغل اليهود عن نبوته ﷺ فَأَنكَرُوهُ : ﴿ لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ ﴾ (٥) بين نبوتك ﴿ يَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ من القرآن المعجز ﴿ أَنْزَلَهُ ﴾ ملتبسا ﴿ بِعِلْمِهِ ﴾ أي: علما به، أو وفيه علمه ﴿ وَالْمَلَكُوتُ لَهُ يَشْهَدُونَ ﴾ لك أيضا ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ على ذلك.

[١٦٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالله ﴿ وَصَدُّوا ﴾ الناس ﴿ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ دين الإسلام بكنيهم نعت محمد ﷺ، وهم: اليهود ﴿ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ عن الحق.

[١٦٨] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالله ﴿ وظَلَمُوا ﴾ نبيه بكنمان نعت ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ من الطرق.

[١٦٩] ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ أي: الطريق المؤدي إليها ﴿ خَالِدِينَ ﴾ مقدرين الخلود ﴿ فِيهَا ﴾ إذا دخلوها ﴿ أَبَدًا ﴾ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿ هَئِذَا

[١٧٠] ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ ﴾ أي: أهل مكة ﴿ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ ﴾ محمد ﷺ ﴿ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا ﴾ به، واقتصدوا ﴿ خَيْرًا لَكُمْ ﴾ بما أنتم فيه ﴿ وَإِنْ تَكْفُرُوا ﴾ به ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ملكا وخلقًا

وعبيدًا؛ فلا يضره كفركم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بخلقهم ﴿ حَكِيمًا ﴾ في صنعه بهم.

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) أي: الجلال المحلي.

(٣) أي: عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [عافر: ٧٨].

(٤) القصص: ٤٧.

(٥) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٣٩/٦)]. وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٥٢٠/١).



[١٧١] ﴿يَتَأَمَّلَ الْكِتَابَ﴾ الإنجيل ﴿لَا تَقُولُوا﴾ تتجاوزوا الحدَّ ﴿فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْقَوْلَ﴾ الْحَقُّ ﴿من تنزيهه عن الشريك والولد﴾ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا أَوْصَلَهَا اللَّهُ ﴿إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ﴾ أي: ذو روح ﴿مِنْهُ﴾ أضيف إليه - تعالى - تشريفًا له، وليس كما زعمتم ابن الله، أو إلهًا معه، أو ثالث ثلاثة؛ لأن ذا الروح مركب، والإله منزّه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه<sup>(١)</sup> ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَلَا تَقُولُوا الْآلِهَةُ ثَلَاثَةٌ ﴿اللَّهُ وَعِيسَى وَأُمُّهُ﴾ أَنْتَهُوا ﴿عن ذلك وأنتم﴾ خَيْرًا لَكُمْ ﴿منه﴾ وهو: التوحيد ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهًا له عن ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا وعبيدًا، والملكية تنافي النبوة ﴿وَكُنِّي بِاللَّهِ وَكَيْدًا﴾ شهيدًا على ذلك.

[١٧٢] ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ يتكبر ويأنف ﴿الْمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيدًا، وهذا من أحسن الاستطراد، ذُكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله، كما رد بما قتله على النصارى الزاعمين - ذلك المقصود - خطابهم ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَهُهُ جَمِيعًا﴾ في الآخرة.

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا؛ هو: عذاب النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ غَيْرَ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يدفعه عنهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يمنعهم منه. [١٧٤] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مُخْتَصِمٌ﴾ بين رُبُكُم ﴿عليكم؛ وهو: النبي ﷺ﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿بيّنًا؛ وهو: القرآن. [١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَتْنِ﴾

يَتَأَمَّلَ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكُنِّي بِاللَّهِ وَكَيْدًا أَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَهُهُ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَتْنِ وَفَضْلٍ وَهَدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

وَفَضْلٍ وَهَدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا ﴿طريقًا﴾ مُسْتَقِيمًا ﴿هو دين الإسلام.﴾

(١) وهذه الألفاظ محدثة ومهمة، فإن كان يقصد منها نفي الصفات التي أنبتها الله لنفسه أو أنبتها له رسوله ﷺ من اليد والقدم وغيرها؛ فهو باطل، وإن كان يقصد منها نفي صفات النقص عنه - سبحانه - فهو حق، ولكن التعبير عن ذلك بعبارات السلف أسلم وأولى.



حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ  
وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمَرْوِيَّةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ  
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا  
بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقِ الْيَوْمَ يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا  
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكَلَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتَ عَلَيْكُمْ  
رِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ  
غَيْرِ مَتَّجَانِفٍ لَأَتِمُّ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ يَسْتَأْذِنُكَ مَاذَا  
أَجَلَ لَهُمْ قُلْ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَةُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ  
مُكَلِّينَ يُعَاوَنُوهِنَّ فَمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ  
وَاذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ  
الْيَوْمَ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَةُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ  
وَطَعَامُكُمْ حَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ  
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ  
مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسْلِفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝

لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ الْحَارِمَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
مِن قَبْلِكُمْ ۖ حَلَّ لَكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ۖ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ  
مَهْرُهُنَّ ۖ مُحْصِنِينَ ۖ مُتَزَوِّجِينَ ۖ غَيْرِ مُسْلِفِينَ ۖ مُعَلَّنِينَ بِالزَّانَا بِهِنَ ۖ وَلَا  
مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۖ مِنْهُنَّ تَسْرُونَ بِالزَّانَا بِهِنَ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ ۖ أَي:  
يُرْتَد ۖ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ۖ الصَّالِحُ قَبْلَ ذَلِكَ ۖ فَلَا يَعْتَدُ بِهِ ۖ وَلَا يَنْبَأُ عَلَيْهِ  
ۖ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ إِذَا مَاتَ عَلَيْهِ.

[٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ﴾ أَي: أَكَلُهَا ﴿وَالْدَّمُ﴾ أَي: الْمُسْفُوح - كما  
في الأنعام<sup>(١)</sup> - ﴿وَلَحْمُ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ بَأَن ذُبِحَ عَلَى اسْمِ غَيْرِهِ  
﴿وَالْمُنْخَفَقَةُ﴾ الْمَيْتَةُ خَنْقًا ﴿وَالْمَوْفُودَةُ﴾ الْمَقْتُولَةُ ضَرْبًا ﴿وَالْمَرْوِيَّةُ﴾ السَّاقِطَةُ  
مِنْ عُلُوِّ إِلَى أَسْفَلِ فَمَاتَتْ ﴿وَالطَّيْحَةُ﴾ الْمَقْتُولَةُ يَنْطُحُ أُخْرَى لَهَا ﴿وَمَا أَكَلَ  
السَّبْعُ﴾ مِنْهُ ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أَي: أَدْرَكْتُمْ فِيهِ الرُّوحَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ  
فَذَبَحْتُمُوهُ، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ﴾ اسْمُ النَّصَبِ جَمْعُ نَصَابٍ؛ وَهِيَ الْأَصْنَامُ  
﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا﴾ تَطْلُبُوا الْقِسْمَ وَالْحَكْمَ ﴿بِالْأَزْلَمِ﴾ جَمْعُ زَلَمٍ - يَفْتَحُ  
الزَّائِي وَضَمُّهَا مَعَ فَتْحِ اللَّامِ -: قِدَحٌ - بِكَسْرِ الْقَافِ - صَغِيرٌ لَا رِيشَ لَهُ وَلَا  
نَصْلَ، وَكَانَتْ سَبَقَةً عِنْدَ سَادَنِ الْكُفَّةِ، عَلَيْهَا أَعْلَامٌ، وَكَانُوا يَحْكُمُونَهَا؛ فَإِنْ  
أَمَرْتَهُمْ اتَّعَمَرُوا وَإِنْ نَهَيْتَهُمْ انْتَهَوْا ﴿ذَلِكُمْ فَسُقِ﴾ حُرُوجٌ عَنِ الطَّاعَةِ، وَنَزَلَ  
يَوْمَ عَرَفَةَ عَامَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ<sup>(٢)</sup> ۖ ﴿الْيَوْمَ يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ أَنْ  
تَرْتَدُّوا عَنْهُ بَعْدَ طَمَعِهِمْ فِي ذَلِكَ لَمَّا رَأَوْا مِنْ قُوَّتِهِ ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ  
أَكَلَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أَحْكَامُهُ وَفَرَائِضُهُ، فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَهَا حِلَالٌ وَلَا حَرَامٌ  
﴿وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ رِعْمَتِي﴾ بِإِكْمَالِهِ، وَقِيلَ: بِدُخُولِ مَكَّةَ آمِنِينَ ﴿وَرَضِيتُ  
أَي: اخْتَرْتُ﴾ ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مُجَاعَةٍ إِلَى أَيْ  
شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ فَأَكَلَهُ ﴿غَيْرِ مَتَّجَانِفٍ﴾ مَائِلٍ ﴿لَا يَتَرَفَّعُ﴾ مَعْصِيَةٍ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ  
عَفُورٌ﴾ لَهُ مَا أَكَلَ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِ فِي إِبْرَأَتِهِ، بِخِلَافِ الْمَائِلِ لِلْإِيمَانِ؛ أَي: التَّلَبُّسِ  
بِهِ كَقَطَاعِ الطَّرِيقِ وَالْبَاغِي مَثَلًا؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ الْأَكْلُ.

[٤] ﴿يَسْتَأْذِنُكَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿مَاذَا أَجَلَ لَهُمْ﴾ مِنَ الطَّعَامِ ﴿قُلْ أَجَلَ لَكُمْ  
الطَّيْبَةُ﴾ الْمُسْتَلَذَاتُ ﴿وَوَصِيدٌ﴾ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ الْكَوَاسِبُ مِنَ  
الْكِلَابِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ ﴿مُكَلِّينَ﴾ حَالٌ مِنْ كَلَبَتِ الْكَلْبَ - بِالتَّشْدِيدِ ؛  
أَي: أَرْسَلْتَهُ عَلَى الصَّيْدِ ﴿تُعَاوَنُوهُنَّ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرٍ ﴿مُكَلِّينَ﴾؛ أَي:  
تُؤَدِّبُونَهُنَّ ۖ ﴿يَمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ مِنَ آدَابِ الصَّيْدِ ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وَإِنْ  
قَتَلْتَهُ بَأَن لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ، بِخِلَافِ غَيْرِ الْعَلَمَةِ؛ فَلَا يَحِلُّ صَيْدُهَا، وَغَلَامَتُهَا<sup>(٣)</sup>  
أَنْ تَشْتَرِيَهَا إِذَا أُزِيلَتْ وَتَنْزَجِرَ إِذَا رُجِرَتْ، وَتَمْلِكُ الصَّيْدَ وَلَا تَأْكُلُ مِنْهُ،  
وَأَقْلُ مَا يَعْرِفُ بِهِ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ؛ فَإِنْ أَكَلَتْ مِنْهُ فَلَيْسَ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَى  
صَاحِبِهَا؛ فَلَا يَحِلُّ أَكْلُهُ كَمَا فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ وَفِيهِ: «أَنْ صَيَّدَ الشَّهْمُ  
إِذَا أُزِيلَ وَدُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَصَيْدِ الْمُغْلَمِ مِنَ الْجَوَارِحِ»<sup>(٤)</sup> ۖ ﴿وَاذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ  
عَلَيْهِ﴾ عِنْدَ إِرْسَالِهِ<sup>(٥)</sup> ۖ ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

[٥] ﴿الْيَوْمَ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَةُ﴾ الْمُسْتَلَذَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
أَي: ذَبَابُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿حَلَّ حَلَّ﴾ حَلَالٌ ﴿لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ﴾ إِيَاهُمْ ﴿حَلَّ

(١) أَي: فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿هُوَ ذِمَّةٌ مُتَشَوِّصَةٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٠٧)، وَمُسْلِمٌ (٣٠١٧).

(٣) هَذَا تَأْوِيلٌ لَصِفَةِ الرِّضَا الثَّانِيَةِ لِلَّهِ ﷻ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي يَلِيهِ بِسَبْحَانِهِ. وَمِنْ لُزَامِهَا أَنَّهُ اخْتَارَ مَا رَضَاهُ مِنَ الدِّينِ لِهَذِهِ الْأَمَةِ.

(٤) ذَكَرَ أَرْبَعُ عِلَامَاتٍ وَهِيَ مُعْتَبَرَةٌ فِي الْكَلْبِ وَالسَّبْعِ، وَأَمَّا الطَّيْرُ فَلَا يَحْتَسِبُ فِيهِ إِلَّا قَبْدَانٌ: أَلَا يَأْكُلُ مِنْهُ، وَإِذَا أُرْسِلَ اسْتَرْسَلَ، وَيَرَى مَالِكًا أَنْ الْأَكْلَ يَسَّ قَبْدًا كَذَلِكَ فِي الْكَلْبِ وَالسَّبْعِ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِالْحَدِيثِ.

(٥) لَا يُوْجِدُ بِهَذَا اللَّفْظَ فِي الصَّحِيحِينَ وَلَكِنْ يَسْتَفَادُ هَذَا الْحُكْمُ مِنْ أَحَادِيثَ فِيهِمَا. انْظُرْ: الْبُخَارِيُّ (٥٠٦٢)، وَمُسْلِمٌ (٣٥٦٥).

(٦) ذَهَبَ الْمُصَنِّفُ إِلَى أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى ﴿مِمَّا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾، وَقِيلَ: عَائِدٌ إِلَى ﴿مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أَي: سَمَا اللَّهُ إِذَا أَدْرَكْتُمْ ذِكَاةً.

ألقوا المسح بها من غير إمالة ماء، وهو اسم جنس فيكني أقل ما يصدق عليه؛ وهو: مسح بعض شفره<sup>(٣)</sup>، وعليه الشافعي **﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾** بالنصب، عطفًا على **﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾**، وبالجر على الجوار<sup>(٤)</sup> **﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾** أي: معها - كما يثبت الشئ<sup>(٥)</sup> ١. وهما: العظام الناتان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس المسح يغيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعي، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات **﴿وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْفِئُوا﴾** فاعتسلوا **﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ﴾** مرضًا يضره الماء **﴿أَوْ عَلَ سَفَرٍ﴾** أي: مسافرين **﴿أَوْ جَسَدًا أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾** أي: أخذت **﴿أَوْ لَنَسَمْتُمُ النِّسَاءَ﴾** سبق مثله في آية النساء **﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾** بعد طلبه **﴿فَتَيَمَّمُوا﴾** اقصدا **﴿صَبِيحًا طَيِّبًا﴾** ترابًا طاهرًا **﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾** مع المرفقين **﴿وَبَنَةً﴾** بضربتين<sup>(٦)</sup>، والباء للإلصاق، وَبَنَتِ الشَّئَ أن المراد استيعاب العضوين بالمسح<sup>(٧)</sup> **﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾** ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم **﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾** من الأحداث والذنوب **﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾** بالإسلام؛ ببيان شرائع الدين **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** نعمة<sup>(٨)</sup>.

[٧] **﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** بالإسلام **﴿وَمِنْ نِعْمَتِهِ﴾** عهده **﴿الَّذِي وَافَقَكُمْ بِهِ﴾** عاهدكم عليه **﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾** للنبي ﷺ حين بايعتموه: **﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** في كل ما تأمر به وتنهى؛ بما نحب ونكره **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** في ميثاقه أن تنقضوه **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** بما في القلوب، فغيره أولى.

[٨] **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرُوءًا قَوْمِينَ﴾** قائمين **﴿لِلَّهِ﴾** بحقوقه **﴿شُهَدَاءَ يَأْتِطُطُ بِالْعَدْلِ﴾** ولا يجرمكم **﴿يَحْمِلَتُكُمْ سَنَائِكُمْ﴾** بغض **﴿قَوْرٍ﴾** أي: الكفار **﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا﴾** فتنالوا منهم؛ لعداوتهم **﴿أَعْدُوا﴾** في العدو والولي **﴿هُوَ﴾** أي: العدل **﴿أَقْرَبُ لِلْقَوَىٰ وَأَتَقُوا﴾** الله **﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** فيجازيكم به.

[٩] **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** وعدًا حسنًا **﴿لَهُمْ مَقْرَرٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** هو الجنة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْفِئُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَنَسَمْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرُوءًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ يَأْتِطُطُ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا أَعْدَاؤُهُمْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَقْرَرٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٩

[٦] **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾** أي: أردتم القيام **﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾** وأنتم محدثون **﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾** أي: معها - كما يثبت الشئ<sup>(١)</sup> - **﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾** الباء للإلصاق<sup>(٢)</sup>؛ أي:

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦): أخرجه البخاري عن عائشة **﴿سَقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ - وَنَحْنُ دَاخِلُونَ الْمَدِينَةَ - فَأَنَاجَ النَّبِيَّ ﷺ وَبَزَلَ، فَتَنَى رَأْسَهُ فِي حَجَرِي رَافِدًا. أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَكَزَنِي لَكَزَةً شَدِيدَةً وَقَالَ: حَبَسْتَ النَّاسَ فِي قِلَادَةٍ؟ فِي الْمَوْتِ لَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَوْجَعَنِي، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَقْبَضَ وَحَضَرَتْ الصُّبْحُ فَانْتَمَسَ الْمَاءُ فَلَمْ يَوْجِدْ؛ فَزَلَّتْ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية. قال أسيد بن حصير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم. البخاري - التفسير (٦٥) - سورة المائدة (٥) باب (٣).**

(١) من حديث وائل بن حجر الحضرمي أن النبي ﷺ «غسل في وضوئه يمينه ويساره، حتى جاوز المرفق ثلاثًا، وغسل رجله حتى حاوز الكعبين». أخرجه الدارقطني من حديث عثمان، وأخرجه الدارقطني والبيهقي عن جابر، وأخرجه الزبارة والطبراني من حديث وائل بن حجر، وأخرجه الطحاوي والطبراني من حديث ثعلبة بن عباد عن أبيه مرفوعًا [فتح الباري (٣٥٠/١)]. وانظر: صحيح الجامع (٤٦٩٨)، والسلسلة الصحيحة (٩٩/٥).

(٢) وقيل: للتبعض. وهو قول مرجوح.

(٣) وقال أبو حنيفة: يجب مسح الجميع كما يجب مسح الوجه في التيمم. وهو الصحيح.

(٤) قراءة الجرا لآين كثير وأبي عمرو وحزمة وشعبة، وقوله: «على الجوار»؛ أي: فهو في المعنى منصوب بفتحة مقدرة على آخره، واعترض على هذا بأنه لم يرد الجرا بالمجاورة إلا في النعت، والأولى أن يقال: إنه مجرور بفتحة، ومعطوف على الرؤوس، والمسح مسلط عليه ويحمل على حالة ليس الخف.

(٥) كما تقدم قربنا في حديث وائل بن حجر.

(٦) حديث الضربين ضعيف، والصحيح أن التيمم ضربة واحدة كما في حديث عمار عند البخاري مرفوعًا: «إنما كان يكفكف هكذا»، ونفع فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه. البخاري (٣٤٧).

(٧) حديث زوي عن ابن عمر عند الدارقطني (١٨٠/١) مرفوعًا، وصحح الأئمة وقفه على ابن عمر.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

[١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَنْ يَسْطُوا﴾. يدوا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَنْ يَسْطُوا﴾. ليفتكوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>

[١٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بما يذكر بعد ﴿وَبَعَثْنَا﴾. فيه التفات عن الغيبة - أقمنا ﴿مِنْهُمْ أَنْتَ عَشْرَ نَفْسًا﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه؛ بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والصرة ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ﴾ وَأَتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَأَمْسَلْتُمْ يَدَايَكُمْ وَعَزَرْتُمْ أَوْسِيَائَكُمْ وَاعْتَمَلْتُمْ فِي سَبِيلِهِ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمِيثَاقِ مِنْكُمْ فَقَدْ صَبَّلَ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق؛ والسواء في الأصل: الوسط، فنقضوا الميثاق.

[١٣] قال الله - تعالى -: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ﴾ «ما» زائدة ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُخْرِفُونَ أَلْسِنَهُمْ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها؛ أي: يبدلونه ﴿وَنَسُوا﴾ تركوا ﴿حُطًّا﴾ نصيباً ﴿فِيمَا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﷺ ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَى خَائِبَةٍ﴾ أي: خيانة ﴿وَمِنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ من أسلم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وهذا منسوخ بآية السيف<sup>(٢)</sup>.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَاعْتَمَلْتُمْ فِي سَبِيلِي وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ صَبَّلَ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُخْرِفُونَ أَلْسِنَهُمْ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حُطًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِبَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

(١) فائدة: قال الألوسي: «والآية إشارة إلى ما أخرجه مسلم وغيره من حديث جابر أن المشركين رأوا أن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم بمسفات قاموا إلى الظهر مقاء، فلما صلوا ندبوا ألا كانوا أكبروا عليهم، وهما أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى صلاة العصر؛ فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف...».

وقبل غير ذلك. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢٤/٦، ١٢٥).

(٢) أي: من قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية [التائدة: ١٢].

(٣) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْلَوُكُمْ كَثِيرٌ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ وَسَلُّوسُ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

[١٤] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ متعلق بقوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل العهد، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل؛ من الإيمان وغيره، ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم، فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[١٥] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾ تكتمون ﴿وَمِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة والإنجيل؛ آية الرجم وصفته <sup>(١)</sup> ﴿وَيَعْلَوُكُمْ كَثِيرٌ﴾ من ذلك؛ فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا إفضاحكم. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ قرآن ﴿مُبِينٌ﴾ بَيِّنٌ ظَاهِرٌ.

[١٦] ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ أي: بالكتاب ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ بأن آمن ﴿سَلُّوسُ السَّلَامِ﴾ طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

[١٧] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه إلها، وهم العقويية - فرقة من النصارى <sup>(٢)</sup> - ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ أي: يدفع ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾ عذاب ﴿اللَّهُ سَيِّئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلها؛ لقدّر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَاءٌ <sup>(٣)</sup> هَدِيرٌ﴾

(١) فائدة: أخرج الحاكم (٤/٤٠٠) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من كفر بالرجم، فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحاسب. وذلك قول الله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٧٦/١٠) وصححه الأرنؤوط. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤٤٢٠).

(٢) بل هذا هو معتقد عامتهم.

(٣) والأولى الإطلاق وعدم التقييد. كما أطلق الله ﷻ، ورسوله ﷺ، كما أنه أكمل في الصفة، والله أعلم.

[١٨] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ: أَيُّ كَلٍّ مِنْهُمَا: ﴿تَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ﴾ أَيُّ: كَاتِبَاتُهُ فِي الْقُرْبِ وَالْمَنْزِلَةِ، وَهُوَ كَاتِبُنَا فِي الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ ﴿وَأَجْتَوَدُ قُلُوبَهُمْ﴾ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَلَا نَهَوْا بِالْمَنْعِ، إِنْ صَدَقْتُمْ فِي ذَلِكَ، وَلَا يَعْذِبُ الْأَبُ وَلَدَهُ وَلَا أَحِبُّبٌ حَبِيبَهُ، وَقَدْ عَذَّبَكُمْ، فَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿يَلْ أَتَىٰ عَلَى الْبَشَرِ نَازِلٌ﴾ مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ ﴿خَلْقٍ﴾ مِنَ الْبَشَرِ، لَكُمْ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ الْمَغْفِرَةُ لَهُ ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تَعَذِّبُهُ، لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ الْمَرْجِعُ.

[١٩] ﴿يَتَأَهَّلُ الْكَتَّابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ مُحَمَّدٌ ﴿بَيِّنَاتٍ لَّكُمْ﴾ شُرَافِعُ الدِّينِ ﴿عَلَىٰ قَلْبِهِ﴾ انْقِطَاعُ ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ إِذْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيسَى رَسُولٍ، وَمُدَّةُ ذَلِكَ خَمْسَمِائَةٍ وَتِسْعٌ وَتِسْتُونَ سَنَةً <sup>(١)</sup> لَّعَنَ أَنْ لَا تَقُولُوا إِذَا عَذَّبْتُمْ: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ زَائِدَةٍ﴾ بِبَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بِبَشِيرٍ وَنَذِيرٍ. فَلَا عَذْرَ لَكُمْ إِذَا ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَمَنْ تَعَذِّبُكُمْ إِنْ لَمْ تَتَّبِعُوهُ.

[٢٠] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقِيمُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ أَيُّ: مِنْكُمْ ﴿أَنْبِيَاءً وَجَعَلَكُمْ مَثَلًا﴾ أَصْحَابَ خَدَمٍ وَخَشَمٍ ﴿وَمَا تَنْتَكُم مَّا تَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ مِنَ الْمَلِكِ وَالسُّلْوَى وَقُلُوبِ الْبَحْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

[٢١] ﴿يُقِيمُوا أَذْكُرُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ الْمَطْهَرَةَ ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أَمْرُكُمْ بِدُخُولِهَا، وَهِيَ: الشَّامُ ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ تَنْهَضُوا خَوْفَ الْعَدُوِّ ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ فِي سَعْيِكُمْ.

[٢٢] ﴿قَالُوا يَكُونُ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ﴾ مِنْ بَقَايَا عَادٍ طَوَّلًا ذَوِي قُوَّةٍ <sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا تَنْتَكُم مَّا تَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ تَنْهَضُوا خَوْفَ الْغُلَامِ فَلَا تَدْخُلُوا لَهَا حَتَّىٰ تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَلَا تَدْخُلُوا لَهَا.

[٢٣] ﴿قَالَ لَهُمْ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ﴾ مُخَالَفَةُ أَمْرِ اللَّهِ، وَهَمَا: يُوشَعَ وَكَالِبُ <sup>(٣)</sup>، مِنَ النِّقَابَةِ الَّذِينَ بَعْثَهُمُ مُوسَىٰ فِي كَشْفِ أَحْوَالِ الْجَبَابِرَةِ ﴿أَنْتُمْ اللَّهُ عَالِمِيمَا﴾ بِالْعَصْمَةِ فَكُنَمَا مَا أَطْلَعَا عَلَيْهِ مِنْ حَالِهِمْ إِلَّا عَنْ مُوسَىٰ؛ بِخِلَافِ بَقِيَةِ النِّقَابَةِ فَأَفْشَوْهُ؛ فَجَبِينَا: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ بَابَ

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَتَأَهَّلُ الْكَتَّابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بِبَشِيرٍ وَنَذِيرٍ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقِيمُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً وَجَعَلَكُمْ مَثَلًا فِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَعَازَّتْكُمْ مَا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ يَقِيمُوا أَذْكُرُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا يَكُونُ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ ﴿٢٣﴾ أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكَبُوا عَلَيْهِمْ وَأَخْرَجُوا مِنْ دُونِ الْبَابِ فَانْصُرُوا لَهُمْ فِي مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾

الْقُرْبَةِ، وَلَا تَخْشَوْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ أَجْسَادٌ بِلَا قُلُوبٍ ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكَبُوا عَلَيْهِمْ﴾ قَالَا ذَلِكَ يَقْتَضِي بَصَرَ اللَّهِ وَانْجَازَ وَعْدِهِ ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فِتْنَتُكُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٤) عن سلمان الفارسي قال: فترة بين عيسى ومحمد ﷺ ستماية سنة. وعن قتادة خمسمائة وستون سنة. أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه.

وعن الكلبي: خمسمائة وأربعين، وقيل: أربعماية سنة. انظر: [فتح الباري (٣٢٥/٧)].

وعن الضحاك: أربعماية ووضعت وثلاثون سنة.

والمشهور ستماية سنة. ومهم من يقول: ستماية وعشرون سنة بالقمرية فتكون ستماية بالنجمية [البداية والنهاية].

(٢) يشير إلى ما ورد في الإسرائيليات من وصف هؤلاء القوم، واختار بعض أهل العلم أن لا يعتمد ذلك في تفسير كلام الله ﷻ، بل لا يفسر القرآن إلا بما هو متيقن غير مشكوك فيه، وأما الإذن في نقل أخبار أهل الكتاب وأحاديثهم بغير تصديق ولا تكذيب فهو في غير تفسير القرآن الكريم، وهو قول وجيه وقوي، وسبق الكلام عن أقسام الإسرائيليات في سورة البقرة عند ذكر الثابوت، فليراجع.

(٣) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وأخرجه عبد بن حميد عن عطية العوفي [الدر المنثور (٤٧٩/٢)].

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿فَاتَّخَذَهَا﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿مَحْرَمَةً﴾ عليهم أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ﴾ بتحiron ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهي تسعة فراعس، قاله ابن عباس ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْرِ الْفَيْسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم<sup>(١)</sup> في الموضع الذي ابتدءوا منه، ويسرون النهار كذلك حتى انقضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين، قيل: وكانوا ستمائة ألف، ومات هارون وموسى في الشبه، وكان رحمة لهما وعدايا لأولئك، وسأل موسى ربه عند موته أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر؛ فأدناه - كما في الحديث<sup>(٢)</sup> -، وثني يوشع بعد الأربعين، وأمر بقتل الجبارين؛ فصار بمن بقي معه وقتلهم، وكان يوم الجمعة، ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وروى أحمد في مسنده حديث: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَحْسُ عَلَى بَنِي إِيلَاشَع<sup>(٣)</sup> لِيَالِي سَارَ إِلَى يَتِيبِ الْقُدْسِ»<sup>(٤)</sup>.

[٢٧] ﴿وَأَتَى﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿أَبْنَى مَادَمَ﴾ هابل وقابل ﴿يَالْحَقَّ﴾ متعلق بـ ﴿أَتَى﴾ ﴿إِذْ قَرَأَ قُرْآنًا﴾ إلى الله؛ وهو: كيش لهابل وزرع لقابل ﴿فَقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابل؛ بأن نزلت نار من السماء فاكلت قربانه ﴿وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ وهو قابل؛ فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لم؟ قال: لتقبل قربانك دوني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿لَيْنًا﴾ لام قسم ﴿بَسَطْتَ﴾ مددت ﴿إِلَى يَدِكَ لِنَقُلْ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ إلى أخاف الله رب العالمين ﴿في تلك<sup>(٥)</sup>﴾.

[٢٩] ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَءَ﴾ ترجع ﴿إِلَيْمِي﴾ يائمه قلبي ﴿وَأَيْتُكَ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ولا أريد أن أبوء يائمه إذا قتلتك؛ فأكون منهم، قال - تعالى -: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

[٣٠] ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ زينت ﴿لَمْ نَفْسُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ فصار ﴿مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ بقتله، ولم يدر ما يصنع به؛ لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله على ظهره.

[٣١] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يَبْحَثُ التراب بمنقاره ويرجله ويَبْحَثُ على غراب ميت حتى وازاه ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤْرِي﴾ يَشْرُ ﴿سَوْءَةَ﴾ جيفة ﴿أَخِيهِ قَالِ يَتَوَلَّى عَجْرَتْ﴾ عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حمله، وحفر له وواراه.

قَالُوا يَمْوَسِي إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٨﴾ وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَأَ قُرْآنًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٩﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَءَ بِائِمِي وَإِيَّكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٢﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالِ يَتَوَلَّى عَجْرَتْ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٣﴾

[٢٤] ﴿قَالُوا يَمْوَسِي إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا﴾ هم ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ عن القتال.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ موسى حينئذ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ﴾ إلا ﴿أَخِي﴾ ولا أملك غيرهما؛ فاجبرهم على الطاعة ﴿فَافْرِقْ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ في هذا الحديث، قال: قلت يا رسول الله، أرايت إن دخل علي بيتي وبسط يده ليقبلي؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «كن كابي آدم»، ونلا يزيد - هو يزيد بن خالد الرملي شيخ أبي داود -: «لَوْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِنَقُلْ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ» الآية.

أبو دود - كتاب الفتن والملاحم (٢٩) باب (٢) في النهي عن السعي في الفتنة. وأشار محققه في هامشه (٤٥٦/٤) أنه وقع في نسخة: «كن كخبر ابني آدم». وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٨١).

وقوله: «في هذا الحديث» يعني حديث أبي بكر مرفوعاً: «إنها ستكون فتنة، يكون المضطجع فيها غيراً من الجالس...» وهو عند مسلم في كتاب الفتن (٥٢) باب (٣) نزول الفتن كموافق القطر.

وفي آخر الحديث عند مسلم: «فقال رجن: يا رسول الله أرايت إن أكرهت حتى ينطقي بي إلى أحد الصغين - أو إحدى الفتنين - فضررتي رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: بيوه يائمه وإئمه، ويكون من أصحاب النار».

(١) أخرج نحوه ابن جرير عن مجاهد وعن الربيع بن أنس [الدر المنثور (٤٨٢/٢)].

(٢) البحاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢).

(٣) أي: قبل يوشع، ولا لقد حبست لنبينا ﷺ مرتين؛ يوم الخندق، وصبيحة ليلة الإسراء.

(٤) رواه أحمد (٧٩٦٤) عن أبي هريرة مرفوعاً باللفظ: «إن الشمس لم تهب لبشر...»، وانظر: صحيح الجامع (٥٦١٢).



[٣٢] ﴿وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ الذي فعله قابيل ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا﴾ قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير فساده ﴿أَنَّهُ﴾ في الأرض ﴿مَنْ كَفَرَ أَوْ رَدَّ أَوْ قَطَعَ طَرِيقًا أَوْ نَحْوَهُ﴾ فَكَانَ قَتْلَ النَّاسِ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعًا ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَكُفْرٌ﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك.

[٣٣] ونزل في العرينين - لما قدموا المدينة وهم مرضى<sup>(١)</sup>؛ فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوابها وألبانها، فلما ضحكوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل :- ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ بِمُحَارَبَةٍ مِّنَ الْأَرْضِ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع الطريق ﴿أَن يُقْتَلُوا أَوْ يُكَلِّبُوا أَوْ يُقَطِّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾ أي: أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ﴿أَوْ﴾ لترتيب الأحوال، فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي<sup>(٢)</sup>، وأصح قوله: أن الصلب ثلاثاً<sup>(٣)</sup> بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً. ويلحق بالنفي ما أشبهه في التشكيل من الخيس وغيره<sup>(٤)</sup> ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ جِزْيٌ﴾ ذل ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو عذاب النار.

[٣٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من المحاربين والقتل ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، عتبر بذلك دون ﴿فلا تحذوهم﴾؛ ليفيد أنه لا يسقط عنه توبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين، كذا ظهر لي، ولم أر من تعرض له، والله أعلم. فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب<sup>(٥)</sup>، وهو أصح قول الشافعي، ولا تنفد توبته بعد القدرة عليه شيئاً، وهو أصح قوله أيضاً<sup>(٦)</sup>.

[٣٥] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفَقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يربكم إليه من طاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَقَدْ تَقْلِبُونَ﴾ تموزون.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَانَ قَتْلَ النَّاسِ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَكُفْرٌ لَّكَرُفٍ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَّحِيمٌ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفَقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

[٣٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٣، ٣٤): أخرج النسائي عن أنس: أن نفرًا من عُكْل قدموا على النبي ﷺ فاجتوا المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوابها وألبانها ففعلوا، فقتلوا راعيها واستاقوها، فبعث النبي ﷺ في طلبهم قال: فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسخر أعينهم، ولم يحسمهم، وتركهم حتى ماتوا، فانزل الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ﴾ الآية. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧) باب (٧)، والحديث عند البخاري بدون ذكر نزول الآية.

البخاري - كتاب الوضوء (٤) باب (٦٦) أبواب الإبل والدواب والغنم ومرايضها.

(١) لم أجده عن ابن عباس أو غيره، وأخرج ابن جرير (٢٠٢/٤) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَتْلَ النَّاسِ جَمِيعًا﴾ قال: أوق نفسه كما لو قتل الناس جميعًا. وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ قال: من سلم من قتلها. وانظر أيضًا: [الدر المنثور (٦٤/٣)]. وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليس من نفس تقتل ظلمًا، إلا كان على ابن آدم الأول كفل - أي نصيب - من دمها؛ لأنه أول من سن القتل». البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (٤٤٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٩٨) والنسائي (٣٩٥٩) عن أنس بن مالك، والقصة في البخاري ومسلم بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٥٨).

(٣) وعند مالك: ﴿أَوْ﴾ على بابها للتخيير، لكن بحسب ما يراه الحاكم.

(٤) أي: ثلاثة أيام.

(٥) وعند مالك: النفي لإبعاده عن الأرض مسافة قصر، ولا يكفي الحيس.

(٦) أي: إذا تاب قبل القدرة عليه؛ فلا يسقط في هذه الحال المذكورة إلا الصلب؛ لأنه من حق الله.

الكوع، وَيَنْتَبِثُ الشَّئُ أَنْ الَّذِي<sup>(١)</sup> يقطع فيه ربع دينار فصاعداً، وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى، وبعد ذلك يعز<sup>(٢)</sup> ﴿جَزَاءً﴾ نصب على المصدر ﴿يَمَّا كَسَبَا نَكَالاً﴾ عقوبة لهما ﴿وَنَآلَهُمَا اللَّهُ عَذَابًا غَيْرَ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه. [٣٩] ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ رجع عن السرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَارْتَدَّ اللَّهُ بِنُوبٍ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في التعبير بهذا ما تقدم؛ فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع ورد المال، نعم يَنْتَبِثُ الشَّئُ أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الإمام سقط القطع، وعليه الشافعي<sup>(٣)</sup>.

[٤٠] ﴿أَلَمْ تَلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه التعذيب والمغفرة.

[٤١] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا مَحْزَنٌ﴾ صنع ﴿الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يعقون فيه بسرعة؛ أي: يظهره إذا وجدوا فرصة ﴿وَنَآلَهُمُ الْعَذَابُ﴾ قالوا آمناً بأفوههم<sup>(٤)</sup> بالسنتهم متعلق بـ ﴿قَالُوا﴾ ﴿وَلَمْ تَوْمِنُ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿سَمِعُوا لَكُذِبَ﴾ الذي افترته أجهارهم سماع قبول ﴿سَمِعُوا﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿آخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ وهم أهل خير، زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما؛ فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يَحْرِقُونَ أَلْكَامَ﴾ الذي في التوراة؛ كآية الرجم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها؛ أي: يبدلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ الحكم المحرف؛ أي: الجلد الذي أفتاكم به محمد ﴿فَحُذِرُوا﴾ فاقبلوه ﴿وَأَنْ لَمْ تَوْفَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَحُذِرُوا﴾ أن تقبلوه ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ إضلاله ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ في دفعها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر، ولو أرادهم لكان ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ ذل بالفضيحة والحزبة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ<sup>(٥)</sup> وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>(٦)</sup> فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٧)</sup> أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(٨)</sup> يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنُ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِقُونَ أَلْكَامَ مِنَ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ قُلُوبَهُمْ وَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ<sup>(٩)</sup>

[٣٧] ﴿يُرِيدُونَ﴾ يمتنون ﴿أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم.

[٣٨] ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ «ال» فيهما موصولة مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره؛ وهو: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي: يمين كل منهما من

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٩): أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرفت على عهد النبي ﷺ فجاء بها الذين سرفتهم، فقالوا: يا رسول الله، إن هذه المرأة سرفتنا، قال قومها: فجن نفديها. يعني أهلها. فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا يدها» فقالوا: نحن نفديها بخمسائة دينار. قال: «اقطعوا يدها» قال: فقطعت يدها اليمنى، فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك» فأبذل الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ إلى آخر الآية. أحمد - المسند (١٧٧/٢). وقال أحمد شاذ: إنسانه صحيح (٦٦٥٧). قال ابن كثير: «وهذه المرأة هي المخزومية التي سرفت. وحديثها ثابت في الصحيحين».

(١) رواه البخاري (٦٢٩١)، ومسلم (٣١٨٩، ٣١٩٠، ٣١٩٢)، عن عائشة مرفوعاً.

(٢) وهذا مذهب الشافعي ومالك، وعند الحنفية ورجحه ابن قدامة: لو عاد في الثالثة والرابعة يعز، ولا تقطع يده اليسرى ولا رجله اليمنى. وهو الأصح؛ لأن قطع يديه فوت منفعة الجنس، فلا تبقى له يد يأكل بها ولا يتوضأ ولا يستطيب ولا يدفع عن نفسه؛ فيصير كالهالك، ولأنه لو جاز قطع اليدين لقطعت اليسرى في المرة الثانية لأنها آلة البطش الكلي، وإنما لم تقطع للمفسدة في قطعها. [الغني (٩/ ١٠٦ - ١٠٩)].

(٣) وعند مالك: لا ينفع عفوه من عطفه، لأنه حق الله.

(٤) أي: لقوله: ﴿الَّذِينَ يُسْرِغُونَ﴾ [المائدة: ٤١].

[٤٢] هُمْ ﴿سَمِعُوا لَكَذِبَ أَنْكَلُونَ﴾ [للسُّخْبِ] ﴿بِضْمِ الْحَاءِ وَسُكُونِهَا﴾<sup>(١)</sup>؛ أَي: الحرام؛ كالرشا ﴿فَإِنْ جَاءَوكَ﴾ لِحُكْمِ بَيْنَهُمْ ﴿فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله - تعالى -: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ﴾ الآية، فيجب الحكم بينهم إذا توافعا إلينا، وهو أصح قولي الشافعي<sup>(٢)</sup>، فلو توافعا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً ﴿وَإِنْ تَقَرَّضْ عَنْهُمْ فَكُنْ بِضُرُوكَ سَبِيحًا﴾ وَإِنْ حَكَمْتَ بَيْنَهُمْ ﴿فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين في الحكم؛ أَي: بينهم<sup>(٣)</sup>.

[٤٣] ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ﴾ وَعِنْدَهُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ بِالرَّجْمِ، اسْتِفْهَامٌ تَعَجِيبٌ؛ أَي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحق، بل ما هو أهون عليهم<sup>(٤)</sup> ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤٤] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ يان للأحكام ﴿يُحْكَمْ بِهَا التَّيُّبُونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ﴾ العلماء منه ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ الفقهاء ﴿بِمَا﴾ أَي: بسبب الذي ﴿أَسْتَحْفَظُوا﴾ استودعوه؛ أَي: استحفظهم الله إياه ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أَنْ يَدُلُّوهُ ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أَنَّهُ حَقٌّ ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرها ﴿وَأَخْشَوْا﴾ في كتمانها ﴿وَلَا تَنْفَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِإِيتَائِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ به.

[٤٥] ﴿وَكُنَّا﴾ فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أَي: التوراة ﴿أَنْ أَلْفَسَ﴾ تقتل ﴿بِالْفَنَسِ﴾ إذا قتلها ﴿وَالْعَيْنُ﴾ ثَقْفًا ﴿بِالْعَيْنِ وَالْأَنفِ﴾ يُجْدَعُ ﴿بِالْأَنفِ وَالْأَذُنِ﴾ تقطع ﴿بِالْأَذُنِ وَالسِّنِّ﴾ تقلع ﴿بِالسِّنِّ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة<sup>(٥)</sup> ﴿وَالْجُرُوحُ﴾ بالوجهين<sup>(٦)</sup> ﴿قِصَاصٌ﴾ أَي: يقتض فيها إذا أمكن؛ كاليد والرجل ونحو ذلك، وما لا يمكن فيه الحكومة، وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾

سَمِعُوا لَكَذِبَ أَنْكَلُونَ لَلْسُخْبِ فَإِنْ جَاءَوكَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيفَ يُحْكِمُوكَ عِنْدَهُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمْ بِهَا التَّيُّبُونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا أَسْتَحْفَظُوا مِنَ النَّاسِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْا وَلَا تَنْفَرُوا بِإِيتَائِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا فِيهَا أَنْ أَلْفَسَ بِالسِّنِّ وَالْأَذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

أَي: بالقصاص؛ بَأَنْ مَكُنْ مِنْ نَفْسِهِ ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ لِمَا أَتَاهُ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فِي الْقِصَاصِ وَغَيْرِهِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٤٥): أخرجه الترمذي عن عمران بن حصين أن رجلاً عض يد رجل، فزعه يده، فوقع ثنياء، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقال: «بعض أحدكم أخاه كما بعض الفحل!! لا دية لك». فأنزل الله: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾. الترمذي - كتاب الديات (١٤) باب (٢٠) ما جاء في القصاص. وقال: حسن صحيح.

والحديث في صحيح مسلم بلفظ ذكر نزول الآية، وكذلك في صحيح البخاري لكن من حديث يعلى بن أمية.

(١) بالضم قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) ومشهور مذهب مالك أن التخيير باق وليس بمنسوخ، وبه قال أحمد وهو الراجح، واختاره السعدي معللاً بأنهم لا قصد لهم في الحكم الشرعي إلا أن يكون موافقاً لأهوائهم، وكذلك القاسمي وزاد: لأنه لا ماعاة بين الآيتين، فالأولى فيها التخيير، والأخرى فيها كيفية الحكم إذا حكم بينهم.

(٣) وهذا تأويل يلزم للصفة، وسبق بيان مذهب السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها على الوجه اللائق به - سبحانه.

(٤) وهو الجدل.

(٥) للكسائي.

(٦) أي: بالرفع والنصب، والرفع قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ. قُلْ هِيَ التَّوْرَةُ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿٢٠﴾ وَيُؤْتِيهِمُ اللَّهُ بِطَوَافٍ مِمَّا يَشَاءُونَ ﴿٢١﴾ وَمِمَّا يَشَاءُونَ يُصِيبُكُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

[٤٧] ﴿٢٠﴾ قُلْنَا: ﴿لِيُحْكَمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَفِي قِرَاءَةٍ (١) بِنَصْبٍ «يُحْكَم» وَكَسْر لَامِهِ، عَطْفًا عَلَى مَعْمُولِ «آتَيْنَاهُ» وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٢).

[٤٨] ﴿٢١﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ الْكِتَابَ الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ وَمَتْلَقًا بِأَنْزِلَانِهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْ هِيَ الْكِتَابُ وَمُهِيمًا شَاهِدًا عَلَيْهِ وَالْكِتَابُ بِمَعْنَى الْكِتَابِ (٣) فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا تَرَاكُمْ إِلَيْكَ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَادِلًا وَعَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَمْعٍ مِمَّنْ أَهْلُ الْأُمَمِ شَرْعَةٌ شَرْعَةُ وَبَيْنَهُمَا جَمْعٌ طَرِيقًا وَاضِحًا فِي الدِّينِ يَمْشُونَ عَلَيْهِ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ عَلَى شَرْعَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَكِنْ فَرَقَكُمْ فِرْقًا ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ لِيُخْبِرَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ الْخُفْيَةِ لِنَبْظُرَ الطَّاعِينَ مِنْكُمْ وَالْعَاصِيينَ ﴿فَلْيَسْتَفِيقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ سَارِعُوا إِلَيْهَا إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا بِالْبَعْثِ ﴿فَلْيُحْكَمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخِلَّفُونَ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، وَيَجْزِي كُلًّا مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ.

[٤٩] ﴿٢٢﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاعْتَدِرْهُمْ لَوْ أَنَّ لَا يَقْتَرِبُوا يَضْلُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا عَنْ الْحُكْمِ الْمَثُولِ وَأَرَادُوا غَيْرَهُ فَاعْلَمُوا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا وَبَعْضُ دُورِهِمْ الَّتِي أَنْتَاهَا وَمَهَا: التَّوَلَّى، وَيَجَازِيهِمْ عَلَى جَمِيعِهَا فِي الْآخِرَةِ ﴿وَلَنْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿٢٣﴾ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا يَنْتَهِى عَنْ الْبَالَاءِ وَالنَّارِ (٤) يَطْلُبُونَ مِنَ الْمَدَاهِنَةِ وَالْمِيلِ إِذَا تَوَلَّوْا؟ اسْتَفْهَمُوا إِنْكَارِي وَمَنْ أَيُّ لَا أَحَدَ ﴿أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُونَ﴾ عِنْدَ قَوْمٍ يُوقِفُونَ؟ بِهِ خُصَاصًا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ.

وَقَفَّتْ عَلَى أَشْرَهِمْ يَعْنِي أَنَّ مَرَّةً مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَمُؤْتٍ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٥) وَلِيُحْكَمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦) وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهِيمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَمْعٍ مِمَّنْ أَهْلُ شَرْعَةٍ وَمِنْهَا جَمْعٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْظُرَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَفِيقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيَنْتَهِى عَنْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخِلَّفُونَ (٧) وَإِنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاعْتَدِرْهُمْ أَنْ يَقْتَرِبُوا عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُورِهِمْ وَلَنْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٨) فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا يَنْتَهِى عَنْ الْبَالَاءِ وَالنَّارِ (٩) يَطْلُبُونَ مِنَ الْمَدَاهِنَةِ وَالْمِيلِ إِذَا تَوَلَّوْا؟ اسْتَفْهَمُوا إِنْكَارِي وَمَنْ أَيُّ لَا أَحَدَ ﴿أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُونَ﴾

[٤٩] ﴿٢٠﴾ وَقَفَّتْ عَلَى أَشْرَهِمْ أَيُّ: النَّبِيِّنَ يَعْنِي أَنَّ مَرَّةً

(٥) مَا جَاءَ فِي نزول الآيات (٤١ - ٤٧): أخرج مسلم عن البراء بن عازب قال: سُرَّ على النبي ﷺ يهودي محمداً مجلواً فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا تحدثون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «أنتم بالذي أنزل التوراة على موسى، أهلكم تحدثون بهذا لم أخبركم. لجمده الرجم، ولكنه كثير في أشرفنا، فكنا إذ أخذنا الشرف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيم على الشرف والوضع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أتممته». فأمر به فرحم، فأمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكُمُ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ يقول: اتوا محمداً فإن أمركم بالتحميم والجلد مخذوه وإن أظاكم بالرجم فاحذروا، فأمر الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ مسلم. كتاب الخلود (٢٩) باب (٦) رجم اليهود أهل الذمة في الزنى.

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: إن الله ﷻ أنزل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، أنزلها الله في لطائف من اليهود، وكانت إحداهما قد فُهِتْ الأخرى في الجاهلية، حتى ارتضوا، أو اصطَلَحُوا. على أن كل قبيل قُتِلَ العزيرة من الذليلة فدبته حمسون وسقاً، وكل قبيل قُتِلَ الذليلة من العزيرة فدبته مائة وسق. فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ المدينة فذلت الطائفتان كلتاها لمقدم رسول الله ﷺ ويومئذ لم يظهر ولم يوطئها عليه وهو في الصلح.

فقتلت الذليلة من العزيرة قبلاً، فأرسلت العزيرة إلى الذليلة أن: «يخوإنا بمائة وسق»، فقالت الذليلة: «هل كان هذا في حين فقت، دينهما واحد، ونسبهما واحد، وبلدنا واحد، دية بعضهم نصف دية بعض. إنا إنما أعطيناكم هذا شيئاً منكم لنا وفرقاً منكم، فأما إذا قدم محمد فلا نعطيك ذلك، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم، ثم ذكرت العزيرة فقالت: والله ما محمد يعطيك منكم ما يعطيه منكم، ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا شيئاً منا وقهراً لهم، فدشوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه، إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه، وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه.

فدشوا إلى رسول الله ﷺ ناشوا من المنافقين ليخبروا بهم رأي رسول الله ﷺ فلما جاء رسول الله ﷺ أخبر الله ﷻ رسوله بأمرهم كله، وأرادوا، فأمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكُمُ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ثم قال: فيها: والله. نزلت، وإياها عن النبي ﷺ. أحمد. المسند (٢٤٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٢١٢).

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْلِزْهُمْ﴾ الآية. قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني فريضة أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة. فسؤى رسول الله ﷺ بينهم. أبو داود. كتاب الأفضية (١٨) باب (١٠). الحكم بين أهل الذمة. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٣٠٦٢).

(١) أي في «العين» وما بعدها، وهي قراءة لحمة. (٢) أي: فذالة للجنس. (٣) بالناء قراءة ابن عامر.

[٥١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ توالونهم ﴿وَبَشِّرُهُمْ أَوْلِيَاءَهُمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي الْكُفْرِ﴾ وَمَنْ يَقُولُكُمْ يَنْكُرُ فَإِنَّهُمْ مِنْ جَمَلَتِهِمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بوالائهم الكفار [٥٢] ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزٌ﴾ ضعف اعتقاد؛ كعبد الله بن أبي المنافق ﴿يَسْتَرْغِبُونَ فِيهِمْ﴾ في موالائهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معتذرين عنها: ﴿نَحْنُ خَشِيَ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ يدور بها الدهر علينا؛ من جذب أو غلبه، ولا يتم أمر محمد؛ فلا يبرونا، قال - تعالى -: ﴿فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لنبهه بإظهار دينه ﴿أَوْ أَمْرٌ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ بهتك ستر المنافقين واقتضاهم ﴿فَيَصِيبُوا عَلَى مَا آسَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الشك وموالاة الكفار ﴿تَذِيرٌ﴾.

[٥٣] ﴿وَيَقُولُ﴾ بالرفع استئنافاً - بواو ودونها(١)، وبالنصب(٢) عطفًا على ﴿يَأْتِي﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لبعضهم إذا هنك سترهم تعجبًا: ﴿أَمْوَالَهُمُ الَّذِينَ آفَسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ آيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ في الدين قال - تعالى -: ﴿حِطَّتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَلُهُمُ﴾ الصالحة(٣) ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿خَيْرِينَ﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب.

[٥٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ﴾ بالفتح والإدغام(٤)، يرجع ﴿مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ إلى الكفار، إخبار بما علم الله وقوعه، وقد ارتد جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِدَلِيلٍ﴾ يَقْوِي جِهَتَهُ وَيُجَيِّدُهُ، قال ﷺ: ﴿هُم قَوْمٌ هَذَا﴾، وأشار إلى أبي موسى الأشعري(٥) [رواه الحاكم في صحيحه] ﴿أَذَلَّةٌ﴾ عاطفين ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ﴾ أشداء ﴿عَلَى الْكُفَرِينَ يُجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ تَوَمَّةَ لَا يَمُرُّ﴾ فيه؛ كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿وَالَّذِي فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله. [٥٥] وَنَزَلَ - لما قال ابن سلام: يا رسول الله، إن قومنا هجرونا -: ﴿إِنَّمَا وَكَّلْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ خاشعون، أو يصلون صلاة التطوع.

[٥٦] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْقَائِلُونَ﴾ لنصره إياهم؛ أوقعه موقع: ﴿فإنهم﴾ بياناً لأنهم من حربه؛ أي: أتباعه.

[٥٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُزُؤًا﴾ مهزوءاً به

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَيَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزٌ يَسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشُ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيَصْبِحُوا عَلَى مَا آسَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَذِيرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُؤَلَاءِ الَّذِينَ آفَسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ آيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَيْرِينَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكُفَرِينَ يُجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ إِنَّمَا وَكَّلْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْقَائِلُونَ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافَرِ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كَثْرَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿وَلَعِبًا مِنْ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافَرِ﴾ المشركين؛ بالجر والنصب(٨) ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ وَتَقُوا اللَّهَ بترك موالائهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم.

- وأخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، وكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة أدى مائة وسق من تمر، فلما بعث النبي ﷺ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة، فقالوا: ادفعوا إلينا نقتله، فقالوا: بيننا وبينكم النبي ﷺ، فأقره، فنزلت: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تَأْتِيهِمْ بِالْقِسْطِ﴾ النفس بالنفس، ثم نزلت: ﴿أَفَحُكُّمَ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ يَتُوءُونَ﴾. النسائي - كتاب القسامة (٤٥) باب (٩، ٨).

(١) بدلونها قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٢) أي: مع إثبات الواو قراءة أبي عمرو.

(٣) أي: بحسب الظاهر.

(٤) بالفتح؛ أي: ﴿يَسْرِعُونَ﴾، وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٥) أخرجه ابن سعد وابن أبي شبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عياض الأشعري، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٦٨/٧) [الدر المنثور (١٨٨/٢)].

(٦) قال ابن جرير: يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجلود والتدبير. وقال مثله ابن كثير.

(٧) أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نحوه [الدر المنثور (٥٢٠/٢)] وهو موضوع كما ذكر صاحب الاستيعاب (٦٧/٢).

(٨) بالجر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

على «أَنْ آمَنَّا» المعنى: ما تذكرون إلا إيماننا، ومخالفتمكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه، وليس هذا مما ينكر<sup>(١)</sup>.

[٦٠] «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ» أخبركم «بِشَيْءٍ مِّنْ أَهْلِ «ذَلِكَ» الذي تنقمونه «مُتَوَّبةً» ثواباً بمعنى جزاء<sup>(٢)</sup> «عِنْدَ اللَّهِ» هو «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ» أبعدته عن رحمته «وَعَصَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ» والخنازير «بِالْمَسْخِ» «وَمِنَ «عَبْدِ الطُّغُوتِ» الشيطان بطاعته، وروعي في «مِنْهُمْ» معنى «مِنَ»، وفيما قبله: لفظها؛ وهم: اليهود، وفي قراءة<sup>(٣)</sup> بضم باء «عَبْدُ» وإضافته إلى ما بعد اسم جمع لـ «عَبْدُ»، ونصبه بالعطف على «الفردة» «أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا» تمييز؛ لأن ماوأهم النار «وَأَصْلُ عَنْ سِوَاهِ السَّبِيلِ» طريق الحق، وأصل السواء الوسط، وذكر «شَرٌّ» «وَأَصْلُ» في مقابلة قولهم: لا نعلم ديناً شراً من دينكم.

[٦١] «وَإِذَا جَاءَكُمْ» أي: منافقو اليهود «قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا» إليكم متلبسين «بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا» من عندكم متلبسين «بِالْهُدَى» ولم يؤمنوا «وَاللَّهُ أَتَعْلَمُ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ» من النفاق.

[٦٢] «وَرَرَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ» أي: اليهود «يُسْرِعُونَ» يقعون سريعاً «فِي الْآثَرِ» الكذب «وَالْعُدُولِ» الظلم «وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ» الحرام؛ كالرش «لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» من عملهم هذا [٦٣] «لَوْلَا» هلا «يَهْتَمُّ» الرِّيَاسَةُ وَالْأَخْبَارُ منهم «عَنْ قَوْلِهِ الْإِثْمُ» الكذب «وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» من ترك نهيهم.

[٦٤] «وَقَالَتِ الْيَهُودُ» لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس ملاً: «يَدَّ أَوَّ مَعُولَةٍ» مقبوضة عن إردار الرزق علينا؛ كنؤا به عن البخل - تعالى الله عن ذلك - قال - تعالى -: «غُلَّتْ» أمسكت «الْأَيْدِي» عن فعل الخيرات دعاء عليهم «وَلَوْ بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» مبالغة في الوصف بالجلود، وثق اليد؛ لإفادة الكثرة<sup>(٤)</sup>؛ إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي يديه «يُفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه «وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمَا مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» من القرآن «طُغَيْنَا وَكُفَرْنَا» لكفرهم به «وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدُوهَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ» فكل فرقة منهم تخالف الأخرى «كَلَّمَ أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ» أي: لحرب النبي ﷺ «أَطْفَأَهَا اللَّهُ» أي: كلما أرادوه ردُّهم «وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا» أي: مفسدين بالمعاصي «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» بمعنى: أنه يعاقبهم<sup>(٥)</sup>.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هَاهُنَا وَإِلَيْكَ يَا نَهْمُ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِمَّا آتَاكُمْ اللَّهُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْتَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَّبةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سِوَاهِ السَّبِيلِ وَإِذْ لَجَأُوا بِكَ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَرَرَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْآثَرِ وَالْعُدُولِ وَلَا يَهْتَمُّ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا يَهْتَمُّهُمْ الرِّيَاسَةُ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمُ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدَّ أَوَّ مَعُولَةٍ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغَيْنَا وَكُفَرْنَا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدُوهَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كَلَّمَ أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

[٥٨] «وَمِنَ الَّذِينَ» أي: الذين «إِذَا نَادَيْتُمْ» دعوتهم «إِلَى الصَّلَاةِ» بالأذان «اتَّخَذُوا» أي: الصلاة «هَاهُنَا وَإِلَيْكَ» بأن يستهزئوا بها ويتضحكوا «ذَلِكَ» الاتخاذ «يَأْتُهُمْ» أي: بسبب أنهم «قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ».

[٥٩] «وَنَزَلَ» لما قال اليهود للنبي ﷺ: «مَنْ يَأْتِي مِنَ الرِّسْلِ» فقال: «يَا اللَّهُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْتَا» الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم: «قُلْ يَأْتِي هَلْ تَقِيمُونَ» تنكرون «وَمِمَّا آتَاكُمْ اللَّهُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْتَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ» إلى الأنبياء «وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ» عطف

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٧٤/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص ٦١٥)، وأخرج نحوه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس وفيه: «فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤس بعيسى» [الدر المنثور (٥٢٢/٢)]، وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢/٢١٢).

(٢) فالاستثناء منقطع.

(٣) أي: بالقلب، وهو تهكم بهم.

(٤) لجمرة.

(٥) وله - سبحانه - يدان حقيقة، ومذهب السلف بالإجماع إثبات الصفات لله على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل.

(٦) وهذا تأويل بلازم للصفة وهو خلاف مذهب السلف، وسبق بيان إثبات هذه الصفة ونحوها لله على الوجه اللائق به - سبحانه - «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وهو السميع البصير [الشورى: ١١].

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الكفر ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَآكُنْتُمْ جَنَّةٍ مِّنَ النَّعِيمِ﴾.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ بالعمل بما فيها؛ ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتب ﴿مِّنْ رَبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ تعمل به؛ وهم: من آمن بالنبي ﷺ؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ﴾ بس ﴿مَا﴾ شيئاً ﴿يَعْمَلُونَ﴾ به.

[٦٧] ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَنُ﴾ جميع ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ولا تكتم شيئاً منه؛ خوفاً أن تنال بمكره ﴿وَأَنْ لَّكَ تَقَعْلٌ﴾ أي: لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ بالإنفراد والجمع<sup>(١)</sup>، لأن كتمان بعضها كتمان كلها ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ الْكَائِبِ﴾ أن يقتلوك، وكان ﷺ يحرس حتى نزلت، فقال: «انصرفوا فقد غصمتي الله»<sup>(٢)</sup> [رواه الحاكم] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٨] ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الدين معتد به ﴿حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> بأن تعملوا بما فيه؛ ومنه الإيمان بي ﴿وَلِيَزِيدَنَّ كَيْدًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من القرآن ﴿تَلَفَتْنَا وَكُفَرُوا﴾ لكفرهم به ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إن لم يؤمنوا بك؛ أي: لا تهتم بهم.

[٦٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود، مبتدأ ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾<sup>(٤)</sup> فرقة منهم ﴿وَالصَّادِقُونَ﴾ ويبدل من المبتدأ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، خبر المبتدأ<sup>(٥)</sup>، ودال على خبر إن.

[٧٠] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسله ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾ كلما جاءهم رسولٌ ﴿مِنْهُمْ﴾ بما لا تهوون أنفسهم من الحق كذبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ كزكريا، والتعبير به<sup>(٦)</sup> دون (قتلوا) حكاية للحال الماضية<sup>(٧)</sup> لفافصلة<sup>(٨)</sup>.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَآكُنْتُمْ جَنَّةٍ مِّنَ النَّعِيمِ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَبْلُغْ جَمِيعَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ الْكَائِبِ أَنْ يَقْتُلُوكَ وَكَانَ ﷺ يَحْرُسُ حَتَّى نَزَلَتْ، فَقَالَ: «انْصَرِفُوا فَقَدْ غَصَمْتَنِي اللَّهُ»<sup>(٢)</sup> [رواه الحاكم] إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيَزِيدَنَّ كَيْدًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّادِقُونَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٠﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ قَالُوا إِنَّا نَهْوَى أَنْفُسَهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧١﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن سفيان قال: ما في القرآن آية أشد علي من ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾. البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (١٩) الرجاء مع الخوف.

قال الحافظ في الفتح: «يعني أن من لم يعمل بما أنزل الله في كتابه فليس على شيء، ومقتضاه أن من أحل ببعض الفرائض فقد أحل بالجميع، ولأجل ذلك أطلق كونها أشد من غيرها...» انتهى (١١٩/٨).

(١) بالجمع قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٢) الحاكم (٣١٣/٢)، ورواه الترمذي في تفسير القرآن، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٤٠)، وروى ابن حبان في صحيحه (١٧٣٩ - موارد) عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها فجعلوها للنبي ﷺ فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجرة. فبينما هو نازل تحت شجرة - وقد علق السيف عليها - إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة، لم دانه من النبي ﷺ وهو نائم فأيقظه، فقال: يا محمد من يمنعك مني الليلة؟ فقال النبي ﷺ: «الله»، فأمر الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَقَعْلُ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ الْكَائِبِ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٤٨٩).

(٣) رُفِعَ عَلَى الْإِبْدَاءِ، وبغيره محذوف، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذي هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابغون كذلك. «القاسمي».

(٤) أي: قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٦٩].

(٥) أي: بالمضارع.

(٦) أي: كأنها حصلت الآن.

(٧) أي: ومراعاة لفافصلة، وهي المحافظة على رعوس الآي.

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ مما قالوا، استفهام توبيخ ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

[٧٥] ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو بمضي مثلهم وليس ياله كما زعموا، وإلا لما مضى ﴿وَأَنْتُمْ صِدِّيقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَأَنَّا يَأْتِيَنَّكَمُ الْمَسِيحُ﴾ كغيرهما من الناس؛ ومن كان كذلك لا يكون إلهاً؛ لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿أَنْظُرْ﴾ متعجباً ﴿كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْ﴾ كيف ﴿يُؤَفَّفُكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان.

[٧٦] ﴿قُلْ أَشْهَدُكُمْ مِنْ دُوبِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم، والاستفهام للإنكار.

[٧٧] ﴿قُلْ يَهْدِ الْكَتَابَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى﴾ ﴿لَا تَمْلُؤُوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ غُلُوا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعه فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ بغلوهم؛ وهم: أسلافهم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن طريق الحق، والسواء في الأصل: الوسط.

وَحَسِبُوا إِلَّا تَكُونُ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي إِسْرَءِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا نَمْلِكُ أَنْ نَنْزِلَ عَلَيْهِ الْطَّعَامُ أَنْظِرْ كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ لِي يُؤَفَّفُكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ يَأْتِلُ الْكَاتِبُ أَنْ تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿وَحَسِبُوا﴾ ظنوا ﴿أَنَّ﴾ لَمْ يَكُنْ ﴿فِتْنَةً﴾ بالرفع <sup>(١)</sup>؛ فَأَنْ مَخْفَفَةٌ، والنصب؛ فهي ناصبة؛ أي: تقع ﴿فِتْنَةً﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق؛ فلم يصبروه ﴿وَصَمُوا﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ ثانياً ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بَدَلٌ مِنَ الضمير <sup>(٢)</sup> ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله <sup>(٣)</sup> ﴿وَقَالَ لَهُمُ﴾ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي إِسْرَءِيلَ يَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴿فَإِنِّي عَبْدٌ وَلِسْتُ يَالَهُ﴾ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ غَيْرُهُ ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه أَنْ يَدْخُلَهَا ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ رَأَيْدَةُ ﴿أَنْصَارٍ﴾ يَمَعُونَهُمْ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ.

[٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أي: أحدها، والآخرون: عيسى وأمه؛ وهم: فرقة من النصارى ﴿وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويؤخذوا ﴿لَيَمَسَّنَّ أَلِيمٌ﴾ كَفَرُوا؛ أي: ثبتوا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ مؤلم؛ وهو: النار.

(١) قراءة أبي عمرو وحمة والكسائي.

(٢) أي: في قوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]، والضمير هو الفاعل.

(٣) في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لَنْتُهَآ أَنْتَهُآ حَقًّا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].



لَهُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ  
 دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
 يَعْتَدُونَ ﴿٨٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ  
 لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ  
 يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ  
 أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ  
 خَالِدُونَ ﴿٩٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ مَا اخْذَوْهُمْ أُولَئِكَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ  
 فَاسِقُونَ ﴿٩١﴾ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً  
 لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَنَجِدَنَّ  
 أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي  
 ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ مِنْهُمْ فَيَقْسِمُونَ بِكَ وَهُمْ  
 لَا يُؤْتُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى  
 الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا  
 مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آفَاكَتُمْ بِأَعْيُنِنَا  
 الشَّاهِدِينَ ﴿٩٣﴾

[٧٨] ﴿لَهُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ بَأْنِ  
 دَعَا عَلَيْهِمْ؛ فَفَسَخُوا قِرْدَةً؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ أَيْلَةٍ ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بَأْنِ  
 دَعَا عَلَيْهِمْ؛ فَفَسَخُوا خَنَازِيرَ؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ الْمَائِدَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْلَعْنُ ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

[٧٩] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أَي: لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿عَنْ﴾  
 مَعَاوِدَةٍ ﴿مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فَعَلُهُمْ هَذَا.

[٨٠] ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾  
 كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مُغْضًا لَكَ ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ مِنْ  
 الْعَمَلِ لِمَعَادِهِمُ الْمَوْجِبَ لَهُمْ ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ مُحَمَّدٌ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾  
 إِلَيْهِ مَا اخْذَوْهُمْ؟ أَي: الْكَافِرُ ﴿أُولَئِكَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾  
 خَارِجُونَ عَنِ الْإِيمَانِ.

[٨٢] ﴿لَنَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾  
 الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ؛ لِنُضَاعَفِ كُفْرَهُمْ وَجَهْلَهُمْ  
 وَانْهَامَكُهُمْ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ ﴿وَلَنَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾  
 الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ؟ أَي: قَرَبِ مَوَدَّتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْهُمْ﴾  
 بِسَبَبِ أَنْ ﴿مِنْهُمْ قَسِيمِينَ﴾ عِلْمَاءُ ﴿وَرُحَبَاءَنَا﴾ غُثَاثًا ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾  
 عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ كَمَا يَسْتَكْبِرُ الْيَهُودُ وَأَهْلُ مَكَّةَ. نَزَلَتْ فِي وَفْدِ  
 النَّجَاشِيِّ الْقَادِمِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِشْيَةِ قَرَأَ ﴿سُورَةُ يَسَ﴾ فَبَكَوْا وَأَسْلَمُوا؛ وَقَالُوا:  
 مَا أَشْبَهَ هَذَا بِمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَى عِيسَى<sup>(١)</sup>.

[٨٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آفَاكَتُمْ بِأَعْيُنِنَا﴾  
 بَنِيكَ وَكُتَابَكَ ﴿فَاكْتُمْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ الْمَقْرِبِينَ بِتَصَدِيقِهِمْ.

(١) أَخْرَجَ نَعْوَةَ عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ [الدر المنثور (٥٣٧/٢)].

والمشهور في كتب السير والتفاسير أنها نزلت في النجاشي وأصحابه، بعدما سمعوا سورة «مرهم» من جعفر بن أبي طالب عليه السلام، لما قدم مع المسلمين في الهجرة الأولى للحبيشة، ففاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، ثم أسلم النجاشي. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٩/١٤)، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٨٠٥/٤)، وأبو نعيم في الحلية (١١٧/١) عن عروة بن الزبير، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٨٠/٢).

قال القاضي كنعان معلقاً على ذلك في قرة العين على تفسير الجلالين ص ١٥٣: «وما بحب التنبيه إليه؛ أن هذه الآيات لا تشمل جميع النصارى كما يتوهم البعض؛ فإن عداوتهم للمسلمين ظاهرة، ووقائع التاريخ في الأندلس والحروب الصليبية، حتى عصرنا، تشهد على ذلك، بل تشير الآيات إلى جماعة موصوفة منهم، سمعوا القرآن؛ ففاضت أعينهم من الدمع لمعرفة الحق، ثم آمنوا؛ ففي هؤلاء نزلت الآيات...» اهـ.

قلت: ويؤكد ذلك ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/٦ رقم ٦١٢١) بسند صحيح عن سلمان قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة صنعت طعناً، فجئت به النبي ﷺ فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: «قلت: هدية، فضرب يده فأكل، وقال لأصحابه: «كلوا». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن النصارى؟ قال: «لا خير فيهم ولا فيمن أحبهم»، فقلت وأنا مثقل: «فأنزل الله ﷻ: ﴿لَنَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ حتى بلغ: ﴿يَقْسِمُونَ بِكَ وَهُمْ لَا يُؤْتُونَ﴾» فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقال: «يا سلمان، إن أصحابك هؤلاء الذين ذكر الله». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٣/٩): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير سلامة العجلي وقد وثقه ابن حبان» وصححه في الاستيعاب (٨٢/٢).

[٨٧] ونزل - لما هم قَوْمٌ من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطيب، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفراش -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنْهُمْ طَبِئَتٌ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا﴾ (١) تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٨٨] ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَّالًا طَيِّبًا﴾ مفعول، والجاء والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مُؤْمُسُكُمْ﴾ (٢).

[٨٩] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ الْكَائِنِ﴾ الكائن في أَيْمَنِكُمْ هو: ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف؛ كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله، ولكن يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ، بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة: ﴿عَاقِدْتُمْ﴾ (٣) ﴿الْأَيْمَنُ﴾ عليه؛ بأن حلفتكم عن قصد ﴿فَكَفَّرْتُمُوهُ﴾ أي: اليمين؛ إذا خنتكم فيه ﴿إِلَّا بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ﴾ لكل مسكين مُدٌّ ﴿وَمِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي: أفضديه وأغلبه؛ لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كَسَوْتُمْهُمُ﴾ بما يسمى كسوة؛ قميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي (٤) ﴿أَوْ تَحْرِيرَ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي: مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حلاً للمطلق على المقيد (٥) ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ واحداً مما ذكر ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ كفارته، وظاهره أنه لا يشترط التتابع؛ وعليه الشافعي ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّرةُ أَيْمَنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحننتم ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن على فعل يؤول إلى إصلاح بين الناس - كما في سورة البقرة - ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما بين لكم ما ذكر ﴿يُؤَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٦) على ذلك (٧).

[٩٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْفَنَاءُ الْمُسْكِرُ﴾ المسكر الذي يخامر العقل ﴿وَالْمُغَيِّرُ﴾ القمار ﴿وَالْأَنصَابُ﴾ الأصنام ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾ قدام الاستقسام ﴿وَبَشٌّ﴾ خبيث مستفذر ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الذي يزينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجس المعبر عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا أَجَنَّتْ تَجَرِّي مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَبِئَتٌ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٩) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَّالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مُؤْمُسُكُمْ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ الْكَائِنِ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَنَ فَكَفَرْتُمُوهُ بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُمُ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرةُ أَيْمَنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْفَنَاءُ الْمُسْكِرُ وَالْمَغَيِّرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١١)

[٨٤] ﴿و﴾ قالوا في جواب من عيَّهم بالإسلام من اليهود: ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ القرآن؛ أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجوب مقتضيه ﴿وَنَطْمَعُ﴾ عطف على: ﴿نُؤْمِنُ﴾ ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين الجنة.

[٨٥] قال تعالى: ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتْ تَجَرِّي مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٧)، (٨٨): أخرج الترمذي عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت إلى النساء وأخذتني شهوتي، فحرمت علي اللحم. فأمر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنْهُمْ طَبِئَتٌ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا﴾ (١) لا تحزنوا لأن الله لا يؤاخذكم باللفظ الكائن. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب

(٦) سورة المائدة (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٤١).

(٧) ما جاء في نزول الآية (٨٩): أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة، فنزلت: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾. ابن ماجه - كتاب الكفارات (١١) باب (١٠)، وسكت عليه الألباني.

فائدة: أخرج البخاري عن عائشة أن أباها كان لا يبحث في بين حتى أنزل الله كفارة اليمين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥).

(١) أخرج نحوه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة وليس فيه ذكر الطيب والقيام، وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي (قال: كانوا حرموا الطيب واللحم فأمر الله هذا فيهم)، وفي البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤٨٧) عن عائشة قصة نحو ذلك بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية، وليس فيها ذكر الطيب (الدر المنثور ٥٤٤/٦).

وأخرج الطبري عن السدي... فحرم بعضهم أكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء... (١٣٤٥).

(٢) لابن ذكوان، وبالتخفيف بدون ألف قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) والجمهور، وهو الزجاج.

(٤) وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا اتحد السبب، وهنا اختلف فلا حمل، ويكفي في اليمين والظهار عنده عتق الكافرة.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ  
فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ  
الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا  
الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا  
الْبَلْعُ الْمُمِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ  
مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ  
بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ  
مِنْكُمْ فَتَعَدَّىٰ فَجْزَاءٌ مِّثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا  
عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا يَبْلُغُ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَرَةً طَعَامَ مَسْكِينٍ  
أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا يَدُوقُ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا  
سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إليه ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿ذُو  
انْتِقَامٍ﴾ ممن عصاه، والحق بقتله متعمدا فيما ذكر الخطأ.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ  
وَالْمَيْسِرِ﴾ إذا أبتموهما؛ لما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾  
بالاشتغال بهما ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ خصصها بالذكر تعظيما لها ﴿فَهَلْ  
أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ عن إيتائهما أي: انتهوا<sup>(٩١)</sup>.

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾ المعاصي ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن  
الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْمُمِينُ﴾ الإبلاغ بين، وجزاؤكم علينا.  
[٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾  
أكلوا من اللحم والميسر قبل التحريم ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ المحرمات ﴿وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ثبوتوا على التقوى والإيمان ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا  
وَأَحْسَنُوا﴾ العمل ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بمعنى: أنه يشيهم<sup>(٩٢)</sup>.

[٩٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ﴾ ليخبركم ﴿اللَّهُ يَفْتَنُ﴾ يرسله لكم ﴿وَمِنَ  
الصَّيْدِ تَنَالَهُ﴾ أي: الصغار منه ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ الكبار منه، وكان ذلك  
بالخديبية وهم مشغرون<sup>(٩٣)</sup>؛ فكانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم ﴿لِيَعْلَمَ  
اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال أي: غائبا لم يره؛ فيجتنب الصيد  
﴿فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ النهي عنه؛ فاصطاده ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ مشغرون بحج أو  
عمرة ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجْزَاءٌ﴾ بالتقوين ورفع ما بعدها؛ أي: فعليه جزاء  
هو: ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ أي: شبهه في الخلقة، وفي قراءة<sup>(٩٤)</sup>؛ بإضافة  
«جزاء»، ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أي: بالثل رجلان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ لهما فطنة يميزان  
بها أشبه الأشياء به، وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي<sup>(٩٥)</sup> في النعامة ببدنة،  
وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحمارة ببقرة، وابن عمر وابن عوف في  
الظبي بشاة، وحكم بها<sup>(٩٤)</sup> ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام؛ لأنه يشبهها في  
الغيب<sup>(٩٥)</sup> ﴿هَذَا﴾ حال من «جزاء» ﴿يَبْلُغُ الْكَعْبَةَ﴾ أي: يبلغ به الحرم؛ فيذبح  
فيه، ويتصدق به على مساكينه، ولا يجوز أن يذبح حيث كان، ونصبه نعلما لما  
قبله. وإن أضيف؛ لأن إضافته لفظية؛ لا تفيد تعريفا؛ فإن لم يكن للصيد مثل  
من النعم كالعصفور والحراد فعليه قيمته ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿كَفَّارَةً﴾ غير الجزاء.  
وإن وجده - هي: ﴿طَعَامَ مَسْكِينٍ﴾ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة  
الجزء لكل مسكين مثله، وفي قراءة<sup>(٩٦)</sup>؛ بإضافة ﴿كَفَّارَةً﴾ لما بعده، وهي  
للبيان ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿عَدْلٌ﴾ مثل ﴿ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ بصومه؛ عن  
كل مذبذبة يوم، وإن وجده وجب ذلك عليه ﴿يَدُوقُ وَبَالَ﴾ ثقل جزاء  
﴿أَمْرِهِ﴾ الذي فعله ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه

(٩٠) ما جاء في نزول الآيتين (٩٠، ٩١). أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه نزلت فيه آيات من القرآن. قال: ... وأبئت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك حمزا - وذلك قبل أن تحرم الخمر. قال: فأتيتهم في حش - والحش: البستان. فإذا رأس جزور مشري عندهم ورق من خمر. قال: فأكلت وشربت معهم. قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار. قال: فأخذ رجل أحد لحى الرأس فضربني به، فجرح بأفني، فأبئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فأمر الله ﷻ في - يعني نفسه - شأن الخمر ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَسْبَاطُ وَالْأَكْثَامُ﴾. مسلم كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) فضل سعد بن أبي وقاص.

وأخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب أنه قال: اللهم يرب لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في البقرة: ﴿يَسْتَلْزِمُكَ غَرَبُ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الآية. فدعي عمر فقرئت عليه، ثم قال: اللهم يرب لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ فدعي عمر فقرئت عليه فقال: انتهينا انتهينا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة. وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: حرمت الخمر ثلاث مرات: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألو رسول الله ﷺ عنهما فأمر الله ﷻ على نبيه: ﴿يَسْتَلْزِمُكَ غَرَبُ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إلى آخر الآية. فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال: ﴿فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، وكانوا يشربون الخمر حتى إذا كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين، أم أصحابه في المغرب خلط في قراءة، فأمر الله ﷻ فيها آية أعظم منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ فدعي عمر فقرئت عليه فقال: انتهينا انتهينا. سبق تحريمه في سورة البقرة عند الآية رقم (٢١٩).

ثم أنزلت آية أعظم من ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَسْبَاطُ وَالْأَكْثَامُ وَرِيشٌ بَيْنَ عَدْلٍ لَّيْسَ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةٌ وَلَا نَفْعٌ﴾ فقالوا: انتهينا. سبق تحريمه في سورة البقرة عند الآية رقم (٢١٩). ما جاء في نزول الآية (٩٣): أخرج البخاري عن أنس<sup>(٩٦)</sup> كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة - وكان خمرهم يومئذ القضيخ - فأمر رسول الله ﷺ مناديا ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت. -

(٩١) وهذا تأويل للصفة بلازمها، ومذهب السلف إثباتها بالإيمان بها على الوجه اللائق به - سبحانه. وسبق ذلك مرازا. (٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان [الدر المنثور (٥٧٦/٢)].

(٩٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. (٩٣) أي بالبدنة. (٩٤) أي: شرب الماء بلا قرض. (٩٥) لنافع وابن عامر.

نمرات كل شيء إليه، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿فِيمَا﴾ بلا ألف؛ مصدر قام غير مُغَلٍّ  
 وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ بمعنى: الأشهر الحرم. ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب.  
 قياماً لهم؛ بأمنهم من القتال فيها ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَ﴾ قياماً لهم؛ بأمن صاحبيهما  
 من التعرض له ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿يَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾  
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَإِنْ جَعَلَهُ ذَلِكَ لِحُبِّ الْمَصَالِحِ لَكُمْ  
 ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن.  
 [٩٨] ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
 لَأَوْلِيَائِهِ﴾ رَجِيمٌ بهم.

[٩٩] ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ تظهرون  
 من العمل ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون منه؛ فيجازيكم به.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ الْحَرَامُ وَالطَّيِّبُ الْحَلَالُ وَلَوْ  
 أَغْبَجَكُمُ أَيُّ شَيْءٍ كَثُرَ الْخَبِيثُ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي تَرْكِهِ﴾ يَتَأُولَى  
 الْأَلْبَسَ لَعَلَّكُمْ تَقْلَحُونَ تفوزون.

[١٠١] ﴿وَنَزَلَ﴾ مَا أَكْرَاهُ سَوَالَهُ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ  
 أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّعَ تَطَهَّرَ لَكُمْ تَسْوُكٌ﴾ لما فيها من المشقة ﴿وَإِنْ سَأَلْتُمْ  
 عَنَّا جِئَ سُبُورُ الْفَرَّءَانِ﴾ في زمن النبي ﷺ ﴿بُدِّعَ لَكُمْ﴾ المعنى: إذا سألتكم  
 عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإدائها، ومتى أبدأها ساءتكم؛ فلا تسألوا عنها؛  
 قد عفا الله عنها عن مسألتكم؛ فلا تعودوا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾  
 فَأَجِيبُوا بَيَانَ أَحْكَامِهَا ثُمَّ أَصْبَحُوا صَارُوا ﴿بِهَا كُفْرِيَةً﴾ بتركهم  
 العمل بها.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ﴾ شرع ﴿اللَّهُ مِنْ بَيْعَرٍ وَلَا سَلَيْسَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا  
 حَرَمٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روى البخاري عن سعيد بن المسيب  
 قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت؛ فلا يحلبها أحد من الناس،  
 والسالية: التي كانوا يسيبونها لأنهم؛ فلا يحمل عليها شيء، والوصيلة:  
 الناقة البكرة تكرر في أول نتاج الإبل بأثنى، ثم تنثني بغد بأثنى، وكانوا  
 يسيبونها لطواغيتهم؛ إن وصلت إحداها بأحرى، ليس بينهما ذكر، والحام:  
 فحل الإبل يضرب الضراب المعداد؛ فإذا قضى ضرابه ودغوه للطواغيت  
 وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وشوهه الحامي ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى  
 اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿وَأَكْذَبَهُمْ لَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك  
 افتراء؛ لأنهم قلدوا فيه آباءهم.

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعَالِكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ  
 وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي  
 إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٨﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ  
 فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا  
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ  
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ  
 غَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿١٠٠﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا  
 تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ  
 وَلَوْ أَغْبَجَكُمُ كَثُرَ الْخَبِيثُ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَسَ  
 لَعَلَّكُمْ تَقْلَحُونَ ﴿١٠٢﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ  
 أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّعَ لَكُمْ تَسْوُكٌ وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَنْهَا جِئَ نَزْلُ  
 الْفَرَّءَانِ بُدِّعَ لَكُمْ تَسْوُكٌ ثُمَّ أَصْبَحُوا كُفْرِيَةً ﴿١٠٣﴾ مَا جَعَلَ  
 اللَّهُ مِنْ بَيْعَرٍ وَلَا سَلَيْسَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا حَرَمٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْذَبَهُمْ لَا يَقُولُونَ ﴿١٠٤﴾

[٩٦] ﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها الناس - خلا لآنتم أو مخرجين - صَيْدُ الْبَحْرِ  
 أَنْ تَأْكُلُوهُ؛ وهو: ما لا يعيش إلا فيه؛ كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البر؛  
 كالسرطان ﴿وَلَطَعَامُهُ﴾ ما يقذفه ميتاً ﴿مَتَّعًا﴾ تمتيعاً ﴿لَكُمْ﴾ تأكلونه  
 ﴿وَلِلسَّيَارَةِ﴾ المسافرين منكم؛ يتزودونه ﴿وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ﴾ وهو: ما  
 يعيش فيه من الوحش المأكول؛ أن تصيدهوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فلو صاده خللاً  
 فللمحرم أكله. كما بينته السنة<sup>(١)</sup> - ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾  
 [٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ الْحَرَمَ ﴿فِيمَا لِلنَّاسِ﴾  
 يقوم به أمر دينهم؛ بالحج إليه، وديناهم؛ بأمن داخله، وعدم التعرض له، وجبي

= قال: قال لي أبو طلحة: أخرج أهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سلك المدينة. فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية. البخاري - كتاب المظالم (٤٦) باب (٢١) صب الحمر في الطريق.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠١): أخرج البخاري عن موسى بن أسن عن أسن ﷺ قال: حطبت رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلاً قط. قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكيتكم كثيراً». قال: فغضب أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين، فقال رجل: من أي؟ قال: «أبوك فلان». فنزلت هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّعَ لَكُمْ تَسْوُكٌ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة باب (١٢).

وأخرج أيضاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل من أي؟ ويقول الرجل تفضل ناقتي: أين ناقتي؟ فأقول الله فيهم هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّعَ لَكُمْ تَسْوُكٌ﴾ حتى فرغ من الآية كلها. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥) باب (١٢).

(١) روى البخاري (٢٣٨٢) ومسلم (٢٠٦٣) واللفظ له عن أبي قتادة السلماني أنه كان مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحاب له محرمين وهو غير محرم فرأى حملاً وحشياً فاستوى على فرسه فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا عليه فسألهم رمحه فأبوا عليه فأخذته ثم شد على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب النبي ﷺ وأبى بعضهم، فأدركوا رسول الله ﷺ فسألوه عن ذلك فقال: «إنما هي طعمعة أطعمكموها الله». (٢) لابن عامر. (٣) أخرج نحوه الطبري عن أسن بن مالك وفيه (سألوه حتى أجفوه بالمسألة...) (١٢٩٧)، وعن قتادة وفيه «حتى أكلوها عليه...» (١٢٨٠)، وأخرج البخاري (٤٢٥٦) عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من أي؟ ويقول الرجل تفضل ناقتي: أين ناقتي؟

[١٠٤] «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ» أي: إلى حكمه من تحليل ما حرمهم ﴿تَعَالَوْا حَسْبُنَا﴾ كافياً ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَنَافِعَ﴾ من الدين والشرعية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ مِنْ أَنْزِلْنَا إِلَيْهِمْ﴾ إلى الحق، والاستفهام للإنكار. [١٠٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: احفظوها، وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: المراد: لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، وقيل: المراد غيرهم؛ لحديث أبي ثعلبة الحاشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «اتَّبِعُوا بِالْغُرُوبِ، وَتَنَاهَا عَنْ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شَيْخًا طَاعًا وَهُوَ مُتَّبَعٌ وَذُنَا مُؤْتَرَةٌ وَغِيَابُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ نَفْسُكَ»<sup>(١)</sup> [رواه الحاكم وغيره] «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فيجازيكم به.

[١٠٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ خبر بمعنى الأمر أي: لشهد، وإضافة ﴿شَهِدُوا﴾ لـ «بين» على الاتساع<sup>(٢)</sup> و﴿بين﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ أو ظرف لـ ﴿حَضَرَ﴾ «أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ» أي: غير ملتكم ﴿إِنْ أَنتُمْ صَرِفْتُمْ﴾ سافرتُمْ «فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا» توقفونهما، صفة «آخَرَانِ» «وَمِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ» أي: صلاة العصر ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾ يحلفان «بِاللَّهِ» إنْ أَتَيْتُمْ شَكِكْتُمْ مَقَامَهُمَا «وَيَقُولَانِ: لَا نَشْتَرِي بِدِينِ اللَّهِ» كَيْتَا عِيْضًا نَأْخُذَ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا بَأْسَ نَحْلِفَ بِهِ أَوْ نَشْهَدَ كَذِبًا لِأَجْلِهِ «وَلَوْ كَانُوا مَقْسُومًا لَوْ أَنَّ الشَّاهِدَ لَهُ» ذَوَا قُرْبَى قَرَاتِهِ مَا «وَلَا تَكُنْ شَهِدَةً لِلَّهِ» التي أمرنا بها «إِنَّا إِذَا» إِنْ كَتَمْنَاهَا «لَيْنَ الْآثِمِينَ».

[١٠٧] «إِنْ غَيْرُكُمْ» أطلع بعد حلفهما «عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَشَقَّ» أي: فعلا ما يوجب، من خيانة أو كذب في الشهادة؛ بأن وَجَدَ عندهما مثلاً ما أَثَمَ به وداعيا أَنَّهُمَا ابتاعا من الميت أو وصى لهما به «فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا» في توجه اليمين عليهما «مَنْ الَّتِي اسْتَشَقَّ عَلَيْكُمُ» الوصية؛ وهم: الورثة، ويبدل من «آخَرَانِ» «الَّذَيْنِ» بالميت؛ أي: الأقربان إليه، وفي قراءة<sup>(٣)</sup> «الَّذَيْنِ» جمع أول؛ صفة أو بدل من «الَّذَيْنِ» ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين؛ ويقولان: «لَشَهِدْنَا» مِمَّنَا «أَنْ» أَصْدَق «مِنْ شَهِدَتَهُمَا» مِمَّنَا «وَمَا اهْتَدَيْنَا» تجاوزنا الحق في اليمين «إِنَّا إِذَا لَيْنَ الظَّالِمِينَ» المعنى: ليشهد المحتضر على وصيته اثنين، أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم؛ إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن ارتاب الورثة فيهما؛ فَادَّعَا أَنَّهُمَا خَانَا بِأُحْدِ شَيْءٍ أو دفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به؛ فيحلفا إلى آخره، فإن أُطِيعَ على أمارة تكذيبهما فَادَّعِيَا دَفْعًا لَهُ؛ حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادَّعاه، والحكم ثابت في الوصيين، منسوخ في الشاهدين<sup>(٤)</sup>، وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة، واعتبار صلاة العصر؛ للتغليظ، وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة؛ لخصوص الواقعة التي نزلت لها؛ وهي: ما رواه البخاري<sup>(٥)</sup> أن رجلاً من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بداء - أي: وهما نصرانيان -

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عَابَةً أَوَّلَوْ كَانُوا أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْمَلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرِفْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكُنْ شَهِدَةً لِلَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ ﴿إِنْ غَيْرُكُمْ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ أَثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَقْلَابُ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَنَّهُمَا قَدْ شَهِدْتَهُمَا وَمَا كُنَّا بِشَهِدَاتِنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا أَوْ يَخْفَا أَنْ تَرُدَّ إِمْنًا بَعْدَ إِتْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا لِلْعَالَمِينَ الْقُلُوبَ الْفَاسِقِينَ﴾

فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جثمتا من فضة مَخُوضًا بالذهب؛ فرعوا إلى النبي ﷺ فنزلت؛ فاحلفهما، ثم وَجَدَ الجام بمكة؛ فقالوا: ابتعنا من تميم وعدي؛ فنزلت الآية الثانية؛ فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا، وفي رواية الترمذي<sup>(١)</sup>؛ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه، وفي رواية؛ فمرض؛ فأوصى إليهما، وأمرهما أن يُبْلِغَا ما ترك أهله، فلما مات أحذا الجثمتين ودَفَعَا إلى أهله ما بقي.

[١٠٨] «ذَلِكَ» الحكم المذكور؛ من ردَّ اليمين على الورثة «أَذَى» أقرب إلى «أَنْ يَأْتُوا» أي: الشهود أو الأوصياء «بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا» الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة «أَوْ» أقرب إلى أن «يَخْفَا أَنْ تَرُدَّ إِمْنًا» بعد إِيْتَمَانِهِمْ على الورثة المدعين؛ فيحلفون على خيانتهم وكذبهم؛ فيفتضحون ويغرمون؛ فلا يكذبوا «وَاتَّقُوا اللَّهَ» بترك الخيانة والكذب «وَأَسْمِعُوا» ما تومرون به سماع قَبُولِ «وَأَنَّ» لَا يَهْدِي الْقُلُوبَ الْفَاسِقِينَ الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير<sup>(٢)</sup>.

(٥) ما جاء في رول الآيات (١٠٦ - ١٠٨): أخرج البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما =

(١) لم أجده عند الحاكم، ورواه الترمذي (٢٩٨٤) وأبو داود (٣٧٧٨) وابن ماجه (٤٠٠٤) وضعفه الألباني لكن بعضه صحيح. صحيح وضعيف الجامع (٢٣٤٤)، ضعيف الترغيب والترهيب (١٨٤٦).

(٢) أي: التسميح والتجاوز، وأضيفت إلى «البين» ولم تنصف إلى «الأموال»؛ لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد البين، والأصل فيه شهادة بينكم؛ أي فرض عليكم أن يشهد الوصية بينكم اثنان؛ فحذف المفعول به، وأضيفت الشهادة إلى الظرف، وهو المسمى عند النحويين بالمفعول على السعة. (٣) محذرة وشعبة. (٤) أي: عند من يشترط في الشهود الإسلام ولو عند فقد المسلمين، وأما من لم يشترط فلا نسخ عنه. (٥) البخاري (٢٧٨٠). (٦) أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) سورة المائدة. [ضعيف الإسناد جليل] [ضعيف سنن الترمذي (٥٨٦)].

لهم توبيخاً لقومهم: ﴿مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿أَجْبَسْتُمْ﴾ به حين دعوتهم إلى التوحيد ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه؛ لشدة هول يوم القيامة؛ وفرغهم، ثم يشهدون على أمهم لما يسكنون.

[١١٠] اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ بشكرها ﴿إِذْ آتَيْنَاكَ﴾ قُوَّتُكَ ﴿يُوحِ الْأَقْدُسُ﴾ جبريل ﴿تَكِيدُ النَّاسَ﴾ حال من الكاف في ﴿آتَيْنَاكَ﴾ ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً ﴿وَكَهَلًا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة؛ لأنه رفع قبل الكهولة. كما سبق في آل عمران .. ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ﴾ كهيئة ﴿كَصُورَةِ﴾ الطير ﴿وَالطَّيْرِ﴾ والكاف؛ اسم بمعنى: مثل، مفعول ﴿يَاذَنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يٰأَذَنِي﴾ بإرادتي ﴿وَتَذَرِي الْأَكْصَمَ وَالْأَبْرَصَ يٰأَذَنِي وَإِذْ تَخْرُجُ الْمَوْتُ يٰأَذَنِي﴾ من قبورهم أحياء ﴿يٰأَذَنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾ حين هَمُّوا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وفي قراءة: ﴿سَاجِرٌ﴾ <sup>(١)</sup> أي: عيسى.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِرِسُولِي﴾ ورسولي عيسى ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ بهما ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

[١١٢] اذكر ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ يفعل ﴿رَبُّكَ﴾ وفي قراءة: بالقوفانية ونصب ما بعده <sup>(٢)</sup>؛ أي: تقدر أن تسأله ﴿أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال لهم عيسى: ﴿أَتَقْوُوا اللَّهَ﴾ في اقتراف الآيات ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٣] ﴿قَالُوا نُؤَيِّدُكَ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿فَلَوْنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَتَعْلَمَ﴾ نرداد علماً ﴿أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُنْ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ <sup>(٣)</sup> ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ آتَيْنَاكَ يَرُوحَ الْأَقْدُسُ تَكِيدُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يٰأَذَنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يٰأَذَنِي وَتَذَرِي الْأَكْصَمَ وَالْأَبْرَصَ يٰأَذَنِي وَإِذْ تَخْرُجُ الْمَوْتُ يٰأَذَنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ <sup>(٤)</sup> وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِرِسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ <sup>(٥)</sup> إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالُوا أَتَقْوُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ <sup>(٦)</sup> قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُنْ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ <sup>(٧)</sup>﴾

[١٠٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو: يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾

= بتركتهم فقدوا جاماً من فضة مخوَّضاً من ذهب، فأحضرهما رسول الله ﷺ ثم وجد الحمام بمكة، فقالوا: اجننا من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الحمام لصاحبهم. قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾. البخاري كتاب الوصايا (٥٥) باب (٣٥).

(١) لحمة والكسائي.

(٢) أي: تستطيع ذلك. وهي قراءة الكسائي.

[١١٤] ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا أَيُّ يَوْمِ نَزَلُهَا ﴿عِيدًا﴾ نَعْظُمُهُ وَنُشْرِفُهُ ﴿لَا كُنَّا﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿لَنَا﴾؛ بِإِعَادَةِ الْجَارِ ﴿وَمَاخِرُنَا﴾ مِنْ يَأْتِي بَعْدَنَا ﴿وَالْيَةِ مِنْكَ﴾ عَلَى قَدَرِنَا وَنَبَوْتِي ﴿وَأَرْزُقْنَا﴾ بِإِيَّاهَا ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

[١١٥] ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ مُسْتَجِيبًا لَهُ: ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا﴾ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ<sup>(١)</sup> ﴿عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ﴾ أَيُّ: بَعْدُ نَزُولِهَا ﴿مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ فَنَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ؛ عَلَيْهَا سَبْعَةُ أَرْغَافَةٍ وَسَبْعَةُ أَحْوَاتٍ، فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى شَبِعُوا<sup>(٢)</sup>. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَفِي حَدِيثٍ: «أَنْزِلَتِ الْمَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْرًا وَلَحْمًا فَأَمَرُوا أَنْ لَا يَحْمِلُوا وَلَا يَدْجِرُوا لَعْدًا فَحَاتُوا وَادَّخَرُوا فَمَسَحُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرًا»<sup>(٣)</sup>.

[١١٦] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِذْ قَالَ ﴿أَيُّ يَقُولُ﴾ اللَّهُ: ﴿لَعِيسَى فِي الْقِيَامَةِ تَوَيْخًا لِقَوْمِهِ: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ مَا أَنتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ﴾ عِيسَى؛ وَقَدْ أَرَعَدُ: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تَنْزِيهَا لَكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ مِنْ شَرِيكَ وَغَيْرِهِ ﴿مَا يَكُونُ﴾ مَا يَنْبَغِي ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ خُبْرٌ ﴿لَيْسَ﴾ وَ﴿لِي﴾ لِلنَّبِيِّينَ ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا﴾ أَخْفِيهِ ﴿فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أَيُّ: مَا تَخْفِيهِ مِنْ مَعْلُومَاتِكَ<sup>(٤)</sup> ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾<sup>(٥)</sup>.

[١١٧] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ وَهُوَ: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رَقِيبًا؛ أَمْعُهُمْ مَا يَقُولُونَ ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قَبَضْتَنِي؛ بِالرَّفْعِ إِلَى السَّمَاءِ ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ﴾ الْحَفِظُ لِأَعْمَالِهِمْ ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مِنْ قَوْلِي لَهُمْ، وَقَوْلُهُمْ بَعْدِي، وَغَيْرَ ذَلِكَ ﴿شَهِيدٌ﴾ مُطْلَعٌ، عَالِمٌ بِهِ.

[١١٨] ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾ أَيُّ: مِنْ أَقَامَ عَلَى الْكُفْرِ مِنْهُمْ ﴿فَإِنَّهُمْ عِيَاذٌ﴾ وَأَنْتَ مَالِكُهُمْ؛ تَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ شِئْتَ، لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْكَ ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أَيُّ: لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَنِيُّ﴾ عَلَى أَمْرِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي صَنْعِهِ.

[١١٩] ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا﴾ أَيُّ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ فِي الدُّنْيَا؛ كَيْسِيُّ ﴿صِدْقُهُمْ﴾ لِأَنَّهُ يَوْمُ الْحِزَاءِ ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿بَطَاعَةً﴾<sup>(٦)</sup> ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِشَوَابِهِ<sup>(٧)</sup> ﴿ذَلِكَ الْقَرُورُ الْمَطْمُوحُ﴾ وَلَا يَنْفَعُ الْكَاذِبِينَ فِي الدُّنْيَا صِدْقُهُمْ فِيهِ؛ كَالْكَفَارِ لِمَا يُؤْمِنُونَ عِنْدَ رُؤْيَا الْعَذَابِ.

[١٢٠] ﴿يَلِلَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خَزَائِنُ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَالرِّزْقِ

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَافِلُونَ ﴿١١٨﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَافِلُونَ ﴿١١٩﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَرُورُ الْعَظِيمُ ﴿١٢٠﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢١﴾

وغيرها ﴿وَمَا فِيْن﴾ أَيْ بِهَا «تغليبًا لغیر العاقل ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب. وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر»<sup>(٨)</sup>.

\*\*\*

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلقى عيسى حجه، ولقاه الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: فلقاه الله: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ الآية كلها. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٠).

(٢) بالتخفيف؛ أي: للزاي، ولازمه سكون النون، قراءة حمزة والكسائي وإن كثير وأبي عمرو.

(٣) ذكره البغوي عن ابن عباس (١١٩/٣)، وأخرج قريظا منه ابن جرير عن إسحاق بن عبد الله [الدر المنثور (٦١٣/٢)].

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩٨٢) وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأباري في كتاب الأضداد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عمار بن ياسر مرفوعًا [الدر المنثور (٦١٢/٢)]، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٥٨٧).

(٥) ومذهب السلف إثبات صفة النفس لله ﷻ على الوجه اللاتق به، وهل هي الذات أم صفة للذات؟ قولان للسلف، والجهميون أنها هي الذات.

(٦) وهذا تأويل بصفة رضاه ﷻ ومذهب السلف إثباتها لله ﷻ على الوجه اللاتق به بلا تأويل أو تعطيل أو تكيف أو تمثيل، وسبق مرارا التنبيه على ذلك.

(٧) هذا تأويل لصفة الرضا ببعض لوازمها من الثواب ونحوه، وسبق مرارا التنبيه على ذلك.

(٨) ومثل هذا الإطلاق الأولي الإمساك عنه، ولم يقل به أحد من السلف.

## سورة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ  
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي  
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ  
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ  
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَنْتُمْ مِنْ  
عَائِدَةٍ إِلَيْهِمْ إِلَّا أَعْوَابُهَا مُعْرَضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ  
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥﴾  
الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْكَفَرِ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ  
مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ  
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا  
آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ  
لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُومٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا أَوَلَا أَنْزَلَ  
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْآمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾

## سورة الأنعام

[مكية<sup>(\*)</sup>] إلا: ﴿وَمَا تَدْرُوْنَ أَنَّ اللَّهَ﴾ الآيات الثلاث، وإلا: ﴿قُلْ تَسَاءَلُوا﴾  
الآيات الثلاث، وهي: مائة وخمس، أو: وست وستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾: وهو: الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد  
الإعلام بذلك للإيمان به أو الشاء به أو هما؟ احتمالات، أفيدنا الثالث، قاله

الشيخ<sup>(١)</sup> في سورة الكهف ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خصهما  
بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿الظُّلُمَاتِ  
وَالنُّورَ﴾ أي: كل ظلمة ونور، وجمعهما<sup>(٢)</sup>؛ دونه؛ لكثرة أسبابها، وهذا من  
دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بِرَبِّهِمْ  
يَعْدِلُونَ﴾ يسوون غيره في العبادة.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾  
لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِنْدَهُ﴾ بعنكم ﴿ثُمَّ  
أَنْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتداء  
خلقكم، ومن قدر على الابتداء فهدى على الإعادة أقدر.

[٣] ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مستحق للعبادة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ  
وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرون وما تجهرن به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تعملون من  
خير وشر.

[٤] ﴿وَمَا أَنْتُمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّ﴾ أي: أهل مكة ﴿مِنْ﴾ صلة ﴿عَائِدَةٍ مِنْ عَائِدَاتِ  
رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَأَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ مَغْنَمٌ﴾.

[٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾  
عواقب ﴿مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

[٦] ﴿الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْكَفَرِ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ مكية؛ بمعنى:  
كثيرة ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ أمم من الأمم الماضية ﴿مَكَّنَّهُمْ﴾  
أعطيناهم مكانًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَوْ لَمْ نُكُنْ﴾ نعط ﴿لَكَ﴾  
فيه، التفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ الْمَطَرَ﴾ عليهم مِدْرَارًا متتابعًا  
﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾  
بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

[٧] ﴿لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مكتوبًا ﴿فِي قُرْطَاسٍ﴾ رق؛ كما اقترحوه  
﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ من «عابونه»؛ لأنه أنقى للشك ﴿لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ثقتنا وعنادنا.

[٨] ﴿وَقَالُوا أَوَلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ﴾ هلا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدق  
﴿لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ﴾ كما اقترحوه؛ فلم يؤمنوا ﴿فَلَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ  
لَا يُنْظَرُونَ﴾ يهلون لتوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم؛ من إهلاكهم  
عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا.

(\*) فائدة: تقسيم الشور إلى مكية ومدنية، وتكون الشورة كلها مكية أو مدنية إما هو الأغلب الأعظم في شور القرآن، ذلك أنه قد وردت آيات مدنية في شور مكية والعكس على وجه القلة، وسبب  
ذلك ما نفرض بأن ترتيب الآيات توقيفي بالإجماع كما تقدم، قال ابن حجر رحمه الله: وقد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدنية في الشور المكية... إلى أن قال: وأما عكس ذلك  
وهو نزول شيء من سورة مكية، تأخر نزول تلك الشورة إلى المدنية فلم أره إلا نادرا.  
والاستثناء المذكور مشهور في تحبب القراء ومثبت في المصاحف، وثبوت وقوعه دلل عليه الأدلة، لكن هل يغفل كل ما يذكر من الاستثناء، أم لا بد من النظر فيه؟  
ذهب المحققون من أهل التفسير إلى أنه لا يصح الاستثناء إلا بتدليل لأنه خلاف الأصل. ولا يجوز القول عن هذا الأصل إلا بتدليل صحيح صريح.  
قال ابن الحصار في نظرية للسور المكية والمدنية:

وذا الذي احتفظ فيه الزوالة له  
وما سوى ذلك مكي صرله  
فليس كل غلاب جاء ففتن  
إلا خلاف له حظ من النظر

وقد تنبغ السوطي رحمه الله ما قبل باستثناءه وذكر الأدلة على ذلك مختصرا في كتابه الإنقاذ.

(١) أي: الحلال المحلي.

(٢) أي: الظلمة.



[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: المنزل لإيهم ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي: على صورته؛ ليمكنوا من رؤيته؛ إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا لَلْبَشَرِئَاتُ﴾ شُبُهَاتُ ﴿عَلَيْهِمْ مَا يَلْبُسُونَ﴾ على أنفسهم؛ بأن يقولوا: ما هذا إلا بشر مثلكم.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ بَرُئِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿يَا لَيْتَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو: العذاب؛ فكذا يحق بمن استهزأ بك.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ الرسل؛ من هلاكهم بالعذاب؛ ليعتبروا.

[١٢] ﴿قُلْ لَيْنَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ إن لم يقولوه؛ لا جواب غيره ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ﴾<sup>(١)</sup> قضى على نفسه ﴿الرَّحْمَةَ﴾ فضلاً منه، وفيه تلميح في دعائهم إلى الإيمان ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ الْيَوْمَ خَيْرُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بتعرضها للعذاب، مبتدأ، خبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَمْ﴾ - تعالى - ﴿مَا سَكَنَ﴾ حل ﴿فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: كل شيء؛ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يفعل.

[١٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَعَزَّ اللَّهُ أَخْذَ وَلِيًّا﴾ أعبدوه ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ يوزق ﴿وَلَا يَطْعَمُ﴾ يوزق ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله من هذه الأمة ﴿وَوُكِّلَ لِي﴾ لا تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ به.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عِبَادَةَ غَيْرِهِ﴾ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ هو: يوم القيامة.

[١٦] ﴿مَنْ يُصِرَّ﴾ بالبناء للمفعول؛ أي: العذاب، وللفاعل<sup>(٢)</sup>؛ أي: الله، والعائد: محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ - تعالى -؛ أي: أراد له الخير<sup>(٣)</sup> ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْأُمِينُ﴾ النجاة الظاهرة.

[١٧] ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء كمرض وقهر ﴿فَلَا كَافٍ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحة وغنى ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلْبَشَرِئَاتُ عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ بَرُئِينَ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا سَكَنَ فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ أَعَزَّ اللَّهُ أَخْذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصِرَّ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْأُمِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْغَايُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

قَدِيرٌ ومنه مَشَكَّ به؛ ولا يقدر على رده عنك غيره.

[١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ الْقَادِرُ﴾ الذي لا يعجزه شيء مستعلاً<sup>(٤)</sup> ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بواطنهم؛ كظواهرهم.

(١) وفيها إثبات صفة الكتابة له - سبحانه - كما سبق التنبيه عليه.

(٢) قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) هذا تأويل للصفة بلازمها، ومذهب السلف إثبات ما أثبت الله لنفسه على ما يليق به سبحانه.

(٤) قال ابن جرير: ﴿الْقَاهِرُ﴾: الدَّلُّ الشَّعْبُ خَلَقَ الْعَالِي عَلَيْهِمْ. وقال ابن كثير: هو الذي خضعت له الجبابرة، وغتت له الوجوه، وفُتَّه كل شيء.

(٥) وهذا تأويل لصفة الفوقية، وهو مذهب المولدة الذين يفنون عن الله علو الذات، وهو - سبحانه - له علو الذات وعلو الشأن وعلو القهر.

الأصنام.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَرُ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ أُذَكِّرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَشَاهِدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ

[٢١] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطْلَعُ وَمَنْ أَقْبَرُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يَفْلُحُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلك. ﴿وَمَنْ﴾ ذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَاعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخا: ﴿إِنْ شِرْكَاكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركاء الله.

[٢٢] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ بالباء والياء <sup>(١)</sup> ﴿فَتَنْتَهُمُ﴾ بالنصب والرفع <sup>(٢)</sup>؛ أي: معذرتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: قولهم ﴿وَاللَّهُ رِيئًا﴾ بالجر: نعم، والنصب <sup>(٣)</sup> نداء <sup>(٤)</sup> ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ <sup>(٥)</sup>.

[٢٣] قال - تعالى -: ﴿أَنْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وَوَصَّلْ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ﴾ ثَمَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿هُ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَرِّكَاءَ﴾.

[٢٤] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أعطية لهم ﴿لَا يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن ﴿وَوَفَّىٰ آذَانَهُمْ وَقَوًّا﴾ صمما؛ فلا يسمعون سماع قبول ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا﴾ أي: لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلوك يقول الذين كفروا إن ﴿مَا هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كالأصاحك والأعاجيب، جمع أسطورة، بالضم.

[٢٥] ﴿وَمِنْهُمْ يَهْتَوُونَ﴾ الناس ﴿عَنْهُ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَتَّبِعُونَ﴾ يتابعون ﴿عَنْهُ﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في أبي طالب كان ينهى عن آذاه ولا يؤمن به <sup>(٦)</sup>.

[٢٦] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يَهْلِكُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ يُفْقَرُونَ﴾ عرضوا ﴿عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَلنَّبِيِّ﴾ للتبعية ﴿لَيْتَنَّا نَرُودُ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَلَكُنَّ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ برفع الفعلين استئنافا، ونصبهما في جواب التمني، ورفع الأول ونصب الثاني <sup>(٧)</sup>، وجواب «لو» لرأيت أمرا عطفيا.

(٥) فائدة: أخرجه البخاري عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ، قال: ... ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ عَيْبَاتِكُمْ﴾، ﴿وَاللَّهُ رِيئًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقد كتموا في هذه الآية... فقال: ... أما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ عَيْبَاتِكُمْ﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فحتم على أفواههم، فتنتطق أيديهم؛ فندخل عرف أن الله لا يكتم حديثا، وعنده ﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا أَرْسُولَ لَوْ كُنْتُمْ إِيمًا أَكْثَرُ﴾ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ عَيْبَاتِكُمْ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة فصلت (٤١) الترجمة.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي، والكلبي كذاب.

(٢) بآليات قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالنصب قراءة نافع وحمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالنصب قراءة حمزة والكسائي.

(٥) أخرجه نحوه الغرياني وعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وحسه صاحب الاستيعاب بمجموع طرقه (١٣٢/٢)، وأخرجه نحوه أيضا ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن القاسم بن مخيمرة [الدر المنثور (١/٥)].

(٦) بالرفع ثم النصب قراءة ابن عامر، وبالرفع في الفعلين قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

[١٩] وَتَزَلَّ - لما قالوا للنبي ﷺ: اثنا من يشهد لك بالنبوة؛ فإن أهل الكتاب أنكروك <sup>(١)</sup> :: ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ تَمَيِّزٌ مَحْوَلٌ عَنِ الْمُبْتَدَأِ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه؛ لا جواب غيره؛ هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُذَكِّرَكُمْ﴾ أخوفكم يا أهل مكة ﴿بِهِ﴾ وَمَنْ بَلَغَ عَطَفٌ عَلَى ضَمِيرٍ ﴿أَنْذَرَكُمْ﴾؛ أي: بلغه القرآن من الإنس والجن ﴿أَيُّكُمْ لَشَاهِدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ﴾ استفهام إنكاري ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه من

[٢٨] قال - تعالى -: ﴿بَلِّغْ لِلْإِضْرَابِ<sup>(١)</sup> عَنْ إِرَادَةِ الْإِيمَانِ الْمَقْهُومِ مِنَ التَّمْنِي ﴿بَدَأَ﴾ ظَهَرَ ﴿لَهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَفُونَ مِنْ قَبْلِ﴾ يَكْتُمُونَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿وَاللَّهُ رَيْبًا مَا كُنَّا مُتَرَكِّينَ﴾ بِشَهَادَةِ جَوَارِحِهِمْ؛ فَضَمُّوا ذَلِكَ ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إِلَى الدُّنْيَا فَرَضًا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿وَلَيْتُمْ لَكَذِبُونَ﴾ فِي وَعْدِهِمْ بِالْإِيمَانِ.

[٢٩] ﴿وَقَالُوا﴾ أَي: مَنَكرو البعث: ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿هِيَ﴾ أَي: الْحَيَاةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفُّوا﴾ عَرْضُوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا ﴿قَالَ لَهُمْ عَسَىٰ لِسَانُ الْمَلَائِكَةِ تَوْحِيحًا: ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ الْبَعْثُ وَالْحِسَابُ ﴿وَالْحَقُّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴿قَالَ فَوَفُّوا الْعَذَابَ﴾ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿بِهِ فِي الدُّنْيَا﴾.

[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِهِ﴾ أَلَّا ﴿بَالِغٌ﴾ حَقٌّ غَايَةً لِلْكَذِبِ ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾ الْقِيَامَةُ ﴿بَغْتَةً﴾ فَجَاءَتْ ﴿قَالُوا خَسِرْنَا﴾ هِيَ شِدَّةُ النَّالِمِ، وَنَدَاوَاهَا مَجَازٌ؛ أَي: هَذَا أَوَانُكَ فَاحْضِرِي ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا﴾ قَضَرْنَا ﴿فِيهَا﴾ أَي: الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ بِأَنْ تَأْتِيَهُمْ عِنْدَ الْبَعْثِ فِي أَقْبَحِ شَيْءٍ صَوْرَةٍ، وَأَنْتَهُ رَيْحًا؛ فَتَرْكِبُهُمْ ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بِسَ ﴿مَا يَرُودُ﴾ يَحْمِلُونَهُ حَمْلَهُمْ ذَلِكَ.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أَي: الْإِشْغَالُ بِهَا ﴿إِلَّا لُوبٌ وَلَهْوٌ﴾ وَأَمَّا الطَّاعَةُ وَمَا يَبِينُ عَلَيْهَا مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ ﴿وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةُ﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ<sup>(٢)</sup>: ﴿وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةُ﴾ أَي: الْجَنَّةِ ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْفُونَ﴾ الشَّرِكِ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ<sup>(٣)</sup>، ذَلِكَ فِيَوْمُونِ.

[٣٣] ﴿قَدْ﴾ لِلتَّحْقِيقِ<sup>(٤)</sup> ﴿تَعْلَمُ إِنَّهُمْ﴾ أَي: الشَّأْنَ ﴿لَيَحْزَنَنَّ﴾ الَّذِي يَقُولُونَ ﴿لَكَ مِنَ التَّكْذِيبِ﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَكَ فِي السَّرِّ لَعَلَّهُمْ أَنْكَ صَادِقٌ، وَفِي قِرَاءَةٍ بِالْخَفِيفِ<sup>(٥)</sup>؛ أَي: لَا يَنْسِبُونَكَ إِلَى الْكَذِبِ ﴿وَلَكِنَّ أَفْطَالِينَ﴾ وَضَعَهُ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ ﴿بَيَّاتٍ﴾ اللَّهُ الْفَرَانِ ﴿يَجْحَدُونَ﴾ يَكْذِبُونَ.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ بِإِهْلَاكِ قَوْمِهِمْ؛ فَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَأْتِيَكِ النَّصْرُ بِإِهْلَاكِ قَوْمِكَ ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ مَوَاعِيدِهِ<sup>(٦)</sup> ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ﴾ مَا يَسْكُنُ بِهِ قَلْبُكَ.

بَلِّغْ لَهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَفُونَ مِنْ قَبْلِ وَوَرُدُّوا الْعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفُّوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِقَوْلِهِ اللَّهُ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا لَوْ أَنَّا حَسَرْنَا عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرُودُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لُوبٌ وَلَهْوٌ وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْفُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ تَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنَنَّ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرُكَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَامًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَيْنَاهُمْ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿٣٥﴾

[٣٥] ﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرٌ عَظِيمٌ﴾ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْ الْإِسْلَامِ؛ لِحَرَصِكَ عَلَيْهِمْ ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا سَرِيًّا﴾ فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَامًا مَصْعَدًا ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ مِمَّا اقْتَرَحُوا فاعْمَلْ؛ الْمَعْنَى: أَنْكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؛ فَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هِدَايَتَهُمْ ﴿لَجَمَعْنَاهُمْ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ وَلَكِنْ لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ؛ فَلَمْ يُؤْمِنُوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بِذَلِكَ.

(٥) فائدة: دخول «قد» على الفعل المضارع من «علم» جاء في ستة مواضع في القرآن الكريم؛ قال ابن هشام في كتابه «معنى اللبيب عن كتب الأعريب»: «... المعنى الثالث من معاني «قد»: التثليل، وهو ضريان: تثليل وقوع الفعل نحو: «قد يصدق الكذوب»، وتثليل متعلقه نحو قوله تعالى: «قَدْ تَعْلَمُ مَا أَشَدُّ عَلَيْهِ» أَي: مَا أَتَمَّ عَلَيْهِ هُوَ أَقْلُ مَعْلُومَاتِهِ سَبْحَانَهُ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا فِي هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ لِلتَّحْقِيقِ إِه. وَقَدْ أَخَذَ الْجَلَالَانِ؛ الْخَلِي وَالسُّيُوطِيُّ بِقَوْلِ هَذَا الْبَعْضِ: إِنَّهَا لِلتَّحْقِيقِ لَا لِتَثْلِيلِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ عَلَى خِلَافِ الْقَاعِدَةِ.

(١) أَي: الْإِبْطَالِي؛ وَالْمَعْنَى: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالُوا: مِنْ أَنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا لَأَمْسُوا.

(٢) لِابْنِ عَامِرٍ.

(٣) بِأَيٍّ، بَلَاءٍ، قِرَاءَةٍ حَمَزَةٍ وَالْكَسَائِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَشُعْبَةُ.

(٤) لِلنَّافِعِ وَالْكَسَائِيِّ.

(٥) الْمُرَادُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ هُنَا مَا كَتَبَهُ بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَعَدَهُ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ. وَمِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ إثبات صفة الكلام لله ﷻ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ.

بالتشديد والتخفيف<sup>(١)</sup> ﴿٣٦﴾ أَيَّةٌ ﴿٣٦﴾ مَا اقْرَحُوا ﴿٣٦﴾ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾  
أَنْ نَزَّلَهُمْ بَلَاءٌ عَلَيْهِمْ؛ لَوْ جُوبَ هَلَاكُهُمْ إِنْ جَحَدُوا.

[٣٨] ﴿وَمَا وَمَ﴾ زائدة ﴿وَدَاخِرَ﴾ قمشي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلَمَ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿يَجْتَابِعُوهُ إِلَّا أُمَمٌ أَسْأَلُكُمْ﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿مَا فَطَرْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ فلم نكتبه ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيقضي بينهم، ويقصص للجهنم من القرآن، ثم يقول لهم: كونوا تراثاً.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿سُوءٌ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وَبِكُمْ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿مَنْ يَسْأَلُ اللَّهَ﴾ إضلاله ﴿يُضِلَّهُ وَمَنْ يَسْأَلْهُ﴾ هدايته ﴿يَهْدِهِ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَوِيرٍ﴾ دين الإسلام.

[٤٠] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَيْتُمْ السَّاعَةَ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغْيَرُ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها.

[٤١] ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أن يكشف عنكم من الضر ونحوه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كشفه ﴿وَنَسُونَ﴾ تتركون ﴿مَا كُنْتُمْ كُنْتُمْ﴾ معه من الأصنام؛ فلا تدعونه.

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ زَايِدَةٍ﴾ زائدة ﴿فَبَلَكَ﴾ رسلاً فكذبوهم ﴿فَأَخَذْتَهُمُ بِالْأَسْأَةِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرُّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون.

[٤٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿إِذْ جَاءَهُمُ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي: لم يفعلوا ذلك مع قيام المفتضي له ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تزل للإيمان ﴿وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي؛ فأصروا عليها.

[٤٤] ﴿فَلَمَّا دُكِّرُوا﴾ تركوا ﴿مَا دُكِّرُوا﴾ وعظوا وشُفِّعُوا ﴿يَدِ﴾ من البأساء والضراء؛ فلم يعطوا ﴿فَتَحَنَّنَّا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup> ﴿عَلَيْهِمْ أَبَوَّكَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النعم استدراجاً لهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فرح بطير ﴿أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ بغتة ﴿فَجَاءَهُمْ مُّسْتَبِشُونَ﴾ أيسون من كل خير<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فَرًّا إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلَمٍ يَطِيرُ يَجْتَابِعُهُ إِلَّا أُمَمٌ أَسْأَلُكُمْ مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَكُفِّرْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُهْدِهِ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَتَيْتُمْ السَّاعَةَ أَغْيَرُ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَنَسُونَ مَا كُنْتُمْ كُنْتُمْ﴾ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْتَهُمُ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَاهُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿٤٥﴾

[٣٦] ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿وَالْمَوْتَىٰ﴾ أي: الكفار، شبههم به في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُرْجَعُونَ﴾ يردون؛ فيجازيهم بأعمالهم.

[٣٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ﴾

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن عفيّة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ مَا يَحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِزْجَارٌ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَمَّا دُكِّرُوا مَا دُكِّرُوا بِرَبِّهِمْ فَتَحَنَّنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾. مسند أحمد (١٤٥/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١).

(١) بالتخفيف، ولازمه سكون النون، قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالتشديد قراءة ابن عامر.

[٤٥] ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: آخرهم؛ بأن استؤصلوا ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين.

[٤٦] ﴿قُلْ لِأَهْلِ مَكَّةَ: ﴿أَرَيْتُمْ﴾ أَحِبْرُونِي ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمَكَكُمْ﴾ أَصْصَكُمْ ﴿وَأَنْصَرَكُمْ﴾ أَعْمَاكُمْ ﴿وَسَمَّ﴾ طَبَعٌ ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فَلَا تَعْرِفُونَ شَيْئًا ﴿مَنْ إِلَهُ عِندَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ بَمَا أَخَذَهُ مِنْكُمْ، بَزَعَكُمْ ﴿اتَّقُوا شَيْئًا﴾ كَيْفَ تَعْرِفُونَ ﴿يُنَبِّئُ﴾ الْآلِيْنَ ﴿الدَّلَالَاتِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِنَا﴾ ثُمَّ هُمْ يَصْدِقُونَ ﴿يَعْرِضُونَ عَنْهَا﴾ فَلَا يُؤْمِنُونَ.

[٤٧] ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَعْتُمْ أَوْ جَهَنَّمَ﴾  
 لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴿هَذَا يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرون؛ أي: ما يهلك إلا  
 هم.

[٤٨] ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٤٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُكُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾  
يخرجون عن الطاعة.

[٥٠] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿كَذَٰلِكَ أَقُولُ لَكُمْ﴾ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ الَّذِي مِنْهَا يُدْفَقُ ﴿وَلَا يَكُنْ﴾ إِنِّي ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ مَا غَاب عَنِّي وَلَمْ يُوْحِ إِلَيَّ﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي ﴿مَلَكٌ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَنْتُمْ﴾ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ ﴿الْكَافِرُ﴾ وَالْبَصِيرُ ﴿الْمُؤْمِنُ﴾؟ لَا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي ذَلِكَ قَوْمُونَ.

[٥١] وَأَنْذِرْ خَوْفٌ يَدُكَ أَي: الْقُرْآنَ الَّذِي يَخَافُونَ أَنْ يُحْسَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ أَي: غَيْرُهُ وَوَيْلٌ يَنْصَرُهُمْ وَلَا شَيْعٌ يَشْفَعُ لَهُمْ وَجِلَّةُ النَّفْيِ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «يُحْسَرُونَ» وَهِيَ مَحَلُّ الْخَوْفِ، وَالْمُرَادُ بِهِمُ: الْمُؤْمِنُونَ الْعَاصُونَ «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» اللَّهُ، بِإِقْلَاعِهِمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَعَمَلِ الطَّاعَاتِ.

[٥٢] ﴿وَلَا تَقْرُؤْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوِ وَالْشَيْءِ يُرِيدُونَ ﴿٥٣﴾ بَعَادَتَهُمْ ﴿٥٤﴾﴾ - تعالى . لا شيئاً من أعراض الدنيا؛ وهم: الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردوهم؛ ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك؛

فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾  
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ  
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَضْرِبُ الْآيَاتِ  
ثُمَّ هُمْ يَصْدُرُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ  
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا  
تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ  
فَلَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
يَسْهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ  
عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ  
إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا وَحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ  
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْ يُخْشَوْا إِلَى  
رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ  
﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْظُرُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ  
وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمِمَّا مِنْ حِسَابِكَ  
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَظُنُّهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٣﴾

طعنا في إسلامهم<sup>(١)</sup> ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ إن كان باطنهم غير مريض ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن فعلت ذلك.

(١) أخرج نحو ذلك مسلم (٢٤١٣) عن سعد بن أبي وقاص.

اللَّهُ يَأْتِلَهُمُ بِاللَّيْلِ إِنَّهُمْ لَهُ؛ فَيَهْدِيهِمْ؟ بلى.

[٥٤] ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ كتب: قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إِنَّهُ﴾ أي: الشأن، وفي قراءة: بالفتح<sup>(١)</sup>، بدل من ﴿الرَّحْمَةَ﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ سَوْئًا يُجْزَئْهُ سَوَاءٌ﴾ من حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَوَاتَهُ﴾ أي: الله ﴿عَفْوُهُ﴾ له ﴿رَجِيمٌ﴾ به، وفي قراءة: بالفتح<sup>(٢)</sup>؛ أي: فالغفرة له.

[٥٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿فَمُضِلٌّ﴾ بين ﴿الْأَيْتِ﴾ القرآن؛ ليظهر الحق، فيفعل به ﴿وَلَسْتَ تَبِينُ﴾ تظهر ﴿سَبِيلَ﴾ طريق ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ فتجنتب، وفي قراءة: بالتحانية<sup>(٣)</sup>، وفي أخرى: بالفوقانية ونصب ﴿سَبِيلَ﴾<sup>(٤)</sup>؛ خطاب للنبي ﷺ.

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيَهُمْ أَهْوَاءُكُمْ﴾ في عبادتها ﴿فَدَّ صَلَكْتُ إِذَا﴾ إن اتبعنها ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّي وَ﴾ قد ﴿كَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ بري؛ حيث أشركتم ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إِلَّا بِمَا يَقُضِي﴾ القضاء ﴿الْحَقُّ وَهُوَ سَرِيرٌ الْفَصِيلِينَ﴾ الحاكمين، وفي قراءة: ﴿يَقُضُ﴾<sup>(٥)</sup> أي: يقول.

[٥٨] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ﴾ لقضى الأمر بيني وبينكم ﴿بِأَن أَعْجِبَهُمْ لَكُمْ؛ وَأُسْتَرِجِعْ﴾ ولكنه عند الله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ متى يعاقبهم<sup>(٦)</sup>.

[٥٩] ﴿وَعِنْدَهُ﴾ تعالى - ﴿مَقَاتِلُ الْغَيْبِ﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وهي: الخمسة التي في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية<sup>(٧)</sup>، كما رواه البخاري<sup>(٨)</sup> ﴿وَيَتَذَكَّرُ﴾ في ذلك ﴿وَرَفَقَةً﴾ لا يسلطها ولا حصة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس ﴿عَطْفٌ عَلَى﴾ ورقة ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ، والاستثناء: بدل اشتمالي<sup>(٩)</sup> من الاستثناء قبله.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ نُمِضُ الْآيَاتِ وَلِنَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيَهُمْ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ صُلَّكْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾

[٥٣] ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: الشريف بالوضيع، والغني بالفقير؛ بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي: الشرفاء والأغنياء؛ منكبين: الفقراء ﴿مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ بالهداية؛ أي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه، قال - تعالى -: ﴿أَلَيْسَ

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٥١ - ٥٨): أخرج مسلم عن سعد قال: كنا عند النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: أصد هؤلاء لا يجتزون علينا. قال: ركت أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرُؤْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالْقِسِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ﴾. مسلم - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) في فضائل سعد بن أبي وقاص.

وأخرج ابن ماجه عن خباب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُؤْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالْقِسِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿تَكُونُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين. فلما رأوهم حول النبي ﷺ حرقوهم. فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن نجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا؛ فإن وفود العرب تأتيك فستضي أن ترانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت.

قال: «نعم». فسألو: فما كتب لسا عليك كتاباً. قال: فدعا بصحيفة، ودعا علياً ليكتب، وحين فرغوا في ناحية، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَقْرُؤْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالْقِسِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَكَفَرُوا وَكُفِّرُوا كَثُورًا﴾ فثبثوا من الظالمين. ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، ثم قال: فدنا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا. ابن ماجه - كتاب الزهد (٢٧) باب (٧) مجالسة الفقراء (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٢٩). وستأتي بقبته عند الآية (٢٨) من سورة الكهف.

وأخرج أحمد عن ابن مسعود قال: مر اللأثم بن قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: أرضيت بهؤلاء؟ فنزل فيهم القرآن: ﴿وَأَنْزِلْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْكُنُوزَ﴾.

(١) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿إِنَّهُمْ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين.

(٢) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿إِنَّهُمْ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين. (٣) حمزة والكسائي وشعبة. (٤) نافع. (٥) والقراءة المغسرة لحمزة والكسائي وأبي عمرو وابن عامر. (٦) لقمان: ٣٤. (٧) البخاري (١٠٣٩) عن عبد الله بن عمر مرفوعاً. (٨) وذلك أن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح، وكما أفاده المفسر، وأما إن أريد بالكتاب علم الله كان بدل كل من كل لزيادة التأكيد والإيضاح.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْغَايُ الْقَاهِرُ فَوَقُّوا عِبَادَتَهُ وَرَبِّسِلْ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴿٦١﴾ وَتَوَفَّاهُ ﴿٦٢﴾ وَرُسُلُنَا ﴿٦٣﴾ الْمَلَائِكَةُ تَحْصِي أَعْمَالَكُمْ ﴿٦٤﴾ حَقٌّ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ ﴿٦٥﴾ وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿تَوَفَّاهُ﴾ (١) ﴿رُسُلُنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمْ لَا يُفْطِنُونَ﴾ يقصرون فيما يؤمرون به. ﴿ثُمَّ رُدُّوهُ﴾ أي: الخلق ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ﴾ مالكهم ﴿الْحَقِّ﴾ الثابت العدل؛ ليجازيهم ﴿أَلَا لَهُ الْخُتُمُ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسِيِّينَ﴾ بحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهارٍ من أيام الدنيا؛ لخديث (٢) بذلك. ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَنْ يُنَبِّئُكُمْ مِنْ ظَلَمَاتِ الْوَيْلِ وَالْآخِرِ﴾ أهوالهما في أسفاركم حين ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾ علانية ﴿وَحَقِيقَةً﴾ سرًا؛ تقولون: ﴿لَيْنَ﴾ لام قسم ﴿أَيُّمِنَّا﴾ وفي قراءة: ﴿أَيُّمِنَّا﴾ (٣) أي: الله ﴿وَمَنْ هَذِهِ﴾ الظلمات والشدائد ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ المؤمنين. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٤) ﴿فِتْنًا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ عَمَّ سواها ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُفْتَنُونَ﴾ به. ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ من السماء؛ كالجارية والصيحة ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ كالخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ يُخْلِطُكُمْ ﴿شَيْعًا﴾ فرقًا مختلفة الأهواء ﴿وَيُؤَيِّنُكُمْ﴾ بِأَسْ بَعْضُكُم بِأَسْ بَعْضٍ ﴿بِالْقِتَالِ﴾ قال ﷺ لما نزلت: ﴿هَذَا أَهْوَىٰ وَأَيْسَرُ﴾، ولما نزل ما قبله: ﴿أَعُوذُ بِوَجْهِكَ﴾ [رواه البخاري] (٥)، وروى مسلم حديث: «سَأَلْتُ رَبِّي أَلَا يَجْعَلُ بَأْسَ أُمَّتِي بَيْنَهُمْ؛ فَمَنْتَقِيهَا» (٦)، وفي حديث: «لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ: أَمَّا إِنَّهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأْتِ ثَابِلُهَا بَعْدُ» (٧) ﴿أَنْظَرُ كَيْفَ تَصْرَفُ﴾ نبين لهم ﴿أَلَايَتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْفَهُونَ﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل. ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿قَوْمَكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الصدق ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَنْتُمْ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فأجازيكم، إنما أنا مُنْذِرٌ، وأمركم إلى الله. وهذا قبل الأمر بالقتال .. ﴿لِكُلِّ نَبَلٍ﴾ خبر ﴿تُسْتَفَرَّقُ﴾ وقت يقع فيه ويستفرق، ومنه عذابكم ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد لهم.

[٦٨] ﴿وَإِنَّا رَأَيْنَا الَّذِينَ يَحْضُرُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن؛ بالاستهزاء ﴿فَاعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ ولا نجالسهم ﴿حَقٌّ يَحْضُرُونَ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ وَمَا فِيهِ (إِنْ) الشرطية في (مَا) المزيدة ﴿يُنَبِّئُكَ﴾ بسكون النون والتخفيف، وفتحها والتشديد (٨) ﴿الْشَّيْطَانُ﴾ ففعدت معهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ﴾ أي: تذكرة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمَر.

(١) سبق الرد على ما ذهب إليه المفسر من تأويل هذه الصفة وبيان مذهب السلف فيها.

(٢) لحزمة.

(٣) سبق بيان أن هذا سبق قلم من السيوطي رحمه الله، وأن الحساب يقع في قدر نصف نهار مقداره خمسون ألف سنة وليس أيام الدنيا. راجع تفسير اية (٢٠٢) من سورة البقرة.

(٤) لانافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٦) البخاري (٤٦٢٨) عن جابر بن عبد الله مرفوعا.

(٧) مسلم (٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا.

(٨) رواه الترمذي (٢٩٩٢) وأحمد (١٣٨٧) ونعيم بن حماد في الفتن وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا [إندر المنثور (٣٢/٣)] وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٥٩٢).

(٩) بفتحها قراءة ابن عامر.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧٠﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ إِنَّ بُسُلَ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعِدْ كُلَّ عَدْلٍ لَأُؤْخَذَ مِنْهَا أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ أَنْ تَقَابِلَ بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ وَأَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَظِرْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِلْمُسْلِمِينَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُنْ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٤﴾

[٦٩] وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف؛ فنزل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (١) الله ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أي: الخاضعين ﴿مِنْ زَائِدَةٍ﴾ أي: شيء. إذا جالسوهم ﴿وَلَكِنْ﴾

عليهم ﴿ذِكْرِي﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض. [٧٠] ﴿وَذَرِ﴾ اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائهم به ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فلا تتعرض لهم - وهذا قبل الأمر بالقتال - ﴿وَذَكِّرْ﴾ عظم ﴿بِهِ﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تُبْسِلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وَإِنْ تَعِدْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ تقدي كل فداء ﴿لَأُؤْخَذَ مِنْهَا﴾ ما تقدي به ﴿أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٧١] ﴿قُلْ أَدْعُوا﴾ أنعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركها؛ وهو: الأصنام ﴿وَرُدُّهُ عَلَى أَغْلِقَاتِنَا﴾ رجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ﴾ إلى الإسلام ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾ أضلته ﴿الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾ متحيرا؛ لا يدري أين يذهب، حال من: الهاء (٢) ﴿لَهُ﴾ أصحاب ﴿رُفَقَةٌ﴾ يدعونهم إلى الهدى؛ أي: ليهدهو الطريق؛ يقولون له: ﴿انْتَظِرْ﴾ فلا يجيبهم؛ فيهلك، والاستفهام (٣): للإنكار، وجملة التشبيه: حال من ضمير ﴿تُرَدُّ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ﴾ الهدى وما عداه ضلال ﴿وَأَمْرًا لِلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: بأن نسلم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٧٢] ﴿وَأَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ﴾ - تعالى - ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة؛ للحساب.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: مُحَقًّا. ﴿وَذَكَرَ﴾ أي: يوم يقول للشيء: ﴿كُنْ فَيَكُنْ﴾ هو: يوم القيامة؛ يقول للخلق: قوموا؛ فيقوموا. ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ الصديق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن؛ النفخة الثانية من إسرائيل، لا مُلْك فيه لغيره ﴿لِيَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٤) ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بباطن الأشياء كظواهرها.

(١) ذكر البغوي عن ابن عباس نحوه (١٥٥/٣).

(٢) أي: الضمير في: ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾.

(٣) في قوله: ﴿انْتَظِرْ﴾.

(٤) غافر: ١٦.



[٧٤] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرْ ۖ هُوَ لَقِيَهُ وَاسْمُهُ تَارِحٌ﴾ (١) ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ تَعْبُدُهَا ۖ اسْتَفْهَامٌ تَوْبِيخٌ ۖ إِنِّي أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَاكَ وَتَوَلَّيْتَ ۖ بَاتَّخَاذَهَا ۖ فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ ۖ مُبِينٌ ۖ يَتَّبِعِ ۖ

[٧٥] ﴿وَكَذَلِكَ ۖ كَمَا أَرَيْنَاهُ إِضْلَالُ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ ۖ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ۖ الْمَلَكُوتِ وَالْأَرْضِ ۖ لِيَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِنَا ۖ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ بها، وجملة ﴿وَكَذَلِكَ ۖ﴾ وما بعدها: اعتراض وعطف على ﴿قَالَ ۖ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَزَّ أَظْلَمُ ۖ عَلَيْهِ أَلِيلٌ رَمًا كَوَّكِبًا ۖ قِيلَ: هُوَ الزُّهْرَةُ ۖ قَالَ ۖ لِقَوْمِهِ ۖ وَكَانُوا نَجَّامِينَ ۖ: ﴿هَذَا رَبِّي ۖ﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ ۖ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ إِلَّا الظَّالِمِينَ ۖ﴾ أن اتخذهم أرباباً؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال (٢)؛ لأنهما من شأن الحوادث؛ فلم ينجع فيهم ذلك.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَمَ الْقَمَرُ بَارِعًا ۖ طَالَعًا ۖ قَالَ لَهُمْ: ﴿هَذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ ۖ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي ۖ يَبْتَغِي عَلَى الْهَدْيِ ۖ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۖ﴾ تعريض لقومها؛ بأنهم على ضلال؛ فلم ينجع (٣) فيهم ذلك.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَمَ الشَّمْسُ بَارِعَةً ۖ قَالَ هَذَا ۖ ذَكَرَهُ؛ لِنَذِيرِهِ خَبْرَهُ (٤) ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۖ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ ۖ وَقَوِيَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ ۖ وَلَمْ يَرْجِعُوا ۖ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۖ بِاللَّهِ ۖ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَجْرَامِ الْمُحَدَّثَةِ الْحَتَّاجَةِ إِلَى مُخَيِّدٍ ۖ

[٧٩] فقالوا له: ما تعبد؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ۖ قَصَدْتُ بَعَادَتِي ۖ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ أَيُّ اللَّهِ ۖ حَقِيقًا ۖ مَائِلًا إِلَى الدِّينِ الْقَيِّمِ ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ﴾ به.

[٨٠] ﴿وَحَاجَّتُمْ قَوْمَهُ ۖ جَادَلُوهُ فِي دِينِهِ، وَهَدَّوهُ بِالْأَصْنَامِ؛ أَنْ تَصْبِيهِ بِسَوْءٍ إِنْ تَرَكَهَا ۖ قَالَ أَتُحَاجُّونِي ۖ بِتَشْدِيدِ النُّونِ، وَتَخْفِيفِهَا؛ بِحَذْفِ إِحْدَى النُّونَيْنِ (٥) ۖ وَهِيَ: نُونُ الرَّفْعِ عِنْدَ النُّوحَةِ، وَنُونُ الْوَقَايَةِ عِنْدَ الْقَرَاءَةِ - أَتُجَادَلُونَنِي فِي ۖ وَحِدَانِيَةِ ۖ اَللَّهِ وَقَدْ هَدَّنَا ۖ - تَعَالَى - إِلَيْهَا ۖ وَلَا أَتَأَنَّفُ مَا تُشْرِكُونَ ۖ هُ ۖ بِاللَّهِ ۖ مِنَ الْأَصْنَامِ؛ أَنْ تَصْبِيهِ بِسَوْءٍ؛ لِعِلْمِ قُدْرَتِهَا عَلَى شَيْءٍ ۖ إِلَّا ۖ لَكِنَّ ۖ أَنَّ يَسَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۖ مِنَ الْمَكْرُوهِ يَصِيبُنِي؛ فَيَكُونُ ۖ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۖ أَيُّ: وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ ۖ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۖ﴾ هذا فتؤمنون؟.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرْ ۖ هُوَ لَقِيَهُ وَاسْمُهُ تَارِحٌ﴾ (١) ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ تَعْبُدُهَا ۖ اسْتَفْهَامٌ تَوْبِيخٌ ۖ إِنِّي أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَاكَ وَتَوَلَّيْتَ ۖ بَاتَّخَاذَهَا ۖ فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ ۖ مُبِينٌ ۖ يَتَّبِعِ ۖ

﴿وَكَذَلِكَ ۖ كَمَا أَرَيْنَاهُ إِضْلَالُ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ ۖ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ۖ الْمَلَكُوتِ وَالْأَرْضِ ۖ لِيَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِنَا ۖ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ (٢) ﴿فَلَمَّا جَزَّ أَظْلَمُ ۖ عَلَيْهِ أَلِيلٌ رَمًا كَوَّكِبًا ۖ قِيلَ: هُوَ الزُّهْرَةُ ۖ قَالَ ۖ لِقَوْمِهِ ۖ وَكَانُوا نَجَّامِينَ ۖ: ﴿هَذَا رَبِّي ۖ﴾ (٣) في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ ۖ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ إِلَّا الظَّالِمِينَ ۖ﴾ (٤) أن اتخذهم أرباباً؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال (٥)؛ لأنهما من شأن الحوادث؛ فلم ينجع فيهم ذلك.

﴿فَلَمَّا رَمَ الْقَمَرُ بَارِعًا ۖ طَالَعًا ۖ قَالَ لَهُمْ: ﴿هَذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ ۖ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي ۖ يَبْتَغِي عَلَى الْهَدْيِ ۖ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۖ﴾ (٦) تعريض لقومها؛ بأنهم على ضلال؛ فلم ينجع (٧) فيهم ذلك.

﴿فَلَمَّا رَمَ الشَّمْسُ بَارِعَةً ۖ قَالَ هَذَا ۖ ذَكَرَهُ؛ لِنَذِيرِهِ خَبْرَهُ (٨) ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۖ﴾ (٩) من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ ۖ وَقَوِيَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ ۖ وَلَمْ يَرْجِعُوا ۖ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۖ بِاللَّهِ ۖ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَجْرَامِ الْمُحَدَّثَةِ الْحَتَّاجَةِ إِلَى مُخَيِّدٍ ۖ

فقالوا له: ما تعبد؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ۖ قَصَدْتُ بَعَادَتِي ۖ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ أَيُّ اللَّهِ ۖ حَقِيقًا ۖ مَائِلًا إِلَى الدِّينِ الْقَيِّمِ ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ﴾ (١٠) به.

﴿وَحَاجَّتُمْ قَوْمَهُ ۖ جَادَلُوهُ فِي دِينِهِ، وَهَدَّوهُ بِالْأَصْنَامِ؛ أَنْ تَصْبِيهِ بِسَوْءٍ إِنْ تَرَكَهَا ۖ قَالَ أَتُحَاجُّونِي ۖ بِتَشْدِيدِ النُّونِ، وَتَخْفِيفِهَا؛ بِحَذْفِ إِحْدَى النُّونَيْنِ (١١) ۖ وَهِيَ: نُونُ الرَّفْعِ عِنْدَ النُّوحَةِ، وَنُونُ الْوَقَايَةِ عِنْدَ الْقَرَاءَةِ - أَتُجَادَلُونَنِي فِي ۖ وَحِدَانِيَةِ ۖ اَللَّهِ وَقَدْ هَدَّنَا ۖ - تَعَالَى - إِلَيْهَا ۖ وَلَا أَتَأَنَّفُ مَا تُشْرِكُونَ ۖ هُ ۖ بِاللَّهِ ۖ مِنَ الْأَصْنَامِ؛ أَنْ تَصْبِيهِ بِسَوْءٍ؛ لِعِلْمِ قُدْرَتِهَا عَلَى شَيْءٍ ۖ إِلَّا ۖ لَكِنَّ ۖ أَنَّ يَسَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۖ مِنَ الْمَكْرُوهِ يَصِيبُنِي؛ فَيَكُونُ ۖ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۖ أَيُّ: وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ ۖ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۖ﴾ (١٢) هذا فتؤمنون؟.

[٨١] ﴿رَكَعَتْ أَتَأَنَّفُ مَا أَشْرَكْتُمْ ۖ بِاللَّهِ ۖ وَهِيَ لَا تَنْتَفِعُ - وَلَا تَخَافُونَ ۖ﴾ أنتم من الله ﴿أَتُنَكِّرُ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ۖ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ ۖ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۖ حُجَّةً وَبِرَهَانًا ۖ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ۖ - ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ أَنَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟ ۖ﴾ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ مَنِ الْأَحَقُّ بِهِ؟ أَيُّ: وَهُوَ: نَحْنُ؛ فَاتَّبِعُوهُ.

(١) ويقرأ بالحاء المعجمة، والحاء المهملة، وقيل: إِنْ أَرَزْ أَشْهُ، وتارخ لَقِيَهُ.

(٢) وهذه العبارة مجملة، ولم ترد في كلام السلف، فإن أراد بها نفي صفات الفعل من الجهي والزلزال الإلهي وغيرها من الصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، فهذا تأويل وتعطيل وهو خلاف مذهب السلف، وإن أراد بها نفي التغير الذي يقتضي نقضا فيكون المعنى صحيحا، ولكن هذه الألفاظ لم ترد في كلام السلف، فالأولى اجتنابها.

(٣) أي: يؤثر ويؤيد.

(٤) وهو قوله: ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۖ﴾.

(٥) بالتخفيف والحذف قراءة نافع وابن ذكوان.

على وحدانية الله - من أقول الكوكب وما بعده - والخبز: ﴿عَاتِقَتَهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدناه لها؛ لحجة ﴿عَلَى قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنِهِ﴾ بالإضافة والتثنية<sup>(٢)</sup>؛ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلَيْهِ﴾ بخلقه.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه ﴿كَسَلًا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: نوح ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابن يعقوب ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَذَكَرْنَا وَيْحَ﴾ ابنه ﴿وَعِيسَى﴾ ابن مريم؛ فيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَالْيَاسَ﴾ ابن أخي<sup>(٣)</sup> هارون؛ أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٨٦] ﴿وَأَسْمَاعِيلَ﴾ ابن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ اللام زائدة ﴿وَيُوشَعَ وَطُوطًا﴾ ابن هارون؛ أخي إبراهيم ﴿كَسَلًا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْمُعْلَمِينَ﴾ بالنبوة.

[٨٧] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ دُرِجْتُمْ فِي ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ عطف على ﴿كُلًّا﴾ أو ﴿نُوحًا﴾، و«مِنْ»: للتبعض؛ لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كفر ﴿وَأَجْنِبْتُمْ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٨٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ﴾ ولو أشركوا ﴿فَرَضَا﴾ ﴿لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

[٨٩] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب ﴿وَاللَّكَّاءَ﴾ الحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ فإن يكفر بها ﴿أَي: بهذه الثلاثة﴾ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿وَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أرصدنا لها ﴿قَوْمًا لِّيُؤْثِرُوا بِهَا الْكُفْرَ﴾ هم: المهاجرون والأنصار.

[٩٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ﴾ هم ﴿اللَّهُ فَبُهِدْتُهُمْ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿أَقْنَدَهُ﴾ بهاء السكت وقفاً وصلوا، وفي قراءة<sup>(٤)</sup>: بحذفها وصلوا ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تعطينه ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنسان والجن.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٨﴾ وَبِذَلِكَ حُجِّتُنَا عَنْ رَبِّهِمْ عَلَى قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَرَكَرَبْنَا وَيْحَ وَيْحَ وَعِيسَى وَالْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩١﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَطُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٩٣﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَلَحُكَمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لِّيُؤْثِرُوا بِهَا الْكُفْرَ فِي أَزْيَرٍ ﴿٩٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهِدْتُهُمْ أَقْنَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾

[٨٢] قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: شريك - كما فُسر بذلك في حديث الصحيحين<sup>(١)</sup> - ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَبِذَلِكَ﴾ مبتدأ، ويُبدل منه: ﴿حُجِّتُنَا﴾ التي احتج بها إبراهيم

(١) وهو حديث ابن مسعود: لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين وقالوا: أيما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿فَبِذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشُّكُّ، أَنَّمْ تَشْفَعُوا قَوْلَ لَقَدْ كَانَ لَآئِه: ﴿يَبْقَىٰ لَا شَرِيكَ لَّآئِهٖ﴾ أَفَرَأَيْتَ لَطْفُ عَظِيمٍ﴾ [لقمان: ١٣]... الحديث. البخاري (٤٦٢٩)، ومسلم (١٢٤).

(٢) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون» قال: وهو الصحيح؛ فإلياس من ذرية هارون.

(٤) حمزة والكسائي.

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: اليهود ﴿اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق عظمته: أو ما عرفوه حق معرفته ﴿إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ اللَّهِ﴾ وقد خاصموه في القرآن: - ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ﴾ بالياء والناء<sup>(١)</sup> في المواضع الثلاثة<sup>(٢)</sup> ﴿فَرَأَيْتُمْ﴾ أي: يكتبونه في دَفَائِرٍ مُّقْطَعَةٍ ﴿يُنَادُونَهَا﴾ أي: ما يجبون إبداءه منها ﴿وَيُحْفُونَ﴾ كثيرًا ﴿مَّا فِيهَا﴾ كنت محمد ﷺ ﴿وَعَلِمْتُمْ﴾ أيها اليهود؛ في القرآن ﴿مَا لَمْ تَقُولُوا أَنَّهُ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ من التوراة؛ بيان ما التمس عليكم، واختلقت فيه ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ أنزله. إن لم يقولوه - لا جواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوَاصِمِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٩٢] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا مُّصَدِّقًا لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَلَنُنَزِّلَهُ﴾ بالياء والياء<sup>(٤)</sup>، عطف على معنى ما قبله؛ أي: أنزلناه للبركة، والتصدق، ولننزل به ﴿أُمُّ الْفَرَقَيْنِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خوفًا من عقابها<sup>(٥)</sup>.

[٩٣] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بادعاء النبوة، ولم يتبع ﴿أَوْ قَالَ أُوْحَىٰ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزلت في مسيلة<sup>(٦)</sup> ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهم: المستهزون، قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَنُفَسِّخُنَّهُ أَوْ لَنُجْعَلُنَّهُ﴾ يا محمد ﴿إِذَا الظَّالِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِي عَذَابٍ﴾ سكرات ﴿الْوَلَوِيَّ وَالْمَلَكُوتِ﴾ بأسطوا أيديهم؛ إليهم بالضرب والتعذيب؛ ويقولون لهم تعنيفًا: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ إلينا؛ لنقبضها ﴿الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذبًا ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِنَا تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تكبرون عن الإيمان بها، وجواب ﴿لَوْ﴾: رأيت أمراً فظيلاً.

[٩٤] ﴿وَقُلْ﴾ يقال لهم - إذا بعثوا -: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: حفاة عراة غرلاً ﴿وَرَبَّكُم مَّا حَوَّلْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَأَىٰ ظُهُورَكُمْ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿وَقُلْ﴾ يقال لهم توبيخًا: ﴿مَا تَرَىٰ مِنْكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الأصنام ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: في استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَاءُ﴾ لله ﴿لَقَدْ

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يَسْتَوُونَ بِهَا وَيُحْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَقُولُوا أَنَّهُ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوَاصِمِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا مُّصَدِّقًا لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَنُنَزِّلَهُ الْفَرَقَيْنِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِنَا تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ<sup>(٧)</sup> وَضَلَّ عَنْكُمْ؛ أي: تشتت جمعكم، وفي قراءة: بالنصب<sup>(٨)</sup>؛ ظرف؛ أي: وَضَلَّ عَنْكُمْ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ ذهب عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ في الدنيا؛ من شفاعتها.

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: «يجعلون»، و«يدعون»، و«يجفون».

(٣) أخرجه العبري نحوه عن ابن عباس في جامع البيان (١٧٧/٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره، وحسن صاحب الاستيعاب إسناده (١٤٥/٢).

(٤) بالياء قراءة شعبة.

(٥) أي: الآخرة.

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جريج، وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة، وأخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة [الدر المنثور (٥٦/٢)]. وقال صاحب

الاستيعاب: «إسناده ضعيف جدًا» (١٤٨/٢).

(٧) بالرفع قراءة حمزة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة: هو فاعل «تَقَطَّعَ»، و«البيان» بمعنى: الوصل، وهو المراد هنا، ويطلق ويراد به البعد، من باب تسمية الأضداد.

(٨) والفاعل في هذه القراءة: ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله: «شُفَعَاءَكُمُ» و«شُرَكَاءَكُمُ»؛ لأن بين الشفع والمشفوع له اتصال، و«بَيْنَكُمْ» ظرف له، والتقدير: تقطع الوصل فيما بينكم.

﴿الْبَلِّ﴾ ﴿حُسْبَانًا﴾ حسابًا للأوقات، أو الباء محذوفة؛ وهو: حال من مقدَّر؛ أي: يجريان بحسبان - كما في آية الرحمن (١) - ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلفه.

[٩٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ﴾ في الأسفار ﴿فَقَدْ فَصَّلْنَا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[٩٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي: آدم ﴿فَنَسَبَكُمْ﴾ (٢) منكم في الرحم ﴿وَمُسَوِّدَكُمْ﴾ منكم في الصلب، وفي قراءة: بفتح الفاف؛ أي: مكان قرار لكم ﴿فَقَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿مَا يَقَالُ لَهُمْ﴾.

[٩٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ النَّبَاتِ﴾ فيه التفات عن العبيبة ﴿بِهِ﴾ بالماء ﴿وَبَنَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: النبات، شيئًا ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى: أخضر ﴿فَنُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُّزَكَّيًّا﴾ يركب بعضه بعضًا، كسنان الحنطة ونحوها ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ خبز، ويدل منه: ﴿مِنَ طَلْعِهَا﴾ أول ما يخرج منها، والمبتدأ: ﴿فَتَرَوْنَ﴾ عراجين ﴿دَابَّةً﴾ قريب بعضها من بعض ﴿وَوَجَّعْنَا مِنْهَا شُرَافَهُ﴾ سنانين ﴿وَمِنَ الْأَنْبِيَةِ﴾ الرُّبُوعَ وَالرَّيْثُونَ وَالرَّيْثَانِ مُشْتَبِهًا ﴿وَزَقَقْنَا﴾ حال ﴿وَعَرَبَ مُشْتَبِهًا﴾ ثمرهما ﴿أَنْظُرُوا﴾ يا مخاطبون (٤) نظر اعتبار ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾ بفتح التاء والميم، وبضمهما (٥)؛ وهو: جمع «ثمرة» كـ «شجرة» و«شجر»، و«حشيشة» و«حشيش» ﴿إِذَا أَمَرَ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿وَوَجَّعْنَا﴾ إلى ﴿يَبْعُهُ﴾ نضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوصًا بالذكر؛ لأنهم المتفجعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[١٠٠] ﴿وَجَعَلُوا لِيهِ﴾ مفعول ثانٍ ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول أول، ويدل منه: ﴿الْحِينَ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَوَجَّعْنَا﴾ قد ﴿خَلَقْنَاهُمْ﴾ فكيف يكونون شركاء ﴿وَوَجَّعْنَا﴾ بالتخفيف، والتشديد (٦)؛ أي: اختلقوا ﴿لَمْ يَبَيِّنْ وَبَيَّنَّ يَبْعَرُ عَلَيْهِ﴾ حيث قالوا: غَزَّيْنِ ابْنِ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ بَنَاتِ اللَّهِ ﴿سُبْحَنَكَ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَلَّى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولدا.

[١٠١] هو ﴿يَبْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعها من غير مثال سبق ﴿أَنْتَ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَمْ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَمَخْلَقٌ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من شأنه أن يُخْلَقَ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْخَيْبِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تَوَفُكُونَ﴾ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ آيَل سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّزَكَّيًّا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّيْثَانِ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبَتِ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ﴿يَدْبَعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[٩٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾ شاقٌّ ﴿الْخَيْبِ﴾ عن النبات ﴿وَالنَّوَى﴾ عن النخل ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطارق من النطفة والبيضة ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ﴾ الفالق الخرج ﴿اللَّهُ فَالِقُ تَوَفُكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟.

[٩٦] ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ مصدر بمعنى: الصبح؛ أي: شاقٌّ عمود الصبح؛ وهو: أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بالنصب: عطفًا على محل

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٤) وفي بعض النسخ: «يا مخاطبين» باعتباره نكرة غير معين.

(٥) بالضم حمزة والكسائي.

(٦) بالتشديد قراءة نافع.

[١٠٢] ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ وَحُذِّرُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ حَفِظٌ.

[١٠٣] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (١) أي: لا تراه، وهذا مخصص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُبْصِرُ مَا يُعْزِرُ نَافِلَةً لِنَافِلَةٍ﴾ (٢) وحدث الشيخين «أنكم سترزون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» (٣)، وقيل: المراد: لا تحيط به «وهو يدرك الأبصار» أي: يراها، ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علما «وهو اللطيف» بأوليائه «لتغيير» بهم.

[١٠٤] قل يا محمد لهم: «قد جاءكم بصائر» حُجَجٌ «من ربكم فمن أبصر» ها قامن «فلفسيف» أبصر؛ لأن ثواب إبصاره له «ومن عى» عنها؛ فضل «فعلتها» وبال إضلاله «وما أنا عليكم بحفيظ» رقيب لأعمالكم، إنما أنا نذير.

[١٠٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر «نصرت» نين «الآيات» ليعتبروا «ويقولوا» أي: الكفار في عاقبة الأمر: «[ذا رشت]» (٤) ذكارت أهل الكتاب، وفي قراءة: «ذرت» أي: كتب الماضي؛ وجمت بهذا منها «وليتنبؤ لغير يعمون».

[١٠٦] ﴿أَتَبْعُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ».

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ رقبيا؛ فتجازيهم بأعمالهم «وما أنت عليهم بوكيل» فتجبرهم على الإيمان - وهذا (٥) قبل الأمر بالقتال..

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام «فيسبوا الله عدوا» اعتداء وظلما «بغير علم» أي: جهلا منهم بالله «كذلك» كما زينا لهؤلاء ما هم عليه «رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَأَنُوهُ» ثم إلى ربهم ترجعهم «في الآخرة» فيثبتهم بما كانوا يعملون فيجازيهم به.

[١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة «بأنه جهد أينهم» أي: غاية اجتهدهم فيها «لأن جاءتهم بآية» مما اقترحوا «ليؤمنن بها» قل لهم: «إنما آلايت عند الله» ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير «وما يشعركم» يدريكم بإيمانهم إذا جاءت؛ أي: أنتم لا تدرون ذلك «إنها» (٦) إذا جاءت لا يؤمنون لما سبق في علمي، وفي قراءة: بالناء (٧) خطابا للكفار، وفي أخرى:

ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٣﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴿١٠٥﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِكَبِّنَهُ رَلَقَوْمٌ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ أَسْبَغَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاوَةً بَغْيَ عَلَيْهِمْ ﴿١٠٩﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ وَنَقَلِبْ أَقْدَارَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا تَرَى يُؤْمِنُونَ بِهَ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١١﴾

بفتح (أن)؛ بمعنى: لعل، أو معموله لما قبلها.

[١١٠] ﴿وَنَقَلِبْ أَقْدَارَهُمْ﴾ نحول قلوبهم عن الحق؛ فلا يفهمونه «وَابْصُرْهُمْ» عنه؛ فلا يبصرونه؛ فلا يؤمنون «كما لا يؤمنوا به» أي: بما أنزل من الآيات «أول مرة» ونذرهم؛ نتركهم «في طغيانهم» ضلالهم «يعمهن» يترددون متحيرين.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قف شعري بما قلت، أين أنت من ثلاث؟ من حدثك كذب؛ من حدثك أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾... ولكن رأى جبريل الطيف في صورته مرتين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة النجم (٥٣) باب (١)، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧٨) إثبات رؤية المؤمنين ربه في الآخرة.

(٢) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٣) أخرجه نحوه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بفتح السين أيضا «ذرت» بمعنى: التحدث.

(٥) أي: الأمر بالإعراض عن المشركين، وليس الإخبار على الإيمان.

(٦) وهي قرلة ابن كثير وأبي عمرو، وشعبة بخلافه.

(٧) حمزة وابن عمر، ولا يقرأ بالناء إلا من يقرأ «هأن» [أنها] بالفتح. أما من يقرأ بكسر «إن» فينعي معها الياء في «لا يؤمنون».

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك.

[١١٢] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه: ﴿شَيْطَانٍ﴾ مرّة ﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ موهبة من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليغروهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَهُ﴾ أي: الإيهام المذكور ﴿فَذَرْنَهُمْ﴾ دع الكفار ﴿وَمَا يَفْعَلُونَ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم - وهذا قبل الأمر بالقتال ..

[١١٣] ﴿وَلَيَصْحُنَّ﴾ عطف على ﴿غُرُورًا﴾ أي: تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: الزخرف ﴿أَفَعِدَّةٌ﴾ قلوب ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَعْرِفُونَ﴾ يكسبوا ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الذنوب؛ فيعاقبوا عليه. ونزل - لما طلبوا من النبي ﷺ أَنْ يجعل بينه وبينهم حكماً -: [١١٤] قل: ﴿أَفَتَعْبَأُكُمْ اللَّهُ بِآيَاتِي﴾ <sup>(١)</sup> أطلب ﴿حُكْمًا﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ مُبَيَّنًا فيه الحق من الباطل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَمْلِكُونَ أَنْتُمْ مُنْزَلًا﴾ بالصخيف والتشديد <sup>(٢)</sup> ﴿مِنْ رَبِّكَ يُلْهِقُ فَلَا تَكُونُ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشاكين فيه، والمراد بذلك: التقرير للكفار أنه حق.

[١١٥] ﴿وَوَسَّاتُ﴾ [كَلِمَاتُ] <sup>(٣)</sup> رَبِّكَ ﴿بِالْأَحْكَامِ وَالْمَوَاعِيدِ﴾ صدقاً وعدلاً ﴿تَمِيزُ﴾ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ ﴿بِنَقْصِ أَوْ حَلْفٍ﴾ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ <sup>(٤)</sup> بما يفعل.

[١١٦] ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في مجادلهم لك في أمر الميتة؛ إذ قالوا: ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وهو أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿فِي جَزَائِهِمْ﴾ كلاً منهم.

[١١٨] ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ بِكُمْ﴾ أي: ذبح على اسمه ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَ وَكَانَ هُمْ أَلْمُوتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شيطاناً الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴿وَلَيَصْحُنَّ إِلَيْهِ أَفَعِدَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَعْرِفُونَ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ أفغبر الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيتهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممتريين ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَاتِ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ وهو السميع العليم ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وهو أعلم بالْمُهْتَدِينَ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ﴾

[١١١] ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَ وَكَانَ هُمْ أَلْمُوتَى﴾ كما اقترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ بضمين؛ جمع ﴿قُبُلٍ﴾ أي: فوجاً فوجاً، وبكسر القاف وفتح الباء <sup>(١)</sup>؛ أي: معانية؛ فشهدوا بصدقك ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لما سبق في علم الله ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم؛ فيؤمنوا

(١) فائدة: أخرج النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ يقول ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَاتِ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ وهو السميع العليم ﴿فَدَرَ﴾ أي سقط. ثلث الحجر، وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقاً، ثم ضرب الثانية وقال: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَاتِ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ وهو السميع العليم ﴿فَدَرَ ثَلَاثَ الْأَخْرِ﴾ فبرقت برقاً فراها سلمان. ثم ضرب الثالثة وقال: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَاتِ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ وهو السميع العليم ﴿فَدَرَ ثَلَاثَ الْأَخْرِ﴾ فخرج رسول الله ﷺ وأخذ رداءه وجلس. النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (٤٢) غزوة الترك والحبيشة، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٩٧٦).

(١) بالكسر قراءة نافع وابن عامر.

(٢) لم أجده.

(٣) بالخفيف قراءة السبعة عدا ابن عامر وحفص.

(٤) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

[١١٩] ﴿وَمَا لَكُمْ أَنْ﴾ ﴿لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَضَّلَ﴾ بالبناء للمفعول، وللفاعل في الفعلين<sup>(١)</sup> ﴿لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> في آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْسَةُ﴾ ﴿إِلَّا مَا أَضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ منه؛ فهو أيضاً حلال لكم؛ المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذكر، وقد بين لكم الحرام أكله؛ وهذا ليس منه ﴿وَإِنْ كَثُرَ لَا يُضِلُّكُمْ﴾ بفتح الياء وضمها<sup>(٣)</sup> ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بما نهوا أنفسهم؛ من تحليل الميتة وغيرها ﴿يَغَيِّرُ عَلَيْهِ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين.

[١٢٠] ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَهَرَ الْآثَرُ وَبَاطِنُهُ﴾ علانيته وسره، و﴿الْآثَرُ﴾ قيل: الرنا، وقيل: كل معصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْآيَةِ﴾ سَيُخْرَجُونَ في الآخرة ﴿يَمَّا كَانُوا يَقَرُّونَ﴾ يكتسبون.

[١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات، أو ذبح على اسم غيره، وإلا فما ذبحه المسلم ولم يُسَمَّ فيه عمداً أو نسياناً؛ فهو حلال، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي<sup>(٤)</sup> ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: الأكل منه<sup>(٥)</sup> ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عما يحل ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُفْسِدُ﴾ يوسوس ﴿إِلَى أَوْلِيَاءِهِ﴾ الكفار ﴿لِيُجْدِلَكُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

[١٢٢] وَنَزَلَ في أبي جهل وغيره: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ﴾ في النَّاسِ يتبصر به الحق من غيره؛ وهو: الإيمان ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ «مثل»: زائدة؛ أي: كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو: الكافر؟ لا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿رُئِينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

[١٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فساد مكة آكارها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿لِيَتَذَكَّرُوا فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا تَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهِ﴾ ﴿حَتَّىٰ نُنَاقِشَهُ﴾ وَنُشَلِّ مَا أَوْفَى رُسُلُ اللَّهِ ﷺ من الرسالة والوحي إلينا؛ لأننا أكثر مالا، وأكبر سيئاً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ والجمع والافراد<sup>(٧)</sup>، و﴿حَيْثُ﴾ مفعول به لفعل دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾

وَمَا لَكُمْ أَنْ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثُرَ لَا يُضِلُّكُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بَعِّيرْ عِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَهَرَ الْآثَرِ وَبَاطِنُهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْآيَةِ سَيُخْرَجُونَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُفْسِدُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلَكُمْ وَأَنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ رُبِّ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُّجْرِمِينَ لِيَتَذَكَّرُوا فِيهَا وَمَا يَتَذَكَّرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ أَلَّا يَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ

أي: يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه؛ فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلًا لها ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذُلٌّ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بما كَانُوا يَمْكُرُونَ أي: بسبب مكرهم.

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١١٩ - ١٢١): أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس قال: أتى ناس النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أتأكل ما تقتل، ولا تأكل ما يقتل الله؟ فأمر الله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ﴿وَمَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إن كنتم بتأنيبه مؤمنين، إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ لَكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧) سورة الأنعام. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٤).

(١) بالبناء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، ووافقه في الثاني حمزة والكسائي وشعبة.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) وعند مالك وأبي حنيفة ورواية عن أحمد: إن تركها عمداً لا تؤكل.

(٥) وقيل: إن الضمير يعود على ما ذكر اسم غير الله عليه عند الذبح، ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَوْ يَشَاءُ أَوْلَىٰ لغيرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

(٦) بالجمع قراءة السبعة عدا ابن كثير وحفص.

أي: يسلمه ﴿عَلَّ الذِّبْنَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿وَهَذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرْطُ﴾ طريق ﴿رَبِّكَ﴾ مستقيماً لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكد للجملته، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿فَدَفَعْنَا﴾ بِنَا ﴿الْأَلْبَتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: يتعظرون، وخصوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون.

[١٢٧] ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ أي: السلام؛ وهي الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهُمْ﴾ بما كانوا يعملون.

[١٢٨] ﴿وَإِذْ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون وباء<sup>(٦)</sup>؛ أي: الله الخلق ﴿جَمِيعاً﴾ ويقال لهم: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ يا عواظكم ﴿وَقَالَ أُولِيَائُهُمُ﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ انتفع الإنس بتزوين الجن لهم الشهوات، والجن بطاعة الإنس لهم ﴿وَكَلَّنَا لَبِئْنَا الَّذِي أَثَلْتُمْ لَنَا﴾ وهو يوم القيامة، وهذا تحسر منهم ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم على لسان الملائكة<sup>(٧)</sup>: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ مأواكم ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم<sup>(٨)</sup>؛ فإنه خارجها؛ كما قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَكِلَى الْخَمِيمِ﴾<sup>(٩)</sup> وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون ف«ما» بمعنى: «من» ﴿إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٢٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿تُؤْتَى﴾ من الولاية ﴿بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾ أي: على بعض ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي.

[١٣٠] ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ﴾ أي: يؤمنون ﴿رَبَّنَا﴾ أي: من مجموعكم؛ أي: بعضهم الصادق بالإنس، أو رسل الجن نذروهم الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِنِي﴾ وسدروكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا أن قد بلغنا، قال - تعالى -: ﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٧﴾ وَهَذَا صِرْطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْإِنْسَ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٨﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدْ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أُولِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ فَخَلِّدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٠﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣١﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِنِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّضْنَاهُمْ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٢﴾

[١٢٥] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ بأن يقدف في قلبه نوراً؛ فيفسح له ويقبله - كما ورد في حديث<sup>(١)</sup> - ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ الله ﴿أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup>؛ عن قبوله ﴿خَرَجًا﴾ شديد الضيق؛ بكسر الراء: صفة، وفتحها<sup>(٣)</sup>: مصدر؛ وصف فيه مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ﴾ وفي قراءة: ﴿يَصْأَعِدُ﴾<sup>(٤)</sup> وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسكونها<sup>(٥)</sup> ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ العذاب أو الشيطان؛

(١) يشير إلى ما جاء في حديث: لما نزلت هذه الآية شيل رسول الله ﷺ عن صدره، فقال: «هُوَ نُورٌ يُقَدِّفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ؛ فَيُشْرَحُ لَهُ وَيُفْتَحُ لَهُ...» الحديث. أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧/٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٥)، وإسناده ضعيف جداً؛ فيه عبد الله بن المسور وهو متروك كما قال الدارقطني.

(٢) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٣) لابن كثير.

(٤) بالنون قراءة السبعة عدد، حفص.

(٥) ظاهر الآية أن هذا الكلام من الله تعالى إليهم، وفيها إثبات صفة الكلام لله ﷻ كما هو مذهب السلف. وقول المصنف: على لسان الملائكة، صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، وربما هذا فرار من إثبات صفة الكلام لله ﷻ. والله أعلم.

(٦) في معنى هذا الاستثناء أقوال عدة للمفسرين، فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار، والمستثنى العصاة؛ لأنهم لا يخلدون، ورؤى أن السياق في بيان حال الكفار، وبأن استعمال ﴿بِمَا﴾ للعقلاء قليل، وذهب بعضهم إلى أن المراد المدة التي كانوا فيها في الدنيا والبرخ ويوم القيامة قبل دخولهم النار، وذهب بعضهم إلى أن المراد الفل من النار إلى الزمهرير، وقيل: المراد المبالغة في الخلود؛ بمعنى: أنه لا ينتهي إلا وقت مشيئة الله، وهو مما لا يكون. وقيل: المراد بيان أن أمرهم موكوف إلى الله، وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه. وقيل: المراد إلا ما شاء من زيادة عذابهم، وقيل: استثنى قوماً سبق علمه أنهم يسلمون. وقيل غير ذلك، فאלله أعلم.

(٩) الصفات: ٦٨.



[١٣١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾ اللام مقدرة، وهي مخففة؛ أي: لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكِ﴾ أَلْفَرَى يُطْلَوُ منها ﴿أَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لم يُؤْمَلْ إليهم رسول بين لهم؟

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العالمين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ جزاء ﴿وَمَا عَمِلُوا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالبلاء والتاء<sup>(١)</sup>.

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ، يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخِفُّ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَنْتَهِ﴾ من الخلق ﴿كَأَنَّ أَشْرَاقَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مَأْكُوتٍ﴾ أذهبهم؛ ولكنه أبفكم رحمة لكم.

[١٣٤] ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين عذابنا.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتَوَكَّرُ أَهْلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ عسى حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْ﴾ موصولة؛ مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَكُمْ عَقَبَةً أَلَدًا﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَوْمَ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرِّ﴾ الزرع ﴿وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين، ولشركائهم نصيبًا يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُ رَبِّنَا﴾ بالفتح والضم<sup>(٢)</sup> ﴿وَهَذَا لَشُرْكائِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه؛ وقالوا: إن الله غني عن هذا. كما قال - تعالى -: ﴿كَانَ لِشُرْكِيهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَهُ﴾ أي: لجهته<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَا كَانَ إِلَهُهُمُ يَصِلُ إِلَهُ شُرْكِيهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> ساء ﴿بِئْسَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذُكِرَ ﴿ذُنُوبَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بالوَأَدَ ﴿شُرْكَاؤُهُمْ﴾ من الجن؛ بالرفع: فاعل ﴿ذُنُوبَ﴾، وفي قراءة: بينائه للمفعول ورفع «قتل»، ونصب «الأولاد» به، وجر «شركائهم» بإضافته<sup>(٥)</sup>، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول - ولا يضر<sup>(٦)</sup> - وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿وَلِيُرْذَوْهُمْ﴾ يهلكهم ﴿وَلِيُكَلِّمُوا﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا مَعَكُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

ذَلِكَ أَنْ تَرَى كُنْ رَبُّكَ مُهْلِكِ أَلْفَرَى يُطْلَوُ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخِفُّ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَنْتَهِ كَأَنَّ أَشْرَاقَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مَأْكُوتٍ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَتَوَكَّرُ أَهْلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْ تَكُونُ لَكُمْ عَقَبَةً أَلَدًا إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرِّ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُ رَبِّنَا وَلِهَذَا لَشُرْكَائِنَا ﴿١٣٦﴾ وَهَذَا لَشُرْكَائِنَا فَكَانُوا إِذَا سَقَطَ فِي نَصِيبِ اللَّهِ شَيْءٌ مِنْ نَصِيبِهَا تَقَطَّوْهُ، أَوْ فِي نَصِيبِهَا شَيْءٌ مِنْ نَصِيبِهَا تَرَكَوْهُ؛ وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ هَذَا. كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿كَانَ لِشُرْكِيهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَهُ﴾ أَيْ: لَجِهَتِهِ<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَا كَانَ إِلَهُهُمُ يَصِلُ إِلَهُ شُرْكِيهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> سَاءَ ﴿بِئْسَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حُكْمُهُمْ هَذَا.

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كَمَا زَيْنَ لَهُمْ مَا ذُكِرَ ﴿ذُنُوبَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بِالْوَأَدِ ﴿شُرْكَاؤُهُمْ﴾ مِنَ الْجِنِّ؛ بِالرَّفْعِ: فَاعِلُ ﴿ذُنُوبَ﴾، وَفِي قِرَاءَةٍ: بَيْنَائِهِ لِلْمَفْعُولِ وَرَفْعُ «قَتَلَ»، وَنَصْبُ «الْأَوْلَادِ» بِهِ، وَجَرَّ «شُرْكَائِهِمْ» بِإِضَافَتِهِ<sup>(٥)</sup>، وَفِيهِ الْفَصْلُ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ بِالْمَفْعُولِ - وَلَا يَضُرُّ<sup>(٦)</sup> - وَإِضَافَةُ الْقَتْلِ إِلَى الشَّرَكَاءِ لِأَمْرِهِمْ بِهِ ﴿وَلِيُرْذَوْهُمْ﴾ يَهْلِكُهُمْ ﴿وَلِيُكَلِّمُوا﴾ يَخْلُطُوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا مَعَكُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

(١) بالتاء قراءة ابن عامر.

(٢) أي: للزاي، والضم للكسائي.

(٣) أي: إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها؛ كالصدقة وصلة الرحم وقري الضيف.

(٤) أي: يجعلونه لأنهم ويفتقونها في مصالحها.

(٥) لابن عامر.

(٦) يرد على من أنكر ذلك.

﴿وَأَنعَمْتَ حُرْمَتَ طُهُورِهَا﴾ فلا تركب؛ كالسوايب والحوامي ﴿وَأَنعَمْتَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم، ونسبوا ذلك إلى الله ﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَيْهِ سَيِّجَرِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه.

[١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ الحرمة؛ وهي: السوايب والباحث ﴿خَالِصَةً﴾ حلال ﴿لِنُكُونُوا وَنَحْمَدُ عَلَى أَرْوَاجِنَا﴾ أي: النساء ﴿وَإِنْ تَكُنْ فِتْنَةً﴾ بالرفع والنصب<sup>(١)</sup> مع تأنيث الفعل وتذكيره<sup>(٢)</sup> ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيِّجَرِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصَفَّهُمْ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم؛ أي: جزاءه ﴿إِنَّهُمْ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿وَعَلَيْهِمْ﴾ بخلقه.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَيْرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٣)</sup> ﴿أَوْلَدَهُمْ﴾ بالوأة ﴿سَفَهًا﴾ جهلاً ﴿يَعْتَرِ عَلَيْهِمْ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ عما ذكر ﴿أَفَتَرَأَى عَلَى اللَّهِ فَضْلًا﴾ ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١٤١] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّتَ﴾ بساتين ﴿مَعْرُوشَتَ﴾ مبسوطات على الأرض؛ كالبطيخ ﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَتَ﴾ بأن ارتفعت على ساق؛ كالنخل ﴿وَمَا أَنشَأَ﴾ أنشأ ﴿النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُمْ﴾ ثمره وخلفه في الهيئة والطعم ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَامَاتُ مُتَشَابِهًا﴾ ورقهما، حال ﴿وَعَيْرَ مُتَشَابِهًا﴾ طعمهما ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وَرَمَاتُوا حَقًّا﴾ زكاته ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ بالفتح والكسر<sup>(٥)</sup>؛ من الغش<sup>(٦)</sup> أو بضمه<sup>(٧)</sup> ﴿وَلَا تُشْرَفُوا﴾ بإعطاء كنه<sup>(٨)</sup>؛ فلا يبقى لبعاليكم شيء ﴿إِنَّمَا لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين ما حُدَّ لهم.

[١٤٢] ﴿وَمَا أَنشَأَ﴾ من الأنعام ﴿حَمُولَةً﴾ صالحة للحمل عليها؛ كالإبل الكبار ﴿وَمَرَشًا﴾ لا تصلح له؛ كالإبل الصغار والغنم؛ سُئِلَتْ فرسًا؛ لأنها كالفرس للأرض؛ لدنوها منها ﴿كُلُوا وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرائقه من التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ جِزْرًا لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرَعِيهِمْ وَأَنعَمْتَ حُرْمَتَ طُهُورِهَا وَأَنعَمْتَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَفَتَرَأَى عَلَيْهِ سَيِّجَرِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّدُكُونِنَا وَمَحَرَّمٌ عَلَى أَرْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيِّجَرِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ وَحَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفَتَرَأَى عَلَى اللَّهِ فَضْلًا قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّتَ مَعْرُوشَتٍ وَعَيْرَ مَعْرُوشَتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَامَاتُ مُتَشَابِهًا وَعَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَوَرَمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ جِزْرًا حَرَامٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ من خدعة الأوثان وغيرهم ﴿بَرَعِيهِمْ﴾ أي: لا حجة لهم فيه

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَيْرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. البخاري كتاب المناقب (٦١) باب (١٢) قصة زمزم وجعل العرب.

(١) بالرفع لابن كثير وابن عامر.

(٢) بالتأنيث لابن عامر وشعبة.

(٣) بالتشديد لابن كثير وابن عامر.

(٤) أي: جاء «حصادة». بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن كثير.

(٥) أي: فيما سقي بغير كلفة؛ كمطر ونحوه من غير آلة.

(٦) أي: فيما احتاج في سقيه إلى كلفة وآلة.

(٧) قوله: «إعطاء كنه فلا يبقى لبعاليكم شيء»؛ تفسيره الإسراف بهذا هو قول محمد بن مروان المعروف بالسدي الصغير، وهو قول غير قوي. واختار ابن جرير الطبري قول عطاء بن أبي رباح أنه نهى عن الإسراف في كل شيء، وظاهر سياق الآية النهي عن الإسراف في الأكل؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن؛ كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

[١٤٣] ﴿تَمَيِّزَ أَزْوَاجَ﴾ أصناف؛ بدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ زوجين ﴿أَنْثَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ﴾ بالفتح والسكر (١) ﴿أَنْثَيْنِ قُلْ﴾ يا محمد - لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإنانها أخرى، ونسب ذلك إلى الله : ﴿لَا تَذَكَّرْنَ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَيُّ الْأُنثَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا اسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِ أَزْهَامَ الْأُنثَيْنِ﴾ ذكرا كان أو أنثى ﴿تَبْثُوثِي يَعْلَمُ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؛ المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام، أو الأنوثة فجميع الإناث، أو اشتغال الرحم فالزوجان، فمن أين التخصص؟ والاستفهام للإنكار.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَيْ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِ أَزْهَامَ الْأُنثَيْنِ أَمْ﴾ بل ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ وَصَّيْنَكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾ التحريم، فاعتمدتم ذلك! لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِنِّي أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٤٥] ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا ذُكِّرَ فَأَكَلَهُ﴾ ﴿غَيْرَ بَاسٍ وَلَا عَادٍ﴾ ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَجِيمٌ﴾ به، ويلحق بما ذُكِّرَ بالشئ كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَمَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ.

[١٤٦] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَرَمَتَا كُلِّ ذِي ظُفْرٍ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه؛ كالإبل والنعامة ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَتَا عَلَيْهِمَا شُحُومُهُمَا﴾ الثروب (٢)، وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أَوْ﴾ حملته ﴿الْحَوَائِصَ﴾ الأمعاء، جمع حوايا، أو حواية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُلُوفٍ مِنْهُ﴾ وهو: شحم الإلية؛ فإنه أحسن لهم ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿حَرَمْتُهُمْ﴾ به ﴿بِغَيْرِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم - بما سبق في سورة النساء (٣) - ﴿رَبَّنَا اصْصِلُوا﴾ في أخبارنا ومواعدنا.

تَمَيِّزَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِ أَزْهَامَ الْأُنثَيْنِ نَبْثُوثِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِ أَزْهَامَ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاسٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَجِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَتَا كُلِّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَتَا عَلَيْهِمَا شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَائِصَ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُلُوفٍ مِنْهُ بِغَيْرِهِمْ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ بِمَا سَبَقَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ رَبَّنَا اصْصِلُوا أَرْوَاحَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

(١) بالفتح لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بابتاء قراءة حمزة وابن كثير وابن عامر.

(٣) وهذا سبق قلم من المصنف كَقَوْلِهِ: فقراءة الرفع مع النوقانية وليس مع النوقانية كما ذكر المصنف، وهي لابن عامر.

(٤) راجع تفسير ﴿غَيْرَ بَاسٍ وَلَا عَادٍ﴾ في سورة البقرة آية (١٧٣).

(٥) جمع «ثوب»: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، والمراد هنا الذي على الكرش فقط.

(٦) أي: قوه تعالى: ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ لِيُنْصَرَفَ وَكُلْهُمُ يُكْفَرُ﴾ الآية [النساء: ١٥٥]، إلى قوله: ﴿يُظِلُّونَ مِنَ النَّارِ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

رَحِمَهُ وَسِعَتْهُ حَيْثُ لَمْ يَاجِلِكُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَفِيهِ تَلَطَّفٌ بِدَعَائِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ  
﴿وَلَا يُرِيدُ بِأُسْخَافٍ﴾ عَذَابُهُ إِذَا جَاءَ ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِبِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ هَلَمْ أَحْضَرُوا شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا الَّذِي حَرَّمَ هَذَا إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَائِنَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرِيبُهُمْ يَعْدِلُونَ﴾ يَشْرِكُونَ.

[١٤٩] ﴿قُلْ: إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ حُجَّةٌ﴾ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴿الْقَامَةُ﴾

﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٥٠﴾ ﴿قُلْ هَلَمْ أَحْضَرُوا شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا الَّذِي حَرَّمَ هَذَا إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَائِنَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرِيبُهُمْ يَعْدِلُونَ﴾ يَشْرِكُونَ.

[١٥١] ﴿قُلْ تَسَالَوْا أَتْلُو﴾ أَمَّا ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أَهْلُ نَفْسُورَةٍ ﴿لَا تَخْرُجُوا بِهِ شَيْئًا وَكُنْتُمْ أَجْنَحَافَةً﴾ بِاللَّوْلَيْنِ إِحْسَنًا وَلَا تَقُولُوا أَوْلَدَكُمْ بِالْوَادِ ﴿مَنْ﴾ أَجَلٌ ﴿إِمْلَيْتُمْ﴾ فَقَرَّ تَخَافُونَهُ ﴿تَحْنُ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ الْكِبَارُ كَالزُّنَا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أَي: عَلَانِيَتِهَا وَسِرَّهَا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كَالْقَوْدِ وَخَذَ الرِّدَّةِ وَرَجَعَ الْمُحْصَنِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿وَصَنَّمَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup> تَتَدَبَّرُونَ.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ ﴿١٤٩﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ هَلَمْ أَحْضَرُوا شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَائِنَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرِيبُهُمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥١﴾ قُلْ تَسَالَوْا أَتْلُو مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

[١٤٧] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فِيمَا جِئْتَ بِهِ ﴿فَقُلْ لَهُمْ: رَبُّكُمْ ذُو

(٥) فائدة: أخرج الحاكم في مستدركه (٣٤٨/٢) عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّكُمْ يَبْعِي عَلَى ثَلَاثٍ؟» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَسَالَوْا أَتْلُو مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حتى فرغ من الآيات - فمن وثق فأجره على الله، ومن انتقص منه شيئاً فآذركه الله به في الدنيا كانت عقوبته، ومن أضر إلى الآخرة فأمره إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأجره أيضاً محمد ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٦١٥/٢).

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالحصلة التي هي أحسن، وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بأن يحتلم<sup>(٥)</sup> ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْيَمْرَآنَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها في ذلك؛ فإن أخطأ في الكيل والوزن - والله يعلم صحة نيته - فلا مؤاخذه عليه؛ كما ورد في حديث<sup>(٦)</sup>، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فِي حُكْمٍ أَوْ غَيْرِهِ﴾ فأعدوا<sup>(٧)</sup> بالصدق ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه ﴿فَا فُرِيًّا﴾ قرابة ورعيه<sup>(٨)</sup> الله أوفوا<sup>(٩)</sup> ذلكم وصنكم<sup>(١٠)</sup> به<sup>(١١)</sup> لعلكم تذكرون<sup>(١٢)</sup> بالشديد تتعظون<sup>(١٣)</sup> والسكون.

[١٥٣] ﴿وَأَن﴾ بالفتح، على تقدير اللام، والكسر استئنافاً<sup>(١٤)</sup> ﴿هَذَا﴾ الذي وصيتكم به ﴿صِرْطِي مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ ولا تنبعوا السبل<sup>(١٥)</sup> الطرق المخالفة له ﴿فَتَقَرَّبَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين؛ تميل ﴿بِكُمْ﴾ عن سبيل<sup>(١٦)</sup> دينه ﴿ذَلِكَ﴾ وصنكم<sup>(١٧)</sup> به لعلكم تتقون<sup>(١٨)</sup> ﴿١٥٤﴾

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة، و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وَتَقْصِيلاً﴾ بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ﴾ بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٥٥] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَآتَيْنَاهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر ﴿فَلَكُمْ زُحْمٌ﴾ أنزلناه.

[١٥٦] ﴿لَٰن﴾ لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِنَا﴾ وإن مخففة، واسمها محذوف؛ أي: إنا ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم ﴿لَعَنَيْنَا﴾ لعدم معرفتنا لها؛ إذ ليست بنعتنا.

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لوجه أذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ لمن اتبعه ﴿فَمَن﴾ أي: لا أحد ﴿أَطَاعَ﴾ ومن كذب يكذب الله وصدف ﴿عَنَّا سَتَجِدُنَا الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَدَابِ﴾ أي: أشده ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْيَمْرَآنَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فِي حُكْمٍ أَوْ غَيْرِهِ فَأَعِدُوا دَأْفُرِيًّا وَرَعِيهِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكَمُ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١٥٢)</sup> وَأَنَّ هَذَا صِرْطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُونِي وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١٥٣)</sup> ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَقْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١٥٤)</sup> وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَآتَيْنَاهُ وَأَتَّفَعُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(١٥٥)</sup> أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَعَنَيْنَا ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَتَجِدُنَا الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَدَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾<sup>(١٥٧)</sup>

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٥٢): أخرجه أبو داود عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ الآية. اتفق من كان عنده يبيع فحول طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه فيحس له حتى يأكله أو يفسد، فاشد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأمر الله ﷻ: ﴿وَسَتَجِدُنَا عَنْ أَكْثَرِ قُلُوبِ الْبَشَرِ قَلِيلٌ مِّنْ عِلْمِهِمْ وَأَن تَعْلَمُوا أَنَّهُمْ يَكُونُونَ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابه بشرابه. سبق تخريجه عند الآية (٢٢٠) من سورة البقرة. (هـ) فائدة: أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً». قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرْطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُونِي وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾. مسند أحمد (٤٦٥/١، ٤٦٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤١٤٢)، وأخرج نحوه ابن ماجه من حديث سابر بن عبد الله، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١١).

(١) أخرجه ابن مردويه عن سعيد بن المسيب قال: تلا رسول الله ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْيَمْرَآنَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فقال: من أوفى على يديه في الكيل واليزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤخذ وذلك تأويل وسعها (الدر المنثور (١٠/٣)).

(٢) وهي قراءة نفع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٣) بالكسر قراءة حمزة والكسائي، وقرأ ابن عامر بالفتح مع سكن لون.

تنفعها توبتها؛ كما في الحديث ﴿قُلْ أَنْتَظِرُونَ﴾ أَخَذَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذَلِكَ.

[١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيْنَهُمْ﴾ باختلافهم فيه؛ فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا يَشْكُرُونَ﴾ فرقا في ذلك، وفي قراءة: ﴿فَارْزُقُوا﴾<sup>(١)</sup> أي: تركوا دينهم الذي أمروا به؛ وهم: اليهود والنصارى ﴿لَسْتَ فِي شَيْءٍ أَيْ: فلا تعرض لهم﴾ ﴿لَمَّا أَسْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولاه ﴿وَمَنْ يَنْتَظِرْهُمْ﴾ في الآخرة ﴿يَمَّا كَانُوا يَقْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف.

[١٦٠] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿فَلَمْ يَشْكُرْ أَثْمَالَهَا﴾ أي: جزاء عشر حسنات ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جزاءه ﴿وَمَنْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من جزائهم شيئا.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله: ﴿وَبِنَا قِيمًا﴾ مستقيما ﴿يَلَهُ إِزْدَارُهُمْ خِفَاءً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي عِبَادَتِي مِنْ حَجٍّ وَغَيْرِهِ﴾ وبجائتي حياتي ﴿وَمَسَاجِدِي﴾ موتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَمْ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَلِكَ﴾ أي: التوحيد ﴿أُفْرِزْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

[١٦٤] ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْيَ رَبِّي﴾ أي: لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْمَالِكِ﴾ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ذَنْبًا ﴿إِلَّا عَلَيْهِمَا وَلَا تَزُرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَارِدَةً﴾ أَمَةً ﴿وَزَرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضهم بعضا فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم؛ ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّكُمْ لَعُودُونَ﴾ للمؤمنين ﴿رَجِيعٌ﴾ بهم.

\*\*\*

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُونَ إِنَّمَا تَنْتَظِرُونَ لِلَّذِينَ فَرَقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شُرَكَاءَ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ قَرِيبٌ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيْنًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُفْرِزْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْيَ رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَعَزِيزٌ رَحِيمٌ﴾

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذوبون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالناء والباء<sup>(١)</sup> ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره؛ بمعنى: عذابه<sup>(٢)</sup> ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي: علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها؛ كما في حديث الصحيحين<sup>(٣)</sup> ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الجملة صفة «النفس» ﴿أَوْ﴾ نفسا لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾<sup>(٤)</sup> طاعة؛ أي: لا

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾». البخاري. كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٠)، وأخرجه مسلم. كتاب الإيمان (١) باب (٧٢) بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(٢) بالباء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهذا تأويل لهذه الصفة من صفات الفعل التي أتيها ربنا ﷻ لنفسه، ونحن نتبناها له ونؤمن بها على الوجه اللاتق به. شُعْبَانَةُ. ولا يشبه إتيانه إتيان الخلقين، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(٤) البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧)، وعند مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» (٢٧٠٣)، والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

(٥) لحمة والكسائي.

(٥) وهذا التفسير على القراءة بالتشديد، وهي نافع وابن كثير وأبي عمرو، وأما على قراءة باقي السبعة بدون تشديد فعلى أنه مصدر نعت به، وأصله «فَوْزَم» كدَوْعُزْ، فَعَلٌ لِإِعْلَالٍ فَعِلِيلٌ كالتقيام.



[١٥] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾<sup>(١)</sup> أي: يوم النفخة الأولى.

[١٦] ﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي﴾ أي: يا غواي لي؛ و«الباء» للقسام وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ لَكَ﴾ أي: لبني آدم ﴿مِنْ صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: على الطريق الموصل إليك.

[١٧] ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: من كل جهة؛ فأمنعهم عن سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم؛ لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله - تعالى. ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مؤمنين.

[١٨] ﴿قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا وَبَارًا﴾ بالهمزة؛ معيба أو مقموتا ﴿مَنْحُورًا﴾ مُبْعَدًا عن الرحمة ﴿لَنْ يَمَکَّ مِنْهُمْ﴾ من الناس؛ و«اللام» للابتداء، أو موطئة للقسام؛ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: منك بذريعتك ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «من» الشرطية؛ أي: من تبعك أعذبه.

[١٩] ﴿ذُكِّرْ﴾ قال: ﴿فَتَذَكَّرُ أَشْكُنَ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير في ﴿أَشْكُنَ﴾ ليعطف عليه ﴿وَرَوْحًا﴾ حواء، بالمد ﴿الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْنَا وَلَا نَفْرًا﴾ هذه الشجرة ﴿بِالْأَكْلِ مِنْهَا﴾ وهي: الجنة<sup>(٢)</sup> ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٠] ﴿فَوَسَّوْا لَهَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿يَبْدِي﴾ يظهر ﴿لَهَا مَا وَرَى﴾ فُوعِل؛ من المواراة ﴿عَنْهَا مِنْ سَوَاءٍ﴾ وقال ما نَهَكْنَا رُبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا ﴿كراهة﴾ أَنْ تَكُونَا مَلَکَيْنِ ﴿وقرى بكسر اللام<sup>(٣)</sup>﴾ ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها؛ كما في آية أخرى: ﴿هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةٍ تُقَلِّدُ وَمَلَکٍ لَا يَبْلُغُ<sup>(٤)</sup>﴾.

[٢١] ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في ذلك.

[٢٢] ﴿فَذَلَّلْنَاهَا﴾ حطَّيْنَاهَا عن منزلتها ﴿يُفْرِدُونَ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي: أكلَا منها ﴿بَدَتْ لَهَا سَوءُ بَشَائِهَا﴾ أي: ظهر لكل منهما فُتْبَاهُ وَقِيلَ الآخر وَذُبُرُهُ، وَشُمُيْ كُنْ مِنْهَا سَوءًا؛ لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَوَّعَا لِيخِصَّمَا﴾ أَخَذَا لِيخْزِقَا ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ﴾ ليسترا به ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يَبْسُ العداوة، والاستفهام للتقرير.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَشْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿قَالَ فَأَهْطِ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي لَأَقُودَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا وَبَارًا مَذْمُومًا لَمْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ لَمْ يَلَنْ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿وَيَقَادِرُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْنَا وَلَا نَفْرًا هَذِهِ الشَّجَرَةُ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فَوَسَّوْا لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيَبْدِيَ لَهُمَا مَا وَرَى عَنْهُمَا مِنْ سَوءِ بَشَائِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَکَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فَذَلَّلْنَاهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوءُ بَشَائِهِمَا وَطَفِقَا يَخْصِمَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

[١٢] ﴿قَالَ﴾ - تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنَّهُنَّ ﴿لَا﴾ زائدة ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ فَأَهْطِ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ فَاخْرُجْ ﴿مِنْهَا﴾ ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الدَّالِّينَ.

[١٤] ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أخرني ﴿إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

(١) الحجر: ٣٨.

(٢) لم يرد ما يعتمد عليه في تعيين هذه الشجرة، ولا حاجة إلى ذلك؛ لأنه ليس المقصود معرفة عين تلك الشجرة، وما لا يكون مقصودًا لا ينبغي الانشغال به - كما ذكر أهل التحقيق.

(٣) وهي قراءة شاذة.

(٤) طه: ١٢٠.



[٢٣] ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِمَعْصِيَتِنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿قَالَ أَهْطُوا﴾ أي: آدم وحواء؛ بما اشمئتما عليه من ذريتهما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكَّرَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا﴾ أي: مكان استقرار ﴿وَمَتَّعَ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ تنقضي فيه أجالكم.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي: الأرض ﴿يَحْيَوْنَ﴾ وفيها تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ[١] بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول[٢].

[٢٦] ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِسَانَ﴾ أي: خلقناه لكم[٣] ﴿يُؤَدِّرُ﴾ يستر ﴿سَوَاءَ بَيْنِكُمْ وَرِيشًا﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسٍ الْقَوِيُّ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب[٤] عطف على ﴿لِسَانَ﴾، والرفع مبتدأ، خبره: جملة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب.

[٢٧] ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْقَهُكُمْ﴾ بضلكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا تتبعوه؛ ففتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ﴾ بفتنته ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ﴾ حال ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَهُمَا﴾ أي: الشيطان ﴿رَبَّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ﴾ للظافة أجسادهم، أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ﴾ أعواناً وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً﴾ كالشرك، وطوافهم بالبيت عراً قائلين: لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها. فنهوا عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً نَّانَا﴾ فاقنديناهم ﴿وَاللَّهُ آمَرَنَا بِهَا﴾ أيضاً ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: إِنْ كَانَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ[٥] أنه قاله، استفهام إنكار.

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوف على معنى ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: قال: أقسطوا وأقيموا. أو قبله فاقبلوا، مقدراً ﴿وَجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: أخلصوا له سجودكم ﴿وَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعُودُونَ﴾ أي: يعيدكم أحياء يوم القيامة.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ[٦].

(١) بالبناء للفاعل وابن ذكوان.

(٢) وهذا أحد الأقوال، وهو كقولهم تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ نَمِيَّةً آتِيَةً﴾ أي: خلق، وقيل: المراد المطر الذي ينبت به القطن والكتان. فجعل المسبب بمنزلة السبب، وقيل: المعنى: ألهمناكم كيفية صنعه. وقيل: المعنى: قضينا وقسمنا لكم؛ حيث كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وقضاه - شيخانته - مما توصف بالنزول. وقيل: هو على ظاهر معناه المعروف، فإنه ينزل من ظهور الأنعام من أصولها وأوبارها وأشعارها، وهذا الأخير هو الأقرب. وفي الآية إثبات صفة علوية. جل وعلا. فوق خلقه، وهو ما يتحاشى المفسر - عفا الله عنه - إثباته موافقة لمذهبه الأشعري. ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْتَانًا لَّهٗ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ وانظر مجموع الفتاوى (٢٤٦/١٢ - ٢٥٧).

(٣) وهي قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَّعَ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِسَانَ يُؤَدِّرُ سَوَاءَ بَيْنِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسٍ الْقَوِيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْقَهُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَهُمَا إِنَّهُ يَرَئَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً نَّانَا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً نَّانَا ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٢﴾

[٣٢] ﴿قُلْ﴾ إنكاراً عليهم: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من اللباس ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿مِنْ الرِّزْقِ﴾ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿بِالِاسْتِحْقَاقِ﴾ وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة بهم، بالرفع والنصب<sup>(١)</sup> حال ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ كذلك تفصيل الآية ﴿ثِيَابُهَا﴾ مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون؛ فإنهم المتفعمون بها.

[٣٣] ﴿قُلْ﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ الْكَبِيرَ؛ كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا نَكَرَ﴾ أي: جهرها وسرها ﴿وَالْإِنَّمِ﴾ المعصية ﴿وَالَّذِي﴾ على الناس ﴿يُغَيِّرُ الْحَقَّ﴾ وهو الظلم ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَا يَرْزُقُ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَنْقِضُونَ﴾ عليه.

[٣٥] ﴿يَبْنِيٰ آدَمَ إِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنَّ﴾ الشرطية في «ما» المريدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْتَقِي الشَّرْكَ﴾ وأصلح عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاشْتَبَذُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٣٧] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِنْ أَفْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ يَصِيبُهُمْ﴾ يحطهم ﴿حُطُّهُمْ﴾ مِنَ الْكُتُبِ؛ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة ﴿يَقُولُونَ لَهُمْ قَالُوا﴾ لهم تبكيًا: ﴿إِنِّ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهَا﴾ فلم نرهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَلَهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿يَبْنِيٰ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عَنِ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ تَفْصِيلُ الْآيَةِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿يَبْنِيٰ آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْتَقِي أَتَقْبَلُ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَفْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ يَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُتُبِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْهُمْ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

[٣١] ﴿يَبْنِيٰ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ ما يستر عورتكم<sup>(٢)</sup> ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما شئتم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (٣١): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعبرني تطوافاً يجعله على فرجها؟ تقول: اليوم يلدو بعضه أو كله. فما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عَنِ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٢) رقم (٣٠٢٨).

(٢) بالرفع قراءة نافع.

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم يوم القيامة: ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾. ﴿كُلُّا دَخَلَ أَتَمَّةً﴾ النار ﴿لَمَنْتَ أَخْبَأَ﴾ التي قبلها؛ لضلالتها بها ﴿حَتَّى إِذَا أَذَارَكُوا﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ﴾ وهم الأبناء ﴿وَلَاؤُنْهُمْ﴾ أي: لأجلهم<sup>(١)</sup>؛ وهم: المتبوعون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَتَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مُضْعَفًا ﴿مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُونَ عَذَابًا مُضْعَفٌ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالياء والناء<sup>(٢)</sup>، ما لكل فريق. [٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولُنَّهُمْ لِأَخْرَجْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا؛ فنحن وأنتم سواء، قال - تعالى - لهم: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ إذا غرغ بأرواحهم إليها بعد الموت، يهبط بها إلى «سجين»، بخلاف المؤمن، تفتح له، ويصعد بروحه إلى السماء السابعة، كما ورد في حديث<sup>(٣)</sup>، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ﴾ يدخل ﴿الْمَلَكُ فِي سِرِّ الْجَبَابِطِ﴾ ثقب الإبرة، وهو غير ممكن، فكذا دخولهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزَى الْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر، [٤١] ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِنْ قَوْفِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية من النار، جمع غاشية، وتوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿وَكَذَلِكَ يَجْزَى الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتهما من العمل اعتراض بينه وبين خبره؛ وهو: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿يَجْزَى مِنْ تَجَنُّهِمْ﴾ تحت قصورهم ﴿الَّذِينَ هُمْ يُقَالُونَ﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿الْحَسَدُ إِلَهُ الَّذِي هَدَنَّا لَهُنَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ حذف جواب ﴿لَوْلَا﴾ لدلالة ما قبله عليه.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنه، أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿يَكْفُرُ الْجَنَّةُ أَوْ رُشِمُوها يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كَمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ آخَرُهَا حَتَّى إِذَا أَذَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ لَاؤُنْهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَتَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُونَ عَذَابًا مُضْعَفٌ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَبَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ يَجْزَى الْمُجْرِمِينَ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ قَوْفِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ يَجْزَى الظَّالِمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تَكْفُرَ الْجَنَّةُ أَوْ رُشِمُوها يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي منادي: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تعملوا فلا تبأسوا أبدًا، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَتُودُوا أَنْ تَكْفُرَ الْجَنَّةُ أَوْ رُشِمُوها يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». مسلم - كتاب الجنة (٥١) باب (٨) في دوام نعيم أهل الجنة.

(١) وفي نسخة «لأجلهم».

(٢) بالياء قراءة شعبة.

(٣) روى أحمد (٨٥٥١)، والنسائي (١٨٣٢)، وابن ماجه (٤٢٦٢) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة؛ فإذا كان الرجل صالحًا، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة التي فيها الله ﷻ. وإذا كان الرجل سوء، قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يرجع بها إلى السماء فيستفتح لها فقال: من هذا؟ يقال: فلان، فقال: لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث. ارجعي ذميمة؛ فإنها لا تفتح لك أبواب السماء؛ فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر. والحديث أصله في الصحيحين وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٣٧).

﴿أَنْ لَّمْ يَكُنْ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَ﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عَوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿وَيَبْغُونَ﴾ أي: أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابًا﴾ حاجر، قيل: هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسناتهم وسبائهم؛ كما في الحديث<sup>(١)</sup> ﴿يَرْفَعُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِإِسْمِهِمْ﴾ بعلامتهم؛ وهي: بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين؛ لرؤيتهم لهم؛ إذ موضعهم عال ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ يَدْخُلُونَهَا﴾ أي: أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾ في دخولها. قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم. وروى الحاكم عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة؛ فقد غفرت لكم»<sup>(٢)</sup>.

[٤٧] ﴿وَلَا تَصْرُفْ أَبْصَرَهُمْ﴾ أي: أصحاب الأعراف ﴿لِقَاءَهُ﴾ لِقَاءَهُ ﴿أَصْحَابَ النَّارِ﴾ قالوا ربنا لا نجعلنا في النار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون<sup>(٣)</sup> ﴿أَهْلُولَا﴾ الذين أقسمتم لا ينتمون لهم الله برحمته أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون<sup>(٤)</sup> ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا ﴿وَلِئَلَّا يَفْضُلُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا مِنْهُمَا﴾ على الكافرين.

[٥١] ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلِئَلَّا يَفْضُلُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ تركهم في النار ﴿كَمَا كُنُوا لِقَاءَهُ يَوْمَهُمْ﴾ هذا تركهم العمل له ﴿وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ بِجَحْدُورَةٍ﴾ أي: وكما جحدوا.

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ مُؤَدَّتُ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ<sup>(١)</sup> الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ<sup>(٢)</sup> وَيَبْغُونَ حِجَابًا وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَنَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ<sup>(٣)</sup> \* وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ<sup>(٤)</sup> وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ<sup>(٥)</sup> أَهْلُولَا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَمُونَ لَهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ تحزنون<sup>(٦)</sup> وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ<sup>(٧)</sup> الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلِئَلَّا يَفْضُلُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا مِنْهُمَا كَمَا نَسُوا لِقَاءَهُ يَوْمَهُمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ بِجَحْدُورَةٍ<sup>(٨)</sup>

[٤٤] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ تقريراً أو تأكيداً: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ كم ﴿رِجَالٌ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ مُؤَدَّتُ بَيْنَهُمْ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم:

(١) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صوابه دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صوابه دخل النار». قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: «أولئك أصحاب الأعراف» ﴿ثُمَّ يَدْخُلُونَهَا وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾.

والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة والدرر المنثور (١/٦٢٢).

(٢) الحاكم (٢/٣٢٠)، وقال في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) وهما قراعتان شاذتان، على عادة المصنف رحمه الله؛ حيث يغير في الشاذ في الغالب (بقرئ)، وفي السبعي بقوله: «وفي قراءة».

(٤) قال السمين الحلبي: «أي وعلى هاتين القراعتين؛ فالجملة المنفية في محل نصب بقول مقدر، ذلك القول منصوب على الحال؛ أي مقولاً لهم: لا خوف...» اهـ.

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِأَيٍّ أَهْلَ مَكَّةَ بِكِتَابٍ ﴿يَكْتَسِبُ﴾ قُرْآنَ ﴿فَصَلَّنَهُ﴾ عَلَىٰ هُدًى وَرَحْمَةٍ ﴿بِأَنْبِيَائِهِ﴾ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ﴿وَعَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حَالٍ أَيٍّ: عَالِمِينَ بِمَا فَضَّلَ فِيهِ ﴿هُدًى﴾ حَالٌ مِنَ الْهَاءِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِيُفْرِمَ يُؤْمِنُونَ ﴿بِهِ﴾.

[٥٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ مَا يَنْتَظِرُونَ ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ عَاقِبَةُ مَا فِيهِ ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ شَكَّوْهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تَرَكَوا الْإِيمَانَ بِهِ: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ قَوْلُ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ هَلْ ﴿تُزَادُ﴾ إِلَى الدُّنْيَا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نُوحِدُ اللَّهَ وَنَتْرَكُ الشِّرْكَ؛ فَيَقَالُ لَهُمْ: لَا.

قال - تعالى -: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ إِذْ صَارُوا إِلَى الْهَلَاكِ ﴿وَصَلَّ﴾ ذَهَبَ ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ مِنْ دَعْوَى الشَّرِكِينَ.

[٥٤] ﴿إِنَّا رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا؛ أَيٍّ: فِي قَدَرِهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ شَمْسٌ، وَلَوْ شَاءَ خَلَقَهُنَّ فِي لَحْظَةٍ، وَالْعُدُولُ عَنْهُ لِعَلِّمَهُ خَلْقَهُ التَّشْبِثَ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْجِ﴾ هُوَ فِي اللُّغَةِ: سَرِيرُ الْمَلِكِ، اسْتَوَاءٌ يَلِيقُ بِهِ<sup>(١)</sup> ﴿يُعْثِي الْبَلَاءَ﴾ مُخَفِّقًا وَمُشَدِّدًا<sup>(٢)</sup>؛ أَيٍّ: يُضْطَرُّ كُلًّا مِنْهُمَا بِالْآخِرِ ﴿يُطْلَبُ﴾ يُطْلَبُ كُلُّ مِنْهُمَا بِالْآخِرِ طُلُبًا ﴿حَيْثُ﴾ سَرِيعًا ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ بِالنَّصَبِ عَطْفًا عَلَى ﴿السَّمَوَاتِ﴾ وَالرَّفْعِ مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ: ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾<sup>(٣)</sup> مُذَلَّلَاتٍ ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بِقُدْرَتِهِ<sup>(٤)</sup> ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جَمِيعًا ﴿وَالْأَكْثَرُ﴾ كُلَّهُ ﴿تَبَارَكَ﴾ تَعَاظَمَ ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ مَالِكِ ﴿الْعَالَمِينَ﴾.

[٥٥] ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حَالًا؛ تَذَلُّلًا وَخُفْيَةً ﴿سِرًّا﴾ إِتْمَامًا لَا يُجِزُ الْمُتَعَدِّينَ ﴿فِي الدُّعَاءِ﴾ بِالتَّشَدُّقِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ.

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بَعَثَ الرِّسَالَ وَأَدْعَاهُ حَقًّا مِنْ عِقَابِهِ وَطَمَعًا فِي رَحْمَتِهِ ﴿إِنْ رَحِمَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِمَّنْ الْمُحْسِنِينَ﴾ الْمُطِيعِينَ، وَتَذَكُّيرٌ ﴿فَقَرِيبٌ﴾ الْخَبِيرُ بِهِ عَنْ ﴿رَحْمَتِ﴾ لِإِضَافَتِهِ إِلَى اللَّهِ.

[٥٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [نُشْرًا]<sup>(١)</sup> يَبِّتُ يَدَى رَحْمَتِهِ: أَيٍّ: مُتَفَرِّقَةً فُتَامَ الْمَطَرِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِسُكُونِ الشَّيْنِ تَخْفِيفًا<sup>(٢)</sup>، وَفِي أُخْرَى: بِسُكُونِهَا وَفَتْحِ النَّونِ مَعْدَّةً<sup>(٣)</sup>، وَفِي أُخْرَى: بِسُكُونِهَا وَضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ بَدَلِ النَّونِ<sup>(٤)</sup>؛ أَيٍّ: مُبَشِّرًا، وَمُفَرِّدُ الْأَوَّلَى: «نُشُورٌ» كـ «رَسُولٌ»، وَالْأَخِيرَةُ<sup>(٥)</sup>: «بَشِيرٌ» ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَحَ﴾ حَمَلَتْ الرِّيَّاحُ ﴿سَحَابًا يَقْرَأُ﴾ بِالْمَطَرِ

وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَهُ عَلَىٰ هُدًى وَرَحْمَةٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ شَكَّوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ تُزَادُ قَدْ نَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْثِي الْبَلَاءَ لِيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنْ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا لِيَدَّبَّرَ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَاهُ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿سُقْنَتُهُ﴾ أَيٍّ: السَّحَابِ، وَفِيهِ التَّفَاتُ عَنْ الْغَيْبَةِ ﴿لِيَكْلِمَ مَيِّتٍ﴾ لَا نَبَاتَ بِهِ؛ أَيٍّ: لِإِحْيَائِهَا ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ﴾ بِالْبَلَدِ ﴿الْمَاءَ﴾ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴿بِالْمَاءِ﴾ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ الْإِخْرَاجُ ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ مِنْ قُبُورِهِم بِالْإِحْيَاءِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ هُنُوْمُونَ.

(١) إِنْ كَانَ الْمُصَنِّفُ يَرِيدُ بِذَلِكَ تَقْوِيسَ كَيْفِيَةِ اسْتِزْوَاجِ هَذَا حَقٍّ، كَمَا قَالَ مَالِكٌ: «... وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ»، وَأَمَّا إِنْ كَانَ يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ مَعْنَى اسْتِزْوَاجِ نَفْسِهِ مَجْهُولٌ، فَيَكُونُ فِرَازًا مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْعُلُوِّ وَالْإِسْتِزْوَاجِ عَلَى الْعَرْشِ؛ إِذْ إِنَّ كَلَامَ السَّلَفِ فِي مَعْنَى اسْتِزْوَاجِ أَنَّهُ الْعُلُوُّ وَالْإِرْفَاعُ وَالِاسْتِقْرَارُ.

(٢) بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ، وَلَا يَزِمُهُ فَتْحُ الْبَاءِ قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسَاءُ وَشُعْبَةٌ.

(٣) بِالرَّفْعِ فِي الْأَرْبَعِ الْكَلِمَاتِ قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ.

(٤) وَهَذَا صَرَفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَتَطْوِيلُ لَصِفَةِ الْأَمْرِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ كَلَامُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ، وَهُوَ غَيْرُ الْقُدْرَةِ.

(٥) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو.

(٦) لِابْنِ عَامِرٍ.

(٧) لِحِمَزَةِ وَالْكَسَاءِ.

(٨) وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ.

(٩) فِي نَسْخَةِ مَطْبُوعَةٍ: «وَالْآخِرَةُ».

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ وَيَأْذِنُ رَبُّهُ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يُخْرِجُ  
إِلَّا نَكَبًا كَذَلِكَ نَضْرِبُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾  
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ  
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾  
قَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا  
لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾  
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصِّحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ  
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْحَيْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ  
عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيَذُرَكُمْ وَلِتَلْزَمُوا وَاعِدَكُمْ تَرْجَمُونَ  
(٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَجْتَبَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ  
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ \* وَإِلَى  
عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ  
غَيْرُهُ وَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ  
إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ﴿٦٦﴾  
قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

[٥٨] ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرِجُ نَبَاتُهُ﴾ حسناً ﴿يَأْذِنُ﴾

رَبِّهِ ﴿هَذَا مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ بِسَمْعِ الْمَوْعِظَةِ فَيَنْتَفِعُ بِهَا﴾ وَالَّذِي خَبَتْ ﴿تَرَابُهُ﴾ لَا  
يَخْرِجُ ﴿نَبَاتَهُ﴾ إِلَّا نَكَبًا ﴿غَيْرًا بِمَشَقَّةٍ، وَهَذَا مَثَلٌ لِلْكَافِرِ﴾ كَذَلِكَ ﴿كَمَا  
يَكُنُّ مَا ذُكِرَ﴾ نَضْرِبُ ﴿نُبِّينَ﴾ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿اللَّهُ فَيُؤْمِنُونَ﴾  
[٥٩] ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ  
يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿بِالْجُرْ﴾ صفة لـ ﴿إِلَهِهِ﴾، وبالرفع  
بدل من محله ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾  
هو يوم القيامة.

[٦٠] ﴿قَالَ الْمَلَأَمِنْ﴾ الأشراف ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ  
يَقِينُ.

[٦١] ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ هي أعم من الضلال؛ فيها أبلغ  
من نفيه ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٦٢] ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصِّحُ﴾  
أريد الحيز ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٦٣] ﴿أُ﴾ كذبتم ﴿وَوَعَّيْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾  
عَلَى لِسَانِ ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيَذُرَكُمْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿وَلِتَلْزَمُوا﴾ اللَّهُ  
﴿وَلَقَدْ كُذَّبْتُمْ﴾ بها.

[٦٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَجْتَبَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من الغرق ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة  
﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا  
عَمِينَ﴾ عن الحق.

[٦٥] ﴿وَوُ﴾ أُرسلنا ﴿إِلَى عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَلْمَأَمِنْ هُودًا﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا  
عِبَادُ اللَّهِ ﴿وَحُدُودُهُ﴾ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿تَخَافُونَهُ فَتُؤْمِنُونَ﴾.

[٦٦] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ  
جهالة ﴿وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذَّابِينَ﴾ في رسالتك.

[٦٧] ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) وهي قراءة الكسائي.

(٢) بالتخفيف قراءة أبي عمرو.

(٣) وهم قوم نبي الله هود عليه السلام؛ كما جاء وصفهم بذلك في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا أَمْطًا غَاسِقًا الْأَوَّلَ﴾ [النجم: ٥٠]، وأما عاد الآخرة، وهم المعنويون بـ «عاد» عند الإطلاق. فهم

«نمود» قوم بني الله صالح عليه السلام.

[٦٨] ﴿أَتُفْسِدُكُمْ وَسَخَّرْتُ لَكُمْ نَاصِحَ أَمِينٍ﴾ مَأْمُونٌ عَلَى الرِّسَالَةِ.  
 [٦٩] ﴿أَوْ يَحْسَبُ أَنْ جَاءَهُ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَى لِسَانٍ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً قُوَّةً وَطَوْلًا، وَكَانَ طَوِيلُ يَوْمِهِمْ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَقَصِيرُ يَوْمِهِمْ سِتِينَ<sup>(١)</sup>﴾ فَذَكُرُوا أَلَاءَ اللَّهِ نِعْمَةً لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ تَفُوزُونَ.  
 [٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا إِيمَاءٌ﴾ بِه مِنَ الْعَذَابِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِكَ.

[٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وَجِبَ ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ عَذَابٌ وَعَظْبٌ أَتَجِدُلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أَي: سَمَّيْتُمْ بِهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ أَصْنَامًا تَعْبُدُونَهَا ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أَي: بِعِبَادَتِهَا ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حُجَّةً وَبِرْهَانٍ ﴿فَانظُرُوا﴾ الْعَذَابَ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنَظِّرِينَ﴾ ذَلِكَ بِكَذِبِكُمْ لِي؛ فَأَرْسَلْتُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ.  
 [٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ أَي: هُوَذَا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿يَرْجِعُهُمْ إِنَّا وَقَعْنَا دَايِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أَي: اسْتَغْلَاهُمْ ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿كَذَبُوا﴾.

[٧٣] ﴿وَوُكِّلَ﴾ أَرْسَلْنَا ﴿إِلَى ثَمُودَ﴾ بِتَرْكِ الصَّرْفِ<sup>(٢)</sup>؛ مَرَادًا بِه الْقَبِيلَةَ ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوِّرُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مَعِجزةٌ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ عَلَى صَدَقِي هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ حَالٌ، عَامِلُهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ، وَكَانُوا سَأَلُوهُ أَنْ يَخْرِجَهَا لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ غَشَّيْهَا ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ﴾ بِعَقْرِ أَوْ ضَرْبٍ ﴿فِيَاخُذْكُمْ عَذَابُ الْيَمْرِ﴾

أَتُفْسِدُكُمْ رَسَلَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ يَحْسَبُ أَنْ جَاءَهُ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَذَكُرُوا أَلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا إِيمَاءٌ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَظْبٌ أَتَجِدُلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ حُجَّةً وَبِرْهَانٍ فَانظُرُوا الْعَذَابَ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنَظِّرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَرَحِمَةً مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوِّرُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مَعِجزةٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى صَدَقِي هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَاخُذْكُمْ عَذَابُ الْيَمْرِ ﴿٧٣﴾

(١) تحديد طول أطولهم وأقصصرهم على هذا النحو مخالف لما جاء في الصحيح في وصف آدم عليه السلام؛ ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن». البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١). فهذا الحديث صريح في أنه ليس بعد آدم من هو أطول منه.

(٢) أي بالبيع من الصرف؛ للعلمية والثابت.

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ  
فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ  
الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي  
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ  
قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعْفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ  
أَنْ صَلَحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ  
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي  
ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٨﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ  
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آتِنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ  
مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٩﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
جَاشِمِينَ ﴿٨٠﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ  
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ  
﴿٨١﴾ وَلَوْ طَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ  
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ  
شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٤] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾

وَبَوَّأَكُمْ ﴿أسكنكم﴾ في الأرض تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا ﴿تسكنونها في الصيف﴾ وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴿تسكنونها في الشتاء﴾ ونصبه على الحال المقدره <sup>(١)</sup> ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

[٧٥] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ تَكَبَّرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعْفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: من قومه، بدل مما قبله لإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَلَحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ إليكم ﴿قَالُوا﴾: نعم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

[٧٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم، فَعَلُوا ذَلِكَ.

[٧٧] ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ عقرها ﴿فَدَاؤُهَا﴾ <sup>(٢)</sup> بأمرهم؛ بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آتِنَا بِمَا نَعِدُنَا﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٧٨] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاشِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾.

[٨٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لَوْطًا﴾ وَيُذِلُّ مِنْهُ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ﴾ أي: أذبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الإنسان والجن.

[٨١] ﴿إِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال الألف بينهما على الوجهين، وفي قراءة: ﴿إِنَّكُمْ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿منجاوزون الحلال إلى الحرام﴾.

(١) أي تدحرجتها مقدرين جعلها بيوتاً لكم.

(٢) ابن سالف.

(٣) قرأ السبعة علدا نافع وحفص بهزتين على لفظ الاستفهام، الذي في معناه التوبيخ، غير أن ابن كثير يسهل الهمزة الثانية بين الهمزة والياء، وكذلك أبو عمرو لكنه يدخل بين الهمزتين ألفاً فيمد، وهشاماً يدخل بين الهمزتين ألفاً مع تخفيفهما، بخلاف عنه، وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعتين في كلمة، الثانية منهما مكسورة، ومع موافقة نافع لابن كثير موافقة قالون لأي عمرو وهشام.



[٨٢] ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي: لو طأ وأتباعه ﴿وَمِنْ قَوْمِكُمْ إِتَمَّ نَاسٌ يُظَاهَرُونَ﴾ من أديار الرجال.

[٨٣] ﴿فَانْجَيْنَا وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ مِنْ الْغَائِبِينَ﴾ الباقين في العذاب.

[٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل؛ فأهلكتهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْ إِلَهِكُمْ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صديقي ﴿فَأَوْفُوا﴾ أتموا ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا﴾ تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بيعت الرسل ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مريدي الإيمان فبادروا إليه.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو العكس<sup>(١)</sup> منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفَرْتُمْ﴾ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُ الْمُفْسِدِينَ قبلكم بتكذيب رسلهم؛ أي: آخر أمرهم من الهلاك.

[٨٧] ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ فاصبروا وانتظروا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم بإنجاء الحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم.

وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يُظَاهَرُونَ ﴿٨٣﴾ فَانْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٧﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٨﴾

(١) المكس (يفتح الميم وسكون الكاف): الضريبة، والجباية والإتاوة التي تؤخذ بغير حق. وأصله في اللغة: الخيانة. و«المكاس»: هو أخذها.

وأخرج مسلم في صحيحه (١٦٩٥) في قصة رجم الغامدية: «... لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له...». وفي هذا دليل على عظم هذا الذنب وأن المكس من أقبح المعاصي والذنوب والموبقات؛ وذلك لكثرة مطالبات الناس له وظلامتهم عنده. كما ذكر النووي في شرحه على صحيح مسلم.

وأخرج أحمد في مسنده (١٦٨٤٣) وأبو داود في سننه (٢٩٣٧) من حديث عتبة بن عامر مرفوعاً: «لا يدخل الجنة صاحب مكس». وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٦٣١).

ملتهم قَطُّ، وعلى نحوه أجاب: ﴿قَالَ أَلَمْ نَعُودْ فِيهَا﴾ ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ لها؟! استفهام إنكار.

[٨٩] ﴿فَقَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِيثَاقًا بَكُومٍ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ الحاكمين.

[٩٠] ﴿وَقَالَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَيْنَ لَا قِسمَ﴾ لا قسم ﴿أَتَبْعُكُمْ شُعْبًا إِنْ كُنَّا إِذَا الْخَسِرُونَ﴾.

[٩١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَصَبَّحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِينَ﴾ باركين على الرُكَبِ ميتين ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ مبتدأ وخبره: ﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَنْتَوُوا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم.

[٩٢] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ كَانُوا هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق.

[٩٣] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَتٍ ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ ءاسَى﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَفِرِينَ﴾ استفهام بمعنى النفي<sup>(١)</sup>.

[٩٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ بشدة الفقر والسرَّاء المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون.

[٩٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَّوْا﴾ كثروا ﴿وَقَالُوا﴾ كفروا للنعمة: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ كما مسنا، وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه، قال - تعالى -: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بِقَتَّةٍ﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه قبله.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿فَقَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِيثَاقًا بَكُومٍ لَّنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَيْنَ أَتَبْعُكُمْ شُعْبًا إِنْ كُنَّا إِذَا الْخَسِرُونَ﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا لَمْ يَنْتَوُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءاسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَّوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[٨٨] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعن ﴿في مِلَّتِنَا﴾ ديننا، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد؛ لأن شعبيًا لم يكن في

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ المكذبن ﴿ءَامَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(١)</sup> ﴿عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ سَمَاءٍ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.  
[٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ المكذبن ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيْتَاتٍ﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ غافلون عنه.  
[٩٨] ﴿أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ أن يأتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى ﴿نَهَارًا﴾ وَهُمْ يَلْعَبُونَ.

[٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استدراجاً إليهم بالنعمة وأخذهم بغتة<sup>(٢)</sup> ﴿فَلَا يَأْتِيَنَّ مَكْرَهُ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ بين ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُوبُونَ﴾ الْآرْضُ بِالسَّكَنِ ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ هلاك ﴿أَهْلِهَا﴾ أَنْ ﴿فَاعِلٌ﴾ مخففة واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَوْ نَشَاءُ﴾ أَصْبَنَهُمْ بِالْعَذَابِ ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ كما أَصْبَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ، والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف، وفي قراءة: يسكون الواو في الموضع الأول<sup>(٣)</sup> عطفاً بـ ﴿أَوْ﴾ ﴿وَوَحْنٌ﴾ نَحْنُ ﴿نَطْبَعُ﴾ نَخْتُمُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ المعوضة سماع تدبير.

[١٠١] ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ التي مر ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ أخبار أهدبها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا﴾ كفروا به ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم، بل استمروا على الكفر ﴿كَذَلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أي: الناس ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ أي: وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق<sup>(٤)</sup> ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَشَّأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الرسل المذكورين ﴿مُوسَىٰ﴾ بِأَيَّتِنَا ﴿النَّسْعَ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ قومه ﴿فَقَالُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالكفر من إهلاكهم.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَّتَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴿٩٩﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٠﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُوبُونَ الْآرْضُ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠١﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ بَشَّأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِأَيَّتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٤﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٥﴾

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه -، وهي فيما سيق له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها، وكذا لا يشتق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع.

(٣) وهو قوله - تعالى -: ﴿أَوْ آمِنَ﴾، وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٤) وهم في صلب أبيهم آدم ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُ رَكِّبَكَ مِنْ تَحْتِ مَادَمَ مِنْ نُحُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنبَنَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكَ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

- [١٠٦] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ فيها.
- [١٠٧] ﴿قَالَ لَنْ عَصَاةٌ فَإِذَا هِيَ تُمْبَرُّ مِثْلَ﴾ حية عظيمة.
- [١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ﴾ ذات شعاع<sup>(١)</sup> ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة<sup>(٢)</sup>.
- [١٠٩] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر، وفي الشعراء: أنه من قول فرعون نفسه؛ فكانهم قالوه معه على سبيل التشاور.
- [١١٠] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَنْصَبِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.
- [١١١] ﴿قَالُوا أَرَبِئَّةٌ وَأُنْثَىٰ﴾ أخر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين.
- [١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ﴾ وفي قراءة: ﴿سَحَارٍ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿عَلِيمٌ﴾ يفضل موسى في علم السحر؛ فجمعوا.
- [١١٣] ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَأِتَيْنَاكَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين<sup>(٤)</sup> ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.
- [١١٤] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.
- [١١٥] ﴿قَالُوا يَكُونُ مِنَّا أَنْ تُلْقَىٰ﴾ عصاك ﴿وَيَمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُنْفِقِينَ﴾ ما معنا.
- [١١٦] ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حيالهم وعصبيهم ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَأَسْرَبُوهُمْ﴾ خوفهم؛ حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾.
- [١١٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل<sup>(٥)</sup>؛ تبتلع ﴿مَا يَدْفِكُونَ﴾ يقبلون بتمويههم.
- [١١٨] ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر.
- [١١٩] ﴿فَعُلِبُوا﴾ أي: فرعون وقومه ﴿هَٰذَا لَكُمْ أَنْتَقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾ صاروا ذليلاً.
- [١٢٠] ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾.

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ لَنْ عَصَاةٌ فَإِذَا هِيَ تُمْبَرُّ يَدَهُ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَنْصَبِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرَبِئَّةٌ وَأُنْثَىٰ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٌ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَكُونُ مِنَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَمِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ الْفَوَاقِلَمَا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعُلِبُوا هَٰذَا لَكُمْ أَنْتَقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾

- [١٠٥] فكذبه فقال: أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ وفي قراءة: بتشديد الياء<sup>(١)</sup>، فه ﴿حَقِيقٌ﴾ مبتدأ خبره: ﴿وَأَنْ﴾ وما بعده.
- ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وكان استغنى عنهم.

(١) مع فتحها، أي: بياء ﴿عَلَىٰ﴾ من قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ وهي لنافع.

(٢) من غير برص ولا مرض.

(٣) أي: السمة.

(٤) لحمة والكساية.

(٥) ظاهر كلام المصنف يفيد أن هنا قراءتين فقط، مع أنها أربع. فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقيت خامسة وهي ﴿إِنَّ﴾ بهمزة واحدة، وهي قراءة نافع وابن كثير وحفص، أما قراءة الاستفهام فهي لباقي السبعة، على أصل كل واحد كما سبق ذكره في: ﴿إِنَّكُمْ لَأَتُونَ﴾.

(٦) أي: وأصلها: تتلف، وهي قراءة السبعة عدا حفص.



نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وَلَنْ نُصِيبَهُمْ سَيْئَةً﴾ جذب وبلاء ﴿يَظُنُّوٓا۟﴾ يتشاءموا ﴿يُمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُٓ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من عنده.

[١٣٢] ﴿وَقَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم.

[١٣٣] ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخن بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ السوس، أو نوع من القزاد<sup>(١)</sup> ففتبع ما تركه الجراد ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَالدَّمَ﴾ في مياههم ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ مبینات ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يما عهد عندك ﴿من كشف العذاب عنا إن آمنا﴾ ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرِيَنَّكَ مَلَكًا مِنْ رَبِّكَ﴾.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ يَلْفُوهٖ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

[١٣٦] ﴿فَلَنَقَمَنَّهُمْ مِنْهُمْ فَاعْرِفْنَاهُمْ فِي آيَةِ﴾ البحر المالح ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرونها.

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ﴾ بالاستعباد؛ وهم: بنو إسرائيل ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر صفة

للأرض؛ وهي: الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله - تعالى -: ﴿وَرُبِّيذِلَّ أَنْ تَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup> إلخ ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا﴾ على أذى عدوهم ﴿وَدَمَّرْنَا أَهْلَكُنَا﴾ ما كانت

يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنَ الْعِمَارَةِ ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ بكسر

الراء وضمها<sup>(٣)</sup>؛ يرفعون من البنيان.

فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ۗ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ۖ إِنَّمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَيْنَ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرِيَنَّكَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ يَلْفُوهٖ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْقَمَيْنَا مِنْهُمْ فَاعْرِفْنَاهُمْ فِي آيَةِ ۖ نَحْنُ الْبَحْرُ الْمَلْحُ ۖ يَأْتِيهِمْ مِنْهُمُ فَاعْرِفْنَاهُمْ فِي آيَةِ ۖ يَأْتِيهِمْ كَذِبُ آبَائِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ الحصب والغنى ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي:

(١) وقيل: هو القمل المعروف.

(٢) القصص: ٥٠.

(٣) بالضم قراءة شعبة وابن عامر.

وَجَوْرًا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُمُونَ  
عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا  
لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ  
مَّا هُمْ فِيهِ وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ  
أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَبْحَمْتَ  
مِّنَ الْفِرْعَوْنَ يَسْأَلُكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ يَفْتَلُونَ  
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ  
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً  
وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِّمَّنْ رَّبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ  
مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ  
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ  
رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِن  
أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا  
تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا فَلَمَّا  
أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

[١٣٨] ﴿وَجَوْرًا﴾ عِزًّا ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ فَأَتَوْا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُمُونَ﴾ بضم الكاف وكسر هاء ﴿عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ صنعا نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه. ﴿١٣٩﴾ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ﴾ هالك ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٤٠] ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾ معبودا، وأصله: أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في زمانكم بما ذكره في قوله: ﴿١٤١﴾ ﴿وَإِذْ أَبْحَمْتَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَبْحَمْتَ﴾ وفي قراءة: ﴿أَبْحَمْتُ﴾ ﴿مِّنَ الْفِرْعَوْنَ يَسْأَلُكَ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سَوَاءَ الْعَذَابِ﴾ أشده، وهو: ﴿يَفْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يشفقون ﴿فِي ذَلِكُمْ﴾ الإنجاء والعذاب ﴿بَلَاءٌ﴾ إتمام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أفلا تتعظون فتنهوا عما قلتم؟.

[١٤٢] ﴿وَوَعَدْنَا﴾ باللف ودونها ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ نكلمه عند انتهائها بأن يصومها وهي: ذو القعدة، فصامها، فلما تمت أنكر تخلف ﴿فِيمَ﴾؛ فاستأجره؛ فأمره الله بعشرة أخرى ليكمل له بخلاف فيه؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حال ﴿لَيْلَةً﴾ تمييز ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة: ﴿أَخْلُفْنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أترهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بموافقتهم على المعاصي.

[١٤٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا واسطة كلاما سمعه من كل جهة ﴿١٤٣﴾ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نفسك ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَن تَرِنِي ﴿أَي: لا تقدر على رؤيتي، والتعبير به دون «لَن أَرَى» يفيد إمكان رؤيته - تعالى - ﴿وَلَكِن أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ ثُبْتُ﴾ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ﴿أَي: تثبت رؤيتي، وإلا فلا طاقة لك.﴾

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ أي: ظهر من نوره قَدْرُ نَضْفِ أَثْمَلَةِ الْخَنْصَرِ؛ كما في حديث صححه الحاكم <sup>(١)</sup> ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بالقصر والمد <sup>(٢)</sup>؛ أي: مذكوكا مستويا بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا﴾ مغشيا عليه لهول ما

رَأَى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ تنزيها لك ﴿ثُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من سؤال ما لم أؤمر به ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زمانِي.

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) لابن عامر.

(٣) بدون ألف قراءة أبي عمرو.

(٤) أخرجه الديلمي عن ابن عباس مرفوعا. [الدر المنثور (٥٣٦/٣)].

(٥) وهذا فرار من المفسر من إثبات الجهة والعلو بذاته. شيعائه، كما هو منهج الأشاعرة، وأما عند أهل السنة: فهم مجمعون على إثبات هذا العلو، ومهم من ثبت الجهة لكن بقصدون بذلك إثبات العلو، ومنهم من قال في الجهة والمكان: لا ينبغي إثباتهما ولا فصلهما مطلقا. يعني يستفصل القائل بذلك عن مراده؛ فإن أراد نفي العلو أو غيره من المعاني الباطلة رد قوله، وإن أراد بذلك إثبات العلو، وافقناه، وهذا هو الصحيح - إن شاء الله.

(٦) المستدرک (٣٢٠/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعا ذكر طرف الخنصر.

وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) عن أنس مرفوعا ذكر أكمة الإصبع، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٨).

وفي طلال الجنة (٤٨١) (أنه أخرج طرف الخنصر، وصححه الألباني).

وفي طلال الجنة (٤٨٠) (وضع إبهامه على قريب من طرف أظلمته)، وصححه الألباني.

(٧) بالمد قراءة حمزة والكسائي.

[١٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَامِ﴾ أي: ألواح التوراة، وكانت من صدر الجنة، أو زبرجد، أو زمرد، سبعة أو عشرة<sup>(١)</sup> ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ تبيينًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بدل من الجار والمجرور ﴿قَبْلَهُ﴾ فنحنها ﴿قَبْلَهُ﴾ قلنا مقدارًا ﴿يَقُودُوا﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَمْرًا قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه؛ وهي: مصر؛ لتعبروا بهم.

[١٤٦] ﴿سَاصِرُفٌ عَنْ عَابَتِي﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بأن أخذناهم؛ فلا يتكبرون فيها ﴿وَلَنْ يَرَوْا كُلاًَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئًا﴾ طريق ﴿الرُّشْدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلكوه ﴿وَلَنْ يَرَوْا سَيِّئًا﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ذلك ﴿الْصَّوْفِ﴾ بأنهم كذبوا بآياتنا وكافروا بها ﴿عَفْلِينَ﴾ تقدم مثله.

[١٤٧] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَاجِلٌ﴾ بطلت ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير؛ كصلة رحم وصدقة؛ فلا ثواب لهم<sup>(٢)</sup>؛ لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ﴾ إلّا جزء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي.

[١٤٨] ﴿وَأَتَّخِذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنْ ثُلَيْثِهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلية غوس<sup>(٣)</sup>؛ فبقى عندهم ﴿عِجْلًا﴾ صاعه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾ بدل؛ لحما ودما ﴿لَهُمْ خَوَارٌ﴾ أي: صوت يسمع؛ انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه؛ فإن أثره الحياة فيما يؤصغ فيه<sup>(٤)</sup>، ومفعول ﴿أَتَّخَذَ﴾ الثاني محذوف؛ أي: إلها ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذونها؟ ﴿أَتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ باتخاذ.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سَيطَ فِي آيَاتِهِمْ﴾ أي: ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوْا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا﴾ بها، وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما<sup>(٥)</sup> ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَامِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٦﴾ سَاصِرُفٌ عَنْ عَابَتِي الَّذِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَأَتَّخِذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا سَيطَ فِي آيَاتِهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا قَالُوا لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾

[١٤٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالَتِي﴾ بالجمع والإفراد<sup>(١)</sup> ﴿وَبِكَلِمِي﴾ أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لأنعمي.

(١) بالإفراد قراءة نافع وابن كثير.

(٢) والصحيح عدم تحديد شيء من ذلك من غير دليل.

(٣) في الآخرة؛ لعدم إيمانهم، ولكنهم يجازون عليه في الدنيا حتى إذا أقضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها. رواه مسلم (٢٨٠٨).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين، وظاهر الآية يقتضي أن الخلق ملك لهم؛ وأن الإضافة في قوله: ﴿ثُلَيْثِهِمْ﴾ هي إضافة الملك. لكن قولهم في آية طه: ﴿ثُمَّ لَمَّا أَوْرَازُكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [طه: ٨٧] بإضافة الزينة إلى غيرهم وهم القبط يعكر على ذلك. وأجيب بأن قولهم يحتمل أن يكون لظنهم الحرمة لجهلهم؛ وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٥) أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَتَّخِذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. قال: حين دفنوها ألقي عليها السامري قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام. [الدر المنثور (٢٣٤/٣)].

(٦) بالتاء قراءة حمزة والكسائي، وعلى قراءة الباء يكون ﴿وَرَحْمَتَنَا﴾ مرفوعًا على الفاعلية، وعلى قراءة التاء يكون منصوبًا على النداء.



وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَتَعْبُدُونَ إِلَّا مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿١٥٠﴾  
 أَخِيهِ يَحْنُكُ قَالَ بَلْ يَنْفَكُ عَنْ أَهْلِكَ وَإِنَّ الْقَوْمَ لَاسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِالْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْأَعْيُنِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْسِدِينَ ﴿١٥٣﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٤﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُجَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٥﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمَاتٍ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَنُتَلِّكُهُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٦﴾

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: ﴿بِئْسَمَا﴾ أي: بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ ها ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ خلافتكم هذه؛ حيث أشركتكم ﴿أَتَعْبُدُونَ إِلَّا مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (١) ﴿الْوَابُ﴾ الثَّوَرَةُ غَضْبَانُ لِرَبِّهِ؛ فَكَسَرَتْ ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعره يمينه، ولحيته بشماله ﴿يَجْرُهُ إِلَيْهِ﴾ غَضْبَانًا ﴿قَالَ﴾: يا ﴿أَبْنُ أُمِّكَ﴾ بكسر الميم (٢) وفحتها؛ أَرَادَ: أُمِّي، وَذَكَرَهَا أَغْطَفَ لِقَلْبِهِ ﴿إِنَّ الْقَوْمَ لَاسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا قَارِبُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ﴾ تُفْرَحُ ﴿بِالْأَعْدَاءِ﴾ يَا هَانِكُ لِيَاي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ عبادة العجل في المواجهة.

[١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِإِخِي﴾ أشركته في الدعاء؛ إرضاءً له ودفعاً للشتمات به ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١٥٢] قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ﴾ عَذَابٌ (٣) ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْأَعْيُنِ﴾ فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم، وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهاهم ﴿نَجْزِي الْمُفْسِدِينَ﴾ على الله؛ بالإشراك وغيره.

[١٥٣] ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا عنها ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: التوبة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ﴾ التي ألَّفها ﴿وَفِي سُجَّتِهَا﴾ أي: ما نسخ فيها؛ أي: كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول؛ لنقدمه.

[١٥٥] ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره - تعالى - ﴿لِيَقْبَلُوا﴾ أي: لوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه؛ ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل؛ فخرج بهم ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزالوا قومهم حين عبدوا العجل. قال: وهم غير الذين سألوهم الرؤية وأخذتهم الصاعقة (٤)، ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل خروجي

بهم؛ ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَإِنِّي أَنُتَلِّكُهُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي﴾؟ استفهام استعطاف؛ أي: لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي: الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ أضلاله ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ هدايته ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ متولي أمورنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

(ه) فائدة: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة؛ إن الله ﷻ أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت». (المسند ٢٧١/١)، وصرحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٤).

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة.  
 (٢) تأويل الغضب من الله بالعذاب هذا مذهب المعتزلة، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به، ومن لازمها استحقاقهم العذاب.  
 (٣) أخرج عبد بن حميد وابن أبي عمير العذني في مسنده وابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم يرضوا بالعجل ولم يهوا عنه. قلت: ولكن أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن نوف الكعبي ما يفيد أنهم هم الذين سألوهم الرؤية. انظر: [الدر المنثور ٢٣٨/٣: ٢٣٩].

﴿وَأَكْتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا أَلَيْنَاكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۖ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

الْآخِرَةَ ﴿حَسَنَةً﴾ إِنَّا هُنَا ﴿ثَبَاتًا﴾ ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ - تعالى :- ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ غَشَتْ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٥٦] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ محمدًا ﷺ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ ما حرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ من الميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الشدائد ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كفتل النفس من التوبة، وقطع أثر النجاسة ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ ووقَّروه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ واتبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴿أَي: القرآن﴾ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[١٥٨] ﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الذي لَمْ تَلِدْ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترشدون.

[١٥٩] ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ﴾ وبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿في الحكم﴾.

[١٥٦] ﴿وَأَكْتَبْنَا﴾ أَوْجَبَ (١) ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

(١) وفيه إِبْطَاتٌ لصفحة الكتابة له سبحانه - على الوجه اللاتني به، كما سبق التنبية عليه.

[١٦٠] ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِرْقَانَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ «أَتَقَى عَشْرَةٌ» حَالٌ ﴿أَسْبَاطًا﴾ بَدَلٌ مِنْهُ، أَيْ: قِبَالٌ ﴿أَمَّا﴾ بَدَلٌ مِمَّا قَبْلَهُ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ فِي التِّيهِ ﴿أَبِ أَضْرِبِ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فَضْرَبَهُ ﴿فَأَنبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بَعْدَ الْأَسْبَاطِ ﴿فَدَعَا كُلُّ نَاسٍ إِلَىٰ طَبَائِفِهِ﴾ سَبَطُ مِنْهُمْ ﴿مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ فِي التِّيهِ، مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَرَ وَالسَّلَوتَ﴾ هُمَا التَّرْجِيحُ<sup>(١)</sup> وَالطَّيْرُ السَّمَانِي - بِخَفِيفِ الْمِيمِ وَالْقَصْرِ - وَقُلْنَا لَهُمْ: ﴿كُونُوا مِنْ طَبَائِفِ مَا رَزَقْنَكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦١] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِ الْفِرْيَةِ أَشْكُوا﴾ «إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ» يَتِ الْمَقْدِسَ ﴿وَكُنُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا: أَمْرًا﴾ حِطَّةً وَأَدْخَلُوا الْبَابَ ﴿أَيْ: بَابَ الْقَرْيَةِ﴾ سَجْدًا ﴿سَجَدُوا انْحَاءً﴾ تَغَيَّرَ بِالنَّوْنِ وَالنَّاءِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ<sup>(٢)</sup> ﴿لَكُمْ خُطْبَتَيْنِ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِالطَّاعَةِ ثَوَابًا.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فَقَالُوا: حِيَّةٌ فِي شَعْرَةٍ. وَدَخَلُوا يَرْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهُمْ<sup>(٣)</sup> ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْرًا﴾ عَذَابًا ﴿وَمِنَ السَّمَاءِ يَمَاسُ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦٣] ﴿وَسَأَلْنَاهُمْ يَا مُحَمَّدُ تَوْبِيحًا﴾ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ، مُجَاوِرَةً لِبَحْرِ الْقَزَامِ؛ وَهِيَ: «أَبْلَةُ»، مَا وَقَعَ بِأَهْلِهَا ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يَتَعَدُّونَ ﴿فِي السَّبْتِ﴾ بِصَيْدِ السَّمَكِ الْمَأْمُورِينَ بِتَرْكِهِ فِيهِ ﴿إِذْ﴾ ظَرْفٌ لـ ﴿يَعْدُونَ﴾ ﴿تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ ظَاهِرَةٌ عَلَى الْمَاءِ ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ﴾ لَا يَعْظُمُونَ السَّبْتَ؛ أَيْ: سَائِرَ الْأَيَّامِ ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابْتِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ ﴿كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ وَلَمَّا صَادُوا السَّمَكَ افْتَرَقَتِ الْقَرْيَةُ ثَلَاثًا؛ ثَلَاثُ صَادُوا مَعَهُمْ، وَثَلَاثُ تَبْلُوهُمْ، وَثَلَاثُ أَمْسَكُوا عَنِ الصَّيْدِ وَالتَّهْمِي.

وَقَطَعْنَاهُمْ أَتَقَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أَمَّا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَأَنبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدَّرْنَا كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا سَاعِيَهُمْ أَلَمَنَ وَالسَّلَوتَى كُلُّهُنَّ طَبَائِفُ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَأَدْخَلُوا الْبَابَ سَجْدًا تَغَيَّرَ لَكُمْ خُطْبَتَيْنِ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْرًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَاسُ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلْنَاهُمْ يَا مُحَمَّدُ تَوْبِيحًا عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَتَأْتِيهِمْ سَائِرَ الْأَيَّامِ لَا تَأْتِيهِمْ ابْتِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

(هـ) فائدة: أخرج مسلم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن النبي ﷺ أن: «الْكُفَاةُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ». مسلم - كتاب الأشربة (٣٦) باب (٢٨) فضل الكفاة ومداواة العين بها.

(هـ) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: قال لبي إسرائيلي: «وَأَدْخَلُوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةً» فدخلوا يرحفون على أستاههم، فبدلوا، وقالوا: حطة حية من شعيرة البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الأعراف (٧).

(١) وهو شيء حلوا كان ينزل عليهم مثل التلج.

(٢) بالناء لابن عامر ونافع، لكن ابن عامر قرأ ﴿خُطْبَتَيْنِ﴾، بالإفراد، وقرأ أبو عمرو بالنون كالباقين لكنه قرأ ﴿خُطْبَتَيْنِ﴾ من غير تاء على الجمع المكسر لخطيئة، كالذي في سورة البقرة.





معاندة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقُونَ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الواردة بها الحديث<sup>(١)</sup>، و﴿الْحُسْنَىٰ﴾ مؤنث «الأحسن» «قَادَعُوهُ» سَمُّهُ «يَهَا» وَدَرُوا، اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْجِدُونَ﴾ من ألحد ولحد<sup>(٢)</sup>؛ يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمِيَةٍ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لأهلهم؛ كاللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان «سَيَجْزُونَ» في الآخرة جزاء «مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ» وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٨١] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ هم أمة محمد ﷺ؛ كما في حديث<sup>(٣)</sup>.

[١٨٢] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَاقِبَتِنَا﴾ القرآن من أهل مكة «سَنَسْتَدْرِجُهُم» نأخذهم قليلاً قليلاً «وَمِنَ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ».

[١٨٣] ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أمهلهم «إِنِّي كَذِيتُ مَبِيتٍ» شديد لا يطاق.

[١٨٤] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا «مَا يَصَاحِبُهُمْ» محمد ﷺ «وَمِنَ حَيْثُ» جنون «إِنْ» ما «هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» ينذر الإنذار.

[١٨٥] ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ ملك «السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» في «مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» بيان له «مَا»؛ فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانته ﴿وَمَا فِي أُنْ﴾ أي: أنه «عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ اقْتِرَابٌ قَرِيبٌ» «الْجَهَنَّمَ» فيموتوا كفاراً؛ فيصبروا إلى النار؛ فيبادروا إلى الإيمان «فَيَأْتِي حَرِيدٌ بَعْدُ» أي: القرآن «يُؤْمِنُونَ».

[١٨٦] ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَا هَادِي لَمْ وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء والنون، مع الرفع<sup>(٤)</sup> استئنافاً، والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء «فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ» يترددون تحيراً.

[١٨٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ﴾ أي: أهل مكة «عَنِ السَّاعَةِ» القيامة «أَيَّانَ» متى «مُرْسَهَا قُلْ» لهم: «إِنَّمَا عَلَيْهَا» متى تكون «عِنْدَ رَبِّي لَا يَجْعَلُهَا» يظهرها «لَوْفَهَا» اللام بمعنى: في «إِلَّا هُوَ تَنَلَّتْ» عظمت «فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» على أهلها؛ لهرلها «لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَنَةً» فجاءه «يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَيٌّ» مبالغ في السؤال «عَنْهَا» حتى علمتها «قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ» تأكيد «وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» أن علمها عنده - تعالى -.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ قَادَعُوهُمَا وَدَرُوا الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي أَسْمِيَةٍ سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ أَنِ كِيدِي مَتَبِئٍ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ حَيْثُ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفِّيَّهَا إِلَّا هُوَ تَنَلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَنَةً يُسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

[١٧٩] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله؛ بصر اعتباري «وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا» الآيات والمواعظ سماع تدبير واتعاظ ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع «بَلْ هُمْ أَضَلُّ» من الأنعام؛ لأنها تَطْلُبُ مَنَافِعَهَا وَتَهْرَبُ مِنْ مَضَارِّهَا، وهؤلاء يقدمون على النار

(١) بل الأسماء أكثر من ذلك ولا يخصصها إلا الله ﷻ؛ كما في حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِثْرُ عَبْدِكَ وَإِثْرُ أَفْئِكَ...» وفيه: «وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ تُسَمِّيهِ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْقَبْرِ عِنْدَكَ...» الحديث [رواه أحمد برقم (٣٧٠٤ - ٤٣٠٦)]. وأما حصر الأسماء في التسعة وتسعين في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره؛ فلم يصح.

(٢) يشير إلى الراءتين فيها، فيفتح الحاء قرأ حمزة، من «الحدة الثلاثي».

(٣) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هذه أمتي بالحق يحكمون ويقضون وأخذون ويعطون».

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ كان يقول إذا قرأها: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها» «وَمِنَ قَوْرِ مَوْحٍ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَعْدِلُونَ» [الأعراف: ١٥٩]. [الدر المنثور (٢/٢٧٧)].

(٤) بانون مع الرفع قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وبالياء مع الجزم قراءة حمزة والكسائي.

[١٨٨] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أجليه ﴿وَلَا ضَرًّا أَدْفَعُهُ﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ مَا غَاب عَنِّي ﴿لَنَسْتَكْثِرُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ من فقر وغيره؛ لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين وَبَشِيرٌ بالجنة ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٩] ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: آدم ﴿وَجَعَلَ خَلْقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ وبأنفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا﴾ هو النطفة ﴿فَحَمَلَتْ بِهِ﴾ ذهبت وجاءت؛ لحفته ﴿فَلَمَّا أَتَتْكَ﴾ بكبر الولد في بطنها، وأشفقا أن يكون بهيمة<sup>(١)</sup> ﴿دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِنْ آمَنَّا بِكَ﴾ ولذا ﴿صَلَحَا﴾ سويا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك عليه.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ ولذا ﴿صَلَحَا جَعَلَا لَكُم شُرَكَاءَ﴾ وفي قراءة: بكسر الشين والتنوين<sup>(٢)</sup>؛ أي: شريكا ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾ بتسميته عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله، وليس بإشراك في العبودية؛ لعصمة آدم<sup>(٣)</sup>.

وروى سمره عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا وَلَدَتْ حَوَاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ - وَكَانَ لَا يَعْشُقُ لَهَا وَلَدًا - فَقَالَ: سُبِّحَ عَبْدُ الْحَارِثِ؛ فَإِنَّهُ يَعْشُقُ؛ فَسَمَّيْتُهُ؛ فَعَاشَ؛ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرُهُ»<sup>(٤)</sup> إرواه الحاكم، وقال: صحيح. والترمذي وقال: حسن غريب. ﴿فَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: أهل مكة به من الأصنام، والجملة سببية عطف على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ وما بينهما اعتراض.

[١٩١] ﴿يُشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾. [١٩٢] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي: لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾ بمنعها من أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره، والاستفهام للتوبيخ. [١٩٣] ﴿وَإِنْ دَعَوْهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى الْمَدَى لَا يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٥)</sup> ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدْعَوْتَهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنْتَ صَاحِتُونَ﴾ عن دعائهم، لا يتبعوه؛ لعدم سماعهم.

[١٩٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ دَعَوْتَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا﴾ مملوكة ﴿أَتَأْتَلِكُمْ قَادُومُهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنها آلهة.

[١٩٥] ثُمَّ بَيَّنَّ غَايَةَ عِزِّهِمْ وَفَضْلَ عَابِدِهِمْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ جَمْعُ يَدٍ﴾ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ؟ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ استفهام إنكاري؛ أي: ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم؟! ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هلاكهم ﴿ثُمَّ يَكْذِبُونَ فَلَا تَنْظُرُونَ﴾ تمهلون؛ فإني لا أبالي بكم.

(١) يشير إلى ما ورد في بعض الأحاديث والآثار والتي يفهم منها أن المراد بهذا السياق آدم وحواء، وهي وإهية الإسناد معلولة كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره، ولا يعتمد عليها؛ إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مثبلة أهل الكتاب، ويُقَالُ لثمة من السلف لها، وذكر كثير من المفسرين لها لا يجدي في صحتها شيئاً كما أفاده أهل التحقيق.

(٢) لنافع وشعبة.

(٣) هذا الذي احتاره المفسر من أن الكلام في آدم وحواء، وفسروا الشرك بأنه تسمية الولد «عبدالحارث» لا في الصفة والرواية. وقال آخرون: إن ما في الآيتين لا يعني آدم وزوجته، بل يعم جنس الآدميين، وبين حال المشركين من ذريتهما، وهذا الذي يعمل عليه، فقوله - تعالى -: ﴿جَعَلَا لَكُم﴾؛ يعني: الجنسين؛ أي: الذكر والأنثى الكافرين، دل على هنا قوله تعالى بعدها: ﴿فَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ولم يقل: «الشركاء». قال القرطبي: هذا حسن. وروى ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى زرقهم الله أولاداً فهدودوا ونصروا... قال ابن كثير: وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رجحه الله - في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته. ١. هـ.

(٤) الترمذي (٣٠٠٣) وأحمد (١٩٢٥٨) وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٤٧٦٩).

(٥) بالتحفيف قراءة نافع.

إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَا آجِبْتَهُمْ قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإِيرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ نَضَعُ عَادُوهُمْ وَدُونَ الْجَاهِلِينَ مِّنَ الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنْ عِبَادَتِهِمْ وَيَسْتَحْسِنُونَ ﴿٢٠٦﴾

[١٩٦] ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١) فلا تقابلهم بسفاههم.

[٢٠٠] ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ أي: إن يصرفك عما أمرت به صارف ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بالفعل.

[٢٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ﴾ أصابهم ﴿طَافٌ﴾ (٢) وفي قراءة: ﴿طَافٌ﴾ أي: شيء ألم بهم ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الحق من غيره؛ فيرجعون.

[٢٠٢] ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ﴾ أي: إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمُدُّوهُمْ﴾ أي: الشياطين ﴿فِي الْغَىِّ تَذَكَّرُوا﴾ هم ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ يكفون عنه بالتبصر؛ كما تبصر المتقون.

[٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ أي: لأهل مكة ﴿يَنَابِهَ﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُوا لَا تَوْفَئْ لَنَا هَٰذَا﴾ ﴿أَجَبْتَهُمْ بِآيَةٍ﴾ أنشأنا من قبل نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَإِيرٌ﴾ حجج ﴿مِّنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٠٤] ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة (٣)، وعُزِّزَ عنها بالقرآن؛ لاشتغالها عليه، وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً (٤).

[٢٠٥] ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي: سراً ﴿نَضَعُ عَادُوهُمْ وَدُونَ الْجَاهِلِينَ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ أي: فصلاً بينهما ﴿بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر الله.

[٢٠٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنْ عِبَادَتِهِمْ وَيَسْتَحْسِنُونَ﴾ أي: الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِمْ وَيَسْتَحْسِنُونَ﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَمْ يَسْجُدُوا﴾ أي: يخلصونه بالخضوع والعبادة؛ فكونوا مثلهم.

\*\*\*

[١٩٦] ﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ﴾ متولي أموري ﴿الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ بحفظه.

[١٩٧] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فكيف أبالي بهم.

[١٩٨] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: الأصنام يا محمد ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم عيينة بن حصص بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس - وكان من نفر الذين يدينهم عمر - وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمر، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعينيه، فأذن له عمر. فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وفقاً عند كتاب الله. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الأعراف (٧) باب (٥)، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾.

(٢) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أخرج نحوه ابن مردويه عن ابن عباس، وأخرج نحوه أيضاً ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس، ففي هذه الآثار ما يفيد أن الإنصات للقرآن في الصلاة وللخطبة على السواء. [الدر المنثور (٢٨٧/٣)]، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨٧/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٦/٥)، والطبري في جامعه (١١٠/٩). والبيهقي في الكبرى (١٥٥/٢) وغيرهم من طرق عن مجاهد. وهو صحيح بمجموعها عن مجاهد.

(٤) ويدخل في ذلك دخولاً أولياً، مؤكداً الاستماع والإنصات للإمام إذا قرأ في الصلاة الجهرية، وهذا القول بالعموم هو الأرجح، واختاره غير واحد من المفسرين.



## سُورَةُ الْأَنْفَالِ

[مدنية، أو: إلا ﴿وإذ يصر بك﴾ الآيات السبع؛ فمكية، خمس أو ست أو سبع وسبعون آية، نزلت بعد البقرة<sup>(١)</sup>]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا؛ لأننا باشرنا القتال.

وقال الشيوخ: كنا ردنا لكم تحت الرايات، ولو انكشفتهم لقتلنا؛ فلا تستأثروا بها.

[١] فنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدٌ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلْ لَهُمُ: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ﴾ يجعلها حيث شاء ﴿وَالرَّسُولُ﴾ يقسمها بأمر الله<sup>(٢)</sup>؛ فقسمها ﷺ بينهم على السواء [رواه الحاكم في المستدرک<sup>(٣)</sup>] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وأصلحوا ذات بينكم، أي: حقيقة ما بينكم، بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿حَقًّا﴾ [٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي: وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ وإذا ثَلَّتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ رَأَدْتَهُمْ إِيَّانَا﴾ تصديقاً ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ به يثقون، لا بغيره. [٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقاً بلا شك ﴿هُمْ دَرَجَتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة. [٥] ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أخرج» ﴿وَأَنْ فَرِّقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرْهُوهُنَّ﴾ الخروج، والجملة حال من كاف ﴿أَخْرَجَكَ﴾ و﴿كَمَا﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم، وقد كان خيراً لهم؛ فكذاك أيضاً، وذلك أن أبا سفيان قدم يغير من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغتموها، فعلمت قريش، فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة؛ ليزبوا عنها؛ وهم: النفير، وأخذ أبو سفيان بالغير طريق الساحل؛ فنجت؛ فقبل لأبي جهل: ارجع. فأبى، وسار إلى بدر؛ فاشاور النبي ﷺ أصحابه، وقال: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ؛ فَوَافَقَهُ عَلَى قِتَالِ النَّفِيرِ<sup>(٤)</sup>»، وكره بعضهم ذلك، وقالوا: لم نستعد له. كما

## سُورَةُ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِّقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرْهُوهُنَّ ﴿٥﴾ يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ يَكْفِيتَهُ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

قال - تعالى: [٦] ﴿يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ القتال ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليه عياناً في كراهتهم له. [٧] ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ أي: البأس والسلاح؛ وهي: العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلعة عددها ومددها؛ بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾ يظهره ﴿يَكْفِيتَهُ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ آخرهم؛ بالاستئصال؛ فأمركم بقتال النفير [٨] ﴿لِيُخَيِّقَ﴾

(٥) ما جاء في نزول السورة: خرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عباد بن الصامت عن الأنفال فقال: فيها معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في الفل وسأيت فيه أخلاقنا. أحمد - المسند (٣٢٢/٥). وأخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي (٣٢٦/٢). وأخرج أحمد أيضاً عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتل سعيد بن العاص وأخذت سيفه - وكان يسمى ذا الكتيبة - فأنبت به نبي الله ﷺ قال: «ذهب فاطرحه في القبض» قال: فرجعت وبني ما لا يعمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلسي. قال: فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال. فقال لي رسول الله ﷺ: «ذهب فخذ سيفك». أحمد. المسند (١٨٠/١). وأخرجه مسلم. كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (١٢) الأنفال وفيه: نزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٥): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من فعل كذا وكذا فعل من النفل كذا وكذا». قال: فقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات، فلم يرموها، فلما فتح الله عليهم قال المشيخة: كنا ردنا لكم، لو انهزمت لقتلنا، فلا تذهبوا بالمغنم وبقى، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا، فأنازل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾ إلى قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِّقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرْهُوهُنَّ﴾ يقول: فكان ذلك خيراً لهم، فكذاك أيضاً فأطيعوني فإني أعلم بما عاقبه هذا منكم، أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٥٦) في النفل (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٧٦).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة عن عباد بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدراً، فالتقى الناس، ففهم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفته الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن -

(١) المستدرک (٣٢٦/٢)، وروى نحوه أحمد (٢١٦٨٥، ٢١٦٩١) عن عباد بن الصامت، وكذلك ابن مردويه عن عائشة [الدر المنثور (٢٩٤/٣)] وصححه الألباني في فقه السيرة بلفظ: «قسمهما رسول الله ﷺ بين المسلمين».

(٢) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ  
 مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿١﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى  
 وَلِتُظْمِنَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النُّصْرَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾ إِذْ يُغَشِّبُكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ  
 عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كَرِّمَهُ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ  
 رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ  
 ﴿٣﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا  
 فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
 شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾ ذَلِكَ كَذُوبُهُمْ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ  
 عَذَابَ النَّارِ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿٧﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ  
 دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ  
 بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾

أَلْحَقَ وَبَطِلَ ﴿١﴾ يحق ﴿٢﴾ أَلْبَطَلَ ﴿٣﴾ الكفر ﴿٤﴾ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥﴾ المشركون  
 ذلك.

[٩] اذكر ﴿١٠﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴿١١﴾ تطلبون منه العون بالنصر عليهم ﴿١٢﴾

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مُمِدُّكُمْ﴾ معينكم ﴿بِالْفِ﴾  
 الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿١﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً، وعدهم بها أولاً، ثم  
 صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة؛ كما في آل عمران، وقرئ: ﴿بِالْفِ﴾ (١)  
 كـ «أفلس» جمع. [١٠] ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَى  
 وَلِتُظْمِنَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النُّصْرَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.  
 [١١] اذكر ﴿١٢﴾ إِذْ يُغَشِّبُكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً ﴿١٣﴾ أَمَّا عَمَّا حصل لكم من الخوف  
 ﴿وَمِنَهُ﴾ - تعالى - ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كَرِّمَهُ﴾ من الأحداث  
 والجنابات ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسته إليكم؛ بأنكم لو كنتم على  
 الحق ما كنتم ظمأى محدثين، والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَى  
 قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أن تسوخ في الرمل.

[١٢] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾  
 أي: بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير  
 ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَأَصْرَبُوا فَوْقَ  
 الْأَعْنَاقِ﴾ أي: الرؤوس ﴿وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: أطراف اليدين  
 والرجلين؛ فكان الرجل يقصد ضرب رقبته الكافر؛ فتسقط قبل أن يصل إليه  
 سيفه (٢)، ورامهم ﴿بِقَبْضَةٍ مِنَ الْحَصَى﴾ فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه  
 منها شيء؛ فهُزِمُوا (٣). [١٣] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا  
 خَالَفُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[١٤] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّى  
 لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾. [١٥] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا  
 لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ أي: مجتمعين؛ كأنهم لكثرتهم يرحفون ﴿فَلَا  
 تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين.

[١٦] ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ (٤) أي: يوم لقائهم ﴿يُذْهِبُهُمْ إِلَّا مَتَحَرِّفًا﴾  
 منعطفًا ﴿لِقِتَالٍ﴾ بأن يريهم القوة مكيدة، وهو يريد الكرّة ﴿أَوْ مُتَحَيِّرًا﴾  
 منمضًا ﴿إِلَى فِئَةٍ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع  
 ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي، وهذا  
 مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعيف.

= نفينا عنها العدو وهزماهم. وقال الذين أحذقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحب بها منا، نحن أحذقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به. فنزلت: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾. وقسمها رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين. قال: وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نقل الربع، وإذا أقبل راجعاً وكل الناس نقل الثالث. وكان يكره الأنفال. ويقول: «ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم». أحمد - المسند (٣٢٤/٥)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١٣٦، ١٣٥/٢)، وصححه ابن حبان (الإحسان: ١٦٩٣).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرجه مسلم عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً - فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أجز لي ما وعدتني. اللهم أت ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعدي في الأرض». فما زال يهتف بربه، ماذا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداؤه فلقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفنا مناقشتك ربك، فإنه سيسجز لك ما وعدك. فانزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ فأمد الله باللائكة.

قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه. وصوت الفارس يقول: أقدم حيروم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقاً. فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين. مسلم - الجهاد والسير (٣٢) باب (١٨) الإمداد باللائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرجه أبو داود عن أبي سعيد قال: نزلت في يوم بدر. . . ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ يُذْهِبُهُمْ إِلَّا مَتَحَرِّفًا﴾. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٠٦) في التولي يوم الزحف. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٠٦).

(١) وهي قراءة شاذة. (٢) أخرجه ذلك أبو الشيخ وابن مردويه عن أبي أمامة بن سهل الأنصاري عن أبيه. [الدر المنثور (٣٣/٤)]، ويشهد له ما رواه مسلم عن ابن عباس ﷺ قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ، يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيروم فنظر إليه؛ فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه... الحديث» وتقدم تخريجه قريباً في أسباب النزول. (٣) روى ذلك الطبراني بإسناد حسن والواقدي وابن جرير الطبري وغيرهم. وعند مسلم أنه ﷺ فعل ذلك وقاله يوم حنين؛ فيحتمل تكرار الأمر منه ﷺ في الغزوات. (مسلم ١٧٧٧).

[١٧] ﴿فَلَمَّا تَفَتَّلُوهُمْ﴾ بيدر بقوتكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَّهٗمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى؛ لأن كُفَا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بَشَرٍ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ بإبصار ذلك إليهم؛ فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنمة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْعُثُ﴾ لأقوالهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بأحوالهم.

[١٨] ﴿ذَلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوْهِنٌ﴾ مضعف ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

[١٩] ﴿إِنْ تَسْتَغِيثُوا﴾ أيها الكفار؛ إن تطلبوا الفتح؛ أي: القضاء؛ حيث قال أبو جهل منكم: «اللهم أينما كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة»<sup>(١)</sup>؛ أي: أهلكه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك؛ وهو: أبو جهل ومن قيل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَأِنْ تَنْهَوْا﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا ﴿لِقَالَ النَّبِيُّ ﷺ﴾ ﴿نَعُدُّ لِنُصْرِهِ عَلَيْكُمْ﴾ وَأَنْ تَقِيَّ﴾ تدفع ﴿عَنْكُمْ﴾ فِتْنَتَكُمْ ﴿جَمَاعَاتِكُمْ﴾ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿بِكُسر﴾ «إِنْ» استئنافاً، وفتحها على تقدير اللام<sup>(٢)</sup>.

[٢٠] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواظ.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاض؛ وهم: المنافقون أو المشركون.

[٢٢] ﴿إِنْ سَأَلْتَهُمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ عن سماع الحق ﴿أَلَيْكُمْ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضاً، وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً.

[٢٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين؛ لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُ

فَلَمَّا تَفَتَّلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَّهٗمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوْهِنٌ كَذِبٌ لِّلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَغِيثُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعُدُّ لِنُصْرِهِ عَلَيْكُمْ وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ سَأَلْتَهُمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ ضُحٌّ بَكْرٌ لِّلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمُتْصِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجاريكم بأعمالكم.

[٢٥] ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بن تَعْمُهُمْ وغيرهم، واتفقوا يانكار موجبها من المنكر ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

(١) ما حاه في نزول الآية (١٩): أخرجه أحمد في المسند عن عبد الله بن ثعلبة بن ضمر - بهجمة مصغراً - أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة: فكان المستفتح. (المسند ٤/٣١١)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٣٢٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن إسحاق في المغازي (٢/٢٧٠) وفيه عنده زيادة: «...» وكان ذلك استفتاحه، فأرسل الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغِيثُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾.

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو وابن كثير.

(٣) روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هم نفر من بني عبد الدار. صحيح البخاري (٤/٤٦٤).

تَعُوذُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴿١﴾ لَا تَحْزَنُوا أَمَّا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ما ائتمتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمُولُكُمْ وَأُولَئِكُمْ فَتَنَةٌ لَكُمْ، ضَاةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه؛ بمراعاة الأموال والأولاد والحيانة لأجلهم.

[٢٩] ﴿وَنَزَلَ فِي تَوْبَتِهِ﴾: ﴿يَأْتِيهَا الْيَتِيمَ أَمْسُوا إِنْ تَشَاءُوا اللَّهَ﴾ بالإجابة وغيرها ﴿يَعْمَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون؛ فتجنون ﴿وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٠] ﴿وَقَدْ أَذَكَّرَ يَا مُحَمَّدٌ﴾ وَإِذْ يَتَكَّرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿وَقَدْ اجْتَمَعُوا لِلْمَشَاوِرَةِ فِي شَأْنِكُمْ بَدَارِ الدُّوَةِ﴾ لِيُتَيَسَّرَ لَكُمْ يَوْمَ تَقُوكَ وَيَحْسُوكَ ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كُلُّهُمْ قَتْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ مِنْ مَكَّةَ ﴿وَيَتَكَبَّرُونَ﴾ بِكَ ﴿وَيَتَكَبَّرُ اللَّهُ﴾ بهم؛ بتدبير أمرك؛ بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٣١] ﴿وَإِذَا نُنَازِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قاله النضر بن الحارث؛ لأنه كان يأتي الخيرة، يُخْرِجُ؛ فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَسْطِيرٌ﴾ أكاذيب ﴿الْأُولِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ المنزل ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على إنكاره، قاله النضر وغيره استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة، وجزم بطلانه. قال - تعالى - [٣٣] ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ﴾ بما سألوهم ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل غم، ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيا والمؤمنين منها ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك. وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم. كما قال - تعالى - : ﴿لَوْ تَرَكْنَا لَعَذَابُ الْيَتِيمِ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٥).

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَتَكُمْ النَّاسُ فَوَافِكُمْ وَأَيْدِكُمْ بِصُرُوهُ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَحْزَنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْزَنُوا أَمَّا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمُولُكُمْ وَأُولَئِكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ وَأَلَّامُوا أَنَّكُمْ أَمُولُكُمْ وَأُولَئِكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَشَاءُوا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥﴾ وَإِذْ يَتَكَبَّرُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُتَيَسَّرَ لَكُمْ أَوْ يَخْرُجُوكَ وَيَتَكَبَّرُونَ وَيَتَكَبَّرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَازِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأُولِينَ ﴿٧﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٩﴾

[٢٦] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَتَكُمْ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَوَافِكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيْدِكُمْ﴾ قواكم ﴿بِصُرُوهُ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. ونزل في أبي لبابة مروان ابن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة؛ لينزلوا على حكمه؛ فاستشاروه؛ فأشار إليهم أنه الذبيح؛ لأن عياله وماله فيهم. [٢٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

(٥) ما جاء في زول الآيتين (٣٣، ٣٤): أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فنزلت: ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعُذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٣)، وباب (٤).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤٦/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٤/٥) والسيوطي في الدر المنثور (٤٨/٤)، وإسناده ضعيف.

(٢) لم أجده.

(٣) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به. شتيخاته، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها؛ وكذا لا يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر، ولا مخادع.

(٤) أخرجه نحوه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي. وليس فيه ذكر الانحياز بالكتب وإنما فيه سماعه لسجع أهلها وكلامهم - [الدر المنثور (٣٢٧/٣)]. وإسناده ضعيف جداً كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢٣٣/٢).

(٥) الفتح: ٢٥.

[٣٤] ﴿وَمَا لَهُمْ أَهٌ نَّ﴾ لَا يَعْلَمُهُمُ اللَّهُ ﴿بِالسَّيْفِ بَعْدَ خُرُوجِكَ، والمستضعفين، وعلى القول الأول: هي ناسخة لما قبلها، وقد عذبهم الله بيدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يَمْنَعُونَ النَّبِيَّ ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَنْ يَطُوفُوا بِهِ ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كَمَا زَعَمُوا ﴿إِنْ﴾ مَا أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿أَنْ لَا وَلَايَةَ لَهُمْ عَلَيْهِ. [٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾ صَفِيرًا ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تَصَفِيفًا أَي: جَعَلُوا ذَلِكَ مَوْضِعَ صَلَاتِهِمْ الَّتِي أَمَرُوا بِهَا<sup>(١)</sup> ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ بيدر ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿إِنَّ الْبَيْتَ كَفَرُوا يُفْشِقُونَ أَمْرَهُمْ﴾ فِي حَرْبِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ﴾ نَدَامَةً لِفَوَاتِهَا وَفَوَاتِ مَا فَصَدُوهُ ﴿ثُمَّ يُقَالُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْهُمْ ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿يُحْتَرُونَ﴾ يَسْأَلُونَ. [٣٧] ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ«تَكُونُ» بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ<sup>(٢)</sup>؛ أَي: يَفْصِلُ ﴿الْخَبِيثَ﴾ الْكَافِرَ ﴿وَمِنَ الطَّيِّبِ﴾ الْمُؤْمِنَ ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَبُهُ جَمِيعًا﴾ يَجْمَعُهُ مَتْرَاكِمًا بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَ هُمُ الْخَبِيرُونَ﴾.

[٣٨] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كَأَنِّي سَفِيَانٌ وَأَصْحَابِي: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عَنِ الْكُفْرِ وَقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ﴿وَإِنْ يَبُوءُوا﴾ إِلَى قِتَالِهِ ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَي: سُنَّتُنَا فِيهِمْ بِالْإِهْلَاكِ؛ فَكَذَا نَفْعَلُ بِهِمْ.

[٣٩] ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ تَوْجِدَ ﴿فِتْنَةً﴾ شَرَكٌ ﴿وَيَكُونُوا لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ﴾ وَحْدَهُ، وَلَا يَمِيدُ غَيْرُهُ ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ عَنِ الْكُفْرِ ﴿قَاتِلْهُمُ اللَّهُ يَمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ﴾ فَيُجَازِيهِمْ بِهِ.

[٤٠] ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ نَاصِرَكُمْ وَمُتَوَلِّي أُمُورِكُمْ ﴿يَعْمُ الْمَوْلَى﴾ هُوَ ﴿وَيَعْمُ النَّصِيرُ﴾ أَي: النَّاصِرُ لَكُمْ.

وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ وَإِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْشِقُونَ أَمْرَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَبُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَ هُمُ الْخَبِيرُونَ﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُوا لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ يَمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

(١) قال القرطبي: ... وفي معنى الآية رد على الجهال من المصوفة الذين يرقصون ويصفقون، وذلك كله منكر ينتزه عن مشه العفلاء، وينشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت اهـ.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي، فتكون هكذا: ﴿يُعْشِرُ﴾.

المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه، من أن لكل خمس الخمس، والأحماس الأربعة الباقية للغنائم **﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾** فاعلموا ذلك **﴿وَمَا﴾** عطف على **﴿بِاللَّهِ﴾** **﴿أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾** محمد ﷺ من الملائكة والآيات **﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾** أي: يوم بدر الفارق بين الحق والباطل **﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾** المسلمون والكفار **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** ومنه نصركم مع قتلكم وكثرتهم.

[٤٢] **﴿إِذْ﴾** بدل من **﴿يَوْمَ﴾** **﴿أَنْتُمْ﴾** كاثون **﴿بِالْعُدُوِّ الَّذِينَ﴾** القرى من المدينة؛ وهي - بضم العين وكسرها<sup>(١)</sup> - : جانب الوادي **﴿وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ﴾** البغدى منها **﴿وَالرَّكْبُ﴾** العير كاثون بمكان **﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾** مما يلي البحر **﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ أَنْتُمْ وَالنَّفِيرَ لِلْقِتَالِ﴾** لاختلفت في الميعاد ولكن جمعكم بغير ميعاد **﴿لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا﴾** كان مفعولاً في علمه؛ وهو: نصر الإسلام ومحق الكفر، فعمل ذلك **﴿لِيَهْلِكَ﴾** يكفر **﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** أي: بعد حجة ظاهرة قامت عليه؛ وهي: نصر المؤمنين مع قتلهم على الجيش الكثير **﴿وَيُحْيَى﴾** يؤمن **﴿مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** وإسك الله تسبيح عليهم.

[٤٣] اذكر **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ﴾** أي: نومك **﴿فَلَيْلًا﴾** فأخبرت به أصحابك؛ فسروا **﴿وَلَوْ أَرَدْتُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ﴾** جبشتم **﴿وَلَنَنْزِعَنَّ﴾** اختلفتم **﴿فِي الْأَمْرِ﴾** أمر القتال **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾** لكم من الفشل والتنازع **﴿إِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** بما في القلوب.

[٤٤] **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾** أيها المؤمنون **﴿إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ﴾** قليلًا نحو سبعين، أو مائة، وهم ألف؛ لتقدموا عليهم **﴿وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾** ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثلهم؛ كما في آل عمران **﴿لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا﴾** كان مفعولاً وإلى الله ترجع **﴿تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾**.

[٤٥] **﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾** جماعة كافرة **﴿فَاتَّبَعُوا﴾** لقتالهم ولا تنهزموا **﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾** ادعوه بالنصر **﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾** تفوزون.

**﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾** وللرسول ولذي القربى واليتيم والمساكين **﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾** إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقي الجمع **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** **﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الَّذِينَ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا﴾** كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة **﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَدَكُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ وَلَنَنْزِعَنَّ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلًا كُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا﴾** كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور **﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاتَّبَعُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾**

[٤١] **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾** أخذتم من الكفار قهراً **﴿مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾** يأمر فيه بما يشاء **﴿وَالرَّسُولُ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾** قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب **﴿وَالْيَتِيمِ﴾** أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء **﴿وَالسَّبِيلِ﴾** ذوي الحاجة من المسلمين **﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾**



[٥٤] ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

[٥٥] ﴿وَنَزَلَ فِي قِرْطَةِ<sup>(١)</sup>﴾: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٦] ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَاهِدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَنْقُضُونَ﴾ الله في عهدهم.

[٥٧] ﴿فَلَمَّا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في ﴿مَا﴾ المزيدة ﴿تَنْقُضْتُمْ﴾ تجدهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَتَرَدُّ﴾ فرق ﴿بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ﴾ من المحاربين؛ بالتسكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يَذْكُرُونَ﴾ يتعطلون بهم.

[٥٨] ﴿وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمانة تلوح لك ﴿فَأُذِّنْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال؛ أي: مستويا أنت وهم في العلم بنقض العهد؛ بأن تعلمهم به؛ لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾.

[٥٩] ﴿وَنَزَلَ فِيمَنْ أَفْلَتَ يَوْمَ بدر<sup>(٢)</sup>﴾: ﴿وَلَا تَحْصِبَنَّ﴾<sup>(٣)</sup> يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا﴾ الله؛ أي: فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة: بالتحثانية، فالفعول الأول محذوف؛ أي: أنفسهم، وفي أخرى: بفتح ﴿إِنْ﴾<sup>(٤)</sup> على تقدير اللام.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ لقتالهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ: ﴿هِيَ الرُّغْمِي﴾ [رواه مسلم]<sup>(٥)</sup> ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ مصدر؛ بمعنى: حبسها في سبيل الله ﴿تَرْهَبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: غيرهم؛ وهم: المنافقون، أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُمْلِكُونَ﴾ تنقصون منه شيئا.

[٦١] ﴿وَأِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلدِّسَالِ﴾ بكسر السين وفتحها<sup>(٦)</sup>؛ الصلح ﴿فَاجْتَنِبْهُمْ﴾ وعاهدكم، وقال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف. وقال مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب؛ إذ نزلت في بني قريظة<sup>(٧)</sup> ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثنى به ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ<sup>(٨)</sup> كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ<sup>(٩)</sup> إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ<sup>(١٠)</sup> الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَاهِدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ<sup>(١١)</sup> فَمَا تَتْلِفُ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَتَرَدِّ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ<sup>(١٢)</sup> وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَاذِّنْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ<sup>(١٣)</sup> وَلَا يَحْصِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا إِنَّهُمْ لَا يَعْبِرُونَ<sup>(١٤)</sup> وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ<sup>(١٥)</sup> وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِبْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ<sup>(١٦)</sup>

[٥٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بسبب أن ﴿اللَّهُ لَمْ يَكُ مُعَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً؛ كتبديل كفار مكة إطاعتهم من جوع وأمنهم من خوف وَتَعَثَّ النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَاهِدَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٦] [الدر المنثور (٣/٣٤٧)].

(٢) ذكر نحوه البغوي في تفسيره (٣/٣٦٩).

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) لأن عامر.

(٥) أخرجه نحوه مسلم (٣٥٤١) عن عتبة بن عامر مرفوعاً.

(٦) بالكسر لشعبة.

(٧) قال ابن كثير: وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها مكتنف لهذا كله. ثم قال معلقاً على القول بالنسخ: «وفيه نظر أيضاً؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيراً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافي ولا نسخ ولا تخصيص. والله أعلم». اهـ.



[٦٢] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ كافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِقُرْآنِهِ﴾ وبالمؤمنين.

[٦٣] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَلْفٌ مِنْ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحن ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ آتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ بقدرة ﴿إِنَّهُمْ عَصَى﴾ غالب على أمره ﴿حِكْمَةً﴾ لا يخرج شيء عن حكمته.

[٦٤] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٦٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ﴾ حث ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ للكفار ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بالياء والتاء (١) ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وهذا خبر؛ بمعنى الأمر؛ أي: ليقاتل العشرون منكم المائتين، والمائة ألف ويثبتوا لهم، ثم نُسِخَ - لما كثُرُوا - بقوله: [٦٦] ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ شُعُفًا﴾ بضم الضاد وفتحها (٢)، عن قتال عشرة أمثالكم (٣) ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بالياء والتاء (٤) ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته؛ وهو: خبر بمعنى الأمر؛ أي: ليقاتلوا مثليكم واثبتوا لهم ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بعونه.

[٦٧] ﴿وَنَزَلَ﴾ لما أخذوا الفداء من أسرى بدر (٥): ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ﴾ بالتاء والياء (٥) ﴿لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتُخَّرَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبلغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرْضَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الْآخِرَةَ﴾ أي: ثوابها بقتلهم (٦) ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا منسوخ بقوله: ﴿لِيَأْمُرًا مَّا بَعْدَ وَلِيًّا فِدْلَةً﴾ (٧).

[٦٨] ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٦٩] ﴿لَكُلًّا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا لَيْسَ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ إِنَّمَا اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٦٥، ٦٦): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ شُعُفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾. قال: فلما خفف الله عنهم العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٧).

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٧ - ٦٩). أخرجه مسلم عن ابن عباس قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا بني الله، هم أبو بكر، ولكي أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم؛ فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيتا لعمر فأضرب عنقه؛ فون هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قنت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يكيان. قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء أتت بكيتك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تابكت ليكأنكما. فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة». شجرة قريبة من بني الله ﷺ وأمر الله ﷻ ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتُخَّرَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لَكُلًّا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا لَيْسَ﴾ فأحل الله الغنيمة لهم. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٢٣) باب (١٨) الإمداد بالمالكة.

وأخرج الترمذي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم تزل الغنائم لأحد سود الرؤوس من فلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها» قال سليمان الأعمش: فمن يقول هذا إلا أبو هريرة الآن، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تزل لهم؛ فأمر الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٩) سورة الأنفال. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٦٣).

(١) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم.

(٣) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) أخرجه مسلم (٣٣٠٩) عن عمر بن الخطاب.

(٥) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٦) القتال: ٤.

يَمَّا أَجَذَ مِنْكُمْ. من الفداء؛ بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثبتكم في الآخرة  
وَيَغْفِرَ لَكُمْ. ذنوبكم. ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾.

[٧١] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي: الأسرى ﴿يُخَانَتُكَ﴾ بما أظهروا من القول  
﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ﴾ بدر؛ قتلاً  
وأسراً؛ فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في  
صنعه.

[٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ النبي ﷺ ﴿وَنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار  
﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾  
مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ ﴿بِكسر الواو وضحتها﴾ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم  
وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَقٌّ يُهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بآخر  
السورة ﴿وَلَنْ أَسْتَصِرَّكُمْ فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمْ﴾ النصرة ﴿لَهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ إلا  
عَلَى قَوْمٍ يَبِينَكُمْ وَيَبِينُكُمْ مِنْهُمْ ﴿عَهْدٌ﴾ فلا تصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم  
﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث؛ فلا  
إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: تولى المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُنْ  
فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا  
وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

[٧٥] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي: بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة  
﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُوا  
الْأَرْثِ﴾ ذوو القربات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في الإرث؛ من التوارث في  
الإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ  
﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٌ عَالِمٌ﴾ ومنه حكمة الميراث.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ  
فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ  
وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ  
مِنْ قَبْلُ فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ  
آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا  
وَإِنْ أَسْتَصِرَّكُمْ فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمْ النَّصْرَ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ قِسْقُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا بِبَعْضِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي  
الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ  
حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ  
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ وَأُولُوا الْأَرْثِ  
بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

[٧٠] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ (١) وفي قراءة:  
﴿الْأَسْرَى﴾. ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾

\*\*\*

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَكَأَنَّهُمْ رَجُلٌ﴾ [النساء: ٣٣]. كان لرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب، فبرث أحدهما الآخر،  
فسخ ذلك الأنفال، فقال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْثِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾. أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (١٦) سح ميراث العقد بميراث الرحم، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود  
(٣٥٣٥): حسن صحيح.

(١) وهي قراءة أبي عمرو.

(٢) بالكسر حمزة.

## سُورَةُ التَّوْبَةِ

## سُورَةُ التَّوْبَةِ

[مدنية، أو إلا الآيتين آخرها. مائة وثلاثون، أو: إلا آية، نزلت بعد المائة] (\*)

ولم تكتب فيها بالبسملة؛ لأنه ﷺ لم يأمر بذلك؛ كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم<sup>(١)</sup>. وأخرج في معناه عن علي: أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمان بالسيف<sup>(٢)</sup>. وعن حذيفة: «إِنَّكُمْ تَسْتَوْنَهَا سُورَةُ التَّوْبَةِ وَهِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ»<sup>(٣)</sup>، وروى البخاري عن البراء: أنها آخر سورة نزلت<sup>(٤)</sup>.

[١] هذه ﴿سُرَّةُ﴾ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿وَإِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عهدًا مطلقًا أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونص العهد بما يذكر في قوله: [٢] ﴿فَيَسْجُودُ﴾ سجدوا آمين أيها المشركون ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أولها شوال - بدليل ما سيأتي -، ولا أمان لكم بعدها ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُوحَةٌ مَعْرُورَةٌ﴾ أي: فانتفى عذابه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَعَزَّى الْكَافِرِينَ﴾ مثليهم في الدنيا بالقتل والآخره بالنار. [٣] ﴿وَأَنَّ﴾ إعلام ﴿مَنْ﴾ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴿يَوْمَ اسْجُرُوا﴾ أي: بأن ﴿اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بريء أيضًا، «وقد بعث النبي ﷺ عليًا من الشقة؛ وهي: سنة تسع، فأذن يوم النحر يمتن يده الآيات، وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف في البيت عريان»<sup>(٥)</sup> [رواه البخاري]. ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ﴾ من الكفر ﴿وَهُوَ حَيْرٌ لَكُمْ﴾ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنْ الْإِيمَانِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُوحَةٌ مَعْرُورَةٌ﴾ آخر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ مؤلف؛ وهو: القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة. [٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يَطْغَوْا﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَمِنُوا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ﴾ انقضاء ﴿مَدَّتْهُمْ﴾ التي عاهدتم عليها<sup>(٦)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ بإتمام العهد.

[٥] ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ﴾ خرج ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ وهي آخر مدة التأجيل<sup>(٧)</sup> ﴿وَأَقْبَلُوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا مِنْهُمْ مَا فِي جُلُودِهِمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَحْصُوا مِنْهُمْ﴾ في القلاع والحصون، حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام ﴿وَأَعْدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ طريق يسلكونه، ونصب ﴿كُلِّ﴾ على

بِرَاءَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿فَيَسْجُودُ﴾ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُوحَةٌ مَعْرُورَةٌ مِنَ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تَبَيَّنَ فَهُوَ حَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فاعلموا أَنَّهُمْ عَذْرُوحَةٌ مَعْرُورَةٌ مِنَ اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ اللَّهِ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا مِنْهُمْ وَأَحْصُوا مِنْهُمْ وَأَعْدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾

نزع الحافض ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب.

[٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أَمْنُهُ ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ وهو دار قومه إن لم يؤمن؛ لينظر في أمره ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ دين الله؛ فلا بد لهم من سماع القرآن؛ ليعلموا.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن البراء: آخر سورة نزلت براءة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التوبة (٩) باب (١) والمراد معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، فأولها مثلاً رل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر بالناس - كما سيأتي - وقد نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهي من المائة في حجة الوداع سنة عشر بينما غالب سورة براءة نزل في غزوة تبوك سنة تسع، وقد أخرج النسائي عن ابن عباس أن سورة النصر آخر سورة نزلت من القرآن، فالجمع بينهما أن آخر سورة النصر نزولها كاملة، بخلاف براءة فالمراد معظمها. (راجع تفصيل ذلك في الفتح ٨/ ١٦٧، ٦٥٠، ٦٠٦).

(١) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٢) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٣) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٤) البخاري (٤٦٥٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) عن أبي هريرة.

(٦) قيل: هم: «بنو ضمرة» من قبائل «بني بكر»، من «كنانة» قال: لم ينقضوا عهدهم مع النبي ﷺ فأمر بإتمام عهدهم إلى مدتهم. وقيل: هم من لهم عهد مؤقت ولم ينقضوه.

(٧) قيل: هذا التأجيل خاص بالذين نقضوا العهد، وهم «قریش» الذين أعانوا حلفاءهم «بنی دؤل» من «بنی بكر» على «خزاعة» حلفاء النبي ﷺ. وقيل: هو لمن كان له عهد مطلق ليس بمؤقت؛ فضرر له هذا الأجل يسبح في الأرض؛ أي يذهب إليها لينجو بنفسه.

رَسُولِهِ ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ بِهِمَا غَادِرُونَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يَوْمَ الْحُدُوبِ؛ وَهُمْ: قريش المستثنون من قبل (١) ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء به، و«ما» شرطية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة.

[٨] ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَأِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿لَا يَرْفُتُوا﴾ يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلَّا﴾ قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ هذا، بل يؤذوكم ما استطاعوا، وجملة الشرط حال ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بكلامهم الحسن ﴿وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ﴾ الوفاء به ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ نافضون للعهد.

[٩] ﴿أَشْرَوْا بِعَاثِلِ اللَّهِ﴾ القران ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا؛ أي: تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾ بس ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ به عملهم هذا.

[١٠] ﴿لَا يَرْفُتُونَ فِي مَوْعِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾.

[١١] ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلِحُزْنِكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿فِي الَّذِينَ وَفَّقَصَلَّ﴾ نين ﴿أَلَا لَيْتَ يَوْمَ يَسْلُكُونَ﴾ يتدبرون.

[١٢] ﴿وَأِنْ نَكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾ موافقهم ﴿بَيْنَ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عابوه ﴿فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفَرِ﴾ رؤسائه فيه، وضع الظاهر موضع المضمر ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ﴾ عهد ﴿لَهُمْ﴾ وفي قراءة: بالكسر (٢) ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ عن الكفر.

[١٣] ﴿أَلَا﴾ للتخصيص ﴿فَتَقَاتِلُونَهُمْ قَوْمًا نَكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾ عهدهم ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ من مكة - لما تشاوروا فيه بدار الندوة - ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر، فما يمنعكم أن تقاتلوهم؟! ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أنخافوهم؟! ﴿فَاللَّهُ أَعَزُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْفُتُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ أَشْرَوْا بِعَاثِلِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْفُتُونَ فِي مَوْعِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلِحُزْنِكُمْ فِي الَّذِينَ وَفَّقَصَلَّ الْأَلَيْتَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفَرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقَاتِلُونَهُمْ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهُمْ يُبَاخِرُونَ الرَّسُولَ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

[٧] ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ

(١) وقيل: هم: «بنو ضمرة الذين دخلوا في عهد قريش.

(٢) أي: «لا إيمان لهم» وهي لابن عامر.

[١٤] ﴿فَتَلَوُهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَتَحْزِينِهِمْ﴾ بذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فعل بهم؛ وهم: بنو خراعة.

[١٥] ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كَرَبَهَا ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام؛ كما في سفیان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمْ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ بطانة وأولياء؛ المعنى: ولم يظهر المخلصون؛ وهم: الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بالافراد والجمع<sup>(١)</sup>؛ بدخوله والقعود فيه ﴿شُهَدَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَرَ أَحَدًا﴾ إلّا الله ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

[١٩] ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْقَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك ﴿كَفَنَ مَآمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في الفضل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، نزلت ردًا على من قال ذلك<sup>(٢)</sup>؛ وهو: العباس أو غيره<sup>(٣)</sup>.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً﴾ رتبة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من غيرهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الظافرون بالخير.

فَتَلَوُهُمُ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتَحْزِينِهِمْ وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شُهَدَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَرَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ

(١) ما جاء في نزول الآية (١٩): أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعطي الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قُلتُم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ. وهو يوم الجمعة. ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستقيت فيها ما احتلقت فيه. فأقول الله ﷻ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْقَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ إلى آخرها. مسلم - كتاب الإمارة (٣٣) باب (٢٩) فض الشهاداة في سبيل الله.

(١) بالافراد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب. ويكون المقصود: المسجد الحرام.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس (ترويه في العباس) [الدر المنثور (٣/٣٩٥)]: وأخرجه مسلم (٣/٤٩١) عن النعمان بن بشير (نزولها في رجل).

مُقيمٌ دائِمٌ.

[٢٢] ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. [٢٣] وَنَزَلَ فِيمَن تَرَكَ الْهَجْرَةَ لِأَجْلِ أَهْلِهِ وَتِجَارَتِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَبَنُونَكُمْ ءَوِيَّةً إِنْ أَسْتَجَبُوا﴾ اختاروا ﴿الْكَفَرُ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ يَكْفُرْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٢٤] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنِّي﴾ وفي قراءة (١): ﴿عَشِيرَتُكُمْ﴾ وَأَمَّا قَوْلُ أَقْرَبُ فَمَعْنَاهَا ﴿اَكْتَسَبْتُهَا﴾ وَتَجَرُّهُ تَحْتَوْنُ كَسَادَهَا عَدَمُ نَفَاذِهَا وَمَسْكِنُ رِضْوَانِهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَقَعْدَمُ لِأَجَلِهِ عَنِ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ فَتَرَضَّوْا انتظروا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ تهديد لهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٢٥] ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ لِلْحَرْبِ﴾ كَثِيرَةٍ كَبِيرٍ وَفَرِيقَةُ النَّصِيرِ ﴿وَ﴾ وَادَّكَرَ ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ وَادٌّ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ؛ أَيُّ: يَوْمَ قِتَالِكُمْ فِيهِ هَوَازِنُ، وَذَلِكَ فِي شَوَالِ سَنَةِ ثَمَانَ ﴿إِذْ﴾ بَدَلُ مِنْ ﴿يَوْمٍ﴾ ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فَقَلْتُمْ: لَنْ نَغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قَلَّةٍ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَالْكَفَّارُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ﴿فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «مَا» مُصَدِّرَةٌ؛ أَيُّ: مَعَ رَحْبِهَا؛ أَيُّ: سَعَتِهَا؛ فَلَمْ تَجِدُوا مَكَانًا تَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ؛ لَشِدَّةِ مَا لَحِقَكُمْ مِنَ الْخَوْفِ ﴿ثُمَّ﴾ وَثَبْتُمْ مُدِيرِينَ مِنْهُمْ، وَثَبَتِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ الْعَبَّاسِ، وَأَبُو سَفْيَانَ أَخَذَ بِرِكَابِهِ [٢٦] ﴿ثُمَّ﴾ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ طَمَأْنِينَتَهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَرَدُّوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا نَادَاهُمُ الْعَبَّاسُ بِإِذْنِهِ (٢) وَقَاتَلُوا وَأُنْزِلَ جُودًا لَمْ تَرَوْهَا مَلَائِكَةُ ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَأَحْوَانَكُمْ ءَوِيَّةً إِنْ أَسْتَجَبُوا أَلْكَفَرُ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَأَحْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَضَّوْا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

[٢١] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ

(١) لشعبة.

(٢) أي ياذن رسول الله ﷺ.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٨] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ﴾ فذر؛ لحب باطنهم ﴿فَلَا يَفْرُقُوا الْمُسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا﴾ عام يتبع من الهجرة ﴿وَلَنْ حَقَّقَهُ عَلَيْهِمْ فَقَرَاءُ﴾ بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ وقد أغناهم بالفتح والحزبة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ والا لأنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ كالحمر ﴿وَلَا يَدِينُوا الْحَقَّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان؛ وهو: دين الإسلام ﴿وَمِنْ بَيَانِ لِلَّذِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَنْ يَدٍ﴾ حال؛ أي: منقادين، أو بأيديهم لا يؤكلون بها ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ﴾ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ عيسى ﴿أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يَضَعُونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من آبائهم تقليدا لهم ﴿فَتَنَلَّهُمْ﴾ لنعمهم ﴿اللَّهُ أَفْ﴾ كيف ﴿يُؤَفِّكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام الدليل.

[٣١] ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهْبَنَهُمْ﴾ عُثَاذَ النصارى ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله<sup>(١)</sup> ﴿وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوهُ﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إِلَّاهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَفْرُقُوا الْمُسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا وَإِنْ حَقَّقَهُ عَلَيْهِمْ فَقَرَاءُ بِانْقِطَاعِ تِجَارَتِهِمْ عَنْكُمْ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَافِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يَضَعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ إِنْ يَتُوفَّكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَاهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

(١) أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال بعد أن قرأ هذه الآية: «أما إلههم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه». كتاب

تفسير القرآن (٤٨) - باب (١٠) سورة براءة. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٧١).





[٣٧] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ أي: التأخير لحزمة شهر إلى آخر؛ كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير مخزومة الحوم إذا هلّ وهم في القتال إلى صفر ﴿وَيَاذِكُمُ الْكَافِرُ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُنْسَلُ﴾ بضم الياء وفتحها <sup>(١)</sup> ﴿يَوْمَ الْآزِمِ﴾ كفروا بجلونته. أي: النسيء. <sup>(٢)</sup> ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيَرْطِطُوا﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بذلك ﴿عِدَّةٌ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من الأشهر؛ فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا، ولا ينظروا إلى أعينها ﴿فِيحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهْمُ سَوْءِ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسناً ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿وَنَزَلَ﴾ لما دعا النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك، وكانوا في عسرة وشدة حوز، فشق عليهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْضُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ﴾ <sup>(١)</sup> بإدغام التاء في الأصل في المثناة واجتلاب همزة الوصل؛ أي: تباطأتم وملتزم عن الجهاد ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ والقعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿وَمِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي: بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب متاع ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حقير.

[٣٩] ﴿وَالَا﴾ بإدغام «لا» في نون «إن» الشرطية في الموضعين <sup>(٢)</sup> ﴿تَنفِرُوا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا عَرَضَكُمْ﴾ أي: يأت بهم بدلكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ أي: الله، أو النبي ﷺ ﴿سَتَبْنِي﴾ بترك نصره؛ فإن الله ناصر دينه ﴿وَاللَّهُ عَن كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه وتبئيه.

[٤٠] ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة؛ أي: ألجؤوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿كَانَ اثْنَيْنِ﴾ حال؛ أي: أحد اثنين، والآخر أبو بكر - المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة؛ فلا يخذله في غيرها - ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿هُمَا فِي الْفَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدل ثانٍ ﴿يَقُولُ لِيَصْحَبْهُ﴾ أبي بكر - وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: (لو نظر أحدكم تحت قدميه لأبصرنا) <sup>(٣)</sup> : ﴿لَا تَحْزَنَ إِنَّا إِلَهُ مَمَكَا﴾ بنصره ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل: على النبي ﷺ. وقيل: على أبي بكر، ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿وَجُثُّوهُ لَمَّا تَرَوْهُمَا﴾

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيَرْطِطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سَوْءِ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْضُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَوَةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ أَلَا تَنفِرُوا بَعَدَ بَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنَ إِنَّا إِلَهُ مَعَنَا فَاَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُثُّوهِ لَمَّا تَرَوْهُمَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

ملائكة في الغار، ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: دعوة الشرك ﴿السُّفْلَى﴾ المقلوبة ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعته.

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد. [الدر المنثور (٤٢٧/٣)]، وهو مرسل صحيح الإسناد كما قال صاحب الاستيعاب (٢٧٧/٢).

(٣) أي: هذا، وقوله: ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ﴾.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).



[٤٨] ﴿لَقَدْ أَسْعَوْا لَكُمْ فِي الْفِتْنَةِ مِنْ قَبْلُ وَقَالُوا لَكَ الْأُمُورُ حَتَّىٰ وَكَانُوا لَكَ الْأُمُورُ أَي: أجادوا الفكر في كيدك وباطال دينك﴾ ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَالنَّصْرُ مِنْ رَبِّكَ وَعَظُمَ الْغُرُورُ﴾ ﴿أَمْسَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَهُمْ كَذِبُونَ﴾ له؛ فدخلوا فيه ظاهراً.

[٤٩] ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَكْفُرُ أَتَدْنِي فِي التَّخَلُّفِ وَلَا تَقْتَتِي﴾ وهو الجُد بن قيس، قال له النبي ﷺ: «هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟» فقال: إني مغرم بالنساء، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن؛ فافتن<sup>(١)</sup>. قال - تعالى -: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالتخفيف، وقرئ: «سَقَطُ»<sup>(٢)</sup> ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُجِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لا محيص لهم عنها.

[٥٠] ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَعَسَىٰ أَمْرًا كَبَرٌ مِنْهُ وَغَيْبٌ﴾ ﴿كُتِبَ لَهُمْ أَنْ يُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ شِدَّةٌ ﴿يَقُولُوا قَدْ أَتَدْنَا أَمْرًا﴾ بالجرم حين تخلفنا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل هذه المصيبة ﴿وَيَقُولُوا وَهُمْ فَرِحُوا﴾ بما أصابك. [٥١] ﴿قُلْ لَهُمْ: لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا، ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَّ اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل؛ أي: تنتضرون أن يقع ﴿بَيْنَا إِلَّا إِحْدَىٰ﴾ العاقبتين ﴿الْحُسَيْنَيْنِ﴾ تثنية «حسين» تأنيث «أحسن»: النصر أو الشهادة ﴿وَعَنْ تَرْتَضُ﴾ تنتظر ﴿يَكُمُ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِندِهِ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ يَأْخُذَنَا﴾ بأن يؤخذ لنا في قتالكم ﴿فَرْتَضُوا﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرْتَضُونَ﴾ عاقبتكم.

[٥٣] ﴿فَلَنْ أُنْفِقُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ والأمر هنا بمعنى الخير.

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقُولُوا﴾ بالياء والتاء<sup>(٣)</sup> ﴿يَنْتَفَعُونَ إِلَّا أَنْتُمْ﴾ فاعل، ورأى يُقْبَلُ مفعول ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلون ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَذِبُونَ﴾ النفقة؛ لأنهم يعدونها مفرطاً.

لَقَدْ أَسْعَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَالُوا لَكَ الْأُمُورُ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَتَدْنِي وَلَا تَقْتَتِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُجِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بَيْنَنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَتَحْنُ نَرْتَضُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِندِهِ أَوْ يَأْخُذَ بَيْنَنَا فَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرْتَضُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقُولُوا كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

(١) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله، وكذا ابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٤٣/٣)]، واختلف في تحسينه وتضعيفه؛ فحسبه فريق بشواهدهم منهم صاحب الاستيعاب (٢٨١/٢ - ٢٨٣)، ومنهم من ضعفه كالهيشي وغيره كما في المجموع (٣٠/٧).

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وخلف.

﴿أَوْ مَخْلَافًا﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لَوْلَا إِلَيْنَا وَهُمْ يَجْحَدُونَ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراراً لا يرده شيء؛ كالفرس الجموح.

[٥٨] ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلُوكُكَ يَجِيبُكَ﴾ (٥٨) ﴿فِي﴾ قسمة ﴿الْصَّدَقَاتِ إِنَّا أَعْطَوْنَا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾.

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفيها ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أن يغنيننا وجواب (لوه): لكان خيراً لهم.

[٦٠] ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ﴾ الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِ﴾ أي: الصدقات؛ من جاب وقاسم وكاتب وخائبر ﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ ليسلموا أو بنيت إسلامهم، أو يسلم نظراً لهم، أو يذبوا عن المسلمين، أقسام؛ الأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي - رضي الله تعالى عنه - لعز الإسلام، بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح ﴿وَفِي﴾ فَكٌ ﴿الرِّقَابِ﴾ أي: المكاتبين ﴿وَالْقَدِيرِينَ﴾ أهل الدين إن استدانوا غير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: القامتين بالجهاد من لا فيء لهم ولو أغنياء ﴿وَأَيُّ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب يفعله المقدر ﴿وَيُنِىَ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه؛ فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء، ولا يمنع صنف منهم (١) إذا وجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض، وأفادت (اللام) وجوب استغراق أفرادها (٢)، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها. كما أفادته صيغة الجمع، وبينت الشئ أن شرط المعطى منها الإسلام، وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً.

[٦١] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بغيته وينقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ - إذا نهوا عن ذلك؛ لئلا يبلغه -: ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ أي: يسمع كل قبيح ويقبله، فإذا حلفنا أن أنا لم نقل صدقاً ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أَذُنٌ﴾ مُشْتَمِعٌ ﴿خَبَرِ لَكُمْ﴾ لا مُشْتَمِعٌ شَرٌّ ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم، و(اللام) زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالرفع عطفاً على ﴿أَذُنٌ﴾ والجر (٣) عطفاً على ﴿خَبَرِ﴾ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكُفْرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْزُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَعْرَظًا أَوْ مَدَحَلًا لَوْلَا إِلَيْنَا وَهُمْ يَجْمَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنِ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْقَدِيرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآيَةُ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ خَبَرٌ لَّكُمْ يَوْمُنُ بِلِلَّهِ وَيَوْمُنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أي: لا تستحسن بغيرهم عليهم؛ فهي: استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: أن يعذبهم ﴿بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة، وفيها من المصائب ﴿وَتَرْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكُفْرُونَ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب. [٥٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أي: مؤمنون ﴿وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْزُقُونَ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين؛ فيحلفون بغيرته. [٥٧] ﴿لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا﴾ يلجأون إليه ﴿أَوْ مَعْرَظًا﴾ سراديب

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٨): أخرجه البخاري عن أبي سعيد قال: بينما النبي ﷺ يقسم، جاء عبد الله بن ذي الحويصرة الميمى فقال: أعدل يا رسول الله. فقال: «وبلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه. قال: «دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يقرقون من الدين كما يقرق السهم من الرمية، ينظر في قلذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نعليه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم. أيهم: رجل إحدى يديه. أو قال: ثنية - مثل ثدي المرأة. أو قال: مثل البضة تدر - يخرجون على حين فرقة من المسلمين. قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه. جيء بالرجل على الثنت التي نعت النبي ﷺ قال: فترت فيه: «وَمِنْهُمْ مَّن يَلُوكُكَ يَجِيبُكَ». البخاري - كتاب استنباط المرتدين (٨٨) باب (٧) من ترك قال الخوارج للتأليف.

(١) ذكر الثوري عن الشافعي: أن الكفار إن جاز تأليفهم فإنما يعطون من سهم المصالح من النبي ونحوه، ولا يعطون من الزكاة. وقال جمهور الحنفية بنسخ سهم المؤلفة قلوبهم. وعند الحابلة والمالكية: أنه باق لم ينسخ، وهو الصحيح؛ لأن القول بالنسخ ليس عليه دليل صريح. والحاجة إلى تأليف القلوب لم تنقطع.

(٢) وهذا مذهب الشافعي، وعند الجمهور لا يلزم تعميم الأصناف؛ فالإمام في قوله - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾، لبيان المصرف، لا للاستحقاق، وهذا هو الأرجح، لكن قال مالك: الأمر عندنا في قسم الصدقات أن ذلك لا يكون إلا على وجه الاجتهاد من الوالي، فأبي الأصناف كانت الحاجة فيه والعدد أثر ذلك الصنف بقدر ما يرى الوالي... وهو أولى ما يؤخذ به في حال وجود الحاكم الشرعي، وإلا فالأقرب ما نقل عن النخعي وغيره: إذا كان المال كثيراً ففرقه في الأصناف، وإذا كان قليلاً فأعطه صفواً واحداً... مع مراعاة الأشد حاجة... والله أعلم.

(٣) بالجر قراءة حمزة.

[٦٢] ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ بالطاعة ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً، وتوحيد الضمير؛ لتلازم الرضاهين، أو خبر «الله» أو «رسوله» محذوف.

[٦٣] ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ يُعَادِدُ﴾ يشاقق ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ جزء ﴿خَلِيلًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٤] ﴿يَخَذَرُ﴾ يخاف ﴿الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق، وهم مع ذلك يستهزئون ﴿وَقُلْ أَسْتَهْزِئُكُمْ﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مَظْهَرًا مِمَّا تَخَذَرُونَ﴾ لإخراجه من نفاقكم.

[٦٥] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لِيَقُولُوا﴾ معتردين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُكُمْ وَكَلَمًا﴾ في الحديث؛ لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَا آلَ اللَّهِ وَآلِيَنِيهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٦٦] ﴿لَا تَعْذِرُوا﴾ عنه ﴿فَدَكَّرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ بالياء مبنياً للمفعول، والنون مبنياً للفاعل ﴿عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها؛ كمخشي بن حمير<sup>(١)</sup> ﴿تُعَذِّبُ﴾ بالناء والنون<sup>(٢)</sup> ﴿طَائِفَةً﴾<sup>(٣)</sup> يَأْتُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ مصربين على النفاق والاستهزاء.

[٦٧] ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: منسابهون في الدين؛ كأبعض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿سُئِلَ اللَّهُ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَنْ يُعَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَلِيلًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ يَخَذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أَسْتَهْزِئُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُكُمْ وَكَلَمًا قُلْ يَا آلَ اللَّهِ وَآلِيَنِيهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾ لَا تَعْذِرُوا عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تَعَذِّبُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَذِّبُ طَائِفَةً يَأْتُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ سُئِلَ اللَّهُ فَتَسَبَّحَهُمُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٩﴾

هِيَ حَسْبُهُمْ جزاء وعقابا ﴿وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم، أنتم أيها المنافقون.

(١) في بعض النسخ: «جحش بن حمير».

(٢) بالبناء للمفعول في الفعلين قراءة السبعة عدا عاصم؛ ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ عن طائفة منكم تُعَذِّبُ طائفةً، وقرأ عاصم بالنون والبناء للفاعل فيها.

(٣) بالرفع والنصب؛ ففيها فراءتان سبجتان: الأولى: ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ عن طائفة منكم تُعَذِّبُ طائفةً بالرفع، والثانية: ﴿إِنْ نَعْفُ﴾ عن طائفة منكم تُعَذِّبُ طائفةً بالنصب. وراجع الحاشية السابقة.

[illegible]

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَصَارَ﴾  
 قَوْمُ هودٍ ﴿وَسُودٌ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم  
 شُعَيْبٍ ﴿وَالَّذِينَ كُنَّا قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي: أهلها ﴿أَنَّهُمْ رُمِلُوا﴾  
 ﴿يَا لَيْسَ لَهُمْ بِالْمَعْرُوفَاتِ﴾ فكذبوهم؛ فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ بِظَالِمِيهِمْ﴾  
 ﴿بِأَن يَعْذِبَهِمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ﴾ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿بَارْتِكَابِ الذَّنْبِ﴾.

[٧١] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ بِغَيْرِ شَيْءٍ يَظُنُّونَ﴾ وَهُمْ عَنْ الْمُسْكَرِ وَيَسْمُونَ الصَّلَاةَ وَيَذُوبُونَ الزَّكَاةَ وَيَطُمُونُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَرِمْنَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ<sup>(\*)</sup> لَا يَعْرِضُ شَيْءٌ عَنْ إِنْجَازِ وَعْدِهِ وَوعيدِهِ **حَكِيمٌ** لا يضع شيئاً إلا في محله.

[٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ حَتَّىٰ تُخْرِجَ مِنْهُمَا الْأَنْفُسَ الْحَايَاتِ فِيهَا مَسْكَنٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ أَقَامُوا ۖ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ أَعظم من ذلك كله ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ﴾

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرُوا مَالًا  
وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ  
كََمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِعْتُمْ  
كَالَّذِي خَاصُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١١﴾ أَلَمْ يَأْتِيَهُمْ  
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ  
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا  
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٢﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ  
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ  
﴿١١٣﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ  
وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٤﴾

[٦٩] ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا

(٥) فائدة: في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ مقبل قوله في المنافقين: ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

قال الصاغر بن عاشور: «وعر في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنهم أولياء بعض للإشارة إلى أن اللُّحمة الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام؛ فهم فيها على السواء، ليس واحد منهم مقلداً للآخر ولا تابعا له على غير بصيرة، لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين، فكان بعضهم ناشع من بعض في مذاهبهم...». التحري والتنوير (١١/٢٦٢).

































































































































































































































































































































































































































بتوحيد الله.

[٨٢] ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية، تقول لهم من جملة كلامها عنا: ﴿[إِنَّ] النَّاسَ كُفَرَاءٌ﴾ (١) وعلى قراءة: فتح همزة: ﴿[إِنَّ]﴾ (٢) تقدر الباء بعد ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ﴿كَانُوا يَتْلَوْنَ﴾ لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر (٣)، كما أوحى الله إلى نوح: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا﴾ من قومك إلا من قد آمن (٤).

[٨٣] ﴿ذِكْرٌ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة ﴿وَمَنْ يَكْذِبْ يَكَلِّبْ يَكَلِّبْنَا﴾ وهم: رؤسائهم المتبعون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يجمعون برد آخرهم إلى أولهم، ثم يساقون.

[٨٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم: ﴿أَكَذَّبْتُمْ﴾ أنبيائي ﴿يَتْلَوْنَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من جهة تكذيبكم ﴿يَا عِلْمًا﴾ أمّا، فيه إدغام «ما» الاستفهامية (١) ﴿ذَلِكَ﴾ موصول، أي: ما الذي ﴿كُتِّمْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مما أمرتم به؟

[٨٥] ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ حق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَنَّمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَطْفِقُونَ﴾ إذ لا حجة لهم.

[٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿أَنْبِيَاءَ﴾ نبيين ﴿وَلَمْ يُحِطُوا﴾ من جهة تكذيبكم ﴿بِمَا عَلَّمْنَا﴾ أمّا، فيه إدغام «ما» الاستفهامية (١) ﴿ذَلِكَ﴾ موصول، أي: ما الذي ﴿كُتِّمْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مما أمرتم به؟

[٨٧] ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ﴾ في الصور ﴿الْقُرْآنُ﴾ القران النفخة الأولى من إسماعيل ﴿فَقَرَعَ﴾ من في السموات ومن في الأرض، خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى: ﴿فَصَوَّبَ﴾ والشعير فيه الماضي؛ لتحقيق وقوعه. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾

الله: أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء؛ إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون. ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه: أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَنْتُمْ﴾ بصيغة الفعل، واسم الفاعل (١) ﴿ذَخِيرِينَ﴾ صاغرين، والشعير فيه الماضي؛ لتحقيق وقوعه.

[٨٨] ﴿وَنَرَى الْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسِبَهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها لمعلمها ﴿وَجِيءَ نَعْرُ السَّحَابِ﴾ المطر (١) إذا ضربته الريح؛ أي: تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبنوثة، ثم تصير كالعجن، ثم تصير هباء منثوراً (٢) ﴿سَمِعَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله؛ أي: صنع الله ذلك صنعاً ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ﴾ أحكم ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُمْ خَيْرٌ مِّمَّا يَفْعَلُونَ﴾ بالباء والتاء (١) أي:

وَأَنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا أُولُوا مَذْبِئِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَدَى الْعُمَى عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ تَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يَكْذِبُ يَكَلِّبْنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمًا أَمَّا أَذْكُرْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَنَّمُوا فَهُمْ لَا يَظْفِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

[٧٧] ﴿وَأَنَّهُ لَهْدَى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العذاب.

[٧٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ﴾ أي: عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحداً مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه.

[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ نفي به ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ الدين البين، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعُمى، فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الباء (١) ﴿وَلَوْ أُولُوا مَذْبِئِينَ﴾

[٨١] ﴿وَمَا أَنتَ بِهَدَى الْعُمَى عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفعال وقبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون

(١) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) وغيرهم.

(٤) كما عند مسلم في الإيمان (١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ثلاث إذا خرجن لا يقع نفس إيمانها، لم تكن أمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها حرجاً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» رواه مسلم (١٥٨).

(٥) هود: ٣٦.

(٦) أي: إدغام ميم «أه» في ميم «ما» الاستفهامية.

(٧) القطار: أي: ذي المطر.

(٩) هذا الذي ذهب إليه المفسرون من أن المراد بتسيير الجبال ما يقع يوم القيامة هو قول أكثر المفسرين، ورجح البعض أن المراد بذلك في الدنيا، ويكون إشارة إلى دوران الأرض، بحسبها أهلها ساكنة وهي متحركة، لأن قوله: ﴿وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ لا يناسب مقام التهليل والتهويل، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ لا يناسب مقام الإبداء والإهلاك. ولأن سير الجبال للقاء يوم القيامة يحصى عند إهلاك جميع الخلق وهذا لا يراه أحد من البشر، كما أنه إذا رآه أحد شعر به، فيحس بحركتها، وهذا يناقض قوله: ﴿تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ وعليه فنكون هذه الآية وما قبلها من قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ اعتراضاً في سياق الآيات الدالة على أحوال الحشر وأحوال يوم القيامة. فالله أعلم بمراده.

(١٠) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.



أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

[٨٩] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ أَجْرٌ لَا يُولَى إِلَّا اللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿فَلَمْ يَخِرْ﴾ ثواب ﴿يَنْهَا﴾ أي: بسببها، وليس للتفضيل؛ إذ لا فعل خير منها<sup>(١)</sup>، وفي آية أخرى: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَهُمْ﴾ الجاعون بها ﴿بَيْنَ﴾ [فَرْجَ يَوْمَيْنِ] بالإضافة وكسر الميم وفتحها، و﴿فَرْجَ﴾ منوناً وفتح الميم<sup>(٣)</sup> ﴿مَا يَمُونُ﴾.

[٩٠] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبِئَةِ﴾ أي: الشر ﴿فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ بأن وُثِّقَتْ، وذكر الوجه؛ لأنها موضع الشرف من الحواس، فغيرها من باب أولى، ويقال لهم تَبَكَّيْتُ: هَلَّ ﴿مَا﴾ تَجَزَّوْنَ إِلَّا ﴿جَزَاءً﴾ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ من الشر والمعاصي.

[٩١] قل لهم: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنَّ أَتَيْتُمْ رَبَّكُمْ هَذِهِ الْبَلَدَ﴾ أي: مكة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ جعلها حراماً أمناً لا يسفك فيها دم إنسان، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد صيدها، ولا يختلي خلها<sup>(٤)</sup>، وذلك من النعم على قريش - أهلها - في رفع الله عن بلدهم العذاب، والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وَلَمْ﴾ - تعالى - ﴿كُنْ شَيْءٌ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكة ﴿وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لله توحيد.

[٩٢] ﴿وَأَنْ أَتَوْا الْقُرْآنَ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ له ﴿فَلَنَمَّا يَتَذَكَّرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿تَقُلْ﴾ له: ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ المخوفين، فليس عليّ إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٩٣] ﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ﴾ فَعَرَفُونَهَا ﴿فَأَرَاهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرَ الْقَتْلِ وَالسَّبِي، وَضَرْبَ الْمَلَائِكَةِ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، وَعَجَلَهُمُ اللَّهُ إِلَى النَّارِ وَمَا رُبُّكَ يَنْفَعُ عَمْدًا﴾ [يَعْمَلُونَ] بالياء والتاء<sup>(٥)</sup>، وإنما يجهلهم لوقفهم.

### سُورَةُ الْقَصَصِ

[مكية إلا: ﴿إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ الآية، نزلت بالجحفة، وإلى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى: ﴿لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾، وهي: سبع، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد النمل]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿طَسَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.  
[٢] ﴿يَلُكُّ﴾ أي: هذه الآيات ﴿مَا يَنْتُ الْكِتَابِ﴾ الإضافة بمعنى: من ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ المظهر الحق من الباطل.  
[٣] ﴿تَتْلُو﴾ نقص ﴿عَلَيْكَ مِنْ نَجٍّ﴾ خبر ﴿مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُوَ مَنْ فَرَجَ يَوْمَئِذٍ أَمُونٌ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبِئَةِ فَبُكَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تَجَزَّوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَتَيْتُمْ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتَوْا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَلَنَمَّا يَتَذَكَّرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ عَمَّا يَشْرُكُونَ فَتَعَرَّفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

### سُورَةُ الْقَصَصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَسُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِبْرَ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَدَّيْنِجُ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرِيدَ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأجلهم؛ لأنهم المنفعون به.

[٤] ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تَعَظَّمَ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقاً في خدمته ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ هم: بنو إسرائيل ﴿يَدَّيْنِجُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَنِسَاءَهُمْ﴾ يستنقِبهن أحياء؛ لقول بعض الكهنة له: «إِنْ مَوْلُودًا يُولَدُ فِي بَيْتِ إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبَ زَوَالِ مَلِكِكَ» ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره.

[٥] ﴿وَرِيدَ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء<sup>(١)</sup>، يُفْتَدَى بهم في الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ثلث فرعون.

(١) هذا قول كثير من المفسرين، وقيل بل هي للتفضيل، والمراد ثواب الله ورضوانه خير من عمل العبد وقوله وذكره. ذلك أن بعض المفسرين رجح أن المراد بالحسنة هنا يعم جميع الحسنات قولية أو فعلية أو قلبية، وهو هنا لأقل التفضيل، فقد بين - سبحانه - في سورة الأنعام أن له عشر أمثالها.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) بالإضافة مع كسر الميم قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. ومع فتحها قراءة نافع، وقرأ الباقون منوناً وفتح الميم [فَرْجَ يَوْمَيْنِ].

(٤) أي لا يقطع حشيشها الرطب.

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٦) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

وألقته في بحر النيل ليلاً.

[٨] ﴿فَالْقَلْبَ لَهَا﴾ بالتأبوت صبيحة الليل ﴿ءَالُ﴾ أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعه بين يديه، وفتح وأخرج موسى منه وهو يصير من إبهامه لبناً<sup>(١)</sup> ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عاقبه الأمر ﴿عَذَابًا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كـ«أحزنه» ﴿إِنَّكَ فِرْعَوْنٌ وَهَنَّكَ﴾ وزيره ﴿وَيُؤَدُّهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ﴾ من الخطيعة؛ أي: عاصين؛ فعوقبوا على يديه.

[٩] ﴿وَقَالَتْ أُمْرَأْتُ فِرْعَوْنُ﴾ وقد هم مع أعوانه بقتله هو: ﴿فُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بعاقبة أمرهم معه.

[١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لما علمت بالنقطة ﴿فَرِيغًا﴾ مما سواه ﴿إِنَّ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ أي: بأنه ابنها ﴿وَلَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَّ قَلْبَهَا﴾ بالصبر، أي: شككاه ﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب ﴿وَلَوْلَا﴾ دل عليه ما قبلها.

[١١] ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ مريم: ﴿قُصِيصِي﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصَّرْتِ بِهِ﴾ أبصرته ﴿عَن جُثِيٍّ﴾ من مكان بعيد اختلاسا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته وأنها ترقبه.

[١٢] ﴿وَحَرَمْتَ عَلَيْهِ الْمُرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل رده إلى أمه؛ أي: منقذاه من قبول ثدي مرضعة غير أمه؛ فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته: ﴿هَلْ أَتَاكَ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿بِكُفْلَانِهِ لَكُمْ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَمْ تَصْبُحُوا﴾ وفسرت ضمير: ﴿لَهُ﴾ بالملك، جواباً لهم<sup>(٣)</sup>، فأجبت فجاءت بأمه؛ فقبل ثديها، وأجابته عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن؛ فأذن لها في إرضاعه في بيتها؛ فرجعت به؛ كما قال - تعالى -: [١٣] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ﴾ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا بِلِقَائِهِ ﴿وَلَا تَحْزَنُ﴾ حينئذٍ ﴿وَلَتَسْلَمَ أُنْتَ وَعَدَ اللَّهُ﴾ يرده إليها ﴿حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بهذا الوعد، ولا بأن هذه أخته وهذه أمه، فمكث عندها إلى أن قطعت، وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار، وأخذتها لأنها مال حربي، فأنت به فرعون فترى عنده كما قال - تعالى - حكاية عنه في سورة الشعراء: ﴿أَلَمْ تَرَ يَكُنْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَلْمَنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَلْمَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿١٦﴾ وَقَالَتْ أُمْرَأْتُ فِرْعَوْنُ فُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيغًا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ وَلَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَّ قَلْبَهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِيصِي بِصَّرْتِ بِهِ عَنْ جُثِيٍّ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾ وَحَرَمْتَ عَلَيْهِ الْمُرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴿٢٠﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَتَعْلَمَنَّ أَن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

[٦] ﴿وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَلْمَنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup>: ﴿وَنَرِي﴾ بفتح النحائية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿يَنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وحي إلهام، أو: منام ﴿إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ فإذا خفت عليه فألقيه في البحر؛ أي: النيل ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لغرافه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، لا يبكي، وخافت عليه؛ فوضعت في تابوت مطلي بالقار من داخل مهد له فيه، وأغلقت،

(١) حمزة والكسائي.

(٢) هذه التفصيلات لا فائدة من ذكرها، ولا دليل عليها؛ فالأولى أن يسان التفسير عنها.

(٣) حمزة والكسائي.

(٤) لا يمنع أن يكون قولها: ﴿وَهُمْ لَمْ تَصْبُحُوا﴾ أي لطف؛ فلا يقصرون في خدمته وترتيبه. وصنيع المصنف بشر إلى ما جاء عن ابن عباس: أنها لما قالت ذلك أخذوها وشكروا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك نصحبهم له وشققهم عليه؟ فقالت: إنما أردت: وهم للملك ناصحون؛ فخلصت بذلك من الشر.

(٥) الشعراء: ١٨.

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو: ثلاثون سنة، أو: ثلاث ﴿وَأَسْتَوَى﴾ أي: بلغ أربعين سنة<sup>(١)</sup> ﴿وَأَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ ففها في الدين قبل أن يبعث نبيًا<sup>(٢)</sup> ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿يَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

[١٥] ﴿وَرَدَّخَل﴾ موسى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ مدينة فرعون؛ وهي: «منف» بعد أن غاب عنها مدة ﴿وَعَلَى بَيْنِ غَمْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وقت القبلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ﴾ أي: إسرائيلي ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي: قبطي يُسَخِّرُ الإِسْرَائِيلِي لِيَحْمِلَ حَطْبًا إِلَى مَطْبَخِ فِرْعَوْنَ ﴿فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فقال له موسى: خَلْ سَبِيلَهُ. فقبل: إنه قال لموسى: «لقد هممت أن أحمله»<sup>(٣)</sup> عليك ﴿فَوَكَّرَهُ مُوسَى﴾ أي: ضربه بجمع كفه، وكان شديدة القوة والبطش ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ قتله، ولم يكن قصد قتله<sup>(٤)</sup>، ودفنه في الرمل ﴿قَالَ هَذَا الَّذِي قَتَلَهُ مِنْ عِبْلِ الشَّيْطَانِ﴾ المهيح غضبي ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ لَابِنِ آدَمَ مُضِلٌّ﴾ له ﴿مُبِينٌ﴾ بَيِّنُ الإِضْلالِ.

[١٦] ﴿قَالَ﴾ نادما: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ﴾ ﴿هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: المتصف بهما أرلا وأبدا.

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ﴾ بحق إنعامك<sup>(٥)</sup> ﴿عَلَى﴾ بالمغفرة، اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا﴾ عونًا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين بعد هذه، إن عصمتني.

[١٨] ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتل ﴿فَإِنَّا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِعُهُ﴾ يستغيث به على قبطي آخر ﴿قَالَ لَمْ يَأْتِكُ لَكَ لَعُونٌ مُبِينٌ﴾ بَيِّنُ الغواية لما فعلته الأمس واليوم.

[١٩] ﴿وَلَمَّا أَنْ زَادَهُ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ لموسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظانًا أنه يبطش به لما قال له: ﴿يَتَمَوَّسَعُ أَثَرِيذُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ إن ما ﴿ثُرِيدُ﴾ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ فسمع القبطي ذلك؛ فعلم أن القاتل موسى؛ فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك؛ فأمر فرعون الدباحين بقتل موسى؛ فأخذوا في الطريق إليه.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ هو: مؤمن آل فرعون ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ آخرها ﴿يَسْعَى﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَتَمَوَّسَعُ إِدْرِي﴾

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَى، أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى بَيْنِ غَمْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَى فَلَئِنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِعُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوْنٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَتَمَوَّسَعُ أَثَرِيذُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَتَمَوَّسَعُ إِدْرِي أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾

الْمَدَّ﴾ من قوم فرعون ﴿يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ فأخرجهم من المدينة ﴿إِنِّي لَكِنْ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج.

[٢١] ﴿خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ خَوْفٌ طَالِبٌ، أو غَوَتْ اللُّوْإِيَاهُ ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قوم فرعون.

(١) الأطهر أن يبع الأشد مع الاستواء إشارة إلى عمر واحد، لا عميرين كما ذهب إليه المفسر، وأما تحديده بعمر معين فالغالب أن يكون ذلك في نحو الأربعين، حيث كمال القوة واعتدال المراج، وهما بلوغ الأشد والاستواء.

(٢) وقيل: المراد بالعلم أو بالحكم والعلم النبوة، وهو الأطهر، وهو الذي يتناسب مع قوله: ﴿رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَى﴾ فقد فسرها. أي النعمة. هنا بالمغفرة، ولا علم لموسى الخطيئة بذلك إلا بالوحي. وأما ائقتل فوقع منه على سبيل الخطأ، وأما استغفاره فوجهه والله أعلم أن سبب خطئه الخطيئة هو شدة الغضب والتعجل في الانتقام، ولا يليق هذا بكانته كني، وقيل: وجه استغفاره أنه لم يكن لئبي أن يقتل حتى يؤمر.

(٣) أي الخطب.

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (٢٩٠٥) من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وإن الفتنة تجيء من هاهنا. وأومأ بيده نحو المشرق. من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإما قول موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله ﷻ له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

(٥) قاله عنده للقس، واختار غيره أن المراد بسبب ما أنعمت به علي؛ فالأب عحيثد سببية.

وفي قراءة<sup>(٦)</sup>: ﴿يُضَيِّرُ﴾ من الرباعي؛ أي: يصرفون مواشيهم عن الماء ﴿وَأُولَئِكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي.

[٢٤] ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربيهما، رَفَعَ حجراً عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ لَشَرْطِ<sup>(٧)</sup> من شدة حر الشمس، وهو جامع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَوَيْلٌ﴾ محتاج؛ فرجعنا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانت ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك فأخبرتهما بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: «ادعيه لي»، قال - تعالى -: [٢٥] ﴿لَجَاءَهُنَّ إِحْدَهُمَا تَمَشَّى عَلَى أَسْتَحْيَا﴾ أي: واضعة كُفَّ يَدَيْهَا على وجهها حياة منه ﴿قَالَتْ إِنَّكَ إِنِّي يَدْعُوكَ لِجَزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فأجابها منكراً في نفسه أخذ الأجرة - كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريداه - فمشى بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها؛ فقال لها: امشي خلفي واديني على الطريق. ففعلت إلى أن جاء أباهما؛ وهو: شعيب - عليه السلام<sup>(٨)</sup> - وعنده عشاء، فقال: اجلس فتعش. قال: أخاف أن يكون عوضاً مما سقيت لهما، وأنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضاً. قال: لا، عادي وعادة آبائي تُقْرَى الضيف وتُطْوَمُ الطعام. فأكل وأخبره بحاله<sup>(٩)</sup>، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَوَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ مصدر بمعنى: المقتصوص؛ من قُتِلَ القبطي، وقصدهم قُتْلُهُ، وخوفه من فرعون ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين.

[٢٦] ﴿قَالَتْ إِحْدَهُمَا﴾ وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى: ﴿يَتَأْتِي أَسْتَحْيَا﴾ اتخذها أجيروا يرعى غنما بدلنا ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَحْيَا الْقَوِيُّ الْآزِينُ﴾ أي: استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنه، فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر، ومن قوله لها: «امشي خلفي»<sup>(١٠)</sup> وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعها؛ فرغب في إنكاحه.

[٢٧] ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ وهي الكبرى أو الصغرى ﴿عَلَّيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ تكون أجيروا لي في رعي غنمي ﴿تَمَشَّى جِجْجَ﴾ أي: سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رعي عشر سنين ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ التمام ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بأشراط العشر ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلتَّيْمَنِ﴾ للتبرك<sup>(١١)</sup> ﴿يَتَكَلَّمُ بِالْعَهْدِ﴾ الوافين بالعهد.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قتله ﴿يَبْنِي وَيَنْبُدُ أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ﴾ الثمان أو العشر، و«ما» زائدة؛ أي: رعيه ﴿فَقَضَيْتُ﴾ به؛ أي: فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكَيْلٌ﴾ حفيظ أو شهيد؛ فتم العقد بذلك، وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصي الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى يعلم شعيب<sup>(١٢)</sup>.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ بَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا شَيْءَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُتُوْنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَهُ إِحْدَهُمَا تَمَشَّى عَلَى أَسْتَحْيَا قَالَتْ إِنَّكَ إِنِّي يَدْعُوكَ لِجَزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَوَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَهُمَا يَتَأْتِي أَسْتَحْيَا إِنَّ خَيْرَ مِّنْ أَسْتَحْيَا الْقَوِيُّ الْآمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجْجًا فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

[٢٢] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ قصد بوجهه ﴿بَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ جهتها؛ وهي قرية شعيب، مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بـ«مدین بن إبراهيم»، ولم يكن يعرف طريقها ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: قصد الطريق؛ أي: الطريق الوسط إليها؛ فأرسل الله ملكاً بيده عِزَّةٌ فانطلق به إليها<sup>(١٣)</sup>.

[٢٣] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ بئر فيها أي: وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿وَمِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ سواهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا شَيْءَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ﴾ جمع راع؛ أي: يرجعون من سقيهم خوف الزحام فنسقي،

(١) وهذه لتفصيل لا دليل عليها ولا حاجة إليها، والغالب أنها من الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب، وخبر إرسال الملك إلى موسى عليه السلام ليدله على الطريق، رواه ابن جرير عن السدي الصغير وهو كذاب. (٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُضَيِّرُ﴾. (٣) وهي شجرة مرتفعة ليستظل بها.

(٤) في الجزء بأنه شعيب - عليه السلام - نظر؛ وقد اختلف أهل التفسير في ذلك على أقوال، والأرجح وما إلى به كثير كونه غيره؛ لأن شعيباً النبي كان قبل موسى بمدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة. ثم يبعد أن يترك قومُه المؤمنون به بذته يعملون ويسبقون ولا يقوموا عنهم بذلك، والله أعلم.

(٥) هذه التفاصيل ونحوها مما ذكره المفسر من كيفية سقي موسى - عليه السلام - لهما لا دليل عليها، وإنما يتساهل رحمه الله في الاعتماد على الإسرائيليات، وقد سبق التعليق على ذلك. (٦) روي هذا عن ابن عباس كما في مجمع الزوائد (٢٠٤/٨) وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط والبرز، وفي إسناد الطبراني عديد بن أبي عمران الجوني؛ ضعه ابن معين وغيره، ووقفه ابن حبان، وبقية رجال الطبراني ثقات». وأخرج نحوه الحاكم في مستدركه (٤٤١/٢) عن عمر بن الخطاب وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٧) قال المصنف ذلك بناء على اختياره أن الرجل الصالح هو شعيب النبي عليه السلام؛ فيكون صلاحه محققاً. وسبق بيان الراجح في ذلك وأنه غيره. (٨) لا دليل على هذه التفاصيل، فالأولى الاقتصاد على ما أخبرنا الله - سبحانه - به. وسبق بيان أن أبا المراءين ليس شعيب النبي على الراجح.



﴿ءَابَايَا الْأَوَّلِينَ﴾.

[٣٧] ﴿وَقَالَ﴾ بواو وبدونها<sup>(١)</sup> ﴿مُوسَى رَبِّیْ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ الضمير للرب ﴿وَمَنْ﴾ عطف على «من» قبلها ﴿تَكُونُ﴾ بالقوافية والتحتانية<sup>(٢)</sup> ﴿لَمْ عَقِبَهُ الدَّارُ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة؛ أي: هو أنا في الشقين؛ فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَكُنْ عَلَى الظِّلِينِ﴾ فاطبع لي الآجر ﴿فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ قصرًا عاليًا ﴿لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿وَرَأَى لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في ادعائه إليها آخر وأنه رسوله.

[٣٩] ﴿وَأَسْتَكَرَ مَوْجُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمُ الْإِنْسَانُ لَا يُرْجَعُونَ﴾ فآخذته وجُودُهُ فنبذتهم في آية فأنظر كيف كان عَقِبَهُ الظَّالِمِينَ

[٤٠] ﴿فَأَعَدَّتْهُ وَجُودُهُ فَسَبَّحْتَهُمْ﴾ طرْحَاهُمْ ﴿فِي الْبَرِّ﴾ البحر المالح؛ فغرقوا ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء<sup>(٤)</sup>؛ رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْصُرُونَ﴾ يدفع العذاب عنهم.

[٤٢] ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزيًا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين.

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح وعاد وحمود وغيرهم ﴿بَصَايِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من ﴿الْكِتَابِ﴾ جمع بصيرة؛ وهي: نور القلب؛ أي: أنوارًا للقلوب ﴿وَهَدَى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَايَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٧﴾

وَقَالَ مُوسَى رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٨﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَكُنْ عَلَى الظِّلِينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾

وَأَسْتَكَرَ مَوْجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمُ الْإِنْسَانُ لَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي آيَةٍ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا

مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَاضْحَات، حَالٌ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا يَأْمُرُونَ

بَصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٥﴾

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَاضْحَات، حَالٌ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا يَأْمُرُونَ

بَصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَاضْحَات، حَالٌ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا يَأْمُرُونَ

بَصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٧﴾

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَاضْحَات، حَالٌ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا يَأْمُرُونَ

بَصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٨﴾

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَاضْحَات، حَالٌ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا يَأْمُرُونَ

بَصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾

(١) بدونها قراءة ابن كثير.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالياء للفاعل قراءة نفع وحمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالياء للمفعول.

(٤) راجع التعليل على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

[٤٤] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْجَبَلِ أَوْ الْوَادِي أَوْ الْمَكَانِ الْغَرِيِّ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْنَا أَوْحِينَا إِلَيْكَ مُوسَى الْآثَرَ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك فعله تخبر به.

[٤٥] ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أما من بعد موسى ﴿فَنَطَوَّلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرَ﴾ طالت أعمارهم؛ فسوا اليهود، واندurst العلوم، وانقطع الوحي؛ فجئنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ خبر ثان، فتعرف قصتهم تخبر بها.

﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك وإليك<sup>(١)</sup> بأخبار المتقدمين.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ الْجَبَلِ إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا مُوسَى أَنْ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَلَكِنْ﴾ أرسلناك ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون. [٤٧] ﴿وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُصِيبَةً﴾ عقوبة ﴿يَمَّا فَدَمْتِ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا هَٰذَا﴾ هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف وما بعده مبتدأ والمعنى: لولا الإصابة المسببة عنها قولهم، أو لولا قولهم المسبب عنها، لعاجلناهم بالعقوبة، ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ محمد ﴿مِّنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا هَٰذَا﴾ هَلَّا ﴿أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ﴾ من الآيات، كاليد البيضاء والعصا وغيرهما، أو الكتاب جملة واحدة، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ حيث ﴿قَالُوا﴾ فيه وفي محمد: ﴿سَاجِرَانِ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة: ﴿سِخْرَانِ﴾ أي: القرآن والقرارة ﴿نَظْهَرَا﴾ تعاونا ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكَ لَكَاظِمِينَ﴾ والكنايين ﴿وَالْكَتَائِبِينَ﴾ كُفِرُوا.

[٤٩] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿فَاتَّبَعُوا يَكْتُمُونَ﴾ من عند الله هو أهدى منهما ﴿من الكنايين﴾ اتبعه إن كنتم صديقين ﴿في قولكم﴾.

[٥٠] ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعاءك بالإيمان بكتاب ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ وَلَا كُنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَوَّلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُصِيبَةً يَمَّا فَدَمْتِ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ أَوْ لَمَّا يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِخْرَانِ تَظْهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكَ لَكَاظِمُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ قَاتِلُوا بِكِتَابِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْدَ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾

يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴿٢٠﴾ في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْدَ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أضل منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

(١) أي: أرسلناك رسولاً، وأرسلنا إليك بأخبارهم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقراءة السبعة: ﴿سِخْرَانِ﴾.

أيضاً، نزلت في جماعة أسلموا من اليهود؛ كعبد الله بن سلام وغيره<sup>(١)</sup>، ومن النصارى قدموا من الحبشة<sup>(٢)</sup> ومن الشام.

[٥٣] ﴿وَإِذَا بَلَغَ لَيْسَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾ قالوا: آمناً بيه، إنه الحق من ربنا، إنا كنا من قبله مسلمين﴾ موحدين.

[٥٤] ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ بإيمانهم بالكناين<sup>(٣)</sup> ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على العمل بهما ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ منهما ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدقون.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام مباركة؛ أي: سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿لَا يَنْبَغِي الْجَهْلِينَ﴾ لا نصحبهم.

[٥٦] ﴿وَنَزَلَ فِي حِرْصِهِ﴾ على إيمان عمه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿يَا مُسْلِمِينَ﴾ لا ينبغي الجاهلين ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[٥٧] ﴿وَقَالُوا﴾ قومه: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ ننتزع منها بسرعة، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿[نَجْبِي]﴾ بالفوقانية والنحنانية<sup>(٤)</sup> ﴿إِلَيْهِ نَمُرُّ كُلُّ مَيِّتٍ﴾ من كل أوب ﴿وَرِزْقًا﴾ لهم ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ عندنا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسْمُونَ﴾ أن ما نقوله حق.

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِثْلَهُ بَطَرَتْ مَوِصَّتُهُمَا﴾ عيشها، وأريد بالقرية: أهلها ﴿فَبِئْسَ سَكَنُهُمْ لَوْ شِئْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قِيلاً﴾ للمارة يوماً أو بعضه ﴿وَكُنَّا عَنْ الْوَرِثَةِ﴾ منهم.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ بظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ﴾ أي: أعظمها ﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بتكذيب الرسل.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَوَدَرُوا بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا يَنْبَغِي الْجَهْلِينَ﴾ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿يَا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَوْ نُمَكِّنُ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِثْلَهُ بَطَرَتْ مَوِصَّتُهُمَا فَبِئْسَ سَكَنُهُمْ لَوْ شِئْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قِيلاً وَكُنَّا عَنْ الْوَرِثَةِ﴾ ﴿وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾

[٥١] ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بَيْنَا ﴿لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

يتعظون فيؤمنون.

[٥٢] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (٥٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمري: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: لولا أن تعبرني قريش، يقولون: إنما حملة على ذلك الجرح، لأقرت بها عيك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ وأخرج البخاري نحوه عن المسيب بن خزن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة القصص (٢٨) باب (١).

(٢) أخرج ذلك الطبري في جامعه (٥٦/٢٠، ٥٧) عن قتادة، وهو مرسى ضعيف. وأخرج الطبري أيضاً في جامعه (٥٦/٢٠)، والطبراني في الكبير (٥٣/٥) رقم (٤٥٦٤، ٤٥٦٥)، وغيرهما عن رفاعه القرظي رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في عشرة... أنا أحدهم... قال الهيثمي في الجمع (٨٨/٧): «رواه الطبراني بإسنادين؛ أحدهما متصل، ووجهه ثقافت... وعزه السيوطي أيضاً في الدر المنثور (٤٢٢/٦) لابن أبي شيبة وابن المنذر وغيرهما وقال: «يسند جيدة. وصححه في الاستيعاب (٢٨/٣).

(٣) أخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٩٢/٩) عن سعيد بن جبير، وهو ضعيف مرسل، كما في الاستيعاب (٣٥/٣).

(٤) أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين: رجل من أهل الكتاب؛ آمن بنيه، وأدرك النبي قأمس به، واتبعه، وصدقه؛ فله أجران... الحديث. البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) واللفظ له.

(٤) بالتاء فرامة نافع.



[٦٠] ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنْعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَاعِنَدَ وَتَزِينُونَ بِهِ أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ، ثُمَّ يَفْنَى﴾ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَفْضَلُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالباء والياء (١)؛ أن الباقي خير من الفاني؟

[٦١] ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيهِ﴾ وهو مُصِيبُهُ؛ وهو: الجنة ﴿كَانَ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ النار؟ الأول: المؤمن، والثاني: الكافر؛ أي: لا تساوي بينهما.

[٦٢] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَبَادِيهِمُ اللَّهُ﴾ ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ لهم شركائي؟

[٦٣] ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بدخول النار؛ وهم رؤساء الضلالة: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ هم، مبتدأ، وصفة (٢)، ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ خبره، فغوا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ لم نكرهم على الغي ﴿تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَبْعُثُونَ﴾ ما، نافية، وقدم المفعول للفاصلة.

[٦٤] ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوْا﴾ هم ﴿الْعَذَابَ﴾ أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

[٦٥] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَبَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إليكم.

[٦٦] ﴿فَعَبَّيْتَ عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ﴾ الأخبار المنجية في الجواب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ لم يجدوا خبراً لهم فيه نجاة ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾ عنه، فيسكتون.

[٦٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَأَمَّنَ﴾ صدق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ الناجين بوعده الله.

[٦٨] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿الْخِيَرَةُ﴾ الاختيار في شيء ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم.

[٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تسر قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُخْلِئُونَ﴾ بالسننهم من ذلك.

[٧٠] ﴿هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْآخِرَةُ فِي الْأُولَى﴾ الدنيا

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنْعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَاعِنَدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيهِ كَانَتْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٢﴾ وَيَوْمَ يَبَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَبْعُثُونَ ﴿٦٤﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ كَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ ﴿٦٥﴾ وَيَوْمَئِذٍ يَبَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٦﴾ فَعَبَّيْتَ عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ ﴿٦٧﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَقَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٩﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُخْلِئُونَ ﴿٧٠﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْآخِرَةُ فِي الْأُولَى ﴿٧١﴾

﴿وَالْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَرَبُّكَ يُرْجِعُونَ﴾ بالنشور.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) أي: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَاهُمْ﴾: جملة ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾: خبره.

سماع تفهم فترجعون عن الإشراك؟

[٧٢] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ؟﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيَكُمُ بَيِّنٌ تَشْكُرُونَ﴾ تستريحون ﴿وَيَذَرُ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه؟

[٧٣] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ - تعالى - ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَشْكُرُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَسْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار للكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعمة فيها.

[٧٤] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ آتِنَا شُرَكَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ذكر ثانياً لئلا يظن عليه:

[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ عسى ما قلتم من الإشراك ﴿فَقُلُوا أِنْ الْحَقُّ فِي الْإِلَهِيَّةِ لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وَصَلِّ﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك.

[٧٦] ﴿وَإِنْ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ابن عمه، وابن خالته (١) وأمن به ﴿فَبَدَّلَ اللَّهُ وَجْهَهُ﴾ بالكبر والعلو وكثرة المال ﴿وَوَدَّاعْتَنَ مِنْ الْكُفْرِ مَا إِنْ مَفَاحِمُ لَنُوتُوا﴾ تنقل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُولَى﴾ أصحاب ﴿الْقُوَّةِ﴾ أي: تنقلهم، فالباء للتعدية، وعدتهم قيل: سبعون. وقيل: أربعون. وقيل: عشرة. وقيل: غير ذلك.

اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فرح بظن ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ بذلك.

[٧٧] ﴿وَأَتْبَعَ﴾ اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الذَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾ ترك ﴿نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِنْ﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بعمير المعاصي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم (٢).

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ آيِلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَيِّنٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَيِّنٌ تَشْكُرُونَ فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ آيِلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٤﴾ وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ آتِنَا شُرَكَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾ إِنْ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَدَّلَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَوَدَّاعْتَنَ مِنْ الْكُفْرِ مَا إِنْ مَفَاحِمُ لَنُوتُوا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَتَّبِعْ النَّفْسَ الَّتِي نَفَسَا وَالدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾

[٧٨] ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ آيِلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ؟﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيَكُمُ بَيِّنٌ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ذلك

(١) حكى ابن جرير الإجماع على أنه كان من بني إسرائيل، واختلف في جهة قرابته من موسى عليه السلام فقال ابن عباس وجماعة: كان ابن عمه، وقال ابن جرير: وأكبر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم. وروى عن ابن عباس أيضاً أنه ابن خالته، والمشهور عنه الأول.

(٢) وهذا تأويل لصفة الحجة وانتقالها ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل.

[٧٨] ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُمْ أَيْ: الْمَالُ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أَيْ: فِي مَقَابِلَتِهِ، وَكَانَ أَعْلَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالتَّوْرَةِ بَعْدَ مُوسَى وَهَارُونَ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ الْأُمَمَ ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ لِلْمَالِ، أَيْ: هُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ، وَيَهْلِكُهُمُ اللَّهُ ﴿وَلَا يَسْتَعْلِفُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لِعِلْمِهِ - تَعَالَى - بِهِ؛ فَيَدْخُلُونَ النَّارَ بِلَا حِسَابٍ.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ﴾ قَارُونَ ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾، بِاتِّبَاعِهِ الْكَثِيرِينَ رُكْبَانًا مُتَخَلِّينَ بِمَلَابِسِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ عَلَى خِيُولٍ وَبَعَالٍ مَتَحْلِيَةٍ ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا﴾ لِلنَّبِيِّ ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿إِنَّمَا لَهُمْ لُذُ حَضِرَةٍ﴾ نَصِيبٌ ﴿عَظِيمٍ﴾ وَافٍ فِيهَا.

[٨٠] ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا أَلْفَيْهِ ﴿مَا وَعَدَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ: ﴿وَيَلْعَنُكُمْ﴾ كَلِمَةُ زَجَرٍ ﴿ثَوَابَ اللَّهِ﴾ فِي الْآخِرَةِ بِالْجَنَّةِ ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مَا أُوتِيَ قَارُونَ فِي الدُّنْيَا ﴿وَلَا يُلْقِيهَا﴾ أَيْ: الْجَنَّةَ الْمُنَابَ بِهَا ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ.

[٨١] ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ﴾ بِقَارُونَ ﴿وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيْ: غَيْرِهِ بِأَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُ الْهَلَاكَ ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصِفِينَ﴾ مِنْهُ.

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ أَيْ: مِنْ قَرِيبٍ ﴿يَقُولُونَ وَيَكُنَّا اللَّهُ يَبْسُطُ يَوْسَعَ﴾ الْزَرْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ يَضِيقُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَ«يَوْي» اسْمُ فَعْلٍ، بِمَعْنَى: أَعْجَبَ؛ أَيْ: أَنَا، وَ«الْكَافُ» بِمَعْنَى الْإِلَامِ <sup>(١)</sup> ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ <sup>(٢)</sup> ﴿وَيَكُنَّا لَهُمْ لَاقِلٌ﴾ الْكَافِرُونَ، لِنِعْمَةِ اللَّهِ، كَقَارُونَ.

[٨٣] ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أَيْ: الْجَنَّةُ ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْبَغْيِ ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بِعَمَلِ الْمَعَاصِي ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الْحَمْدَةُ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عِقَابُ اللَّهِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ.

[٨٤] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُمْ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ ثَوَابٌ بِسَبَبِهَا؛ وَهُوَ: عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا﴾ جَزَاءُ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: مِثْلُهُ.

(١) وهذا أحد مذاهب خمسة في معنى كلمة «يَكُنَّا» والوقف فيها.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَّلُ مَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يَسْتَعْلِفُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلْعَنُكُمْ ثَوَابَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصِفِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكُنَّا اللَّهُ يَبْسُطُ الزَّرْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكُنَّا لَهُمْ لَاقِلٌ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

إِنِّي أَنذِرُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّيَ  
أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتُ  
تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنِّي رَبِّكَ فَلَا  
تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ  
اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَتَّبِعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

ألقى إليك ﴿٨٥﴾ رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا ﴿٨٦﴾ مبيئا ﴿٨٧﴾ للكافرين على دينهم الذي دعوك إليه. [٨٧] ﴿٨٨﴾ ولا يصدك أصله: يصدونك؛ حذفت نون الرفع للجازم، والواو الفاعل؛ لانتقالها مع النون الساكنة ﴿٨٩﴾ عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ﴿٩٠﴾ أي: لا ترجع إليهم في ذلك ﴿٩١﴾ وأدع ﴿٩٢﴾ الناس ﴿٩٣﴾ إلى ربك ﴿٩٤﴾ بتوحيده وعبادته ﴿٩٥﴾ ولا تكونن من المشركين ﴿٩٦﴾ بإعانتهم، ولم يؤثروا الجازم في الفعل لبنائه.

[٨٨] ﴿٨٩﴾ ولا تدع ﴿٩٠﴾ تغيب ﴿٩١﴾ مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه ﴿٩٢﴾ إلا إياه ﴿٩٣﴾ له الحكم ﴿٩٤﴾ القضاء النافذ ﴿٩٥﴾ وإليه ترجعون ﴿٩٦﴾ بالمشور من قبوركم.

### سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

[مكية وهي: تسع وستون آية، نزلت بعد الروم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿٢﴾ ألم ﴿٣﴾ الله أعلم بمراد بذلك. [٢] ﴿٤﴾ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ﴿٥﴾ أي: بقولهم: ﴿٦﴾ آمنا وهم لا يفتنون ﴿٧﴾ يخبرون بما يبين به حقيقة إيمانهم؟ نزل في جماعة آمنوا فأذاهم المشركون ﴿٨﴾.

[٣] ﴿٩﴾ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ﴿١٠﴾ في إيمانهم علم مشاهدة ﴿١١﴾ وليعلمن الكذابين ﴿١٢﴾ فيه.

[٤] ﴿١٣﴾ ألم حسب الذين يعملون السيئات ﴿١٤﴾ الشرك والمعاصي ﴿١٥﴾ أن يسبقونا ﴿١٦﴾ يفوتونا فلا ننقم منهم؟ ﴿١٧﴾ ساء ﴿١٨﴾ بس ﴿١٩﴾ ما ﴿٢٠﴾ الذي يفتكرون ﴿٢١﴾ حكمهم هذا.

[٥] ﴿٢٢﴾ من كان يربوا ﴿٢٣﴾ يخاف ﴿٢٤﴾ لقاء الله فإن أجل الله ﴿٢٥﴾ به ﴿٢٦﴾ لا تأت ﴿٢٧﴾ فليستعد له ﴿٢٨﴾ وهو السميع ﴿٢٩﴾ لأقوال العباد ﴿٣٠﴾ العليم ﴿٣١﴾ بأفعالهم.

[٦] ﴿٣٢﴾ ومن جهد ﴿٣٣﴾ جهاد حرب أو نفس ﴿٣٤﴾ فإنما يجهد لنفسه ﴿٣٥﴾ فإن منفعة جهاده لا لله ﴿٣٦﴾ إن الله لعني عن العلويين ﴿٣٧﴾ الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم.

### سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْعَنكَبُوتُ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهِدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

[٨٥] ﴿٨٦﴾ إن الذي فرض عليك القرآن ﴿٨٧﴾ أنزله ﴿٨٨﴾ لردك إلى معاد ﴿٨٩﴾ إلى مكة ﴿٩٠﴾، وكان قد اشتاقها ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ قل ربّي أعلم مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٣﴾ نزل جوابا لقول كفار مكة له: إنك في ضلال. أي: فهو الجائي بالهدى، وهم في ضلال، و﴿٩٤﴾ أعلم ﴿٩٥﴾ بمعنى: عالم.

[٨٦] ﴿٨٧﴾ وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب ﴿٨٨﴾ القرآن ﴿٨٩﴾ إلا ﴿٩٠﴾ لكن

(١) وهو قول كثير من المفسرين، واختار ابن كثير وغيره أن المراد بالعباد يوم القيامة. قال: فسأله عما استرعا من أعباء النبوة. كما قال - تعالى -: ﴿فَلْيَسِّرْ لِلْيَسَارِ أَرْبَابَ إِلَهُكُمْ وَلْيَسِّرْ لِلْيَسَارِ﴾ [الأعراف: ٦]، وقال: ﴿يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ أَرْسُلَ قَبُولٍ مَّاذًا أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وهذا أقرب، والله أعلم.

(٢) يشير إلى ما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٤٥/٦) عن الضحاك، وعزاه لابن أبي حاتم. وضعفه جدًا في الاستيعاب (٤٠/٣).

(٣) وهذا تأويل لصفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، وهي من الصفات الحقيقية التي نشأتها له - سبحانه - على الوجه اللائق به، ولا شك أن الوجه يستلزم الذات. ولكن لا يجوز إرادة اللزوم ونفي اللزوم؛ بل يجب إثباتهما معًا.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٣/٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي، وهو مرسل ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٤٢٠/٣).

[٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ ﴿٧﴾ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن، ونصبه بنزع الحافظ: الباء ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو الصالحات.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: إيصاء ذا حسن؛ بأن يبرَّهُمَا، ﴿وَأِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: وإن جاهدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، يشاركه ﴿عَلَّمٌ﴾ موافقة للواقع، فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الإشراف (١) ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم به.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء؛ بأن نحشرهم معهم.

[١٠] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: أذاهم له ﴿كَذَّابٌ لِلَّهِ﴾ في الخوف منه؛ فيطيعهم فيناق ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿جَاءَ نَصْرٌ﴾ للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿يَقُولُونَ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع للقاء السالكين: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان؛ فأشركونا في الغنيمة، قال - تعالى -: ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ بقلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى.

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.

[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ ديننا ﴿وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخبر (١) قال - تعالى -: ﴿وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك.

[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ أَوْزَارَهُمْ﴾ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴿بِقَوْلِهِمْ﴾ للمؤمنين: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يكذبون على الله، سؤال توبيخ، واللام في الفعلين (٢) لام قسم، ولحذف فاعلها: الواو ونون الرفع.

[١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلْيَتَّخِذْ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ لِلَّهِ وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله؛ فكذبوا ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم؛ فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ مشركون.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرجه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: نزلت في أربع آيات... فذكر قصة - وقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر؟ والله لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر. فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا [أي نضجوا] فها، فنزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٠).

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٤٨) لكن لفظ الآية عنده أقرب إلى آية لقمان (١٥٠٤)، وهو الأقرب في قصة أم سعد؛ حيث إن نزول سورة لقمان كان قبل نزول سورة العنكبوت بكثير، ولو كانت آية العنكبوت قد نزلت ساعة وقعة سعد مع أمه لقرأ عليها آية لقمان، ولم يكن له كبير مزية في نزول آية العنكبوت فيه؛ إلا أن يقال: إن كلتا الآيتين نزلت في قصته مع أمه، وهو بعيد، والله أعلم.

(١) أي: منكم الاتباع، وعلينا حمل خطاياكم.

(٢) أي: في ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾، و﴿لَيَسْأَلُنَّ﴾.

[١٦] ﴿وَإِذْ ذَكَرَ إِبرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير من غيره.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ: غيره ﴿أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ يقولون كذباً: إن الأوثان شركاء لله<sup>(١)</sup> ﴿إِنَّا الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرُونَ أن يرزقوكم ﴿فَاسْتَعِذُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ اطلبوه منه ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ<sup>(٢)</sup>.  
[١٨] ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا﴾ أَيْ: تكذبوني يا أهل مكة<sup>(٣)</sup> ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من قبلي ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْبَيِّنُ﴾ إلا البلاغ البين، في هاتين القصتين تسلياً للنبي ﷺ.

[١٩] وقال - تعالى - في قومه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بالياء والتاء<sup>(٤)</sup>، ينظروا ﴿كَيْفَ بَيَّئْتُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ هو بضم أوله، وقرئ بفتح<sup>(٥)</sup>؛ من بدأ وأبدأ؛ بمعنى: أي يخلقهم ابتداءً ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُ﴾ أَيْ: الخلق كما بدأهم ﴿إِنْ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فكيف ينكرون الثاني؟

[٢٠] ﴿فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴿لَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَمَاتُهُمْ﴾ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴿مَدًّا، وَقَصْرًا﴾ مع سكون الشين<sup>(٦)</sup> ﴿إِنَّا اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه البدء والإعادة.  
[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَالِلَّهِ تُقَبَّلُونَ﴾ تردون.

[٢٢] ﴿وَمَا أَنشَأَ يُمْسِرِينَ﴾ ربكم عن إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها؛ أَيْ: لا تفوتونه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيْ: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم من عذابه.  
[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَكْفُرُوا بِبَيْتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ<sup>(٧)</sup> ﴿أَي: القرآن والبعث﴾ ﴿أُولَٰئِكَ يَشْهَرُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ أَيْ: جنتي<sup>(٨)</sup> ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاسْتَعِذُوا عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْأَمِيرُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَإِنْ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقَابُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَكْسِبُونَ سُوءًا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ أَيْ: نوحاً ﴿وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ﴾ الذين كانوا معه فيها ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾ عبرة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر<sup>(١)</sup> حتى كثر الناس.

(١) إثبات هذا يحتاج إلى دليل صحيح.

(٢) وقال عكرمة وقتادة والحسن: تحوّلها أصناماً. واختاره ابن جرير.

(٣) وقيل: هذا من قول إبراهيم عليه السلام.

(٤) بالناء قراءة حمزة والكسائي.

(٥) أَيْ: شذوّذ.

(٦) بالناء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) وهذا تأويل لصفة الرحمة بأحد نوازمها. ومذهب السلف إثباتها له - شيخانته - على الوجه اللائق به كما سبق مراراً.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ  
فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾  
وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ  
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَىٰ كُفْرٍ النَّارُ  
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ  
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾  
وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ  
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَآتَيْنَاهُ  
فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ  
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ  
مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَتُنْكِرُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ  
السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ  
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ  
الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ في استقبح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه.

﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِتَحْقِيقِ قَوْلِي فِي إِزَالِ الْعَذَابِ ﴿٣٠﴾ عَلَى الْقَوْمِ  
الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ العاصين بآياتي الرجال؛ فاستجاب الله دعاه.

[٢٤] قال - تعالى - في قصة إبراهيم الخليل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ  
إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ التي قَذَفُوهُ فيها؛ بأن  
جعلها عليه بَرْدًا وسلامًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: إجماعه منه ﴿لَآيَاتٍ﴾ هي  
عدم تأثيرها فيه مع عظمتها، وإحمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير  
﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته؛ لأنهم المنتفعون بها.

[٢٥] وقال إبراهيم: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونها،  
و«ما» مصدرية ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ خبر «إن»، وعلى قراءة النصب (١):  
مفعول له، و«ما» كافة؛ المعنى: تواددتم على عبادتها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ  
بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ﴾ مصيركم جميعًا  
﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ مانعين منها.

[٢٦] ﴿فَتَأْمَنَ لَهُ﴾ صدق إبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو: ابن أخيه هاران  
وقال إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني  
ربي، وهَجَرَ قَوْمَهُ وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في  
ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنع.

[٢٧] ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق  
﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته  
﴿وَالْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب؛ أي: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَوَاتَيْنَاهُ  
أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وهو الشاء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَوَاتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ  
لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ [أَتُنْكِرُونَ]﴾ بتحقيق الهمزتين  
وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (٢) ﴿لَتَأْتُونَ  
الْفَاحِشَةَ﴾ أي: أديار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾  
الإنس والجن.

[٢٩] ﴿أَتُنْكِرُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم  
الفاحشة بمن ير بكم؛ فترك الناشء المرء بكم (٣) ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ﴾  
أي: مُتَحَدِّثِكُمْ ﴿الْمُنْكَرَ﴾ فعل الفاحشة بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴿فَمَا كَانَ  
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ

(١) والقراءة المذكورة أولاً بالرفع والإضافة للكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ حفص وحمره: ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ بالفتح والإضافة. وقرأ الباقون: ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو. وأجمع القراء على الاستفهام في الموضع الثاني، وهو ﴿أَتُنْكِرُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

(٣) أي: وتركه، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) الأظهر أن قطعهم السبيل أعم من ذلك، فيشمل مع ما ذكر إخافة المارة ورهابهم بأخذ أموالهم وسفك دماهم ونحو ذلك.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا  
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾  
 قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا لَنْ نَجِدَهُ  
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا  
 أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا  
 وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا  
 أَمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ  
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَاسُكُونَ  
 وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٤﴾  
 وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُ عِبْدُ اللَّهِ  
 وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ أَخْشَوْهُ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٥﴾  
 فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
 جِثِيمِينَ ﴿٣٦﴾ وَعَادَ آوْتَمُودَ أَوْ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ  
 مِنْ مَّسَاسِكِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ  
 فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿٣١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى لِيُاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ بعده

﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ كافرين.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾ أي: الرسل: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ [لِنُجِيبَهُ] ﴿بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ﴾ (١) ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ الباقين في العذاب.

﴿٣٣﴾ ﴿وَلَمَّا أَنَّ كَانَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدراء لأنهم حسان الوجه في صورة أضياف؛ فخاف عليهم قومه؛ فأعلموه أنهم رسل ربهم ﴿وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ﴾ بالتشديد والتخفيف (٢) ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ ونصب «أهلك» عطف على محل الكاف.

﴿٣٤﴾ ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد (٣) ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ يَمَاسُ﴾ بالفعل الذي ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ به؛ أي: سبب فيشقهم.

﴿٣٥﴾ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة؛ هي: آثار خرابها ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

﴿٣٦﴾ ﴿وَوَيْلٌ لَّارْسِلْنَا﴾ إلى مدين أخاهم شعيبًا فقال يَتَقَوَّمُ عِبْدُ اللَّهِ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ أخشوه؛ هو: يوم القيامة ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها، من «عنتي» بكسر المثلثة؛ أفسد.

﴿٣٧﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ باركين على المركب ميتين.

﴿٣٨﴾ ﴿وَوَيْلٌ لَّاهْلَكْنَا﴾ عَادًا ﴿وَوَيْلٌ لَّاهْلَكْنَا﴾ بالصرف وتركه (٤)؛ بمعنى: الحي والقبيلة (٥) ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ إهلاكهم ﴿وَمِنْ مَّسَاسِكِهِمْ﴾ بالحيف واليمن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ذوي بصائر.

(١) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

(٢) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير.

(٣) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٤) بالصرف قراءة السبعة عند حمزة وحفص.

(٥) أي: على كل من القراءتين بالترتيب؛ أي ينصرف للمودة إذا كان بمعنى: الحي، ويمنع من الصرف إذا كان اسماً للقبيلة؛ أي للعلمية والتأنيث.



[٣٩] ﴿وَأَهْلَكْنَا قُرُونًا وَفَرَعُونَ وَهَمَزٌ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ الْحُجُجُ الظَّاهِرَاتِ ﴿فَلَنُكَفِّرَنَّ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً﴾ فالتين عذابتنا.

[٤٠] ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحا عاصفة فيها حصاب؛ قوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ﴾ كعمود ﴿وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كفارون ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا﴾ قوم نوح، وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

[٤١] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: أصناما يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَأَنَّ أَوْهَنَ﴾ أضعف ﴿الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ لا يدفع عنها حزا ولا يزداد؛ كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما عبدوها. [٤٢] ﴿إِنَّا اللَّهُ يَعْلَمُ مَا﴾ بمعنى: الذي ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون، بالياء والفاء<sup>(١)</sup> ﴿وَمِنْ دُونِهِ﴾ غيره ﴿مَنْ شَاءَ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٤٣] ﴿وَنِلَّكَ الْأَمْثَلُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نجعلها ﴿لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ أي: يفهمها ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ المتدبرون.

[٤٤] ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: محققا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دالة على قدرته - تعالى - ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حصوا بالذكر؛ لأنهم المنفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[٤٥] ﴿أَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿شَرَعًا﴾ أي: من شأنها ذلك ما دام المرء فيها ﴿وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من غيره من الطاعات ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فيجازيكم به.

وَقُرُونًا وَفَرَعُونَ وَهَمَزٌ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً﴾ ﴿فَكُلًّا﴾ أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿إِنَّا اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿وَنِلَّكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿أَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾

(١) بالياء قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو.

يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوا﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أجبروكم بشيء مما في كتبهم: ﴿أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ﴾ (١) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿وَالْهَذَا وَالْهَذَا وَجِدْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون. [٤٧] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن؛ كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَبُ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَمَنْ هَؤُلَاءِ﴾ أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وما يجحد ياتينها بعد ظهورها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ أي: اليهود (٢)، وظهر لهم أن القرآن حق والجاني به محق، وجحدوا ذلك.

[٤٨] ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُبُ يَسْمِعُكَ إِذَا﴾ أي: لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لَا تَرَاهُ﴾ شك ﴿الْمُتَبِيلُونَ﴾ اليهود فيك، وقالوا: الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

[٤٩] ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿بِآيَاتٍ يَبَيِّنُ فِي صُورِ اللَّيْلِ أَوْثَارَ الْبَاقِرِ﴾ أي: المؤمنون يحفظونه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْفَالْسِفُونَ﴾ أي: اليهود، وجحدوها بعد ظهورها لهم.

[٥٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي: محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (٣) وفي قراءة: ﴿بِآيَاتٍ﴾ كنافه صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا آيَاتِي عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية.

[٥١] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فيما طلبوا ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يَتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الكتاب ﴿لَعِبْرَةً لِمَنْ عَقِلَ﴾ عظة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا﴾ بصديقي ﴿يَسْمَعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفقتهم؛ حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَالْهَذَا وَالْهَذَا وَجِدْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين ءاتينهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد ياتينها إلا الكفرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا تراب المبطون بل هو ءاتيت يبين في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد ياتينها إلا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه ءايت من ربه قل إنما الآيت عند الله وإنما أنا نذير مبين أولئك كفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السموات والأرض والذين ءامنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون

[٤٦] ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته، والتنبية على حججه ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يفرضوا بالجزية؛ فجادلهم بالسيف حتى

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصلفوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا» وما أنزل إليكم الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (١١) قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا... قال الحافظ: «وصنع البخاري هذا يقتضي أن تجعل هذه الآية تحت قوله تعالى: ﴿قُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾... وهي الآية (١٣٦) من سورة البقرة... والذي يظهر لي أن النبي ﷺ يشير في هذا الحديث لقوله تعالى: ﴿قُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَالْهَذَا وَجِدْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ من سورة العنكبوت، وذلك أن صدر الآية: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ وهذا يتناسب مع معنى الحديث المقصود منه... الفتح (٢٠/٨) تصريف يسير.

(٢) المناسب أن يقول: إلا الكافرون؛ كاللهد وغيرهم. فالآية تشتمل هؤلاء جميعاً، ولا فائدة في حصرها في اليهود.

[٥٣] ﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّهِ ﴿١﴾ لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عَاجِلًا ﴿٢﴾ وَإِلَىٰ آلِهِمْ يُنْفَخُ وَهْمُهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ بوقت إتيانه.

[٥٤] ﴿يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا ﴿١﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢﴾.

[٥٥] ﴿يَوْمَ يَنْصَبُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿١﴾ وَنَقُولُ ﴿٢﴾ فيه؛ بالنون: أي: نأمر بالقرول، وبالياء<sup>(١)</sup>: ﴿يَقُولُ﴾ أي: الموكل بالعذاب: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه فلا تغوتونا.

[٥٦] ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي رَاضٍ بِسَبْعَةٍ فَإِنِّي قَاعِدُونَ ﴿١﴾ فِي أَرْضٍ تَبَشَّرْتُ فِيهَا الْعِبَادَةَ؛ بَأَن تَهَاجَرُوا إِلَيْهَا مِنْ أَرْضٍ لَمْ تَبَشِّرْ فِيهَا، نَزَلَ فِي ضِعْفَاءٍ مُّسْلِمِي مَكَّةَ كَانُوا فِي ضَيْقٍ مِنْ إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ بِهَا.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿١﴾ بالتاء وبالياء<sup>(٢)</sup>؛ بعد البعث.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴿١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعِوَالٍ مِّنْ لَّدُنَّا عِوَالًا ﴿٢﴾ بالثالثة بعد النون؛ من الثواء: الإقامة، وتعديته إلى ﴿عِوَالًا﴾ بحذف «في» ﴿مِنَ الْجَنَّةِ عِوَالًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿٣﴾ بِمَقْدَرِ الْخُلُودِ ﴿٤﴾ فِيهَا نِعَمٌ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٥﴾ هَذَا الْأَجْرُ.

[٥٩] ﴿هَمُّ﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴿١﴾ أي: على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ فَبِرِزْقِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ.

[٦٠] ﴿وَكَايُنَ﴾ كَمْ ﴿مِنَ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴿١﴾ لَضَعْفِهَا ﴿٢﴾ اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّكُمْ ﴿٣﴾ أَيُّهَا الْمُهَاجِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ زَادٌ وَلَا نَفَقَةٌ ﴿٤﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴿٥﴾ لَأَقُولَ لَكُمْ ﴿٦﴾ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾ بِضَمِّهَا كَمْ.

[٦١] ﴿وَلَيْنَ﴾ لَمْ قَسَمَ ﴿سَأَلْتَهُمْ ﴿١﴾ أي: الكفار ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَسَخَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٢﴾ بِصَرْفِهِمْ عَنْ تَوْحِيدِهِ بِعَدِّ إِقْرَارِهِمْ بِذَلِكَ.

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ ﴿١﴾ يَوْسَعُهُ ﴿٢﴾ لَيْسَ يَسَاءُ مِنْ عِبَادِيهِ ﴿٣﴾ امْتَحَنًا ﴿٤﴾ وَيَقْدِرُ ﴿٥﴾ يَضِيقُ ﴿٦﴾ لَهُ ﴿٧﴾ بَعْدَ التَّبْطِيطِ؛ أَيْ: لَمْ يَسَاءُ ابْتِلَاءَهُ ﴿٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِيمٌ ﴿٩﴾ وَمِنْهُ مَحَلُّ الْبَسْطِ وَالتَّضْيِيقِ.

[٦٣] ﴿وَلَيْنَ﴾ لَمْ قَسَمَ ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ

وَيَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي رَاضٍ وَسِعَةً فَإِنِّي قَاعِدُونَ ﴿٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمٌ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٧﴾ وَكَأَيُنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّكُمْ لَعَالَمُونَ ﴿٨﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَسَخَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٩﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِيمٌ ﴿١٠﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿١١﴾ فكيف يشركون به؟! ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَنِ ثبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تَنَاقُضُهُمْ فِي ذَلِكَ.

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهي قراءة نافع وحزمة والكسائي وعاصم، وفي الآية إثبات صفة القول والكلام، وأنه يتعلق بمشيئة - شَيْخَانَةٌ - واختياره.

(٣) قرأ شعبة وبالياء وفيه السبعة بالتاء.

(٤) أي: وبالياء بدل الهمزة فتكون ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي.



وَعَذَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ تَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أَن كَذَبُوا بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا يَهَابِسْتَهُمْ وَن: اللَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠﴾ وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٢﴾ وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ يُتَفَرَّقُونَ ﴿١٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٤﴾

والكافرون.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ جنة يُحْبَرُونَ﴾ يسرون.

[٦] ﴿وَعَذَّ اللَّهُ﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله، والأصل: وَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ﴾ به ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة<sup>(١)</sup> ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعده. تعالى - بنصرهم.

[٧] ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: معاشها من التجارة والزراعة والبناء والغرس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ إعادة ﴿هُمْ﴾ تأكيد.

[٨] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لذلك نفى عند انتهائه، ويعد البعث ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

[٩] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ وهي: إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ حراثوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: كفار مكة ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ إهلاكهم بغير جرم ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتكذيبهم رسلهم.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ تأنيث الأسوأ: الأقيح، خبر ﴿كَانَ﴾ على رفع ﴿عَاقِبَةُ﴾<sup>(٢)</sup> واسم ﴿كَانَ﴾ على نصب ﴿عَاقِبَةُ﴾ والمراد بها جهنم وإساءتهم ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿كَذَبُوا بَيِّنَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[١١] ﴿اللَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ﴾ أي: ينشئ خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: خلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بالياء والتاء<sup>(٣)</sup>.

[١٢] ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يسكت المشركون؛ لانقطاع حججهم.

[١٣] ﴿وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ﴾ أي: لا يكون ﴿لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ ممن أشركوهم بالله؛ وهم: الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَاؤُا وَكَانُوا﴾ أي: يكونون ﴿بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أي: متبرئين منهم.

[١٤] ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ﴾ تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ المؤمنون

(١) الأولى تفسيرها بالعموم، ويدخل الكفار فيها دخولاً أولياً.

(٢) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالياء قراءة أبي عمرو وشعبة.

تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح.

[١٨] ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض، ومعناه: يحمده أهلها ﴿وَعِشْيَا﴾ عطف على ﴿حِينَ﴾، وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تَطْهَرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر.

[١٩] ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ النُّطْفَةِ وَالْبَيْضَةِ﴾ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بِالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخْرِجُونَ﴾ من القبور؛ بالبناء للفاعل والمفعول<sup>(١)</sup>.

[٢٠] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ - تعالى - الدالة على قدرته ﴿أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ في الأرض.

[٢١] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلقت حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطفة الرجال والنساء ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ وتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ جميعاً ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ إن في ذلك المذكور ﴿لَايَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنع الله - تعالى ..

[٢٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السَّيِّدَ﴾ أي: لغانكم من عرية وعجمية وغيرها ﴿وَالْوَيْكَرَ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها<sup>(٢)</sup>؛ أي: ذوي العقول وأولي العلم.

[٢٣] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بإرادته راحة لكم ﴿وَأَنْبَاؤُكُمْ﴾ بالنهار ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار.

[٢٤] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُكُمْ﴾ أي: إراءتكم ﴿الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا؛ أي: يسها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا وَحِينَ تَطْهَرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴿٢١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السَّيِّدَ وَالْوَيْكَرَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبَآؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٦﴾

[١٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[١٧] ﴿فَسَبِّحْنَ اللَّهَ﴾ أي: سبحوا الله؛ بمعنى: صلوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي: تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾

(١) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه.

(٢) بالفتح قراءة السبعة إلا حفصاً.

[٢٥] ﴿وَمَنْ عَائِدَةٍ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِ﴾ يارادته من غير عمد ﴿ثُمَّ إِنَّا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿إِذَا أَنْتُمْ فَرَجَوْنَ﴾ منها أحياء، فخرجكم منها بدعوة؛ من آياته - تعالى ..

[٢٦] ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿كُلٌّ لَّهُ قَدُونَ﴾ مطيعون.

[٢٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ﴾ للناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ من البدء، بالنظر إلى ما عند الخطابين من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فهما عند الله - تعالى - سواء في السهولة ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: الصفة العليا؛ وهي: أنه لا إله إلا الله ﴿وَهُوَ الْمَرِئِيُّ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

[٢٨] ﴿ضَرَبَ﴾ جعل ﴿لَكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿مَثَلًا﴾ كأنك ﴿يُنْ أَنْفُسَكُمْ﴾ وهو: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: من ممالككم ﴿يُنْ شُرَكَاءَ﴾ لكم ﴿فِي مَا رَزَقْنَكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم؟ أي: أمثالكم من الأحرار؟ والاستفهام بمعنى النفي؛ المعنى: ليس ممالككم شركاء لكم - إلى آخره - عندهم؛ فكيف يجعلون بعض ممالك الله شركاء له؟ ﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَيَّاتِ﴾ يُبَيِّنُهَا مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[٢٩] ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالإشراك ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ؟ أي: لا هادي له ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ تَنْصِيرٍ﴾ مانعين من عذاب الله.

[٣٠] ﴿فَأَفَذَ﴾ يا محمد ﴿وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَبِطُوا﴾ مائلاً إليه؛ أي: أخلص دينك لله أنت ومن تبعك ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾ خلقته ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي دينه؛ أي: الزمواها ﴿لَا يَبْدِيلُ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ لدينه؛ أي: لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَنْفَكُوا﴾ المستقيم توحيد الله ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله.

[٣١] ﴿مُتَّبِعِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ - تعالى - فيما أمر به ونهى عنه، حال من فاعل ﴿أَقِمُوا﴾ وما أريد به؛ أي: أقيموا ﴿وَأَتَّقُوا﴾ خافوه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ فَرَجَوْنَ ﴿٢٦﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدُونَ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ أَنْتُمْ فَاعِلُونَ ﴿٢٩﴾ فَاعِلُونَ كَخَبِطْتُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَنْصِيرٍ ﴿٣١﴾ فَافْزَحْهُكَ لِلَّذِينَ حَبِطُوا فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَكِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٣﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٤﴾

[٣٢] ﴿مِنْ الَّذِينَ﴾ بدل إعادة الجار ﴿قَرَأُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُوا شَيْعًا﴾ فرقا في ذلك ﴿كُلٌّ حِزْبٌ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿فَرِحُوا﴾ مسرورون، وفي قراءة: ﴿فَارْتَوُوا﴾ أي: تركوا دينهم الذي أبزوا به.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسوا فيها من جدعاء؟»، يقول أبو هريرة: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَكِرُ﴾. البخاري - كتاب الجنائز (٢٣) باب (٧٩) إذا أسلم الصبي فمات؛ هل يُصلى عليه. وكتاب التفسير (٦٥) سورة الروم (٣٠) باب لا تبدل خلق الله. وأخرجه مسلم - كتاب القدر (٤٦) باب (٦) كل مولود يولد على الفطرة. وعنده زيادة قول أبي هريرة: «أقرءوا إن شئتم...».





[٤٢] ﴿قُلْ لِكُفَّارِ مَكَّةَ: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ فَأَهْلَكُوا بِإِشْرَاكِهِمْ، وَمَسَاكِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ خَاوِيَةً.

[٤٣] ﴿فَأَفَرَّ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ الْقَتَلُوا دِينَ الْإِسْلَامِ﴾ مِن قَبْلُ أَن يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِن اللَّهِ ﴿هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ يَوْمَ يُصَدِّقُ يَصَدِّعُونَ ﴿فِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الصَّادِ؛ يَتَفَرَّقُونَ بَعْدَ الْحِسَابِ إِلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

[٤٤] ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وَبِالْ كُفْرِهِ؛ وَهُوَ: النَّارُ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَهْدِيهِمْ يَهْدُون﴾ يُوَلِّطُونَ مَنَازِلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ.

[٤٥] ﴿لِيَجْزِيَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿يَصَدِّعُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مِن فَضْلِهِ ﴿يَسْبِقُهُمْ﴾ إِنَّهُمْ لَا يَحِبُّونَ الْكَافِرِينَ ﴿أَي: يَعَاقِبُهُمْ﴾.

[٤٦] ﴿وَمَنْ ءَاتَيْنَاهُ﴾ - تَعَالَى - ﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرِينَ﴾ بِمَعْنَى: لِيُبَشِّرَهُم بِالْمَطَرِ ﴿وَلِيُذِيقَهُمْ﴾ بِهَا ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ الْمَطَرُ وَالْخَصْبُ ﴿وَلِيَجْزِيَ﴾ أَلْفُلُكُ السَّفِينِ بِهَا ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بِإِرَادَتِهِ ﴿وَلِيَسْتَنْوُوا﴾ تَطَلَّبُوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الرِّزْقَ بِالتِّجَارَةِ فِي الْبَحْرِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هَذِهِ الثَّعْمُ يَا أَهْلَ مَكَّةَ؛ فَتُفَوِّدُوهُ.

[٤٧] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهُمْ بِآيَاتِنَا يَكْفُرُونَ﴾ بِالْحُجُجِ الْوَاضِحَاتِ عَلَى صِدْقِهِمْ فِي رِسَالَتِهِمْ إِلَيْهِمْ؛ فَكَذَّبُوهُمْ ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِائِدًا﴾ أَهْلَكْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوهُمْ ﴿وَكُنَّا حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ يَهْلِكُهُمْ وَإِنْجَاءَ الْمُؤْمِنِينَ.

[٤٨] ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسَ سَحَابًا﴾ تَزْعِجُهُ ﴿فَيَسْطُلُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ مِن قَلَّةٍ وَكَثْرَةٍ ﴿وَيَعْلَمُ كَيْفًا﴾ بِفَتْحِ السِّينِ وَسُكُونِهَا <sup>(١)</sup>؛ قِطْعًا مُتَفَرِّقَةً ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ الْمَطَرَ ﴿يَخْرُجُ مِنَ خِلَالِهِ﴾ أَي: وَسَطِهِ ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ بِالْوَدْقِ ﴿مَنْ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾ يَفْرَحُونَ بِالْمَطَرِ.

[٤٩] ﴿وَإِن﴾ وَقَدْ ﴿كَانُوا مِن قَبْلُ أَن يُزَكَّ عَلَيْهِمْ مِن قَبْلِهِ﴾ تَأْكِيدٌ ﴿لِلْمُتْلِسِينَ﴾ أَسْبِينُ مِن أَنْزَالِهِ.

[٥٠] ﴿فَانظُرْ إِلَى [أَنْزِلَ] <sup>(٢)</sup>﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿ءَاثَرِهِ﴾ رَحْمَتِ اللَّهِ أَي:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَأَفَرَّ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ الْقَتَلُوا دِينَ الْإِسْلَامِ مِن قَبْلُ أَن يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِن اللَّهِ ﴿٢﴾ يَوْمَ يُصَدِّقُ يَصَدِّعُونَ ﴿٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَهْدِيهِمْ يَهْدُون ﴿٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٥﴾ وَمَنْ ءَاتَيْنَاهُ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرِينَ وَلِيُذِيقَهُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ أَلْفُلُكُ يَا أَمْرَهُ وَلِيَسْتَنْوُوا مِّن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهُمْ بِآيَاتِنَا يَكْفُرُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسَ سَحَابًا فَيَسْطُلُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَيْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ ﴿٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ أَن يُزَكَّ عَلَيْهِمْ مِن قَبْلِهِ لَمُبْلِغِينَ ﴿٩﴾ فَانظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾

نَعْمَتُهُ <sup>(٤)</sup> بِالْمَطَرِ ﴿كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أَي: يَسْهَى بِأَن تَنْبَت ﴿وَإِن ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) وهذا تأويل لصفة الحية بلازمها، وسبق بيان مذهب السلف في هذه الصفة وغيرها وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به.

(٢) يسكون السين قراءة ابن عامر، بخلاف عن هشام.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿ءَاثَرِهِ﴾.

(٤) نعمته - شَيْخَانَةٌ - بِالْمَطَرِ أَثَرٌ مِّنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ. وَفِي الْآيَةِ إِثْبَاتُ صِفَةِ الرَّحْمَةِ لِلَّهِ ﷻ.

[٥٣] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنَّا مَا نَسْمَعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون بتوحيد الله.

[٥٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر؛ وهو: ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي: قوة الشاب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحها <sup>(١)</sup> ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفْسِدُ﴾ يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَيْسُوا﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يصفرون عن الحق: «البعث»، كما صرفوا عن الحق: «الصدق في مدة البعث».

[٥٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ من الملائكة وغيرهم: ﴿لَقَدْ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِنْ يَوْمَ الْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقوعه.

[٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ﴾ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهاً لهم ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿يَجْتَهُمُ﴾ يا محمد ﴿يَاكُذُّ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ أي: محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أصحاب أباطيل.

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوحيد؛ كما طبع على قلوب هؤلاء.

[٦٠] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصره عليهم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَكَ﴾ بالبعث؛ أي: لا يحملئك على الخفة والطيش بترك الصبر؛ أي: لا تتركه.

\*\*\*

وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا رَحْمَةً لِّظُلُمٍ مِّنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥٤﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنَّا نَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٥٦﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٧﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُفْسِدُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْسُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيْقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٦١﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَكَ

[٥١] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا رَحْمَةً﴾ مصرة على نبات ﴿فَرَأَاهُ مُصَفَّرًا لِّظُلُمٍ﴾ صاروا، جواب القسم ﴿مِّنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد اصفراه ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يجهلون النعمة بالمطر.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الباء <sup>(١)</sup> ﴿وَلَوْ أَنَّ مَدِيرِينَ﴾.

(١) التسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وشعبة، وحفص في أحد الوحيين، والوجه الآخر لحفص بخف عه، وحمزة، وشعبة: ﴿ضعف﴾ بالفتح.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

## سُورَةُ الْقَمَانِ

## سُورَةُ الْقَمَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَمَانِ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ١ هُدًى وَرَحْمَةً  
لِّلْمُحْسِنِينَ ٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٣ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٤ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ  
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ  
عَذَابٌ مُّهِينٌ ٥ وَإِذْ أَنْتَنَّا عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا  
كَانَ لَوِ يَسْمَعُهَا كَأَن فِي أذُنِهِ وَفَرَّاقِبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٦  
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ٧  
خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٨ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا وَالْقِي فِي الْأَرْضِ رَوًى أَن يَقِيدَ  
بِكُوفَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا  
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ٩ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا  
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ؕ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١٠

جبالاً مرتفعة لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَقِيدُ﴾ تتحرك ﴿بِكُمْ وَتَ﴾ فيها من كُلِّ دَابَّةٍ  
وَأَنْزَلْنَا فِيهِ الْغِيَاثَ عَنْ الْغَيْبَةِ ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ  
كَرِيمٍ﴾ صنف حسن.

[١١] ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ أي: مخلوقه ﴿فَأَرُونِي﴾ أخبروني يا أهل مكة  
﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ غيره؛ أي: ألهتكم حتى أشركتموها به - تعالى - ؟  
و«ما» استفهام إنكار مبتدأ، و«ذا» بمعنى الذي يصلِّيهِ خَيْرُهُ، و«أروني» معلق  
عن العمل، وما يتقدِّمهُ سُدَّ مَسَدَ المفعولين ﴿بَلِ﴾ للانتقال ﴿الظَّالِمُونَ﴾ في  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿يَسِي﴾ بإشراكهم وأنتم منهم.

[مكية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَدْتُ﴾ الآيتين؛ فمدنيتان،  
وهي: أربع وثلاثون آية، نزلت بعد الصفات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَمَانِ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات  
﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة، والإضافة بمعنى: من.  
[٣] هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالرفع ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي قراءة العامة:  
بالنصب<sup>(١)</sup>، حالاً من الآيات العامل فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة.  
[٤] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ بيان للمحسنين ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ الثاني تأكيد.  
[٥] ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٦] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي: ما يلهي منه عما يعني  
﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها<sup>(٢)</sup> ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ  
وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب: عطفًا على «يضل»، وبالرفع<sup>(٣)</sup>: عطفًا على ﴿يَشْتَرِي﴾،  
﴿هُزُوًا﴾<sup>(٤)</sup> مَهْزُوءًا بها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾<sup>(٥)</sup> ذواهانة.

[٧] ﴿وَإِذْ أَنْتَنَّا عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرًا  
﴿كَانَ لَوِ يَسْمَعُهَا كَأَن فِي أذُنِهِ وَفَرَّ﴾ صمًا، وجعلنا التشبه حالان من  
ضمير: ﴿وَلَّى﴾، أو: الثانية يَأْنِ لِلأولى ﴿فَيَسَّرَهُ﴾ أغْلَمَهُ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾  
مؤلم، ذكر الإشارة تهكم به؛ وهو: النظر بن الحارث، كان يأتي الحيرة يتجر  
فيشتري كتب أخبار الأعاجيب ويحدث بها أهل مكة<sup>(٦)</sup>، ويقول: إن محمدًا  
يحدثكم أحاديث عاد ونمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم.  
فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.  
[٩] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها  
﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعدهم الله ذلك، وَخَفَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيدته ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ الذي لا يضع  
شيئاً إلا في محله.

[١٠] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا﴾ أي: العمدة، جمع عماد؛  
وهو: الأسطوانات، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿وَالْقِي فِي الْأَرْضِ رَوًى﴾

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبعوا الفئتان، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، ومنهن حرام»، في مثل ذلك أنزلت عليه هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٢) ومن سورة لقمان. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥٥٣). قال ابن الأثير: «الفئتان: الأمة؛ غُتْ أولم تُغْفَرْ... وجمعها: فئتان...» (النهاية ٤ / ١٣٥). وروى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: «الفناء وأشباهه». صحيح الأدب المفرد (٩٥٥).

(١) الرفع قراءة حمزة. وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) قرأ حفص: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا، وقرأ حمزة وصلًا: ﴿هُزُوًا﴾؛ بسكون الزاي مهموزًا، ووقفاً: ﴿هُزُوًا﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي مهموزًا.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٢٣٢) عن الكلبي ومقاتل. وهما منهما بالكذب، وأخرج نحوه البيهقي في شعب الإيمان (٣٠٥/٤) عن ابن عباس من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، وثلاثتهم ميمون بالكذب. وانظر: الاستيعاب (٥٩/٣، ٦٠).

وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِىْ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَوَصَّيْنَاهُ فِي عَمَلِنَا أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٥﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى شَيْءٍ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ يَبْنِىْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٧﴾ يَبْنِىْ أَقْبِرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٩﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَسْجِدِكَ وَاعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾ منها: العلم والديانة والإصابة في القول، وحكمته كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كتفت؟ (١). وقيل له: أي الناس شر؟ قال: «الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً» ﴿أَنْ﴾ أي: وقتلنا له: أن

﴿أَشْكُرْ لِلَّهِ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِىْ﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ بالله ﴿أَظْلَمُ عَظِيمٌ﴾ فرجع إليه وأسلم. [١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ أمرناه أن يبرؤهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ فوهدت ﴿وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي: ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة ﴿وَوَصَّيْنَاهُ﴾ أي: فطامه ﴿فِي عَمَلِنَا﴾ وفي عامين ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ أي: المرجع.

[١٥] ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ موافقة لواقع ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: بالمعروف، البر والصلة ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيْنَا﴾ بالطاعة ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بما كنتم تعملون ﴿فَأُجَازِيكُمْ﴾ عليه، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض.

[١٦] ﴿يَبْنِىْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ من ذلك ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ فيحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بَاسِطُ خَرَجِهَا﴾ ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانها.

[١٧] ﴿يَبْنِىْ أَقْبِرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ بالمرحمة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيْنَا﴾ بالطاعة ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بما كنتم تعملون ﴿فَأُجَازِيكُمْ﴾ عليه، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض.

[١٨] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تغل وجهك عنهم تكبراً ﴿وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: خيلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ متبخر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس.

[١٩] ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسْجِدِكَ﴾ توسط فيه بين الديب والإسراع، وعليك السكنية والوقار ﴿وَاعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ اخفض ﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ إن أنكر الأصوات أقبحها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ أوله زفير وأخيره شهيق.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٥): أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نزلت في أربع آيات. فذكر قصة... قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدنيه، ولا تأكل ولا تشرب؛ قالت: زعمت أن الله أوصاك بالديك، وأنا أمك، وأنا أمرك بهذا، قال: فسكنت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله تعالى في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ وَوَصَّيْنَاهُ فِي عَمَلِنَا أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾ ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ وفيها: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) فضل سعد بن أبي وقاص. وتقدم في تفسير آية العنكبوت (٨) ذكر الاختلاف في قصة سعد والآية التي نزلت فيها، وترجيح أنها آية لقمان، والله أعلم.

(١) هذه الأخبار عن لقمان عليه السلام وابنه ما لم تثبت بدليل صحيح، فالأولى أن لا تعتمد في تفسير كلام الله تعالى وأن يقتصر على موضع العبرة والفائدة من القصة.

(٢) لحزمة والكسائي ونافع وأبي عمرو.

[٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ مِنْ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجْمِ؛ لَتَنْتَفِعُوا بِهَا ﴿٢١﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿٢٢﴾ مِنَ الشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ وَالْدُّوَابِّ ﴿٢٣﴾ وَأَسْبَغَ ﴿٢٤﴾ أَوْسَعَ وَأَمَّ ﴿٢٥﴾ عَلَيْكُمْ نِعْمَ ظَهْرُهُ ﴿٢٦﴾ وَهِيَ: حَسَنُ الصُّورَةِ وَتُسْوِيَةُ الْأَعْضَاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ﴿٢٧﴾ وَبَاطِنُهُ ﴿٢٨﴾ هِيَ: الْمَعْرِفَةُ وَغَيْرُهَا ﴿٢٩﴾ وَمِنْ النَّاسِ ﴿٣٠﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿٣١﴾ مَن يُجِدِلُ فِي اللَّهِ يَغْيِرْ عَلَيْهِ وَلَا هُدًى ﴿٣٢﴾ مِنْ رَسُولٍ ﴿٣٣﴾ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٣٤﴾ أَنْزَلَهُ اللَّهُ، بَلْ بِالتَّقْلِيدِ.

[٢١] ﴿وَلِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَلَمْ يَتَّبِعُونَهُ﴾ وَلَوْ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣٥﴾ أَي: مُوجِبَاتِهِ لَا.

[٢٢] ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أَي: يَقْبَلُ عَلَى طَاعَتِهِ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مُوَحَّدٌ ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بِالطَّرْفِ الْوُثْقَى الَّذِي لَا يَخَافُ انْقِطَاعَهُ ﴿وَالِلَّهِ عِيقَةُ الْأُمُورِ﴾ مَرْجِعُهَا.

[٢٣] ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُهُ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿كُفْرُهُ﴾ لَا تَهْتَمُ بِكُفْرِهِ ﴿إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فِئْتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٦﴾ أَي: بِمَا فِيهَا كُفْرِهِ <sup>(١)</sup> فَمَحَازَ عَلَيْهِ.

[٢٤] ﴿لَنُيَمِّتَهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿فَلْيَلَا﴾ أَيَّامَ حَيَاتِهِمْ ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وَهُوَ: عَذَابُ النَّارِ لَا يَجِدُونَ عَنْهُ مَحِيضًا.

[٢٥] ﴿وَلَكِنْ﴾ لَمْ قَسَمَ ﴿سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ حَذَفَ مِنْهُ نَوْنُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي الْأَمْثَالِ، وَ«وَاو» الضَّمِيرُ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ ﴿قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَى ظُهُورِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمُ بِالْتَّوْحِيدِ ﴿بَلْ أَكْذَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَجُوبَهُ عَلَيْهِمْ.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا؛ فَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةُ فِيهِمَا غَيْرُهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ خَلْقِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ الْحَمُودُ فِي صُنْعِهِ.

[٢٧] ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ﴿٢٨﴾ وَالْبَحْرِ﴾ <sup>(٢)</sup> عَطَفَ عَلَى اسْمِ «أَنْ» ﴿يُمَدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مَدَّادًا ﴿مَا يَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ الْمَعْبَرُ بِهَا عَنْ مَعْلُومَاتِهِ بِكُتُبِهَا بِتِلْكَ الْأَقْلَامِ، بِذَلِكَ الْمَادِّ، وَلَا بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَعْلُومَاتِهِ <sup>(٣)</sup> - تَعَالَى - غَيْرُ مَتْنَاهِيَةٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنْ النَّاسِ مَن يُجِدِلُ فِي اللَّهِ يَغْيِرْ عَلَيْهِ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عِيقَةُ الْأُمُورِ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُهُ كُفْرُهُ إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فِئْتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٧﴾ نَمِئَتْهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٣٨﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٤٠﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرِ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤١﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٤٢﴾

﴿حَكِيمٌ﴾ لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

[٢٨] ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خَلَقًا وَبَعَثًا؛ لِأَنَّهُ بِكَلِمَةِ «كُنْ» فَيَكُونُ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يَسْمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ ﴿بَصِيرٌ﴾ يَبْصُرُ كُلَّ مُبْصَرٍ، لَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ.

(١) أَي: كَفَرُوا فِي الصُّدُورِ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ - شَيْخَانَهُ - خَافِيَةٌ.

(٢) بِالنَّصْبِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَالْبَحْرِ﴾ بِالضَّمِّ.

(٣) تَفْسِيرُ كَلِمَاتِ اللَّهِ بِمَعْلُومَاتِهِ عَدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَهُوَ خِلَافُ مَا فَهَمَ السَّلَفُ مِنْهَا، وَكَلِمَاتُهُ - شَيْخَانَهُ - هِيَ: كَلَامُهُ وَقَوْلُهُ الَّذِي لَا نَفَادَ لَهُ؛ فَهُوَ - شَيْخَانَهُ - لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ. وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَفْسِّرُ رَاجِعٌ إِلَى مَذْهَبِ الْأَشَاعِرَةِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَعْنَى وَاحِدٍ قَائِمٌ بِالْفَسَادِ قَدِيمٌ لَا يُوَصَّفُ بِالْعَدَدِ، وَهَذَا خِلَافُ مَذْهَبِ السَّلَفِ وَطَرِيقَتِهِمْ.

أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٣٠﴾ هُوَ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ على خلقه بالقهر<sup>(١)</sup> ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم.

[٣١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿مِنْ آيَاتِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴿عَبْرًا لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ لعنتم.

[٣٢] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: علا الكفار ﴿مَوْجٌ كَأَنَّ الْفُلَّ يَنْفَلِكُ﴾ كالجال النفي تفل من تحتها ﴿دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدعاء بأن ينجيهم؛ أي: لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا بَلَغَهُمُ الْآلَاءُ﴾ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ﴿مَتَّوِّسٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ﴾ ومنهم باقى على كفره ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ ومنه الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كَلَّ خَسَارٌ﴾ غدار ﴿كُفُورٌ﴾ ليعلم الله تعالى.

[٣٣] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَؤَارَكُمُ﴾ أي: أهل مكة<sup>(٢)</sup> ﴿أَتْفَؤَارَكُمُ﴾ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي بَعْضُكُمْ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ﴿فِيهِ شِقَاقٌ﴾ فيه شقاء ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ﴾ فيه ﴿شِقَاقٌ﴾ إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا بِالْبَعث ﴿فَلَا تَعْرَتَكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ﴾ في جلبي وإمهاله ﴿الْعُرُورُ﴾ الشيطان.

[٣٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنَزَّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٤)</sup> ﴿الْقَيْثُ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أَذْكَوْأَمْ أَثْنَى، وَلَا يَعْلَمُ وَاحِدًا مِنَ الثَّلَاثَةِ غَيْرَ اللَّهِ. تعالى. ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ﴾ عَدًّا من خير أو شر، ويعلمه الله. تعالى. ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله. تعالى. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ باطله كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث: «مَقَاتِلُ الْعَيْبِ خَمْسَةٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى آخر السورة<sup>(٥)</sup>».

\*\*\*

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّحُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّحُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَأَنَّ الْفُلَّ يَنْفَلِكُ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَؤَارَكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٦﴾

### سُورَةُ الْبَقَرَةِ

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطب ﴿أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّحُ﴾ يدخل ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّحُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ يدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَجْرِي فِي فَلَكِهِ﴾ إِنَّ

(١) بالناء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٢) وهذا، من قصر العلم على بعض أفرادهم، والله ﷻ له العلم المطلق ذاتاً وشأناً وقهراً.

(٣) الخطاب لأهل مكة وغيرهم.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) البخاري (٤٦٢٧) بلفظ «مفاتيح» وخُرجه أيضاً في (٤٧٧٨) بنحو هذا اللفظ.

## سُورَةُ التَّجْوِذِ

[مكية، ثلاثون آية (\*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِهِ.

[٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبر ثانٍ.

[٣] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ﴾ محمداً لا ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ إشْدَرُ بِهِ ﴿قَوْمًا مَّا﴾ نافية ﴿أَنْتَهُمْ مِنْ تَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك.

[٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة<sup>(١)</sup> ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواء يليق به<sup>(٢)</sup> ﴿مَا لَكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ وَلِيِّ﴾ اسم ﴿مَا﴾ بزيادة من؛ أي: ناصر ﴿وَلَا تَفْجِعْ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟.[٥] ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ﴾ يرجع الأمر والتدبير<sup>(٣)</sup> ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، وفي سورة «سأل»: ﴿حَسْبَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>(٤)</sup> وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكفار، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا، كما جاء في الحديث<sup>(٥)</sup>.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق المدير ﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالنَّهْدَةُ﴾ أي: ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿الْعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته.

[٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام: فعلاً ماضياً صفة، وبسكونها<sup>(٦)</sup> بدل اشتمال ﴿وَيَذَرُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾ آدم ﴿مِنْ طِينٍ﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ سَلَسَةً﴾ ذريته ﴿مِنْ سُلَلَةٍ﴾ علقه ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ضعيف؛ هو: النطفة.

[٩] ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أي: جعله حياً حساساً بعد أن كان جماداً ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ أي: لذريته ﴿السَّمْعَ﴾ بمعنى: الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ وَالْأَفْئِدَةَ ﴿الْقُلُوبَ﴾ قَلْبًا مَّا تَشْكُرُونَ.

﴿مَا﴾ زائدة مؤكدة للقلّة.

[١٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿إِنَّمَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ غيبتا فيها بأن صيغاً تراثا مختلطاً بترابها ﴿إِنَّمَا لَنِي خَلْقٌ جَدِيدٌ﴾؟ استفهام إنكار، بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين<sup>(٧)</sup>، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَافِرُونَ﴾.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتُوفَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَكُمْ﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أحياء؛ فيجازيكم بأعمالكم.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُ﴾. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٩) ما جاء في فضل سورة الملك، ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة.وأخرج الترمذي عن جابر أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُ﴾. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٩) ما جاء في فضل سورة الملك، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٧٣).

(١) الأولى أن يقول هنا كما قال في تفسير الآية (٥٩) من سورة الفرقان: «أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس».

(٢) سبق التعليق مراراً على هذا الضمير، وذكرنا الفارق بين تفويض الكيفية والذي هو حق، وبين تفويض المسمى وأنه خلاف فهم السلف الذين كانوا يعلمون أن الاستواء يفيد الاستقرار والعلو. (٣) قال ابن جرير في تفسير الآية: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه يدير الأمر من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه في يوم كان مقداره ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول وخمسمائة في الصعود؛ لأن ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل». وفي هذه الآية إثبات لعلو الله - تعالى - على خلقه.

(٤) المعارج: ٤.

(٥) رواه أحمد (١١٢٩٢) وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً [الدر المنثور (٤١٧/٦)]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠٩٢ ج ٢).

(٦) بسكونها قراءة أكثر وأبي عمرو وابن عامر.

(٧) أي: وتركه، وقرأ ابن عامر بالإحراق في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَأَرْجَعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿وَنَعَمَلْ صَالِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن؛ فما ينفعهم ذلك، ولا يرجعون، وجواب ﴿كُذِّبُوا﴾: لرأيت أمراً فظيماً، قال - تعالى -: [١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَكَلِمَةً﴾ ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٤] وتقول لهم الجنة (١) إذا دخلوها: ﴿فَذُوقُوا﴾ العذاب ﴿يَسِيرًا﴾ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴿أَيُّ بَرَكَمُ الْإِيمَانِ﴾ به ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدائم ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

[١٥] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قالوا: «سبحان الله وبحمده» ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة.

[١٦] ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجدًا ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطُمَعًا﴾ في رحمته (٢) ﴿وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ يتصدقون.

[١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخِيتِ﴾ لُحْيِي ﴿لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (٣) ما تقر به أعينهم، وفي قراءة (٤) بسكون الياء مضارع ﴿جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٨] ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَتْ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ أي: المؤمنون والفاسفون.

[١٩] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَزَاءُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بعد للضيف ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾ فَذُوقُوا يَمَّا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١٧﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخِيتِ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٩﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَزَاءُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُتَجَبِّرِينَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مطأطؤها خيلاء يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكون من البعث

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا...﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة. ابراهيمي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٣) ومن سورة السجدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٤).

(٥٥) فائدة: أخرج مسلم عن سهل بن سعد قال: شهدت من رسول الله ﷺ مجلس وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال ﷺ في آخر حديثه: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ثم أقرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ فلا تعلم نفس مِمَّا أُخِيتِ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ. مسلم - كتاب الجنة وصفة يعيها وأهلها (٥١) حديث رقم (٢٨٢٥).

(١) لا ملجئ لحمل اللفظ على خلاف ظاهره وجعل القول للخرقة، وكلام الله - سبحانه - المنفي عنهم في الآخرة هو كلام الرحمة والإكرام لا الزجر والتوبيخ.

(٢) أي: «أخفئ»، وهي حمزة.



وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ  
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ  
 أَعْرِضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا  
 مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ  
 هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا  
 لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
 يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾  
 أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ  
 بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾  
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾  
 قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ  
 يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

## سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[٢١] ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ﴾ عذاب الدنيا؛ بالقتل، والأسر،  
 والجذب سنين، والأمراض ﴿وَدُونَ﴾ قبل ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة  
 ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ إلى الإيمان.  
 [٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿فَرَّغَ عَنْهَا﴾ أي:  
 لا أحد أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿مُنْقِمُونَ﴾.  
 [٢٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك  
 ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ وقد التقيا ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: موسى أو الكتاب  
 ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.  
 [٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء<sup>(١)</sup>؛ قادة  
 ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿يَأْتِينَا لِمَا صَبَرُوا﴾ على دينهم، وعلى البلاء من  
 علوهم، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: بكسر اللام وتخفيف الميم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة  
 على قدرتنا ووحدايتنا ﴿يُوقِنُونَ﴾.  
 [٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فِيمَا كَانُوا فِيهِ  
 يَخْتَلِفُونَ ﴿من أمر الدين﴾.  
 [٢٦] ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: بتبين لكفار مكة  
 إهلاكنا كثيراً ﴿مِنْ الْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير  
 ﴿لَهُمْ﴾ ﴿فِي مَسْكِينِهِمْ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها؛ فيعتبروا ﴿إِنَّ فِي  
 ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر وانعاط؟.  
 [٢٧] ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ اليابسة التي لا  
 نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ  
 هذا، فيعلمون أن نقدر على إعادتهم.  
 [٢٨] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ بيننا وبينكم ﴿إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟﴾.  
 [٢٩] ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ إنزال العذاب بهم ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يجهلون لتوبة أو معذرة.  
 [٣٠] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ﴾ إنزال العذاب بهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾  
 بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

\*\*\*

(١) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

(٢) لحمزة والكسائي.

وَالْمُنْفِقِينَ ﴿١﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴿٣﴾ بما يكون قبل كونه ﴿٤﴾ حَكِيمًا ﴿٥﴾ فيما يخلقه.

[٢] ﴿وَأَنْتُمْ مَأْيُوحٌ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿رَبَّكَ اللَّهُ كَاتِمًا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup>: بالتحانية.

[٣] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظًا لك، وأمنه تبع له في ذلك كله.

[٤] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفَيْهِ﴾ رُداً على من قال من الكفار: ﴿إِنْ لَهُ قَلْبَيْنِ يَعْقِلُ بِكُلِّ مَنَهُمَا أَفْضَلُ مِنْ عَقْلِ مُحَمَّدٍ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ إِلَهًا﴾ بهمة وبلاء وبلاء ياء<sup>(٣)</sup> ﴿تَنْظُرُونَ﴾ بلا ألف قبل الهاء وبها<sup>(٤)</sup>، والباء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنْهُنَّ﴾ يقول الواحد مثلاً لزوجته: ﴿أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي﴾ ﴿أَتَهْتِكُنَّ﴾ أي: كالأمهات في تحميمها بذلك، المد في الجاهلية طلاقاً، وإنما تجب به الكفارة بشرطه؛ كما ذكر في سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ جمع دعى؛ وهو: من يدعى لغير أبيه ابتلاً له ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ حقيقة ﴿ذَلِكَمُ قَوْلُكُمْ يَأْتِيهِمْ﴾ أي: اليهود والمنافقين، قالوا لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي نبأه النبي ﷺ، قالوا: تزوج محمد امرأة ابنه. فأكذبهم الله - تعالى - في ذلك<sup>(٥)</sup> ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ سبيل الحق.

[٥] لكن ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْمَلُوا لِأَبَائِهِمْ فَاذْهَبُوا فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ﴾ بنو عمكم<sup>(٦)</sup> ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ في ذلك ﴿وَلَكِنْ﴾ في ﴿مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه: أي: بعد النهي ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَبِّكُمْ﴾ بكم في ذلك<sup>(٧)</sup>.

[٦] ﴿أَتَى أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه ودعاهم أنفسهم إلى خلافه ﴿وَأَرْوَاحُهُمْ أَمْهَتُهُمْ﴾ في حرمة نكاحهن عليهم ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ ذوو القربابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقْعَلُوا إِلَيَّ أَوْلِيَاكُمْ مَّعْرُوفًا﴾ بوصية فجائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ وأريد به ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

(١) ما جاء في بول الآية (٥): أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحراب (٣٣) باب (٢).

وأخرج أيضاً عن عائشة - رضي الله عنها -: ... كان من ثبتي رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه، حتى أنزل الله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَوْلَاكُمْ﴾، فردوا إلى آبائهم، فليس لهم يعلم له أب كان مولى وأماً في الدين...». البخاري - كتاب النكاح (٦٧) باب (١٥) الأكل في الدين.

(١) لأبي عمرو.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٤/٢١) عن مجاهد، وذكره السيوطي في إnder المنتور (٥٦١/٦) وزاد نسبه لابن أبي شبة وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٧٩/٣، ٧٨/٣).

(٣) قرأ أبو عمرو والبري بياء ساكنة مع المد المشع، وقرأ ورث بياء مكسورة، وقرأ قالون وقبل بهمة مكسورة من غير ياء بعدها، وقرأ الباقون بهمة مكسورة وباء بعدها.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء، وكذلك ابن عامر لكن مع تشديد الظاء، ومثله نافع وابن كثير وأبي عمرو لكن بدون ألف بعد لظاء، وقرأ عاصم: ﴿نظَاهِرُونَ﴾ بضم التاء وفتح الهاء مع تخفيف الظاء.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٩٤)، والنخوي في تفسيره (٣١٧/٦).

(٦) الأولى له في اللغة استعمالات عديدة، منها ابن العم، والمراد بالآية أي ادعهم بالأخوة الإيمانية والموالاته على ذلك، فقولوا: هذا أخي، وهذا مولاي، وبأخي وبأولاي، ولا تنظروا أن عدم علمكم بأبائهم غدر في دعوتهم إلى من تنباههم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنْفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَنْتُمْ مَأْيُوحٌ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفَيْهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ إِلَهًا تَنْظُرُونَ مِنْهُنَّ أَمْهَتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْمَلُوا لِأَبَائِهِمْ فَاذْهَبُوا فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَا كُنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ أَلَمْ يَأْتِ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاحُهُمْ أَمْهَتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَقْعَلُوا إِلَيَّ أَوْلِيَاكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

### سُورَةُ الْأَخْرَابِ

[مدنية، ثلاث وسبعون آية، نزلت بعد آل عمران]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ذم على تقواه ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ

(١) ما جاء في بول الآية (٥): أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحراب (٣٣) باب (٢).

وأخرج أيضاً عن عائشة - رضي الله عنها -: ... كان من ثبتي رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه، حتى أنزل الله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَوْلَاكُمْ﴾، فردوا إلى آبائهم، فليس لهم يعلم له أب كان مولى وأماً في الدين...». البخاري - كتاب النكاح (٦٧) باب (١٥) الأكل في الدين.

(١) لأبي عمرو.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٤/٢١) عن مجاهد، وذكره السيوطي في إnder المنتور (٥٦١/٦) وزاد نسبه لابن أبي شبة وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٧٩/٣، ٧٨/٣).

(٣) قرأ أبو عمرو والبري بياء ساكنة مع المد المشع، وقرأ ورث بياء مكسورة، وقرأ قالون وقبل بهمة مكسورة من غير ياء بعدها، وقرأ الباقون بهمة مكسورة وباء بعدها.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء، وكذلك ابن عامر لكن مع تشديد الظاء، ومثله نافع وابن كثير وأبي عمرو لكن بدون ألف بعد لظاء، وقرأ عاصم: ﴿نظَاهِرُونَ﴾ بضم التاء وفتح الهاء مع تخفيف الظاء.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٩٤)، والنخوي في تفسيره (٣١٧/٦).

(٦) الأولى له في اللغة استعمالات عديدة، منها ابن العم، والمراد بالآية أي ادعهم بالأخوة الإيمانية والموالاته على ذلك، فقولوا: هذا أخي، وهذا مولاي، وبأخي وبأولاي، ولا تنظروا أن عدم علمكم بأبائهم غدر في دعوتهم إلى من تنباههم.

[٧] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ حين أخرجوا من صلب آدم كالدُّرِّ: جمع ذرة؛ وهي: أصغر النمل ﴿وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَيبًا﴾ شديدًا بالوفاء بما حملوه؛ وهو: اليمين بالله - تعالى -، ثم أخذ الميثاق.

[٨] ﴿لَيْسَ لَكَ اللَّهُ﴾ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴿فِي تَلْفِيفِ الرِّسَالَةِ﴾ تَبَكُّيًا للكافرين بهم ﴿وَأَعَدَّ﴾ - تعالى - ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، هو عطف على ﴿أَخَذْنَا﴾.

[٩] ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالناء: من حفر الخندق، وبالياء<sup>(١)</sup>: من تحزيب المشركين ﴿بَصِيرًا﴾.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ رَاغَبْتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة؛ وهي: منتهى الحلقوم، من شدة الخوف ﴿وَتَطَوَّنَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾ المختلفة بالنصر والباس.

[١١] ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا ليتبين المخلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ حركوا ﴿وَزُلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا﴾ من شدة الفزع.

[١٢] ﴿وَإِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿ضَعُفٌ اعْتِقَادٍ﴾ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَوَسَّلَهُمْ ﴿بِالنَّصْرِ﴾ إِلَّا غُرُورًا ﴿بَاطِلًا﴾.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ أي: المنافقون: ﴿يَتَأَلَّ يَتَرَّبُ﴾ هي: أرض المدينة، ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها<sup>(٢)</sup>؛ أي: لا إقامة ولا مكانة ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع - جبل خارج المدينة - للقتال ﴿وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ﴾ في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة يُحْشَى عليها، قال - تعالى -: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال.

[١٤] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي: المدينة ﴿عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ نواحيها ﴿ثُمَّ

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَيبًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَبْتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَطَوَّنَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الَّذِينَ دَاخِلُونَ الْفِتْنَةَ الشَّرْكَ أَتَوْنَا بِالْمَقْصَرِ ﴿١٤﴾ أَي: أعطوها وفعلوها<sup>(٤)</sup> ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَيْعًا﴾.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤَلِّتُ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَاهِدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ عن الوفاء به.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) بالفتح قراءة السبعة عدا حفص.

(٣) بالنقص قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالترتيب على القراءتين.

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا  
لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ  
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ  
لِإِخْرَاجِهِمْ هَلْهُنَا وَإِنَّا لَا يَأْتُونَ النَّبَأَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً  
عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورًا أَعْمَاهُ  
كَالَّذِي يُغْنِي عَنْهُ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ  
بِالْأَيْسَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ  
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ  
الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ  
بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ  
مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ  
لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾  
وَلِمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا﴾

فَرَرْتُمْ ﴿لَا تَنْتَعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بقية أجالكم.  
[١٧] ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ يجيركم ﴿مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ  
سُوءًا﴾ هلاكًا وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾  
خيرًا؟ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا  
نَصِيرًا﴾ يدفع الضر عنهم.

[١٨] ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوقِينَ﴾ المبطنين ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ  
هَلْهُنَا﴾ تعالوا ﴿إِنَّا لَا يَأْتُونَ النَّبَأَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياءً وسمعةً.

[١٩] ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة، جمع شحيح، وهو حال من ضمير  
﴿يَأْتُونَ﴾ ﴿إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورًا أَعْمَاهُ﴾ كالَّذِي  
كنظر أو كدوران الذي ﴿يُغْنِي عَنْهُ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: سكراته ﴿إِذَا ذَهَبَ  
الْخَوْفُ﴾ وجيزت الغنائم ﴿سَلَفُوكُمْ﴾ أدركتم أو ضربوكم ﴿بِالْأَيْسَةِ﴾ جِدَادٍ  
أَيْسَةً عَلَى الْخَيْرِ ﴿أَي: الْغَنِيمَةَ﴾ يطلبونها ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ حقيقةً  
﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ بإرادته.

[٢٠] ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى مكة؛ لحوفهم  
منهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ﴾ كَوَّةٌ أُخْرَى ﴿يَوَدُّوا﴾ يَمْنُوا ﴿لَوْ أَنَّهُمْ  
بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: كائنون في البادية ﴿يَسْتَلُونُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾  
أخباركم مع الكفار ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ هذه الكوَّة ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا  
قَلِيلًا﴾ رياءً وخوفًا من التعبير.

[٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ [إِسْوَةٌ] ﴿بِكسر الهمزة وضمها﴾  
﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداء به في القتال والفتاب في مواطنه ﴿لِمَنْ﴾ بدل من  
﴿لَكُمْ﴾ ﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا  
بخلاف من ليس كذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ في الوعد ﴿وَمَا  
زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ تصديقًا بوعده الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.



[٣٣] ﴿وَقَدْ﴾ [بكر القاف وفتحها] (٢) ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القراء، وأصله: «أقرن» بكر الراء وفتحها؛ من قررت، بفتح الراء وكسرهما، نُقلت حركة الراء إلى القاف، وحذفت مع همزة الوصل ﴿وَلَا تَبَرَّحْنَ﴾ برك إحدى التابن من أصله ﴿تَبَّحَ الْجَهَنَّمِيَّةُ الْأُولَى﴾ أي: ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية: ﴿وَلَا يَبْرِيكَ رِيشُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (٣) ﴿وَأَقْنِ الصَّلَاةَ وَآتِ الزَّكَاةَ وَاعْلَنِ اللَّهَ وِصْلَهُ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ الْإِثْمَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي: نساء النبي ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمُ مِنْ ظَهْرِكُمْ﴾ (٤).

﴿٣٤﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا يَشُقُّ فِي يَوْمِكَزٍ مِنْ أَيْدِي اللَّهِ ﴿الْقُرْآنِ﴾  
وَالْحِكْمَةِ ﴿الشُّعْبَةِ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا ﴿بِأَوْلِيَائِهِ﴾ ﴿خَيْرًا﴾ بِجَمِيعِ  
خَلْقِهِ.

[٣٥] ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ  
وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ فِي الْإِيمَانِ وَالصَّادِقِينَ  
وَالصَّادِقَاتِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْحَاشِينَ وَالْحَاشِينَ الْمَوَاضِعِ وَالشَّاعَتِ  
وَالْمُضْضِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالْحَاشِينَ وَالْحَاشِينَ وَالْمُضْضِينَ  
عَنِ الْحَرَامِ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرٌ وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً  
لِلْعَاصِي وَالْجَارِ عَظِيمًا﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ (٥٥).

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْ لَدُنِّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُفْثِمَا  
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْدَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ  
لِنَفْسٍ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ ائْتَمَّتْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ  
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ  
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ  
الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا  
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ  
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ  
آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾  
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ  
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ  
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ  
فُرُوجَهُمَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا  
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[٣١] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ﴾ يطلع ﴿مِنْكُمْ لِلَّهِ رَسُولُهُ﴾ وَنَعْمَلْ صَلَاحًا نُوْهُبًا أَخْرَاجَهَا مِنْ بَيْنِ أَي: مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة<sup>(١)</sup>: بالاحتسائية في [تَعْمَلْ] وَنُوْهُبًا ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الجنة زيادة.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٣): أخرج أحمد عن أم سلمة - رضي الله عنها - تذكّر أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة - رضي الله عنها - بيرة في خبزيرة، فدخلت بها عليه فقال لها: ادعي زوجك وابنك. قالت: فعاد علي والخسين والحسين فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخبزيرة، وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خبيري، قالت: وأنا أصلي في الحجر، فأقول لله **لَكَ هَذِهِ آيَةٌ: إِنْ كُنَا بُرِيدُ اللَّهِ لِيُدْخِبْ فِيهِمَا مَنْ يَشَاءُ لَمْ تَدْرِكْ لَنَا الْبَيْتَ نَبْهَةً نَبْهَةً**.

قالت: فأخذ فضل الكساء فنهشاه به، ثم أخرج يده فأولى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي» فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله. قال: فانك إلى خير، إنك إلى خير. أحمد - المسند (٢٩٦/٦). وصححه الأرنؤوط بمجموع طرقه. في تخريجه على المسند (١١٧/٤٤)، وأخرجه الترمذي عن عمر بن أبي سلمة نحوه مختصرا. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥٦٢). والخزيرة: الذي يقطع صفرا ويصعب عليه ماء كثير، فإذا تضج دُعي عليه الدقيق، فإن لم يكن فيه لحم ففي عصيدة. وقيل غير ذلك. البررة: القدر المطبقا، وجمعا: ١/٢، والمامة ها: القطيفة . والدُّكان: الحكمة المبنية للجلوس عليها. النهاية (١٣١/٥، ١٣٢/٥).

(٥٠) ما جاء في رِوَالِ الْآيَةِ (٢٥): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْهُ أَمْرَ عَمَلَةِ الْأَنْصَارِيَّةِ أَنَّهُتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرَّجُلِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يَذْكُرْنَ بَشِيءَ. فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ الْأُنثَىٰ لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْآيَةِ. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٣٤) وَمِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ. (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٥٦٥).

وَأُخْرِجَ أَيْضًا عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَزْنِي الرِّجَالُ وَلَا يَزْنِي النِّسَاءُ، وَلَمَّا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَكْذِبُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٢]. قَالَ مُجَاهِدٌ: فَأَنزَلَ فِيهَا: ﴿إِنَّ الْأُنثَىٰ لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾. سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ آيَةِ (٣٢).

(١) لحمزة والكسائي.

(٢) بالكسر قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

(٣) النور: ٣١.

[٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ<sup>(١)</sup>﴾ **﴿لَهُمُ الْخِزْيَةُ﴾** أي: الاختيار **﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾** خلاف أمر الله ورسوله، نزلت في عبد الله ابن جحش وأخته زينب خطبها النبي يزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما؛ لظنهما قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا<sup>(٢)</sup> للآية: **﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾** بيتاء؛ فزوجها النبي ﷺ لزيد، ثم وقع بصره عليها بعد حين؛ فوقع في نفسه حبها<sup>(٣)</sup>، وفي نفس زيد كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها، فقال: «أمسك عليك زوجك» كما قال - تعالى -: [٣٧] **﴿وَإِذْ ذَكَرْنَاكَ مَنُصُوبًا﴾** اذكر **﴿تَقُولُ لِلَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾** بالإسلام **﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾** بالاعتقاف؛ وهو: زيد بن حارثة، كان من سبي الجاهلية، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه **﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾** في أمر طلاقها **﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾** مظهره؛ من محبتها<sup>(٤)</sup>، وأن لو فارقها زيد تزوجها **﴿وَتُخْفَىٰ النَّاسُ﴾** أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه. **﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾** في كل شيء، وتزوجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها، قال - تعالى -: **﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾** حاجة **﴿زَوْجَتِهَا﴾** فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبزًا ولحماً **﴿لِئِنْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾** وكانت أمراً الله ﷻ مقضية **﴿مَقْعُولًا﴾**<sup>(٥)</sup>.

[٣٨] **﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾** أحل **﴿اللَّهُ لَكُمْ سِتَةَ اللَّهِ﴾** أي: كسنة الله، فنصب نزاع المخاض **﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾** من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح **﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾** فعله<sup>(٦)</sup> **﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾** مقضيًا. [٣٩] **﴿الَّذِينَ﴾** نعت له الذين، قبله **﴿يَلْبِغُونَ رَسَلَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾** فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم **﴿وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾** حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبته.

[٤٠] **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾** فليس أبا زيد؛ أي: والده؛ فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب **﴿وَلَكِنْ﴾** كان **﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾** وخاتم<sup>(٧)</sup> الأنبياء **﴿فَلَا يَكُونُ لَهُ ابْنٌ رَجُلٌ بَعْدَهُ يَكُونُ نَبِيًّا﴾** وفي قراءة: يفتح التاء؛ كآلة الحتم؛ أي: به ختموا **﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمًا﴾** منه؛ بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته<sup>(٨)</sup>.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِزْيَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ وَلِئِنْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِتَّةً اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رَسَلَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا

[٤١] **﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾**.

[٤٢] **﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾** أول النهار وآخره.

[٤٣] **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾** أي: يرحمكم **﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾** يستغفرون لكم **﴿لِيُخْرِجَكُم﴾** ليدم إخراجهم إياكم **﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾** أي: الكفر **﴿إِلَى النُّورِ﴾** أي: الإيمان **﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾**.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٧) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك **﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾** نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد ابن حارثة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٤) باب (٦).

وأخرجه الترمذي عن أنس قال: نزلت هذه الآية: **﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾** فاستأمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: **﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾**. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٤) ومن سورة الأحزاب (صحيح) صحيح من الترمذي (٢٥٦٧).

(١) بالتاء: قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٢) جمهور المفسرين وهو لم يروى عن ابن عباس ومجاهد أنهما نزلت في زينب بنت جحش عندما كرهت نكاح زيد لكونه مولى، وذكر بعض المفسرين - كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير وغيره - أن عبد الله بن جحش أخا زينب كره ذلك كما كرهته زينب، فلما نزلت الآية رضيا وسلمًا. ورواية المصنف هي المنقولة عن قتادة دون ذكر عبد الله بن جحش، أخرجه الطبري في جامعه (٩/٢٢)، والطبراني في الكبير (٣٧/٢٤، ٣٧/٢٤، ٣٧/٢٤) من طرق عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢/٧): رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح. وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (١١٥/٣).

(٣) هكذا: يورد غير واحد من المفسرين هذا الكلام في تفسير الآية الكريمة، ولا أساس له من الصحة كما بين ذلك المحققون من أهل العلم كابن كثير وابن حجر وغيرهما، وإنما هو من الباطل الذي يريد أعداء الإسلام به أن يسيئوا إلى النبي ﷺ، والصواب في ذلك أن الله - تعالى - أعلم نبيه بذلك مخافة أن يقول الناس: كيف يزوج محمد زوجة ابنه؟ وكان يقول لزيد: «أمسك عليك زوجك».

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) قال ابن كثير في تفسير الآية: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله - تعالى - ورحمته، وهو كائن لا محالة.

(٦) وهي قراءة السبعة عما عاصم. وقرأ عاصم بفتح التاء.

(٧) أي بشريعة محمد ﷺ.

[٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على من أُرْسِلْتَ إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا من كذبك بالنار [٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: مثله في الاهتداء به.

[٤٧] ﴿وَنَذِيرَ الْمُتَّقِينَ﴾ يَأْنُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿هُوَ الْجَنَّةُ﴾ [٤٨] ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعَ﴾ أترك ﴿أَذْنَهُمْ﴾ لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فهو كافك ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ موفوا إليه.

[٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١) ﴿تَمَاشُوهُنَّ﴾ أي: تجمعهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ تَعُدُّوهَا﴾ تحصونها بالإفراء وغيرها ﴿فَتَمْسُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به؛ أي: إن لم يُسَمَّ لَهُنَّ أَضِيقَةً، وإلا فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار.

[٥٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ ﴿مِنَ الْكُفَرِ﴾ بالكفار بالسي؛ كصفية وجويرة ﴿وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ﴾ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ بخلاف من لم يهاجرن ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً﴾ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا يطلب نكاحها بغير صدق ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صدق ﴿فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من الأحكام؛ بأن لا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَفِي﴾ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ ﴿مِنَ الْإِمَاءِ﴾ بشراء وغيره؛ بأن تكون الأمة ممن تحمل المالكة كالكنابية بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تستبرأ قبل الوطء ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فيما يعسر التحرز عنه ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة في ذلك.

يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَقُوتُهُمْ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿وَيَذَرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا﴾ وَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ تَعُدُّوهَا﴾ فَتَمْسُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَمِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

[٤٤] ﴿يَحْيِيهِمْ﴾ منه - تعالى - ﴿يَوْمَ يَقُوتُهُمْ وَسَلَّمَ﴾ بلسان الملائكة (١) ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة.

(١) إذا قلنا: إن الحجة منه - سبحانه - بمعنى أنه يسلم عليهم كما قال - سبحانه -: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾، ففسية هذا إلى الملائكة من التأويل السقيم، وهو مذهب المؤولة القائلين بالكلام النفسي أو الدين ينفون عن الله هذه الصفة، وعلى القول الآخر أن المراد أنهم يحيي بعضهم بعضًا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة، وهو اختيار ابن جرير - فلا معنى لهذا التأويل ولا وجه له.

والتفسير الأول أظهر وهو اختيار ابن كثير.

(٢) حمزة والكسائي، وهي بضم التاء وإشباع المد بعد السين.





اللَّهُ ﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥) أي: قولوا: اللهم صل على محمد وسلم.

﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهم: الكفار، يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: النار.

﴿٥٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا اكْتَسَبُوا﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ تحملوا كذبًا ﴿وَأَلَمًا شَرِيحًا﴾ بئسًا.

﴿٥٩﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُلْ لَّا ذَلِيلٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ وبنايتك وبنايتك ﴿يَذِيكُ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلِيلِيهِنَّ﴾ (٦) جمع جلاب؛ وهي: الملاعة التي تشتمل بها المرأة؛ أي: برحين بعضها على الوجه إذا خرجن لحاجتهن، إلا عينًا واحدة ﴿ذَلِكَ أَذَى﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يُعْرِقَ﴾ بأنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذِنُ﴾ بالتعرض لهن بخلاف الإمام فلا يغلطن وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك السر ﴿رَحِيمًا﴾ بهن إذ سترهن.

﴿٦٠﴾ ﴿لَنْ﴾ لام قسم ﴿لَتُرِيَنَّكَ الْمُتَفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ بالزنا (١) ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم (٢) ﴿قَدْ أَتَاكُمْ الْعَدُوُّ وَسَرَايَاكُمْ قَتَلُوا أَوْ هَزَمُوا﴾ لتغريبتك بهم ﴿لَنَسْلُطَنَّكَ عَلَيْهِمْ﴾ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يخرجون.

﴿٦١﴾ ﴿مُتَّعِيَةً﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿إِنَّ مَا تُفْعَلُونَ﴾ وجدوا ﴿أُجْدُوا وَفُتِلُوا فَرِيحًا﴾ أي: الحكم فيهم هذا، على جهة الأمر به.

﴿٦٢﴾ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: سن الله ذلك ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في مناقبيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٨) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٥٩) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (٥٨) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَّا رَوْحُكَ وَبَنَاتُكَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَلِيهِنَّ ذَلِكَ أَذَى أَنْ يُعْرِقَ فَلَا يُؤْذِنُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٦٠) ﴿لَنْ لَرِيئَتِ الْمُتَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦١) ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتِلُوا قَتِيلًا﴾ (٦٢) ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٦٢)

﴿٥٥﴾ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد أن يؤذوهن ويكلموهن من غير حجاب ﴿وَاتَّقِينَ﴾

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قالوا: كيف نصلي عليك يا نبي الله؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. المسند (٢٤/٤)، وصححه الألبان (١٨١٣٣). والحديث في الصحيحين والسنن دون ذكر الآية: البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٦) فائدة: أخرج أبو داود عن أم سلمة قالت: لما نزلت: ﴿يَذِيكُ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلِيلِيهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية. أبو داود - كتاب (اللباس) (٢٦) باب (٣٢) في قوله تعالى: ﴿يَذِيكُ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلِيلِيهِنَّ﴾ وصححه الألباني في حجاب المرأة المسلمة ص ٣٨.

(١) أي: بحب ذلك، وكذا حب الفواحش.

(٢) أي: الذين يرجفون المؤمنين بقولهم.

[٦٣] ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ النَّسَاءِ قُلْ إِنَّمَا عَاهَدْتُكُمْ وَمَا يَذُرِيكَ عَنْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَذُرِيكَ يَعْلَمُكُمُ بِهَا أَيُّهَا أَنْتَ لَا تَعْلَمُهَا لَعَلَّ النَّسَاءَ تَكُونُ تَوَجُّدٌ قَرِيبًا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ أَبْعَدَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ نازا شديدة يدخلونها.

[٦٥] ﴿خَالِدِينَ﴾ مقدرا خلودهم ﴿وَبِهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفعها عنهم.

[٦٦] ﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَئِنَّا لَنُنبِئُكَ أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾.

[٦٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الأتباع منهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿سَادَاتِنَا﴾ جمع الجمع ﴿وَكُنَّا أَطَعْنَا السَّبِيلَ﴾ طريق الهدى.

[٦٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّا هُمْ ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: مثلي عذابنا ﴿وَالْعَتَمُ﴾ عذبيهم ﴿وَلَعَنَّا كَثِيرًا﴾ (١) عدده، وفي قراءة: بالوحدة؛ أي: عظيمًا.

[٦٩] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا﴾ مع نبيكم ﴿كَالَّذِينَ آدَوُا مُوسَى﴾ يقولهم - مثلا -: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه أدر ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل؛ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِهِ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ مَلَكٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَأَذْرَكَهُ مُوسَى فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَاسْتَرَّ بِهِ، فَرَأَاهُ وَلَا أَفْرَةَ بِهِ (٢)؛ وَهِيَ نَفْخَةٌ فِي الْحَصِيَّةِ ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبَاءٌ﴾ ذا جاه، ومما أودى به نَبِيُّنَا ﷺ أَنَّهُ قَسَمَ قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ - تَعَالَى - .. فغضب النبي ﷺ من ذلك، وقال: ﴿يُوحِىَ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا؛ فَصَبِّرْ﴾ (٣) [رواه البخاري].

[٧٠] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صوابًا.

[٧١] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ نال غاية مطلوبه.

[٧٢] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيهما فهما وتركها من العقاب ﴿وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْحَمَلِ وَالْإِنْسَانِ﴾ خفن ﴿وَمِنَهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ نفسه بما حملة ﴿جَهُولًا﴾ به.

[٧٣] ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾ «اللام» متعلقة بـ﴿عَرَضْنَا﴾ المترتب عليه حمل

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ النَّسَاءِ قُلْ إِنَّمَا عَاهَدْتُكُمْ وَمَا يَذُرِيكَ لَعَلَّ النَّسَاءَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَئِنَّا لَنُنبِئُكَ أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكَرِهْنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿سَادَاتِنَا﴾ جمع الجمع ﴿وَكُنَّا أَطَعْنَا السَّبِيلَ﴾ طريق الهدى. ﴿٦٨﴾ رَبَّنَا إِنَّا هُمْ ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ أَي: مثلي عذابنا ﴿وَالْعَتَمُ﴾ عذبيهم ﴿وَلَعَنَّا كَثِيرًا﴾ (١) عدده، وفي قراءة: بالوحدة؛ أي: عظيمًا. ﴿٦٩﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آدَوُا مُوسَى يَقُولُهُمْ - مثلا -: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه أدر ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل؛ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِهِ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ مَلَكٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَأَذْرَكَهُ مُوسَى فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَاسْتَرَّ بِهِ، فَرَأَاهُ وَلَا أَفْرَةَ بِهِ (٢)؛ وَهِيَ نَفْخَةٌ فِي الْحَصِيَّةِ ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبَاءٌ﴾ ذا جاه، ومما أودى به نَبِيُّنَا ﷺ أَنَّهُ قَسَمَ قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ - تَعَالَى - .. فغضب النبي ﷺ من ذلك، وقال: ﴿يُوحِىَ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا؛ فَصَبِّرْ﴾ (٣) [رواه البخاري]. ﴿٧٠﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا صَوَابًا. ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ يَقْبَلُهَا وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا نَالَ غَايَةَ مَطْلُوبِهِ. ﴿٧٢﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْحَمَلِ وَالْإِنْسَانِ خَفَنَ وَمِنَهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ أَدَمُ بَعْدَ عَرْضِهَا عَلَيْهِ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا نَفْسُهُ بِمَا حَمَلَهُ جَهُولًا بِهِ. ﴿٧٣﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ «اللام» متعلقة بـ﴿عَرَضْنَا﴾ المترتب عليه حمل

آدم (١) ﴿الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المؤدين الأمانة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

\*\*\*

(١) لابن عامر.

(٢) للبيعة عدا عاصم. وقرأ عاصم: ﴿كثيرًا﴾ بالوحدة.

(٣) كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩).

(٤) البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٥) قال ابن كثير: أي إنما حُثِّلَ ابنُ آدمُ الأمانة وهي التكاليف، ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات... إلخ.



أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
 فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
 وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُمْ خَفِيفٌ أَلَيْسَ  
 أَوْ تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً  
 لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا  
 يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَنَالَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ  
 سَبْعَ سَاعَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّيِّئِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ  
 بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسْتَ تَمَكِّنُ الرِّيحَ عُدُوهَا سَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا سَهْرٌ  
 وَأَسْلَتْنَاهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ  
 رِيحُهُ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا لَدَفَهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾  
 يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَبٍ وَتَمَثَّلَ هِجَانٌ كَالْجَوَابِ  
 وَقُدُورٌ رَّاسِبَةٌ أَعْمَلُوا أَل دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ  
 الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ  
 إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ وَقَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ  
 أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

قائما على عصاه حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة، على عاداتها، لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضه عضاه فخر ميتاً ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ مصدر أَرْضَت الحشبة بالبناء للمفعول؛ أكلتها الأرضه ﴿تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾ بالهمز وتركه بالثاء (١٤)؛ عصاه؛ لأنها تُنْشَأُ بَطَرْدٍ (١٥) ويُزجر بها ﴿قَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتاً ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ﴾ انكشفت لهم ﴿أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ العمل الشاق لهم؛ لظنهم حياته، بخلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضه من العصا بعد موته، يوماً وليلة مثلاً.

[٨] ﴿أَفْتَرَى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون تخيل به ذلك؟ قال - تعالى -: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ عن الحق في الدنيا.

[٩] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما فوقهم وما تحته ﴿يَرَوْنَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾ إِنَّ شَأْنَهُمْ خَفِيفٌ أَوْ تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا ﴿بِسُكُونِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا﴾؛ قطعاً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وفي قراءة في الأفعال الثلاثة: بالياء (١٠) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المرئي ﴿لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء.

[١٠] ﴿لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ نبوة وكتاباً، وقلنا: ﴿يَجِبَالُ أَوْبَى﴾ رجعي ﴿مَعَهُ﴾ بالتسبيح ﴿وَالطَّيْرَ﴾ بالنصب عطفًا على محل الجبال؛ أي: ودعوناها تسبح معه ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ فكان في يده كالعجين. وقلنا: [١١] ﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ منه ﴿سَبْعَ سَاعَاتٍ﴾ دروعاً كوامل، يجوها لابسها على الأرض ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّيِّئِ﴾ أي: تشج الدروع، قبل لصانها: سُرَاد؛ أي: اجعله بحيث تناسب جلقه ﴿وَأَعْمَلُوا﴾ أي: آل داود معه ﴿صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازكم به.

[١٢] ﴿وَوُ﴾ سخرنا ﴿لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وقراءة الرفع (١٦) بتقدير: تسخير ﴿عُدُوهَا﴾ مسيرها من الغدوة؛ بمعنى: الصباح إلى الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ أي: مسيرته ﴿وَأَسْلَتْنَاهُ﴾ أذنا ﴿عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ أي: النحاس؛ فأجريت ثلاثة أيام لباليهن كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ بآذن بأمر ﴿رِيحُهُ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿وَنَدَفَهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا؛ بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تمزقه.

[١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَبٍ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَثَّلَ﴾ جمع تمثال؛ وهو: كل شيء مثله بشيء؛ أي: صور من نحاس وزجاج وورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته ﴿وَجِجَانٌ﴾ جمع جحنة ﴿كَالْجَوَابِ﴾ أي: جمع جابية؛ وهو: حوض كبير، يجمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٌ رَّاسِبَةٌ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم، وقلنا: ﴿أَعْمَلُوا﴾ يا ﴿أَل دَاوُدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ العامل بطاعتي شكرًا للنعمتي.

[١٤] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ على سليمان ﴿الْمَوْتَ﴾ أي: مات ومكث

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) أي: ﴿يُشَاهِدُ﴾، و﴿يُحْصِفُ﴾، و﴿يُسْقِطُ﴾، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة شعبة.

(٤) قراءتان سبعيتان، قرأ نافع وأبو عمرو بالثاء من غير همز، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة إلا ابن ذكوان فإنه أسكن الهمزة.

(٥) في نسخة من المطبوع: ﴿لَأَنهَا تُنْشَأُ﴾ نظرده، وفي نسخة أخرى: ﴿لَأَنهَا تُنْشَأُ وَيُطْرَدُ﴾.

وأديهم المسوك بما ذكره؛ فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿وَدَلَّاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أَكُلِ حِمَاطٍ﴾<sup>(١)</sup> مؤن بشع، بإضافة ﴿أَكُلِ﴾ بمعنى: مأكول، وتركها ويعطف عليه ﴿وَأَتْلَوْا شَيْءٌ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

[١٧] ﴿ذَلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ يُجَاوِزُ﴾ إلّا [الكفور] بالباء<sup>(٢)</sup>، والنون مع كسر الزاي ونصب ﴿الْكُفُورِ﴾ أي: ما يناقش إلا هو.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ﴾ بين سبأ، وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْفُرَىٰ آلِي﴾ بَنَزَكُنَا فِيهَا بالماء والشجر؛ وهي: قري الشام التي يسبرون إليها للتجارة ﴿فَرَىٰ ظَهْرَهُ﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقولون في واحدة ويبيتون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء؛ أي: قلنا: ﴿سَيَرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار.

[١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدُ﴾<sup>(٣)</sup> وفي قراءة: ﴿بَعْدُ﴾ ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام؛ اجعلها مغاوير ليطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء؛ فبطروا النعمة ﴿وَطَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقٍ﴾ فرقانهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَن ذَكَرَ﴾ المذکور ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ عبرًا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شُكُورٍ﴾ على النعم.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٤)</sup> ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار؛ منهم سبأ ﴿إِلَّيْسَ ظَنُّهُ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَأَتَّبَعُوهُ﴾ فـ ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف: في ظنه، أو ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد: ظنه؛ أي: وجده صادقًا ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكن ﴿فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ للبيان؛ أي: هم المؤمنون لم يتبعوه.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَّهُمُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ﴾ تسليط ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ﴾ فنجازي كلًا منها ﴿وَوَرَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ رقيب.

[٢٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم آلهة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره لينفعوكم بزعمكم، قال - تعالى - فيهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ - تعالى - ﴿بِهِمْ﴾ من الآلهة ﴿مَن ظَهَرَ﴾ معين.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ وَبَيْنَ الْفُرَىٰ آلِي بَنَزَكُنَا فِيهَا السَّيْرُ وَوَأَيُّ مَاءٍ آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلْيَاسُ ظَنُّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَوْمَئِذٍ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُمُ مِن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه<sup>(١)</sup>؛ قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> باليمن ﴿آيَةٌ﴾ دالة على قدرة الله - تعالى - ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين وأديمهم وشماله، وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليس فيها سباح<sup>(٣)</sup>، ولا بعوضة، ولا ذبابة، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيسوت لطيب هوائها<sup>(٤)</sup> ﴿وَاللَّهُ رَبُّ غَفُورٌ﴾.

[١٦] ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع غرقة؛ وهو: ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته؛ أي: سيل

(١) قرأ أبو عمرو واليزي بفتح الهجمة من غير تنوين، وقرأ قبل بإسكان الهجمة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حفص وحمره: ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ بالإنفراد وفتح الكاف، وقرأ الكسائي: ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ بالإنفراد وكسر الكاف.

(٣) وفي نسخة مطبوعة «سباح».

(٤) لا حاجة إلى ذكر هذه الأمور التي لا دليل عليها، وإنما يكفي أكثر المفسرين بتفسير البلدة الطيبة بأنها المباركة الكثيرة الثمرات اللطيفة الهواء.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو.

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام. وقرأ بقية السبعة: ﴿وَابْعَدُ﴾.

(٨) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ بقية السبعة: ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد.

[٢٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ﴾ - تعالى - ردًا لقولهم: إن ألهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أَوْكَتْ﴾ بفتح الهمة وضمها<sup>(١)</sup> ﴿كَبُرَ﴾ فيها ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول<sup>(٢)</sup> ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفزع بالإذن فيها ﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض استبشارًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها؟ ﴿قَالُوا﴾: القول ﴿الْحَقُّ﴾ أي: قد أذن فيها<sup>(٣)</sup> ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر<sup>(٤)</sup> ﴿الْكَبِيرُ﴾<sup>(٥)</sup> العظيم.

[٢٤] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالنَّاتِ؟﴾ ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ إن لم يقلوه، لا جواب غيره ﴿وَيَا أَيُّهَا كُمْ﴾ أي: أحد الفريقين ﴿لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بين، في الإيهام لتلف بهم داعٍ إلى الإيمان إذا وفقوا له.

[٢٥] ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمُوا أَذْنَبُوا وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ لَأَنْ تَبْرِيئُوا مِنْكُمْ﴾.

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ فيدخل المحقق الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِي﴾ أعلموني ﴿الَّذِينَ أَحَقُّهُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ رذخ لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره خلقه؛ فلا يكون له شريك في ملكه.

[٢٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً﴾ حال من «الناس»، قدم للاهتمام ﴿لِلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مبشرًا للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا للكافرين بالعذاب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟. [٣٠] ﴿قُلْ لَكُمْ مِعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ﴾ عليه؛ وهو: يوم القيامة.

[٣١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدمه؛ كالتوراة والإنجيل، الدالين على البعث لإنكارهم له. قال - تعالى - فيهم: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ﴾ يا محمد ﴿إِذْ

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَوْكَتْ لَهُ، وَحَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمُوا وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّهُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ لَكُمْ مِعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾

الظَّالِمُونَ الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ الأنباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الرؤساء: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ صدقتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بالنبي.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير... الحديث. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة سبأ (٣٤) باب (١) ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ...﴾.

(٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو.

(٣) بالياء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٤) أي في الشفاعة.

(٥) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وهو: شجكانة - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ  
عَنِ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ  
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ  
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ  
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ  
مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٥﴾  
وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٦﴾  
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ  
عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قُلُوبُهُمْ لَهَا جَزَاءٌ  
الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ ءَامِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ  
يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٩﴾  
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ  
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤٠﴾

[٣٢] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهَدْيِ

بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ؟﴾ لَا ﴿بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ في أنفسكم.  
[٣٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾  
أي: مكر فيهما منكم بنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾  
شركاء ﴿وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ﴾ أي: الفريضة ﴿عَلَىٰ تَرْكِ الْإِيمَانِ بِهِ﴾ ﴿لَمَّا رَأَوُا  
الْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها كلٌّ عن رفيقه مخافة التعبير ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي  
أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار ﴿هَلْ يُخْزَوْنَ﴾ ما ﴿يُخْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزء ﴿مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

[٣٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ رؤساؤها  
المتنعون: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ من آمن ﴿وَمَا نَحْنُ  
بِمُعَذَّبِينَ﴾.

[٣٦] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ امتحانا  
﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: كفار  
مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٣٧] ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾ قُوبَى؛ أي:  
تقربا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قُلُوبُهُمْ لَهَا جَزَاءٌ﴾ الضَّعِيفُ بِمَا  
عَمِلُوا ﴿أَي:﴾ جزء العمل: الحسنة - مثلا - بعشر فأكثر ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ﴾  
من الجنة ﴿ءَامِنُونَ﴾ من الموت وغيره، وفي قراءة: ﴿الْعُرْفَةِ﴾<sup>(١)</sup> بمعنى  
الجمع.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالإبطال ﴿بِالْمُعْجِزِينَ﴾<sup>(٢)</sup> لنا  
مقدرين عجزنا، وأنهم يفوتونا ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[٣٩] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحانا  
﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه ﴿لِمَنْ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ  
شَيْءٍ﴾ في الخير ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقال: كل إنسان  
يرزق عائلته؛ أي: من رزق<sup>(٣)</sup> الله.

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿بِالْمُعْجِزِينَ﴾.

(٣) في نسخة مطبوعة: «يرزق الله».



[٤٠] ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمَلَائِكَةِ أَهْلَآءٍ إِنَّا كُنْهُمْ بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَإِدْبَالِ الْأَوَّلَى بَاءً وَإِسْقَاطِهَا﴾ (٣) ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ؟﴾

[٤١] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ تَرْبِيهَا لَكَ عَنِ الشَّرِيكِ﴾ وَأَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ ﴿أَي: لَا مَوَالِدَ بَيْنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ بَلْ لِلانْتِقَالِ﴾ كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْإِجْنَ الشَّيَاطِينَ؛ أَيْ: يَطِيعُونَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ لِيَانَا ﴿أَكْثَرُهُمْ يَمُومُونَ﴾ مُصَلِّقُونَ فِيمَا يَقُولُونَ لَهُمْ.

[٤٢] قَالَ - تَعَالَى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ أَيْ: بَعْضُ الْمُعْبُودِينَ لِبَعْضِ الْعَابِدِينَ شَفَاعَةً وَلَا ضَرًّا﴾ تَعَذُّبًا ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَنَّمُوا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ دُفُوعًا عَذَابِ النَّارِ أَلَّنِي كُنتُمْ يَافِئْتُمْ كَذِبًا.

[٤٣] ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَىٰ عِلِّيَّهِمْ﴾ أَيْ: نُنَادِيهِمْ ﴿فَيَسْتَجِيبُ﴾ وَاضْحَابُ بِلْسَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ مِنْ الْأَصْنَافِ ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا الْفُكَّ﴾ كَذَبَ ﴿مُفْتَرًى﴾ عَلَى اللَّهِ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ الْقُرْآنُ﴾ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴿إِنْ﴾ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾.

[٤٤] قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا أَتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ فَمَنْ أَيْنَ كَذِبُكَ؟!

[٤٥] ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَوْا﴾ أَيْ: هَؤُلَاءِ ﴿وَمَعَسَارَ مَا أَتَيْنَهُمْ﴾ مِنْ الْقُوَّةِ وَطُولِ الْعُمُرِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ ﴿كَذَّبُوا رُسُلِي﴾ إِلَيْهِمْ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إِنْكَارِي عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةُ وَالْإِهْلَاكُ؛ أَيْ: هُوَ وَاقِعٌ مَوْقَعُهُ.

[٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ هِيَ ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أَيْ: لِأَجَلِهِ ﴿مَتًى﴾ أَيْ: اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَيْنِ ﴿وَفَرَدَى﴾ وَاحِدًا وَاحِدًا ﴿ثُمَّ تَنْفَكُّوْا﴾ فَعَلِمُوا ﴿وَمَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ مُحَمَّدٍ ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ جَنُونَ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾ أَيْ: قَبْلَ ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فِي الْآخِرَةِ إِنْ عَصَيْتُمُوهُ.

[٤٧] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ مَا سَأَلْتُمْكُمْ عَلَى الْإِنذَارِ وَالتَّبْلِيغِ ﴿مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أَيْ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا ﴿إِنْ أَجَرِي﴾ مَا ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مُطْلِعٌ يَغْلُمُ صِدْقِي.

وَقَوْمٌ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُآءٍ إِنَّا كُنْهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْإِجْنَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ قَالُوا لِمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَنَّمُوا أَنَّهُمْ كَفَرُوا عَذَابِ النَّارِ أَلَّنِي كُنتُمْ يَافِئْتُمْ كَذِبًا ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَىٰ عِلِّيَّهِمْ﴾ أَيْ: نُنَادِيهِمْ ﴿فَيَسْتَجِيبُ﴾ وَاضْحَابُ بِلْسَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ أَيْ: أَوْ كَرِهَ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا الْفُكَّ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿وَمَا أَتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَوْا وَمَعَسَارَ مَا أَتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَحْدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَتًى وَفَرَدَى ثُمَّ تَنْفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

[٤٨] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يُلْقِيهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ مَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

(١) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَقُولُ﴾.

(٣) قوله: ﴿وَإِدْبَالِ الْأَوَّلَى بَاءً﴾، هذا سبق فلم من المفسر - رَحِمَهُ اللَّهُ - إذ لم يقرأ بذلك أحد من القراء، وأما إسقاط الأولى مع تحقيق الثانية فقراءة أبي عمرو، وأما تحقيق الأولى وتسهيل الثانية فقراءة ورش، وعكسه قالون والبرقي، ولورش أيضًا إدبال الثانية باء ساكنة معدودة مع تحقيق الأولى.

[٥٢] ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ بحمد أو القرآن ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ﴾ وبالهزيمة بدلها<sup>(١)</sup>؛ أي: تناول الإيمان ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عن محله؛ إذ هم في الآخرة ومحل الدنيا.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقْدِرُونَ﴾ يرمون ﴿بِالْعَنِيِّ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة؛ حيث قالوا في النبي: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن: سحر، شعر، كهانة.

[٥٤] ﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان؛ أي: قوله ﴿كَمَا قُيِّلَ بِأَشْيَاءِهِمْ﴾ أشباههم في الكفر ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ أي: قبلهم ﴿وَلَهُمْ فِي شَكِّ مَرْيَمَ﴾ موقع في الريبة لهم، فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

## سورة فاطر

[مكية، وهي: خمس، أو: ست وأربعون آية، نزلت بعد الفرقان]<sup>(\*)</sup>

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حميد - تعالى - نفسه بذلك كما بيّن في أول سورة سبأ ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُولَئِكَ أَجِبْتُهُمْ مَتَنًى وَوَعَدْتُ رُبُّدَ فِي الْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا تُمْنِكُمْ لَهَا وَمَا يُمْنِكُمْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا تَرْبِئُ لَهُمْ مِنْ بَعْدِي﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في فعله.

[٣] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة<sup>(٢)</sup> ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ﴾ من: زائدة، ﴿وَخَلْقٍ﴾ مبتدأ ﴿عِزُّ اللَّهِ﴾ بالرفع والجر<sup>(٣)</sup>: نعت لـ ﴿خَلْقٍ﴾ لفظاً ومحللاً، وخبر المبتدأ: ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرُ﴾ من: ﴿الْأَرْضِ﴾ النبات؟ والاستفهام للتقرير؛ أي: لا خالق رازق غيره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفُكُورُ﴾ من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟!

فَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ<sup>(٤)</sup> قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ<sup>(٥)</sup> وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا فُتُورَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ<sup>(٦)</sup> وَقَالُوا لَمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ<sup>(٧)</sup> وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِرُونَ بِالْعَنِيِّ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ<sup>(٨)</sup> وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ<sup>(٩)</sup>

## سورة فاطر

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجَبْتُهُمْ مَتَنًى وَوَعَدْتُ رُبُّدَ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(١٠)</sup> مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(١١)</sup> يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِزُّ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفُكُورُ<sup>(١٢)</sup>

[٤٩] ﴿فَلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لم يبق له أثر.

[٥٠] ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ أي: إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فِرْعَوْنُ﴾ عند البعث؛ لرأيت أمراً عظيماً ﴿فَلَا فُتُورَ﴾ لهم ميثاً؛ أي: لا يفتوتونا ﴿وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: القبور.

(١) فائدة: قال البخاري: سورة الملائكة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة (٣٥). وكذلك سماها الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦).

(٢) بالهمزة بدل الواو: ﴿التَّنَاطُشُ﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو.

(٣) سبق التعليق على نحو هذا مراراً بأن الأولى التعميم وعدم التخصيص.

(٤) بالجر قراءة حمزة والكسائي.

[٤] ﴿وَإِنْ يَكْذِبُواْ بِكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ في ذلك؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في الآخرة؛ فيجازي المكذبن وينصر المسلمين.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَفْرَحَنَّكُمْ بِاللَّهِ﴾ في جليلة وإمهاله ﴿الْعُرُوزُ﴾ الشيطان.

[٦] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله، ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ النار الشديدة.

[٧] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هذا بيان ما يوافق الشيطان وما يخالفه.

[٨] ﴿وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ وغيره﴾: ﴿أَقَمَ رَبُّنَا لَكُمْ سُوءَ عَمَلِكُمْ بِالْمُؤْمِنَةِ﴾ ﴿قَرَأَهُ حَسَنًا﴾ «من» مبتدأ، خبره: كمن هده الله؟ لا، دل عليه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَنْهُمْ﴾ على المزني لهم ﴿حَسَرَاتٍ﴾ يا غيتاميك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه<sup>(١)</sup>.

[٩] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿الرَّيْحَ﴾ ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛ أي: تزعجه ﴿فَتُسْقِنُهُ﴾ فيه النفثات عن الغيبة ﴿إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٣)</sup>؛ لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسسها؛ أي: أنبتنا به الزرع والكأ<sup>(٤)</sup> ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: البعث والإحياء.

[١٠] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة؛ فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ اللَّطِيفُ﴾ يغلفه<sup>(٥)</sup>؛ وهو: لا إله إلا الله ونحوها ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقبله ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ الْمَكِرَاتِ﴾ السَّيِّئَاتِ ﴿بِالنَّارِ﴾ في دار الندوة؛ من تقيده، أو قتله، أو إخراجها. كما ذكر في الأنفال<sup>(٦)</sup>. - ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾ يهلك.

[١١] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أئكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ أي: مني يخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا ﴿وَمَا تَحْمِلُ﴾

وَإِنْ يَكْذِبُواْ بِكَ فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ أَفَمَنْ رَّبُّنَا لَهُ سُوءُ عَمَلٍ قَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنُهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٦﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ اللَّطِيفُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾

يَنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ: حال؛ أي: معلومة له ﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يزداد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ أي: ذلك المعمر، أو معمر آخر<sup>(١)</sup> ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ ﴿وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هيئت.

(١) روي هذا عن ابن عباس، كما ذكر السيوطي في باب النقول ص (١٨١) عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، وجوير متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس، وهو ضعيف جدًا كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٨/٣).

(٢) لحمة والكسائي وابن كثير.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا من تأويل الكلم وتحريفه عن مواضعه؛ ومراد المفسر غفر لنا وله نفي ما يدل عليه من إثبات علو الذات لله تعالى جرياً على طريقته في ذلك.

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَرَأَى بُنْكَرَ بَكِّ الْأَزْنِ كَثُرًا يُفْشِرُكَ أَوْ يُفْشِرُكَ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

(٦) أي إن الضمير عائذ عني الجنس، لا على العين؛ أي لا على عين المعمر بل على غيره؛ لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره. قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه»، أي ونصف آخر. ويكون معنى الآية على هذا القول: أي ما يعطى بعض النطف. عند نفع الروح وكتب الأجل. من العمر الطويل يعلمه الله تعالى، وهذا اختيار ابن جرير وابن كثير.

﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو: السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من الجبل، وقيل: منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي: اللؤلؤ والمرجان ﴿وَرَأَى﴾ تبصر ﴿الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَازِيرَ﴾ تمخر الماء؛ أي: تَشَقُّقُ بِحُزْبِهَا فِيهِ مَقْبَلَةٌ وَمُدْبِرَةٌ بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ ﴿لِيُنْبِتُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ - تعالى - بالتجارة ﴿وَلَمَّا كُمُتُمْ شَكَرْتُمْ﴾ الله على ذلك.

[١٣] ﴿يُولِجُ﴾ يدخل الله ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد<sup>(١)</sup> ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي الْيَلِّ﴾ فيزيد<sup>(٢)</sup> ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ لفاقة النواة.

[١٤] ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَكَرَّ سَعُوا﴾ فرضا ﴿مَا اسْتَحَبُّوا لَكُمْ﴾ ما أحببواكم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ﴾ بإشراككم إياهم مع الله؛ أي: يبرعون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِالَّذِينَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ غالم؛ هو: الله تعالى.

[١٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود في صنعه بهم.

[١٦] ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بملككم.

[١٧] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَأَزْرُهُ﴾ أثمة؛ أي: لا تحمل ﴿وَزْرَهُ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ﴾ نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ منه أحدا ليحمل بعضه ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابته؛ كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين<sup>(٣)</sup> ﴿حَكَمَ﴾ من الله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: يخافونه وما رأوه؛ لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَكُنْ﴾ تَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ﴿فَضْلًا لَّهُ مَخْتَصًى﴾ به ﴿رَأَىٰ اللَّهُ الْغَافِلِينَ﴾ المرجع؛ فيجزى بالعمل في الآخرة.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ يُولِجُ الْيَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْيَلِّ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٤﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ وَلَا يَنْتَفِعُونَ مِثْلَ خَبِيرٍ ﴿١٥﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿سَابِغٌ شَرَابُهُ﴾ شربه ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ منها

(١) أي: الليل يطول.

(٢) أي: النهار يطول.

(٣) أي في الحمل القهري في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أو الاختياري؛ تلبية لدعوة المثقلة غيرها ليحمل بعضه.

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن.

[٢٠] ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ الْكَفَرُ﴾ وَلَا النُّورُ الْإِيمَانُ.

[٢١] ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا النُّورُ﴾ الجنة والنار.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَقْوَمُ﴾ المؤمنون ولا الكفار، وزيادة «لَا» في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ هديته؛ فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أي: الكفار - شبههم بالموتى - فيجيئون.

[٢٣] ﴿إِنْ﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿نَذِيرٌ لَهُمْ﴾.

[٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِنْ﴾ مَا مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا سَلَفٌ ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ نبي يُنذِرُهَا.

[٢٥] ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتكذيبهم ﴿كَذِيفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ إنكار عليهم بالعقوبة والإهلاك؛ أي: هو واقع موقعه.

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه انتفات عن الغيبة ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّة؛ طريق في الجبل وغيره (١) ﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ وَصَفَرٌ﴾ وَخَضِرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا بالشدة والضعف ﴿وَعَرِيبٌ﴾ سُودٌ عطف على جُدَدٌ ﴿أَيُّ﴾ صخور شديدة السواد، يقال كثيرا: أسود غريب، وقليلًا: غريب أسود.

[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ﴾ كذلك؛ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿عَفُورٌ﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرءون ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَتَرَجَّوْنَ يَجُورُوا﴾

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَقْوَمُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَمَا مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا سَلَفٌ ﴿٢٧﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ المعجزات ﴿٢٨﴾ وَالزُّبُرِ كصحف إبراهيم ﴿٢٩﴾ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا. ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا بتكذيبهم ﴿٣١﴾ كَذِيفَ كَانَ نَكِيرٌ إنكار عليهم بالعقوبة والإهلاك؛ أي: هو واقع موقعه. ﴿٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرِيبٌ سُودٌ ﴿٣٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْتَجُونَ تَجَرَّةً لَّن تَبُورَ ﴿٣٥﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٦﴾

لَّن تَكُورَ تهلك.

[٣٠] ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ لَنَّهُم غَفُورٌ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعتهم.

(١) قال القاضي كعبان في قرة العينين ص (٥٧٥): «يشير إلى اختلاف ألوان الصخور، ومعنى «الجُدَّة» في أصل اللغة: الخُطَّة في ظهر الحمار تخالف لونه؛ أي إن صخور الجبال لخطوط وطرائق مختلفة الألوان...».

بالوابع والظواهر<sup>(١)</sup>.

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمتك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يضم إلى العلم التعليم والإرشاد إلى العمل ﴿يَاذُنُ اللَّهِ﴾ يارادته ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ليراثهم الكتاب ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٣٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾ أي: إقامة ﴿يَدْخُلُوهَا﴾ الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول<sup>(٣)</sup>؛ خبر ﴿جَنَّتٌ﴾ المبتدأ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ خبر ثانٍ ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مَرْصَع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّا رَبَّنَا﴾ لغفور ﴿لِلذُنُوبِ﴾ شكور ﴿لِلطَّاعَةِ﴾.

[٣٥] ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ لا يمسا فيها نصيب ﴿ثُمَّ﴾ ولا يمسا فيها لغوب ﴿إِغْيَاءً مِنَ التَّعَبِ﴾ لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿[يُجْزَىٰ]﴾<sup>(٤)</sup> ﴿كُلُّ كَافٍ﴾ كافٍ، بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب ﴿كُلِّ﴾.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ نعمل صليحا غير الذي كنّا نعمل ﴿فَيَقَالُ لَهُمْ﴾: ﴿أُولَئِكَ نَعَمَّرَكُم مَّا﴾ وقتا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ الرسول فيما أجبتم ﴿فَذُوقُوا﴾ فما للظالمين ﴿الْكَافِرِينَ﴾ من نصيب ﴿يدفع العذاب عنهم﴾.

[٣٨] ﴿إِنَّا﴾ الله عليه عيب السموات والأرض إنه عليهم يذات الصدور ﴿بِمَا فِي الْقُؤُوبِ﴾ فعمله بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس<sup>(٥)</sup>.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَاذُنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٤٠﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٤١﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٤٢﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٤٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ غُفُورٍ ﴿٤٤﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٤٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

[٣٩] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ عالم

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يَأْذُنُ اللَّهِ قَالَ: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦) سورة فاطر، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٧).

(١) إذا كان مراد المفسر بذلك تفسير قوله: ﴿لَخَبِيرٌ﴾ فنعلم؛ وإن كان مراده تفسير ﴿بَصِيرٌ﴾ بذلك أيضا فإن هذا من تأويل صفة البصر الثابتة لله ﷻ على الوجه اللائق به، وهو مردود.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة أبي عمرو.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو.

(٤) أي: أما بالنسبة إليه سبحانه؛ فالسر والعلانية سواء.

[٣٩] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضاً ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: وتَبَال كُفْرُهُ ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ غَضَبًا ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ للآخرة.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿وَمِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله - تعالى - ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شِرْكٌ مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ﴾ حجة ﴿بَيِّنَةٌ﴾ بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِنْ﴾ ما ﴿يَعِدُّ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً، بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

[٤١] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: يمنعهما من الزوال ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿زَالَا إِنْ﴾ ما ﴿أَسْكَنْهُمَا﴾ بمسكهما ﴿وَبِنَ أَعْيُنٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: سواء ﴿إِنْهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ في تأخير عقاب الكفار.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لَنْتُ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ أَهْدَى الْأُمَمِ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم؛ أي: أي واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً؛ إذ قالت اليهود: ﴿لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup> وقالت النصارى: ﴿لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا تَفُورًا﴾ تباعداً عن الهدى.

[٤٣] ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عن الإيمان، مفعول له ﴿وَمَكْرَ الْعَمَلِ﴾ السَّيِّئِ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر، ووصف المكر بالسَّيِّئِ أصل<sup>(٣)</sup>، وإضافته إليه قبل<sup>(٤)</sup> استعمال آخر، فُلِّز فيه مضاف<sup>(٥)</sup>؛ حذراً من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم؛ من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقة.

[٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِنْ أَمْسَكْتُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّهُ لَكَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْتُ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا تَفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ عَصَاكُمْ وَلَا فِي السَّمَوَاتِ إِنَّهُ لَكَادِبٌ ﴿٤٤﴾

وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بالأمياء كلها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها.

(١)، (٢) البقرة: ١١٣.

(٣) أي: جاء على الأصل؛ من استعمال الصفة تابعة للموصوف.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُ السَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]، جاء على خلاف الأصل؛ حيث أضيفت فيه الصفة إلى الموصوف.

(٥) قدره الجلال المحلي هنا: «العمل»؛ أي: «مكر العمل السيئ».

[٢] ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ المحكم بعجيب التلويح وبديع المعاني.

[٣] ﴿إِنَّكَ يَا مُحَمَّدٌ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٤] ﴿عَلَىٰ﴾ متعلق بما قبله ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك؛ التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: ﴿لَئِنْ مَرَسَلْنَاكَ﴾.

[٥] ﴿تَنْزِيلُ﴾<sup>(١)</sup> التزيين في ملكه ﴿الرَّحِيمَ﴾ بخلقه، خير مبتداء مقدر؛ أي: القرآن.

[٦] ﴿لِنُنْذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾ متعلق بـ ﴿تَنْزِيلُ﴾ ﴿مَا أَنذَرْنَا أَبَاؤَهُمْ﴾ أي: لم يندروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾ أي: القوم ﴿عَظِيلُونَ﴾ عن الإيمان والرشد.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ وجب ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الأكثر.

[٨] ﴿وَإِن جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً﴾ بأن نضّم إليها الأيدي؛ لأن الغل يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهُمْ﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن؛ وهي: مجتمع اللحيين ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل؛ والمراد: أنهم لا يدعون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين<sup>(٢)</sup> ﴿فَاعْشَيْتَهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ تمثيل أيضا لسد طرق الإيمان عليهم.

[١٠] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه<sup>(٣)</sup> ﴿أَمْ كَمْ لُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ ابْتَدَعَ الذِّكْرَ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَحِثَّى الرَّحْمَنَ بِالْعَيْتِ﴾ خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ الْمُغْنَوْنَ﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ في حياتهم من خير وشر؛ ليجازوا عليه ﴿وَأَنذَرَهُمْ﴾ ما استن به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نصيبه بفعل يفسره: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿فِي إِمَارٍ مُّبِينٍ﴾ كتاب بين؛ هو: اللوح المحفوظ<sup>(٤)</sup>.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٥﴾

سُورَةُ يَسٍ

يس ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَنذَرْنَا أَبَاؤَهُمْ فَهُمْ عَظِيلُونَ ﴿٤﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٦﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَحِثَّى الرَّحْمَنَ بِالْعَيْتِ بِشَرِّهِ يَمْعِفِرُ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿٩﴾ إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ عَنِ الْمَوَالِي وَكَتَبْنَا مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهَرِهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ نَسْمَةٍ تُدْبُ عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم على أعمالهم؛ بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

سُورَةُ يَسٍ

[مكية إلا: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ الآية، أو: مدنية<sup>(١)</sup>، ثنان

وثمانون آية، نزلت بعد سورة الجن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يس﴾ الله أعلم بمراده به.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢): أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ عَنِ الْمَوَالِي وَكَتَبْنَا مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن آثاركم تكتب؛ فلم ينتقلوا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٧). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٨).

(١) لم يذكر هذا الخلاف أحد غيره من المفسرين، والسورة مكية لإجماع كما قال القرطبي.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقراء بقية السبعة بالفتح: ﴿تَنْزِيلُ﴾؛ إما مفعولاً مطلقاً، أو لفعل محذوف مقدر.

(٣) بالضم قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) بالتسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام، وقُضِلَ بين الهمزتين بالألف: أبو عمرو وقالوا وهشام، والأكثر عن ورش على إبدال الهمزة الثانية ألفاً خالصة.



[١٣] «وَأَضْرَبَ» اجعل «لَهُمْ مَثَلًا» مفعول أول «أَصْحَبَ» مفعول ثان «الْقَرْيَةَ» أنطاكية «إِذْ جَاءَهَا» إلى آخره؛ بدل اشتمال من «أَصْحَبَ الْقَرْيَةَ» «الْمُرْسَلُونَ» أي: رسل عيسى<sup>(١)</sup>.

[١٤] «إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا» إلى آخره؛ بدل من «إِذْ» الأولى «فَقَرَرْنَا» بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup>؛ قَوَّيْنَا الاثنين «يَسَارِلِي» فقالوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ.

[١٥] «قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِذْ» ما «أَنشَأَ إِلَّا تَكْذِبُونَ».

[١٦] «قَالُوا رَبَّنَا يَعْبُدُ جَارِ مَجْرَى الْقَسَمِ» ويزيد التأكيد به وباللام، على ما قبله، لزيادة الإنكار في «إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ».

[١٧] «وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ» التبليغ البين الظاهر بالأدلة الواضحة؛ وهي: إبراء الأكمه والأبرص والمرضى وإحياء الميت<sup>(٣)</sup>.

[١٨] «قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ نَشَاءُكُمْ بَكَّةً» لانقطاع المطر عنها بَسْبِكُمْ<sup>(٤)</sup> «لَيْنَ» لام قسم «لَنُرْسِلَنَّهُمْ لَنَزْجُنَّكُمْ» بالحجارة «وَلَنَسْتَكْفُرَنَّ» عَذَابَ إِلَهُكُمْ مؤلم.

[١٩] «قَالُوا عَلَيْنَاكُمْ شَوْكُمْ» شؤمكم «نَعْمَكُمْ» بكفركم «إِن هَمَزَ اسْتِفْهَامٌ دخلت على «إِن» الشرطية، وفي همزتها: التحقيق والتسهيل، وإدخال ألف بينها - بوجهيها - وبين الأخرى<sup>(٥)</sup> «ذُكِّرَتْ» وَعُظِّمَتْ وَخُوِّقَتْ، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تطيرتم وكفرتم؟ وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ «بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ» متجاوزون الحد بشؤركم.

[٢٠] «وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ» هو: حبيب النجار، كان قد آمن بالرسول، ومنزله بأقصى البلد «سَمِعَ» يشتد عذوا لما سمع بكذب القوم الرسول «قَالَ يَقُومُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ».

[٢١] «أَتَّبِعُوا» تأكيد لأول «مَنْ لَا يَسْتَكْفُرْ أَجْرًا» على رسالته «وَهُمْ مُّهْتَدُونَ» فقبل له: أنت على دينهم. فقال: [٢٢] «وَمَا لِي لَا أَتَّبِعُ الَّذِي فَطَرَنِي» خلقتني؛ أي: لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها، وأنت كذلك «وَلَا يَدْرِي رُبُّهُمْ» بعد الموت فيجازيكم بكفركم<sup>(٦)</sup>.

[٢٣] «وَأَتَّبَعُوا» في الهمزتين منه ما تقدم في «وَأَنذَرْتَهُمْ»<sup>(٧)</sup> وهو استفهام بمعنى النفي «مِنْ دُونِهِ» أي: غيره «وَاللَّهِ» أصناما «إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَعَتُهُمْ» التي زعمتموها «شَيْئًا وَلَا يُبْقِدُون» صفة «وَاللَّهِ».

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ

﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَبَّوْا بِأَثَلِ فَقَالُوا

إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا

وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا

رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلِّغُ

الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ لِنَاسٍ لَّنْ تَكْفُرُوا وَلَنَكْفُرَنَّكُمْ

وَلَنَسْتَكْفُرَنَّكُمْ مَتَاعَدَابِ إِلَهُكُمْ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَ كُمْ أَيْنَ

ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ

رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَّبِعُوا

مَنْ لَا يَسْتَكْفُرُ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَتَّبِعُ

الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً

إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا

وَلَا يُبْقِدُون ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ

بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُون ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي

يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ يَمَّا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

[٢٤] «إِنِّي إِذًا» أي: إن عذبني غير الله «لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» بين.

[٢٥] «إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُون» أي: اسمعوا قولي؛ فرجموه فمات.

[٢٦] «قِيلَ» له عند موته: «ادْخُلِ الْجَنَّةَ» وقيل: دخلها حيا «قَالَ» يا «حرف تنبيه» «لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ».

[٢٧] «يَمَّا عَفَّرَ لِي رَبِّي» بغفرانه «وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ».

(١) اختار ابن كثير أنهم رسل من الله تعالى، وهو ما يؤيده سياق الآيات، وليس ما اختاره المصنف وبعض المفسرين أنهم رسل عيسى.

(٢) بالتخفيف قراءة شعبة، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٣) (٤) تفسير الأثلة بهذه الآيات، والشاؤم بسبب انقطاع المطر مما لا دليل صحيح على شؤته، وكذلك ما سيأتي من تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة بحبيب النجار، وما سبق من تسمية القرية بأنطاكية؛ فالأولى في تفسير القرآن إجمال ما أجمله وتفصيل ما فصله والاقصا على موضع الفائدة والعبارة، كما عليه أهل التحقيق من المفسرين فلا يعتمدون في إيضاح مبهات القرآن إلا ما قام عليه دليل قاطع.

(٥) راجع التعليق على الآية رقم (١١٣) من سورة الأعراف.

(٦) في نسخة القاضي كنعان المطبوعة: «كبريكم».

(٧) أي: من القراءات، وتقدم بيانها.

والاستفهام للتفريق؛ أي: علموا ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى: كثيراً معمولة لما بعدها، معلقة ما قبلها عن العمل<sup>(٣)</sup>؛ والمعنى: إنا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ كثيراً ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أَنْتَهُمْ﴾ أي: المهلكين ﴿الْيَوْمِ﴾ أي: المكذبن ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ و﴿أَنْتَهُمْ﴾ إلخ، بدل ميثا قبله، يرعاية المعنى المذكور.

[٣٢] ﴿وَإِنْ نَافِيَةٌ أَوْ مُخَفَّفَةٌ﴾ كلٌّ ﴿أَي﴾: كل اختلاقي، مبتدأ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد؛ بمعنى: إلا، أو بالتخفيف<sup>(٤)</sup>، فـ «اللام» فارقة و«ما» مزيدة ﴿جَمِيعٍ﴾ خبر المبتدأ؛ أي: مجموعون ﴿لَدَيْنَا﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحْضَرُونَ﴾ للحساب، خبر ثان.

[٣٣] ﴿وَأَيَّاهُ هُمْ﴾ على البعث، خبر مقدم ﴿الْأَرْضُ أَلْيَنَةُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٥)</sup> ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالماء، مبتدأ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالخطة ﴿فَيَتَبَاكُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ بساكنين ﴿مِّنْ نَّجِيلٍ﴾ وأعْنَبٍ وفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿أَي﴾: بعضها.

[٣٥] ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ بفتحين وضمين<sup>(٦)</sup>؛ أي: ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لم تعمل الثمر<sup>(٧)</sup> ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أنعمه تعالى عليهم؟.

[٣٦] ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَمْلِكُونَ﴾ من مخلوقات العجبة الغريبة.

[٣٧] ﴿وَأَيَّاهُ هُمْ﴾ على القدرة العظيمة: ﴿أَتَيْلُ نَسْلُخٍ﴾ فصل ﴿وَمِنَ النَّهَارِ﴾ فإذا هم ﴿مُظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام.

[٣٨] ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي﴾ إلى آخره من جملة الآية لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿لِيُسْقَرَّ لَهَا﴾ أي: إليه لا تتجاوزه ﴿ذَلِكَ﴾ أي: جبرها ﴿تَقْدِيرَ الرَّحْمَنِ﴾ في ملكه ﴿الْقَلِيلِ﴾<sup>(٨)</sup> بخلقه.

[٣٩] ﴿وَالْقَمَرُ﴾ بالرفع والنصب<sup>(٩)</sup>، وهو منصوب بفعل يُسْقَرُّ ما بغداه ﴿فَدَرَكُهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً، في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، وليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿كَأَلَمْ يَجِدْ أَلْفَذِيرَ﴾ أي: كعود الشماع إذا عثق فإنه يرقق ويتفوقس ويتصفّر.

[٤٠] ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي﴾ يسهر ويصح ﴿لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا أَيْلُ سَابِقِ النَّهَارِ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلٌّ﴾ - توينه عوض عن المضاف إليه - من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٍ﴾ مستدير ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسIRON، نُزِّلُوا مُنْزِلَةَ الْعُقَلَاءِ.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ من بعده من جند من السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُزِيلِينَ ﴿٨﴾ إِنْ كُنْتَ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خُمُودٌ ﴿٩﴾ يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿١٢﴾ وَءَايَةُ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿١٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَءَايَةُ لَهُمْ أَيْلُ نَسْلُخٍ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿١٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿١٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَيْلُ سَابِقِ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٢٠﴾

[٢٨] ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ أي: حبيب<sup>(١)</sup> ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد موته ﴿مِنَ الْجِنِّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: ملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُزِيلِينَ﴾ ملائكة لإهلاك أحد.

[٢٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خُمُودُونَ﴾ ساكنون ميتون.

[٣٠] ﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ هؤلاء ونحوهم من كذبوا الرسل فأهلكوا، وهي شدة التألم، وندأوها مجازاً؛ أي: هذا أوانك فاحضري ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ مسوق لبيان سببها<sup>(٢)</sup>؛ لاشتغالها على استهزائهم، المؤدي إلى إهلاكهم، المسبب عنه الحسرة.

[٣١] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أهل مكة القائلون للنبي: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾،

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ لأي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتنادى فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتنادى فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الرَّحْمَنِ الْعَلِيمِ» البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة يس (٣٦) باب (١) ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

(١) راجع ما تقدم في التعليق من أنه لا دليل على صحة تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسمى حبيباً.  
(٢) لأن «كم» الخبرية يكون لها الصدارة، فلا يعمل ما قبلها - وهو «يروا» - فيها.  
(٣) بالتشديد قراءة نافع.  
(٤) هذا باعتبار أن (ما) نافية، وهو أحد الأقوال، والقول الثاني - وهو الأظهر - أنها موصولة، في موضع خفض على العطف، وهو اختيار ابن جرير، ولم يذكر غيره. والمعنى: وما عملته أيديهم، وهو ما ينخذ من القمر الكعصير والذهب ونحوهما، أو المراد الذي عملته بالفرس، والسقي، والآبار.  
(٥) أي: سبب الحسرة.  
(٦) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو.  
(٧) بضمين قراءة حمزة والكسائي.  
(٨) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

[٤١] ﴿رَبَّاهُ اللَّهُمَّ عَلَى قَدَرْتَنَا﴾ <sup>(١)</sup> **﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾** وفي قراءة: **﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾** <sup>(٢)</sup> أي: آباءهم الأصول <sup>(٣)</sup> **﴿فِي الْفُلِّ﴾** أي: سفينة نوح **﴿الْمَشْحُونِ﴾** المملوء.

[٤٢] ﴿وَحَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾ أي: مثل فلك نوح؛ وهو: ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكار يتعليم الله - تعالى - **﴿مَا يَكُونُ﴾** فيه.

[٤٣] ﴿وَلِنْ دُشَّا نَعْرِفَهُمْ﴾ مع إيجاد السفن **﴿فَلَا صَرِيحٌ﴾** مُعِيثٌ **﴿لَهُمْ﴾** ولا هم يُفْهَمُونَ. ينجون.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: لا ينجمهم إلا رحمتنا لهم وتمتعنا بإياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيرهم **﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾** من عذاب الآخرة **﴿لَعَلَّكُمْ تَرْجَعُونَ﴾** أعرضوا.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا الصَّحَابَةَ﴾ <sup>(٤)</sup> **﴿لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾** عَلَيْنَا وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ <sup>(٥)</sup> من الأموال **﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾** استهزاء بهم: **﴿أَنُطِيعُ مَنْ لَوْ بَشَاءَ اللَّهِ أَطَعْتُمْ﴾** في معتقكم هذا **﴿إِنْ﴾** ما **﴿أَنْتُمْ﴾** في قولكم لنا ذلك مع معتقكم هذا **﴿وَلَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** يَبِينُ، وللصريح بكفرهم <sup>(٦)</sup> موقع عظيم.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالبعث **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** فيه.

[٤٩] قال - تعالى -: **﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾** أي: ينتظرون **﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾** وهي: نفخة إسرئيل الأولى **﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾** بالتشديد، أصله: يَخِصِّمُونَ؛ نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد؛ أي: وهم في غفلة عنها يَخِصِّمُونَ وَتَبَائِعُ وَأَكْلٍ وَشَرْبٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وفي قراءة: **﴿يَخِصِّمُونَ﴾** <sup>(٧)</sup> كـ «يضر بون»؛ أي: يخصم بعضهم بعضاً.

[٥٠] **﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً﴾** أي: أن يوصوا **﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾** من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها.

[٥١] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ - هو قرن - النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة <sup>(٨)</sup> **﴿فَإِذَا هُمْ﴾** أي: المقبورون **﴿وَبَيْنَ الْأَكْدَانِ﴾** القبور **﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾** يخرجون بسرعة.

[٥٢] ﴿قَالُوا﴾ أي: الكفار منهم: **﴿يَا لَلنَّبِيِّ﴾** ولئناب **﴿وَلَيْتَنَا﴾** هلاكنا، وهو مصدر لا يفعل له لم نَفْظِهِ **﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾** لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا **﴿هَذَا﴾** أي: البعث **﴿مَا﴾** أي: الذي **﴿وَعَدَ﴾** به

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ <sup>(٩)</sup> وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ <sup>(١٠)</sup> وَإِنْ نَشَاءُ نَغْرِقْهُمْ فَلَا يَصْرِخُ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ <sup>(١١)</sup> إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ <sup>(١٢)</sup> وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْجَعُونَ <sup>(١٣)</sup> وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ <sup>(١٤)</sup> وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَطُوعُ مَنْ لَوْ بَشَاءَ اللَّهِ أَطَعْتُمْ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعْتُمْ <sup>(١٥)</sup> إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ <sup>(١٦)</sup> وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ <sup>(١٧)</sup> مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَجِدَّةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ <sup>(١٨)</sup> فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ <sup>(١٩)</sup> وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ <sup>(٢٠)</sup> قَالُوا يَا بَوِیْلَانَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ <sup>(٢١)</sup> إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَّةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ <sup>(٢٢)</sup> فَالْيَوْمَ لَا نَفْظُ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا تَحْزَنُونَ <sup>(٢٣)</sup> إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(٢٤)</sup>

﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أَفْرُوا حين لا ينفعهم الإفراز، وقيل: يقال لهم ذلك.

[٥٣] ﴿إِنْ﴾ ما **﴿كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾** فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا **﴿عَدْنَا﴾** محضرون.

[٥٤] ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَفْظُ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا تَحْزَنُونَ إِلَّا﴾ جزاء **﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**.

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول.

(٣) الأولى في تفسيرها ما ذكره ابن كثير بقوله: أي وإذا أمروا بالاتفاق بما رزقهم الله على الفقراء والمجاورين من المسلمين... إلخ.

(٤) أي في قوله: **﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾**، والموقع العظيم الذي يشير إليه المصنف هو: التشييع عليهم.(٥) لحزمة، والقراءة المفسرة أولاً، لورث وهشام وابن كثير، وقرأوا قانوناً بإخفاء حركة الخاء مع التشديد كذلك. ومثله أبو عمرو، وقيل عن أبي عمرو إنه اختلس حركة الخاء، وقرأ عاصم والكسائي: **﴿يَخِصِّمُونَ﴾**.

(٦) الأولى عدم التعيين؛ فيقال: «أربعون» فقط، كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) أن النبي ﷺ قال: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلٍّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ الْيَوْمَ أُزِيلُ الْبُجُورَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبَدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا يُحْسِنُونَ ﴿٦٢﴾ وَنُحْيِيهِمْ عَلَىٰ قُبُورِهِمْ وَيُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٦٣﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٦٤﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٦٥﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٦٦﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٦٧﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٦٨﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٦٩﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٧٠﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٧١﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٧٢﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٧٣﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٧٤﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٧٥﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٧٦﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٧٧﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٧٨﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٧٩﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٨٠﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٨١﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٨٢﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٨٣﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٨٤﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٨٥﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٨٦﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٨٧﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٨٨﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٨٩﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٩٠﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٩١﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٩٢﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٩٣﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٩٤﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٩٥﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٩٦﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٩٧﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٩٨﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿٩٩﴾ وَتُفْهِمُهُمُ الْكَلِمَ الْمُضْمَرَّ ﴿١٠٠﴾

بهم؛ أي: يقول لهم: سلام عليكم.  
[٥٩] ﴿وَقُلْ﴾ يقول: ﴿اٰمَنُوْا اَلَيْوَمَ اٰنَآ الْمُجْرِمُوْنَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، عند اختلاطهم بهم.

[٦٠] ﴿اَلَمْ اَعْهَدْ اِلَيْكُمْ﴾ امركم ﴿بَنِيَّ اٰدَمَ﴾ على لسان رسلي ﴿اَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ لا تطيعوه ﴿اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة.

[٦١] ﴿وَإِنْ أَغْدُوْنِي﴾ وحدوني وأطيعوني ﴿هَذَا صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا﴾ خلقًا، جمع جيل؛ كقدم، وفي قراءة: بضم الباء<sup>(١)</sup> ﴿كَثِيرًا أَقَلَّمْ تَكُونُوا تَعْمَلُونَ﴾ عداوته وإضلاله، أو ما خل بهم من العذاب فتؤمنون؟.

[٦٣] ويقال لهم في الآخرة: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها.  
[٦٤] ﴿أَصْلَحُوا الْيَوْمَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٦٥] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: الكفار لقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَنشُدُ أَرْجُلَهُمْ﴾ وغيرها ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه.

[٦٦] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ لأعميناها طمسا ﴿فَأَسْتَبْقُوا﴾ ابتدروا ﴿الصِّرَاطَ﴾ الطريق، ذاهبين كمعادتهم ﴿فَأَنَّى﴾ فكيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾ حينئذ؟ أي: لا يبصرون.

[٦٧] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ قرودة وخنازير أو حجارة ﴿عَلَىٰ مَكَاتِبِهِمْ﴾ وفي قراءة: ﴿مَكَاتِبِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> جمع مكانة؛ بمعنى: مكان؛ أي: في منازلهم ﴿فَمَا اسْتَطَلَعُوا مِصْبًا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لم يقدرُوا على ذهاب ولا مجيء.

[٦٨] ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ بإطالة أجله ﴿نُنْكُشْهُ﴾ وفي قراءة: بالتشديد<sup>(٤)</sup>؛ من النكس في الخلق فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفا وهما ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادرٌ على البعث فيؤمنون؟ وفي قراءة: بالناء<sup>(٥)</sup>.

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ أي: النبي ﴿الشِّعْرَ﴾ رد لقولهم: إن ما أتى به من القرآن شعرٌ ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ يسهل ﴿لَهُ﴾ الشعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ ليس الذي أتى به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ مظهر للأحكام وغيرها.

[٧٠] ﴿لِيُنذِرَ﴾ بالباء والتاء<sup>(٦)</sup>؛ به ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يعقل ما يخاطب به؛ وهم: المؤمنون ﴿وَيُحَقِّقَ الْقَوْلَ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهم كالميتين، لا يعقلون ما يخاطبون به.

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ بسكون الغين وضمها<sup>(١)</sup>، نفا فيه أهل النار ما يتلذذون به، كافيتضاض الأبيكار، لا شغل يتعبون فيه؛ لأن لجنة لا نصب فيها ﴿فَاكِهُونَ﴾ ناعمون، خبر ثانٍ لدلالة ﴿وَالأول﴾ في شغل.

[٥٦] ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلٍّ﴾ جمع ظلة أو ظل؛ خبر؛ أي: تصيبهم الشمس ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة؛ وهو: السرير في الحجرة<sup>(٢)</sup>، أو الفروش فيها ﴿مُتَّكِئُونَ﴾ خبر ثانٍ متعلق ﴿عَلَى﴾.

[٥٧] ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ﴾ فيها ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾ يتمنون.

[٥٨] ﴿سَلَامٌ﴾ مبتدأ ﴿قَوْلًا﴾ أي: بالقول، خبره: ﴿وَمِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾

(١) بالسكون لتافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بفتحين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرهما، وهي قبة تعلق على السرير وتزين به العروس.

(٣) أي: مع ضم الجيم وهي لحمة والكسائي وابن كثير.

(٤) الأنعام: ٢٣.

(٥) لشعبة.

(٦) وهي قراءة عاصم وحمرة، وقرأ الباقون ﴿نُنْكُشْهُ﴾ بالتخفيف.

١٧ لتافع وابن ذكوان.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْبٍ مَتَنِّعٍ وَأَفْلا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَتَتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّآ نَعْلَمُ مَا يُبَيِّرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْخَلَائِقَ مِنْ تَطْفَئَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَسِيَ خَلْقَهُ وَقَالَ مَنْ بَحْيٍ الْعِظَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

## سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[٨٢] ﴿يَمَّا أَمْرُهُ﴾ شأنه<sup>(١)</sup> ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي: خلق شيء ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: بالنصب عطفًا على ﴿يَقُولُ﴾.

[٨٣] ﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ﴾ ملك، زيدت الواو والناء للمبالغة؛ أي: القدرة على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تردون في الآخرة.

\*\*\*

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ في جملة الناس ﴿وَمِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا﴾ عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَامًا﴾ هي: الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ ضابطون<sup>(١)</sup>.

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ سخرناها ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؟.

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْبٍ مَتَنِّعٍ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبٌ﴾ من لبنها، جمع مشرب؛ بمعنى: شرب، أو موضعه ﴿أَفْلا يَشْكُرُونَ﴾ المتعجب عليهم بها فيؤمنون؟ أي: ما فعلوا ذلك.

[٧٤] ﴿وَتَتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿آلِهَةً﴾ أصنامًا يعبدونها ﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ ينجون من عذاب الله تعالى - بشفاعته الهتهم، برعهم.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الهتهم، نزلوا منزلة العقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي: الهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُنْدٌ﴾ برعهم نصرهم ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ في النار معهم.

[٧٦] ﴿فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: ﴿لَسْتُ مُرْسَلًا﴾<sup>(١)</sup> وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبَيِّرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من ذلك وغيره؛ فنجازهم عليه.

[٧٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْخَلَائِقَ﴾ يعلم؛ وهو: العاصي بن وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ تَطْفَئَةٍ﴾ مني، إلى أن ضيقتنا شديدًا قوفاً ﴿وَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة لنا ﴿مُبِينٌ﴾ بيّنها، في نفي البعث.

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَبَسِيَ خَلْقَهُ﴾ من المنج، وهو أغرب من مثله ﴿قَالَ مَنْ بَحْيٍ الْعِظَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية؟ ولم يقل: رمية - بالناء؛ لأنه اسم لا صفة، وروي أنه أخذ عظمًا رميمًا فقتلته، وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي الله هذا بعد ما تبلى وزم؟ فقال ﷺ: نعم، ويؤيد خيلك الثار<sup>(٢)</sup>.

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ مجملًا ومفصلًا، قبل خلقه وبعد خلقه.

[٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ من الشجر ﴿النَّارَ﴾ القفار<sup>(١)</sup>، أو كل شجر إلا الغائب<sup>(٢)</sup> ﴿نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ تقدحون، وهذا دال على القدرة على البعث؛ فإنه جمع فيه بين الماء والنار واخشب؛ فلا الماء يطفئ النار، ولا النار تحرق الخشب.

[٨١] ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿بِقَدِيرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الأناسي في الصغر؟ ﴿بَلَىٰ﴾ أي: هو قادر على ذلك، أجاب نفسه ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

(١) أي قاهرهم مذلون، والأظهر والأولى تفسير الملك في الآية المالك الشرعي، وإباحة التصرف فيها بسائر الوجوه الشرعية، وليكون قوله تعالى بعدها: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ تأسيسًا لنعمة أخرى لا تنميها لما قبله.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) لم أجد هذا اللفظ، لكن أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضبط في المختارة عن ابن عباس [الذر المنثور (٢٠٧/٥)]، وروي ذلك في أبي بن خلف، أيضًا كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٥) عن ابن عباس وغيره.

(٤) نوعان من الشجر سريعا القدر.

(٥) لم يذكر الجلال المحلي سبب هذا الاستثناء لـ «الغائب» من جملة شجر الثار، وقال في حاشية الجمل على الجلالين: «هذا قول الحكماء، يقولون: في كل شجر نار إلا الغائب». وهذا متعقب وهو محل نظر كما ذكر القاضي كتمان في تعليقه على الجلالين.

(٦) قال ابن كثير: أي إنما يأمر بالشيء أمرًا واحدًا لا يحتاج إلى تكرار.

(٧) لابن عامر والكسائي.

بفعل مقدر؛ أي: حفظناها بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ صُكْلٍ﴾** متعلق بالمقدر **﴿شَيْطَانٍ تَارِدٍ﴾** غاب خارج عن الطاعة. [٨] **﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾**<sup>(١)</sup> أي: الشياطين، مستأنف<sup>(٢)</sup>، وسماهم هو في المعنى المحفوظ عنه<sup>(٣)</sup> **﴿إِلَى آلَاءِ الْآخِلَاءِ﴾** الملائكة في السماء، وُعِدِّي السماع **﴿إِلَى﴾** لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة: بتشديد الميم والسين، أصله: يتسمعون؛ أدغمت التاء في السين **﴿وَيُقَدِّفُونَ﴾** أي: الشياطين بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾** من آفاق السماء.

[٩] **﴿دُحُورًا﴾** مصدر دَحَرَهُ؛ أي: طَرَدَهُ وَأَفْعَدَهُ، وهو مفعول له **﴿وَلَهُمْ﴾** في الآخرة **﴿عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾** دائم. [١٠] **﴿إِلَّا مَنْ خُفِيَ لُطْفُهُ﴾** مصدر؛ أي: المرة، والاستثناء من ضمير **﴿يَسْمَعُونَ﴾** أي: لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة **﴿فَاتَّبَعَهُ يَنْهَابٌ﴾** كوكب مضيء<sup>(٤)</sup> **﴿ثَائِقٌ﴾** ثقيبه، أو يحرقه، أو يحمله<sup>(٥)</sup>. [١١] **﴿فَأَنسَيْنَاهُمْ﴾** استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً: **﴿أَمْ أَشَدُّ حَلْفًا أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾** من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما وفي الإتيان **﴿بِمَنْ﴾** تغليب العقلاء **﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾** أي: أصلهم آدم **﴿وَمِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾** لازم، يلصق باليد؛ المعنى: أن خلقهم ضعيف، فلا يتكبروا<sup>(٦)</sup>، لأنكار النبي والقرآن، المؤدي إلى هلاكهم اليسير. [١٢] **﴿بِكُلِّ﴾** للانتقال من غرض إلى آخر؛ وهو: الإخبار بحاله وحالهم **﴿وَعَجِبْتَ﴾** بفتح التاء<sup>(٧)</sup>، خطاباً للنبي ﷺ؛ أي: من تكذيبهم إياك **﴿وَوَيْ﴾** هم **﴿يَسْخَرُونَ﴾** من تعجبك. [١٣] **﴿وَلَوْ أَنَّا دَعَرْنَا﴾** وُعِظُوا بالقرآن **﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾** لا يتظنون. [١٤] **﴿وَلَوْ أَنَّا نُنَزِّلُ الْقَمَرَ﴾** **﴿يَسْخَرُونَ﴾** يستهزئون بها. [١٥] **﴿وَقَالُوا﴾** فيها: **﴿إِنْ﴾** ما **﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾** يتين. وقالوا منكرين للبعث: [١٦] **﴿أَوَدَّ بَيْنَا وَبَيْنَا نُزُلًا وَعِظْلًا﴾** لَوَدَّ بَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الغائبة، وإدخال ألف بينهما على الوجهين<sup>(٨)</sup>. [١٧] **﴿وَإِنَّا أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾** بسكون الواو عطفًا **﴿بِأَوَّلٍ﴾** وافتحها<sup>(٩)</sup>، والهمزة للاستفهام، والعطف بالواو والمعطوف عليه مح **﴿إِن﴾** واسمها، أو: الضمير في **﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾**، والفواصل: همزة الاستفهام. [١٨] **﴿قُلْ نَعَمْ﴾** تبعون **﴿وَأَنْتُمْ دَجْرُونَ﴾** أي: صاغرون.

[١٩] **﴿فَوَيْلًا لِّمَن كَانَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّبِينٍ﴾** ضهير مبهم يفسره **﴿زَجَرَةٌ﴾** أي: صبيحة **﴿وَجِدَّةٌ﴾** فإذا **﴿هُم﴾** أي: الخلائق أحياء **﴿يَنْظُرُونَ﴾** ما يفعل بهم. [٢٠] **﴿وَقَالُوا﴾** أي: الكفار: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾** للتنبيه **﴿وَلَوْ أَنَّا﴾** هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة: [٢١] **﴿هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾** يوم الحساب والجزاء. **﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾** بين الخلائق **﴿الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْدِيرُونَ﴾**. ويقال للملائكة: [٢٢] **﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** أنفسهم بالشرك **﴿وَأَزَوَّجَهُمْ﴾** قراءهم من الشياطين **﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾**. [٢٣] **﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾** أي: غيره من الأوثان **﴿فَأَعْدَوْهُمْ﴾** دلوهم وسوقوهم **﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّبِينٍ﴾** طريق النار. [٢٤] **﴿وَقَفَّوهُمْ﴾** حبسوهم عند الصراط **﴿إِنِّيهِمْ نَسْأَلُونَ﴾** عن جميع أوقالهم وأفعالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۖ فَالْزَجَرَتِ زَجْرًا ۖ فَالتَّالِيَتِ ذِكْرًا ۖ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۖ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۖ إِنَّا رِيتَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِينَةً الْكَوَاكِبِ ۖ وَحَفَظَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَا أَعْلَىٰ وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ۖ إِلَّا مَنْ خُفِيَ لُطْفُهُ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَائِقٌ ۖ فَاسْتَفْتَاهُمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۖ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۖ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۖ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ۖ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ ۖ لَّيْلَ دَامِسْتَا وَكَانَا تَرَابًا وَعَظْمًا ۖ لَّئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۖ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۖ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَجْرُونَ ۖ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۖ وَقَالُوا لَوْلَا نُنَزِّلُ هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ۖ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْدِيرُونَ ۖ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۖ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۖ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ۖ

### سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[مكية، مائة واثنان وثمانون آية، نزلت بعد الأنعام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] **﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾** الملائكة، تُصَفِّفُ نفوسها في العبادة، أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تومر به. [٢] **﴿فَالْزَجَرَتِ زَجْرًا﴾** الملائكة تزرع السحاب؛ أي: تسوقه. [٣] **﴿فَالَّتَالِيَتِ﴾** أي: قراء القرآن يتلوونه<sup>(١)</sup> **﴿وَذَكَرُ﴾** مصدر من معنى التاليات. [٤] **﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾** يا أهل مكة **﴿لَوَاحِدٌ﴾**. [٥] **﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾** أي: والمغرب للشمس، ولها كل يوم مشرق ومغرب. [٦] **﴿إِنَّا رِيتَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾** [برينة] الكواكب؛ أي: بضوئها أو بها، والإضافة للبيان؛ كقراءة تنوين "زينة" المبيضة بالكواكب<sup>(٢)</sup>. [٧] **﴿وَحَفَظَا﴾** منصوب

- (١) في نسخة مطبوعة: «تلوه».
- (٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقراء حفص وحزمة والكسائي: **﴿يُسْمَعُونَ﴾** بتشديد السين والميم من التسمع، وهو: تَطَلَّبُ السماع.
- (٣) أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم.
- (٤) المقصود بشبه تنفصل منها، كما بين ذلك في تفسير سورة الملك: «بأن ينفصل شهاب عن الكواكب كالقوس».
- (٥) في نسخة الصاوي: «فلا يتكبرون».
- (٦) راجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف، وقراء ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وقراء نافع والكسائي عكسه.
- (٧) فراء ابن عامر وقالون بواو ساكنة قبلها همزة مفتوحة، وقراء الباقون بواو مفتوحة قبلها همزة مفتوحة.

[٢٥] ويقال لهم توبيخاً: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ﴾ لا ينصر بعضهم بعضاً، كحالكم في الدنيا؟ ويقال لهم: [٢٦] ﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ مفادون أدلاء.

[٢٧] ﴿وَأَقْبَلِ بُعْثُكُمْ عَلَىٰ بَعْضِ يَسَاءَلُونَ﴾ يتلاومون ويتخاصمون.

[٢٨] ﴿قَالُوا لَا﴾ أي: الأنباغ منهم للمتبعين: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم منها: لجليفكم أنكم على الحق؛ فصدقناكم واتبعناكم؛ المعنى: أنكم أضللتونا.

[٢٩] ﴿قَالُوا لَا﴾ أي: المستعجبون لهم: ﴿بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وإنما يصدق الإضلال وإن أن لو كنتم مؤمنين فرجعتهم عن الإيمان إلينا.

[٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة تفهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ ضالين مثلنا.

[٣١] ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعاً ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾ بالعذاب؛ أي: قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١) ﴿إِنَّا﴾ جميعاً ﴿لَنَذِيقُونَهُمْ الْعَذَابَ بِذَلِكَ الْقَوْلِ﴾ ونشأ عنه قولهم: [٣٢] ﴿فَأَقْصَيْتَكُمْ﴾ الملل بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

[٣٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَنبَتُمْ يَوْمَئِذٍ مُّشْرِكُونَ﴾ أي: لاشتراكم في الغواية.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكُ﴾ كما فعل بهؤلاء ﴿تَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غير هؤلاء؛ أي: تعذبهم، التابع منهم والمتبوع.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هؤلاء، بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا﴾ في همزته ما تقدم (٢) ﴿لَنَارِكُوا إِلَٰهَيْنَا لِشَايعِ تَجْنُونَ﴾ أي: لأجل محمد.

[٣٧] قال - تعالى -: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الجائين به؛ وهو: أن لا إله إلا الله.

[٣٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَنَذِيقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

[٣٩] ﴿وَمَا نَحْنُ بِإِلَٰهٍ﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي: ذكر جزأهم في قوله: [٤١] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ بكرة وعشيقاً.

[٤٢] ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ بدل، أو: بيان للرزق؛ وهو: ما يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿وَهُمْ تَكْرُمُونَ﴾ بثواب الله - سبحانه وتعالى.

[٤٣] ﴿فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾.

[٤٤] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفاً بعض.

[٤٥] ﴿يُتَٰفَتَحُ عَلَيْهِمْ﴾ على كل منهم ﴿يَكْبُشُونَ﴾ هو: الإناء بشرابه ﴿يَمِينٌ مِّنْ خَمْرٍ يَجْرِي عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنهَارِ الْمَاءِ﴾.

مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلِ بُعْثُكُمْ عَلَىٰ بَعْضِ يَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا لَا ﴿٢٨﴾ إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾ بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴿٣١﴾ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٢﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰيِقُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَعْوَبْنَا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٤﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّا كَذَلِكُ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَٰهَيْنَا لِشَايعِ تَجْنُونَ ﴿٣٨﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤٠﴾ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ فَوَيْلٌ لَهُمْ فَوَيْلٌ لَهُمْ ﴿٤٢﴾ يَوْمَئِذٍ يَكْبُشُونَ ﴿٤٣﴾ يَوْمَئِذٍ يَكْبُشُونَ ﴿٤٤﴾ يَوْمَئِذٍ يَكْبُشُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَكْبُشُونَ ﴿٤٦﴾ يَوْمَئِذٍ يَكْبُشُونَ ﴿٤٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَكْبُشُونَ ﴿٤٨﴾ يَوْمَئِذٍ يَكْبُشُونَ ﴿٤٩﴾ يَوْمَئِذٍ يَكْبُشُونَ ﴿٥٠﴾ يَوْمَئِذٍ يَكْبُشُونَ ﴿٥١﴾

[٤٦] ﴿يَبَصَّاءُ﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٌ﴾ لذيدة ﴿لِلشَّرْبِ﴾ بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كرهية عند الشرب.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُذَرَّوْنَ﴾ بفتح الزاي وكسرهما (٣) من زُوف الشارب، وأثرف؛ أي: يسكرون بخلاف خمر الدنيا.

[٤٨] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ حاسبات الأعين على أزواجهم، لا يُنْظَرُونَ إلى غيرهم لحسنهم عندهن ﴿عِينٌ﴾ ضخام الأعين حسانها.

[٤٩] ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في اللون ﴿يَبِينُ﴾ للنعام ﴿مَكْنُونٌ﴾ مستور بريشه لا يصل إليه غبار، ولونه - وهو البياض في صفة - أحسن ألوان النساء.

[٥٠] ﴿فَأَقْبَلِ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضِ يَسَاءَلُونَ﴾ عما مر بهم في الدنيا.

[٥١] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ صاحب يتيكز البعث.

(١) هود: ١١٩.

(٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بألف ودونها.

(٣) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٨﴾ معك في النار.

[٥٨] ويقول أهل الجنة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾. [٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ هو استفهام تلذذ وتحذير بنعمة الله - تعالى - من تأييد الحياة وعدم التعذيب (١).

[٦٠] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذُكِرَ لأهل الجنة ﴿لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦١] ﴿لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْكَافِرُونَ﴾ قيل: يقال لهم ذلك. وقيل: هم يقولونه.

[٦٢] ﴿أَذَلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نَزْلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ للنازل، من ضيف وغيره ﴿وَأَمْ سَجَرَةُ الزُّرُومِ﴾ المعدة لأهل النار؟ وهي من أحببت الشجر المرء بقهامة، يُثِقُّهَا اللهُ فِي الْجَحِيمِ؛ كما سيأتي.

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين من أهل مكة؛ إذ قالوا: النار تُحْرَقُ الشجر فكيف تنبت؟

[٦٤] ﴿إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى ذُرِّكَانِهَا.

[٦٥] ﴿طَلْعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الحيات (٢) القبيحة المنظر.

[٦٦] ﴿فَالْيَهُودُ﴾ أي: الكفار ﴿لَا يَكُونُونَ مِنْهَا﴾ مع فبحها؛ لشدة جوعهم ﴿فَمَا لَوْ كُنُوا مِنْهَا الْيَهُودُ﴾.

[٦٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَّاءٌ مِّنْ حَيْمٍ﴾ أي: ماء حار يشربونه، فيختلط بالماكل منها؛ فيصير شواءً (٣) له.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم، وأنه خارجها (٤).

[٦٩] ﴿إِنَّهُمْ الْقَوْمُ وَجِدُوا﴾ ﴿ءَايَاتَ هَؤُلَاءِ صَالِينَ﴾.

[٧٠] ﴿ثُمَّ عَلَىٰ ءَاتِهِمْ هَرَعٌ﴾ يُرْعَعُونَ إلى اتباعهم فيسرعون إليه.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ صَلَّ بَعْلُهُمْ أَكْثَرَ الْأُولَى﴾ من الأمم الماضية.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ من الرسل مخوفين.

[٧٣] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَرِّينَ﴾ الكافرين؛ أي: عاقبتهم العذاب.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ [الْمُخْلِصِينَ] (٥) أي: المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب؛ لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أحلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ بقوله: «رب أني مغلوب فأنصِر» (٦) ﴿فَلْيَعْمَلِ الْمُجِيبُونَ﴾ له نحن؛ أي: دعانا على قومه، فأهلكناهم بالغرق.

[٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق.

يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمَصْدِرِينَ ﴿٥٨﴾ إِذْ أَمْتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَا لَمْدِيُونُ ﴿٥٩﴾ قَالَ هَلْ أَنشُرُهُمْ مَّا ظَلَعُوا فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٦٠﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٦١﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمَحْضَرِينَ ﴿٦٢﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٦٣﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٦٤﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴿٦٥﴾ لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦٦﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ سَجَرَةُ الزُّرُومِ ﴿٦٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٩﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٧٠﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا الْيَهُودُ ﴿٧١﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الشَّرَّاءَ مِّنْ حَيْمٍ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُمْ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧٤﴾ فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ هَرَعُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ صَلَّ بَعْلُهُمْ أَكْثَرَ الْأُولَى ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٧٧﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَرِّينَ ﴿٧٨﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَعْمَلِ الْمُجِيبُونَ ﴿٨٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨١﴾

[٥٢] ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيًا: ﴿أَنَّا لَمِنَ الْمَصْدِرِينَ﴾ بالبعث.

[٥٣] ﴿لَوْ أَنَا مِنَّا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم (١) ﴿لَمْدِيُونُ﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضًا.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَلْ أَنشُرُهُمْ مَّا ظَلَعُوا﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

[٥٥] ﴿فَاظْلَعْ﴾ ذلك القائل من بعض كُؤَى الجنة ﴿فَرَاءَهُ﴾ أي: رأى قرينه ﴿فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾ في وسط النار.

[٥٦] ﴿قَالَ﴾ له تسميًا: ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كِدْتَ﴾ قاربت ﴿لَتُرْدِينَ﴾ لتهلكني يا غواثك.

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ علي في الدنيا بالإيمان ﴿لَكُنْتُ مِنَ

(١) أي: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) أي: فهو من كلام بعض أهل الجنة لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين ذبح الموت، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من أهل الجنة لأهل النار، على سبيل التبكيت لهم، والتذكير بقولهم هذا في الدنيا؛ حيث كانوا ينكرون البعث والعذاب.

(٣) قيل: لمرد بذلك ضرب من الحيات، رهوسها بشعة، واختار ابن كثير أن الآية على ظاهرها، وأنها رهوس الشياطين حقيقة، وإن سم تكن معروفة عند الغاطين؛ لأنه استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.

(٤) أي: فيصير الحميم شواءً؛ أي: خليطاً للزقوم.

(٥) مقصود المصنف أن الكفار يؤخذ بهم من الجحيم إلى الجحيم ثم يرجعون إلى الجحيم، وهما في النار؛ وليس المقصود خروجهم من النار لقوله تعالى فيهم: ﴿وَمَا لَهُمْ بِخَيْرٍ مِّنَ أَلْقَارٍ﴾ [البقرة: ١٦٧].

(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ بفتح اللام.

(٧) القمر: ١٠.





فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَابَرَهِيْمُ ﴿١٠٤﴾  
 قَدْ صَدَّقَتْ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّا  
 هَذَا لَهَوٌ لِّبَلَّوْا أَلْمِئِينَ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَتْهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا  
 عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي  
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ  
 بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ  
 وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا  
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ  
 الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَتَصَرَّفْنَاهُ فَمَا كَانُوا هُمْ الْعَالِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا  
 الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾  
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى ﴿١٢٠﴾ وَهَارُونَ  
 وَنَهَارُونَ ﴿١٢١﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّهُمَا  
 مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِنَّا إِلَاسٌ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٤﴾  
 إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٥﴾ أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ  
 الْخَلْقِينَ ﴿١٢٦﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٧﴾

[١٠٣] ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ خَضَعَا وَأَقَادَا لِأَمْرِ اللَّهِ - تعالى - ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾  
 صَرَعَهُ عَلَيْهِ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ جَبِينَانِ بَيْنَهُمَا الْجَبْهَةُ، وَكَانَ ذَلِكَ يَمْنَى، وَأَمَرَ  
 السَّكِينُ عَلَى خَلْقِهِ فَلَمْ تَعْمَلْ شَيْئًا مِمَّا نَعَى مِنَ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ.  
 [١٠٤] ﴿وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَابَرَهِيْمُ﴾ [١٠٥] ﴿قَدْ صَدَّقَتْ الرُّؤْيَا﴾ بما  
 أَنبِئَتْ بِهِ مِمَّا أَمْكَنْكَ مِنْ أَمْرِ الذَّبْحِ أَي: بِكَفَيْكَ ذَلِكَ، فَجُمْلَةٌ ﴿وَتَدَيَّنَتْهُ﴾

جواب «لا» بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزيك ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾  
 لأنفسهم بامتنال الأمر، بإفراج الشدة عنهم. [١٠٦] ﴿إِنَّا هَذَا﴾ الذبح  
 المأمور به ﴿لِّبَلَّوْا أَلْمِئِينَ﴾ أي: الاختبار الظاهر. [١٠٧] ﴿وَفَدَيْنَتْهُ﴾ أي:  
 المأمور بذبحه؛ وهو: إسماعيل أو إسحاق، قولان<sup>(١)</sup> ﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾  
 ﴿عَظِيمٍ﴾ من الجنة، وهو الذي قُوْبُهُ هَابِيلُ<sup>(٢)</sup>، جاء به جبريل الطائِلُ، فذبحه  
 السيد إبراهيم مُكْبِرًا. [١٠٨] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء  
 حسنا. [١٠٩] ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾. [١١٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما  
 جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم. [١١١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.  
 [١١٢] ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ استدلل بذلك على أن الذبح غيره ﴿بَشَّرْنَا﴾ حال  
 مقدرة؛ أي: يوجد مقدرا نبوته ﴿وَبَشَّرْنَا﴾ ﴿وَبَشَّرْنَا﴾ ﴿وَبَشَّرْنَا﴾  
 ﴿وَبَشَّرْنَا﴾ بكتفيه ذريته ﴿وَبَشَّرْنَا﴾ ولديه؛ جعلنا أكثر الأنبياء من نسله  
 ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُبِينٌ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ﴾ يبين  
 الكفر.

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ بالبوّة. [١١٥] ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا﴾  
 وَقَوْمَهُمَا بني إسرائيل ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: استبعاد فرعون  
 إياهم. [١١٦] ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ على القبط ﴿فَكَانُوا هُمْ الْعَالِينَ﴾. [١١٧]  
 ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام  
 وغيرها، وهو: التوراة. [١١٨] ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ﴾ الطريق ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾.  
 [١١٩] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسنا.  
 [١٢٠] ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾. [١٢١] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾  
 كما جزيناهما ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [١٢٢] ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.  
 [١٢٣] ﴿وَإِنَّا إِلَاسٌ﴾ بالهمزة أوله وتركه<sup>(٣)</sup> ﴿لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ قيل:  
 هو ابن أخي<sup>(٤)</sup> هارون أخي موسى. وقيل: غيره. أرسل إلى قوم يعلبك  
 ونواحيها. [١٢٤] ﴿إِذْ﴾ منصوب بـ «اذكر» مقدرا ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ أَأَلَا تَتَّقُونَ﴾  
 الله؟ [١٢٥] ﴿أَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضا  
 مضافا إلى «بك» أي: أتعبدونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تركون ﴿أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ فلا  
 تعبدونه؟ [١٢٦] ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ برفع الثلاثة  
 على إضمار «هو»، ونصبها<sup>(٥)</sup> على البدل من «أحسن».

(١) والراجع الأول: أنه إسماعيل، وهو الذي تشهد له النصوص، وكذا سياق الآيات بعدها حيث قال: ﴿وَتَدَيَّنَتْهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، بعد أن ذكر قصة الذبح فدل على أنه غيره.  
 (٢) ذكر هذا الطبري (٨٦/٢٣) عن ابن عباس، وأخرج عنه أيضا (٨٧/٢٣) أنه كبش من الجنة وعليه أكثر المفسرين، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١١٣/٧) لأن أي شية وابن النذر وابن أبي  
 حاتم، وقيل: بل هو كبش من الكباش المعروفة. والأولى الاقتصار على وصف القرآن، وأنه ذبح عظيم.  
 (٣) قرأ ابن ذكوان بترك الهمزة - وموصولا - فإذا ابتدأ فتح الهمزة.  
 (٤) هكذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون»؛ أي من ذريته، قال: وهو الصحيح، والآخر سهو؛ لأن إيلاس من ذرية هارون، وتقدم مثل ذلك في تفسير الأنعام: (٨٦).  
 (٥) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.



فإنهم ينزهون الله - تعالى - عما يصفه هؤلاء. [١٦١] ﴿فَالْيَكْرُ وَمَا يَنْبُذُونَ﴾ من الأصنام. [١٦٢] ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على معبودكم، و﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿يَقْتَنِينَ﴾ أي: أحدًا<sup>(١)</sup>. [١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنَّةِ﴾ في علم الله - تعالى. قال جبريل للنبي ﷺ: [١٦٤] ﴿وَمَا يَتَّكَ﴾ معشر الملائكة أحدًا ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ في السماوات يقبض الله فيه لا يتجاوزها.

[١٦٥] ﴿وَمَا لَتَنُحُ الصَّافُونَ﴾ أقدامنا في الصلاة. [١٦٦] ﴿وَمَا لَتَنُحُ الْمُسَيِّرُونَ﴾ المنزهون الله عما لا يليق به. [١٦٧] ﴿وَأَيْنَ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَأُتُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَقُولُونَ﴾: [١٦٨] ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا كِتَابًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من كتب الأمم الماضية.

[١٦٩] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ العبادة له. [١٧٠] قال - تعالى -: ﴿فَكُنَّا بِوَيْءٍ﴾ بالكتاب الذي جاءهم؛ وهو: القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَانَا﴾ بالنصر ﴿لِإِنَّا الْفَرَسِينَ﴾ وهي: ﴿لَاغَلِيَّتُ أَنَا وَرُسُلِي﴾<sup>(٢)</sup>. أو هي قوله: [١٧٢] ﴿إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَصْرُورُونَ﴾. [١٧٣] ﴿وَلَوْلَا جُنْدَانَا﴾ أي: المؤمنين ﴿لَهُمُ النَّارُ الْكُفَارُ﴾ بالكسرة، بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا، ففي الآخرة. [١٧٤] ﴿فَنُؤَلِّهِمْ﴾ أي: أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ نؤمر فيه بقتلهم.

[١٧٥] ﴿وَأَنْبِئِهِمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عاقبة كفرهم. ﴿فَقَالُوا﴾ استهزاء: متى نزل هذا العذاب؟!.

[١٧٦] قال - تعالى - تهديدًا لهم: ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ؟﴾. [١٧٧] ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم، قال الفراء: «العرب تكلفي بذكر الساحة عن القوم» ﴿فَسَاءَ﴾ بفس صباحا ﴿صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمري.

[١٧٨] ﴿وَنُؤَلِّهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾. [١٧٩] ﴿وَأَنْبِئِمْ فُسُوفَ يُبْصِرُونَ﴾ كرر تأكيدًا لتهديدهم وتسلية له ﷺ. [١٨٠] ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ بأن له ولدا. [١٨١] ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع. [١٨٢] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

\*\*\*

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ<sup>(١)</sup> أَفَلَا تَذَكَّرُونَ<sup>(٢)</sup> أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ<sup>(٣)</sup> فَأَنُؤَبِّكُنَكُمْ إِن كُنتُمْ صٰدِقِينَ<sup>(٤)</sup> وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسيبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ<sup>(٥)</sup> سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ<sup>(٦)</sup> إِلٰعِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ<sup>(٧)</sup> فَإِن كُنتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ<sup>(٨)</sup> مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقٰتِلِينَ<sup>(٩)</sup> إِلَّا مَن هُوَ صٰلِي الْجَبْرِ<sup>(١٠)</sup> وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ<sup>(١١)</sup> وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّٰفُونَ<sup>(١٢)</sup> وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ<sup>(١٣)</sup> وَإِن كَانُوا يَقُولُونَ<sup>(١٤)</sup> لَو أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ<sup>(١٥)</sup> لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ<sup>(١٦)</sup> فَكُفِّرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ<sup>(١٧)</sup> وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَهْمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ<sup>(١٨)</sup> إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ<sup>(١٩)</sup> وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْعٰلِبُونَ<sup>(٢٠)</sup> فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ<sup>(٢١)</sup> وَأَنْبِئِهِمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ<sup>(٢٢)</sup> أَفَعِدَّائِنَا لِيَسْتَعْجِلُونَ<sup>(٢٣)</sup> فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ<sup>(٢٤)</sup> وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ<sup>(٢٥)</sup> وَأَنْبِئِمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ<sup>(٢٦)</sup> سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ<sup>(٢٧)</sup> وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ<sup>(٢٨)</sup> وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ<sup>(٢٩)</sup>

سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعٰلَمِينَ

[١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ [١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يادغام التاء في الدال<sup>(١)</sup>، أنه - سبحانه - وتعالى - منزه عن الولد؟ [١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ﴾ حجة واضحة أن لله ولدا؟ [١٥٧] ﴿فَأَنُؤَبِّكُنَكُمْ﴾ التوراة، فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنتُمْ صٰدِقِينَ﴾ في قولكم ذلك. [١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ - تعالى - ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ أي: الملائكة؛ لاجتماعهم<sup>(٢)</sup> عن الأبصار ﴿نَسيبًا﴾ بقولهم: إنها بنات الله. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: قاطلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ للنار، يعذبون فيها. [١٥٩] ﴿سُبْحٰنَ اللَّهِ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ بأن لله ولدا. [١٦٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي:

(١) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الدال.

(٢) أي: استشارهم.

(٣) أي: بمضلين أحدًا.

(٤) المجادلة: ٢١.

## سُورَةُ صَٰ

[مكية، ست، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد القمر]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿صَ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف؛ أي: ما الأمر كما قال كفار مكة، من تعدد الآلهة.

[٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فِي عَذَابٍ حَمِيٍّ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَيُتَنَاقَصُ﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ.

[٣] ﴿كَمْ﴾ أي: كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿فَمَأْوَاهُمْ﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَلَا تَجِدُ مِنْهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: ليس الحين حين فرار، والثنا زائدة، والجملة حال من فاعل «مأواهم» أي: استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى، وما اعتبر بهم كفار مكة.

[٤] ﴿وَيَعْبُورُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم، يندهرهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ الْكَاذِبُونَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر: ﴿هَذَا سَجْرٌ كَذَّابٌ﴾. [٥] ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ حيث قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، أي: كيف يسع الخلق كله إله واحد؟! ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنْزٌ﴾ أي: عيب. [٦] ﴿وَأَنطَلَقْنَا الْمَلَأَ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ: ﴿قولوا: لا إله إلا الله﴾ (١) ﴿أَن أَمْشُوا﴾ يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَى الْإِهْنِكِ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لَكُنْزٌ يُرَادُّ﴾ منا. [٧] ﴿مَا يَتَعَفَا بَيْنَنَا فِي آيَةِ الْآخِرَةِ﴾ أي: ملة عيسى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا أَتَيْنَاكُمْ﴾ كذب.

[٨] ﴿أَمْزِلْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركة (٢) ﴿عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿الذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ بَيْنَيْنَا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؛ أي: لم ينزل عليه، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ وحسب؛ أي: القرآن حيث كذبوا الجاني به ﴿بَلْ لَمَّا﴾ لم ﴿يَدْعُوا عَذَابٌ﴾ ولو ذاقوه لصدفوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ. [٩] ﴿أَرَأَيْتُمْ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْوَهَّابِ﴾ من النبوة وغيرها، فيعطونها من شاءوا؟! [١٠] ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ الشُّرَكَاءُ وَالْأَنْصَارُ وَمَا يَنْتَهَمُونَ إِنْ زَعَمُوا ذَلِكَ ﴿فَلْيَرْفَعُوا فِي الصَّاتِرِ﴾ الموصلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي، فيخصوا به من شاءوا؟! وأما ﴿فِي الْمَوْضِعِينَ﴾ بمعنى همزة الإنكار. [١١] ﴿جُنْدٌ مَا﴾ أي: هم جند حقير ﴿هَٰئِلَاتِ﴾ في تكذيبهم لك ﴿مَهْرُومٌ﴾ صفة «جند»، ﴿بَيْنَ الْأَحْزَابِ﴾ صفة «جند» أيضا؛ أي:

كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأوتيك قد قهروا

وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء. [١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبَائِلُ قَوْمٍ نُوحٍ﴾ ثابث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ دُو الْأَوْدَادِ﴾ كان يتدل لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يندل إليها يديه ورجليه ويعذبه. [١٣] ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ أي: الغيبة (٣)، وهم قوم شعيب الطَّاغُوتِ ﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾. [١٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَتْ أَرْسُلًا﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابٌ﴾. [١٥] ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ ينتظر ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا صَبَاحَهُ وَجَدَهُ﴾ هي نفخة القيامة، تحمل بهم العذاب ﴿مَا لَهَا مِنْ قَوَائِيْ﴾ بفتح الفاء وضمة (٤)؛ رجوع ﴿وَقَالُوا لَوْ﴾ لما نزل: ﴿فَأَنَّا مَنَ أَوْفَىٰ كَيْفَ يَسْمِعُ﴾ (٥) الخ: [١٦] ﴿رَبَّنَا نَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا﴾ أي: كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث حسن صحيح، أن قريشا شكروا النبي ﷺ إلى أبي طالب، فقال: «يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟» قال: «إني أريد منهم كلمة واحدة، تدن لهم العرب، وتودي إليهم العجم الحرة». قال: «كلمة واحدة؟» قال: «كلمة واحدة». قال: «يا عم، يقولوا: لا إله إلا الله؟» فقالوا: «إلهنا واحد؟! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق». قال: فنزل فيه القرآن: ﴿صَ﴾. ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا يَتَعَفَا بَيْنَنَا فِي آيَةِ الْآخِرَةِ﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَتَيْنَاكُمْ. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٣٦). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٢/٢)، وصححه إسناده ووافقه الذهبي.

وأخرج الحاكم الفصة مختصرة عن ابن عباس (٤٣٢/٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه صاحب الاستيعاب (١٦٤/٣).

(٢) قرأ بالتسهيل نافع وابن كثير وأبو عمرو. وفصل بينهما بألف أبو عمرو وقنول وهشام بخلاف عنهم. وكذلك في موضع سورة القمر ﴿وَأَتَيْنَاكُمْ﴾. وفي موضع آل عمران ﴿وَأَتَيْنَاكُمْ﴾.

(٣) وهي الأشجار الملتفة بالجمجمة.

(٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥) الحاقة: ١٩.

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث حسن صحيح، أن قريشا شكروا النبي ﷺ إلى أبي طالب، فقال: «يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟» قال: «إني أريد منهم كلمة واحدة، تدن لهم العرب، وتودي إليهم العجم الحرة». قال: «كلمة واحدة؟» قال: «كلمة واحدة». قال: «يا عم، يقولوا: لا إله إلا الله؟» فقالوا: «إلهنا واحد؟! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق». قال: فنزل فيه القرآن: ﴿صَ﴾. ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا يَتَعَفَا بَيْنَنَا فِي آيَةِ الْآخِرَةِ﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَتَيْنَاكُمْ. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٣٦). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٢/٢)، وصححه إسناده ووافقه الذهبي.

وأخرج الحاكم الفصة مختصرة عن ابن عباس (٤٣٢/٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه صاحب الاستيعاب (١٦٤/٣).

(٢) قرأ بالتسهيل نافع وابن كثير وأبو عمرو. وفصل بينهما بألف أبو عمرو وقنول وهشام بخلاف عنهم. وكذلك في موضع سورة القمر ﴿وَأَتَيْنَاكُمْ﴾. وفي موضع آل عمران ﴿وَأَتَيْنَاكُمْ﴾.

(٣) وهي الأشجار الملتفة بالجمجمة.

(٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥) الحاقة: ١٩.

[٢٠] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قوبناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَمَا يَنْتَهُنَّ أَلْجَمَّةُ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿وَفَضَّلَ الْخِطَابُ﴾ البيان الشافي في كل قصد.

[٢١] ﴿وَهَلْ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَنُو الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْحِجَابَ﴾ محراب داود؛ أي: مسجده؛ حيث منعوا الدخول عليه من الباب؛ لشغله بالعبادة؛ أي: خبرهم وقصتهم.

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ﴾ نحن ﴿خَصَمَانِ﴾ قيل: فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان، والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر، وهما مكان جاءا في صورة خصمين وقع بهما ما ذكرها على سبيل الفرض؛ لتبنيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها <sup>(١)</sup> ﴿بَنَى بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَهُمَا يَلْحَقُ وَلَا تَشْطِطْ﴾ تبر ﴿وَأَعِدْنَا﴾ أرشدنا ﴿إِلَى سَوَاءٍ صِرَاطٍ﴾ وسط الطريق الصواب.

[٢٣] ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ أي: على ديني ﴿لَمْ يَسْعَ وَتَسْعُونَ نِعْمَةً﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿وَلِي نِعْمَةٍ وَجَدَتْهُ فَقَالَتْ أَكْثَلِيهَا﴾ أي: اجعلني كالثاني ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني ﴿فِي الْخِطَابِ﴾ أي: الجدل، وأقره الآخر على ذلك.

[٢٤] ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ يُسْأَلُ بَعْثُهُمْ لِيُجْزَىٰ بِهِنَّ﴾ أي: يعجزها ﴿إِنْ يَفَاجِعُ﴾ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ تَلَطُّفِهِ الشُّرَكَاءُ لِيُبَيِّنَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ «ما» لتأكيد القلة، فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه، فتبته داود، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ﴾ أي: أيقن ﴿دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أوقعناه في فتنة؛ أي: بلية بمجته تلك المرأة <sup>(٢)</sup> ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجدا ﴿وَأَنَابَ﴾.

[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَّمْ عِنْدَنَا لُزْفٌ﴾ أي: زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٢٦] ﴿يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي: هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَسُّوْنَ﴾ ينسبناهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا يوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ ﴿١٨﴾ وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُوءُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ خَصَمَانِ بَنَىٰ بَعْضُهُمَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَهُمَا يَلْحَقُ وَلَا تَشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِعْمَةً وَلِي نِعْمَةٍ وَجَدَتْهُ فَقَالَتْ أَكْثَلِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَىٰ تَغَاجُّهِ وَلَوْ كَرِهَ لِمَنِ الْخَاطِلَةُ لِيَئِنِّي بِبَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَّمْ عِنْدَنَا لُزْفٌ وَحُسْنُ مَتَابٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَسُّوْنَ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

[١٧] قال - تعالى -: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ أي: القوة في العبادة؛ كان يصوم يوما ويفطر يوما، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه <sup>(١)</sup> ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاعٌ إلى مرضاة الله.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالْعُشِيِّ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿وَالطُّيُورَ﴾ وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها. [١٩] ﴿وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ مِنْ الْجِبَالِ وَالطُّيْرِ﴾ لَهُ أَوَّابٌ رَجَّاعٌ إلى طاعته بالتسبيح.

(١) البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) (٣) حاشا لله أن ينسب لبي كرم من أنبياء الله عليه السلام الذين اصطفاهم مثل هذا الإفك البئس، وغفر الله للمفسر إذ نقل هذا، وهو من الإسرائيلية المقترة على صفوة خلق الله عليه السلام. وهذا الخصمان هما من بني آدم حقيقة عبي القول الصحيح لا من الملائكة، كما أن النعجة ليس المراد بها المرأة على الصحيح، بل المراد هنا نطى الضأن، والآيات على ظاهرها لوجوه عديدة لا يتسع المقام لبيانها، والمراد منها تبنيه داود عليه السلام وفرق بعده من الملوك على عظيم فتنة الملك والمعنى وبسط الدنيا.

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ عينا ﴿ذَلِكَ﴾ أي: خلق ما ذكر لا شيء ﴿تَلْزَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ﴾ واد ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾. [٢٨] ﴿أَمْ يَحْسَبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكُفِرُوا بِالصَّلَاحِ كَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَحْسَبُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نعطي في الآخرة مثل ما تعطون، و﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار.

[٢٩] ﴿كُتِبَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِّذِكْرِهِ﴾ أصله: يتدبروا؛ أذغمت التاء في الدال ﴿وَإِنِّي﴾ ينظروا في معانيها، فيؤمنوا ﴿وَلِيَذْكُرُوا﴾ يعظ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾ أصحاب العقول.

[٣٠] ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿يَعْقُوبَ﴾ أي: سليمان ﴿إِنَّمَا أَتَى أَبُؤُكُمُ الْمَسْجِدَ﴾ وجماع في التسيح والذكر، في جميع الأوقات. [٣١] ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْكَ بِالْعِيسَى﴾ هو ما بعد الزوال ﴿الَّذِينَ هُمْ﴾ جمع صافنة؛ وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر، وهو من صَفَنَ يَصْفِنُ صُفُونًا ﴿يَلْبِغُونَ﴾ جمع جواد، وهو السابق؛ المعنى: أنها إذا استوفقت سكنت، وإن ركضت سبقت، وكانت ألف فرس، عرضت عليه بعد أن صلى الظهر؛ لإرادته الجهاد عليها العدو، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس، ولم يكن صلى العصر فاغتم [٣٢] ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾ أي: أردت ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي: الخيل ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي: صلاة العصر ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ أي: الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴾ أي: استترت بما يحجبها عن الأبصار.

[٣٣] ﴿رُدُّهَا عَلَيَّ﴾ أي: الخيل المعروضة، فردوها ﴿فَطَفِقَ مَسًّا﴾ بالسيف ﴿بِالسُّوقِ﴾ جمع ساق ﴿وَالْأَعْنَاقِ﴾ أي: ذبحها وقطع أرجلها تقربا إلى الله - تعالى -؛ حيث اشتغل بها عن الصلاة، وتصدق بلحمها، فعوضه الله خيرا منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف شاء.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ابتليناه بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة هواها<sup>(١)</sup>، وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه فزعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمنية على عادته، فجاءه جن في صورة سليمان فأخذها منها ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ هو ذلك الجنى وهو صخر أو غيره، جلس على كرسي سليمان، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته فرأه على كرسيه، وقال للناس: أنا سليمان فأذكروهم ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه<sup>(٢)</sup>. [٣٥] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْزِلُ﴾ لا يكون ﴿لِأَخِي مِنْ بَعْدِي﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي: سواي نحو ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>؛ أي: سوى الله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. [٣٦] ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُشَاءً﴾ لينة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أراد. [٣٧] ﴿وَالشَّيْطَانَ كُلَّ يَوْمٍ﴾ يعني الأبنية العجيبة ﴿وَعَوَاصٍ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ طُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَحْسَبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكُفِرُوا بِالصَّلَاحِ كَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَحْسَبُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِّذِكْرِهِ وَإِنِّي أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِيسَى الصَّفِيفَتُ الْجَبَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣١﴾ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْزِلُ لِي لَأَخِي مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٤﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُشَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيْطَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَجْعَلُ لِي بَنَاءً وَغَوَاصٍ ﴿٣٥﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٦﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ وَإِنْ لَمْ عِنْدَنَا لُزْفٌ وَخَسَنَ مَتَابٍ ﴿٣٨﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بَنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٣٩﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٠﴾

[٣٨] ﴿وَأَخَرِينَ﴾ منهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ مشدودين ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم. وقلنا له: [٣٩] ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾ أعط منه من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن الإعطاء ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لا حساب عليك في ذلك. [٤٠] ﴿وَإِنْ لَمْ عِنْدَنَا لُزْفٌ وَخَسَنَ مَتَابٍ﴾ تقدم مثله. [٤١] ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بَنُصْبٍ﴾ ضربه ﴿وَعَذَابٍ﴾ ألم، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله ناديا معه - تعالى - . وقيل له: [٤٢] ﴿ارْكُضْ﴾ اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾ الأرض، فضرب فنبعت عين ماء، فقيل: ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾ ماء تغتسل به ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ تشرب منه، فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن عريقا من الجن تفلت على الباحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم؛ فذكرت دعوة أخي سليمان: «رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي»...».

(١) هذا كلام باطل لا أساس له من الصحة، وهو من الإسرائيليات التي ثبت كذبها بمخالفتها ما يبين بمقام النبوة، والصحيح الذي عليه المحققون، وتشهد له انصوص الصحيحة أن الفتة هي ولده الميت، وأنه الحمد الذي ألقى على كرسيه، كما عند البخاري وغيره أن سليمان حلف ليطوفن على نساؤه لتحمل كل امرأة فارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله؛ فلم تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق ولد.

(٢) كل هذا من الإسرائيليات التي ثبت كذبها ومخالفتها للنصوص الصحيحة، وتعارض مع مقام النبوة. وإنما معنى «أناب» في الآية: أي رجع إلى الله تعالى واستغفره، ففسره قوله تعالى بعد ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي...﴾.

[٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾ الآخرة، أي: ذكرها والعمل لها، وفي قراءة<sup>(٣)</sup> بالإضافة، وهي للبيان.

[٤٧] ﴿وَلَيْتُمْ عِنْدَنَا لَيِّنَ الْمُصْطَفَيْنِ﴾ المختارين ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالتشديد.

[٤٨] ﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ وهو نبي، واللام زائدة ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ اختلف في نبوته، قيل: كفل مائة نبي فزوا إليه من القتل<sup>(٤)</sup> ﴿وَكُلٌّ﴾ أي: كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالتثنية.

[٤٩] ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَرِثَ السُّيُوفِ﴾ الشاملين لهم ﴿لِئْسَنٍ مَّائِدٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٥٠] ﴿جَنَّتْ عَذْبٌ بَدَلٌ، أَوْ عَطْفٌ بَيَانٌ لِحَسَنِ مَّائِدٍ﴾ مُفْتَحَةٌ لَهُمْ الْكَبِيرُ منها.

[٥١] ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَتَذَوَّنُونَ فِيهَا بِغَنِيكَهْمَ كَثِيرٍ وَشَرَابٍ﴾.

[٥٢] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ حاسبات العين على أزواجهن ﴿أَرْبَابٌ﴾ أسنانهن واحدة؛ وهن: بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع رَبٍّ.

[٥٣] ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿مَّا [يُوعَدُونَ]﴾ بالغبية<sup>(٥)</sup>، وبالخطاب، التفاتاً ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أي: لأجله.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَذَا لَرِيقًا مَّا لَمْ يَنْفَادِ﴾ أي: انقطاع، والجملة حال من رزقناه، أو خبر ثان لدان؛ أي: دائماً أو دائماً.

[٥٥] ﴿هَذَا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَأَنَّكَ لِلظَّالِمِينَ﴾ مستأنف ﴿لَنُثَرَّ﴾ مَائِدٍ.

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿يُقَسِّمُ إِلَيْهَا﴾ الفرائض.

[٥٧] ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي: ماء حار محرق ﴿وَعَسَاقٌ﴾ بالتخفيف<sup>(٦)</sup>، والتشديد؛ ما يسيل من صديد أهل النار.

[٥٨] ﴿وَأُخْرَى﴾ بالجمع<sup>(٧)</sup> والإفراد ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ أي: مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أَرْوَجُ﴾ أصناف؛ أي: عذابهم من أنواع مختلفة.

[٥٩] ويقال لهم عند دخولهم النار بأنابهم: ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ داخل ﴿مَعَكُمْ﴾ النار بشدة، فيقول المتيقنون<sup>(٨)</sup>: ﴿لَا مَرْجَا بِهِنَّ﴾ أي: لا سعة عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع: ﴿بَلْ أَشْرَ لَا مَرْجَا بِكَ أَشْرَ قَدَمْتُوهُ﴾ أي: الكفر ﴿لَنَا قِيَمُ الْقَرَارِ﴾ لنا ولكم، النار.

[٦١] ﴿قَالُوا﴾ أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا يُعَذِّبُكَ﴾ أي: مثل عذابه على كفره ﴿فِي النَّارِ﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ، وَشَاطَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٦﴾ وَحَدَّ بِكَ ضَعْفًا فَضْرِبَ بِهِ وَلَا تَحْتِثُ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٨﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥١﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَلِنُتِمِّتِينَ لِحُسْنِ مَّائِدٍ ﴿٥٢﴾ جَنَّتْ عَذْبٌ مُفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَكْبُورُ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَتَذَوَّنُونَ فِيهَا بِغَنِيكَهْمَ كَثِيرٍ وَشَرَابٍ ﴿٥٤﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٥﴾ هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٦﴾ إِنَّ هَذَا لَرِيقُنَا مَا لَمْ يَنْفَادِ ﴿٥٧﴾ هَذَا وَإِنْ لِلظَّالِمِينَ لَنُثَرَّ مَّائِدٍ ﴿٥٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيُقَسِّمُ إِلَيْهَا هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٩﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٦٠﴾ هَذَا فَوْجٌ مُفْتَحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٦١﴾ قَالُوا بَلْ أَشْرَ لَا مَرْجَا بِكَ أَشْرَ قَدَمْتُمُوهُ لَنَا قِيَمُ الْقَرَارِ ﴿٦٢﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضَعِيفًا فِي النَّارِ ﴿٦٣﴾

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ وَنَحْنُ لَهُمْ مَعَهُمْ، أي: أحيا الله له من مات من أولاده، ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة<sup>(١)</sup> ﴿مِنَّا وَذَكَرَى﴾ عظة ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول.

[٤٤] ﴿وَحَدَّ بِكَ ضَعْفًا﴾ هو جزمة من حشيش، أو قضبان ﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾ زوجتك، وكان قد حلف ليضربها مائة ضربة لإبطائها عليه يوماً ﴿وَلَا تَحْتِثُ﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة ﴿وَإِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجأ إلى الله - تعالى ..

[٤٥] ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿عِبْدَنَا﴾، و﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بيان له، وما بعده عطف على ﴿عِبْدَنَا﴾.

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي ذاتها، وهذه الصفة نسيها الله ﷻ على الوجه اللائق به، كما سبق بيان ذلك مرازا.

(٢) لابن كثير.

(٣) لنافع وهشام.

(٤) والصحيح أنه نبي، وأما سبب التسمية التي ذكرها المصنف فلا دليل عليها، وقيل غير ذلك. وانظر التعليق على الآية رقم (٨٥) من سورة الأنبياء.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقراءة بقية السبعة بالياء.

(٦) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٧) وهم: قراءة أبو عمرو، وقراءة بقية السبعة بالإفراد.



[٦٢] ﴿وَقَالُوا أَنَّىٰ كَفَرًا مَّكَهَ وَهُمْ فِي النَّارِ﴾ ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿بَيْنَ الْأَشْرَارِ﴾.

[٦٣] ﴿أَفَعَدَّيْنَاهُمْ﴾ [سُخْرِيًّا] ﴿بِضْمِ السَّيْنِ وَكُسْرِهَا﴾<sup>(١)</sup>؛ كُنَّا نَسْخَرُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْيَاءُ لِلنَّسَبِ؛ أَيِ: أَمْفُقُونَ هُمْ؟ ﴿أَمْ رَأَيْتُ﴾ ﴿مَالَتِ﴾ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ؟ فَلَمْ تَرَهُمْ؟! وَهُمْ قُرَاءُ الْمُسْلِمِينَ؛ كَعَمَارٍ وَبِلَالٍ وَصَهْبٍ وَسَلْمَانَ.

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ وَاجِبٌ وَقَوْعُهُ، وَهُوَ: ﴿تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ ﴿كَمَا تَقْدَمُ﴾ [٦٥] ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِكُفْرَارِ مَكَّةَ: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ ﴿مَخُوفٌ بِالنَّارِ﴾ ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لِحَلْفِهِ.

[٦٦] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْقَرِيبُ﴾ ﴿الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ﴾ ﴿الْقَهَّارُ﴾ لِأَوَّلِيَّاتِهِ.

[٦٧] ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿هُوَ نَبْوًا عَظِيمٌ﴾.

[٦٨] ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾؛ أَيِ: الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْبَأْتُمْ بِهِ، وَجِئْتُمْ بِهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِوَحْيِي، وَهُوَ قَوْلُهُ: [٦٩] ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ إِلَّا الَّذِي آتَانِي﴾؛ أَيِ: الْمَلَائِكَةُ ﴿إِذْ يَخْصِمُونَ﴾ فِي شَأْنِ آدَمَ حِينَ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٢)</sup> [٧٠].

[٧٠] ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا﴾؛ أَيِ: أَنِّي ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يُبَيِّنُ الْإِنذَارَ.

[٧١] أَذْكَرُ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ هُوَ آدَمُ.

[٧٢] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أَتَمَمْتُهُ ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أَجْرَيْتُ ﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فَصَارَ حَيًّا، وَإِضَافَةُ الرُّوحِ إِلَيْهِ تَشْرِيفٌ لِآدَمَ، وَالرُّوحُ جِسْمٌ لَطِيفٌ يَحْيَا بِهِ الْإِنْسَانُ بِنَفْوَذِهِ فِيهِ ﴿فَفَعَّلُوا لَهُمْ سَجِدِينَ﴾ سَجُودٌ تَحِيَّةٌ بِالْإِنْحَاءِ<sup>(٣)</sup>.

[٧٣] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فِيهِ تَأْكِيدَانِ.

[٧٤] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هُوَ أَبُو الْجَنِّ، كَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿أَسْتَكْبَرُ﴾ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ فِي عِلْمِ اللَّهِ - تَعَالَى -..

[٧٥] ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْنِي﴾؛ أَيِ: تَوَلَّيْتُ خَلْقَهُ<sup>(٤)</sup>، وَهَذَا تَشْرِيفٌ لِآدَمَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ تَوَلَّى اللَّهُ خَلْقَهُ ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ الْآنَ عَنِ السَّجُودِ، اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ الْمُتَكَبِّرِينَ فَتَكْبَرْتَ عَنِ السَّجُودِ لِكُونِكَ مِنْهُمْ؟.

[٧٦] ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

[٧٧] ﴿قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا﴾؛ أَيِ: مِنَ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: مِنَ السَّمَاوَاتِ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مَطْرُودٌ.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَفَعَدَّيْنَاهُمْ

سُخْرِيًّا أَمْ رَأَيْتُ مَالَتِ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ

النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبْوًا

عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ إِلَّا الَّذِي آتَانِي عَلَىٰ

إِذْ يَخْصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ

فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ

أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ

يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْنِي اسْتَكْبَرْتَ أَتُكَدِّرُ

مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ

﴿٧٦﴾ قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ عَلَيْنَا لُعْنَةُ إِبْلِيسَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ

﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾

إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ الْأُولَىٰ. وَقْتُ النِّفْعَةِ الْأُولَىٰ.

﴿٨٢﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لِأَعُوْبَهُمْ أَجْمَعِينَ. وَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿٨٣﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. أَيِ: الْمُؤْمِنِينَ.

[٧٨] ﴿وَإِنْ عَلَيْنَا لُعْنَةُ إِبْلِيسَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الْحِزَاءُ.

[٧٩] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أَيِ: النَّاسِ.

[٨٠] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وَقْتُ النِّفْعَةِ الْأُولَىٰ.

[٨٢] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لِأَعُوْبَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٣] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ أَيِ: الْمُؤْمِنِينَ.

(١) بالضم قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) راجع التعليق على الآية رقم (٣٤) من سورة البقرة.

(٤) وهذا الذي ذهب إليه المفسر، هو تعطيل لفظة الدين التي أنشأها الله ﷻ لنفسه، وهو عدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف لما فهمه السلف، والمفسر يرد على نفسه حيث قال بعدها: وهذا تشریف لآدم؛ فإن كل مخلوق تولى الله خلقه. فما وجه اختصاصه بذلك إذن؟!

[٨٨] ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأُهُ﴾ خبر صدقه ﴿بَعْدَ جِيئِ﴾ أي: يوم القيامة، و«علّم» بمعنى عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر؛ أي: والله.

### سورة الزمر

أمكية إلا: ﴿ثُلَّ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، فمدنية، وهي: خمس وسبعون آية، نزلت بعد سبأ<sup>(\*)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَنَزَّلُ الْمَكِيبُ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمُ﴾ في صنعه.

[٢] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب«أنزل» ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك أي: موحداً له.

[٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ الْأَصْنَامَ﴾ وهم كفار مكة قالوا: ﴿مَا عَبَدُوهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ قريب، مصدر بمعنى تفرّبتا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المسلمين ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمن الحجة والكافرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ بعبادته غير الله.

[٤] ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ واتخذوه ولداً، غير من قالوا من<sup>(١)</sup>: الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ خلقه.

[٥] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب«خلق» ﴿يُكْوِّرُ﴾ يدخل<sup>(٢)</sup> ﴿الْأَبْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿عَنِ الْبَيْلِ﴾ فيزيد ﴿رَسَخَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الْمُنْتَقِرُ﴾ لأوليائه.

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٨﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٩﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٩٢﴾

### سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
تَنَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٨٨﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٨٩﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٠﴾ إِنْ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٩١﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٩٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٩٣﴾ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفْوَ

[٨٤] ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ بنصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني<sup>(١)</sup>، فصبه بالفعل بعده، ونصب الأول؛ قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر؛ أي: أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم، ورفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم: [٨٥] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ بذريرتك ﴿وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي: الناس ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٦] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ لجعل ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي.

[٨٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ للإنس والجن والعقلاء دون الملائكة.

(٥) فائدة: أخرج الزمزمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر. الترمذي. كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٢١) الترجمة، وكتاب الدعوات (٤٩) باب (٢٢) ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧١١).

(١) بالرفع ثم نصب قراءة السبعة عدا عاصم وحزمة.

(٢) الأنبياء: ٢٦.

(٣) في نسخة القاضي كعنا: «إن» بدلاً من «من»، وفي نسخة بدون «من».

(٤) ما ذكره المصنف في معنى التكوير هو اختيار ابن جرير، وهو عنده كعمى الإبلاج كما في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾. وروي عن قتادة: يغشى أحدهما الآخر؛ أي يذهب أحدهما فيقبه الآخر. والتكوير في الأصل: هو اللف واللي؛ من كار العمامة على رأسه وكورها.

[٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: آدم ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْثَرِ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمَ وَالضَّأْنَ وَالْمَرْءَ وَتَكْنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ من كل زوجان<sup>(١)</sup>: ذكر وأنثى، كما بين في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَدَنٍ خَلَقَ أَي: نُطْفًا ثُمَّ عَلَقًا ثُمَّ مُضْغًا فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة ﴿ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ رُبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَالَتْ تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره!<sup>(٢)</sup>  
 [٧] ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَى عَذَابَكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وإن أراد من بعضهم<sup>(٣)</sup> ﴿وَأِنْ تَشْكُرُوا﴾ الله، فتؤمنوا ﴿بِرِضَتِهِ﴾ بسكون الهاء، وبضمها مع إشباع ودونه<sup>(٤)</sup>؛ أي: الشكر ﴿لَكُمْ﴾ ولا تَزُرْ نفس ﴿وَالْإِزْدَ وَزِدْ﴾ نفس ﴿أُخْرَى﴾ أي: لا تحملها ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.  
 [٨] ﴿وَلَا تَسْأَلِ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الكافر ﴿ضَرْ دَمًا رَبُّهُ﴾ تصرع ﴿مُنِيْبًا﴾ راجعًا ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوْلَهُ يُسَمَّى﴾ أعطاه إنعامًا ﴿فِيْنَهُ لَيْسَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُو﴾ ينصرع ﴿إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ﴾ وهو الله، ف«ما» في موضع «من» ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها<sup>(٥)</sup> ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿فَلْيَمْنَعْ بِكَذْرِكَ قَلِيلًا﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

[٩] ﴿أَمِنْ﴾<sup>(٦)</sup> هو قَتِيْبٌ قائم بوظائف الطاعات ﴿إِنَاءً أَلِيلٍ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في الصلاة ﴿يُحَذِّرُ الْآخِرَةَ﴾ أي: يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةً﴾ جنة<sup>(٧)</sup> ﴿رَبِّهِ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة: ﴿أَمِنْ﴾، ف«أم» بمعنى «بل» و«الهمزة» ﴿فَلْيَهْلِ يَسْتَوِ الَّذِينَ يَمُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ بتعظ ﴿أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[١٠] ﴿فَلْيَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَفَرَأَى رَبُّكُمْ﴾ أي: عذابه، بأن تطعيره ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ فهاجروا إليها، من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى

(١) في نسخة القاضي: «زوجين»، و«ذكوا» بالنصب.

(٢) أي: كونًا لا شرعًا.

(٣) «يرضه» قرأ ابن كثير والكسائي وابن ذكوان بضم الهاء مع الإشباع، وقرأ السوسي بالإسكان، وقرأ الدوري بالإسكان والإشباع، وهشام بالاختلاس والإسكان، وقرأ الباقون بالضم دون صلة وهم نافع وعاصم وحزمة.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وحزمة، وقرأ بقية السبعة: «أَمِنْ» بتشديد الميم.

(٦) الجنة أثر من آثار رحمة الله ﷻ لعباده المؤمنين، وهي غيرها؛ ففسير الرحمة بها خلاف الظاهر، وهو تأويل لصفة الرحمة التي أتيتها ربنا ﷻ لنفسه، ونيتها له على الوجه اللائق به.

الْصُّدُورِ﴾ على الطاعة، وما يتلون به ﴿أَجْرُهُمْ يَبْغِي حِسَابٍ﴾ بغير مكيال ولا ميزان.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ  
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ  
﴿٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ  
قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ ﴿٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَتْنِهِمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ  
وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلُلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يُعْبَادُونَ فَاتَّقُوا  
وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَعْبُدُوا مَا أَتَوْا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى  
فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾  
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَلَمْ يَأْتِ تَنْقِذًا مِنَ النَّارِ ﴿٨﴾  
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُبِينَةٌ تَخْرُجُ  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ الرَّتَرُ  
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ  
يَخْرُجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ  
يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.  
[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.  
[١٤] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ من الشرك.  
[١٥] ﴿فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ غيره، فيه تهديد لهم، ولإذنان بأنهم لا  
يعبدون الله - تعالى - ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ  
الْقِيَمَةِ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في  
الجنة، لو آمنوا ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ﴾ البين.  
[١٦] ﴿لَهُمْ مِنْ فَتْنِهِمْ ظُلُلٌ﴾ طباق ﴿وَمِنْ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلُلٌ﴾ من  
النار ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: المؤمنين، لينقوه، يدل عليه: ﴿يَتَّقُونَ﴾.  
[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ﴾ الأوثان ﴿أَنْ يَعْبُدُوا مَا أَتَوْا﴾ أقبلوا  
﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾.  
[١٨] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وهو ما فيه صلاحهم  
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.  
[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية  
﴿أَلَمْ يَأْتِ تَنْقِذًا﴾ تخرج ﴿مِنْ فِي النَّارِ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام  
المضمر، والهجرة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته، فننقذه من النار.  
[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ  
مُبِينَةٌ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت الغرف، الفوقانية والتحتانية  
﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ منصوب بفعله المقدر ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ وعده.  
[٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ﴾  
أدخله أمكنة ينبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْرُجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِيجُ﴾  
يبس ﴿فَتَرَاهُ﴾ بعد الخضرة مثلاً ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾ فثاقلاً  
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَبُرَ﴾ تذكيراً ﴿لِلأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ بتذكرون به؛ لدلالته<sup>(١)</sup>  
على وحدانية الله - تعالى - وقدرته.

(١) هود: ١١٩.

(٢) في نسخة مطبوعة: «دلالته».

[٢٢] ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ كمن طبع على قلبه، دل على هذا: ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عن قبول القرآن ﴿أَوَّلَيْكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٌ﴾ يبين.

[٢٣] ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ لِّغَيْثٍ كِتَابًا﴾ بدل من «أحسن»؛ أي: قرأتنا ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ أي: يشبه بعضه بعضاً، في النظم وغيره ﴿مَثَانِي﴾ ثني فيه الوعد والوعيد، وغيرهما ﴿تَشْعُرُ مِنْهُ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عند ذكر وعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ﴾.

[٢٤] ﴿أَمَّنْ يَنْفَى﴾ يلقى ﴿بِوَجْهِهِ سُوَّةَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: أشدّه، بأن يلقى في النار مغلوله يدها إلى عنقه، كمن أمن منه بدخول الجنة؟ ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: كفار مكة: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءه. [٢٥] ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِ﴾ رسلهم، في إتيان العذاب ﴿فَأَلَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر بالهم.

[٢٦] ﴿فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَرَى﴾ الذل والهوان، من المسخ والقتل وغيره ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما كذبوا.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يتعطلون.

[٢٨] ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: لَبَس واختلاف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر.

[٢٩] ﴿صَرَّبَ اللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدل من «مثلاً» ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّكُونَ﴾ متنازعون، سبقة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَابِلًا﴾ خالصاً ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ تمييز؛ أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد، فإن لأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تخير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني مثل للموحد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ﴾ بَلْ أَكْثَرُهُمْ؛ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوَّلَيْكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٌ ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ لِّغَيْثٍ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّثَانِي تَشْعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ﴾ سُوَّةَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّكُونَ وَرَجُلًا سَابِلًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾

[٣٠] ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ستموت ويموتون، فلا شامة بالموت، نزلت لما استبطلوا موته ﷺ.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الزبير بن العوام قال: ما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، أكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: «نعم»، فقال: إن الأمر إذن لشديدي. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٣). وأخرجه أيضاً أحمد (١٦٧/١) مطولاً بلفظ: «قال الزبير: أي رسول الله، أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواصّ الذنوب؟ قال: «نعم»، ليكرر عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق حقه». فقال الزبير: والله، إن الأمر لشديدي». وحسن الأرنؤوط إسناده (١٤٣٤). وكلذا قال أحمد شاكر: إسناده حسن. (١٤٣٨).

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراً بقية السبعة: ﴿سَلَمًا﴾ بدون ألف.

الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ بلى.

[٣٣] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هم المؤمنون فـ«الذي» بمعنى «الذين» ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الشرك.

[٣٤] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم يأمنانهم [٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «أَسْوَأَ» وأحسن» بمعنى السيئ والحسن.

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ أي: النبي (١)؟ بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ أمره ﴿ذِي أَنْتِقَامٍ﴾ من أعدائه؟ بلى.

[٣٨] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ الله ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ لا، وفي قراءة (٢) بالإضافة فيهما ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يثق الواثقون.

[٣٩] ﴿قُلْ يَقْوِمْ أَعْمَالُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

[٤٠] ﴿مَنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم هو عذاب النار، وقد أخزاهم الله بيد.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ﴾  
 إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِي  
 جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾  
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾  
 لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ  
 بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ  
 عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ  
 فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ  
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي أَنْتِقَامٍ ﴿٣٨﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ  
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ  
 ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ  
 قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٩﴾ قُلْ  
 يَقْوِمْ أَعْمَالُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾  
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤١﴾

[٣٢] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة

(١) وقيل: المراد به الخالص في العبودية لله ﷻ، ويؤيده قراءة: (عباده) بالجمع، وهي لخمزة والكسائي.

(٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو بالتثنية في الكلمتين: «كاشفات» و«ممسكات»، مع النصب في «ضره» و«رحمته»، وقرأ بقية السبعة بالإضافة فيهما؛ أي ﴿كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ﴾ و﴿مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ أَيُّهَا النَّفْسُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْكَ الْمَوْتَ وَرِيسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ أَيُّهَا النَّفْسُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْكَ الْمَوْتَ وَرِيسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلِ اللَّهُ الشَّافِعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةً لَهُمْ لِلْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

[٤١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ متعلق به «أنزل» ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ فلنفسه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فتجربهم على الهدى.

[٤٢] ﴿اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ يتوفى ﴿وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يتوفاها وقت النوم ﴿وَرِيسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: وقت موتها، والمرسله نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس <sup>(١)</sup> ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريب لم يتفكروا في ذلك.

[٤٣] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ أي: الأصنام آلهة ﴿شُفَعَاءَ﴾ عند الله بزعمهم ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿أَلَمْ يَشْفَعُوا﴾ ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا.

[٤٤] ﴿قُلِ اللَّهُ الشَّافِعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: دون آلهتهم ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ بمعنى يا الله ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شُهِد ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق.

[٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةً لَهُمْ لِلْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ بئس من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ يظنون.

(١) أي: فمضى ذهبت نفس الحياة لا تبقى نفس التمييز والإحساس، والتحقيق أنها روح واحدة، والتعدد باعتبار أوصافها.

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٩﴾ أي: العذاب.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا ثَمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ﴾ الجنس ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ إنعاماً ﴿يَتَنَا قَالَ إِنَّمَا أَوتَيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ من الله بأنني له أهل ﴿بَلْ هِيَ﴾ أي: القولة ﴿وَفِتْنَةٌ﴾ بلية، يتلى بها العبد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن التحويل استدراج وامتحان.

[٥٠] ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ كفارون وقومه الراشدين بها ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾؛ أي: جزاؤها ﴿وَالَّذِينَ ظَنَّمُوا مِنْ هَذَا لَآءٍ﴾؛ أي: قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاوتين عذابنا، ففجحطوا سبع سنين، ثم وُسع عليهم.

[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً﴾ إن في ذلك لآية لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿بِهِ﴾.

[٥٣] ﴿قُلْ يَتَّبِعَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾ بكسر النون وفحها (٢)، وقرئ بضمها (٣)؛ تأسوا ﴿مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشرك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤).

[٥٤] ﴿وَأَنِيبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُ﴾ من قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثَمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿بِمَعْنَاهُ﴾ إن لم تتوبوا.

[٥٥] ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هو القرآن ﴿وَمِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قبل إتيانه بوقت.

[٥٦] فبادروا قبل ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ﴾ أصله يا حسرتي؛ أي: ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته (٥) ﴿وَأَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: وني ﴿كُنْتُ لِمَنِ التَّائِبِينَ﴾ بدينه وكتابه.

وَيَذَاهُمُ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا ثَمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً وَمَنَا قَالَ إِنَّمَا أَوتَيْتُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَنَّمُوا مِنْ هَذَا لَآءٍ سَبِصِبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَتَّبِعَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثَمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَّبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ التَّائِبِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٨] ﴿وَيَذَاهُمُ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي نقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِلَيْهَا مَاتُوا بِغُرُوحٍ وَأَلْهَوْا عَنْ نَفْسِهِمْ﴾. ونزل: ﴿قُلْ يَتَّبِعَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الزمر (٣٩) باب (١) يا عبادي الذين أسرفوا. ورواه أيضاً مسلم - كتاب الإيمان (١)، باب (٥٤) ... وسبق تخريجه في سورة الفرقان عند الآية (٦٨).

(١) أو المعنى: على علم عندي بوجوه المكاسب والتجارة.

(٢) بالكسر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوذاً.

(٤) وقال الفراء: في قرب الله وجواره



[٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ (١) بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِبِينَ﴾ عذابه.

[٥٨] ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُنْتَفِينَ﴾ المؤمنين. فيقال له من قبل الله: [٥٩] ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَفْلٌ إِلَيْنَا﴾ القرآن، وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى﴾ مأوى ﴿لِلْمُنْكَرِينَ﴾ عن الإيمان؟ بلى.

[٦١] ﴿وَيَسْجَى اللَّهُ﴾ من جهنم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿بِمَقَارِنِهِمْ﴾ أي: بمكان فوزهم من الجنة، بأن يجعلوا فيه ﴿لَا يَسْمُهُمُ الشُّعُورُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ منصرف فيه كيف يشاء.

[٦٣] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزانتهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَصِيبُ اللَّهُ ﴿الْقُرْآنَ﴾ أولئك هم الْخَاسِرُونَ ﴿متصل بقوله: وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إلخ، وما بينهما اعتراض.

[٦٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تُأْمَرُونَ﴾ أَغْبَدُوا أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿غير﴾ منصوب بـ«أعبد» المعمول لـ«تأمروني» بتقدير «أن» بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك (١).

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ واللَّهُ ﴿لَيْنٌ أُنزِلَتْ﴾ يا محمد فرضاً ﴿لِيَحْطَرَ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلَىٰ اللَّهُ﴾ وحده ﴿فَاعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ إنعامه عليك.

[٦٧] ﴿وَمَا تَدْرُونَ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ قَدِيرٌ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه

حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال أي: السبع ﴿قَبَضْنَاهُ﴾ أي: مقبوضة له أي: في ملكه ونصرته (٢) ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ ﴿مجموعات﴾ بِبَيْمِينَةٍ (٣) بقدرته (٤) ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَفْلٌ إِلَيْنَا فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَارِنِهِمْ لَا يَسْمُهُمُ الشُّعُورُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ أَغَيْرَ اللَّهِ تُأْمَرُونَ ﴿٦٤﴾ أَعْبُدُوا أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٥﴾ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَيْتَ أَشْرَكْتِ لِيَحْطَرَ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٦﴾ بَلَىٰ اللَّهُ فَاَعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٧﴾ وَمَا تَدْرُونَ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ قَدِيرٌ ﴿٦٨﴾ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٩﴾

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني فيكون عليه حسرة. قال: وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لو أن الله هداني فيكون له شكر». المسند (٥١٢/٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٤).

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ قالت: فأتين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على جسر جهنم». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٩).

(١) قوله: (إدغام) أي مع فتح الباء وسكونها، وقوله: (وفك) أي مع سكون الباء لا غيراً فقرأ ابن عامر بنونين وقرأ نافع بنون مخففة مع فتح الباء، وكذلك فتحها ابن كثير. (٢) وهذا عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ، مما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به، وثبت عند البخاري (٧٤١٣). من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السماوات بيديه ثم يقول: أنا الملك». فلواجب الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تحيل ولا تكيف.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى الله لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَوُجِئَ بِالْيَتِيمِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: بمحمد ﷺ وأمه يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وَوُضِعَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ أي: العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

[٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

[٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعنف ﴿إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا فَتُحِثُّ أَبْوَابُهَا﴾ جواب «إذا» ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: «لأننا كنا جَهَنَّمَ» الآية (٣) ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيئْسَ مَثْوًى﴾ ماوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جهنم.

[٧٣] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ الواو فيه للحال بتقدير: قد ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبَّنَا﴾ حالاً ﴿فَادْخُلُوا خَالِدِينَ﴾ مقدرين الخلود فيها، وجواب «إذا» مقدر أي: دخلوها، وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكريمة لهم، وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليقى حرها إليهم إهانة لهم.

[٧٤] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على دخولها المقدر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْفَىٰ نَاظِرَنَا﴾ أي: أرض الجنة (٤) ﴿نَتَّبِعُ﴾ نزل ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الجنة.

وَيُفِيحُ فِي الصُّورِ فَصَيَّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُنْفِخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٩﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالْيَتِيمِ وَالشَّهَادَةِ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا فَتُحِثُّ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٢﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبَّنَا فَادْخُلُوا خَالِدِينَ ﴿٧٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْفَىٰ نَاظِرَنَا الْأَرْضِ نَتَّبِعُ أَمْرَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٥﴾

[٦٨] ﴿وَيُفِيحُ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَيَّقَ﴾ مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما (١) ﴿ثُمَّ يُنْفِخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿وَيَوْمَ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ما يفعل بهم.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال يهودي يسوق المدينة: لا وادي اسطفي موسى على البشر. قال: فرجع رجل من الأنصار يده نصك بها وجهه. قال: تقول هذا وبقينا نبي الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «وَيُفِيحُ فِي الصُّورِ فَصَيَّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُنْفِخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» فأكون أول من رفع رأسه، فإذا موسى أتخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله...هـ. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٧).

(١) قيل: كالشهداء، أو حواص الملائكة، أو إسرائيل نفسه، ثم يموت بعد ذلك. والأولى أن يقال: الله أعلم بفتنه، إذ لا يصار إلى بيان المهمات إلا بقاطع. (٢) الصواب عدم تخصيص النبيين هنا بمحمد ﷺ، بل هو قول غريب وبعيد، ولا تخصيص الشهداء بأمة عليه الصلاة والسلام، لأنه خلاف الظاهر. وجمهور المفسرين على أن المراد جماعة الأنبياء ليشهدوا على أممهم بأنهم بلغوهم، أما الشهداء فحين بما ذكره المفسر، وقيل: المراد الملائكة الحافظة على أعمال العباد، وقيل: أعضاء الإنسان، وقيل: الأرض، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، والآية تحتمل كل ذلك، ولا تعارض.

(٣) هود: ١١٩.

(٤) هذا قول كثير من المفسرين، كما تقدم في سورة الأنبياء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الْعَمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وسبق هناك بيان اعتراض القاضي كتمان على ذلك واختياره أن الأرض في الآيتين هي الأرض المعهودة وبيست أرض الجنة، والله أعلم.

وَرَبِّ الْمَلِئِكَةِ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

### سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ٣ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْإِلَهِ ٤ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُبْدِي ٥ مَا يَجِدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْأَلْبَانِ ٦ كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوْحٌ وَالْأَخْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٧ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٨ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٩

[٧٥] ﴿وَرَبِّ الْمَلِئِكَةِ حَافِينَ﴾ حال ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ من كل جانب منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال من ضمير حافين ﴿يَحْمَدُونَ رَبَّهُمْ﴾ ملاسین للحمد؛ أي: يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين جميع الخلائق ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: العدل، فيدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النار ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نُحْتَمِ استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة<sup>(١)</sup>.

### سُورَةُ غَافِرٍ

[مكية، إلا: ﴿الَّذِينَ يَجِدُونَ﴾ الآيتين، خمس وثمانون آية،

نزلت بعد الزمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بمداه به.

[٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلقه.

[٣] ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ للمؤمنين ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ لهم مصدر ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ للكافرين؛ أي: مثله له ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ الإنعام الواسع، وهو موصوف على الدوام بكل هذه الصفات، فإضافة المشتق منها للتعريف كالأحيرة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْإِلَهِ الْمُبْدِي﴾ المرجع.

[٤] ﴿مَا يَجِدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فَلَا يَغْزِرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْأَلْبَانِ﴾ للمعاش سالين فإن عاقبتهم النار.

[٥] ﴿كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوْحٌ وَالْأَخْرَابُ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿وَمَنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يقتلوه ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقاب ﴿وَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ لهم؛ أي: هو واقع موقعه.

[٦] ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ بدل من «كلمة».

[٧] ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ مبتدأ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ عطف عليه

﴿يُسَبِّحُونَ﴾ خبره ﴿يَحْمَدُونَ رَبَّهُمْ﴾ ملاسین للحمد؛ أي: يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ - تعالى - بصفاتهم؛ أي: يصدقون بوحدانيته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وسعت رحمته كل شيء، وعلمك كل شيء ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من الشرك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ دين الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ النار.

(١) فائدة: أخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شجرة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام». أبو داود - كتاب السنة (٣٤) باب (١٩) في الجهمية، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٥٤).

(٢) وقيل: إن القائل هم المؤمنون، وقال ابن كثير: أي: ونطق الكون أجمعه - ناطقه وبهيمه - لله رب العالمين بالحمد؛ أي: في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.

(٣) أي إضافة المشتق من هذه الصفات؛ «غافر» و«قابل» و«شديد» لتعريف المضاف؛ ليصح أن يكون صفة للمعرفة؛ وهو لفظ الجلالة المتقدم في قوله: «من الله».

(٣) هود: ١١٩.

[٩] ﴿وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: عذابها ﴿وَمَنْ تَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْنَا وَكَذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّ إِلَٰهَ إِلَٰهَاتِكُمْ كَفَرُوا بِمَا دُرُّوا﴾ من قبل الملائكة، وهم يفتنون أنفسهم عند دخولهم النار: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ دُعِيتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفَرْتُمْ﴾.

[١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ﴾ إمامتين ﴿وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ إحياءتين؛ لأنهم نطفاً<sup>(١)</sup> أموات، فأحيوا، ثم أميتوا، ثم أحيوا للبعث ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ من النار، والرجوع إلى الدنيا، لنطيع ربنا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق، وجوابهم: لا.

[١٢] ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: العذاب الذي أنعم فيه ﴿بِأَنَّهُ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَلِإِنْ يَشْرِكْ بِهِ﴾ يُجعل له شريك ﴿تَوَيْمُوا﴾ تصدقوا بالإشراك ﴿فَلَنُكَفِّرَنَّ﴾ في تعذيبكم ﴿بِاللَّهِ الْعَلِيِّ﴾ على خلقه ﴿الْكَبِيرِ﴾ العظيم.

[١٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا مَنْ يَنْسِيَ﴾ يرجع عن الشرك.

[١٤] ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَفَرُوا لَكُنْتُمْ بِهِ خُلَافًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ فادعوا الله.

[١٥] ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ أي: الله عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه<sup>(٢)</sup> ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: قوله ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يُنذِرُ يخوف الملقى عليه الناس ﴿يَوْمَ النَّفَاقِ﴾ بحذف الياء وإثباتها<sup>(٣)</sup> يوم القيامة؛ لتلاقي أهل السماء والأرض، والعباد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه.

[١٦] ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخَوُّ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْئٌ﴾ لَمَّا أُلْهِمَ الْيَوْمَ يَقوله - تعالى - ويجب نفسه: ﴿لَهُ الْوَجْدُ الْفَهَّارُ﴾ أي: لخلقه.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادِلُونَ لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ دُعِيتُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفَرْتُمْ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَفَرُوا أَلْكَفَرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾ عطف على «هم» في: «وأدخلهم»، أو: في: «وعدتهم» ﴿وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

(١) كذا في بعض النسخ نصب «نطفاً» على الحال، والمناسب أن يقول: لأنهم كانوا، أو خلقوا نطفاً... اهد. من حاشية الصوري.

(٢) الله عز وجل خالق كل شيء، والإضافة هنا لأمر احتض به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواءه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٣) بالياء وصله ووفقاً لقراءة ابن كثير، وأثبتها ورش وصله فقط، وكذلك قالون بخلاف عنه.

[١١٧] ﴿الْيَوْمَ نَخْرِقُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (١).

[١١٨] ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ﴾ يوم القيامة؛ من أرف الرحيل: قوب ﴿إِذِ الْقُلُوبُ تَرْتَفَعُ خَوْفًا لَدَى﴾ عند ﴿الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ﴾ ممتلئين غمًا، حال من «القلوب»، عولت بالجمع بالياء والتون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ﴾ محب ﴿وَلَا شَفِيعَ يَطَاعُ﴾ لا مفهوم للوصف، إذ لا شفيع لهم أصلاً ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ (٢) أو له مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعا؛ أي: لو شفعا فرضاً لم يقبلوا.

[١١٩] ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: الله ﴿عَاقِبَةَ الْأَعْيُنِ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ القلوب.

[١٢٠] ﴿وَأَنَّهُ يَفْقِى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: كفار مكة، بالياء والتاء (٣) ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ يَتَقَى﴾ فكيف يكونون شركاء لله؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعالهم. [١٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وفي قراءة (٤) «منكم» ﴿قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ وما كان لهم من الله من وافي عذابه.

[١٢٢] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[١٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[١٢٤] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا﴾: هو ﴿سَجِرٌ كَذَّابٌ﴾.

[١٢٥] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ وَأَسْتَحْيُوا﴾ استبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِالْمُعْذِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ هلاك.

الْيَوْمَ نَخْرِقُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١٧﴾ وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يَطَاعُ ﴿١١٨﴾ يَعْلَمُ عَاقِبَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١١٩﴾ وَاللَّهُ يَفْقِى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُوبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا سَجِرٌ كَذَّابٌ ﴿١٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِالْمُعْذِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٢٥﴾

(١) سبق بيان أن هذا سبق قسم من المصنف رحمه الله، وانظر التعليق على الآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٢) الشعراء: ١٠٠.

(٣) بالناء قراءة نافع وهشام، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) لابن عامر.

إياي، فتنبهوه ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة: ﴿أَوْ﴾، وفي أخرى: يفتح الباء والهاء وضم الدال<sup>(١)</sup>.

[٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لقومه وقد سمع ذلك: ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وإن يك كذباً فعليه كذبه، أي: ضرر كذبه ﴿وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ﴾ مشرك ﴿كَذَابٌ﴾ مفتر.

[٢٩] ﴿يَقُولُ لَكُمْ أَلْمُلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غاليين حال ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ عذابه، إن قتلتم أوليائه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ أي: لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ طريق الصواب.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُوا إِنِّي لَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ أي: يوم حزب بعد حزب<sup>(٢)</sup>.

[٣١] ﴿مِثْلَ دَابِ قَوْصٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ «مثل» بدل من «مثل» قبله، أي: مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

[٣٢] ﴿وَيَقُولُوا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ بحذف الباء وإثباتها<sup>(٣)</sup>، أي: يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها وبالشفقة لأهلها وغير ذلك.

[٣٣] ﴿يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِنْ عَاصِرٍ﴾ مانع ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٧﴾  
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٨﴾  
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْتَلِهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاصْبِرْ عَلَى الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ كَذَابٌ ﴿٢٩﴾  
يَقُولُ لَكُمْ أَلْمُلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٠﴾  
وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُوا إِنِّي لَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣١﴾  
مِثْلَ دَابِ قَوْصٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣٢﴾  
وَيَقُولُوا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾  
يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ مَالِكُ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٤﴾

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم

(١) قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ شعبه وحمره والكسايني: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ حفص: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾.

(٢) أشار بذلك إلى أن قومه: ﴿يَوْمَ الْأَحْزَابِ﴾ مفرد في معنى الجمع، أي أبائهم؛ حيث إن هلاك الأحزاب المكذبين؛ كقوم نوح وغيرهم ممن كذب الرسل، لم يكن في يوم واحد.

(٣) بالياء قراءة ابن كثير وصلاً ووقفاً، وأثبتها ورش وصلاً فقط وكذلك قالون بخلاف عنه.



[٤٢] ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ﴾ الغالب على أمره ﴿الْفَقْرُ﴾ لن تاب.

[٤٣] ﴿لَا جُرمَ﴾ حقاً ﴿أَنَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ لأعبده ﴿لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ﴾ أي: استجابة دعوة<sup>(١)</sup> ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا﴾ مرجعنا ﴿إِلَى اللَّهِ وَارْتِ الْكُفْرَيْنِ﴾ الكافرين ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا عابتم العباد ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضْ أَمْرِي﴾ إلى الله ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال ذلك لما توعدوه بمخالفة دينهم.

[٤٥] ﴿فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِئَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ العرق.

[٤٦] ﴿ثُمَّ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ يحرقون بها ﴿عُدْوًا وَعَشِيًّا﴾ صباحاً ومساءً<sup>(٢)</sup> ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ﴾ يقال: ﴿(ادْخُلُوا)<sup>(٣)</sup>﴾ يا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الحاء، أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ عذاب جهنم.

[٤٧] ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ﴾ يتخاصم الكفار ﴿فِي النَّارِ﴾ فيقولون ﴿الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبُ﴾ جزاء ﴿مِنَ النَّارِ﴾.

[٤٨] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ فادخل المؤمنين الجنة والكافرين النار.

[٤٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي: قدر يوم ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾

﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ﴾ لا جرم إنما تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَارْتِ الْكُفْرَيْنِ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَمَسَدُكُمْ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا عُدْوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ

[٤١] ﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾

(١) وقيل: المراد ليس له دعوة ترجح له الألوهية، ولعله أقرب.

(٢) أي في عالم القبر والحياة البرزخية. قال ابن كثير في تفسيره: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور. اهـ.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿ادْخُلُوا﴾ بفتح الهمزة.



[٥٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الحزنة تهكماً: ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: فكفروا بهم ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾ أنتم، فإننا لا نشفع للكافرين، قال - تعالى -: ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ انعدام.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُؤَمِّمُ آلَهُمْ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم، لو اعتذروا ﴿وَلَهُمْ أَثَمَةٌ﴾ أي: البعد من الرحمة ﴿وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الآخرة؛ أي: شدة عذابها.

[٥٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوْفَيْنَا بِنِعْمِ إِسْرَءِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿الْكُتُبِ﴾ التوراة.

[٥٤] ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿وَذَكَرْنَا لِأَوَّلَى الْأَنْبِيَاءِ﴾ تذكراً لأصحاب العقول.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾ وأنت ومن تبعك منهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ ليستن بك ﴿وَسَيَحِبُّكَ﴾ صل متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَالْإِنْكَارِ﴾ الصلوات الخمس <sup>(٢)</sup>.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يَغْيِرُ سُلْطَنُ﴾ برهان ﴿أَنَّهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ تكبر وطمع أن يعملوا عليك ﴿مَّا هُمْ بِيَلْبِغُوا فَاسْتَعِذْ﴾ من شرهم ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم.

[٥٧] ﴿وَنَزَلَ فِي مُكْرِي الْبَحْثِ﴾ لخلق السموات والأرضين ابتداء ﴿أَكْثَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فهم كالأعمى، ومن يعلمه كالبصير.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ لا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ آلَ الْمُشْهَدِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْفَيْنَا بِنِعْمِ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابِ هُدًى وَذَكَرْنَا لِأَوَّلَى الْأَنْبِيَاءِ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَيَحِبُّكَ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ وَالْإِنْكَارِ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَنُ إِنَّهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْبِغُوا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُنَى قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكَّرُونَ

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وهو المحسن ﴿وَلَا الْمُنَى﴾ فيه زيادة «لا» <sup>(٣)</sup> ﴿قَلِيلًا﴾ مَا [يَتَذَكَّرُونَ] يتعظون، بالياء والتاء <sup>(٤)</sup>؛ أي: تذكركم قليل جداً.

(١) بالتاء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٢) يعني أن التسييح في هذين الوقتين يرد به الصلوات الخمس، وقيل: المراد صلاة العصر وصلاة الفجر، وقيل: هي صلاة كانت بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ ركعتان غدوة وركعتان عشية. والأقرب أن المراد بالتسييح أعم من الصلاة، فيشملها ويشمل تنزيهه - شُبْحَانَهُ - بالذكر والدعاء والإخلاص في العبادة والتوجه ونحو ذلك.

(٣) للتوكيد، لطول الكلام بالصلاة.

(٤) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّكُمْ تَوْفَقُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِعِبَادَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٩] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها. [٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٥) أي: اعبدوني أنيكم، بقرينة ما بعده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الحاء وبالعكس (١) ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين. [٦١] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي؛ لأنه يَبْصُرُ فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله، فلا يؤمنون. [٦٢] ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّكُمْ تَوْفَقُونَ﴾ كيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان. [٦٣] ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ﴾ أي: مثل إفك هؤلاء إفك ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِعِبَادَةِ اللَّهِ﴾ معجزاته ﴿يَجْحَدُونَ﴾. [٦٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفا ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. [٦٥] ﴿هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [٦٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾ دلائل التوحيد ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(٥) قائدة: أخرج الترمذي عن العثمان بن بشير عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال: «الدعاء هو العبادة»، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١)، ومن سورة المؤمن. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٥).

(١) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وشعبة. وقرأ بقية السبعة بالعكس.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مَتَّى ﴿ثُمَّ مِنْ عَقَّةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ يَبْقِيَكُمْ﴾ لِتَسْلُبُوا أَشْدَكُمْ ﴿تَكَامِلُ قَوَاتِكُمْ﴾ من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا﴾ بضم الشين وكسرهما <sup>(١)</sup> ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قل الأشد والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِيَسْلُبُوا أَجْلاً مُسَمًّى﴾ وقتاً محدوداً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ التوحيد فتؤمنون.

[٦٨] ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا فَضَعْنَا أَمْرًا﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فَلَنَبَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بضم النون وفتحها <sup>(٢)</sup> بتقدير «أن» أي: يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور <sup>(٣)</sup>.

[٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿يُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمان.

[٧٠] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآلِ كَتَّابٍ﴾ بالقرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا﴾ من التوحيد والبعث، وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عقوبة تكذيبهم.

[٧١] ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَغْطِقِهِمْ﴾ إذ بمعنى إذا ﴿وَالسَّلْسِلُ﴾ عطف على «الأغلال» فنكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: في أرجلهم، أو خبره: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ أي: يُجْرُونَ بها.

[٧٢] ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ أي: جهنم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يوقدون.

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تَبَكَّيْثًا: ﴿أَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[٧٤] ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ معه، وهي الأصنام؟ ﴿قَالُوا صَلُّوا﴾ غابرا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم ﴿بَلْ لَوْ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أنكروا عبادتهم إياها، ثم أحضرت <sup>(١)</sup>؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّا كُنَّا وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾ <sup>(٢)</sup>؛ أي: وقودها ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

[٧٥] ويقال لهم أيضًا: ﴿ذَلِّكُمْ﴾ العذاب ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح.

[٧٦] ﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا قِئْسٌ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَقَّةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَسْلُبُوا أَشْدَكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِيَسْلُبُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا فَضَعْنَا أَمْرًا لَنَبَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآلِ كَتَّابٍ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَغْطِقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْجَرُونَ ﴿٧٠﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧١﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٣﴾ ذَلِّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٤﴾ أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا قِئْسٌ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٥﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِنَّا نُرِيَنَّكَ فِيهِ ﴿٧٦﴾

[٧٧] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بعدابهم ﴿حَقٌّ فَكَأَيَّنَّا لِرَبِّكَ﴾ فيه «إن» الشرطية مدغمة، و«ما» زائدة، تؤكد معنى الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضُ الَّذِي يُؤْتِيكُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي: فذاك ﴿أَوْ تُؤَفِّقَكَ﴾ أي: قبل تعذيبهم ﴿فَلَنَبَا يُرْجَعُونَ﴾ فتعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط <sup>(١)</sup>.

(١) قرأ ورش وحقق وأبو عمرو وهشام وقالون بالضم، وقرأ شعبة وحزمة وابن كثير وابن ذكوان والكساوي بالكسر.

(٢) بالفتح قراءة ابن عامر، وقرأ الباقون بضم النون.

(٣) وفي هذا التفسير نظر؛ حيث إن الأمر والقول عبر الإرادة، وهذا الكلام مباه على مذهب المصنف رحمه الله في تأويل صفة الكلام بالكلام النفسي، وهذا خلاف مذهب السلف الذين يقولون - إن الله عز وجل - يتكلم بما شاء كيف شاء ومتى شاء.

(٤) أحاب به المفسر عما يغفل إن حمل الآية على هذا الوجه بخالف قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا كُنَّا وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَشَدُّ لَهًا وَرِدْوَةً﴾ (الأنبياء: ٩٨) فأجاب بأنهم أولاً تضلل عنهم الهتهم ويبتزلون، ثم تحضر وتقرن بهم.

(٥) الأنبياء: ٩٨.

(٦) أي: نقول: ﴿تُؤَفِّقُكَ﴾؛ لأن جواب ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوف كما تقدم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ  
وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ  
بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَفُتِنَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ  
هَٰذَا لِكِ الْمُبْطِلِينَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ  
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ  
وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى  
الْأَفْلاكِ تَحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ  
تُكْفِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ  
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ  
قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾  
فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَآئِدِهِمْ مِّنَ  
الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا  
بِأَسَافًا قَالُوا أَمَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ  
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسَافًا سُنَّتَ  
اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هَٰذَا لِكِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٥﴾

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾

منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مريبون ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿فُتِنَ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هَٰذَا لِكِ الْمُبْطِلِينَ﴾ أي: ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

[٧٩] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ قيل: الإبل خاصة هنا<sup>(١)</sup>، والظاهر: البقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٨٠] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الدَّر والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ﴾ السفن في البحر ﴿تَحْمَلُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: الدالة على وحدانيته ﴿تُكْفِرُونَ﴾ استفهام توبيخ، وتذكير «أي» أشهر من تأنيبه<sup>(٢)</sup>.

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا﴾ أي: الكفار ﴿بِمَآئِدِهِمْ﴾ أي: الرسل<sup>(٣)</sup> ﴿مِنَ الْعِلْمِ﴾ فرح استهزاء وضحك، منكبين له<sup>(٤)</sup> ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: العذاب.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسَافًا﴾ أي: شدة عذابنا ﴿قَالُوا أَمَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسَافًا سُنَّتَ اللَّهُ﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه<sup>(٥)</sup> ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ في الأمم، أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَسِرَ هَٰذَا لِكِ الْكَافِرِينَ﴾ تبين خسرانهم لكل أحد، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

\*\*\*

(١) أي: لأنها هي التي يوجد فيها المنافع الآتية في الآيات هنا.

(٢) أي: أشهر من تأنيبه.

(٣) الراحح أن المراد فرح الكفار بما عند أنفسهم من العلم؛ لا بما عند الرسل؛ ولذا افروه على ما جاءت به الرسل.

(٤) وعلى القول الراجح؛ يكون فرح إعجاب وجهل.

(٥) تقديره: سنَّ الله بهم سُنَّةً من قبلهم.

## سُورَةُ فَصَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كَتَبَ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ  
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ نَبِيًّا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ  
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نِفَاكُكُمْ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ  
وَفِيءًا ءَادَانَا وَقُرْءَانًا وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا لَكُمْ  
﴿٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ  
فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ لِلْمُصْرِكِينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ  
لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّا كُ  
لُنَا كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَانْدَادًا  
ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَايَاتٍ مِنْ قَوْعِهَا  
وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِ أَنْعَاءِ آيَاتٍ سَوَاءٍ  
لِلنَّاسِ لِيَذَرُوا النَّاسَ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ  
لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتِ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٩﴾

﴿لِلنَّاسِ لِيَذَرُوا النَّاسَ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتِ أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

﴿١١﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ قَصْدٌ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ هَٰذَا الْأَرْضُ أُتَيْنَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ في موضع الحال؛ أي: طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتِ أَتَيْنَا﴾ بمن فينا ﴿طَائِعِينَ﴾ فيه تغليب المذكر العاق، أو: نُزِّلْنَا لخطأ بهما منزلته.

## سُورَةُ فَصَّلَتْ

[مكية: ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد غافر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمجده به.  
[٢] ﴿تَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مبتدأ.  
[٣] ﴿كَتَبَ﴾ خبره ﴿فَصَّلَتْ﴾ بِنْتُ بِالْأحكام والقصاص والمواظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من «كتاب» بصفته <sup>(١)</sup> ﴿لِقَوْمٍ﴾ متعلق بـ«فصلت» ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون ذلك، وهم العرب.  
[٤] ﴿نَبِيًّا﴾ صفة «قرآنًا» ﴿وَنَذِيرًا﴾ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٥﴾ سماع قبول.  
[٥] ﴿وَيْلٌ لِلْمُصْرِكِينَ﴾ غلطية ﴿وَمِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ وَفِيءًا ءَادَانَا وَقُرْءَانًا ثقل ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين ﴿فَأَعْمَلْنَا لَكُمْ﴾ عني دينك ﴿إِنَّا كُفْرُونَ﴾ على ديننا.  
[٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ بِالْإيمان والطاعة ﴿وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِلْمُصْرِكِينَ﴾.  
[٧] ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ تأكيد ﴿كُفْرُونَ﴾.  
[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع.  
[٩] ﴿قُلْ إِنَّا كُفْرُونَ﴾ بتحقيق الهزيمة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهها وبين الأولى <sup>(٢)</sup> ﴿لَنَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الأحد والاثنتين <sup>(٣)</sup> ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَانْدَادًا﴾ شركاء ﴿ذَلِكَ رَبُّهُ﴾ أي: مالك ﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع عالم، وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون؛ تغليظًا للعلاقة.  
[١٠] ﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»؛ للفاصل الأجنيبي <sup>(٤)</sup> ﴿فِيهَا رِوَايَاتٍ﴾ جبالًا ثوابت ﴿مِنْ قَوْعِهَا وَبَرَكَ﴾ بكثرة المياه والزرور والضرور ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسم ﴿فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِي﴾ تمام ﴿أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: الجعل، وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء <sup>(٥)</sup> ﴿سَوَاءٍ﴾ منصوب على المصدر أي: استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص

(١) في بعض النسخ «حَمْدُ الشَّجْدَةِ» وعدد آياتها عند أهل المدينة وأهل مكة ثلاث وخمسون، وعد أهل الكوفة أربع وخمسون.

(٢) أي الكتاب؛ والمسمى أن المسوغ لشيء الحال منه مع كونه نكرة، هو وصفه بما بعده وهو جملة: ﴿فَصَّلَتْ آيَاتَهُ﴾.

(٣) قرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الهزمية الثانية بين يين مع إدخال ألف بينهما، وابن كثير وورش بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالإدخال مع التسهيل وتركه، والتسهيل مقدم له في الأداء، وبقية السبعة بالتحقيق من غير إدخال.

(٤) (٦)، تعين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه الخليلي هنا، أو في نحوها من الآيات، لا سند له، وهو مخالف لما قاله هو في تفسير سورة الفرقان آية (٥٩)، حيث قال: (من أيام الدنيا) أي: قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس.

(٥) وهو قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَانْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقوله: «مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»... إلخ» قال في حاشية الصاوي: «هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمع المعترضة، ولا يقال: إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغترف في التابع ما لا يغترف في التبوع؛ فالأولى إسقاط هذه العبارة، كما هو في بعض النسخ» اهـ.



وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ بَصِيرُوا فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ لَاهُوتٌ وَإِنْ تَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿١٤﴾ وَقَضَيْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرِيقًا لَّهُمْ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمُ الرُّسُلَ وَأَلَيْنَا الْقُرْآنَ فِي الْآخِرَةِ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمُ الرُّسُلَ وَأَلَيْنَا الْقُرْآنَ فِي الْآخِرَةِ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمُ الرُّسُلَ وَأَلَيْنَا الْقُرْآنَ فِي الْآخِرَةِ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمُ الرُّسُلَ وَأَلَيْنَا الْقُرْآنَ فِي الْآخِرَةِ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمُ الرُّسُلَ وَأَلَيْنَا الْقُرْآنَ فِي الْآخِرَةِ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴿٢١﴾ أَيُّ: إبليس وقايل (٢٢) سَأَلَ الْكُفْرَ وَالْقَتْلَ ﴿٢٣﴾ تَجْعَلُهُمَا نَحْتًا أَقْدَامُكُمْ فِي النَّارِ ﴿٢٤﴾ يَكُونُ مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٥﴾ أَيُّ: أَشَدَّ عَذَابًا مَنَا.

﴿٢١﴾ ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله - تعالى - كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياء، قادرٌ على إنطاق جلودكم وأعضائكم.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ولكن ظننتم عند استناركم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿وَذَلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمْ﴾ بدل منه ﴿الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ نعت، والخبر ﴿أَرَدْتُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿فَإِنْ بَصِيرُوا﴾ على العذاب ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَهُمْ﴾ وإن يستعْتَبُوا يطلبوا العتبي أي: الرضا ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ المرصين (٢).

﴿٢٥﴾ ﴿وَقَضَيْنَا﴾ سبنا ﴿لَهُمْ قُرْآنًا﴾ من الشياطين ﴿فَرِيقًا لَهُمْ﴾ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴿من أمر الدنيا واتباع الشهوات﴾ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴿من أمر الآخرة، بقولهم: لا بعث ولا حساب﴾ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴿بِالْعَذَابِ، وهو: ﴿لَا تَلَذَّاتُ جَهَنَّمَ﴾ الآية (١)﴾ ﴿فِي﴾ جملة ﴿أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٦﴾

﴿٢٦﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عند قراءة النبي ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوْءِ فِيهِ﴾ اتوا باللعط ونحوه، وصبحوا في زمن قراءته ﴿لَمَلِكُهُمْ﴾ فيسكت عن القراءة.

﴿٢٧﴾ قال الله - تعالى - فيهم: ﴿فَلْيَذِيقُوا الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا سَيِّئًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أفصح جزاء عملهم.

﴿٢٨﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الشديد وأشوأ الجزاء ﴿جَزَاءً أَعَدَّ اللَّهُ﴾ بتحقيق الهزيمة الثانية وإبدالها واو (٢) ﴿النَّارِ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ أي: إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ

(٢٠) ما جاء في نزول الآيات (٢٢ - ٢٤): أخرجه أحمد عن عبد الله (ابن مسعود) قال: كنت مستنيراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة غرة تفني وختاه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم. قال: فحدثوا بينهم حديث، قال: فقال أحدهم: أرى الله ﷻ يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع ما رفعنا، وما خفضنا لا يسمع، قال الآخر: إن كان يسمع شيئاً فهو يسمعه كله. قال: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ قال: فزلت: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ﴾. أحمد (١/٤٤٤)، وصححه الأرنؤوط في تخريجه على المسند (٢٧٣/٧).

وأخرجه في الصحيحين بدون ذكر الآيتين، وأخرجه الترمذي إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٢) ومن سورة حم السجدة.

(١) هود: ١١٩.

(٢) تحقيق الهزيمة الثانية هو قراءة حزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وإبدالها واوا هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) هذا القول مروى عن علي بن أبي طالب ؓ، وتُعب بأنه لا يصح عن علي ؓ، فإن قيس مؤمن عاصي. ويكون المقصود من قوله: ﴿الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: فريقي شاطئي النوعين المقيضين لهم الخاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين.

تَخَافُوا ﴿٣٠﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد؛ فنحن نخلفكم فيه ﴿وَابْتَهِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[٣١] ﴿تَحْنُ أُولَآئِكُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ أي: نحفظكم فيها ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ أي: نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تطلبون.

[٣٢] ﴿تُزَلَّ﴾ رزقا مهيشا، منصوب بالجعس مقدرًا ﴿وَمِنْ عَفْوَهِ رَحِيمٌ﴾ أي: الله.

[٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: لا أحد أحسن قولًا ﴿وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتهما؛ لأن بعضهما فوق بعض ﴿أَدْفَعُ﴾ السيفة ﴿يَأْتِي﴾ أي: بالحصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا أَلَدَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فـ«الذي» مبتدأ، و«كانه» الخبر، و«إذا» ظرف لمعنى التشبيه.

[٣٥] ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا﴾ أي: يؤتى الحصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أُولَآئِكَ حَقَّ ثَوَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٣٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي: يصرفك عن الحصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف؛ أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[٣٧] ﴿وَمَنْ ءَاتَيْتَهُ آيَاتِنَا﴾ وَالنَّهَارُ وَاللَّيْلُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴿٣٨﴾ أي: الآيات الأربع ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا تَسْجُدُونَ﴾.

[٣٨] ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: فاللائكة ﴿يَسْتَحْجُونَ﴾ يصلون ﴿لَمْ يَأْتِ لِلنَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالْقَمَرِ وَهُمْ لَا يَسْجُدُونَ﴾ لا يملون.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَكْفُرُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَلَا تَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٩﴾ تَحْنُ أُولَآئِكَ وَكُمُ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٤٠﴾ تَزَلَّ مِنْ عَفْوَهِ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أُولَآئِكَ حَقَّ ثَوَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٤٦﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٤٧﴾

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُنَّ بَانَ﴾ لَا

(٤٠) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: ﴿أَدْفَعُ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوه عصمهم الله ورضعهم لهم عدوهم ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة فصلت (٤١).



[٣٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاكُمْ لَمِجَى الْمَوْتِ إِنْكُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٠] ﴿إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من الحلد ولحد<sup>(١)</sup> ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب<sup>(٢)</sup> ﴿لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فنجازيهم ﴿أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد بهم.

[٤١] ﴿إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ بنجازيهم ﴿وَلَهُمْ لَكِنْتُ عَذِيبٌ﴾ منيع.

[٤٢] ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: الله الحمود في أمره.

[٤٣] ﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين.

[٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الذكر ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا هَذَا فَفُصِّلَتْ﴾ يثبت ﴿آيَاتُهُ﴾ حتى نفهمها ﴿أَلَمْ نَقْرَأْ﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِيًّا﴾ نبي ﴿عَزِيزٍ﴾ استفهام إنكار منهم، بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفاً، بإشباع ودونه<sup>(٣)</sup> ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِقَاءٌ﴾ من الجهل ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ﴾ نقل فلا يسمعونهُ ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: هم كالمنادي من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاتَّخِذْ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب، كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَرْبَهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَمَّا بَطَلْنَا الْفَكْرَ﴾ الرية.

[٤٦] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَلَعَلَّهَا﴾ أي: فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمَلِ﴾ أي: بذى ظلم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا لَدُّهُ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاكُمْ لَمِجَى الْمَوْتِ إِنَّكُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْنَا أَمْ يَلْجَأُ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَلَهُمْ لَكِنْتُ عَذِيبٌ ﴿٤١﴾ وَلَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴿٤٢﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٣﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٤﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِقَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٌ ﴿٤٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ؕ وَمَنْ أَسَاءَ فَلَعَلَّهَا يَضِلَّ وَإِنْ أَشَاءَ اللَّهُ لَا يَضِلُّ شَيْئًا لَدُّهُ ﴿٤٧﴾

(١) يشير إلى الفرائض، فيفتح الياء والحاء ﴿يُلْحِدُونَ﴾ قرأ حمزة، من «لحد» الثلاثي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء.

(٢) ومن الإلحاد في آيات الله تحريفها وتأويلها بغير ما قصد منها.

(٣) هذا سبق قلم من المفسر كقولهم، والصواب أن يقال: وتسهيل الثانية بإشباع ودونه؛ فالإشباع: هو إدخال ألف بين الحقة والسهلة، وعدمه: هو ترك الإشباع. قرأ حمزة والكسائي وشعبة بتحقيق الهمزة الثانية، وقرأ قبل وهشام - بخلاف عنهما - بالجر، والباقون بالاستفهام مع التسهيل بين يين، وكل على أصله.

(٤) النساء: ٤.

[٤٨] ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَوُطِّنُوا﴾ أبقوا ﴿مَّا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين<sup>(٢)</sup> معلق عن العمل، وحيلة النفي<sup>(٣)</sup> سُدَّتْ مسد المفعولين.

[٤٩] ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥٠] ﴿وَلَكِنْ لَمْ يَنْصَرِفْ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥١] ﴿وَلَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥٢] ﴿وَلَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥٣] ﴿وَلَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥٤] ﴿وَلَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

\*\*\*

﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذُنَاكَ مَا مَتَّانَ مِنْ شَهِيدٍ﴾ ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَطُنُوا مَّا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ ﴿وَلَكِنْ أَدْفَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهُ لِيَقُولَ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ فَلَنُتَيَسَّلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُودُ دُعَاءِ عَرِيضٍ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمَرٌ كَقَرْطَمٍ يَبْدُو مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿سَرُّهُمْ أَيْتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تكون، لا يعلمها غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup> ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها؛ جمع ﴿كَمٍّ﴾ بكسر الكاف، إلا يعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذُنَاكَ﴾ أعلمناك الآن ﴿مَّا مَتَّانَ مِنْ شَهِيدٍ﴾ أي: شاهد بأن لك شريكاً.

(١) حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿ثَمَرَاتٍ﴾.

(٢) أي في قوله: ﴿مَّا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾، فالتنفي فيها معلق لكل من: ﴿أَذْنُ﴾، و﴿طُنَّ﴾ عن العمل لفظاً لا محلاً.

(٣) أي: في الموضعين: في قوله: ﴿مَّا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾، وقوله: ﴿مَّا مَتَّانَ مِنْ شَهِيدٍ﴾؛ فالجملة الأولى سُدَّتْ مسد مفعولي ﴿وُطِّنُوا﴾، والثانية. سُدَّتْ مسد المفعول الثاني لـ ﴿أَذْنُ﴾، ومما المفعول الأول فهو كاف الخطاب في ﴿أَذْنُكَ﴾.

(٤) وهي قراءة ابن ذكوان. وقرأ بقية السبعة: ﴿وَنَاتَى﴾.

(٥) أي: قوله: ﴿مِمَّنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

## سُورَةُ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ  
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ  
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي  
 الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا  
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ  
 ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ  
 حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْبَابٍ فِيهِ فِرْقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقٌ فِي  
 السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ  
 يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ  
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ  
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ  
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝

أُولَىٰ ۝ أي: الناصر للمؤمنين، والفاء مجرد العطف ۝ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝.

[١٠] وَمَا اخْتَلَفْتُمْ ۝ مع الكفار ۝ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ ۝ من الدين وغيره ۝ فَحُكْمُهُ ۝ مردود ۝ إِلَى اللَّهِ ۝ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم: ۝ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ أَرْجِعْ.

## سُورَةُ الشُّورَى

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ الآيات الأربع، ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد فصلت]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] حَمَّ ۝

[٢] عَسَقَ ۝ الله أعلم بمراحه به.

[٣] كَذَلِكَ ۝ أي: مثل ذلك الإحياء ﴿يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ﴾ أوحى ۝ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ۝ فاعل الإحياء ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٤] لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۝ ملكاً وخلقاً وعبداً ۝ وَهُوَ الْعَلِيُّ ۝ عسى خلقه ۝ الْعَظِيمُ ۝ الكبير.

[٥] تَكَادُ ۝ بالناء والياء <sup>(١)</sup> ﴿السَّمَوَاتُ﴾ يَتَفَطَّرُونَ ۝ بالنون <sup>(٢)</sup>، وفي قراءة بالناء والتشديد ۝ مِنْ فَوْقِهِنَّ ۝ أي: تنشق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله - تعالى - ۝ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۝ أي: ملاسین للحمد ۝ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۝ من المؤمنين ۝ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ ۝ لأوليائه ۝ الرَّحِيمُ ۝ هم.

[٦] وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۝ أي: الأصنام ۝ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ حَفِيفٌ ۝ مُخَصَّصٌ عَلَيْهِمْ ۝ ليجازيهم ۝ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ تحصل المطلوب منهم وما عليك إلا البلاغ.

[٧] وَكَذَلِكَ ۝ مثل ذلك الإحياء ۝ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ ۝ تَخْذِفُ ۝ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۝ أي: أهل مكة وسائر الناس ۝ وَنُنْذِرَ ۝ النَّاسَ ۝ يَوْمَ الْجُمُعِ ۝ يوم القيامة، تجتمع فيه الخلائق ۝ وَلَا رَيْبَ ۝ شك ۝ فِيهِ فِرْقٌ ۝ منهم ۝ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقٌ فِي السَّعِيرِ ۝ النار.

[٨] وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ۝ أي: على دين واحد، وهو الإسلام ۝ وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۝ وَالظَّالِمُونَ ۝ الكافرون ۝ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ يدفع عنهم العذاب.

[٩] أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۝ أي: الأصنام ۝ أَوْلِيَاءَ ۝ أم منقطعة بمعنى «بل» التي للانتقال، والهمزة للإنكار <sup>(٣)</sup>؛ أي: ليس المتخذون أولياء ۝ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ

(١) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾.

(٣) في نسخة القاضي كنعان: «وهمرة الإنكار» أي: إن «أم» بمعنى: همزة الإنكار.

﴿يَذَرُوكُمْ﴾ بالمعجمة؛ يخلفكم ﴿فِيهِ﴾ في الجغل المذكور؛ أي: يكثركم بسببه بالوولد، والضمير للأناسي والأنعام بالغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الكاف زائدة؛ لأنه - تعالى - لا مثل له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْبَصِيرُ﴾ لما يفعل.

[١٢] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائنها؛ من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّهُ يَكِلُ شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة<sup>(١)</sup> ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَن يَبْلُغُوا الدِّينَ﴾ ولا تفرقوا فيه؛ هذا هو المشروع الموصى به، والموصى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَرَّ﴾ عظم ﴿عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ما ندعوهم إليه من التوحيد ﴿أَنَّهُ يَجْعَلِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حُجَّتًا﴾ إلى التوحيد ﴿مَن يَشَاءُ وَيَهْدِ إِلَى اللَّهِ مَن يُنِيبُ﴾ يقبل إلى طاعته.

[١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ أي: أهل الأديان في الدين، بأن ومحد بعض، وكفر بعض ﴿إِلَّا مَن بَعَثَ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالتوحيد ﴿بَعَثْنَا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾ فإذ ذلك قَادَعُ وَأَسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَلَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ

[١٥] ﴿فَإِذْلِكُ﴾ التوحيد ﴿قَادَعُ﴾ يا محمد الناس ﴿وَأَسْتَقَمَ﴾ عليه ﴿كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي: بأن أعدل ﴿بَيْنَكُمْ﴾ في الحكم ﴿أَنَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ فكأن يجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾ خصوصاً ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد ﴿أَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع.

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ ﴿فَإِذْلِكَ قَادَعُ وَأَسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ

[١١] ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا

(١) أي أول الرسل الذين جاءوا بشرية شاملة؛ كما في حديث الشفاعة المشهور في الصحيحين وغيرهما، وفيه: «ولكن اثنا نوحاً؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»، وأما آدم فإنه أول نبي.

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي دِينٍ﴾ الله ﴿نبيه﴾ ﴿مَنْ بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ بالإنسان، لظهور معجزته <sup>(١)</sup> وهم اليهود ﴿وَجَنَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يَالْحَقُّ﴾ متعلق به ﴿أَنْزَلَ﴾ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ يُعَلِّمُكَ ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ أي: إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴾ والعل، معلق للفعل <sup>(٢)</sup> عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين.

[١٨] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يقولون: متى تأتي؟ ضلّا منهم أنها غير آتية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ الْآءِ إِنَّ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ ﴿يَجَادِلُونَ﴾ فِي السَّاعَةِ لِيَصْلَحَ بَعِيدٌ.

[١٩] ﴿إِنَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ بَرَّهُمْ وَفَاجَرَهُمْ؛ حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره.

[٢٠] ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أي: كسبها، وهو الثواب ﴿زُذِّلَ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بالتضعيف فيه؛ الحسنه إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفِثَ مِنْهَا﴾ بلا تضعيف، ما قُسم له ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

[٢١] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَاءُ﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُوا﴾ أي: الشركاء ﴿لَهُمْ﴾ للكفار ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي: القضاء السابق، بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَلِإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿وَمَا كَسَبُوا﴾ في الدنيا من السيئات، أن يجازوا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي: الجزاء عليها ﴿وَأَقْعَمَ بِهِمْ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ﴾ الْجَنَّاتِ ﴿أَنْزَهَا﴾ بالنسبة إلى من دونهم ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

(١) في نسخة القاضي: «معجزاته».

(٢) وهو: «يدريك».

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفِثَ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مَنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

القول وغيره، وقد فعل<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَنْ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحِثُّ الْحَقَّ﴾ يشته ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِ يَدَاتُ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٢٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ المُنَابِغَ عَنْهَا ﴿وَيَعْلَمُ مَا يُفْعَلُونَ﴾ [بالياء والناء<sup>(٣)</sup>].

[٢٦] ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون<sup>(٤)</sup> ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَالْكَافِرُونَ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ.

[٢٧] ﴿وَلَوْ سَئَلُوكَ الرَّزْقَ لِيَعْبَادِهِ﴾ جميعهم ﴿لَعَرَّأَ﴾ جميعهم؛ أي: طغوا ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٥)</sup>؛ من الأزراق ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ فيسقطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّمَا يَعْبَادُونِي﴾ خَيْرٌ بِصِيرٍ.

[٢٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ المطر ﴿مِنْ بَيْنِ مَا قَنَطُوا﴾ يشسوا من نزوله ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ يسط مظهره<sup>(٦)</sup> ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ الحسن للمؤمنين ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحمود عندهم.

[٢٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلق ﴿مَّا بَيْنَ﴾ فوق ونشر ﴿فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض<sup>(٧)</sup> من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ للحشر ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ في الضمير تغليب العاقل على غيره.

[٣٠] ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين<sup>(٨)</sup> ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ بلية وشدة ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: كسبت من الذنوب، وعبر بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها؛ فلا يجازي عليه، وهو - تعالى - أكرم من أن ينشي الجزاء في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة.

[٣١] ﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾ يا مشركون ﴿بِمُعْجِزَاتِ﴾ الله هرباً ﴿فِي الْأَرْضِينَ﴾ فتفوتوه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عذابه عنكم.

ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿فَلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ وَمَنْ يَقْرَأْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلْنَا عَلَى اللَّهِ كِتَابًا وَإِنَّا بِشَيْءٍ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِثُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٣﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَلَوْ سَئَلُوكَ الرَّزْقَ لِيَعْبَادِهِ لَبَعَثُوا إِلَّا لَأَنزِلُ لَكِن يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَيْنِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٣٨﴾ وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٤٠﴾

[٢٣] ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَنْشُرُ﴾ من البشارة مخففاً ومثلاً<sup>(١)</sup> به ﴿اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فُلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴿عَلَى تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ﴾ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴿اسْتِنَاءَ مَنْطِقٍ﴾ أي: لكن أسألكم أن تؤثروا قرابتي، التي هي قرابتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَنْ يَقْرَأْ﴾ يكتب ﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيضاعفه.

[٢٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَنَزَّلْنَا عَلَى اللَّهِ كِتَابًا﴾ بنسبة القرآن إلى الله - تعالى - ﴿إِنَّا يَسِّرَ اللَّهُ يَخْتِمْ﴾ يربط ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا

(١) ﴿يَنْشُرُ﴾ مخففاً قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿يَنْشُرُ﴾.

(٢) الراجح وعليه أكثر المفسرين أن هذه الآية كقوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ بِكُلِّ سَلَاةٍ لَقُلْتَ سَخِرَ بِي سُلَاطِنُ الْأَرْضِ﴾، والمراد منها الاستشهاد على بطلان ما قالوا ببيان أنه لا شيء لو أنزل على الله كتاباً لنعمة من ذلك قطعاً فحتم على قلبه بحيث لم يخطر بباله معنى من معانيه، ولم ينطق بحرف من حروفه، وهذا الأسلوب مؤداة استبعاد الافتراء من مثله ﷺ.

(٣) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بataan.

(٤) فهو الْإِلَهِيُّ في موضع نصب، وقيل: بل في موضع رفع، والمعنى يستجيبون لربهم فيقادون له ويلبسون دعوته، فإذا فعلوا ذلك شكر لهم ورادهم توفيقاً ونشاطاً على العلم ومضاعفة في الأجر. وهذا القول أقرب، والله أعلم.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٦) الصحيح أن الرحمة صفته - سبحانه وتعالى - وهي غير المطر، وهو من آثار رحمته، التي هي أعم ووسعت كل شيء.

(٧) ظاهر الآية يفيد ما يدب على السماء كذلك من ملائكة، وبه قال بعض المفسرين، بل ذهب بعض الباحثين إلى وجود حيوانات كحيوانات الأرض ولوارم حياتها من نباتات وأشجار وبحار وأنهار هنالك، واستبعده غيرهم من أهل العلم.

(٨) الظاهر أن الخطاب عم للمؤمنين وغيرهم.



الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٤٦﴾ بتخليدهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة، لو آمنوا، والموصول: خبر «إن» ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ دائم، هو من مقول الله تعالى ..

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ يَصُورُهُمْ بَيْنَ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره، يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ قَدْ لَمَّ مِنْ سَبِيلِ﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة.

[٤٧] ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿وَمَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يرده ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ﴾ تلجؤون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ إنكار للنزوبكم.

[٤٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ تحفظ أعمالهم، بأن توافق المطلوب منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَيَا إِدَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَتَا رَحْمَةً نَعْمَةٌ﴾ كالغنى والصحة ﴿فَرِحَ بِهَا وَلِنْ نَصْنَعُهُمُ﴾ الضمير للإنسان باعتبار الجنس ﴿سَيِّئَةً﴾ بلاء ﴿هِيَمَا قَدَمَتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: قدّموه، وغير بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تراول بها ﴿فَإِنْ الْإِنْسَانَ كَفُورًا﴾ للنعمة.

[٤٩] ﴿بَلَلَهُ مَلَأْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَلْقٍ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من الأولاد ﴿وَيَنْتَأَى وَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذِّكْرُ﴾.

[٥٠] ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ أي: يجعلهم ﴿ذُرِّيًّا وَابْنًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ بما يخلق ﴿فَدِيرٌ﴾ على ما يشاء<sup>(١)</sup>.

[٥١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا﴾ أن يوحى إليه ﴿وَحَيًّا﴾ في المنام أو بإلهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿وَرَأَى حِجَابًا﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه؛ كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿رُسُلًا﴾ ملكًا كجبريل ﴿فَيُوحِي﴾ الرسول إلى المرسل إليه؛ أي: يكلمه ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: الله ﴿وَمَا يَشَاءُ﴾ الله ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ عن صفات المحدثين<sup>(٢)</sup> ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ ﴿٤٧﴾ من طرف خفي ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ألا إن الظالمين ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ سَبِيلِ﴾ ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ إن عليك إلا البلاغ ﴿وَيَا إِدَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَتَا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ ﴿إِنَّهُ وَعَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾

[٤٥] ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: النار ﴿خَشِيعَاتٍ﴾ متواضعات ﴿مِنْ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ﴾ ضعيف النظر، مسارقة، ومن ابتدائية، أو بمعنى الباء ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ﴾

(١) النعمة من آثار الرحمة، وهذا يلزم منه إثبات صفة الرحمة صفة لله قائمة بذاته.

(٢) الصواب عدم تقييد القدرة بالمشيئة، فظاهر القرآن إثبات القدرة المطلقة، وهذا هو الأكمل والأحسن في الصفة. وما أثبت المفسر كقوله إنما هو منه جرياً على طريقة الأشاعرة.

(٣) وهذا من قصر العلم على بعض أفرادها؛ فضلاً عن كون هذه العبارة موهمة ويستخدمها البعض لنفي الصفات الناجية لله تعالى، والآية من أدلة إثبات صفة العلم التام لله تعالى ذاتاً وقهراً وشأناً.



وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ  
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا  
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ  
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِلَٰهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ  
وَيُعْطِي السَّعِيرِينَ ﴿٥٣﴾

## سُورَةُ الزُّحْرِفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿٥١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَنْبِيَاءِ  
لَعَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا  
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ ﴿٥٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي  
الْأَوَّلِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٧﴾  
فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٨﴾  
وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ  
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٥٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ  
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٠﴾

[٥١] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمَضَى﴾ سبق  
في آيات ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك.  
[٥٢] ﴿وَلَكِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾  
حذف منه نون الرفع؛ لتوالي التورات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين  
﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ آخر جوابهم أي: الله ذو العزة والعلم.  
[٥٣] زاد - تعالى -: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فإرشا كالمهد  
للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى  
مقاصدكم في أسفاركم.

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إباحتنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَا  
إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآن، به تحيا القلوب ﴿وَمِن أَمْرِنَا﴾ الذي  
نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ القرآن  
﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: شرائعه ومعالجه، والنفي معلق للفعل عن العمل، وما بعده  
سد مسند المفعولين ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الروح، أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِ﴾  
من نشاء من عبادنا ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾  
﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.  
[٥٣] ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا  
وعبيدا ﴿إِلَّا إِلَهُ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ترجع.

## سُورَةُ الزُّحْرِفِ

[مكة، وقيل: إلا: ﴿وَسَلَّ مَن أَرْسَلْنَا﴾ الآية،  
تسع وثمانون آية، نزلت بعد الشورى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمراده به.  
[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه  
من الشريعة.  
[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أوجدنا ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب  
﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون معانيه.  
[٤] ﴿وَأَنَّهُ﴾ مثبت ﴿فِي أُولَى الْأَنْبِيَاءِ﴾ أصل الكتب؛ أي: اللوح  
المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ بدل عندنا ﴿لَعَلَىٰ﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٍ﴾ ذو  
حكمة بالغة.  
[٥] ﴿أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ نمنسك ﴿الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾  
إمساكا، فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل ﴿أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ﴾  
مشركين؟ لا.  
[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾.  
[٧] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾  
كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

(١) تفسير الجمل بالإيجاد مبني على القول بخلق القرآن، والصواب تفسيره بالإزلال أو نحوه، مما ذكر أصحاب السنة من المفسرين؛ كابن جرير والبخاري وغيرهما؛ لأنه جعل هنا متعلقا إلى مفعولين، فلا يكون بمعنى الخلق والإيجاد، بل بمعنى التصيير ونحوه.

وهو مجرور في الأول<sup>(١)</sup>، أي: فيه، منصوب في الثاني<sup>(٢)</sup>.

[١٣] ﴿لِيَسْتَوِيَا﴾ لتستويا ﴿وَعَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ ذكر الضمير، وجمع الظهر؛ نظرا للفظ «ما» ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِمُقْرِنِينَ﴾ مطيقين.

[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup> لمنصرفون.

[١٥] ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء من الولد، والملائكة من عباد - تعالى - ﴿إِنَّا إِلَهُكُمْ﴾ القائل ما تقدم ﴿لِكُفُّورِ سُبُوحِ رَبِّكَ﴾ يبين ظاهر الكفر.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر؛ أي: أقولون ﴿أَتَتَّخِذَ يَمَانًا﴾ يتخلى بآيات نفسه ﴿وَأَصْفَكَم﴾ أحلصكم ﴿يَالْيَتِيمَ﴾ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المتكبر.

[١٧] ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ جعل له شبهة بنسبة البنات إليه؛ لأن الولد يشبه الولد؛ المعنى: إذا أخبر أحدهم بالبنات تولد له ﴿ظَلًّا﴾ صار ﴿وَجَعَلُوا مَسْوِدًا﴾ متغيرا تغير معتمدا ﴿وَهُوَ كَلِيمٌ﴾ عتسى غمًا، فكيف ينسب البنات إليه، تعالى عن ذلك.

[١٨] ﴿أَوْ﴾ همزة الإنكار، واو العطف، بجملة<sup>(٤)</sup>؛ أي: يجعلون لله ﴿مَنْ يُنْشِئُ فِي الْجَنَّةِ الزَّيْنَةَ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ مظهر الحجة<sup>(٥)</sup>؛ لضعفه عنها بالأنوثة!

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ لَهُنَّ شَهِدَاتٍ﴾ حضروا ﴿خَلَقَهُمْ سَكَنًا﴾ شهادتهم ﴿بأنهم إنا﴾ ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها في الآخرة، فيرتب عليهم العقاب.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ أي: الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راض بها، قال - تعالى -: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿وَمِنْ عِلْمِنَا﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْضَعُونَ﴾ يكذبون فيه، فيرتب عليهم العقاب به.

[٢١] ﴿أَمْ أَنَبَّيْنَاهُمْ سَكَنًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن، بعبادة غير الله ﴿فَهُمْ بِهِ سَمْتَمِسُونَ﴾ أي: لم يقع ذلك.

[٢٢] ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ غَائِبًا عَلَيْنَا أَنَّهُ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون ﴿عَلَيْنَا أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٤﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٦﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكَم بِالْبَنِينَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٩﴾ أَوْ مَنْ يُنْشِئُ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَنًا شَهِدَتْهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿٢١﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ أَتَيْنَهُمُ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢٣﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ غَائِبًا عَلَيْنَا أَنَّهُ مُهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

[١١] ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ أي: بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفانا ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ﴾ أحيينا ﴿بِهِ﴾ بِلَدَةٍ مَيْتًا كَذَلِكَ ﴿أَي: مثل هذا الإحياء﴾ تُخْرَجُونَ ﴿من قبوركم﴾ أحياء.

[١٢] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ السَّفَنَ﴾ السفن ﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ تحذف العائد اختصارًا،

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا، ثم قال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِمُقْرِنِينَ﴾ ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا... الحديث. مسلم - كتاب الحج (١٥) باب (٧٥) ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.

(١) أي: إذا أعيد إلى الفلك، والمعنى: «جعل لكم من الفلك ما تركبون».

(٢) أي: إذا أعيد إلى الأنعام، والمعنى: «جعل لكم من الأنعام ما تركبون».

(٣) أي: هما كلمتان حرفان، لا كلمة واحدة.

(٤) هي نسخة القاصي كنعان: «الحجة».

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَكُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَمَعْمُورُونَ﴾ متبعون.

[٢٤] ﴿إِنْ أَفْئِدَتُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ لَا تَرَوْنَ عَنْكُمْ ظَنَنًا مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ عَلٰىٰ عَذَابِكُمْ فِي شَكٍّ﴾ لهم: ﴿أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ذلك ﴿وَلَوْ جِئْتُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ لَقَالَ بَلْ أَنْتُمْ مَكِيدُونَ﴾.

[٢٥] قال - تعالى - تخوفنا لهم: ﴿فَأَنقَضْنَا بِغِيظِكُمْ إِلَٰهَهُمْ وَأَقْبَلْنَا إِلَهُكَ﴾ أي: من المكذبين للرسول قبلك ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾.

[٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ اذكر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

[٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿فَإِنَّمَا سَيِّدُنِي﴾ يرشدني لدينه.

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: كلمة التوحيد<sup>(١)</sup> المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِي﴾<sup>(٢)</sup> ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم.

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءَ﴾ المشركين ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ ولم أعجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية، وهو محمد ﷺ.

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٣١] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا رَبٌّ لَدُنَا يُخَوِّفُ هَٰؤُلَاءَ﴾ هلا ﴿نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَيْيَةِ﴾ من أمة منها ﴿عَظِيمٍ﴾ أي: الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

[٣٢] ﴿أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ النبوة ﴿وَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ فَاعْلَمْتُمُ فِي الْآخِرَةِ الَّذِينَ﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿وَوَفَعْنَا بَعْضَهُمُ الْغَنَىٰ فُوقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمُ الْغَنَىٰ الْفَقِيرَ سَخِرَآً﴾ مسخراً في العمل له بالأجرة، والياء للنسب، وقرئ<sup>(٤)</sup> بكسر السين ﴿وَرَحِمَتْ رَبِّكَ﴾ أي: الجنة<sup>(٥)</sup> ﴿حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ في الدنيا.

[٣٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الكفر ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَكُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَمَعْمُورُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْ بِآيَاتِهِمْ وَإِنَّمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُمْ كُفْرًا قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانقَضْنَا بِغِيظِكُمْ إِلَٰهَهُمْ وَأَقْبَلْنَا إِلَهُكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا رَبٌّ لَدُنَا يُخَوِّفُ هَٰؤُلَاءَ نَزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَيْيَةِ ﴿٣١﴾ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ فَاعْلَمْتُمُ فِي الْآخِرَةِ الَّذِينَ أَوْفَعْنَا بَعْضَهُمْ فُوقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمُ الْغَنَىٰ سَخِرَآً وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوقِئَهُمْ سُلُوفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوقِئَهُمْ بدل من «لمن» ﴿سُلُوفًا﴾ بفتح السين وسكون القاف، وبضمهما<sup>(١)</sup>؛ جمعا ﴿مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ كالدرج من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يعلون إلى السطح.

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿قَالَ﴾.

(٢) المراد بقوله: (وجعلناها) يحتمل أن يكون الله ﷻ، ويحتمل أن يكون إبراهيم - عليه السلام -؛ فوالان للمفسرين، ويدل على الثاني قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَيْبًا وَنَقُوبٌ﴾ الآية.

(٣) الصفات: ٩٩. وقوله: «المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِي﴾» لعله سبق قلم، والصواب أن يقول: المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

(٤) أي: شذوذاً.

(٥) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي نفسها.

(٦) بالإنفراد؛ بفتح السين وسكون القاف، قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بضمها.

[٣٦] ﴿وَمَنْ يَعْشُ يَعْرِضْ﴾ يعرض ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: القرآن ﴿تَفْقِضْ﴾ نسب ﴿كَلِمَ شَيْطَانًا فَهُوَ لَمْ يَقْرَأْ﴾ لا يفارقه.

[٣٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الشياطين ﴿يَكِيدُونَهُمْ﴾ أي: العاشين ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ في الجمع رعاية معنى «من».

[٣٨] ﴿حَقًّا إِذَا جَاءَنَا﴾ أي: العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ لَهُ﴾ أي: للتبصير ﴿لَتَنبِيْهِ﴾ لَتَنبِيْهِ ﴿لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: مثل بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَيَنْسُ الْقَرِيْنَ﴾ أنت لي.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿وَلَنْ يَفْعَلْكُمْ﴾ أي: العاشين، تَمَكِّمُكُمْ وَتَدْعُكُمْ ﴿أَلَيَّومَ إِذْ تُلْقِمُنَّ﴾ أي: تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنكُمْ﴾ مع قرنائكم ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾ علة بتقدير اللام؛ لعدم النفع، و«إذ» بدل من «اليوم».

[٤٠] ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى أَوْ تُبْصِرُ الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فإما نَذَهَبَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿أَوْ يُرِيكَ الْأَذَى﴾

وَعَدَنَّهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾

[٤١] ﴿فَلَمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿نَذَهَبَ بِكَ﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فَلَمَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ في الآخرة.

[٤٢] ﴿أَوْ يُرِيكَ﴾ في حياتك ﴿الَّذِي وَعَدْتَهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَلَمَّا عَلَيَّهِمْ﴾ على عذابهم ﴿مُقْتَدِرُونَ﴾ قادرون.

[٤٣] ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّشَرَفٍ﴾ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴿لِنُزُولِهِ بِلَغْنِهِمْ﴾ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿عَنِ الْقِيَامِ بِحُفِّهِ﴾.

[٤٥] ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا غَيْرَهُ﴾ أي: غيره ﴿إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ قيل: هو على ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل: المراد أمم من أي أهل الكتابين، ولم يسأل على واحد من القولين؛ لأن المراد من الأمر بالسؤال: التقرير لمشركي قريش، أنه لم يأت رسول من الله، ولا كتاب عبادة غير الله.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أي: القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾.

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾.

وَيُؤَيِّنُهُمْ أَوْلِيَاءَ وَسُرَّرَ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿وَزُخْرُفًا وَنَاقَةً﴾ كَلْ ذَلِكَ لِمَن مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ فَقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَمْ يَقْرَأْ﴾ وَتَنْبِيْهِ ﴿لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ وَأَنَّهُمْ لَيَصَدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿حَقًّا إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ فَيَنْسُ الْقَرِيْنَ ﴿وَلَنْ يَفْعَلْكُمْ أَلَيَّومَ إِذْ تُلْقِمُنَّ أَكْثَرُ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿فَلَمَّا نَذَهَبَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ أَوْ يُرِيكَ الْأَذَى وَعَدَنَّهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾

[٣٤] ﴿وَيُؤَيِّنُهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ من فضة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ﴾ ﴿شُرَكَاءَ﴾ من فضة، جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ذهبًا، المعنى: لولا اخوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطياه ذلك؛ لقلة خطر الدنيا عندها، وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وَأَن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَلْ ذَلِكَ﴾ ﴿لَمَّا﴾ بالتخفيف، ف«ما» زائدة، وبالتشديد (١) بمعنى «إلا ف«إن» نافية ﴿مَنْ كُنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

(١) بالتخفيف قراءة السبعة عدا عاصم وحزمة، وهشام بخلاف عه.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿جاءنا﴾.



عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٣﴾ يَسَّ الْعَادَاةَ.

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة، من أمر الدين وغيره، فيبين لهم أمر الدين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٥] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ في عيسى؛ أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة ذهاب ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٦٦] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ﴾ بعضهم لبعض عدوٌّ ﴿إِلَّا الْمُسْقِينَ﴾ يعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴿وَلَكُمْ فِيهَا الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْفِئْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لكم فيها فلكه كثيرة منها تأكلون ﴿٧٢﴾

[٦٧] ﴿الْأَخْلَاءَ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة، متعلق بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين في الله على طاعته، فإنهم أصدقاء.

[٦٨] ويقال لهم: ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

[٦٩] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت لعبادي ﴿وَيَايُنَا﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

[٧٠] ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ زوجانكم ﴿تَحْبَرُونَ﴾ تسرون وتكرمون، خبر المبتدأ.

[٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾ بقصاع ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب؛ وهو: إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ تَلَذُّ﴾ وتلذذ ﴿وَلِلَّذِينَ الْأَعْيُنُ﴾ نظرا ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٧٢] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْفِئْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَلَكَهٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا﴾ أي: بعضها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله.

وَإِنَّهُ وَلِعَلَّ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٧١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٧٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٧٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٧٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٧٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٦﴾ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُسْقِينَ ﴿٧٧﴾ يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٩﴾ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٨٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿٨١﴾ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي أَوْفِئْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾ لَكُمْ فِيهَا فَلَكَهٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٤﴾

[٦١] ﴿وَابْتَهِ﴾ أي: عيسى ﴿لِعَلَّ لِّلْسَاعَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ﴾ أي: تشكروا فيها، حذف منه نون الرفع للجرم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَقُلْ لَهُمْ﴾ ﴿أَتَتُونِي﴾ على التوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ﴾ يصرفكم عن دين الله ﴿الشَّيْطَانُ﴾ إِنَّهُ لَكُمْ

(٥) هائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تحبوا فلا تقوتوا أبداً، وإن لكم أن تحبوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تعملوا فلا تبأسوا أبداً» فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا فَلَكَهٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١) سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٨).



## سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ۝  
 إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَفَمَنْ أَتَاكُمْ  
 مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ  
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝  
 إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ  
 وَرَبَّ عَابِدِكُمْ ۝ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝  
 فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشى النَّاسَ  
 هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝  
 أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ نُمِرَ  
 تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا  
 مَا أَنْتُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝  
 وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝  
 أَنْ أَدْوَأْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ رَسُولًا أَمِينٌ ۝

## سورة الدخان

[مكية، إلا: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ الآية،

وهي: ست، أو سبع، أو: تسع وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمِّ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُمِينِ﴾ المظهر الحلال من الحرام.

[٣] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان<sup>(١)</sup>، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ مخوفين به.

[٤] ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: في ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان<sup>(٢)</sup> ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم، من الأرزاق والآجال وغيرهما، التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة.

[٥] ﴿أَفَمَنْ أَتَاكُمْ مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرسل؛ محمداً وممن قبله.

[٦] ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ رافة بالمرسل إليهم ﴿وَمِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

[٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ برفع «رب» خبر ثالث، وبجره<sup>(٣)</sup> بدل من «ربك» ﴿يَنْ كُنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تُؤْفِكِينَ﴾ بأنه - تعالى - رب السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمداً رسوله.

[٨] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ عَابِدِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ [٩] ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ الْبَعْثِ﴾ يَلْعَبُونَ استهزاء بك يا محمد، فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف»<sup>(٤)</sup>.

[١٠] قال - تعالى -: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ فأجذبت الأرض، واشتد بهم الجوع، إلى أن رأوا من شدته كهيفة الدخان بين السماء والأرض.

[١١] ﴿يَغْشى النَّاسَ﴾ فقالوا: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون نبك.

[١٣] قال - تعالى -: ﴿أَنْ لَكُمْ الذِّكْرَى﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان<sup>(٥)</sup> عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ بين الرسالة.

[١٤] ﴿نُمِرَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ أي: يعلمه القرآن بشر ﴿مَجْنُونٌ﴾.

[١٥] ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ أي: الجوع عنكم زمناً ﴿قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَائِدُونَ﴾ إلى كفركم، فعادوا إليه.

[١٦] اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ منهم والبطش الأخذ بقوة<sup>(٥)</sup>.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا بِلُؤْلُؤٍ﴾ بلونا ﴿فَلَهُمْ قَوْمٌ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى السليط ﴿حَكِيمٌ﴾ على الله - تعالى -.

[١٨] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَدْوَأْ إِلَيْكَ﴾ ما أدعوك إليه من الإيمان؛ أي: أظهروا لإيمانكم لي<sup>(٦)</sup> يا ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ على ما أرسلت به.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٠ - ١٦): أخرج البخاري عن عبد الله (ابن مسعود) قال: إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما به وبها كهيفة الدخان من الجهد، فأنزل الله: ﴿يُدْخِلُ فِيهِمْ﴾ قال: فأتى رسول الله ﷺ، فقال له: يا رسول الله، استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت. قال: «لمضر؟ إنك حرىء» فاستسقى فسقوا، فنزلت. ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَائِدُونَ﴾ فلم أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابهم الرفاهية، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ قال: يعني يوم بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥). سورة الدخان (٤٤) باب (٢).

(١) وهذا القول باطل مخالف لصريح القرآن كما قال العلامة أبو بكر بن العربي، والصحيح الذي عليه الجمهور أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وفيها ابتداء نزول القرآن.

(٢) وهذا القول ضعيف مردود كما سبق بيانه.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالجر.

(٤) البخاري (٤٨٠٩) ومسلم (٢٧٩٨) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً، واللفظ للبخاري.

(٥) الظاهر أن النبي هو استبعاد وقوع الإيمان منهم عند كشف العذاب أو انتفاعهم بما يحق بهم من عذاب الدنيا، لأن أن حصول الإيمان منهم لا ينفعهم.

(٦) الأرجح والمشهور عند المفسرين أن المراد أرسلوا معي بني إسرائيل وأطلقوهم من العذاب، كما جاء في سورة الأعراف واشعراء.



[١٩] ﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا﴾ تصبروا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّي أَنَا نَكِرٌ يُضِلُّنِي﴾ برهان ﴿ثُبِينِ﴾ بين على رسالتي، فتوعده بالرجم.  
[٢٠] فقال: ﴿وَلَايَ عُدَّتْ يَدِي رَزِيكَرٌ أَلْ تَجْمُونُ﴾ بالحجارة.  
[٢١] ﴿وَلَنْ لَّرْ نُؤْمِنُوا لِي﴾ تصدقوني ﴿فَاعَزْلُونُ﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه.

[٢٢] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَشْرُكُونَ﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿مُشْرِكُونَ﴾.  
[٢٣] فقال - تعالى -: ﴿فَأَنزِلْهُم بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ وَوَصْلِهَا﴾<sup>(١)</sup> ﴿يَعْبَادِي﴾ بني إسرائيل ﴿لِيَلَّا أَنكُم مُّتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه.  
[٢٤] ﴿وَأَنزِلْ أَلْبَحْرَ﴾ إذا قطعت أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾ ساكتا منفرجا، حتى يدخله القبط ﴿إِنَّمِ جُنْدٌ مُّقْرَفُونَ﴾ فاطمان بذلك فأغرقوا.  
[٢٥] ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ بِسَاتِينَ وَغُبُورٍ﴾ تجري.  
[٢٦] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيرٍ﴾ مجلس حسن.  
[٢٧] ﴿وَنَعْمٍ﴾ متعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾ ناعمين.  
[٢٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ أي: الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي: أموالهم ﴿يَوْمًا مَّآخِرِينَ﴾ أي: بني إسرائيل.  
[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ مؤخرين للتوبة.  
[٣٠] ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء.

[٣١] ﴿مَنْ فِرْعَوْنُ﴾ قيل بدل من «العذاب» بتقدير مضاف؛ أي: عذاب، وقيل: حال من «العذاب» ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَاءَ مِنَ النُّسْرِينَ﴾.  
[٣٢] ﴿وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْبٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَىٰ الْفَلَكِينَ﴾ أي: عالمي زمامهم؛ أي: العقلاء.  
[٣٣] ﴿وَلَوَّيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا مَا فِيهِ لَنُكَوِّرُ مِثْلَهُ﴾ نعمة ظاهرة، من فلق البحر والمثل والسلاوي وغيرها.  
[٣٤] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿يَقُولُونَ﴾ [٣٥] ﴿إِنْ هِيَ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ أي: وهم نُطْفِتُ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية.  
[٣٦] ﴿فَأَنزِلْ بِآيَاتِنَا﴾ أحياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنا نبعت بعد موتنا؛ أي: نحيا.  
[٣٧] قال - تعالى -: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُجِّ﴾ هو نبي، أو رجل صالح<sup>(٣)</sup>

(١) بوصلها قراءة نافع وابن كثير، وفراً بقية السبعة بقطع الهمزة.

(٢) روي هذا عن ابن عباس وغيره كما أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤/٢٢ - ٣٦) وروي مرفوعاً عن أنس بن مالك عن الترمذي برقم (٣١٧٨) بلفظ: «ما من مؤمن إلا وله بابان؛ باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾» وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٥١٩٧).

(٣) الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين أنه ليس نبيا، وقومه هم «سبأ» وكانوا يستمون ملكهم «ثبعًا» كما يسمى ملك الفرس «كسرى»، و«قيصر» لمن ملك الروم. وقيل: إنه كان كافرا ثم أسلم وتابع دين موسى عليه السلام، وكان ذلك قبل بعثة عيسى عليه السلام.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ﴾.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ﴾ بخلق ذلك، حال.

[٣٩] ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: محققين في ذلك؛ لئلا يستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿كَالْمُهْلِ﴾ أي: كدردي الزيت الأسود، خبر ثانٍ ﴿تَغْلِي﴾ في الْبُطُونِ بالفوقانية خبر ثالث، وبالتحتانية<sup>(١)</sup> حال من «المهل». [٤٦] ﴿كَغَلِّ الْحَمِيمِ﴾ الماء الشديد الحرارة. [٤٧] ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿فَعَسِيلُهُ﴾ بكسر التاء وضمها<sup>(٢)</sup>؛ جروه بغلظة وشدة ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسط النار. [٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ أي: من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٤٩] ويقال له: ﴿ذُقْ﴾؛ أي: العذاب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَكِيمُ﴾ بزعمك، وقولك: ما بين جليلها أعز وأكرم مني<sup>(٤)</sup>. [٥٠] ويقال لهم: ﴿إِنَّ هَذَا الَّذِي ترون من العذاب﴾ ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فيه تشكرون.

[٥١] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي مَقَامٍ مَجْلَسٍ﴾ مجلس «أيمين» يؤمن فيه الخوف. [٥٢] ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُشُورٍ﴾. [٥٣] ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: ما رق من الدياج، وما غلظ منه ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ حال؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأيوة بهم.

[٥٤] ﴿كَذَلِكَ﴾ يقدر قبله الأمر ﴿وَوُجِّنَهُمْ﴾ من التزويج، أو قرناهم ﴿يُحَوِّرُ عَيْنَ﴾ بنساء بيض واسعات الأعين حسانها. [٥٥] ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة، أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ﴾ منها ﴿عَامِينَ﴾ من انقطاعها، ومضرتها، ومن كل مخوف؛ حال.

[٥٦] ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا بعد حياتهم فيها<sup>(٥)</sup>، قال بعضهم: «إلا» بمعنى «بعد» ﴿وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

[٥٧] ﴿فَضْلًا﴾ مصدر بمعنى تفضلاً، منصوب بـ«تفضل» مقدراً ﴿مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ﴾.

[٥٨] ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿يَلْسَانِيكَ﴾ بلغتك، لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون.

[٥٩] ﴿فَارْتَقِبْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

\*\*\*

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٧﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٨﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٩﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٥٠﴾ كَغَلِّ الْحَمِيمِ ﴿٥١﴾ خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٥٣﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَكِيمُ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتَهُمْ بَحُورَيْنِ ﴿٥٩﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ آمِينَ ﴿٦٠﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٦١﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ يَلْسَانُكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٣﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٦٤﴾

سورة النحل

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يوم القيامة، بفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للعذاب الدائم.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى﴾ بقرابة أو صداقة؛ أي: لا يدفع عنه ﴿شَيْئًا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ينعون منه، و«يوم» بدل من: «يوم الفصل».

[٤٢] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ وهم المؤمنون؛ فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ هي من أخبت الشجر المر بشهامة، ينبتها الله - تعالى - في الجحيم.

[٤٤] ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ أي: جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير.

(١) ببناء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

(٢) بالضم قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٣) المحج: ١٩.

(٤) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٠/٢٥) عن قتادة أن الآية نزلت في عدو الله أبي جهل، عندما قال ذلك للنبي ﷺ، وهو ضعيف لإرساله، كما في الاستيعاب (٢٠٢/٣).

(٥) أي: فالاستثناء منقطع، والمعنى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

## سُورَةُ الْحَاشِيَةِ

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ الآية،  
وهي: ست، أو: سبع وثلاثون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَدَّثَ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره: ﴿الرَّحِيمِ﴾ في ملكه ﴿الرَّحِيمِ﴾ في صنعه.

[٣] ﴿وَلِ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ دالة على قدرة الله ووحدانيته. تعالى: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤] ﴿وَلِ فِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خلق كل منكم، من نقطة، ثم علقه، ثم مضغة، إلى أن صار إنساناً ﴿وَلِ فِي خَلْقِ مَا بَيْنَ يَدَيْ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِنَ دَابَّةٍ﴾ هي ما يبدب على الأرض من الناس وغيرهم <sup>(١)</sup> ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ بالبعث.

[٥] ﴿وَلِ فِي أَمْثَلِ أَثْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَا أَرْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ مطر، لأنه سبب الرزق ﴿فَلَا حِيَا بِدِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ تغليبها، مرة جنوباً، ومرة شمالاً، وباردة وحارة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ بالدليل فيؤمنون.

[٦] ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بدلتلو ﴿وَيَايَ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أي: حديثه وهو القرآن ﴿وَالَّذِينَ﴾ حججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: لا يؤمنون، وفي قراءة <sup>(٢)</sup> بالباء.

[٧] ﴿وَلِ﴾ كلمة عذاب ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَيُّرٍ﴾ كثير الإثم.

[٨] ﴿يَسْمَعُ﴾ أي: الله ﴿الْقُرْآنَ﴾ ﴿تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره ﴿مُتَّكِرًا﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَنَّهُ يَسْمَعُ فِيْهِ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٩] ﴿وَلِذَا عَلِمَ مِنَ آيَاتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿شَيْئًا أَخَذَهَا أَخْرَافًا﴾ <sup>(٣)</sup> أي: مهزوزاً بها ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٠] ﴿مِنَ دَابَّةٍ﴾ أي: أمامهم؛ لأنهم <sup>(٤)</sup> في الدنيا ﴿جَهَنَّمُ﴾ ولا يغنى عنهم ما كسبوا من المال والفعال ﴿سَيِّئًا﴾ ولا ما أخذوا من دون الله. أي: الأصنام ﴿أُولَئِكَ﴾ وهم عذاب عظيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَخَلَقْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ وَلِ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٦﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِنَّ ثُمَّ يُصِرُّ مُتَّكِرًا كَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ فَيَنْشُرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنَ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هَرَبًا أَوْ لَيْدًا لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٨﴾ مِّنَ دَابَّةٍ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ هَذِهِ هُدًى لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَإِيَّاكَ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ \* اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا قَبْلَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾

[١١] ﴿هَذِهِ﴾ أي: القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابَتُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ حظ ﴿مِّن رِّجْزٍ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ مروع.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ ياذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها؛ أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد ﴿مِنَهُ﴾ حال؛ أي: سخرها كائنة منه - تعالى - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيؤمنون.

(١) هذه الآية كقولها - تعالى -: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ فلا يقتصر على كون بث الدواب في الأرض. راجع التعليق على الآية (٢٩) في سورة الشورى.

(٢) لحمة والكسائي وابن عامر وشعبة.

(٣) يضم الزاي وبالهمز، وهي قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، وقرأ حمزة: ﴿هَرَبًا﴾ بالهمز مع سكون الزاي، وقرأ حفص: ﴿هَرَبًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا. كما تقدم في الأنبياء، آية (٣٦).

(٤) في نسخة إقاضي زيادة: «الآن» في هذا الموضع.

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ءَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ مَن عَمِلَ صِلًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ رُجُوعٌ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْثُبَّةَ وَزَفَنَاهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَتَ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٧﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٨﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٩﴾

[١٤] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿ءَيَّامَ اللَّهِ﴾ وقائعه؛ أي: اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أي: الله، وفي قراءة بالنون<sup>(١)</sup> ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الغفر للكفار أذا هم<sup>(٢)</sup>.

[١٥] ﴿مَن عَمِلَ صِلًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أساء ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ رُجُوعٌ﴾ تصيرون فيجازي المصلح والمسيء.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ به بين الناس ﴿وَالْثُبَّةَ﴾ لموسى وهارون منهم ﴿وَزَفَنَاهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ عالمي زمانهم العقلاء.

[١٧] ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَتَ مِنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين، من الحلال والحرام، وبهتة محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في بعته ﴿إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: لبغي حدث بينهم حسدا له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ طريقه ﴿وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ يا محمد ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عبادة غير الله.

[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يدفعوا ﴿عَنْكَ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿وَلِلَّهِ الشَّيْءُ﴾ وأن الظالمين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٠] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ﴾ معالم، يتصورون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

[٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سواء<sup>(٣)</sup>] خبر ﴿نَجْعَلَهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ مبتدأ ومعطوف، والجملة بدل من الكاف، والضميران للكفار؛ المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير

كالمؤمنين؟ أي: في رغد من العيش، مساوٍ لعيشهم في الدنيا؛ حيث قالوا للمؤمنين: لئن نبعثنا لنفطى من الخير مثل ما تعطون؟ قال تعالى على وفق

إنكاره بالهمزة: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب، على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب، بعملهم الصالحات في الدنيا؛ من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك،

و«ما» مصدرية؛ أي: بسن حكما حكمهم هذا.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق»؛ ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

(١) حمزة والكسائي وابن عامر.

(٢) أي المؤمنون؛ فيبيهم، ويمكن أن يكون المعنى: ليجزي الكافرين على أذاهم لمؤمنين. كما قال الطبري.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿سواء﴾ بالفتح، على الحال.



[٣٦] ﴿فَلْيَلْزَمُوا الْوَشَاقَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الوصف بالجميل، على وفاء وعده في المكذبين<sup>(١)</sup> ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق ما ذكر، والعالم: ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، و«رب» بدل.  
[٣٧] ﴿وَالَهُ الْكِرْبَانُ الْعُظْمَى﴾ العظمة ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ حال: أي: كائنة فيهما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم<sup>(٢)</sup>.

## سورة الأحقاف

[مكية، إلا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الآية، وإلا: ﴿فَأَصْبِرْ﴾ كما صبر أولوا العزيم من الرسل﴾ الآية، وإلا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ الثلاث آيات، وهي: أربع، أو خمس وثلاثون آية]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمْدُ﴾ الله أعلم بمراده به.  
[٢] ﴿تَبَوُّوا الْكِتَابَ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ خبره: ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صناعه.  
[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾ خلقاً ﴿وَالْحَقُّ﴾ لبذل على قدرتنا ووجدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فئانهما يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عما أُذِّعُوا ﴿خَوْفُوا﴾ من العذاب ﴿مُعْرَضُونَ﴾.  
[٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مِمَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام، مفعول أول ﴿أُرُونِي﴾ أخبروني، تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول ثانٍ ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ بيان «ما» ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة<sup>(٥)</sup> ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مع الله، و«أم» بمعنى همزة الإنكار: ﴿أَتُنْفِي بِكِتَابٍ﴾ منزل ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿أَوْ أَشْرَكُ﴾ بقية ﴿بَيْنَ عَالَمٍ﴾ يؤثر عن الأولين، بصحة دعواكم في عبادة الأصنام، أنها تقربكم إلى الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.  
[٥] ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي، أي: لا أحد ﴿أَصْلُ﴾ يَدْعُوا يعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ وهم الأصنام، لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَافِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ  
[٣٣] وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ  
[٣٤] ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَخَذْتُ عَاقِبَةَ اللَّهِ هَزْوَاً وَعَزَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ  
[٣٥] فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
وَالَهُ الْكِرْبَانُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

## سورة الأحقاف

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدُ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ

[٣٣] ﴿وَبَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا؛ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ: أي: العذاب.  
[٣٤] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: تركتم العمل لقلته ﴿وَمَا وَكُنْتُمْ إِلَّا نَارٌ﴾ من نصيركم  
مانعين منه.

[٣٥] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَخَذْتُ عَاقِبَةَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿هَزْوَاً﴾<sup>(١)</sup> وَعَزَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ﴾ بالبناء للفاعل ولللمفعول<sup>(٢)</sup> ﴿مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم أن يرضوا بهم بالوبة والطاعة؛ لأنها لا تنفع يومئذ.

(١) قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، كما تقدم في الآية (١١) من هذه السورة.

(٢) بالبناء للفاعل فراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول: ﴿يَخْرُجُونَ﴾.

(٣) أي إنه سبحانه يحسد على «العدل» وهو إدخاله الكافرين النار، كما يحسد على «الفضل» وهو إدخاله المؤمنين الجنة. واقتصر المصنف على الأول هنا دفعا لتوهم اقتصار الحمد على الفضل فقط.

(٤) أي: «العزيم» في ملكه، «الحكيم» في صناعه. كما تقدم في أكثر من موضع.

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: «مشارك»، وقال في حاشية الجمل تعليقا على ذلك: لو فسر الشرك بالشركة لكن أوضح، وفي السمين الحلي: والشرك: المشاركة.

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا بُرُودًا أَلْتَمَأْتُمْ لَعَابِيهِمْ﴾ أي: الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ لعابديهم ﴿أَعْدَاءُ﴾ وكَانُوا يُعَادِبُهُمْ بِعِبَادَةِ عَابِدِيهِمْ ﴿كَفِيرِينَ﴾ حاحدين.

[٧] ﴿وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿ءَايَتُنَا﴾ القرآن ﴿يَبْسُتِي﴾ ظاهرات، حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿لَا يَخُفُّ﴾ أي: القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا يَسْحَرُونَ﴾ يَبْسُتِي ظاهر.

[٨] ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل، وهزمة الإنكار ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ﴾ فَرُوضًا ﴿فَلَا تَسْكُونُ لِي مِنْ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ أي: لا تقدرُونَ على دفعه عني، إذا عذبنى الله ﴿هُوَ أَهْلُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تقولون في القرآن ﴿كَلَىٰ يَوْمَ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ به، فلم يعاجلكم بالعقوبة.

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا﴾ بدعيًا ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: أول مرسل، قد سبق قبلي كثيرون منهم، فكيف تكذبوني؟ ﴿وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِى وَلَا يَكْرَهُ﴾ في الدنيا<sup>(١)</sup>؛ أخرج من بلدي، أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي؟ أو نرجمون بالحجارة، أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم؟ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: القرآن ولا أبتدع من عندي شيئًا ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يَبْسُ الإنذار.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني، ماذا حالكم ﴿إِنْ كَانُ﴾ أي: القرآن ﴿مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ جملة حالية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ وَثِيلِهِ﴾ أي: عليه أنه من عند الله ﴿فَتَأْمَنُ﴾ الشاهد ﴿وَأَسْتَكْبِرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان، وجواب الشرط بما<sup>(٢)</sup> عطف عليه: أُلْسِمَ ظالمين<sup>(٣)</sup> دل عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: في حقهم: ﴿لَوْ كَانُ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا﴾ أي: القائلون ﴿بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿فَسَبِقُوا هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿إِفْكُ﴾ كذب ﴿قَدِيرٌ﴾.

[١٢] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿كُتِبَ مُوسَىٰ﴾ أي: التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين به، حالان ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿كُتِبَ مُصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من الضمير في «مصدق» ﴿يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من مشركي مكة ﴿وَوُ﴾ هو ﴿يُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا بُرُودًا أَلْتَمَأْتُمْ لَعَابِيهِمْ كَفِيرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا يَبْسُتِي قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ فَرَبَّنَا فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَلَىٰ يَوْمَ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَأْمَنُ وَأَسْتَكْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ فَسَبِقُوا هَذَا إِفْكٌ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كُتِبَ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنُذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَالْخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[١٤] ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر؛ أي: يُجْزَوْنَ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠) أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف قال: سمعت مالكًا يحدث عن أبي النضر... عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام. قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ الآية. البخاري. كتاب مناقب الأنصار (٦٢) باب (١٩) مناقب عبد الله ابن سلام.

(١) قوله: «في الدنيا» هذا قول الحسن البصري وجماعة، وهذا القول - كما قال ابن كثير -: هو الذي عُوِّل عليه ابن جرير. وأنه لا يجوز غيره، ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ فإنه بالنسبة إلى الآخرة حارم أنه يصير إلى الحلة هو ومن اتبعه. وعلى القول الآخر تكون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرُ﴾ [الفتح: ٢].

(٢) أي: مع ما.

(٣) أي معذوف تقديره: «وأُلْسِمَ ظالمين».

وهو أكثر الأشد ﴿قَالَ رَبِّ﴾ الخ، نزل في أبي بكر الصديق<sup>(١)</sup> لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من بعث النبي ﷺ آمن به، ثم آمن أبواه، ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿أَوْزَعَنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ بِمَنَّةِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا﴾ عَمَلٌ وَعَلَى وَلَدَيْكَ وهي التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَدِيقًا رَاضِيًا﴾ فأعنت تسعة من المؤمنين<sup>(٢)</sup>، يُعَذِّبُونَ في الله ﴿وَأَصْلَحَ لِي فِي دِينِي﴾ فكلهم مؤمنون ﴿بَنِي ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَبَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: قالوا هذا القول، أبو بكر وغيره ﴿الَّذِينَ نَقَلَتْ عَنْهُمْ أَمْرًا﴾ بمعنى حسن ﴿مِمَّا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ حال؛ أي: كاثنتين في جملتهم ﴿وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ﴾ وفي قراءة بالإدغام<sup>(٥)</sup>؛ أريد به الجنس ﴿أَنِّي﴾ بكسر الفاء وفتحها<sup>(٦)</sup>؛ بمعنى مصدر؛ أي: نلتا وفجعا ﴿لَكُمْ﴾ أنضجر منكما ﴿أَعِدَانِي﴾ وفي قراءة<sup>(٧)</sup> بالإدغام ﴿أَنْ أُخْرِجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ الْأُمُّ مِنْ قَبْلِي﴾ ولم تخرج من القبور ﴿وَهُمَا يَسْتَفِيئَانِ اللَّهَ﴾ يسألانه العوث برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع ﴿وَبِكَ﴾ أي: هلاكك، بمعنى هلكت ﴿مِنْ﴾ بالبعث ﴿إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين

[١٨] ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُهَا﴾ وهو لا يظلمون ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَذَّةُ عَذَابِهِمْ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِمْ﴾<sup>(٨)</sup> ولكل درجت مما عملوا وأولئك أصحابهم وهم لا يظلمون ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَذَّةُ عَذَابِهِمْ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِمْ﴾<sup>(٩)</sup> الدنيا وأستمعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تكفرون

[١٩] ﴿وَلِكُلِّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَةٍ﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: المؤمنون من الطاعات، والكافرون من المعاصي ﴿وَلِيُؤْذِنَهُمْ﴾ أي: الله، وفي قراءة<sup>(١٠)</sup> بالنون ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿وَهُمْ لَا يُلَظُّونَ﴾ شيقا، يُنْقَصُ للمؤمنين، ويزاد للكفار.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بأن تكشف لهم، يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهزة، وبهزتين، وبهزة ومدة<sup>(١١)</sup>، وبهما وتسهيل الثانية<sup>(١٢)</sup> ﴿لِيُؤْذِنَهُمْ﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ فاليوم تجزون عذاب الهون أي: الهوان ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تكبرون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ به، وتعذبون بها.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلَتُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ بِمَنَّةِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي إِنَّي نَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَأْعَمَلًا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ أَقِي لَكُمَا أَتْعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِيئَانِ اللَّهَ وَذَلِكَ أَمْرٌ إِنَّ وَعَدَ اللَّهِ حَقٌّ يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٩﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُهَا وَهُمْ لَا يُلَظَّمُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَذَّةُ عَذَابِهِمْ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢١﴾

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾<sup>(١)</sup> وفي قراءة: ﴿إِحْسَانًا﴾ أي: أمرناه أن يحسن إليهما، فنصبت ﴿إِحْسَانًا﴾ على المصدر بفعله المقدّر، ومثله ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: على مشقة ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلَتُهُ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ سنة أشهر أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة ارضاع، وقيل: إن حملت به سنة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّى﴾ غاية لجملة مقدرة؛ أي: عاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تمامها،

(١) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِحْسَانًا﴾.

(٢) يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٣٢٢) والسبوطي في الدر المنثور (٤٤٣/٧) عن عطاء عن ابن عباس، وعراه السيوطي لابن مردويه. وذكر البغوي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب. وقيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص. وهو مذهب الضحاك. وقيل: إن الآية عامة، وهو قول الحسن. ولعل هذا هو الأقرب؛ فإن أبا تحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما لم يسلم إلا بعد فتح مكة، وكان عمرو أبي بكر وقها تسعا وخمسين سنة. والله أعلم.

(٣) هذا على اختيار المصنف أنها نزلت في أبي بكر، وسبق بيان أن الأقرب أنها عامة.

(٤) النوبة: ٧٢.

(٥) أي: إدغام لام قال: مع إسكانها، مع لام ولوالديه، وهو مذهب أبي عمرو في أحد الروحيين من روايتي الدوري والسوسي جميعا.

(٦) بالفتح من غير تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر من غير تنوين قراءة الباقرين عدا نافع وحفص، وقرأ نافع وحفص: ﴿أَفْ﴾.

(٧) من اللد للشعب؛ ﴿أَتْعِدَانِي﴾، وهي قراءة سبعة لهشام.

(٨) لحمة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٩) المناسب أن يقول: (وبهزتين محققين ومدة).

(١٠) قرأ بهزتين على الاستفهام ابن كثير وابن عامر، كل على أصله في التسهيل وعدمه، والإدخال وعدمه، وقرأ بقية السبعة: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾.



﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْبُحُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِلْقَتِنَا فَاتَّسَا بِمَا تَعْدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ تَدْمُرُ كُلَّ جَبَلٍ يَمُرُّ بِهَا فَأَصْبَحُوا لَا يَرَىٰ إِلَّا أَسَدًا كَهُمْ كَذَلِكَ تَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّ هُمْ فِي مَكَانٍ مَّكَتُورٍ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آلَاتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الْآيَاتِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٧﴾

من ذُوبِ اللَّهِ: أي: غيره ﴿قُرْبَانًا﴾: متقربًا بهم إلى الله ﴿الْآلِهَةِ﴾: معه، وهم الأصنام، ومفعول «اتخذ» الأول ضمير محذوف يعود على الموصول؛ أي: هم، و﴿قُرْبَانًا﴾: الثاني، و﴿الْآلِهَةِ﴾: بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾: غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾: عند نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾: أي: اتخاذهم الأصنام آلهة قُرْبَانًا ﴿إِفْكُهُمْ﴾: كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾: يكذبون، و﴿ما﴾: مصدرية، أو موصولة والعائد محذوف؛ أي: فيه.

[٢١] ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾: هو هود عليه السلام ﴿إِذْ﴾: إلخ، بدل اشتغال ﴿أَنْذَرَ قَوْمَهُ﴾: خوفهم ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾: واد باليمن به منازلهم ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْبُحُورُ﴾: مضت الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: أي: من قبل هود ومن بعده، إلى أقوامهم ﴿وَأَنَّهُنَّ﴾: أي: بأن قال: ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾: وجملة: «وقد خلت» معترضة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إن عدتم غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[٢٢] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِلْقَتِنَا﴾: لنصرفنا عن عبادتها ﴿فَأَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا﴾: من العذاب على عبادتها ﴿إِنْ كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾: في أنه يأتيها. [٢٣] ﴿قَالَ هُودٌ﴾: إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ، هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: إليكم ﴿وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾: باستعجالكم العذاب.

[٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾: أي: ما هو العذاب ﴿عَارِضًا﴾: سحابًا عرض في أفق السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾: أي: ممطر إيانا، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾: من العذاب ﴿رِيحٌ﴾: بدل من «ما» ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

[٢٥] ﴿تُدْمِرُ﴾: تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: مرت عليه ﴿يَأْمُرُ رَبُّهَا﴾: بإرادته<sup>(١)</sup>؛ أي: كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلك رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقه، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَىٰ إِلَّا أَسَدًا كَهُمْ كَذَلِكَ﴾: كما جزيناهم ﴿تَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: غيرهم.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّ هُمْ فِي مَكَانٍ﴾: في الذي ﴿إِنْ﴾: نافية أو رائدة ﴿مَكَنَّكُمْ﴾: يا أهل مكة ﴿وَبِهِ﴾: من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾: بمعنى أسماعا ﴿وَأَبْصَرًا وَافْئِدَةً﴾: قلوبا ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: شيئا من الإغناء، و﴿من﴾ زائدة ﴿إِذْ﴾: معمولة لـ«أغنى» واشترت معنى التعليل ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بحججه البينة ﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِمْ﴾: ما كانوا يؤمنون به ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: العذاب.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾: أي: من أهلها؛ كشمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَفْنَا آلَاتِهِمْ﴾: كرنا الحجج البينات ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا﴾: هلا ﴿نَصْرُهُمْ﴾: بدفع العذاب عنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا

(١) فائدة: أخرج البحاري عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى مجيئة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء شوي عنه، ففوفه عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ: «وما أدري بعل كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ الآية. البخاري. كتاب بدء الخلق (٥٩) باب (٥)، وكتاب التفسير (٦٥) - سورة الأحقاف (٤٦) باب (٢) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾.

(١) في نسخة القاضي: «مطر أتاه».

(٢) الأمر غير الإرادة، وغير القدرة، وقد جرت عادة المصنف رحمه الله أن يفسر الأمر بذلك، وهذا مناه على مذهبه في كلام الله، أنه معنى نفسي لا يقبل التعدد، وهو خلاف مذهب السلف في أن الله عز وجل يتكلم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، ومن ذلك أنه يأمر بما شاء وكيف شاء ومتى شاء.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ ﴿١﴾ قَالُوا إِنَّا نَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَاعْمُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤﴾ أَوْ لَوْ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ خَلْفَةً يَغْدِرْ عَلَىٰ أَن يَحْجِيَ الْمَوْتِ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِأَلْحَقٍ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالُوا فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوْعَدُونَ لَوْ يَتَسَوَّوْا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَبَلَّغْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾

### سورة الأحقاف

[٢٩] ﴿١﴾ و﴿٢﴾ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ جن نصيبين<sup>(١)</sup> باليمن، أو جن «النبوى»<sup>(٢)</sup>، وكانوا سبعة<sup>(٣)</sup> أو تسعة<sup>(٤)</sup>، وكان يصلي بطن نخلة<sup>(٥)</sup> يصلي بأصحابه الفجر. [رواه الشيخان] ﴿١﴾ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَي: قال بعضهم لبعض: «أَنصِتُوا» أصغوا لاستماعه ﴿٢﴾ فَلَمَّا قُضِيَ فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْا﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ﴾ مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهودا وقد أسلموا. [٣٠] ﴿٣﴾ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا هو القرآن ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدمه؛ كالنوراة ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾

الإسلام ﴿وَالِى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريقه. [٣١] ﴿٢﴾ يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ محمدًا ﷺ إلى الإيمان ﴿وَعَامِلُوا بِهِ﴾ يَغْفِرُ اللَّهُ ﴿لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: بعضها؛ لأن منها المظالم، ولا تغفر إلا برضا أصحابها ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم. [٣٢] ﴿٣﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ أي: لا يعجز الله بالهرب منه، فيفوته ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِمَّنْ دُونِهِ﴾ أي: لا يجيب ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ﴾ الذين لم يجيبوا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين ظاهر.

[٣٣] ﴿٤﴾ أَوْ لَوْ يَرَوْنَ يعلموا؛ أي: منكرو البعث ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ خَلْفَةً﴾ لم يعجز عنه ﴿يَغْدِرْ﴾ خبر «أن»، وزيدت الباء فيه؛ لأن الكلام في قوة<sup>(٦)</sup>: «أليس الله بقادر؟» ﴿عَلَىٰ أَن يَحْجِيَ الْمَوْتِ بَلَىٰ﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿يَتَّخِذُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ بَأَن يَعذبوا بها، يقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿بِأَلْحَقٍ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالُوا فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿٦﴾ فَاصْبِرْ على أذى قومك ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾ ذوو الشبث والصبر على الشدائد ﴿وَمِنَ الرُّسُلِ﴾ قبلك فنكون ذا عزم، و«من» للبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل: للتبعية<sup>(٨)</sup> فليس منهم آدم؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُمْ عَزْمًا﴾<sup>(٩)</sup> ولا يونس؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُن كَصَلَاحِ الْكَاثِبِينَ﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ لقوم نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم، فأحب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب؛ فإنه نازل لا محالة ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوْعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة، لطلوه ﴿وَلَمْ يَلْتَوُوا﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾، هذا القرآن ﴿بَلَّغَ﴾ تبليغ من الله إليكم ﴿فَبَلَّغْ﴾ أي: لا ﴿يَهْلِكُ﴾ عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الكافرون.

\*\*\*

- (١) «نصيبين» ليست باليمن، وإنما هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة، شمال العراق، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام.
- (٢) مدينة قديمة، منها نبي الله يونس بن متى، وهي اليوم أطلال وآثار على الضفة اليسرى لنهر دجلة، مقابل مدينة الموصل من جهة الشرق، والنهر بينهما.
- (٣) أخرجه الطبري عن ابن عباس (١٣٥/٢٢).
- (٤) أخرجه الطبري عن زر بن حبیش (١٣٥/٢٢).
- (٥) في أكثر النسخ التي بأيدينا من المطبوع؛ «نخل»، والمثبت من نسخة القاضي، وهو الصحيح كما في صحيح البخاري، و«نخله» هي نخلة البمانية، وهو موضع في الطريق إلى الطائف. أما «نخل» فهو موضع في نجد على بعد ليثين من المدينة؛ حيث صلى صلاة الخوف.
- (٦) البخاري (٧٧٣) ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس، وليس فيها أنها سبب لنزول هذه الآية.
- (٧) قوله: «في قوة: أليس الله بقادر؟» جواب عما يقال: إن الباء لا تُزاد إلا في خبر «ليس» و«ما»، كما قال ابن مالك: وبعد «ما» و«ليس» جر الباء الخبر.
- (٨) قال ابن كثير: وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال؛ وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم؛ محمد ﷺ. أه. وقيل: إن الخلاف لفظي من حيث أصل العزم وكما؛ فكانهم أصحاب عزم، ولكنهم متفاوتون في ذلك.

(٩) ط: ١١٥.

(١٠) القلم: ٤٨.

(١)

## سُورَةُ الْقِتَالِ

[مدنية، إلا: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرَيْبٍ﴾ الآية، أو: مكة،

وهي ثمان، أو: تسع وثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّوا﴾ غيرهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الإيمان ﴿أَصْلَ﴾ أحبط ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يبرون لها في الآخرة ثواباً، ويُجزى بها في الدنيا، من فضله - تعالى (٢) -

[٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ كَقَرَّ عَنْهُمْ ﴿غُفِرَ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وأُصْلَحَ نَالَهُمْ ﴿حَالَهُمْ﴾، فلا يعصونه.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلال الأعمال، وتكفير السيئات ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ الشيطان ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ القرآن ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ كذلك أي: مثل ذلك البيان ﴿بُضِرَ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ يبين أحوالهم أي: فالكافر يحبط عمله، والمؤمن لا يغفر له.

[٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله أي: فاضربوا رقابهم؛ أي: اقتلوه، وعبر بضرب الرقاب؛ لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّى إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّوا﴾ فأسكروا عنهم وأسرورهم، وشُدُّوا ﴿الْوَتَاكُ﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِذَا مَتَّأ بَعْدُ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله أي: تَثَوَّنْ عليهم، بإطلاقهم غير شيء ﴿وَأَمَّا ذِيئَةٌ﴾ تقادونهم بمال، أو: أسرى مسلمين ﴿حَتَّى تَضَعَ لُرَبِّي﴾ أي: أهلها ﴿أُزُرَهَا﴾ أنقلها، من السلاح وغيره؛ بأن يُسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ بَشَاءَ اللَّهِ لَانْتَصَرْتُمْ بِهِمْ﴾ بغير قتال ﴿وَلَكِنْ﴾ أمرهم به ﴿لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ منهم في القتال، فيصير من قُتِلَ منكم إلى الجنة، ومنهم إلى النار ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ وفي قراءة (٣) ﴿قَاتِلُوا﴾، الآية، نزلت يوم أحد (١)، وقد فُتِحَا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبْذِلَ﴾ يحبط ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾.

[٥] ﴿سَيَبْرُهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، إلى ما ينفعهم ﴿وَيُضَيِّحْ نَالَهُمْ﴾ حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يُقْتَلْ، وأُدرجوا في «قتلوا» تغليظاً.

[٦] ﴿وَرَحْلُهُمْ لِحَنَّتْ رَعْفَهَا﴾ نَكَبَهَا ﴿لَهُمْ﴾ فيهدون إلى مساكنهم منها، وأزواجهم وخدمهم، من غير امتدال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يُضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۚ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخَسَّوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاكُ فَإِمَّا مِمَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَا حَتَّى تَضَعَ لُرَبِّي أَوْ رَاَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْخَرْتُمْ مَعَهُ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۚ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۚ وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ۚ بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نَصِّرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَعَسَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۚ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَكِنَّهُمْ آمَنَتُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۚ

[٧] ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نَصِّرُوا اللَّهَ﴾ أي: دينه ورسوله ﴿يَضْرِبَكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ يثبتكم في المعترك.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة، مبتدأ خبره: «تَعِشُوا» (٢)، يدل عليه: ﴿فَعَسَا لَهُمْ﴾ أي: هلاكاً وخيبة من الله ﴿وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ﴾ عطف على «تَعِشُوا».

[٩] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: العس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن المشتمل على التكليف ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

[١٠] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلَكِنَّهُمْ آمَنَتُمْ﴾ أي: أمثال عاقبة ما قبلهم.

[١١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نصر المؤمنين، وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰ وَنَصَرَ﴾

(١) وتسمى أيضاً: سورة «محمدة» ﷺ.

(٢) كما في حديث أنس عند مسلم وغيره مرفوعاً: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيقطع بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا قضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها». مسلم (٢٨٠٨).

(٣) للبيعة عدا حفص وأبي عمرو.

(٤) هنا قول ابن جريج؛ كما في الدر المنثور (٤٦١/٧)، ونسبه لابن المنذر، ونسبه البغوي لقتادة، وسنده ضعيف لإعضاله كما في الاستيعاب (٣/٢١٨).

(٥) أي: تقديره: «تَعِشُوا».

في عبادة الأوثان؛ أي: لا مائلة بينهما.

[١٥] ﴿مَثَلُ أَي: صفة ﴿الْحَنَّةِ﴾ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ المشتركة بين داخلها، مبتدأ خبره: ﴿فِيهَا أَنَّهُمْ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ بالمد والقصر<sup>(١)</sup>؛ كضارب وخبره؛ أي: غير متغير، بخلاف ماء الدنيا، فيغير بعارض<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ بخلاف لبن الدنيا، لخروجه من الضروع ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ حَمْرٍ لَذِقٌ﴾ لذية ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ بخلاف عسل الدنيا؛ فإنه يخرج من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ أصناف ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فهو راض عنهم، مع إحسانه إليهم بما ذكر، بخلاف سيد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطا عليهم ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: أمَّن هو في هذا النعيم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ أي: شديد الحرارة ﴿فَقَطَّ أَعْمَاءَهُمْ﴾ أي: مصارينهم فخرجت من أديارهم، وهو جمع معنى بالقصر، وألفه عن باء؛ لقولهم: معيان<sup>(٣)</sup>.

[١٦] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿مَنْ يَسْتَعِزُّ بِكَ﴾ في خطبة الجمعة، وهم المنافقون ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ﴾ لعلماء الصحابة، منهم: ابن مسعود، وابن عباس<sup>(٤)</sup>، استهزاء وسخرية: ﴿مَاذَا قَالَ إِيَّاهُ﴾ بالمد والقصر<sup>(٥)</sup>؛ أي: الساعة؛ أي: لا نرجع إليه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في النفاق.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَا﴾ وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هَٰذِي وَآلَتُهُمْ تَقُولُهُمْ﴾ ألهمهم ما يقولون به النار.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينظرون؛ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ﴾ بدن اشتغال من «الساعة» أي: ليس الأمر إلا أن تأتيهم «بِقَتَّةٍ» فجأة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، منها بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان.

﴿فَأَنَّىٰ لَمَّا إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ الساعة ﴿ذَكَرْنَهُمْ﴾ تذكرهم؛ أي: لا ينفعهم.

[١٩] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: ذم يا محمد على علمك بذلك، النافع في القيامة ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصيته؛ لتستن به أمته، وقد فعله، قال ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة»<sup>(٦)</sup> ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ متصرفكم لأشغالكم في النهار ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل؛ أي: هو عالم بجميع أحوالكم، لا يخفى عليه شيء منها، فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَيَا كَلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٣﴾ وَكَانَ مِنْ قُرْبَىٰ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قُرْبَىٰكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٤﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ مَثَلُ الْحَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنَّهُمْ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنَّهُمْ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغَيَّرْ طَعْمَهُ وَأَنَّهُمْ مِنْ حَمْرٍ لَذِيَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنَّهُمْ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَعْمَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ إِيَّاهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ أَهْدَا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٩﴾ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿٢٠﴾

[١٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَا كَلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ منزل ومقام ومصير.

[١٣] ﴿وَكَايَن﴾ وكم ﴿مِنْ قُرْبَىٰ﴾ أريد بها أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قُرْبَىٰكَ﴾ مكة؛ أي: أهلها ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ روعي لفظ «قرية» ﴿أَهْلَكَهُمْ﴾ روعي معنى «قرية» الأولى ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ من إهلاكنا.

[١٤] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْنِهِ﴾ حجة وبرهان ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ فراه حسنا، وهم كفار مكة ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

(١) بالقصر أي «أسن»، قراءة ابن كثير.

(٢) هي نسخة القاضي: «لعارض».

(٣) أي في تشبيهه.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره؛ قال ابن عباس: كنت ممن يسأل. وروي عن ابن عباس: يريد عبد الله بن مسعود. وقيل غير ذلك، وقال ابن زيد: إنهم الصحابة.

(٥) بالقصر أي «أنفا» فراءة البري بخلاف عنه.

(٦) أخرجه نحوه مسلم (٢٧٠٢) عن الأعر بن يسار مرفوعا.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ طلباً للجهاد: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿وَنَزَلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَا أَنزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ﴾ أي: لم ينسخ منها شيء ﴿وَوَدَّكَ فِيهَا الْفِتْنَالُ﴾ أي: طلبه ﴿وَنَزَلَتْ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: شك، وهم المنافقون ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْعَيْنِ عَلَى مِنَ الْمَوْتِ﴾ خوفاً منه وكرهه له؛ أي: فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ مبتدأ، خبره: [٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: حسن لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: فرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وجملة «لو» جواب «إذا».

[٢٢] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين وفتحها<sup>(١)</sup>، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب؛ أي: لعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تعودوا إلى أمر الجاهلية، من البغي والقتال<sup>(٢)</sup>.

[٢٣] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْغُرْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعْمَجْ أَبْصَرَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> عن طريق الهدى.

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَى قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَفْصَالُهَا﴾ فلا يفهمونه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا﴾ باللفاق ﴿عَلَىٰ ذَرْبِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ﴾ أي: زين ﴿لَهُمْ﴾ [وَأَفْلَى] لَهُمْ بضم أوله ويفتحه واللام<sup>(٤)</sup>، والمملي الشيطان بإرادته - تعالى -، فهو المضل لهم.

[٢٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي: للمشركين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: المعاونة على عداوة النبي ﷺ، وتبسيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سبواً، فأظفهره الله - تعالى - ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة جمع «سيرة»، وبكسرهما<sup>(٥)</sup> مصدر.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَصَرِيَّتُ﴾ حال من «الملائكة» ﴿وُجُوهَهُمْ وَادَّبَرَهُمْ﴾ ظهورهم بمقامع من حديد؟.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ وَدُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۚ أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ ۚ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْصَالُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ ذَرْبِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ ۚ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَصَرِيَّتُ ۚ وَجُوهَهُمْ وَادَّبَرَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ۚ فَاحْبِطْ أَعْمَالَهُمْ ۚ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ۚ

اسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ: أي: العمل بما يرضيه ﴿فَاحْبِطْ أَعْمَالَهُمْ﴾. [٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين؟.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت أرحم قطرة، هذا مقام العائذ بك من القطعية. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك». ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْغُرْ وَأَعْمَجْ أَبْصَرَهُمْ ۚ أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ ۚ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْصَالُهَا؟». مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (٦) صلة الرحم وتحريم قطعيتها.

(٢) بالكسر قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بفتح السين.

(٣) في نسخة القاضي: «القتل».

(٤) بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَفْلَى﴾ بفتح أوله واللام.

(٥) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.

من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره، بالياء والنون<sup>(١)</sup> في الأفعال الثلاثة<sup>(٢)</sup>.

[٣٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الحق ﴿وَشَاقُوا﴾ أَلْزَمُوا خالفوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَاهُمْ الْمُنْكَرَ﴾ هو معنى سبيل الله ﴿لَنْ يَصُرُوا﴾ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَحْطِ أَعْمَلُهُمْ يطلها من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، نزلت في المطعمين من أصحاب بدر<sup>(٣)</sup> أو: في قريظة والنضير<sup>(٤)</sup>.

[٣٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا﴾ بالمعاصي<sup>(٥)</sup> مثلاً.

[٣٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريقه، وهو الهدى ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَمَتَّ كَفَرًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ نزلت في أصحاب القليب<sup>(٦)</sup>.

[٣٥] ﴿فَلَا تَهْتُوا﴾ تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ بفتح السين وكسرها<sup>(٧)</sup>؛ أي: الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ حذف منه واو لام الفعل: الأغلبون القاهرون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر<sup>(٨)</sup> ﴿وَلَنْ يَرْكُزَ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: ثوابها.

[٣٦] ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَوَبٌّ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ الله وذلك من أمور الآخرة ﴿يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها.

[٣٧] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ فَيَخْفِكُمْ﴾ يبالغ في طلبها ﴿تَبْخُلُوا وَيَخْرُجْ﴾ البخل ﴿أَصْعَدَكُمْ﴾ لدين الإسلام.

[٣٨] ﴿هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِيُفْسَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ما فرض عليكم ﴿فَيَنْكُرُ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ يقال: بخن عليه وعنه ﴿وَاللَّهُ الْعَنَى﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يجعلهم بدلکم ﴿فَئِنَّ لَا يَكُونُوا أُمَّتَكُمْ﴾<sup>(٩)</sup> في التولي عن طاعته، بل مطيعين له ﴿فَلْيَلْ﴾.

\*\*\*

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَفَعَلْتَهُمْ بِسَمِئِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّيِّينَ وَتَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَصُرُواْ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَحْطِ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُواْ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَرَاءُ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهْتُواْ وَتَدْعُواْ إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ فَيَخْفِكُمْ فَيَخْفِكُمْ تَبْخُلُواْ وَيُخْرِجْ أَصْعَادَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِيُفْسَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَنْكُرُ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْعَنَى وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُواْ أُمَّتَكُمْ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ﴾ غُفَّاهُمْ، وكررت اللام في: ﴿فَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ بِسَمِئِهِمْ علامتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك، بأن يَمُوضُوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾.

[٣١] ﴿وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ﴾ نخبركم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّى تَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّيِّينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَتَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ﴾

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً هذه الآية: ﴿وَلَنْ يَكُونُوا أُمَّتَكُمْ﴾ قالوا: ومن يستبدل لنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على مكب سلمان ثم قال: «هذا وقومه، هذا وقومه، الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٧) ومن سورة محمد. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٨).

(٢) بالياء قراءة شعبة في الأفعال الثلاثة: أي: «اليلوونكم»، و«يلو»، وقرأ بقية السبعة في الأفعال الثلاثة، بالنون.

(٣) في نسخة: «في ثلاثتهم»، والأفعال الثلاثة هي: «اليلوونكم»، و«نعلهم»، و«نبلو»، من هذه الآية.

(٤) هذا قول ابن عباس، كما في تفسير البغوي، أي الذين أطعموا قراء أهل مكة، الذين خرجوا لقتال المسلمين فيها.

(٥) ذكره الواحدي كما في زاد المسير.

(٦) ليست كل معصية مبذلة للأعمال الصالحة، بل منها ما يطلها جميعها كالردة، ومنها ما يطل بعضها كالرياء في أصل العن، ومنها ما لا يطل شيئاً.

(٧) «القليب»: هو بحر في «بدر»، ألقي فيه قتلى الكفار في معركة بدر. وظاهر الآية العموم وإن كان السبب خاصاً، كما قال الشوكاني في فتح القدير.

(٨) بالكسر قراءة شعبة وحيدة.

(٩) وهذا من لوازم معيته. شهادته. الخاصة بعاده المؤمنين، وحقيقتها الصحة اللاتقة، ولا تنافي بينها وبين كونه مستوفياً على عرشه بأثماً من خلقه، فكلها حق.

## سُورَةُ الْفَتْحِ

[مدنية، تسع وعشرون آية،

نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية\*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة<sup>(١)</sup> وغيرها، في المستقبل غنوة بجهادك ﴿فَتَحًا مُبِينًا﴾ بَيِّنًا ظاهرًا. [٢] ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ﴾ بجهادك ﴿مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه، لتغرب أمثك في الجهاد، وهو مؤول؛ لعصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالدليل العقلي القاطع من الذنوب، واللام للعلة الغائية، فمدخولها مسبب لا سبب<sup>(٢)</sup> ﴿وَيُنَبِّئُكَ﴾ بالفتح المذكور ﴿بِغَمَمٍ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ﴾ به ﴿صِرَاطًا﴾ طريقًا ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يثبتك عليه، وهو دين الإسلام. [٣] ﴿وَيُضِرُّكَ اللَّهُ﴾ به ﴿نَصْرًا غَيْرَ بَرٍّ﴾ ذا ذل له. [٤] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِيدُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ بشرائع الدين، كلما نزل واحدة منها آمنوا بها، ومنها الجهاد ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك. [٥] ﴿لِيُذِلَّ﴾ متملق بمحذوف، أي: أمر بالجهاد ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>. [٦] ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْمُتَنَفِّقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ طَلَبَ الشُّعُورَ﴾ بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة<sup>(٤)</sup>؛ ظنوا أنه لا ينصر محمدًا ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ الشُّعُورِ﴾ بالذلل والعذاب ﴿وَعَذَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ مرجعًا. [٧] ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَرِيبًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك.

(١) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلهجه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: تكلمت أم عمر عمر، تزوت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يزل في القرآن، فما نشبت أن سمعت صرخاً يصرخ بي. فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجلت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال: «لقد أنزل علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفتح (٤٨) باب (١).

وأخرج أيضاً عن سهل بن حنيف قال: أبها الناس اتهموا أنفسهم، فانا كنا مع النبي ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر ابن الخطاب فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتالنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: «بلى». قال: فعلام نطعمي الدنيا؟ فأتبعه ولا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً. فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر، فقال عمر: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم». البخاري - كتاب الجزية والمواذعة (٥٨) باب (١٨).

وأخرج أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً... حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي وقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوز المطافيل، قد ليسوا جلود النمرور يماهدون الله أن لا تدخلها عليهم غنة أبداً... فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»... حتى إذا كان بين يدي مكة والمدينة في وسط الطريق، فنزلت سورة الفتح. أحمد في مسنده (٣٢٦/٤). وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: لما انصرفنا من غزوة الحديبية، قال رسول الله ﷺ: «من يحرسنا الليلة؟» قال عبد الله أأنا... ونزلت على رسول الله ﷺ سورة الفتح. أحمد - المسند (٣٩١/١)، وقال أحمد شاكر: (إسناده صحيح (٣٧١٠).

(٢) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك قال: نزلت على النبي ﷺ: ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض» ثم قرأها النبي ﷺ عليهم. فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله، قد بين الله لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِيُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حتى سبغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٩) ومن سورة الفتح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٠١).

(١) الراجح أن المراد بانفتح هنا هو صلح الحديبية.

(٢) قال أبو السعود في تفسيره ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ﴾: «غاية للفتح، من حيث إنه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في إغلاء كلمة الله - تعالى -، بمكابدة مشاق الحروب، وإقحام موارد الخطوب. مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ: أي جميع ما فرط منك من ترك الأولى. وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل.

(٣) هذا سبق قلم من انصف رحمه الله، فهذه الآية، والموضع الثاني في الآية (١٢) من هذه السورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ لَكَ الْأَنْبَاءُ﴾ يس فيها إلا فتح السين باتفاق القراء. وليس فيها ضمها باتفاقهم. وأما الضم والفتح، ففي قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ الشُّعُورِ﴾ فقط؛ بفتح السين وضمها، والضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَفَّ فَإِنَّمَا يَتَكَبَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَهَلُونَا فَاسْتَعْفِرْنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِبَ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَذِينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ إِذَا أَظْلَقْتُمُ إِلَى مَغَارِنَا لِنَأْخُذْهَا وَذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَمُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة؛ أي: الذين خلفهم الله عن صحبتك، لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة، خوفًا من تعرض قريش لك عام الحديبية، إذا رجعت منها: ﴿شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَهَلُونَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَاسْتَعْفِرْنَا﴾ لَنَا، الله، من ترك الخروج معك، قال - تعالى - مكذبًا بهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أي: من طلب الاستغفار وما قبله ﴿تَمَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا، بفتح الضاد وضمها ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا: أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[١٢] ﴿بَلْ﴾ في الموضعين لانتقال من غرض إلى آخر ﴿ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِبَ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَذِينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: أنهم يُسْتَأْصَلُونَ بالقتل، فلا يرجعون ﴿وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوءِ﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ جمع بائر؛ أي: هالكين عند الله بهذا الظن.

[١٣] ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ نازًا شديدة.

[١٤] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بما ذكر.

[١٥] ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ﴾ المذكورون: ﴿إِذَا أَظْلَقْتُمْ إِلَيْنَا مَغَارِنَا﴾ هي مغامر خيبر ﴿لِنَأْخُذْهَا وَذُرُونَا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ وفي قراءة (٧): ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ بكسر اللام؛ أي: مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل عودنا ﴿فَمُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الذين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم.

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَفَّ فَإِنَّمَا يَتَكَبَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَهَلُونَا فَاسْتَعْفِرْنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِبَ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَذِينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ إِذَا أَظْلَقْتُمُ إِلَى مَغَارِنَا لِنَأْخُذْهَا وَذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَمُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾

[٨] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على أمتك في القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا، مُحَوِّفًا فيها مَنْ عمل سوءًا بالنار.

[٩] ﴿إِنِّيُؤْمِنُ﴾ يَأْتِيهِمْ وَرَسُولُهُ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وفيه وفي الثلاثة بعده ﴿وَيُعْزِزُهُ﴾ ينصروه، وقرئ (٦) براين مع الفوقانية ﴿وَيُؤَيِّدُهُ﴾ يعظمه، وضميرها هو أو لرسوله ﴿وَيُسَبِّحُوهُ﴾ أي: لله ﴿بُحْرًا وَأَصِيلًا﴾ بالغداة والعشي.

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

(٢) أي شذوذًا.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) وهذا تفسير باللازم، ولا يمنع ذلك من إثبات اليد حقيقة لله ﷻ على ما يليق به، كما هو مذهب أهل السنة.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن كثير وابن عاصم، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) لحمزة والكسائي.



قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولَىٰ بِأَيْسَ شَدِيدِ  
تَقَبُّلُونَهُمْ أُوَيْسُ مَوْنٌ فَإِنْ نْطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا  
وَأِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ  
عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ  
وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ \* لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي  
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِهِ  
كَثِيرَةٌ يَأْخُذُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّ اللَّهُ  
مَعَانِهِ كَثِيرَةً يَأْخُذُ بِهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَىٰ آيَاتِ  
الْآسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا  
مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَآخَرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا  
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمُ الدَّيْنَ  
كَفَرُوا وَلَوْ لَوْلُوا الْأَذْبُرُ لَمْ يَجِدُوا وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سَنَّةَ  
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِمُسَنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿قُلِ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْغُرَبَاءِ الْمَذْكُورِينَ، اخْتِذَا: ﴿سَتَدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمًا أُولَى﴾ أصحاب ﴿يَأْتِينَ سِدِيرًا﴾ قيل: هم بنو حنيفة أصحاب البسامة، وقيل: فارس والروم ﴿فَتَقْبَلُونَهُمْ﴾ حال مقدرة، هي المدعو إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يُسَلِّمُونَ﴾ فلا تقاتلون ﴿فَإِنْ طُفِّمُوا﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تُولِيَهُمْ مِنْ قَبْلِ مَعْبُودِكُمْ عَدَايَا إِلَهُكُمْ مَوْلًا.

[١٧] لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ. وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ فِي الْأَيَّامِ وَالنَّوْنِ<sup>(١)</sup> حَسَنٍ يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. وَمَنْ يَتَوَلَّ يَْعَذِّبْهُ. بِالْأَيَّامِ وَالنَّوْنِ<sup>(٢)</sup> عَذَابٌ أَلِيمٌ.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ﴾ باخديسية ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ هي سمره، وهم ألف وثلاثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشاً ولا يفرّوا من الموت ﴿فَقَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَذَلَّتْ السَّيْكَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَبَهُمْ فَتَمَحَّ قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، بعد انصرافهم من الحديبية.

[١٩] ﴿وَعَايِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من خير ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾  
أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢٠] ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتحاحات ﴿فَقَحَلْ لَكُمْ هَذِهِ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَوَكَّلَ آدَى الْأَنْبِ عِنْدَكُمْ﴾ في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود، فخذف الله في قلوبهم الرعب ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ أي: المعجلة، عطف على مقدمه: أي: لشكروهم ﴿إِيَّاهُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَوَهَّيْكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: طريق التوكل عليه، وتفويض الأمر إليه - تعالى ..

[٢١] ﴿وَأَخْرَجَ﴾ صفة «مغامم» مقدراً، مبتدأ ﴿لَمْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِ﴾ هي من فارس والروم ﴿فَدَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَلَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢٢] ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ أَوْلَادَ كَفَرًا﴾ بالحديدية ﴿لَوَلَّوْا الْأَذَى ثُمَّ لَا يُحْدِثُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾.

[٢٣] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤرد لضمون الجملة قبله، من هزيمة

(١) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

(۲) بالسون قراءة نافع وابن عامر.

﴿مَعَكُمْ﴾ محبوباً حال ﴿أَنْ يَبْلُغَ حِلَّةً﴾ أي: مكانه الذي ينحر فيه عادة، وهو الحرم، بدل اشتمال ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ أي: تقتلوهم مع الكفار، لو أذن لكم في الفتح، بدل اشتمال من ﴿هم﴾ ﴿فَتَضِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً﴾ أي: إثم ﴿يَغِيرُ عَلَيْهِمْ﴾ منكم به، وضمان الغيبة للصنفين بتغليب الذكور، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف؛ أي: لأذن لكم في الفتح، لكن لم يؤذن فيه حينئذ ﴿لَيُدْخِلَنَّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كل المؤمنين المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة حينئذ، بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ متعلق بـ﴿عَذَابًا﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةً لِّجَاهِهِ﴾ بدل من «الحمية»، وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار، حتى يقاتلوهم ﴿وَالزَّكَمَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿كَلِمَةً التَّقْوَى﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى؛ لأنها سببها ﴿وَكَاوَنُوا أَهَقَ بِهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ عطف تفسيري ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكْلِي شَيْءٌ عَليَها﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، ومن معلومه - تعالى - أنهم أهلها. [٢٧] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه، آمين ويحلون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت، وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿صَدَقَ﴾، أو حال من ﴿الرُّؤْيَا﴾ وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ للترك ﴿وَأَمِينَتٌ مُّخْلِيفِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ أي: جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿لَا تَخَافُوتَ﴾ أي: أعلم في الصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الصلاح ﴿وَنَجَمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الدخول ﴿فَتَمَّا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

[٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: دين الحق ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنك مرسل بما ذكر.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٦﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعَكُمْ فَأَنْ يَبْلُغَ حِلَّةً وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فُصِّصَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً يَغِيرُ عَلَيْهِمْ لِيُدْخِلَنَّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مَحْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُوتَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿٢٩﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٠﴾

[٢٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية ﴿وَمِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم، ليصيبوا منكم فأجذوا وأتى بهم إلى رسول الله ﷺ فغفا عنهم وحلى سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ بَصِيرًا﴾ بالباء والفاء (١)؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك. [٢٥] ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿وَالْهَدَى﴾ معطوف على «كم» (٢).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون عرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلفاً فاستباحهم، فأرسل الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٦) (وهو الذي كف أيديهم عنكم).

وأخرج مسلم أيضاً عن سلمة بن الأكوع قال: ... فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واخلط بعضنا ببعض، أثبت شجرة فكسخت [أي كسخت] شوكها فاضطجعت في أصلها. قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يبعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلفوا سلاحهم واضطجعتوا، بينما هم كذلك؛ إذ نادى مناد: يا للهاجرين؛ قل ابن زعيم. قال: فاخرطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم. فجعلته صفتاً [خرمة] في يدي. قال: ثم قتلت. والذي كرم وجهه محمد، لا يرفع أحد منكم رأسه، إلا صربت الذي فيه عينه. قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثأفه» فغفا عنهم رسول الله ﷺ، وأرسل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ الآية. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٥) غزوة ذي قرد وغيرها.

وأخرج البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان في حديث طويل، وفيه قصة أبي بصير وتربسه ومن أوى إليه من المسلمين حتى لا يردهم المسلمون إلى قريش - كما في شروط صلح الحديبية - وقطعهم الطريق على قوافل قريش وغيرها. فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لئلا أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأرسل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾... الآية. البخاري. كتاب الشروط (٥٤) - باب (١٥) الشروط في الجهاد. قال الحافظ: ووظايره أنها نزلت في شأن أبي بصير. وفيه نظر. والمشهور في سبب نزولها ما أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ومن حديث أنس بن مالك الفتح (٤١٤/٥).

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ  
تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا يُسَبِّحُونَ فَضْلًا إِنَّ اللَّهَ وَرِضْوَانًا سِمَاهُمْ  
فِي وُجُوهِهِمْ مَنْ أَرَادَ السُّجُودَ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي  
الْإِنجِيلِ كَرَزَجٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ فَفَارَزَهُ فَاسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَى  
عَلَى سَوَاقِهِ يَعِجِبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾

## سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا  
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا  
أَصْوَتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ  
لِبَعْضٍ أَن تَحْطَأَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
يَعْصُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ  
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴿٤﴾ أي: لتظهر منهم ﴿٥﴾ لَهُمْ  
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٥﴾ الجنة. [٤] ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة  
والنبي ﷺ في منزله فنادوه: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ نُبَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾  
حجرات نسائه ﷺ، جمع حجرة، وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط  
ونحوه، وكان كل واحد منهم نادى خلف حجرة - لأنهم لم يعلموه في أي  
حجرة - مناداة الأعراب بعلظة وجفاء<sup>(١)</sup> ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ - فيما  
فعلوه - محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم.

[٢٩] كما قال الله - تعالى -: ﴿مُحَمَّدٌ﴾ مبتدأ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبره  
﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: أصحابه من المؤمنين، مبتدأ، خبره: ﴿أَشِدَّاءُ﴾ غلاظ  
﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ خبر ثان؛ أي: متعاطفون  
متوادون، كالوالد مع الولد ﴿تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا﴾ حالان  
﴿يُسَبِّحُونَ﴾ مستأنف يطلبون ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِمَاهُمْ﴾ علامتهم،  
مبتدأ ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾ خبره، وهو نور وياض يعرفون به في الآخرة أنهم  
سجدوا في الدنيا<sup>(١)</sup> ﴿مَنْ أَرَادَ السُّجُودَ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر؛ أي: كائنه،  
وأعرب حالاً من ضميره المنقول إلى الخبر ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف المذكور  
﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم، مبتدأ ﴿فِي التَّوْبَةِ﴾ خبره ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ﴾  
مبتدأ، خبره: ﴿كَرَزَجٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ﴾ بسكون الطاء وفتحها<sup>(٢)</sup>؛ فراحه<sup>(٣)</sup>  
﴿فَارَزَهُ﴾ بالمد وانقصر<sup>(٤)</sup>؛ قواه وأعانه ﴿فَاسْتَغْلَطَ﴾ غلظ ﴿فَاسْتَوَى﴾  
قوي واستقام ﴿عَلَى سَوَاقِهِ﴾ أصوله، جمع ساق ﴿يَعِجِبُ الزَّرَّاعُ﴾ أي: زراعه؛  
لحسنه، مثل الصحابة - رضي الله عنهم - بذلك؛ لأنهم بدلوا في قلة وضعف،  
فكثروا وقوّوا على أحسن الوجوه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾<sup>(٥)</sup> متعلق بمحذوف دل  
عليه ما قبله؛ أي: شهبوا بذلك ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾  
الصحابة، و«من» لبيان الجنس لا للتبعض؛ لأنهم كلهم بالصفة المذكورة  
﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الجنة، وهما<sup>(٦)</sup> لمن بعدهم - أيضاً - في آيات.

## سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

[مدينة، ثمانى عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾ من قَدَمَ بمعنى تقدم؛ أي: لا  
تقدموا يقول ولا فعل ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه؛ أي: بغير إذنهما  
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِمَ﴾ بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي  
بكر وعمر - رضي الله عنهما - على<sup>(١)</sup> النبي ﷺ في تأمير الأعرع بن حابس أو  
القعقاع بن معبد<sup>(٢)</sup>، [٢] ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إذا نطق<sup>(٣)</sup> ﴿وَلَا  
تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ إذا ناجيته ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل دون ذلك  
إجلالاً له ﴿أَن تَحْطَأَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: خشية ذلك بالرفع والجهر  
المذكورين<sup>(٤)</sup>، [٣] ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر  
وعمر<sup>(٥)</sup> وغيرهما<sup>(٦)</sup> ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٢، ١): أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أنه قدم ركب من بني قحيم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زبيرة، فقال عمر: بل أمر الأعرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافتك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حتى انقضت -

(١) الظاهر أن المراد بالسبيل ما علامتهم في الدنيا، وإن كانوا في الآخرة كذلك يعرفون بالمر المحجلين، قال بعض المفسرين: أي قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطهم استنارت بالجلال طواهرهم. (٢) بالفتح قراءة ابن كثير وابن ذكوان. (٣) الشطط: فرخ النخل. (٤) بانقصر قراءة ابن ذكوان.

(٥) استنبط الإمام مالك من هذه الآية تكفير الشيعة والروافض الذين يعضون الصحابة رضي الله عنهم؛ فإنهم يخطونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، ووافقه كثير من العلماء. انتهى من «المواهب» نقلًا عن روح المعاني للأرسي. (٦) أي: المغفرة والأجر العظيم؛ لمن بعدهم من المؤمنين. (٧) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي حاشية الجمل والصاروي: «الأولى أن يقول: «عد النبي، وفي نسخة القاضي: «عده». (٨) البخاري (٤٣٦٧، ٤٨٤٧). (٩) أي: حين بلغها النبي عن رفع الصوت؛ فصاروا يخفضون أصواتهما عند النبي ﷺ، كما قال ابن الزبير عند البخاري (٤٨٤٥): فما كان عمر يسبح رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه. (١٠) لعله يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع لبيان (٧٥/٢٦)، والطبراني في الكبير (٦٨/٢) رقم (١٣١٦)، والهشيمي في الجمع (٣٢١/٩) أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وإسناده ضعيف كما ذكر في الاستيعاب (٢٦١/٣).

(١١) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامعه (٧٧/٢٦)، والطبراني في الكبير (٨٧٨/١) وغيرهما عن الأعرع بن حابس أنه أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، اخرج إلينا، فلم يجبه، فقال: يا محمد، إن حدي زين، وإن ذمي شين؛ فقال ﷺ: «ذاك الله؛ فأقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ نُبَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. وأخرجه أحمد في مسنده مختصراً؛ دون ذكر أنه سب نزول الآية. وصححه في الاستيعاب (٢٦٣/٣).



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ  
إِنَّمَا ظَنَنُّوهُ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ  
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ  
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ  
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ لَا يَلَيْتُكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾  
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا  
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ  
الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ  
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ  
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيْمَنِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

[١٧] ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ من غير قتال، بخلاف غيرهم من أسلم  
بعد قتاله منهم ﴿قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ﴾ منصوب بنزع خافض «الباء»،  
ويقدر قبل «أن» في الموضعين<sup>(٤)</sup> ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيْمَنِ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم: أمانة.

[١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما غاب فيها ﴿وَاللَّهُ  
بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء<sup>(٥)</sup> لا يخفى عليه شيء منه.

\*\*\*

يَا أَتَقْبَبُ لا يَدْعُ بعضهم بعضاً بقلب يكرهه؛ ومنه: يا فاسق، يا كافر  
﴿يَسْأَلُ الْإِيْمَنُ﴾ أي: المذكور من السخرية<sup>(١)</sup> واللمز والتناير ﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ  
الْإِيْمَنِ﴾ بدل من الاسم، لإفادة أنه فسق، لتكرره عادة ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾ من  
ذلك ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي:  
مؤثم، وهو كثير، كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين، وهم كثير، بخلافه  
بالفساق منهم، فلا إثم فيه، في نحو ما يظهر منهم ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ حذف  
منه إحدى التائين؛ لا تتبعوا عورات المسلمين ومعانيهم، بالبحث عنها ﴿وَلَا  
يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ لا يذكره بشيء يكرهه، وإن كان فيه ﴿أَيُّحِبُّ  
أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٣)</sup>، أي: لا  
يحبس به ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فاعتباه في حياته كأكس لحمه بعد مماته، وقد  
عرض عليكم الثاني فكرهتموه، فآكروا الأول ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: عقابه في  
الاعتباب، بأن تتوبوا منه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ قابل توبة التائبين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا﴾ جمع شعب بفتح الشين، هو أعلى طبقات النسب ﴿وَقَبَائِلَ﴾ هي  
دون الشعوب، وبعدها: العماائر، ثم البطون، ثم الأخخاذ، ثم الفصائل آخرها.  
مثاله: خزمية: شعب، كنانة: قبيلة، قريش: عمارة - بكسر العين -، قصي:  
بطن، هاشم: فخذ، العباس: فصيلة ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ حذف منه إحدى التائين؛  
ليعرف بعضهم بعضاً، لا لتفاحروا بعلو النسب، وإنما للفخر بالتقوى ﴿إِنَّ  
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ﴾ أي: بكم ﴿خَيْرٌ﴾ بيوافقكم.

[١٤] ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ نفر من بني أسد: ﴿آمَنَّا﴾ صدقنا بقلوبنا  
﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا ظاهرنا ﴿وَلَمَّا﴾ أي: لم  
﴿يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ إلى الآن، لكنه يتوقع منكم ﴿وَأِنْ طِيعُوا اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لَا يَلَيْتُكُمْ﴾ بالهمز، وتركه، وبإبداله ألفاً<sup>(٣)</sup> لا  
ينقصكم ﴿وَيَنْ أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيْئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ  
رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٥] ﴿إِنَّمَا الْيُؤْمِنُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم، كما صرح به بعد  
﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿وَجَاهَدُوا  
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاهدوهم يظهر صدق إيمانهم ﴿أُولَئِكَ  
هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم، لا من قالوا: آمنا، ولم يوجد منهم غير الإسلام.

[١٦] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ مُضَعَّفٌ عَلِيمٌ بمعنى شعر؛  
أي: أنشعروا بما أنتم عليه في قولكم: آمنا؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا  
فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٥) ما حاء في نزول الآية (١١): أخرج أبو داود عن أبي جبرية بن لضحاك قال: فبنا نزلت هذه الآية؛ في بني سلمة: ﴿وَلَا تَنَازَرُوا بِالْأَلْقَابِ يَسْأَلُ الْإِيْمَنُ بَعْدَ الْإِيْمَنِ﴾. قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان وثلاثة، فجعل النبي ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله! إنه بغضب من هذا الاسم، فانزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنَازَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾. أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (٧١) في الألقاب. (صحیح) صحیح سنن أبي داود (٤١٥١).

(١) في نسخة القاضي: «الشخرة».

(٢) بالتشديد قراءة نافع.

(٣) قرأ أبو عمرو بهززة ساكنة بين الياء واللام، ويبدل منها ألفاً إذا سهل كل همزة ساكنة، وقرأ بقية السبعة: ﴿لَا يَلَيْتُكُمْ﴾.

(٤) أي: في «أن أسلموا»، وأن هذا كما.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

## سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ لَوْ نَادَمْتُنَا وَكَانَ زَابًا ذَلِكْ رَجَعُ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝ أَفَأَمَرَ يَتُورُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَهَا وَرِيقَها وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَبِيحٍ ۝ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا فِيهِ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْعَبَ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

## سورة ق

[مكية، إلا: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» الآية، فمدنية، خمس وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «ق» الله أعلم بمراده به «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» الكريم، ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ.  
[٢] «بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار

بعد البعث «فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا» الإنذار «شَيْءٌ عَجِيبٌ».

[٣] «لَوْ نَادَمْتُنَا وَكَانَ زَابًا» بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين<sup>(١)</sup> «وَمَنْ نَادَمْتُنَا وَكَانَ زَابًا» نرجع «ذَلِكَ رَجَعٌ بَعِيدٌ» في غاية البعد.  
[٤] «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ» تأكل «مِنْهُمْ» رَعْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة.

[٥] «بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ» بالقرآن «لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ» في شأن النبي ﷺ والقرآن «فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ» مضطرب؛ قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة.

[٦] «أَفَأَمَرَ يَتُورُوا» يعيرونهم، معتبرين بقولهم، حين أنكروا البعث «إِلَى السَّمَاءِ» كائنة «فَوْقَهُمْ» كَيْفَ بَيْنَها «بَلَا عَمَدٍ وَزَيَّنَّها» بالكواكب «وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ» شقوق نعيمها.

[٧] «وَالْأَرْضِ» معطوف على موضع «إِلَى السَّمَاءِ»، كيف «مَدَدْنَاهَا» دحونها على وجه الماء<sup>(٢)</sup> «وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ» جبالاً بنتبتها «وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَبِيحٍ» صنف «نَبِيحٍ» يُنْفَخُ به؛ لحسنه.

[٨] «تَبَصَّرَةٌ» مفعول له؛ أي: فعلنا ذلك؛ تبصيراً منا «وَذَكَرَى» تذكيراً «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» راجع إلى طاعتنا.

[٩] «وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا» كثير البركة «فَأَنْبَتْنَا فِيهِ جَنَّتٍ» بساتين «وَحَبَّ» الزرع «الْحَصِيدِ» المحصول.

[١٠] «وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ» طولاً، حال مقدرة «لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ» متراكب بعضه فوق بعض.

[١١] «رِزْقًا لِلْعِبَادِ» مفعول له «وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا» يستوي فيه المذكر والمؤنث «كَذَلِكَ» أي: مثل هذا الإحياء «الْخُرُوجُ» من القبور، فكيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر.

[١٢] «كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» تأنيث الفعل لمعنى «قوم» «وَأَصْحَابُ الرَّسِّ» هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، ونبههم قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره «وَتَمُودُ» قوم صالح.

[١٣] «وَعَادٌ» قوم هود «وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ».

[١٤] «وَأَصْعَبَ الْأَيْكَةِ» الغيضة، قوم شعب «وَقَوْمُ تَبَّعٍ» هو ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فكذبوه «كُلٌّ» من المذكورين «كَذَّبَ الرُّسُلَ» كفرش «وَحَقَّ وَعِيدُ» وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيّق صدرك من كفر قريش بك.

[١٥] «أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ» أي: لم نغي به، فلا نعي بالإنعاده «بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ» شك «مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ» وهو البعث.

(١) أي: أن قوله - تعالى -: «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» قسم جوابه محذوف، تقديره ما ذكر.

(٢) سهل الهمزة الثانية مع الإدخال قالون وأبو عمرو، وسهّلها من غير إدخال ورش وابن كثير، وحققها نقيّة السبعة من غير إدخال إلا هشاماً فله الإدخال وعدمه.

(٣) قال ابن كثير: «مددناها»: أي: وسعناها وفرشناها. وقال الطبري: بسطناها.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ حَالَهُ يَتَّقِدِرُ﴾ حال يتقدير «نحن» ﴿مَا﴾ مصدرية ﴿نُؤْتُوهُمْ﴾ تحدث ﴿يَدِهِ﴾ الباء زائدة، أو للتعدي، والضمير للإنسان ﴿نَفْسُهُ﴾ نفسه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم ﴿بَيْنَ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ الإضافة للبيان، والوريدان: عرقان بصفتي العنق.

[١٧] ﴿إِذْ﴾ منصوبة بـ «اذكر» مقدراً ﴿يَتْلَى﴾ يأخذ ويثبت ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ المتكلمان الموكلان بالإنسان، ما يعمله ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منه ﴿فِيهِ﴾ أي: قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله.

[١٨] ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَيْنُهُ﴾ حاضر، وكل منهما بمعنى المثني.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ غمرته وشدته ﴿بِالْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة، حتى يراه المكر لها عياناً، وهو نفس الشدة ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الموت ﴿مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيذٌ﴾ تهرب وتفرغ.

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للبعث ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النفخ ﴿يَوْمَ الْوَعْدِ﴾ للكفار بالعذاب.

[٢١] ﴿وَجَاءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر ﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وَنَهِيذٌ﴾ يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر: ﴿لَقَدْ كُنْتُ﴾ في الدنيا ﴿فِي عَقْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكُنْثَمًا عَنكَ غَطَاءٌ﴾ أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَرِيذٌ﴾ حاذٍ تترك به ما أنكرته في الدنيا.

[٢٣] ﴿وَقَالَ فِرْعُونُ﴾ الملك الموكل به: ﴿هَذَا مَا﴾ أي: الذي ﴿لَدَى عَيْنِي﴾ حاضر. [٢٤] فيقال للمالك: ﴿أَلَيْفًا فِي جَهَنَّمَ﴾ أي: ألي أني، أو «الفتي» وبه قرأ الحسن<sup>(١)</sup>، فأبدلت النون ألفاً ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنٍ﴾ معاند للحق. [٢٥] ﴿مَنَاجِلَ لِلنَّارِ﴾ كالركاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُرِيبٍ﴾ شاك في دينه.

[٢٦] ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرٌ﴾ مبتدأ ضَمَّنَ معنى الشرط، خبره: ﴿فَالْأَيُّاءُ فِي الْمَذَابِ الْكَذِبِيِّ﴾ تفسيره مثل ما تقدم.

[٢٧] ﴿قَالَ فِرْعُونُ﴾ الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ﴾ أضلته ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي صَبْرٍ بَعِيدٍ﴾ فدعوته فاستجاب لي، وقال هو: أطعاني بدعائه له.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَى﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعْدِ﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بد منه. [٢٩] ﴿مَا يَبْدُلُ يُغَيِّرُ﴾ الْقَوْلُ لَدَى فِي ذَلِكَ ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْبَعِيدِ﴾ فأعذبهم بغير جرم، و«ظلام» بمعنى: ذي ظلم؛ لقوله: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٣٠] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه «ظلام» ﴿تَقُولُ﴾ بالنون والياء<sup>(٣)</sup> ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ استفهام تحقيق؛ لوعده بملئها ﴿وَتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال: ﴿هَلِ مِنْ مَرْيَدٍ﴾ أي: لا أسع غير ما امتلأت به؛ أي: قد

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذِ تَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيذٌ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكُمْ يَوْمَ الْوَعْدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ فِرْعُونُ هَذَا مَا لَدَى عَيْنِي ﴿٢٣﴾ أَلَيْفًا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنٍ ﴿٢٤﴾ مَنَاجِلَ لِلْحَرِّ مُعْتَدٍ مَرِيبٌ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرًا ﴿٢٦﴾ فَأَلْقَيْنَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٧﴾ قَالَ فِرْعُونُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي صَبْرٍ بَعِيدٍ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَى وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْبَعِيدِ ﴿٣٠﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَرْيَدٍ ﴿٣١﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣٢﴾ هَذَا مَا نُوْعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٣﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَلِيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٤﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكُمْ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٥﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٦﴾

امتلأت<sup>(٤)</sup>. [٣١] ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ قُرِبَتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكاناً ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم فيرونها. [٣٢] ويقال لهم: ﴿هَذَا﴾ المرئي ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالناء والياء<sup>(٥)</sup>؛ في الدنيا، ويبدل من ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رَجَّاعٌ إلى طاعة الله ﴿حَفِيفٌ﴾ حافظ لحدوده. [٣٣] ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَلِيْبَ﴾ خافه ولم يره ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ مقبل على طاعته. [٣٤] ويقال للمتقين - أيضاً -: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ سالمين من كل محوف، أو مع سلام؛ أي: سلموا وادخلوها ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ الدوام في الجنة. [٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا.

(١) وهي قراءة شاذة، وقال القاضي في قرة العينين: هذا سهو من الجلال المحلي، صوابه: أن قراءة الحسن هي: بهزرة مكسورة، وبألف مدودة بعد القاف، وهمة منصوبة منونة؛ أي: «إلقاء» مصدر «ألقى»-أه.

(٢) عافر: ١٧.

(٣) بالياء قراءة نافع وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالنون.

(٤) هذا قول عطاة ومجاهد ومقاتل بن سليمان. وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة. وهو مروي عن ابن عباس، وقال ابن كثير: هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث. أه. ويؤيده ما في الصحيحين من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «يُلْقَى فِي النَّارِ» ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَرْيَدٍ﴾ حتى يضع قدمه، فتقول قط قطه. وفي رواية في الصحيحين أيضاً: «... حتى يضع رب العزة فيها قدمه؛ فتقول قط قط وعزتك...». البخاري (٤٨٤٨)، (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨). وفي رواية أبي هريرة عندهما مرفوعة: «... فتلا حتى يضع رجليه؛ فتقول: قط؛ فهناك تنقلب...».

البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٥) بالياء قراءة ابن كثير.

وغيرهم، من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَيَحْجَمِدُ رَبُّكَ﴾ صل حامدا ﴿فَقُلْ طُلُوعُ الشَّمْسِ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلُ الْغُرُوبِ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر.

[٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَيَجْعَلُ﴾ أي: صل العشاءين ﴿وَأَذْبُرَ الشُّجُورَ﴾ بفتح الهزمة: جمع دُرٍّ، وكسرهما<sup>(١)</sup>: مصدر أذبر؛ أي: صل النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات، ملائسا للحمد.

[٤١] ﴿وَأَسْمِعْ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يَوْمَ يَنَادُ السَّادُ﴾ هو إسرائيل ﴿وَمِنَ النَّكَانِ قَرِيبٍ﴾ من السماء<sup>(٢)</sup>، وهو صخرة بيت المقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء، يقول: أيها العظام البالية، والأوصال المقطعة، واللحم المتشقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

[٤٢] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: الخلق كلهم ﴿الْصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالبعث، وهي النفخة الثانية من إسرائيل، ويحتمل أن تكون قبل نداءه وبعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يَوْمَ تُنْفَخُ الْأُفُوفُ﴾ من القبور، وناصب «يوم ينادي» مقدر؛ أي: يعملون عاقبة تكذيبهم<sup>(٣)</sup>.

[٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أي: يوم ﴿يَوْمَ﴾ قبله، وما بينهما اعتراض ﴿تَشْفَقُ﴾

بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها<sup>(٤)</sup> ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ يَرْجِعُ﴾ جمع «سريع»، حال من مقدر؛ أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها، للاختصاص وهو لا يضر، و«ذلك» إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء والجمع للعرض والحساب.

[٤٥] ﴿تَحْنُ أَعْمُرُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ تجبرهم على الإيمان، وهذا من قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾ من يخاف وعيدهم وهم المؤمنون.

### سورة الذاريات

[مكية، ستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالذَّارِيَاتُ﴾ الرياح تذررو التراب وغيره ﴿ذُرُورًا﴾ مصدر، ويقال: تذريره ذرًّا؛ تَهْبُّ به. [٢] ﴿فَالْمَلَكُوتُ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وَقَرَارًا﴾ نقلا، مفعول «الحاملات». [٣] ﴿فَالْبَلَدُورَاتُ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿بَشِيرًا﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال؛ أي: ميسرة. [٤] ﴿فَالْمَقْسِمَاتُ أَمْرًا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، بين البلاد والعباد. [٥] ﴿إِنَّا نُوَعِدُونَ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾ لوعده صادق. [٦] ﴿وَإِنَّا لَأَنذِرِينَ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاعِقُ﴾ لا محالة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبُرَ النُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَاللَّيْلَةُ الْصَبِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ تَحْنُ أَعْمُرُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مِنْ خِافٍ وَعِيدٍ ﴿٤٥﴾

### سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتُ ذُرُورًا ﴿٣٦﴾ فَالْمَلَكُوتُ وَقَرَارًا ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبُرَ النُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَاللَّيْلَةُ الْصَبِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ تَحْنُ أَعْمُرُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مِنْ خِافٍ وَعِيدٍ ﴿٤٥﴾

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: أهلنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾ قَشَّوْا ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ لهم أو لغيرهم من الموت؟ فلم يجدوا.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرًا﴾ لعظة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع الوعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر بالقلب.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة<sup>(١)</sup> ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ تعب، نزل رذا على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت<sup>(٢)</sup>، وانتفاء التعب عنه؛ لتنزيهه تعالى - عن صفات المخلوقين<sup>(٣)</sup>، ولعدم المماثلة بينه وبين غيره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup>.

[٣٩] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود

(١) راجع التعليق على تعيين هذه الأيام وتحديدها في تفسير سورة فصلت، الآيات (٩ - ١٢).

(٢) روي هذا عن ابن عباس، كما عند الحاكم في مستدركه (٥٤٣/٢)، وصححه، وتعبه الذهبي، وأخرجه أيضًا الطبري في جامع البيان (٦١/٢٤)، وذكره اسيوطي في الدر المنثور (٣١٤/٧)، وضعفه في الاستيعاب (٢٩٠/٣، ٢٩١).

(٣) إن أراد نفي مشابهة صفاته - شبيهاته - لصفات المخلوقين فهذا حق، وإن أراد نفي الصفات عنه كصفة اليد والوجه وغيرها من الصفات الذاتية؛ فهذا باطل وهو مذهب أهل التعطيل.

(٤) يس: ٨٢. (٥) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وحجرة.

(٦) روي هذا عن كعب الأحبار، وليس فيه نص صحيح ثابت مرفوع إلى النبي ﷺ.

(٧) قال في حاشية الجمل: «ولو قدره الشارح بجنب منصوبه؛ لكان أسهل في الفهم؛ لأنه قوله: «ذلك يوم الخروج» من جملة الاعتراض «آتي التنبيه عليه؛ فالعامل في «يوم ينادي» يقدر قبله» اهـ.

(٨) بالشديد مع ما ذكر، قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.



وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْجَنَابِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُتَخَلِّفٍ ﴿٨﴾ تُوَفَّكُ عَنْهُ مَن  
أُفِكَ ﴿٩﴾ قَتَلَ الْخُرَصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَوْهَا هُونَ ﴿١١﴾ يَسْتَلُونَ  
أَيَّانَ يَوْمُ الرِّدِّينَ ﴿١٢﴾ يَوْمَهُمْ عَلَى النَّارِ يَفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ دُؤُومًا وَفَتَنُكُمْ  
هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ  
﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَاءٍ تَسْهُرُهُمْ فِيهِمْ أَهْنَهُمْ كَأَوْ قَبْلِ ذَلِكَ مُخْسِنِينَ ﴿١٦﴾  
كَأَوْ أَقْلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾  
وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ  
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ  
وَمَا تَوَدُّونَ ﴿٢٢﴾ قَرَّبَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنْكُمْ  
تَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ بْنِ رَبِيْعٍ الْمَكْرُمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ  
دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَيْهَا  
أَهْلِيهَا فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ  
﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِعَالَمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾  
فَأَقْبَلَ بَعْثُهُ أُمَّرَأَتَهُ فِي صَرَقٍ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ  
﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

[٢٧] ﴿فَرِيقَهُ﴾ إِنَّمَا قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿عَرَضَ عَلَيْهِمُ الْأَكْلُ﴾ فلم يجيبوا  
 [٢٨] ﴿فَأَوْحَسَ﴾ أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ ﴿وَمِنْهُمْ خِيفَةٌ﴾ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴿إِنَّا رُسُلُ﴾  
 رَبِّكَ ﴿وَيَسِّرُوا﴾ يُعَلِّمُ عَلَيْهِ ﴿ذِي عِلْمٍ كَثِيرٍ﴾ وَهُوَ إِسْحَاقُ كَمَا ذَكَرَ فِي  
 «هُود».

[٢٩] ﴿أَفَأَنْتُمْ أَمْرَانِدُمْ﴾ سَارَةُ ﴿فِي صَرْفٍ﴾ صَبِيحَةٌ، حَالٌ؛ أَي: جَاءَتْ  
 صَائِحَةً ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لَطَمَتْهُ ﴿وَقَاتَتْ عَيْنَيْ عَقِيمٍ﴾ لَمْ تَلِدْ لِفُطْرٍ، وَعَمَرَهَا  
 تِسْعَ وَتِسْعُونَ سَنَةً، وَعَمَرَ إِبْرَاهِيمَ مِائَةَ سَنَةً، أَوْ: عَمَرَهُ مِائَةً وَعِشْرُونَ سَنَةً،  
 وَعَمَرَهَا تِسْعُونَ سَنَةً.

[٣٠] ﴿قَالُوا كَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلَ قَوْلِنَا فِي الْبَشَارَةِ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ إِنَّمَا هُوَ  
 الْمَكِينُ ﴿فِي صُنْعِهِ﴾ الْعَلِيمُ ﴿يَخْلُقُ﴾.

[٧] ﴿رَأَيْتَ ذَاتَ الْمُنَى﴾ جمع «مبيكة»؛ كطريقة و«الطرق»؛ أي: صاحبة الطرق في الخلقة؛ كالطريق في الرمل. [٨] ﴿إِنَّمَا﴾ يا أهل مكة، في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿لَقَدْ قُولَ تَخْلِفُ﴾ قيل: شاعر، ساحر، كاهن، شعر، سحر، كهانة. [٩] ﴿يُؤْفَاقُ﴾ يصرف عَنْهُ عن النبي ﷺ والقرآن؛ أي: عن الإيمان به ﴿مَنْ أَيْكَ﴾ صرف عن الهداية في علم الله - تعالى -.. [١٠] ﴿يُنَزِّلُ الْمَرْصُومَ﴾ ليعن الكذابون، أصحاب القسول المختلف. [١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍ﴾ جهن يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عن أمر الآخرة. [١٢] ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ النبي استفهام استهزاء: ﴿أَيَّانَ يَوْمَ الْآزِينِ﴾ أي: متى مجيئه؛ وجوابهم: بجي. [١٣] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنُونَ﴾ أي: يعذبون فيها. [١٤] ويقال لهم حين التعذيب: ﴿ذُوقُوا وَتَنَكَّرُ﴾ تعذيبكم ﴿هَذَا﴾ التعذيب ﴿الَّذِي كُنتُمْ يَوْمَ تَسْتَعِيلُونَ﴾ في الدنيا استهزاء. [١٥] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّتٍ﴾ بساين ﴿وَمُتْرُونَ﴾ تجري فيها. [١٦] ﴿مُتْرِينَ﴾ حال من الضمير في خبر «إن» ﴿مَا آتَيْنَهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رِزْقًا﴾ من الثواب ﴿وَأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي: دخولهم الجنة ﴿مُتَحِينَ﴾ في الدنيا. [١٧] ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الْإِنْسَانِ مَا يَهْتُمُّونَ﴾ ينامون، و«ما» زائدة، و«يهجمون» خبر «كان» و«قليلًا» ظرف؛ أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلون أكثره. [١٨] ﴿وَالْأَنْصَارُ هُمْ فَسَعْفُونَ﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا. [١٩] ﴿وَقَدْ أَمَرْنَاهُمْ حَقَّ لِسَانِنَا﴾ الذي لا يسأل لتعفيه. [٢٠] ﴿وَقَدْ أَلْزَمْنَاهُ﴾ من الجبال والبحار والأشجار والشمار والنبات وغيرها ﴿أَنِيبَ﴾ دلالات على قدرة الله - سبحانه وتعالى - ووحدانيته ﴿لِتُوقِينَ﴾. [٢١] ﴿وَقَدْ أَنشَبْنَا﴾ أيضا من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته؟ [٢٢] ﴿وَقَدْ أَنشَأْنَا رِزْقَكُمْ﴾ أي: المطر المسبب عنه النبات، الذي هو رزق ﴿وَمَا مَعْدُونُ﴾ من الملب والثواب والعقاب؛ أي: مكتوب ذلك في السماء. [٢٣] ﴿وَقَدْ أَنشَأْنَا وَالْأَرْضَ نِيبًا﴾ أي: ما توعدون ﴿لَقَدْ﴾ [مِثْلُ] مَا أَكُنْتُمْ تَطْبُونُ﴾ برفع «مثل»: صفة، و«ما» مزيدة، ويفتح اللام: مركبة مع «ما»<sup>(١)</sup>، المعنى: مثل نطقكم في حقيقته؛ أي: معلوميته عندكم ضرورة صدورهم عنكم. [٢٤] ﴿هَذَا أَنذَارٌ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿حَدِيثٌ ضَيْفٌ إِيَّاهُمْ﴾ الضيف ملائكة؛ ائنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل. [٢٥] ﴿إِنَّ﴾ ظرف لـ«حديث ضيف» ﴿إِنَّ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: هذا اللفظ<sup>(٢)</sup> ﴿قَوْمٌ مُّشْكُونَ﴾ لا يعرفهم، قال ذلك في نفسه، وهو خير مبتدأ مقدر؛ أي: هؤلاء.

[٢٦] ﴿نَارًا﴾ مال ﴿إِلَى أَهْلِيهِ﴾ سرًّا ﴿فَجَاءَ بِعَبْلٍ سَابِقٍ﴾ وفي سورة هود ﴿بِعَبْلٍ حَبِيزٍ﴾<sup>(٣)</sup> أي: مشوي.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) أي: الذي صدر منهم هو لفظ: «سلاماً»؛ منصوب بفعل مقدر، والذي صدر منه هو لفظ «سلام»؛ مرفوع على الخبرية لابتداء مضمراً.

(۳) هود: ۶۹.

[٣٨] ﴿وَفِي مُوسَى﴾ معطوف على ﴿فِيهَا﴾، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبساً ﴿بِشَاطِلَيْنِ ثُبَيْنِ﴾ بحجة واضحة.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْبَةٍ﴾ مع جنوده؛ لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى: هو ﴿سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَبَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر، فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فرعون ﴿مُكَلِّمٌ﴾ أت بما يلام عليه؛ من تكذيب الرسل، ودعوى الربوبية.

[٤١] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها؛ لأنها لا تحمل المطر، ولا تلقح الشجر، وهي الذُّبُورُ<sup>(١)</sup>.

[٤٢] ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ نفس أو مال ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْرِ﴾ كالباقي المنفت.

[٤٣] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى انقضاء آجالكم، كما في آية: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٤٤] ﴿فَتَوَلَّى﴾ تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن امتثاله ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام؛ أي: الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: بالنهار.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ يَمِينٍ﴾ أي: ما قادروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُتَنَبِّينَ﴾ على من أهلهم.

[٤٦] ﴿وَقَوْمٌ ثُوْجٌ﴾ بالجر عطف على ﴿ثَمُودَ﴾ أي: وفي إهلاكهم بما في<sup>(٣)</sup> السماء والأرض آية، وبالنصب<sup>(٤)</sup>؛ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿بَيْنَ قَبْلٍ﴾ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿وَبَيْنَ مَا كَانُوا قَوْمًا فَتَقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَالنَّامَاءَ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِمْ بَقْرَةٌ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَأَنَّا لَمُوسِمُونَ﴾ قادرون، يقال: أد الرجل يئد قوي، وأوسع الرجل: صار ذا سعة وقوة.

[٤٨] ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهدناها ﴿فَيَتَمَّ الْمُتَهَدُونَ﴾ نحن.

[٤٩] ﴿رُومٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿خَلَقْنَا﴾ ﴿خَلَقْنَا رُومَيْنِ﴾ صنفين؛ كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل؛ ففعلهم أن خالق الأزواج فرد فتعبده.

[٥٠] ﴿فَتَيَوَّنُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى ثوابه من عقابه؛ بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يبين الإنذار.

[٥١] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمْرُودٍ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(٩)</sup> ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١١)</sup> ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾<sup>(١٢)</sup> ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١٣)</sup> ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ﴾<sup>(١٤)</sup> ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾<sup>(١٥)</sup> ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَبَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾<sup>(١٦)</sup> ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾<sup>(١٧)</sup> ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْرِ﴾<sup>(١٨)</sup> ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾<sup>(١٩)</sup> ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(٢٠)</sup> ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَنَبِّينَ﴾<sup>(٢١)</sup> ﴿وَقَوْمٌ ثُوْجٌ مِنْ قَبْلٍ إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْوَمًا فَتَقِينَ﴾<sup>(٢٢)</sup> ﴿وَالنَّامَاءَ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِمْ وَالْمُوسِمُونَ﴾<sup>(٢٣)</sup> ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَيَتَمَّ الْمُتَهَدُونَ﴾<sup>(٢٤)</sup> ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢٥)</sup> ﴿فَقَرَأُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٢٦)</sup> ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٢٧)</sup>

[٣١] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾. [٣٢] ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمْرُودٍ﴾ كافرين، هم قوم لوط.

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ مطبوخ بالنار.

[٣٤] ﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلمة، عليها اسم من يُرمي بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ يأتينهم المذكور مع كفرهم.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك الكافرين.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهم قوم لوط وابنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام؛ أي: هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آيَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم.

(١) كما عند البحاري ومسلم من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «فُصِّرَتْ بِالضُّبَا، وَأَهْلِكْتَ عَادَ بِالذُّبُورِ». والضُّبَا: هي الريح التي تهب من مطلع الشمس، والذُّبُور: هي التي تهب من مغربها. البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠).

(٢) هود: ٦٥.

(٣) قرأ أبو عمرو وحزمة والنكاشي بالخفض، وقرأ بقية السبعة بالنصب.

(٤) في نسخة القاضي: «بماء».

(٥) الأيد هنا مصدر أد؛ وليس بجمع ليد، فليس في الآية تأويل، ومن ثم فليس فيها متمسك لمن زعم تناقض السلف في آيات الصفات تأويلاً وتركاً له.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَصَّوْنَ بِهِمْ ثُمَّ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ قَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهُوا أَنْ يَنْفَعُوا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوبًا مِثْلَ ذُوبٍ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾ قَوْلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

### سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مُسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلِ يَوْمَ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزٍ يَبْعُوثُ ﴿١١﴾ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٢﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٣﴾

### سُورَةُ الطُّورِ

[مكية، تسع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَالطُّورِ ﴿١﴾ أي: الجبل الذي كلم الله عليه موسى.

[٢] وَكَتَبَ مُسْطُورٍ ﴿٢﴾ [٣] فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ أي: التوراة أو القرآن.

[٤] وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ هو في السماء الثالثة<sup>(١)</sup> أو السادسة<sup>(٢)</sup> أو السابعة<sup>(٣)</sup>، بحيال الكعبة<sup>(٤)</sup>، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، بالطواف

والصلاة لا يعودون إليه أبدًا<sup>(٥)</sup>. [٥] وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ أي: السماء.

[٦] وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ أي: المملوء<sup>(٦)</sup>. [٧] إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾

لنازل بمستحقه. [٨] مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ عنه.

[٩] يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾

(١) لم أجده، وروي عن أبي هريرة مرفوعاً أنه في السماء الدنيا، وهو مخالف لما في الصحيحين من حديث أنس أنه في السابعة، وسيأتي.

(٢) وهو مروي عن علي، وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن الضحاك في قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: «أُتِرَ من الجنة فكان يعمر بمكة، فلما كان الفرق رفعه الله فهو في السماء السادسة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، من قبيلة إيليس، ثم لا يرجع إليه أحد يوماً واحداً أبداً» [الدر المنثور (١٤٤/٦)].

(٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في شعب الإيمان عن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» [الدر المنثور (١٤٤/٦)]، وهو في الصحيحين من حديث أنس كما سيأتي.

(٤) أخرج ابن المنذر والعقيلي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «في السماء بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة... الحديث، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (١٤٤/٦)». وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو رفعه قال: «إن البيت المعمور بحيال الكعبة لو سقط شيء منه لسلط عليها... الحديث».

وأخرج ابن جرير عن قتادة في قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: «ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها... الحديث. وهناك آثار وأحاديث أخرى. انظر: [الدر المنثور (١٤٤/٦، ١٤٥)]. وإسناده مرسل صحيح كما في الصحيحة. وقال الألباني: وجملته القول: إن هذه الزيادة: «وحيال الكعبة» ثابتة بمجموع طرقها...، الصحيحة (١٧٨١/١).

(٥) البخاري (٢٩٦٨) ومسلم (٢٣٤) عن أنس بن مالك وفيه «فرغ لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...». وفي صحيح مسلم (٢٣٤) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً: «... ثم خرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، فتفتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ ساجداً طهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه...».

(٦) هنا قول قتادة والحسن وجمهور اللغويين. وقال محمد بن كعب والضحاك: يعني «الموقد» الحامي؛ بمنزلة النور. أي القرن. المسجور. وهو قول ابن عباس؛ كما في تفسير البغوي. وقيل غير ذلك.

[٩] يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ تتحرك وتدور.

[١٠] وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ تصوير هباء منثوراً، وذلك في يوم القيامة.

[١١] قَوْلِ يَوْمَ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ شدة عذاب. [يَوْمِيزُ لِلْمُكَذِّبِينَ] للرسل.

[١٢] الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزٍ يَبْعُوثُ ﴿١٢﴾ باطل. [يَبْعُوثُ] أي: يتشاعلون بكفرهم.

[١٣] يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ يدفعون بعنف، بدل من [يَوْمَ تَمُورُ]، ويقال لهم تبيكيتاً: [١٤] هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾.

﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿وَرَوَّجْتَهُمْ﴾ عطف على ﴿جَنَّتْ﴾؛ أي: قرناهم ﴿يُحَوِّرُ عَيْنَ﴾ عظام الأعين حسانها<sup>(١)</sup>.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مبتدأ ﴿وَأَنفِثْنَا﴾<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة: ﴿وَأَنفِثْنَاهُمْ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمُ﴾ الصغار والكبار ﴿يَايَمُنَ﴾ من الكبار، ومن الآباء في الصغار<sup>(٤)</sup>، والخبر: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمُ﴾ المذكورين في الجنة، فيكونون في درجاتهم وإن لم يعملوا بعملهم؛ تكرمة للآباء، باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَا أَكُنْتُمْ لَآلِئًا﴾ وكسرها<sup>(٥)</sup>: نقصناهم ﴿مِّنْ عَلَيْهِمْ مِّنْ زَانِدَةٍ﴾ يزاد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ﴾ من عمل خير أو شر ﴿رَهِيْنٌ﴾ رهون؛ يؤخذ بالشر، ويجازى بالخير.

[٢٢] ﴿وَأَنفِثْنَاهُمْ﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿فَنَكَّهَتْهُمُ وَلَحَّهَتْهُمُ﴾<sup>(٦)</sup> وإن لم يصبروا بطلبه.

[٢٣] ﴿يَتَنَزَّعُونَ﴾ يتعاطلون بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿كَأَنَّهُمْ خَمْرٌ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿لَا أَعُو فِيهَا﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ به يلحقهم، بخلاف خمر الدنيا.

[٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿عِلْمَانٌ﴾ أرقاء<sup>(٨)</sup> ﴿فَهُمْ كَانَتْهُمْ﴾ حسناً ولطافة ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ مَّكُونُونَ﴾ مصون في الصدق؛ لأنه فيها حسن منه في غيرها.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه وما وصلوا إليه؛ تلذذاً واعتقاداً بالنعمة.

[٢٦] ﴿قَالُوا﴾ إيماء إلى علة الوصول: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِيْنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين من عذاب الله.

[٢٧] ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَّظَنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ النار؛ لدخولها في المسام.

[٢٨] وقالوا إيماء - أيضاً -: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده موحدين ﴿إِنَّمَا﴾ بالكسر استئناف؛ وإن كان تعليلاً معني، وبالفتح<sup>(٩)</sup> تعليلاً لفظاً ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾ الحسن الصادق في وعده ﴿الرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة.

[٢٩] ﴿فَذَكَّرْنَا﴾ دُم على تذكير المشركين، ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك ﴿يَكَاهِنُ﴾ خبير «ما» ﴿وَلَا يَحْشُونَ﴾ معطوف عليه.

[٣٠] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ تَرْيِضُ يَوْمَ رَبِّهِ الْمُنُونِ﴾ حوادث الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء.

[٣١] ﴿فَقُلْ تَرَوْهُمْ﴾ هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُمْ يَوْمَ الْمُرَيْصِينَ﴾ هلاككم، فغذبوا بالسيف يوم بدر، والريص: الانتظار.

أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا قَاصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَا تُصْبِرُوا سَوَاءً عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَبِيعِيرٍ ﴿١٨﴾ فَكَيْهِنَ بِمَاءِ انْتِهَمَ رِيْهُمْ وَوَقَّظَهُمْ رِيْهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ كُؤُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْلُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿٢٢﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَخَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٣﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَنَّهُمْ كَأَسَا لَا تَعُوفِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٢٤﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ عِلْمَانٌ لَهُمْ مَّا أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مَّكُونُونَ ﴿٢٥﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٦﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّظَنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٨﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٩﴾ فَذَكَّرْنَا أَنَّهُ يَنْعَمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٣٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرْيِضُ بِهِ رَبِّنَا الْمُتُونِ ﴿٣١﴾ قُلْ تَرَوْهُمْ فَأَنَّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَيْصِينَ ﴿٣٢﴾

[١٥] ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا﴾ العذاب الذي ترون، كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؟

[١٦] ﴿أَصَلَوْهَا قَاصِرُونَ﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تُصْبِرُوا﴾ صبركم وجرعكم ﴿سَوَاءً عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ﴾ ما كنتم تعملون؛ أي: جزاء.

[١٧] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَبِيعِيرٍ﴾.

[١٨] ﴿فَكَيْهِنَ﴾ مثلذذين ﴿بِمَاءٍ﴾ مصدرية ﴿ءَالَتْهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رِيْهُمْ وَوَقَّظَهُمْ رِيْهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ عطفًا على ﴿ءَالَتْهُمْ﴾ أي: بإتيانهم ووقايتهم.

[١٩] ويقال لهم: ﴿كُؤُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال؛ أي: مهئينين ﴿بِمَاءٍ﴾ الباء سببية ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[٢٠] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال من الضمير المستكن في قوله: ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾

(١) هذا المذكور تفسير «عين» ومفردها عيناء. وأما معنى «حور» فهو اسوداد المقلة، ولا يقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها. ويقال: حورت الفحل، أي اشتد بياض بياضها، وسواد سوادها.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَنفِثْنَاهُمْ﴾.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر، لكن الأول مع النصب، والثاني مع الرفع، وقرأ بقية السبعة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

(٤) أي: وبايمان الآباء في الصغار.

(٥) بالكسر قراءة ابن كثير.

(٦) أي كالأرقاء في الحياة والاستيلاء؛ مسخرين لخدمته.

(٧) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْلَانُ﴾ عقولهم ﴿هَذَا﴾ قولهم له: ساحر، كاهن، مجنون؟ أي: لا تأمرهم بذلك ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بعبادهم.  
[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ اختلق القرآن؟ لم يخلقه ﴿بل لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استكباراً.

[٣٤] فإن قالوا: اختلقه ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مختلف ﴿مِثْلِهِ﴾ إن كانوا صديقين في قولهم.

[٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أنفسهم؟ ولا يُقَالُ مخلوق بغير خالق، ولا معلوم يخلق، فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد، فلم لا يوجدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟

[٣٦] ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق، فلم لا يعبدونه؟ ﴿بل لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به، وإلا آمنوا بنبيه.

[٣٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقٍ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخسبوا من شاؤوا بما شاؤوا؟ ﴿أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ﴾ المتسلطون الجبارون، وفعله: سيطر، ومثله: يطر ويقر<sup>(١)</sup>.

[٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مرقى إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه؛ كلام الملائكة، حتى يمكنهم منازعة النبي، بزعمهم، إن ادعوا ذلك؟ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ﴾ مدعي الاستماع عيه ﴿بِشَاطِطٍ مُبِينٍ﴾ بحجة بينة واضحة.

[٣٩] ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال - تعالى -: ﴿أَمْ لَهُ الْكِنُزُتُ﴾ بزعمكم ﴿وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾؟ تعالى الله عما زعمتموه.

[٤٠] ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ أُخْرَآ﴾ على ما جنتهم به من الدين ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ﴾ غرم ذلك ﴿مُتَقَلَّبُونَ﴾ فلا يسلمون؟

[٤١] ﴿أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ﴾ أي: علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ذلك، حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة، بزعمهم؟

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك، ليهلكوا في دار الندوة؟ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ المغلوبون المهلكون، فحفظه الله منهم، ثم أهلكهم بيدر.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ شَبَّحَ اللَّهُ عَنَّا يُشْرِكُونَ؟ به من الآلهة، والاستفهام بـ«أَمْ» في مواضعها للتقبيح والتوبيخ.

[٤٤] ﴿وَيَا زُرَّارًا كَسَفًا﴾ بعضاً ﴿وَيَا أَسْمَاءَ سَاطِفًا﴾ عليهم، كما قالوا: ﴿فَأَسْفِطْ عَلَيْنَا كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: تعذبتنا لهم ﴿يَقُولُوا﴾: هذا ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ متراكب ترتوي به، ولا يؤمنون.

[٤٥] ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يموتون.

[٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُنْفَى بَدَلٌ مِنْ: يَوْمِهِمْ﴾ عنهم كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿يَمْنَعُونَ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ﴾.

[٤٧] ﴿وَيَا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بكفرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا قبل

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ  
بَل لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ  
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ  
أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُ الْكِنُزُتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٨﴾  
أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ  
فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤١﴾  
أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا  
مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يُقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٣﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا  
يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٤﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً  
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَإِلِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ  
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ  
مُحَمَّدَ رَبَّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٧﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ ﴿٤٨﴾

## سُورَةُ النَّجْمِ

موتهم، فَعَذَّبُوا بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ سَبْعَ سِنِينَ، وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن العذاب ينزل بهم.

[٤٨] ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم، ولا يضق صدرك ﴿وَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ برأى منا نراك ونحفظك<sup>(٣)</sup> ﴿وَسَبِّحْ﴾ متبشراً ﴿بِمُحَمَّدٍ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك، أو من مجلسك.

[٤٩] ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حقيقة أيضاً ﴿وَإِدْبَرَ الْجُومِ﴾ مصدر؛ أي: عقب غروبها سبحانه أيضاً، أو: صل في الأول والعشاءين، وفي الثاني: الفجر<sup>(٤)</sup>، وقيل: الصبح<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) أي في الوزن «مفعيل»، ولم يأت على هذا الوزن إلا خمسة أفعال. ومُتَبَيَّنٌ: من: يفرق أي فسد هلك، ومشى مشية التفكير.

(٢) الشعراء: ١٨٧، و﴿كَسَفًا﴾ في آية الطور؛ هي بسكون السين، باتفاق القراء.

(٣) وفي الآية إثبات سنة العيون له - سبحانه - على الوجه اللائق بجلاله، وأما أفرادها في بعض النصوص وجمعهم في البعض الآخر؛ فهذا مما تسعه لغة العرب؛ حيث يمر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين، فلا حجة في ذلك على نفيها.

(٤) أي: سنة الفجر.

(٥) أي: الفريضة. واختاره الطبري.

يريه نفسه، على صورته التي خلق عليها، فواعده بـ«حراء»، فنزل جبريل له في صورة آدميين<sup>(١)</sup>. [٨] ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قرب منه ﴿كَذَلِكَ﴾ زاد في القرب.

[٩] ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابٌ﴾ قدر ﴿فَوْسَيْنٍ أَوْ أَدْنَى﴾ من ذلك حتى أفاق وسكن روعه. [١٠] ﴿فَأَوْحَى﴾ تعالى ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ جبريل ﴿مَا أَوْحَى﴾ جبريل إلى النبي ﷺ، ولم يذكر الموحى؛ تفخيماً لشأنه. [١١] ﴿مَا كَذَبَ﴾ باستخفاف والتشديد<sup>(٢)</sup>؛ أنكر ﴿الْفُؤَادَ﴾ فؤاد النبي ﴿مَا رَأَى﴾ ببصره من صورة جبريل. [١٢] ﴿أَفَتَمُنُّونَهُ﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل. [١٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ على صورته ﴿نَزَّلَهُ﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾. [١٤] ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ لما أسري به في السماوات، وهي شجرة تنبع عن بين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم. [١٥] ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ تأوي إليها الملائكة، وأرواح الشهداء، والمؤمنين<sup>(٣)</sup>. [١٦] ﴿إِذْ﴾ حين ﴿يَقْنَىٰ السِّدْرَةَ﴾ مَا يَقْنَىٰ من طير وغيره، «إذ» معمولة لـ«رآه». [١٧] ﴿مَا رَأَىٰ الْبَصَرُ﴾ من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما مال بصره عن مرثيه المقصود له، ولا جازوه تلك الليلة. [١٨] ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ فيها ﴿مِنَ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ العظام، أي: بعضها؛ فرأى من عجائب الملكوت رفراً أخضر سد أفق السماء<sup>(٤)</sup>، وجبريل له ستمائة جناح<sup>(٥)</sup>. [١٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾. [٢٠] ﴿وَمَنْزِلَةَ آلِ لُحْيٍ﴾ قبلها ﴿الْأُخْرَىٰ﴾ صفة ذم للثلاثة، وهي: أصنام من حجارة، كان المشركون يعبدونها، ويؤمنون أنها تشفع لهم عند الله، ومفعول «أفرايتم» الأول: «اللات»، وما عطف عليه، والثاني محذوف، والمعنى: أخبروني، ألهذه الأصنام قدرة على شيء، ما، فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟ [٢١] ﴿وَمَا زَعَمُوا﴾ أيضاً. أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزلت: ﴿الْكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾. [٢٢] ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ جائرة، من ضاهه يضيئه: إذا ظلمه وجار عليه. [٢٣] ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما المذكورات ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُهُمْ﴾ أي: سميتم بها ﴿أَنْثَرُ وَمَا بَأْسُكُمْ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: عبادتها ﴿مِنَ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما يعبدون ﴿فِي عِبَادَتِهَا﴾ ﴿إِلَّا الظَّنُّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ مما زين لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند الله - تعالى - ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهَدَىٰ﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه. [٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ﴾ أي: لكل إنسان منهم ﴿مَا تَشَاءُ﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. [٢٥] ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيها إلا ما يريد - تعالى - .. [٢٦] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ أي: وكثير من الملائكة ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لَا تَعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿وَيَرْضَىٰ﴾ عنه؛ لقوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ﴾، ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها ﴿وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٦)</sup>

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمُنُّونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْزِلَةَ آلِ لُحْيٍ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ يَكُن لَّهُنَّ الْكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُهُمْ أَنْثَرُ وَمَا بَأْسُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهَدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَانِعَتٌ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

## سورة النجم

[مكية، اثنتان وستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّجْمِ﴾ النُّجُومُ ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ غاب. [٢] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد - عليه الصلاة والسلام - عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما لابس الغي، وهو جهل من اعتقاد فاسد. [٣] ﴿وَمَا يَنْطِقُ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ هوى نفسه. [٤] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ إليه. [٥] ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ملك ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾. [٦] ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة؛ أو: منظر حسن؛ أي: جبريل عليه السلام. [٧] ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ أفق الشمس؛ أي: عند مطلعها، على صورته التي خلق عليها، فرآه لنبي ﷺ وكان بـ«حراء»، قد سد الأفق إلى المغرب، فخر مغشياً عليه<sup>(١)</sup>، وكان قد سألَهُ أن

(١) كما في حديث جابر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى بهبط، فوديت فظفرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي؛ فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فحشنت مه رعباً...» البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٢) يشير إلى ما أخرجه أحمد عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته، فقال: ادع ربك، قال: فمدأ رقبته. قال: فطلع عليه سواد من قبل المشرك. قال: فجعل يرتفع وينتشر. قال: فلما رآه النبي ﷺ ضيق. فأنه فعضه، ومسح اللزاق عن شفتيه. وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٧/١)، والبيهقي في الجمع (٢٥٧/٨)، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. (المسند ٣٤٨/٤) حديث رقم (٢٩٦٧)، وضعف الأثرناؤوط إسناده في تحريجه على المسند (٢٩٦٥).

(٣) بالشديد قراءة هشام. (٤) في نسخة القاضي: فأو: أرواح الشهداء، أن: المفقودة. (٥) كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤). والرفوف: كساء، أو ثوب رفيع. (٦) البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود. (٧) الأنبياء: ٢٨. (٨) لقرة: ٢٥٥.

[٢٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيَةً الْأُنثَىٰ﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

[٢٨] ﴿وَمَا لَكُمْ بِهِمْ﴾ بهذا المقول ﴿مِنْ عَالِمٍ إِنْ﴾ ما ﴿يَكْفُرُونَ﴾ فيه ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ الذي تخيلوه ﴿وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يَصْنَعُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: عن العلم، فيما المطلوب فيه العلم.

[٢٩] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَوْ بُرِدَ إِلَّا الْحَبْوَةُ الْأَذْيَا﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿سَلَمَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: نهاية علمهم؛ أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْتَدَىٰ﴾ أي: عالم بهما، فيجازيهم.

[٣١] ﴿وَلَوْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضلال والمهتدي، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ﴿يَجْزِي الَّذِينَ أَسْتَفْتُوا﴾ وما عَمِلُوا من الشر والكفر وغيره ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَسْتَفْتُوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِالْحُسْنَى﴾ الجنة.

[٣٢] وَيَسِّرُ الْحَسَنِينَ بقوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغَمَ﴾ هو صغار الذنوب؛ كالنظرة والقبلة واللحمة، فهو استثناء منقطع، والمعنى لكن اللغم يغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ بذلك ويقبول التوبة، ونزل فيمن كان يقول: صلاتنا صياما حجنا<sup>(١)</sup>، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿يَكُونُ إِذْ أَنشَأَ مِثْرَ الْآنثَىٰ﴾ أي: خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَأَن تَنفِرَ أَجَنَةً﴾ جمع جنين ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾ لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَن أَتَىٰ﴾.

[٣٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان، ارتد لما غيّر به، وقال: إني خشيت عقاب الله، فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله، إن رجع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرجع<sup>(٢)</sup>.

[٣٤] ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ من المال المسمى ﴿وَأَكْذَىٰ﴾ منع الباقي، مأخوذ من الكدية، وهي أرض صلبة كالصخرة، تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر.

[٣٥] ﴿أَعْنَدَ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ يَرِي﴾ يعلم من جملة أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة أو غيره، وجملة: «أعنده» المفعول الثاني لـ«رأيت»، بمعنى: أخبرني.

[٣٦] ﴿أَنَّهُمْ﴾ بل ﴿لَمْ يَلْبِثَا يَمًا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ﴾ أسفار التوراة، أو صحف قبلها [٣٧] ﴿وَوَصَّ﴾ صحف إبراهيم الذي وصى ﴿تَمَّ مَا أَمَرَ بِهِ، نَحْوُ﴾ ﴿وَأِذْ أَنشَأَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَبِيرٍ فَاقْتَضَاهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٣٨] وبيان «ما»: ﴿أَنَّهُمْ﴾ لا تُرْزَ وَارِزَةٌ وَرَدَّ أُخْرَىٰ، إلخ، وأن» مخففة

(١) أي: يقولون ذلك، على سبيل الإعجاب والإدلال بعملهم.

(٢) روي ذلك عن زيد بن أسلم، كما عند الطبري في جامع البيان (٤٢/٢٧)، وهو ضعيف جدًا، كما في الاستيعاب (٢٩٩/٣).

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) أي: شذوذًا.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيَةً الْأُنثَىٰ ٧

وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَصْنَعُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ٨

فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ بُرِدَ إِلَّا الْحَبْوَةُ ٩

الْأَذْيَا ١٠ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْتَدَىٰ ١١

وَلَوْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَيَجْزِي الَّذِينَ أَسْتَفْتُوا وَيَجْزِي الَّذِينَ أَسْتَفْتُوا بِالْحُسْنَىٰ ١٢

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغَمَ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا تُنْفِرُ أَجَنَةً فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَتَىٰ ١٤

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْذَىٰ ١٥ أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ يَرِي ١٦

مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَصَّىٰ ١٧ أَلَا تَرَىٰ وَارِزَةً وَرَدَّ أُخْرَىٰ ١٨

وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ١٩ وَأَن سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ ٢٠

ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءُ الْآدِنَىٰ ٢١ وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُسْتَهَىٰ ٢٢

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَىٰ ٢٣ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ٢٤

من الثقيلة؛ أي: لا تحمل نفس ذنب غيرها.

[٣٩] ﴿وَأَنَّ﴾ أي: أنه ﴿لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخير شيء.

[٤٠] ﴿وَأَنَّ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ﴾ يصر في الآخرة.

[٤١] ﴿ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءُ الْآدِنَىٰ﴾ الأكم، يقال: جزئته سعيه وبسعيه.

[٤٢] ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفًا، وقرئ<sup>(١)</sup> بالكسر استئنافًا، وكذا ما بعدها، فلا يكون مضمون الجملة في الصحف على الثاني ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُسْتَهَىٰ﴾ المرجع والمصير بعد الموت، فيجازيهم.

[٤٣] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ﴾ من شاء أفرحه ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ من شاء أحزنه.

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث.

أهلكناهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ أَظْلَمَ وَأَلَمَى﴾ من عاد وثمود؛ لظول لبث نوح فيهم ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلَفَ سَكَةٍ إِلَّا خَسِيتَ عَامَا﴾<sup>(١)</sup> وهم - مع عدم إيمانهم به - يؤذونه ويضربونه. [٥٣] ﴿وَالَّذِينَ يَكْفَكُ﴾ وهي: قرى قوم لوط ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء، مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك. [٥٤] ﴿فَنَقَّبَهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا عَشَى﴾ أبهم توبلها، وفي هود: ﴿جَمَلَتْ عَلَيْهَا سَاكِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً سِيَّحِيلَ﴾<sup>(٢)</sup>. [٥٥] ﴿فَبَايَ آلَ رَيْكَ﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَمَارَى﴾ تشكك أيها الإنسان أو تكذب؟ [٥٦] ﴿هَذَا﴾ محمد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ﴾ الأول؛ من جنسهم؛ أي: رسول كالرسل قبله، أرسل إليكم، كما أرسلوا إلى أقوامهم. [٥٧] ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ قرب القيامة. [٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ نَفْسٌ كَاثِفَةٌ﴾ أي: لا يكشفها ويظهرها إلا هو؛ كقوله: ﴿لَا يَجِيئُهَا لُوفُهَا إِلَّا هُوَ﴾<sup>(٣)</sup>. [٥٩] ﴿أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ [٦٠] ﴿وَتَقْسِمُونَ﴾ استهزاء ﴿لَا تَكُونُ﴾ لسماع وعده ووعدته. [٦١] ﴿وَأَن تَسِيدُونَ﴾ لاهون غافلون عما يُطلب منكم؟ [٦٢] ﴿فَاتَّبِعُوا اللَّهَ﴾<sup>(٤)</sup> الذي خلقكم ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

### سورة القبر

[مكية، إلا ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ﴾ الآية. وهي: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَفَرَأَيْتِ النَّاسَ﴾ قرب القيامة ﴿وَأَنشَأَ الْقَمَرُ﴾ انفلق فلفتين، على أبي قبيس وقَعَقَفَانِ، آية له ﷺ، وقد سئلها فقال: «أشهدوا» [رواه الشيخان]<sup>(١)</sup>. [٢] ﴿وَلَن يَرَوَا﴾ أي: كفار قريش ﴿عَائَةَ﴾ معجزة له ﷺ ﴿يَعْرِضُوا وَيَقُولُوا﴾: هذا «يسخر سخر» قوي، من المنة: القوة، أو دائم<sup>(٢)</sup>. [٣] ﴿وَكَذَبُوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَأَيُّهَا أَهْوَاهُ﴾ في الباطل ﴿وَكُلَّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُسْتَوْرٍ﴾ بأهله في الجنة أو النار. [٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾ لهم، اسم مصدر، أو اسم مكان، والدال بدل من ناء الافتعال، وازدجرته وزجرته: نهيته بغلظة، و«ما» موصولة أو موصوفة. [٥] ﴿حِكْمَةً﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من «ما»، أو من «مزدجر» تامة ﴿فَمَا تَعْنِ﴾ تنفع فيهم ﴿النَّذْرُ﴾ جمع نذير، بمعنى منذر؛ أي: الأمور المنذرة لهم، و«ما» للنفي، أو للاستفهام الإنكار، وهي على الثاني مفعول مقدم. [٦] ﴿فَنَزَّلَ عَنْهُمْ﴾ هو فائدة ما قبله، وتم به الكلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ هو إسماعيل، وناصب «يوم»: «يخرجون» بَعْدُ ﴿إِلَىٰ قَعْنٍ تُكْسِرُ﴾ بضم

وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٥٦﴾ مِّن تُّفَفَةٍ إِذَا تَمَنَّى ﴿٥٧﴾ وَأَن عَلَيْهِ النَّشَاءُ الْآخَرَى ﴿٥٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٥٩﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى ﴿٦٠﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٦١﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٦٢﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٦٣﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٦٤﴾ فَغَشَّيْهَا مَا عَشَىٰ ﴿٦٥﴾ فَبَايَ آلَ رَيْكَ تَمَارَىٰ ﴿٦٦﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَىٰ ﴿٦٧﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٦٨﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٦٩﴾ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ ﴿٧٠﴾ تَعْجَبُونَ ﴿٧١﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَتَكُونُونَ ﴿٧٢﴾ وَأَن تَسِيدُونَ ﴿٧٣﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٧٤﴾

### سورة القبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَفَرَأَيْتِ النَّشَاءَ وَالنَّشَأَ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاهُمْ وَكُلَّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةً بَلَّغَةً فَمَا تَعْنِ النَّذْرُ ﴿٥﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُ عَلَقَ الرُّوحَيْنِ﴾ الصنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾. [٤٦] ﴿مِن تُّفَفَةٍ﴾ مني ﴿إِذَا تَمَنَّى﴾ تصب في الرحم. [٤٧] ﴿وَأَن عَلَيْهِ النَّشَاءَ﴾ بالمد والقصر<sup>(١)</sup> ﴿الْآخَرَى﴾ الحلقة الأخرى للبعث، بعد الحلقة الأولى. [٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ الناس، بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَى﴾ أعطى المال المتخذ فنية. [٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى﴾ هو: كوكب خلف الجوزاء، كانت تعبد في الجاهلية. [٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup> بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة، وهي قوم عاد، والأخرى قوم صالح. [٥١] ﴿وَتَمُودًا﴾ بالصرف اسم للأب، وبلا صرف<sup>(٣)</sup> للقبيلة، وهو معطوف على «عادًا» ﴿فَمَا أَبْقَى﴾ منهم أحدًا. [٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل عاد وثمود،

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١، ٢): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فأنشأ الشعر بمكة مرتين، فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتِ النَّشَاءَ وَالنَّشَأَ الْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْعُرُ مُسْتَمِرٌّ﴾ يقول: ذاهب. الترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٤). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٠)، وهو في الصحيحين مختصراً.

(١) بالمد قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراءة بقية السبعة بالقصر: ﴿النَّشَاءَ﴾ (٢) لأبي عمرو وورش، وقرأ قالون كذلك، لكنه يأتي بهجمة ساكنة بعد اللام. (٣) بالتنوين قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم. (٤) العنكبوت: ١٤. (٥) هود: ٨٢. (٦) الأعراف: ١٨٧. (٧) هذه أول آية سجدة نزلت، كما عند البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «سجد النبي ﷺ بالجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس». ولا علاقة لهذا السجود بقصة الغرانيق الباطلة، والتي سبق التنبؤ على بطلانها في تفسيره سورة الحج آية (٥٢). (٨) قصة انشقاق القمر جاء ذكرها مختصرة في البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود، وهي عندهما أيضاً من حديث أنس بن مالك؛ البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢). وأما التفاصيل المذكورة، فجاءت فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية، من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس كما في الدر المنثور [١٧٧/٦].



الكاف وسكونها<sup>(١)</sup>؛ أي: منكر تنكره النفوس، وهو الحساب.

[٧] ﴿حَشَعَا﴾ أي: ذليلاً، وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿حُشَعَا﴾ بضم الحاء وفتح الشين مشددة ﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ حال من الفاعل ﴿يَجْزُونَ﴾ أي: الناس ﴿وَمِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُثِيرٌ﴾ لا يدرون أين يذهبون، من الخوف والحيرة، والجملة حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: [٨] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين مادين أعناقهم ﴿إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ منهم: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ صعب على الكافرين؛ كما في المدثر: ﴿يَوْمٌ عَرِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

[٩] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمٌ نُوحٌ﴾ تأييد الفعل لمعنى قوم ﴿مَكَذِبُوا عِبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَارْدُجِرَ﴾ انتهره بالسب وغيره.

[١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾ بالفتح؛ أي: بأني ﴿مَقْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾.

[١١] ﴿فَنَنْصِبُ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٤)</sup> ﴿إِنزَابَ السَّمَاءِ بِمَا فِيهَا مِنْ مَاءٍ﴾ منصوب انصباباً شديداً. [١٢] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تنبع ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ ماء السماء والأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ﴾ حال ﴿فَدَفَّرَ﴾ قضى به في الأزل، وهو هلاكهم غرقاً. [١٣] ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ أي: نوحاً ﴿عَلَى سَفِينَةٍ﴾ ذات الأوج وُدُسَرٍ ﴿وَهُوَ مَا تَشَدُّ بِهِ الْأَوْبَاحُ مِنَ الْمَسَامِيرِ﴾ وغيرها، واحداً وشاراً؛ ككتاب.

[١٤] ﴿تَحْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا<sup>(٥)</sup>؛ أي: محفوظة ﴿جَزَاءً﴾ منصوب بفعل مقدر؛ أي: أغرقوا انصهاراً ﴿لَمَنْ كَانَ كُفْرٌ﴾ وهو نوح التَّكْبِيرُ، وقري<sup>(٦)</sup>:

﴿كَفَرٌ﴾ بالبناء للفاعل؛ أي: أغرقوا عقاباً لهم. [١٥] ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُمْ﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿ءَايَةً﴾ لمن يعتبر بها؛ أي: شاع خبرها واستمر ﴿فَقِيلَ مِنْ مَدْيَنَ﴾ معتبر ومتعظ بها؛ وأصله: مذتكر؛ أبدلت التاء دالاً مهمله، وكذا المعجمة وأدغمت فيها. [١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذارني؟ استفهام تقرير، و«كيف»: خبر «كان»، وهي للسؤال عن الحال، والمعنى: حثل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه - تعالى - بالمكذبين لنوح موقعه.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ وهيناه للذكر ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر؛ أي: احفظوه وانعطوا به، وليس يخفط من كتب الله عن ظهر القلب غيره. [١٨] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيهم هوذا فعذبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إنذارني لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [١٩] ﴿وَقَدْ بَيَّنَّاهُ بِقَوْلِهِ﴾: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْنِهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شديدة الصوت ﴿فِي يَوْمٍ تَحِيرُ﴾ شؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ دائم الشؤم، أو: قويته، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر<sup>(٧)</sup>. [٢٠] ﴿نَزِجُ النَّاسَ﴾ تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم، فتدق رقابهم، فيبئن الرأس عن الجسد ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَصْحَابُ أَصُولٍ﴾ متفحرون متفحرون منقطع ساقط على الأرض، وشبهوا بالنخل لطولهم، وذكّر هنا وأنت في الحاقه ﴿تَحُلِّي حَاوِيُونَ﴾<sup>(٨)</sup>؛ مراعاة للفواصل في الموضعين. [٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟ [٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾؟ [٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ جمع نذير بمعنى: منذر؛ أي: بالأمور التي أنذروهم بها نبيهم صالح، إن لم يؤمنوا به ويتبعوه. [٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا﴾

حُشَعَا أَبْصَرَهُمْ يَجْزُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْشَرٌّ ﴿١﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَارْدُجِرَ ﴿٣﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَقْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿٤﴾ فَفَتَحْنَا الْأَوْبَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٥﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ فَدَفَّرَ ﴿٦﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِرَ ﴿٧﴾ تَحْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴿٨﴾ وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُمْ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ تَحِيرُ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٣﴾ نَزِجُ النَّاسَ كَانَهُمْ أَشْجَارٌ تَحُلُ مُنْقَعِرٍ ﴿١٤﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٦﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿١٧﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِدْأَى فَنُصَلِّ وَسَلِّ وَسَلْعٍ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَلَقْنَا الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتُنَا مِنْ الْكُذِّابِ الْآيَاتُ ﴿١٩﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَرِ ﴿٢٠﴾

منصوب على الاشتغال ﴿مِنَّا وَاحِدًا﴾ صفات له «بشراً» ﴿نَتَّبِعُهُ﴾ مفسر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى كيف تتبعه ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منا، وليس بملك؟ أي: لا تتبعه ﴿إِنَّا إِدْأَى﴾ إن اتبعناه ﴿أَلَمْ تَلَقْنَا﴾ ذهب عن الصواب ﴿وَسُعْرٍ﴾ جنون. [٢٥] ﴿أَلَمْ تَلَقْنَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركه<sup>(٩)</sup> ﴿الذِّكْرَ﴾ الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله: إنه أوحى إليه ما ذكر ﴿أَيُّرُ﴾ متكبر بطر. [٢٦] قال - تعالى -: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ الْكُذَّابِ الْآيَاتُ﴾ وهو: هم، بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً. [٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ مخرجوها من الهضبة الصخرة، كما سألوا ﴿وَفِتْنَةً﴾ محنة ﴿لَهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فَارْتَبِعْهُمْ﴾ يا صالح؛ أي: انتظر ما هم صانعون، وما يصنع بهم ﴿وَأَصْطَرِ﴾ الطاء بدل من تاء الافتعال؛ أي: اصبر على أذاهم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم، وقرا حمزة والكسائي وأبو عمرو: «حاشعاً» وهي القراءة المنسرة.

(٤) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٦) أي شذوذاً.

(٥) وفيها إثبات صفة العين له - شيخاًته - على الوجه اللائق به.

(٧) هذا مما لا سبيل ولا دليل صحيح بثبوته، كما لا فائدة من ذكره.

(٨) الحاقه: ٧.

(٩) رجع التعليل على الآية (٨) من سورة ص.

(١) بالسكون قراءة ابن كثير.

(٣) المدثر: ٩، ١٠.

بِالنُّذُرِ أَي: بالأمور المنذرة لهم على لسانه. [٣٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميهم بالحصى، وهي صغار الحجارة، الواحد دون ملء الكف، فهلوكوا ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ وهم ابتناه معه ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار، وقت الصبح من يوم غير معين، ولو أريد من يوم معين لنع من الصرف؛ لأنه معرفة معدول عن السحر؛ لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بال، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا؟ قولان، وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل، وعلى الثاني بأنه منقطع، وإن كان من الجنس تنسجها. [٣٥] ﴿يَعْتَمِدُ مَصَدَرُ أَي: إنعاماً وَمَنْ عِنْدَنَا كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء ﴿يَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ أتعنتا وهو مؤمن، أو من آمن بالله ورسله <sup>(١)</sup> وأطاعهم. [٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ خَوْفَهُمْ لُوطٍ﴾ بَطَشْنَاهُ أَخَذْنَا إِيَّاهُم بِالْعَذَابِ ﴿فَتَكَادَرُوا﴾ تجادلوا وكذبوا ﴿بِالنُّذُرِ﴾ بإنذاره. [٣٧] ﴿وَلَقَدْ زَادُوا عَنْ ضَيْفِهِ﴾ أن يخلي بينهم وبين القوم الذين آتوه في صورة الأضياف؛ ليخبتوا بهم، وكانوا ملائكة ﴿فَطَسَّأْتُمْ أَقْبِيئَهُمْ﴾ أعميناها، وجعلناها بلا شئ كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فَذَوُّوا﴾ قلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذاري وتخويفي؛ أي: ثمرته وفائدته. [٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً﴾ الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة.

[٣٩] ﴿فَذَوُّوا عَلَيَّ وَنُذْرِي﴾. [٤٠] ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾. [٤١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُمْ﴾ قومه معه ﴿النُّذْرُ﴾ الإنذار، على لسان موسى وهارون، فلم يؤمنوا. [٤٢] بل ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذْبًا﴾ أي: التسع التي أوتيتها موسى ﴿فَلَنَنْزِلَنَّهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَحَدٌ عَزِيزٌ﴾ قوي ﴿مُقَدِّرٌ﴾ قادر، لا يعجزه شيء. [٤٣] ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا قريش ﴿عَزِيزٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون، فلم يُعَذِّبُوا؟ ﴿أَمْ لَكُمْ قَرِيشٌ مُبْرَأَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ الكتب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنى لنفي؛ أي: ليس لأمر كذلك. [٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ كفار قريش: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جمع ﴿مُنْتَصِرٌ﴾ على محمد. [٤٥] ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْعَمُ وَيُولَوْنَ الذُّبُرُ﴾ <sup>(٢)</sup> فهزموا يديهم، ونصير رسول الله ﷺ عليهم. [٤٦] ﴿بَلِ الْآثَاةُ مُوعِدُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ أي: عذابها ﴿أَذْنٌ﴾ أعظم بلية ﴿وَأَمْرٌ﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا. [٤٧] ﴿إِنَّ الشَّجَرَيْنِ فِي سُلَيْلٍ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعْرٌ﴾ نار مسقرة بالتشديد؛ أي: مهيجة، في الآخرة. [٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْجَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى نُجُومِهِمْ﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذَوُّوْا مَنْ سَقَرَكُمْ﴾ إصابة جهنم لكم. [٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير، حال من «كل»؛ أي: مقدراً، وقرئ: <sup>(٣)</sup> ﴿كُلُّ﴾ بالرفع؛ مبتدأ خبره: ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ <sup>(٤)</sup>.

وَيَبَيِّنُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمُهُ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخْتَصَرٌ ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ فَتَعَاطَى فَقَعَرٌ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا هُمْ شَرُّ الْمَحْظَرِ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا﴾ كَذَلِكَ يَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ وَلَقَدْ زَادُوا عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذْبًا فَآخَذْنَاهُمْ﴾ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ أَفَلَمْ تَرَ بَرَاءَةً فِي الزُّبُرِ﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولَوْنَ الذُّبُرُ﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنٌ وَأَمْرٌ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ يَوْمَ يُسْجَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى نُجُومِهِمْ فَذُوقُوا مَنْ سَقَرَكُمْ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

[٢٨] ﴿وَيَبَيِّنُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمٌ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة؛ يوم لهم، ويوم لها ﴿كُلُّ شَرْبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿مُخْتَصَرٌ﴾ يحضره <sup>(١)</sup> القوم يومهم والناقة يومها، فتمادوا على ذلك، ثم ملوه، فهملوا بقتل الناقة. [٢٩] ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ فَنَادَوْا؛ ليقبلها ﴿فَتَعَاطَى﴾ تناول السيف ﴿فَقَعَرٌ﴾ به الناقة؛ أي: قتلها موافقة لهم. [٣٠] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [٣١] ويبيته بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَيِّئِ الْمَظْطَرِ﴾ هو الذي يجعل لغنمه حظيرة، من بابس الشجر والشوك، يحفظهن فيها من الذئاب والسياب، وما سقط من ذلك فداسته هو: الهشيم. [٣٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾. [٣٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾

(٥) ما جاء في رول الآيتين (٤٨، ٤٩): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش بخاصمون رسول الله ﷺ في القدر؛ فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْجَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى نُجُومِهِمْ ذُوقُوا مَنْ سَقَرَكُمْ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. مسم. كتاب القدر (٤٦) باب (٤) كل شيء بقدر.

(١) في نسخة القاضي: «يحضره».

(٢) في نسخة الصاوي: «ورسوله»، والمثلث من نسخة القاضي المطبوعة.

(٣) جاء نحو ذلك عن ابن عباس، كما في المصنف لابن أبي شيبة (٣٥٧/١٤ رقم ١٨٥٠٩)، دون ذكر أن قاتل ذلك هو أبو جهل، وأخرجه أيضاً الطبري في جامع البيان (٦٤/٢٧)، وحسنه في الاستيعاب (٣٠٥/٣). وفي صحيح البخاري (٤٩٩٣) عن عائشة قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة، وإني لحارية العلب: ﴿بَلِ الْآثَاةُ مُوعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنٌ وَأَمْرٌ﴾. وظاهر هذا أن قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْعَمُ وَيُولَوْنَ الذُّبُرُ﴾ ما نزل أيضاً بمكة، ويؤيده ما ذكره الحافظ في الفتح قال: هوفي رواية أبيوب عن عكرمة عن ابن عباس: لما نزلت: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْعَمُ وَيُولَوْنَ الذُّبُرُ﴾ قال عمر: أي جمع لهم؟ قال: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثبت في الدروع ويقول: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْعَمُ﴾... فظاهر هذا أن الآية نزلت بمكة، ولا ينافي ذلك أن ينزلها الرسول ﷺ في بدر، دون أن يكون ذلك سبب نزولها، أو يقل: إنها نزلت مرتين؛ إحداهما يدير، والله أعلم. (٤) أي: شذوذاً.

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا بِنَزَرٍ﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إِلَّا أَفْرَةً﴾ أفرة ﴿وَجَدَّةٌ﴾ كَلْبَجٍ بِالْبَصْرِ في السرعة، وهي قول: كن، فيوجد، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(١)</sup>.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر، من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اذكروا واتعظوا.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العباد، مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ كتب الحفظة.

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذنوب، أو العمل ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ.

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُنَيْنَ فِي جَنَّتٍ﴾ بسايتين ﴿وَنَهْرٍ﴾ أريد به الجنس، وقرئ<sup>(٢)</sup>: بضم النون والهاء جمعاً؛ كأشد وأشد، والمعنى: أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر.

[٥٥] ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأنيب، أريد به الجنس، وقرئ<sup>(٣)</sup>: ﴿مَقْعِدٌ﴾، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأنيب، بخلاف مجالس الدنيا، فقل أن تسلم من ذلك، وأعرب هذا خبراً ثانياً، وبدلاً، وهو صادق ببدل البعض، وغيره<sup>(٤)</sup> ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ مثال مبالغة؛ أي: عزيز الملك واسعه ﴿مُقَدِّرٍ﴾ قادر لا يعجزه شيء، وهو الله - تعالى -، و«عند» إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله - تعالى<sup>(٥)</sup>.

### سورة الرحمن

[مكية، إلا: ﴿يَسْتَأْذِنُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، وهي: ست، أو: ثمان وسبعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الله - تعالى. [٢] ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء ﴿الْفُرَّانَ﴾. [٣] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس. [٤] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ النطق. [٥] ﴿السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجريان بحساب. [٦] ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما لا ساق له من النبات ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما له ساق ﴿يَسْجُدَانِ﴾ يخضعان لما يراد منهما. [٧] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أثبت العدل. [٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أي: لأجل أن لا تجوروا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ ما يوزن به. [٩] ﴿وَأَقِيمُوا الزُّلْزَالَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ تنقصوا الموزون. [١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتها ﴿لِلْأَنْسَارِ﴾ للخلق؛ الإنس

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا بِأَمْرٍ وَاحِدٍ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ وكل شيء فعلوه في الزُّبُرِ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ إنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

### سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الزُّلْزَالَ بِالْقِسْطِ ﴿٩﴾ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١٠﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ﴿١١﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١٢﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالزَّيْتَانِ ﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٤﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٥﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٦﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٧﴾ رَبُّ الْمُسْرِفِينَ وَرَبُّ الْمَغْرِبِينَ ﴿١٨﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٩﴾

والجن وغيرهم. [١١] ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أوعية طلوعها. [١٢] ﴿وَالْحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ التين ﴿وَالزَّيْتَانِ﴾ الورق المشموم. [١٣] ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا﴾ نعم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنس والجن ﴿تُكْذِبَانِ﴾ ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتعريض؛ لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «مالي أراكم سكوناً!! للجن كانوا أحسن منكم رداً؛ ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب؛ فلك الحمد»<sup>(١)</sup>. [١٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِّن صَلْصَلٍ﴾ طين يابس، يسمع له صلصلة؛ أي: صوت إذا نُفِرَ ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ وهو ما طبخ من الطين. [١٥] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿مِّن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان. [١٦] ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

(١) يس: ٨٢.

(٢) أي: شذوذاً.

(٣) أي: شذوذاً.

(٤) أي: وهو بدل الاشتغال؛ لأن الجنات مشتملة على المقعد.

(٥) وفي هذا التفسير نظر؛ ومبناه على نفي العلو لله ﷻ؛ فهذه العندية مما استدلل به السلف على إثبات العلو لله ﷻ.

(٦) أخرجه نحوه الترمذي (٣٢١٣) وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وأبو مرويه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله كما في الدر المنثور [١٨٩/٦] وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٨)، وللسلسلة الصحيحة (٢١٥٠).

للمفعول والفاعل <sup>(١)</sup> ﴿وَيَتَّخِذُهَا﴾ من مجموعهما الصادق بأحدهما، وهو الملح ﴿الْوَلُّوْا وَالْمَرْجَانُ﴾ خرز أحمر، أو: صغار اللؤلؤ. [٢٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٢٤] ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ السفن ﴿الْمُنشَآتُ﴾ المحدثات ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجبال عظمًا وارتفاعًا. [٢٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٢٦] ﴿كُلُّ مَنَ عَلَيْهِ﴾ أي: الأرض من الحيوان ﴿فَإِنِ هَالِكٌ﴾ هالك، وعبر به «مَرٌّ» تغليبا للعلاء [٢٧] ﴿وَبَقِيَ رَبُّكَ﴾ ذاته <sup>(٢)</sup> ﴿ذُو الْجَلَالِ الْعَظَمَةِ﴾ والإكرام ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٣)</sup> بأنعمه عليهم. [٢٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٢٩] ﴿يَتَنَبَّأُ مَن فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ينطق، أو: حال <sup>(٤)</sup> ما يحتاجون إليه، من القوة على العبادة، والرزق والمغفرة، وغير ذلك ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ <sup>(٥)</sup> أمر؛ يظهره على وفق ما قدره في الأزل؛ من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإعدام، وإجابة داع، وإعطاء سائل، وغير ذلك. [٣٠] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣١] ﴿سَنَنْفِخُكُمْ﴾ سنقصد لحسابكم ﴿إِنَّهُ الْغَفْلَانِ﴾ الإنسان والجن. [٣٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٣] ﴿يَتَنَبَّأُ الْغَيْبِ وَالْإِنِّسِ إِنِ شِئْتُمْ أَن تَفْهَمُوا﴾ تخرجوا ﴿مِنَ أَقْطَارِ نَوَاحِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ فَافْهَمُوا﴾ أمر تعجيز ﴿لَا تَفْهَمُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ بقوة، ولا قوة لكم على ذلك. [٣٤] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهيها الخالص من الدخان، أو: معه ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ أي: دخان لا لهب فيه <sup>(٦)</sup> ﴿فَلَا تَنْصُرَانِ﴾ تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر. [٣٦] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٧] ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ انفرجت أبوابها لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ زُرَّةً﴾ أي: مثلها محمرة ﴿كَالْإِهْسَانِ﴾ كالأديم الأحمر، على خلاف العهد بها، وجواب «إذا»: فما أعظم الهول. [٣٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٩] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْعَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر؛ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ <sup>(٧)</sup>، والجنان هنا وفيما سيأتي <sup>(٨)</sup> بمعنى: الجني، والإنس فيها بمعنى: الإنسي. [٤٠] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٨﴾ يَتَّخِذُهُمَا بَرَجٌ لَّا يَبْعِيَانِ ﴿١٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ كُلُّ مَنَ عَلَيْهَا فَإِنِ هَالِكٌ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٦﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ سَنَنْفِخُكُمْ لَكُمُ آيَةُ الْفَقْلَانِ ﴿٢٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ يَتَنَبَّأُ الْغَيْبِ وَالْإِنِّسِ إِنِ شِئْتُمْ أَن تَفْهَمُوا أَن تَفْهَمُوا وَمِنَ أَقْطَارِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ فَافْهَمُوا لَّا تَفْهَمُونَ إِلَّا بِإِسْطَانٍ ﴿٣١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصُرَانِ ﴿٣٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ زُرَّةً كَالْإِهْسَانِ ﴿٣٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٣٩﴾

[١٧] ﴿رَبُّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ الْعَرْشَيْنِ﴾ كذلك. [١٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [١٩] ﴿مَرَجَ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في رأي العين. [٢٠] ﴿يَتَّخِذُهُمَا بَرَجٌ﴾ حاجز من قدرته - تعالى - ﴿لَّا يَبْعِيَانِ﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر، فيحتل به.

[٢١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٢] ﴿يَخْرُجُ﴾ بالبناء

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: (من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرج كرتا، ويرفع قوما، ويضع آخرين). ابن ماجه. المقدمة باب (١٣) فيما أنكرت الحمية. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٦٧).

(١) بالبناء للمفعول قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول. وهذا لا ينافي صفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ونشبهنا له حقيقة على الوجه اللاتق به، ومن لوازم بقاء الوجه بقاء الذات؛ لكن لا يقال: إن الوجه هو الذات، وقال ابن كثير في تفسير الآية: «... ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب - تعالى - وتقديس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً».

(٢) قوله ﷻ: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ في الآية هي صفة لوجهه وليس لهرب، كما قال ابن كثير والطبري، ووجهه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام كما أنه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام. فقول المفسر: (للمؤمنين) دليل على إرادة نفي صفة الوجه، لا عن مجرد إرادة الدلالة على أن بقاء الوجه يزم منه بقاء الذات.

(٤) أي: بلسان الحال.

(٥) وهذا قول ابن عباس المشهور عنه، وسعيد بن جبير وغيرهما، واختاره الطبري. وقال آخرون: هو التحاسن المذاب؛ يصب على رءوسهم. وروي ذلك عن ابن عباس وقادة وغيرهما.

(٦) الحجر: ٩٢.

(٧) أي في قوله تعالى: ﴿لَنُيَبِّئَنَّ مِنْ قُرْبَانٍ لَّنْ يَمْنُ فَنُكْفِّرُهُ وَلَا يُجَارَى﴾ في الآيتين: (٥٦)، (٧٤) من السورة.

[٤١] ﴿يَعْرِفُ الْغُيُوبَ﴾ سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [٤٢] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ أي: تضم ناصية كل منهم إلى قدميه، من خلف أو قدام، ويلقى في النار، ويقال لهم: [٤٣] ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَ وَبَيْنَ جَمْعٍ﴾ ماء حار ﴿وَأَنِّي شَدِيدُ الْحَرَارَةِ﴾ يسقونه إذا استغاثوا من حر النار، وهو منقوص؛ كـ «قاضي».

[٤٥] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

[٤٦] ﴿وَلَمَّا خَذَفُ﴾ أي: لكل منهم، أو: لمجموعهم ﴿مَقَامٌ رَّيْبٌ﴾ قيامه بين يديه للحساب، فترك معصيته ﴿جَنَّاتٍ﴾.

[٤٧] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

[٤٨] ﴿ذَرَاكَ﴾ تنبيه «ذوات» على الأصل<sup>(١)</sup>، ولامها باء<sup>(٢)</sup> ﴿أَفَنَاقٍ﴾ أغصان، جمع «فن»؛ كـ «طلل».

[٤٩] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

[٥٠] ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

[٥١] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ في الدنيا، أو: كل ما يتفكه به ﴿زُجَاجٍ﴾ نوعان؛ رطب وبابس، والمرعها في الدنيا كالخنظل حلو.

[٥٣] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

[٥٤] ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ حال عامله محذوف؛ أي: يتنعمون ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِيهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غنط من الديباج وخشن، والظواهر من السندس ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرهما ﴿وَأَنِّي قَرِيبٌ﴾ يناله القائم والقاعد والمضطجع.

[٥٥] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

[٥٦] ﴿فِيهِمَا﴾ في الجنتين، وما اشتملنا عليه من الملالي والقصور ﴿فَقَصْرَتْ أَلْفَارِفُ﴾ العتق، على أزواجهن المتكئين، من الإنس والجن ﴿لَمْ يَطْمِئْنُوا﴾ يفتضون، وهن من الحور، أو: من نساء الدنيا المنشآت<sup>(٣)</sup> ﴿إِنِّسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَاءَ﴾.

[٥٧] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

[٥٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾ صفاء ﴿وَالْمَرْجَاتُ﴾ أي: اللؤلؤ بيضاء.

[٥٩] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

[٦٠] ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ بالنعيم.

[٦١] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٢﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٣﴾ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤﴾ وَلَمَّا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٥﴾ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦﴾ ذَوَاتِ أَفْنَانٍ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٨﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٩﴾ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٠﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زُجَاجٍ ﴿١١﴾ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِيهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿١٣﴾ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٤﴾ فِيهِمَا قَصْرٌ قَصِيرٌ ﴿١٥﴾ لَمْ يَطْمِئْنُوا عَلَى فُرُشٍ قَبْلَهُمْ وَلَا جَاءَ ﴿١٦﴾ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٧﴾ كَأَنَّهُنَّ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَالْمَرْجَاتُ ﴿١٨﴾ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٢٠﴾ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٢١﴾ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٢٢﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَصَاحَتَانِ ﴿٢٣﴾ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٢٤﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٢٥﴾ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٢٦﴾

[٦٢] ﴿وَمِنْ دُونِهَا﴾ أي: الجنتين المذكورتين ﴿جَنَّاتٍ﴾<sup>(٤)</sup> أيضًا، لمن خاف مقام ربه.

[٦٣] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

[٦٤] ﴿مُدَّاهَاتَانِ﴾ سوداوان من شدة خضرتيهما.

[٦٥] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَصَاحَتَانِ﴾ فوارتان بالماء، لا ينقطعان.

[٦٧] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

(٤) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فصة آيتهما وما فيها؛ وجنتان من ذهب آيتهما وما فيها. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الرحمن (٥٥) باب (١) ﴿وَمِنْ دُونِهَا جَنَّاتٍ﴾.

(١) أي: على ما قبل حذف «واو» وبعد حذف تصحیح «دات» فتلى على «ذاتان». والفصح في ثنيها: «ذوات»، كما في الآية.

(٢) أي لأن أصلها: «هذي»؛ تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلت ألفًا، فأصبحت: «هذوي»؛ كـ «هني».

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ جَمِيعًا كُلَّ مَرَّةٍ﴾ [البقرة: ١٢٩]، والواقعة: ٣٥، ٣٦؛ أي: يجعلهن بعد الثبوتية بكراً.

[٧٦] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ أي: أزواجهم، وإعراجه، كما تقدم ﴿عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ﴾ جمع روفة؛ أي: بُشَط، أو: وسائد ﴿وَعَبَقَرِيَّ حَسَنٍ﴾ جمع عبقرية؛ أي: طنافس. [٧٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٨] ﴿تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تقدم، ولفظ «اسم» زائد.

## سُورَةُ الرَّافِعَةِ

[مكية، إلا ﴿أَنهَذَا الْخُبْرُ﴾ الآية، و﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الآية، وهي: ست، أو: سبع، أو: تسع وتسعون آية] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا رَفَعَتِ الرَّافِعَةُ﴾ قامت القيامة. [٢] ﴿لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ﴾ نفس تُكذِّب، بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا. [٣] ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ أي: هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة. [٤] ﴿إِذَا رَحَّتِ الْأَرْضُ رَحًا﴾ تحركت حركة شديدة. [٥] ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ قُتَّت. [٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا﴾ غبارًا ﴿مُبْتَثًّا﴾ منتشرًا، و﴿إِذَا﴾ الثانية بدل من الأولى. [٧] ﴿وَكُنْتُمْ فِي الْيَوْمِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَاثَةً﴾ [٨] ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين يُؤْتَوْنَ كتبهم بأيمانهم، مبتدأ خبره: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة. [٩] ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ أي: الشمال، بأن يُؤْتَى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار. [١٠] ﴿وَالسَّائِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء، مبتدأ ﴿السَّائِقُونَ﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم. [١١] ﴿أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ﴾ [١٢] ﴿فِي جَنَّاتٍ أَلْوْنٍ﴾ [١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ مبتدأ، أي: جماعة من الأمم الماضية [١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة<sup>(١)</sup>. [١٥] والخير: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر. [١٦] ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَرِّلِينَ﴾ حالان من الضمير في الخبر.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٩﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنَّهُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَاءَ ﴿٨٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨١﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ وَعَبَقَرِيَّ حَسَنٍ ﴿٨٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٣﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٤﴾

## سُورَةُ الرَّافِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِذَا رَفَعَتِ الرَّافِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رَحَّتِ الْأَرْضُ رَحًا ﴿٤﴾ وَسُبَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٩﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿١٠﴾ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿١١﴾ وَالسَّائِقُونَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ﴿١٣﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٥﴾ فِي جَنَّاتٍ أَلْوْنٍ ﴿١٦﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٨﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَرِّلِينَ ﴿٢٠﴾

[٦٨] ﴿فِيهَا فَكَّهُمَا﴾ وَعَلَى رُفُوفٍ ﴿١﴾ هما منها<sup>(١)</sup>، وقيل: من غيرها. [٦٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٠] ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنة وما فيها<sup>(٢)</sup> ﴿خَيْرَاتٌ﴾ أخلاقًا ﴿حِسَانٌ﴾ وجوهاً. [٧١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٢] ﴿حُورٌ﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ مستورات ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ من دُور مجوف، مضافة إلى القصور، شبيهة بالحدود. [٧٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٤] ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنَّهُ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أزواجهن ﴿وَلَا جَاءَ﴾. [٧٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، قد شئت؟ قال: «شيتني هود، والرافعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا أَقْبَسَ كُوزَتِ﴾». وسبق تخريجه في أول سورة هود.

(١) أي: النخل والزئبان من الفاكهة.

(٢) في نسخة القاضي: «وقصورهما»، بدلاً من: «وما فيها». وقال ابن الجوزي في زاد المسير: «فِيهِنَّ» يعني في الجنان الأربع. اهـ، وكذا قال البغوي. وفي حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين: البحاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠) أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة؛ آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب؛ آتيتهما وما فيهما».

(٣) هذا قول مجاهد والحسن البصري، واختاره ابن جرير، ولم يحكي غيره. قال ابن كثير: «وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظر؛ بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن؛ فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجسوع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم اهـ».

ثم قال ابن كثير: «فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: من هذه الأمة. اهـ. وأول هذه الأمة هم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، وآخرها: الصلحاء، وهم قليل.

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وَلَدُنْهُمْ مَعْلَدُونَ﴾ على شكل الأولاد، لا يهرمون. [١٨] ﴿يَا كُؤَبَرُ﴾ أقداح لا غرى لها ﴿وَالْبَارِقُ﴾ لها عرى وخراطيم ﴿وَكُؤَبَرُ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ أي: خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً.

[١٩] ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾ يفتح الزاي وكسرها<sup>(١)</sup>، من نِزْف الشارب وأنزَفَ أي: لا يحصل لهم منها صداع، ولا ذهاب عقل، بخلاف خمر الدنيا. [٢٠] ﴿وَفَكَهَةٌ مِمَّا يَنْتَحِرُونَ﴾. [٢١] ﴿وَلَقَدْ طَرَفَ وَمَا يَنْتَحِرُونَ﴾. [٢٢] ﴿ذِي﴾ لهم للاستمتاع ﴿حَرَّ﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها<sup>(٢)</sup> ﴿عَيْنٍ﴾ ضخام العيون، كسرت عينه بدل ضمها؛ تجانسة الياء<sup>(٣)</sup>، ومفردة: عيناء؛ كحمراء، وفي قراءة<sup>(٤)</sup> بحر «حور عين». [٢٣] ﴿كَأَمْثَلِ الْوُلُوفِ الْمَكُونِ﴾ المصون. [٢٤] ﴿جَزَاءً﴾ مفعول له، أو: مصدر، والعامل مقدر؛ أي: جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو: جزئناهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿قَوًّا﴾ فاحشاً من الكلام ﴿وَلَا تَأْتِيًا﴾ ما يؤتم. [٢٦] ﴿لَا﴾ لكن ﴿يَلَا﴾ قولاً ﴿سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ بدل من: ﴿يَلَا﴾ فإنهم يسمعون. [٢٧] ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾. [٢٨] ﴿فِي يَدَيْهِ شَجَرُ الْبَيْقِ﴾ تَنْضُورٌ لا شوك فيه. [٢٩] ﴿وَطَلْحُ شَجَرِ الْمَوْزِ تَنْضُورٌ﴾ بالحمل، من أسفله إلى أعلاه. [٣٠] ﴿وَطَلْحُ تَمْذُورٍ﴾ دائم. [٣١] ﴿وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ جَارٍ دَائِمًا﴾. [٣٢] ﴿وَفَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾. [٣٣] ﴿لَا مَقْطُوعَةٌ فِي زَمَنٍ وَلَا مَمْنُوعَةٌ﴾ بمن. [٣٤] ﴿وَفَرِشٌ مَرْفُوعَةٌ عَلَى السَّرْرِ﴾. [٣٥] ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِسَاءً﴾ أي: الحور العين من غير ولادة.

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى، ولا وجع. [٣٧] ﴿عُرْبًا﴾ بضم الراء وسكونها<sup>(٥)</sup>؛ جمع غُرُوب، وهي: المتحبة إلى زوجها عشقاً له ﴿أَرْبَابًا﴾ جمع تَرْب؛ أي: مستويات في السن. [٣٨] ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ صلة «أنشأناهن» أو «جعلناهن». [٣٩] وهم ﴿فَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾. [٤٠] ﴿وَلَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

[٤١] ﴿وَأَصْحَابُ الْإِثْمَالِ مَا أَصْحَابُ الْإِثْمَالِ﴾. [٤٢] ﴿فِي سَمُورٍ﴾ ريح حارة من النار، تنفذ في المسام ﴿وَكَبِيرٍ﴾ ماء شديد الحرارة. [٤٣] ﴿وَطَلْحٌ مِّنْ يَّمُورٍ﴾ دخان شديد السواد. [٤٤] ﴿لَا بَارِدٌ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حسن المنظر. [٤٥] ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتَرَفِفِينَ﴾ منعمين؛ لا يتبعون في الطاعة.

[٤٦] ﴿وَكَاوُوا يُبْرُونَ عَلَى الْيُسْنِ﴾ الذنب ﴿الْعَظِيمِ﴾ أي: الشرك.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْهُمْ مَعْلَدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُؤَبَرُ وَالْبَارِقُ وَكُؤَبَرُ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَةٌ مِمَّا يَنْتَحِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمٌ طَرَفٌ مِمَّا يَنْتَحِرُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ الْوُلُوفِ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا الْقَوَّا وَلَا تَأْتِيًا ﴿٢٥﴾ لَّا لَكُنْ يَلَا قَوْلًا سَلَكْنَا سَلَكًا بَدَلْ مِنْ: يَلَا فَإِنْهُمْ يَسْمَعُونَ. ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي يَدَيْهِ شَجَرُ الْبَيْقِ تَنْضُورٌ لَا شَوْكَ فِيهِ. ﴿٢٩﴾ وَطَلْحُ شَجَرِ الْمَوْزِ تَنْضُورٌ بِالْحَمْلِ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ. ﴿٣٠﴾ وَطَلْحُ تَمْذُورٍ دَائِمٌ. ﴿٣١﴾ وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ جَارٍ دَائِمًا. ﴿٣٢﴾ وَفَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ. ﴿٣٣﴾ لَّا مَقْطُوعَةٌ فِي زَمَنٍ وَلَا مَمْنُوعَةٌ بِمَنْ. ﴿٣٤﴾ وَفَرِشٌ مَرْفُوعَةٌ عَلَى السَّرْرِ. ﴿٣٥﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً أَي: الْحُورُ الْعَيْنُ مِنْ غَيْرِ وَلَادَةٍ. ﴿٣٦﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عَذَارَى، كُلَّمَا أَتَاهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ وَجَدُوهُنَّ عَذَارَى، وَلَا وَجَعَ. ﴿٣٧﴾ عُرْبًا بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِهَا<sup>(٥)</sup>؛ جَمْعُ غُرُوبٍ، وَهِيَ: الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا عَشَقًا لَهُ ﴿أَرْبَابًا﴾ جَمْعُ تَرْبٍ؛ أَي: مُسْتَوِيَاتٍ فِي السِّنِّ. ﴿٣٨﴾ لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ صِلَةُ «أَنْشَأْنَاهُنَّ» أَوْ «جَعَلْنَاهُنَّ». ﴿٣٩﴾ وَهُمْ ﴿فَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾. ﴿٤٠﴾ وَوَلَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ<sup>(٦)</sup>.

[٤٧] ﴿وَكَاوُوا يَقُولُونَ أَبَدًا مِمَّا رَكَّبْنَا وَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ في الهمزتين في الموضوعين: التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين<sup>(٧)</sup>.

[٤٨] ﴿أَوَّابًا تَأْوِلُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ بفتح الواو للعلف، والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة<sup>(٨)</sup> بسكون الواو، عطفاً به أو، والمعطوف عليه: محل «إن» واسمها. [٤٩] ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾. [٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لوقت ﴿يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ أي: يوم القيامة.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وأقرعوا إن شقتم: ﴿وَطَلْحُ تَمْذُورٍ﴾». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الواقعة (٥٦) باب (١) ﴿وَطَلْحُ تَمْذُورٍ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿فَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَلَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال: «أنتم ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة، وتقاسمونها نصف الباقي». أخرجه أحمد في المسند (٣٩١/٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريجه على المسند (١٣٢/١٧) رقم (٩٠٦٩).

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٢) أي: سواد الخدقة وبياض ما حولها، وقيل مع شدة بياض الجسد كذلك.

(٣) لأن أصلها: «عُيِّن» بضم العين وسكون الياء.

(٤) لخمزة والكسائي.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة.

(٦) أي وتركه، وقرأ نافع والكسائي بالاستفهام في الأول والإحار في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٧) بالسكون قراءة ابن عامر وقائلون.

خَلَقْنَكُمْ ﴿١﴾ أَوْجَدْنَاكُمْ مِنْ عَدَمٍ ﴿٢﴾ فَلَوْلَا ﴿٣﴾ هَلَّا ﴿٤﴾ تُصَدِّقُونَ ﴿٥﴾ بِالْبُعْثِ إِذِ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنشَاءِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ. [٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ تريقون من المني في أرحام النساء. [٥٩] ﴿وَأَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه<sup>(٦)</sup> في المواضع الأربعة ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ أي: المني بشراً ﴿أَمْ تَحْسَبُ الْخَلْقُونَ﴾. [٦٠] ﴿تَحْنُ قَدَرْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٧)</sup> ﴿يَبْكُرُ الْوَدَّ وَمَا تَحْنُ يَمْسُوقُونَ﴾ بجازرين.

[٦١] ﴿عَلَى﴾ عن ﴿أَنْ نُبْدِلَ﴾ نجعل ﴿أَنْتُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنْشِئُكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور؛ كالقردة والخنازير. [٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ﴾<sup>(٨)</sup> الأول ﴿فِي قِرَاءَةِ بَسْكَوْنِ الشَّيْنِ﴾ فلَوْلَا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الدال<sup>(٩)</sup>. [٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ تثيرون في الأرض، وتلقون البذر فيها؟ [٦٤] ﴿وَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ﴾ تنبتونه ﴿أَمْ تَحْنُ الْأَرْزَاقُونَ﴾. [٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا﴾ نباتاً يابشاً، لا حب فيه ﴿فَلَنْتُمْ﴾ أصله: ظلمتم بكسر اللام، حذفتم تخفيفاً؛ أي: أقمتم نهاراً ﴿تَعْمَلُونَ﴾ حذفتم منه إحدى التائين في الأصل؛ تعجبون من ذلك، وتقولون: [٦٦] ﴿إِنَّا لَمَعْمُورُونَ﴾ نفقة زرعنا. [٦٧] ﴿بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ممنوعون زرعنا.

[٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾. [٦٩] ﴿وَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ السحاب، جمع «مُزْنَةٍ» ﴿أَمْ تَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾. [٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ نُجًاءً﴾ ملحاً لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ تخرجون من الشجر الأخضر. [٧٢] ﴿وَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا﴾ كالنخيل والغفار والكَلَخ<sup>(١٠)</sup> ﴿أَمْ تَحْنُ الْمُثْبِتُونَ﴾. [٧٣] ﴿تَحْنُ لَجَعَلْنَاهُ تَذَكُّرًا﴾ لنار جهنم ﴿وَمَتَّعًا﴾ بِلُغَةٍ ﴿لِلْمُفَوِّينَ﴾ للمسافرين؛ من: أقوى القوم؛ أي: صاروا بالقوا، بالقصر والمد؛ أي: القفر، وهو: مفازة لا نبات فيها ولا ماء. [٧٤] ﴿فَسَبِّحْ﴾ زُرَّة ﴿يَاسِرٍ﴾ زائدة<sup>(١١)</sup>

﴿زَيْكُ الْعَظِيمِ﴾ أي: الله. [٧٥] ﴿فَلَا أَفْسَرُ﴾ لا زائدة ﴿يَمُوقِعُ الْجُحُومِ﴾ بمساقطها لغروبها<sup>(١٢)</sup>. [٧٦] ﴿وَأَيُّهُ﴾ أي: القسم بها ﴿لَفَسَّرُوا لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْأَصْلَ الْكَذِبُونَ﴾ [٥٢] ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفْرٍ﴾ ﴿فَالْوَنُ مِنْهَا الْبَطُونُ﴾ ﴿فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ ﴿فَتَشْرَبُونَ شَرْبَ الْهَلِيمِ﴾ ﴿هَذَا أَنْزَلْنَاهُ يَوْمَ الْذِينَ﴾ ﴿تَحْنُ خَلَقْتُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ ﴿وَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ وَأَمْ تَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿تَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا تَحْنُ يَمْسُوقُونَ﴾ ﴿عَلَى أَنْ نُبْدِلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ﴿وَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ وَأَمْ تَحْنُ الْأَرْزَاقُونَ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُوتَ﴾ ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ ﴿بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ ﴿وَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ تَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُنْجَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ﴿وَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ تَحْنُ الْمُثْبِتُونَ﴾ ﴿تَحْنُ لَجَعَلْنَاهُ تَذَكُّرًا وَمَتَّعًا لِلْمُفَوِّينَ﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿فَلَا أَفْسَرُ يَمُوقِعُ الْجُحُومَ﴾ ﴿وَأَيُّهُ﴾ ﴿لَفَسَّرُوا لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[٥١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْأَصْلَ الْكَذِبُونَ﴾. [٥٢] ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفْرٍ﴾ بيان للشجر. [٥٣] ﴿فَالْوَنُ مِنْهَا﴾ من الشجر ﴿الْبَطُونُ﴾. [٥٤] ﴿فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: الزقوم المأكول ﴿بَيْنَ اللَّيْمِ﴾. [٥٥] ﴿فَتَشْرَبُونَ شَرْبَ﴾ بفتح الشين وضماً<sup>(١٣)</sup> مصدر ﴿الْهَلِيمِ﴾ الإبل العطاش، جمع هيمان للذكر، وهيمي للأنثى؛ كعطشان وعطشى. [٥٦] ﴿هَذَا أَنْزَلْنَاهُ﴾ ما أعد لهم ﴿يَوْمَ الْذِينَ﴾ يوم القيامة. [٥٧] ﴿تَحْنُ

(١) بالفتح قراءة الكسائي وإن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) انظر التعليق على الآية (١٧) من سورة الفرقان.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: «النشأة» بسكون الشين.

(٥) وهي قراءة نافع وإن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بتخفيف الدال: «تذكرونها».

(٦) أنواع من الشجر سريعة القدح.

(٧) أي: الباء، وليس لفظاً (اسم)؛ كما قال تعالى: «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ» [الأعلى: ١]. وكما يجب تزييه الله عما لا يليق به؛ فإنه يجب أن تُسْرَهُ أَسْمَاؤُهُ التي سُمي بها نفسه، أو سماها بها

رسوله ﷺ.

(٨) هذا قول قتادة، وقال عطاء: مواقع النجوم: منازلها. وهذا أظهر؛ فإنه كما للشمس مشارق ومغارب؛ فللقمر بروج ومنازل.



إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَوَيْدَ الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلْطَنٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ ﴿٩٢﴾ فَضَالَلِينَ ﴿٩٣﴾ فَذُلٌّ مِنَ هِمٍ وَتَضْلِيلُهُ جَحِيمٌ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

### سُورَةُ الرَّافِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

وجيء به «لما» دون «من» تغليبا للأكثر ﴿وَهُوَ الْقَدِيرُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صفة (٥).

[٢] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي﴾ بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء، بلا بداية ﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد كل شيء، بلا نهاية ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواس (١) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

### سُورَةُ الرَّافِعَةِ

[مكية، أو: مدنية، وأياتها تسع وعشرون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: نزهه كل شيء، فاللام مزيدة،

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٥ - ٨٢): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق بوء كذا وكذا. قال: مرت هذه الآية: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْعِدٍ أَنتُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾. مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٣٢) كفر من قال مطرنا بالنوء.

(١) أكثر المفسرين أن المراد لكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، والمطهرون هم الملائكة، ولا يمشه يفيد النفي على ظاهره، وهذا هو الأرجح.

(٢) أي: عن محل الروح، وهو الجسد.

(٣) أي: وجواب (د) محذوف؛ لدلالة المذكور عليه، وهذا معهود كثيرا.

(٤) أشار بهذا إلى أن «السلام» في الآية بمعنى: السلامة، وهذا قول ابن عباس. وقال عطاء: تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين، وهو قريب من قول البخاري: تسلم لك أنك من أصحاب اليمين، وقيل المعنى: سلام لك يا صاحب اليمين، ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ تعظيما لصاحب اليمين.

(٥) سبق التنبيه في سورة البقرة آية (١٢٩) على أن الأولى التعميم في متعلق الحكمة؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شؤنه، من صعه، وقدره، وتشريعه، وجرائه، وإرساله، وإنزاله، كتبه... الخ. ويعيده هنا للتذكير والتأكيد.

(٦) والأولى تفسير هذين الاسمين بما فسرهما به النبي ﷺ في قوله: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» فيكون اسمه الظاهر دالاً على علوه، واسمه الباطن دالاً على إحاطة علمه.

[٥] ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ أَسْمَاتُ وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأَمْوَالَ﴾ الموجدات جميعها.

[٦] ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ يدخله ﴿فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد وينقص الليل ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد وينقص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٧] ﴿ءَامِنُوا﴾ دأبوا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا﴾ في سبيل الله ﴿وَمَا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾ من مال من تقدمكم، وسيخلفكم فيه من بعدكم، نزل في غزوة العشرة، وهي غزوة تبوك<sup>(١)</sup> ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفِقُوا﴾ إشارة إلى عثمان<sup>(٢)</sup> ﴿مَنْ أَتَىٰ كِبِيرٌ﴾.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ خطاب للكفار؛ أي: لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُدْعَوْنَ لِيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ [أجد] بضم الهمزة وكسر الحاء، وفتحها ونصب ما بعده<sup>(٣)</sup> ﴿[مِثَاقُكُمْ]﴾ عليه؛ أي: أخذه الله في عالم الدُّنَى حين أشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي: مريدن الإيمان به، فبادروا إليه.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ﴾ آيات القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَكْرِهُ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لِرُءُوفٍ رَّحِيمٍ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾ فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَن يَكُنْ لَّكُمْ أَسْمَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ بما فيها؛ فنصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتخرجون ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ منكم من أنفق من قَبْلِ الْفَتْحِ لِمَكَّةَ ﴿وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾ من بعد وَقَتْلُوا ﴿وَكَلَّا﴾ من الفريقين، وفي قراءة<sup>(٥)</sup>: بالرفع، مبتدأ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ اجنة ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله ﴿فِي صَاعِدَةٍ﴾ وفي قراءة<sup>(٦)</sup> ﴿فِي صَاعِدَةٍ﴾ بالتشديد ﴿لَهُ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مقترن به رضا وإقبال.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّلِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٢﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِيُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَكْرِهُ لِرُءُوفٍ رَّحِيمٍ ﴿٤﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَن يَكُنْ لَّكُمْ أَسْمَاتُ وَالْأَرْضُ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٦﴾

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أولها الأحد وآخرها الجمعة<sup>(١)</sup> ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الكرسي<sup>(٢)</sup> استواء<sup>(٣)</sup> يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كالطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة<sup>(٤)</sup> ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه<sup>(٥)</sup> ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(١) سبق الرُّدُّ على تعيين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه المحلي ها، أو في نحوها من الآيات وأن هذا لا سند له. وذلك في سورة فصلت الآية (٩).

(٢) والعرش غير الكرسي كما سبق، وهو أعظم منه كما في الحديث.

(٣) سبق التعليق على تفويض الاستواء، وأنه إذا كان يريد تفويض الكيفية فهذا حق، وإن كان يريد تفويض المعنى؛ فغير صحيح، إذ إن السلف يعلمون بن معناه: الاستقرار والعلو.

(٤) المناسب حذفه، لأن الذي يرفع إما هو الأعمال الصالحة كما في قوله - تعالى -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾.

(٥) أي: وهو فوق عرشه بذاته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسيمي لمعة انعام والخاص وحقيقتها في آخر سورة النحل.

(٦) لم أقف على أحد من المفسرين غير المحلي ذكر أن هذا سبب نزول الآية، والصحيح أنها عامة، وليست بما نزل على سبب، والله أعلم.

(٧) وكذا غيره من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا دليل على قصرها على عثمان<sup>(٨)</sup>.

(٨) بالنظم قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالفتح: ﴿أَخَذَهُ﴾، ونصب: ﴿مِثَاقُكُمْ﴾.

(٩) الأعراف: ١٧٢.

(١٠) لابن عامر.

(١١) لابن كثير وابن عامر، لكن ابن كثير مع الرفع.



وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿٢٠﴾ الدالة على وحدانيته وأولئك أصحاب الحجير النار.

[٢٠] ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُغَبٌ وَهِيَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ﴾ أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿عَيْتٍ﴾ مطر ﴿أَعَجَبَ الْكُفَّارُ﴾ الزراع<sup>(١)</sup> ﴿بَنَاتُهُ﴾ الناشئ عنه ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ يبيس ﴿فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ فثأنا يضمحل بالرياح ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن أثر عليها الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورُ﴾.

[٢١] ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: الشعة ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

[٢٢] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بالجدب<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ كالمرض، وفقد الولد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿وَمِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[٢٣] ﴿لِكَيْلَا﴾ «كي» ناصبة للفعل بمعنى «أن»؛ أي: أخير - تعالى - بذلك لئلا ﴿تَأْسَوْا﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فرح بطر، بل فرح شكر على النعمة ﴿بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ بالمد: أعطاكم، وبالقصر<sup>(٣)</sup>: جاءكم منه ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ﴾ به على الناس.

[٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به، لهم وعيد شديد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل، وفي قراءة<sup>(٤)</sup> بسقوطه ﴿الْفَقِي﴾ عن غيره ﴿الْحَكِيمُ﴾ لأوليائه.

وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿٢١﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُغَبٌ وَلَهُمْ وَرِثَتُهُمْ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ عَيْتٍ أَعَجَبَ الْكُفَّارُ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورُ ﴿٢٢﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٣﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٤﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ المبالغون في التصديق ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ

(١) وهذا قول كثير من المفسرين، وقيل: المراد الكافرون بالله سبحانه؛ لأنهم أشد إعجابًا وافتتانًا بزيينة الحياة الدنيا. وهذا القول أقرب، واستحسنه القرطبي.

(٢) ونحوه كالوباء والغلاء والقحط، والأولي: أن يقول: كالجدب؛ ليكون ذلك على سبيل التشثيل.

(٣) بالقصر قراءة أبي عمرو.

(٤) لنافع وابن عامر.

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿يَأْتِيكَ﴾ بالحجج القواطع ﴿وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ وَأَرْسَلْنَا الْحَدِيدَ أَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْمَعَادِنِ ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ﴾ علم مشاهدة، معطوف على: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ ﴿مَنْ يَصْرُ﴾ بَأْسٌ يَنْصُرُ دينه ثلاث الحرب، من الحديد وغيره ﴿وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال من هاء ﴿يَنْصُرُ﴾ أي: غائبا عنهم في الدنيا؛ قال ابن عباس: يَنْصُرُونَهُ وَلَا يَصِرُونَهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا حاجة له إلى النصر، لكنها تنفع من يأتي بها.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان؛ فإنها في ذرية إبراهيم ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَى آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمُ الْإِسْلَامَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً﴾ هي رفض النساء واتخاذ الصوامع ﴿اتَّبَعُوهَا﴾ من قبل أنفسهم ﴿مَا كُنَّهَا عَلَيْهِمْ﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾ لكن فعلوها ﴿آيَةً رِضْوَانٍ﴾ مرضاة ﴿اللَّهُ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا﴾ إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدين عيسى، ودخلوا في دين ملوكهم، وبقي على دين عيسى كثير منهم فأمنوا بنبينا ﴿فَتَأْتِيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ به ﴿مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٨] ﴿يَتَأْتِيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بعيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُلِهِ﴾ محمد ﷺ وعيسى ﴿يُؤْتِكُمْ كَفَالَيْنِ﴾ نصيين ﴿بَيْنَ رَحْمَتِهِ﴾ لإيمانكم بالنبين ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط ﴿وَيُغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿لَيْلًا يَلْعَنُ﴾ أي: أعلمكم بذلك، ليعلم ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ التوراة، الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والمعنى: أنهم ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه ﴿وَأَنَّ أَفْضَلَ إِلَهِ يَبْدَأُ يَوْمَهُ﴾ يعطيه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فأتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين، كما تقدم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

\*\*\*

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٢٧ - ٢٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كانت ملوك عد عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة، قيل للملوكة: ما نجد شئاً أشد من شتم يشموننا هؤلاء؛ إنهم يقرءون: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجِدْكُمْ يَسَاءَ أَرَأَيْتُمْ أَنَّهُ فَؤُوكُمْ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾ وهؤلاء الآيات، مع ما يعيونا به في أفعالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرؤا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمناء، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم الفل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها. فقالوا: ما تريدون إلى ذلك، دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنا لنا أسطوانات ثم اقرعوا لها ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدركم علينا في أرضكم فاقبلوا، وقالت طائفة منهم: ابنا لنا دوراً في القيا، ونحفر الآبار ونحترق البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال ففعلوا ذلك، فأمر الله ﷻ: ﴿وَرَهَابَانِيَّةً اتَّخَذُوهَا كَكِتَابِهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا آيَةً رِضْوَانٍ﴾ رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ فلما بعث الله النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدبر من دبره، فأصاب به وصدقه، فقال الله: ﴿تَبَارَكَ وَتَعَالَى﴾: ﴿يَتَأْتِيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِرُسُلِهِ﴾ يُؤْتِكُمْ كَفَالَيْنِ بَيْنَ رَحْمَتِهِ: أجري: لإيمانهم بعيسى والتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم. قال: ﴿يَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ القرآن واتباعهم النبي ﷺ، قال: ﴿لَيْلًا يَلْعَنُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يشتمون بكم: ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ الآية. النسائي. كتاب آداب القضاء (٤٩) باب (١٢). (صحيح الإسناد موقوف) صحيح سنن النسائي (٤٩٩٠).

وقال ابن كثير: «هذا السياق فيه غرابة، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا».

## سُورَةُ التَّجَاوُذِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ  
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ  
مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَاهُنْ أُمَّهُتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي  
وَلَدَتْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَبَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ  
اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ  
لِمَا قَالُوا فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوعَظُونَ  
بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ  
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ  
مِسْكِيًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ  
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
كَيْتُوكُمْ كَأَكْبِتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ  
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ  
بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُئِلَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝

## سُورَةُ التَّجَاوُذِ

[مدنية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿١﴾ فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ تُرَاجِعُكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ

﴿فِي زَوْجِهَا﴾ المظاهر منها، وكان قال لها: أنت علي كظهر أمي. وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك؛ فأجابها بأنها حرمت عليه، على ما هو المعهود عندهم، من أن الظهار مؤجبه فُرقة مؤبدة، وهي خولة<sup>(١)</sup> بنت ثعلبة، وهو: أوس بن الصامت ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ وحدتها وافتقارها وصبية، صغارا؛ إن ضمنتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجمكما ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ عالم<sup>(٢)</sup>.

[٢] ﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أصله يظهرون؛ أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة<sup>(٤)</sup> بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أخرى<sup>(٥)</sup>: «كـ» يقاتلون، والموضع الثاني<sup>(٦)</sup> كذلك ﴿مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَاهُنْ﴾ نَسَاهُمْ مَاهُنْ أُمَّهُتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي بهمة وباء وبلا ياء<sup>(٧)</sup> ﴿وَلَدَتْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَبَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنْ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ كذبا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ﴾ للمظاهر بالكفارة.

[٣] ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ﴾ من نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا: أي؛ فيه؛ بأن يخالفوه بامسك المظاهر منها، الذي هو خلاف مقصود الظهار، من وصف المرأة بالتحريم ﴿فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي؛ إعانتها عليه ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسًا﴾ بالوعد ﴿ذَلِكَ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

[٤] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقة ﴿فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا﴾ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ: أي؛ الصيام ﴿فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيًا﴾ عليه؛ أي؛ من قبل أن يتماسا؛ حملا للمطلق على المقيد؛ لكل مسكين مئذ من غالب قوت البلد ﴿ذَلِكَ﴾ أي؛ التخفيف في الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَتِلْكَ: أي؛ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم<sup>(٨)</sup>.

[٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ كَيْتُوكُمْ﴾ كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ: في مخالفتهم رسوله ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دالة على صدق الرسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بالآيات ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُئِلَ﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

(١) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٤): أخرج أبو داود عن حويلة بنت مالك بن ثعلبة، قالت: ظاهر مني أوس بن الصامت، فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه، ورسول الله ﷺ يجادلني فيه، ويقول: «اتقي الله؛ فإنه ابن عمك». فما برحت حتى نزل القرآن: ﴿فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى الفرض، فقال: «يعتق رقبة». قالت: لا يجد. قال: «فيصوم شهرين متتابعين». قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به صيام. قال: «فليطعم ستين مسكينا» قالت: ما عنده شيء يتصدق به. قالت: فأنتي ساعطة بعزقي من تمر. قلت: يا رسول الله، فإنني أعينه بعزقي آخر. قال: «قد أحسنت، اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكينا» وارجعي إلى ابن عمك». قال: والعزق ستون صاعا. أبو داود - كتاب الطلاق (١٧) في الظهار. حسن دون قوله: «والعزق ستون صاعا». صحيح سنن أبي داود (١٩٣٤).

(١) ويقال لها أيضا: «خويلة» بالنصغير.

(٢) العلم عبر السمع والبصر؛ فالسمع تدرك به الأصوات، والبصر تدرك به المراتب، والعلم يشمل هذا وغيره، وكلها صفات ثابتة لله ﷻ يجب الإيمان بها على الوجه اللائق به - شيخنا..

(٣) أي: «يظهرون»، وهي قراءة نافع وإسكندر وعمرو.

(٤) لحمزة والكسائي وابن عامر.

(٥) وهي قراءة عاصم.

(٦) أي: في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ﴾ آية (٣).

(٧) انظر التعليق على كلمة (اللائي) في سورة الأحزاب، الآية (٢).

[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَتْلُمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ بَعْلَمُهُ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿وَلَا حُمْسَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَقِعُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَبْذُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنْتِهَارِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ هم اليهود، نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم؛ أي: تحدثهم سرا ناظرين إلى المؤمنين؛ ليوقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ﴾ أيها النبي ﴿بِمَا لَمْ يَحْجُكَ بِهِ اللَّهُ﴾ وهو قولهم: السام عليك؛ أي: الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ من النجوة، وأنه ليس بنبي، إن كان نبياً؟ ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي <sup>(٢)</sup>.

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنْتِهَارِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّهْيِ وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ بالإنم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بغروره ﴿لِيُخْرِتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ هُوَ﴾ يضاروهم شيئا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: إرادته ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسْأَلُوا﴾ توسعوا ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾ <sup>(٣)</sup> مجلس النبي ﷺ والذكر حتى يجلس من جاءكم، وفي قراءة: ﴿الْمَجْلِسِ﴾ ﴿فَتَسْأَلُوا يَسْأَلُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ في الجنة ﴿وإِذَا قِيلَ﴾ [انثروا] ﴿قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات﴾ [فانثروا] <sup>(٤)</sup>، وفي قراءة: بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعَهْدِ دَرَجَتٌ﴾ في الجنة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حُمْسَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَقِعُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَبْذُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنْتِهَارِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ بِمَا لَمْ يَحْجُكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنْتِهَارِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّهْيِ وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٣﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُخْرِتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسْأَلُوا فِي الْمَجْلِسِ فَاسْأَلُوا بَفَسْخِ اللَّهِ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعَهْدِ دَرَجَتٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥﴾

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج مسلم عن عائشة قالت: أتى النبي ﷺ أناس من اليهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم! قال: «وعليكم»، قالت عائشة: قلت: بل عليكم السام والذام، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لا تكوني فاحشة» فقالت: وما سمعت ما قالوا؟ فقال: «ألو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا، قلت: وعليكم»، فأقول الله ﷻ: ﴿وإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ بِمَا لَمْ يَحْجُكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية. مسمم، كتاب السلام (٣٩) باب (٤) الهني عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

(١) أي: وهو فوق عرشه بداته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسمي المعية العام والخاص وبيان حقيقتها في آخر سورة النحل.

(٢) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ عاصم: ﴿الْمَجْلِسِ﴾.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة بخلاف عنه، وقرأ بقية السبعة، وهو الوجه الثاني للشعبة: ﴿فَانْشُرُوا فَانْشُرُوا﴾ بضم الشين فيهما.

فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة.

[١٣] ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه<sup>(١)</sup> أي: خفتم من أن تقدّموا بين يديّ نوحك صدقة<sup>(٢)</sup> لفقر ﴿لَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا﴾ الصدقة ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم عنها ﴿فَأَقِمْوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: داوموا على ذلك ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ هم المنافقون ﴿قَوْمًا﴾ هم اليهود ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ﴾ أي: المنافقون ﴿بَيْنَكُمْ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يَتُوبُ﴾ من اليهود، بل هم مذنبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ أي: قولهم: إنهم مؤمنون ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أنهم كاذبون فيه<sup>(٣)</sup>.

[١٥] ﴿أَمَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٦] ﴿أَتَخَذُوا بَيْتَهُمْ جُنَّةً﴾ سترًا على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدَّوْا﴾ بها المؤمنين ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد فيهم، بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٧] ﴿لَنْ تَنفَعَكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿سَيَكُنَّ﴾ من الإغناء ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٨] اذكر ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ﴾ أنهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ﴾ ويحسبون أنهم على شيء من نفع حلفهم في الآخرة كالدينا ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

[١٩] ﴿أَسْتَعْتَذِرُ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَسْتَهْمُ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبَ الشَّيْطَانِ﴾ أتباعه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى﴾ المولجين.

[٢١] ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ، أو: قضى ﴿لَأَعْلِيَنَّكَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة، أو: السيف<sup>(٤)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَّجْنَاهُ الرَّسُولَ فَقَدْ مُوَابِّينَ يَدَى جُنُكُورٍ صَدَقَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تُجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى جُنُكُورٍ صَدَقَتْ فَإِذَا تَفَعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقِمْوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ءَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ اتَّخَذُوا بَيْتَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٨﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ءَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٠﴾ أَسْتَعْتَذِرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَالَسَّ هُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ءَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى ﴿٢٢﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلِيَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ءَاتِ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٣﴾

[١٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَّجْنَاهُ الرَّسُولَ﴾ أردتم مناجاته ﴿فَقَدْ مُوَابِّينَ﴾ يأتى جُنُكُورٍ، قلها ﴿صَدَقَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لذنوبكم ﴿فَإِنْ لَمْ تُجِدُوا﴾ ما تصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمناجاتكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم؛ يعني:

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٨): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل حجرته... فقال لبعض أصحابه: «يجيئك رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه، فجاه رجل أزرى، فلما رآه النبي ﷺ دعاه، فقال: علام تشمتني أنت وأصحابك؟ قال: كما أنت حتى أتيتك بهم، قال: فذهب فجاء بهم فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا وما فعلوا، وأنزل الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ﴾ إلى آخر الآية. أحمد - للسند (١/ ٣٥٠). ونحوه في (١/ ٢٤٠) لكن فيه نزلت هذه الآية في المجادلة: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده في السند (١٧/ ١٨) رقم (٢١٤٧)، وحسن الأرنؤوط إسناده في تخريجه على السند (٤٨/ ٤).

(١) انظر التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

(٢) أو: بهما جميعا.



[١٢٢] ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَوْ أُنْسَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿أَي: الْحَادُّونَ: مَن حَادَّهُمْ أَوْ ابْنَاهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ بل يقصدونهم بالسوء، ويقاتلونهم على الإيمان، كما وقع لجماعة من الصحابة - رضي الله عنهم <sup>(١)</sup> - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُؤَادُّونَهُمْ﴾ كَتَبَ: أثبت ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ﴾ بدور ﴿فِيهِمْ نَعَالَى﴾ وَيَدُّهُمْ جَنَّتْ تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ الْآخِرُونَ خَلِيدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿بَطَاعَتُهُ﴾ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِثَوَابِهِ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يتبعون أمره، ويجتنبون نهيه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾

## سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

## سُورَةُ الْحَشْرِ

[مدنية، أربع وعشرون آية] <sup>(\*)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: نَزَّهَهُ، فاللام مزيدة، وفي الإتيان بـ«ما» تغليب للأكثر ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هم: بنو النضير من اليهود ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ مساكنهم بالمدينة ﴿لِلأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هو: حشرهم إلى الشام <sup>(١)</sup>، وأخبره: أن أجلاهم عمر في خلافته إلى خيبر <sup>(٢)</sup> ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ﴾ خبر ﴿أَنْ﴾ ﴿حُصُونُهُمْ﴾ فاعله، به تم الخبر ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ﴾ أَي: أمره وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لم يخطر ببالهم، من جهة المؤمنين ﴿وَقَذَفَ﴾ ألقى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمة <sup>(٣)</sup>؛ الخوف؛ بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف <sup>(٤)</sup> من: «أَخْرَبَ» ﴿بُيُوتَهُمْ﴾ لينقلوا ما استحسنته منها، من خشب وغيره ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٣﴾

[٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾ قضى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الخروج من الوطن <sup>(٥)</sup> ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسي، كما فعل بقريظة من اليهود ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

(هـ) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن سعيد بن حبيب قال: قلت لابن عباس... سورة الحشر. قال: نزلت في بني النضير. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٦) باب (١).

(١) كأي عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم أحد، ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وعمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وعلي وحسرة قتلا عتبة وشيبة يوم بدر.

(٢) كأن المفسر يريد تأويل رضا الله عن المؤمنين بالوفيق إلى الطاعة، وهذا خلاف مذهب السلف في إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته الله لنفسه على الوجه اللائق.

(٣) اتفق المفسرون على أن «أول الحشر» هو: إخراجهم من المدينة.

(٤) هذا سبق قلم أو سهو من المصنف رحمه الله، وصوابه: «من خيبر»؛ حيث إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلاهم من خيبر وجميع جزيرة العرب، إلى أذرعات وأربعا من أرض الشام. وتفسير الحشر الثاني بذلك؛ هو قول مرة الهذلي. وقال الحسن: هو: إلى أرض الحشر يوم القيامة. وقبل غير ذلك.

(٥) بالضم قراءة الكسائي وابن عامر.

(٦) بالتشديد قراءة أبي عمرو.

(٧) في نسخة القاضي القاضي (المواطن).

[٦] ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ﴾ رد ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَرْجَفْتُمْ﴾ أسرعتهم يا مسلمون ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿حَبْلِ وَلَا رِكَابٍ﴾ إيل؛ أي: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ، ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه؛ من أن لكل منهم خمس الخمس، وله ﷺ الباقي، يفعل فيه ما يشاء؛ فأعطى منه المهاجرين، وثلاثة من الأنصار<sup>(١)</sup> لفقيرهم.

[٧] ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ «كالصفراء» و«وادي القرى» و«يثع» ﴿فَلَوْلَا﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَالرُّسُولُ﴾ ولذي ﴿وَالْقُرَى﴾ قرابة النبي، من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَالْيَتَامَى﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسْكِينُ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَأَنْ تَسَلِّطُوا﴾ المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس، وله الباقي ﴿كُنْ لَا﴾ «كي» بمعنى اللام، و«أن» مقدرة بعدها ﴿يَكُونُ﴾ الفيء؛ علة لنفسه كذلك ﴿دَوْلَةٌ﴾ متداولا ﴿بَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ ينكمز ﴿وَمَا ءَاتَاكُمْ﴾ أعطاكم ﴿الرُّسُولُ﴾ من الفيء وغيره ﴿فَحْذَرُوا﴾ وما تنكمز عنه فأنهوا ﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: اعجبوا<sup>(٢)</sup> ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ﴾ ورسوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ في إيمانهم.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي: المدينة ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ أي: الفداء، وهم الأنصار ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ يَبْتَغُونَ مَنَ هَاجَرُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسدا ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ أي: أتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة بهم ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ما يؤثرون به ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حرصها على المال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَاطِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٧﴾ وَمَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَبْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَنْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٩﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحْتَجُونَ مَنَ هَاجَرُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾

[٤٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٥٦] ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾ يا مسلمون ﴿مِنْ لَيْنَةٍ﴾ نخلة ﴿أَوْ نَرَكْتُمْوهَا﴾ قَاطِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ؛ أي: خيركم في ذلك ﴿وَلِيُخْزِيَ﴾ بالإذن في القطع ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ اليهود، في اعتراضهم أن قطع الشجر الشمر فساد<sup>(٤)</sup>.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرجه الترمذي عن ابن عباس في قوله ﷺ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَاطِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال: اللينة: النخلة. ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ قال: استنزولهم من حصونهم، قال: وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم. فقال المسلمون: قد قطعنا بعضاً وتر كنا بعضاً، فلنسلل رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأقول الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَاطِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٩) ومن سورة الحشر. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣١). وهو في الصحيح عن ابن عمر مختصراً.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نساء فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يصفيه الليلة بريحه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فومئيم، وتعال فاطفتي السراج ونظري بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله ﷻ. أو ضحك. من فلان وفلانة، فأمر الله ﷻ: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. البخاري. التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٩) باب (٦).

(١) هم: أبو دجانة يملك بن حرسة، وشهبل بن حنيفة، والحاتر بن العشة. وقال ابن إسحاق: بل أعطى اثنين فقط؛ أبا دجانة وسهلاً.

(٢) الأقرب أن الكلام متعلق بما قبله، وهو قوله: ﴿هَذَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾، فالعني: الفيء والغنائم لهؤلاء الفقراء من المهاجرين والأنصار.



«كَانَ» ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أن يقدموا لها خيرا ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٢١] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ وجعل فيه تمييز كالإنسان ﴿لَرَأَيْتُمُ خَشْيَةً مُّصَدَّعًا﴾ منشققا ﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وذلك الْأَمَثَلُ ﴿

والعلانية ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.  
[٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما

لشيء؛ أي: الشهيد على عباده بأعمالهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ القوي ﴿الْجَبَّارُ﴾ جبر خلقه على ما أراد ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾ نزه نفسه

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿التسعة والتسعون الوارد بها الحديث<sup>(٣)</sup>﴾، و«الحسنى»  
ثوثة الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ  
الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ  
مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍّ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾  
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ  
هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴿٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ  
الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا  
الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّصَدَّعًا مِّنْ خَشْيَةِ  
اللَّهِ وَذَٰلِكَ الْأَمَثَلُ نُضِرُّهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ  
﴿١١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ  
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ  
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ  
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ هُوَ اللَّهُ  
الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ  
لَهُ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤﴾

نُورَةُ الْمُتَجَنِّدَةِ

[١٧] ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ أي: الغاوي والمغوي، وقرئ<sup>(١)</sup>: بالرفع؛ اسم

\* \* \*

(١) أي: شذوذاً.

(٢) وقيل: الذي يؤمن حلقه من ظلمه، وقيل غير ذلك، وهذا من التفسير الجزئي، وهو يشمل ذلك كله.

(٣) سبق التنبيه إلى أن الأسماء الحسنى أكثر من ذلك ولا يحصى إلا الله ﷻ، وأن الحديث إنما هو في فضل من يحصى تسعة وتسعين اسماً منها.



﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم.

[٨] ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا يَخْرُجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من «الذين» ﴿وَتُقْسَطُوا﴾ تقضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط، أي: بالعدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾ العادلين<sup>(١)</sup>.

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من «الذين» أي: تتخذوهم أولياء ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ أَثَامٌ إِنَّ جَنَّتْكُمْ أَلْعُيُونُ﴾.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ الْمُنَافِقُونَ﴾ بالسنتهن ﴿مُهَاجِرِينَ﴾ من الكفار، بعد الصلح معهم في الحديبية، على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يُرَدُّ ﴿فَأَمْتَحِنُوهُمْ﴾ بالخلف على أنهم ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا بغضا لأرواجهن الكفار، ولا عشقا لرجال من المسلمين، كذا كان ﷺ يُحْلِفُهُنَّ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُنَّ إِنْ عَمَسْتُمُوهُنَّ﴾ ظنتموهن بالخلف ﴿مُؤَيَّنَاتٍ مَلَّ تَرْجُوهُنَّ﴾ تردوهن ﴿إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ مَا أَنْفَقُوا﴾ أي: أعطوا الكفار أزواجهن<sup>(٢)</sup> ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ عليهن من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ بِشْرَطِ﴾ إذاًءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴿وَلَا تُمْسِكُوا﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٣)</sup> ﴿بِعَصَمِ الْكَافِرِ﴾ زوجاتكم، لقطع إسلامكم لها بشرطه، أو اللاحقات بالمشركين مرتدات، لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿وَسَلُّوا﴾ اطلبوا ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ عليهن من المهور، في صورة الارتداد. من تزوجهن من الكفار ﴿وَلَيْسَ لَهُنَّ مَا أَنْفَقُوا﴾ على المهورات كما تقدم أنهم يؤتونه ﴿وَلَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

[١١] ﴿وَرَأَى فَاكِرٌ أُخْرَى مِّنْ أَرْجَائِكُمْ﴾ أي: واحدة فأكثر منهم، أو شيء من مهورهن بالذهب ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ مرتدات ﴿فَفَاقِمْتُمْ﴾ فزومتهم وغنمتم ﴿فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْجَائُهُمْ﴾ من الغنيمة ﴿مَعَكُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ لغواته عليهم من جهة الكفار ﴿وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِينَ أَشْرَبُوا مُؤْمِنَاتٍ﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم<sup>(٥)</sup>.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٠﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَمَسْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَهُنَّ وَلَا يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقُوا وَلَيْسَ لَهُنَّ مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابِتُكُمْ فَاثُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد، جواب قسم مقدر ﴿فِيهِمْ﴾ إشوارة حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يخافهما، أو: يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ بآن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته.

[٧] ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ﴾ من كفار مكة، طاعة لله - تعالى - ﴿مَّوَدَّةً﴾ بآن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة ... عن أسماء ابنة أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: أتني أمي وهي رغبة، في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ: أصلهما؟ قال: نعم. قال ابن عيينة: فأنزل الله - تعالى - فيها: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾. البخاري - كتاب الأدب (٧٨) باب (٧) صلة الوالد المشرك.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٠): أخرج البخاري عن مروان والمصور بن مخزومة - رضي الله عنهما - يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل ابن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا... وجاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط من خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ - وهي عاتق - فجاهأ أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم ما أنزل الله فيهن: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُنَافِقَاتُ الْكُفُؤَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ﴾. البخاري - كتاب الشروط (٤٥) باب (١) ما يجوز من الشروط في الإسلام.

(٥٥٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن الزهري قال عروة: فأحررتي عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمنحهن. وبلغنا أنه لما أنزل الله - تعالى - أن يردوا إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجهن، وحكم على المسلمين أن لا يمسكوا بعصم الكافر - أن عبر طلق امرأتين: قريبة بنت أبي أمية، وابنة جرو. فتزوج قريبة مدوية، وتزوج الأخرى أبو جهنم، فلما أبى الكفار أن يقرؤا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهن أنزل الله - تعالى -: ﴿وَرَأَى فَاكِرٌ أُخْرَى مِّنْ أَرْجَائِكُمْ﴾ إلى الْكُفَّارِ مَكَاتِلَهُمْ. والعقب: ما يؤدي المسلمون إلى من هاجرت امرأته من الكفار، فأمر أن يعطي من ذهب له زوج من المسلمين ما أنفق من صدقات نساء الكفار اللائي هاجرن. وما تعلم أحدًا من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها. البخاري - السابق باب (١٥) الشروط في الجهاد.

(١) أي في قوله: «وَلَكُمْ».

(٢) أي: الذين هم أزواجهن.

(٣) بالتشديد قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِبَنَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٢﴾

## سُورَةُ الصَّافِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِهِ يَتَقَوْمِهِ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١٠﴾

صَفًّا حال؛ أي: صافين ﴿كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾ ملزق بعضه إلى بعض، ثابت.

[٥] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِهِ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قالوا: إنه أدر؛ أي: منتفخ الحصى، وليس كذلك وكذبوه ﴿وَقَدْ﴾ للتحقيق (٥) ﴿تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الآية ﴿يَتَقَوْمِهِ﴾ الجملة حال، والرسول يحترم ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ عدلوا عن الحق بإيدائه ﴿أَرَأَيْتُمْ قُلُوبَهُمْ﴾ أمالها عن الهدى، على وفق ما قدره في الأزل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الكافرين في علمه.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه أحمد عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا بيننا، فقلنا: أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله؛ وهبنا أن يقوم أحد، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً، حتى جمعنا، فجعل بعضنا يشير إلى بعض، فقرأ علينا رسول الله ﷺ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾. قال: ففلاها من أولها إلى آخرها. أحمد. المسند (٥/٤٥٢)، والترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣٦).

(١) كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ... فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنين؛ قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتك» كلاماً، ولا والله، ما شئت بذه يد امرأة قط في المبايع؛ ما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك» البخاري (٤٨٩١)، ومسلم (١٨٦٦). وعند النسائي وغيره من حديث أمية بنت ربيعة: «إني لا أصافح النساء»، وهو في صحيح سنن الترمذي. (٣٨٩٧). فهذا الحديث دليل صريح على عدم جواز مصافحة المرأة الأجنبية؛ لأننا مأمورون بالتأسي بالرسول ﷺ في قوله. تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ عِزًّا» [الأحزاب: ٢١].

(٢) سبق التعليل على ذلك بأن الأولى التعميم في متعلق الحكمة، وليس تخصيصها بصنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٣) يشير إلى ما جاء عن محمد بن كعب في سبب نزول الآية، قول طائفة من الصحابة بعد ما سمعوا مدح الجهاد؛ فقالوا: «ولئن لقينا قتالاً لثغر عرق فيه وسعنا» ففروا يوم أحد؛ فعظمهم الله بعباده الآية.

(٤) تفسير محبة الله لعباده بالبر والإكرام والإلانة ونحو ذلك، من التأويل المذموم وصرف للفظ عن ظاهره، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ على الوجه الثلاثي به، ومن لا رمها نصرة وإكرام وثابة من يحبهم.

(٥) راسع التعليق على آية [١٠٣] من سورة النحل، في دخول «قد» على الفعل المضارع.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِبَنَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ كما كان يفعل في الجاهلية، من وأد البنات؛ أي: دفنهن أحياء، خوف العار والفقر ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: بولد ملفوط، ينسبه إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعت سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي﴾ فعل ﴿مَعْرُوفٍ﴾ هو ما وافق طاعة الله؛ كترك النجاسة، وتزويق الشباب، وجز الشعر، وشق الجيب، وخمش الوجه ﴿فَبَايِعَهُنَّ﴾ فعل ذلك ﷺ بالقول، ولم يضاف واحدة منهن (١) ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ﴾ من ثوابها، مع إيقانهم بها، لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه ﴿كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ﴾ الكائنون ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أي: المقبورين، من خير الآخرة؛ إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

## سُورَةُ الصَّافِّ

[مكية، أو مدنية، أربع عشرة آية] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نزهه، فاللام مزيدة، وجيء بـ«ما» دون «من» تغنيًا لأكثر ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه (٢).

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في طلب الجهاد ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إذ انهزمتم بأحد (٣).

[٣] ﴿كَبُرَ عَظَمَ مَقْتًا﴾ تمييز ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فاعل «كَبُرَ» ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْيُسْرَ وَيَكْرَهُ الْكَثْرَ﴾ يفتنون في سبيلهم.

الْإِنشَاءَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨﴾ الكافرين.

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُظْهِرُوا﴾ منصوب بـ«أن» مقدرة، واللام مزيدة ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿يُفَوِّهِمْ﴾ بأقوالهم: إنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَاللَّهُ مُنِمْ﴾<sup>(١)</sup> مظهر ﴿نُورِهِمْ﴾ وفي قراءة: بالإضافة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلك.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ عليه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك<sup>(٢)</sup>.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمٍ تُجِيرُكُمْ بِهِ أَنْتُمْ تَخْتَفُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٣)</sup> ﴿مِنْ عَذَابِ آيَةٍ﴾ مؤلم، فكانهم قالوا: نعم، فقال:

[١١] ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ تدومون على الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمٍ تُجِيرُكُمْ بِهِ أَنْتُمْ تَخْتَفُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

[١٢] ﴿تَقَرُّوا﴾ جواب شرط مقدّر أي: إن تفعلوه يغفر ﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ويُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ بِهِمْ فِيهَا مَا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ ﴿ذَلِكَ﴾ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ.

[١٣] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يؤمنون بالنعمة ﴿أُخْرَىٰ تَحْتَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَنَصْرٌ﴾

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ﴾<sup>(٤)</sup> لديه، وفي قراءة بالإضافة ﴿كَأَنَّ قَالَهُ﴾ الخ؛ المعنى: كما كان الحواريون كذلك، الدال عليه: قال ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ للحواريين من أنصاره إلى الله<sup>(٥)</sup> أي: من الأنصار الذين يكونون معي، متوجهين إلى نصرته الله؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ والحواريون: أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، من الحوَر، وهو البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَءِيلَ﴾ بعيسى<sup>(٦)</sup>، وقالوا: إنه عبد الله رفع إلى السماء ﴿وَكَثُرَتِ طَائِفَةٌ﴾ لقولهم: إنه ابن الله رفعه إليه، فافتتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدَانَا﴾ فويانا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من الطائفتين ﴿عَلَى عَدُوِّهِمُ﴾ الطائفة الكافرة ﴿فَأَسْبَحُوا طَاهِرِينَ﴾ غاليين.

\*\*\*

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ وَمَنْ ظَلَمَ مِنْ أَقْرَبَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ يُرِيدُونَ لِيُظْهِرُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَاللَّهُ مَيِّمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمٍ تُجِيرُكُمْ بِهِ أَنْتُمْ تَخْتَفُونَ ﴿١٩﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ بِهِمْ فِيهَا مَا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ ﴿٢١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمٍ تُجِيرُكُمْ بِهِ أَنْتُمْ تَخْتَفُونَ ﴿٢٢﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ بِهِمْ فِيهَا مَا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمٍ تُجِيرُكُمْ بِهِ أَنْتُمْ تَخْتَفُونَ ﴿٢٥﴾

[٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ لم يقل: يا قوم؛ لأنه لم يكن له فيهم قرابة<sup>(١)</sup> ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿وَمِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ جاء أحمد الكفار ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات والعلامات ﴿قَالُوا﴾ هَذَا: أي: الحجيء به ﴿سِحْرٌ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿سَاحِرٌ﴾ أي: الجاني به ﴿مُبِينٌ﴾ تبيين.

[٧] ﴿وَمَنْ﴾: أي: لا أحد ﴿ظَلَمَ﴾ أشد ظلماً ﴿مِمَّنْ أَقْرَبَى عَلَى اللَّهِ﴾ الْكَذِبَ بنسبة الشريك والولد إليه، ووصف آياته بالسحر ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى

(١) فائدة: أخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأهن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك ناسأ. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم بعث الله رجلاً طيبة فزني كل من في قلبه متقال حية خرجل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم. مسلم - كتاب الفتن وأشرط الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس دا الحليصة.

(٢) قال الشيخ عبد الزواق عفيفي رحمه الله في تعليقه على الجلالين ص (١٧٢): الأولى أن يقال: ناداهم بذلك تذكيراً لهم بأبيهم يعقوب، ليستعمل بذلك قلوبهم إلى سلوك منهج أبيهم...

(٣) لحزمة والكسائي.

(٤) لنافع وأبي عمرو وابن عامر وشعثة، وقرأ بقية السبعة بالإضافة: «مثم نوره».

(٥) بالنشديد قراءة ابن عامر.

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالإضافة: «أنصار الله».

(٧) في نسخة القاضي: «يعيسى ابن مريم».



## سُورَةُ الْجُمُعَةِ

[مدنية، إحدى عشرة آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَسْجُدْ لِلَّهِ بِرُؤُوسِهِ، فَالْإِمامُ زائدة﴾ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا يُخَوِّفُهُمْ بِتِلْكَ آيَاتِهِ﴾ وَمِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿وَمِنْ آخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْدَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِلِينَ﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَاقِ الْعَذَابِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ الْعَرَبَ وَالْأُمِّيَّ مَنْ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ كِتَابًا﴾ رَسُولًا وَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يَطْهَرُهُمْ مِنَ الشَّرِكِ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ﴿وَلَنْ﴾ مُحَقَّقَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاسْمُهَا مُحَذَوْفٌ؛ أَي: وَانْهَمُ ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قَبْلَ مَجِيئِهِ ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يَتَنَ.

[٣] ﴿وَمِنْ آخِرِينَ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿الْأُمَمِينَ﴾ أَي: الْمَوْجُودِينَ ﴿مِنْهُمْ﴾ وَالْآتِينَ مِنْهُمْ بَعْدَهُمْ ﴿لَنَا﴾ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴿فِي السَّابِقَةِ وَالْفَضْلِ﴾ (١) وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿فِي مَلِكِهِ وَصَنَعِهِ وَهُمْ النَّاسُ وَالْإِنْسَانُ﴾، وَالْإِقْتِصَارُ عَلَيْهِمْ كَافٍ فِي بَيَانِ فَضْلِ الصَّحَابَةِ الْمَبْعُوثِ فِيهِمُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ، مَنْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ وَأَمَنُوا بِهِ، مِنْ جَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ كُلُّ قَرْنٍ خَيْرٌ مِنْ يَلِيهِ.

[٤] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ النَّبِيُّ وَمَنْ ذَكَرَ مَعَهُ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٥] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْدَةَ﴾ كُفُّوا الْعَمَلَ بِهَا ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا، مِنْ نَعْتِهِ ﷺ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ أَي: كُتُبًا؛ فِي عَدَمِ انْتِفَاعِهِ بِهَا ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الْمُسَدَّدَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالْخُصُوصُ بِالذَّمِّ مُحَذَوْفٌ تَقْدِيرُهُ: هَذَا الْمَثَلُ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِلِينَ﴾ الْكَافِرِينَ.

[٦] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ تَعْلُقُ بِ«تَمَنَّا» الشَّرْطَانِ عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَ قِيدٌ فِي الثَّانِي؛ أَي: إِنْ صَدَقْتُمْ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ، وَالْوَلِيُّ يُؤَثِّرُ الْآخِرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَسْجُدْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا يُخَوِّفُهُمْ بِتِلْكَ آيَاتِهِ﴾ وَمِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿وَمِنْ آخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْدَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِلِينَ﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَاقِ الْعَذَابِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

ومبدؤها الموت، فتمنوه.

[٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ ﴿مِنْ كُفْرِهِمْ بِالنَّبِيِّ الْمُسْتَلْزَمِ لِكُذِّبِهِمْ﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿الْكَافِرِينَ﴾.

[٨] ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ﴾ الْفَاءُ زَائِدَةٌ ﴿مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَاقِ الْعَذَابِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السَّرُّ وَالْعِلَانِيَةُ ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَيُجَارِيكُمْ بِهِ.

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين. مسلم. كتاب الجمعة (٧) باب (١٧) ما يقرأ في يوم الجمعة.

(١) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كنا جوساً عند النبي ﷺ فأثرت عليه سورة الجمعة: ﴿وَمِنْ آخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قال: قُتِلَ: مَنْ هُم يَأْتِيهِمْ؟ فَمِنْ يَرِجَعُهُمْ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا - وَفِينَا سُلَيْمَانُ الْفَارَسِيُّ - وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سُلَيْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ أَثَرِيَا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ». البخاري (٤٨٩٨)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٢) هذا قول عكرمة ومجاهد في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَمِنْ آخِرِينَ﴾، وقال آخرون: هم العجم. قاله ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية لَيْثُ عَنْ مُجَاهِدٍ. ويشهد له حديث الصَّحْبِيِّينَ الْمُتَقَدِّمِينَ. وقيل غير ذلك.

[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ أي: التجارة؛ لأنها مألوفهم دون الله ﴿وَتَرَكُوا﴾ في الخطبة ﴿قَالِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ﴾ للذين آمنوا ﴿مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّارِ﴾ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿يَقَالُ﴾ كل إنسان يرزق عائلته؛ أي: من رزق الله - تعالى (١٢) (١٣).

### سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

[مدنية، إحدى عشرة آية] (\*\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا﴾ بالاستتمهم على خلاف ما في قلوبهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما أضمره، مخالفا لما قالوه.

[٢] ﴿اتَّقُوا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةً﴾ ستره على أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّوا﴾ بها ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الجهاد فيهم (١) ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: سوء عملهم ﴿بِأَيْمَانِهِمْ﴾ باللسان ﴿شَرُّ كَفَرُوا﴾ بالقلب؛ أي: استمروا على كفرهم به ﴿فَطُغِيَ﴾ ختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان.

[٤] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لجمالها ﴿وَأِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من عظم أجسامهم، في ترك التفهم ﴿[خُشِبَتْ]﴾ بسكون الشين وضمها (٢) ﴿مُسْنَدَةً﴾ مائلة إلى الجدار ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ نضاض؛ كنداء في العسكر، وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لما في قلوبهم من الرعب؛ أن ينزل فيهم ما يبيع دماءهم ﴿هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ﴾ فإنهم يفتشون سرّاً للكفار ﴿فَتَلَاهُمُ اللَّهُ﴾ أهلهم ﴿أَنْتَ يَوْمَ تَقُومُ﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان؟! (٣)

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوا قَلِيلًا مِمَّا عَدَا اللَّهُ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّارِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

### سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَنْ نَشْهَدَ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُوا فَاحْذَرْهُمْ فَتِلَاَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَبْذُلَهُمْ فِي بُقْعَةٍ

[٩] ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ فامضوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ للصلاة ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ اتركوا عهده ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه. [١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أمر بإباحة ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون؛ كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت غير وضرب لقدموها الطبل (١) على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلاً فنزلت.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلّي مع النبي ﷺ إذ أقبلت غير تحمل طعاماً، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً. فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوا قَلِيلًا﴾ البخاري - كتاب الجمعة (١١) باب (٣٨) إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة.

(٥٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولكن رجعنا من عنده ليخرجنا الأعرس منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي - أو بعمر - فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا. فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فإصابني هم لم يصيبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله - تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: إن الله قد صدّقك يا زيد. البخاري - التفسير (٦٥) سورة المنافقون (٦٣) باب (١).

(١) أخرج نحوه البخاري (٩٣٦) ومسلم (٨٦٣) عن جابر بن عبد الله، وليس فيه ذكر الطبل، ولكن جاء ذكر الطبل فيما ذكره الغوي في تفسيره عن مقاتل، وفسر مجاهد الله بأنه الطبل كما أخرجه عنه الطبري.

(٢) يشير المفسر إلى أن اسم التفضيل في قوله: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ على يابه؛ أي فالرازقون متعددون، ولكن على سبيل الجواز، وإلا فالرازق حقيقة هو الله تعالى وحده.

(٣) في نسخة القاسمي: «فيه».

(٤) يسكنونها قراءة الكسائي وأبي عمرو وقيل، وقرأ بقية السبعة بضم الشين: ﴿خُشِبَ﴾.

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ﴾<sup>(١)</sup> بالتشديد والتخفيف عطفوا ﴿وَرُئُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن ذلك ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ استغني بهمة الاستغفار عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.

[٧] ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار: ﴿لَا تُبْعِدُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ يفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالرزق، فهو الرزاق<sup>(٢)</sup> للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا﴾ أي: من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا أَهْلُهَا مِنَ الدِّينِ﴾ عتوا به أنفسهم ﴿مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾<sup>(٣)</sup> عتوا به المؤمنين<sup>(٤)</sup> ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ وللمؤمنين ولكنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذلك.

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تِلْكَ كُمْ﴾ تشلكنكم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الصلوات الخمس<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٠] ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِنْ مَّا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا﴾ بمعنى: هلا، أو: لا زائدة، «لو» للتنبي ﴿أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقْ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الصاد؛ تصدق بالزكاة ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بأن أحج؛ قال ابن عباس<sup>(٦)</sup>: ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت<sup>(٧)</sup>.

[١١] ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالثناء والياء<sup>(٨)</sup>.

\*\*\*

(هـ) فائدة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: لما قال عبد الله بن أبي: ﴿لَا تُبْعِدُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾. وقال أيضاً: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أخبرته به النبي ﷺ فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فمنت، فدعاني رسول الله ﷺ فأتيته، فقال: إن الله قد صدقك، ونزل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُبْعِدُوا﴾ الآية. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة المنافقين (٦٣) باب (٣) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾. وتقدم سياقاً أتم من هذا.

(١) بالتخفيف قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٢) هي نسخة القاضي: «الرزاق».

(٣) الذي عليه جماهير العلماء من أهل السير والتفسير أن قتل ذلك هو هذا المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول، عني بالأعر نفسه الحبيطة ومن معه من المنافقين، وبالألاد رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين. والأمر عكس ما قاله اللعين، وذكر ابن كثير تفصيل ذلك ومسايقه، فراجع.

(٤) هذا من التفسير بالمثل. والنتيجة للمطلوب بأهم حرياته؛ لأن ذكر الله أعم من الصلوات الخمس، وكذا الإشفاق أعم من الزكاة، والصلاح أعم من الحج.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣١٦)، وضعف الألباني إسناده في ضعف سنن الترمذي (٦٥٣).

(٦) بالياء قراءة شعبة، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفْسُكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ في أصل الخلقة، ثم يبيّنكم ويبيدكم على ذلك ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال ﴿وَالْيَقِينُ الْمَصِيرُ﴾.

[٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُدْرُونَ وَمَا تُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٥] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ﴾ عقوبة الكفر في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ ضمير الشأن ﴿كَانَتْ قُلُوبُهُمْ رُغْمَةً﴾ بالكسرة ﴿الْحُجُجَ الظَّاهِرَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ فقالوا ﴿أَيُّكُمْ﴾ أريد به الجنس ﴿عَبَدُونَا فَكُفَرُوا وَقُولُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَأَسْتَفْتَى اللَّهَ﴾ عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ عَنِّي﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله.

[٧] ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنهم ﴿أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ قُلُوبًا وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنْتَوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[٨] ﴿فَتَأْتُوا اللَّهَ وَرُسُلَهُ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ أَرْسَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ﴾ يعني المؤمنون الكافرين، بأخذ منازلهم وأهلهم في الجنة، لو آمنوا ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يَجْعَلْهُمُ اللَّهُ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفْسُكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَالْيَقِينُ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَنْدُونَا فَكُفَرُوا وَقُولُوا لَوْ أَنَّا سَمِعْنَا اللَّهَ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنْتَوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَعَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَالتَّوْرَ الَّذِي أُنزِلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفَرْ عَنْهُ سَيَجْعَلُ اللَّهُ وَجْهَهُ لَهُ وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

## سُورَةُ النَّجْمِ

[مكية، أو: مدنية، ثمان عشرة آية]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ينزهه، فاللام زائدة، وأتى بـ«ما» دون «من» تغليباً للأكثر ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرُ﴾ هي.

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ في قوله: إن المصيبة بقضائه ﴿يَهْدِ قَلْبُهُ﴾ للصبر عليها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ البين.

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أن تطيعوهم في الخلف عن الخير؛ كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَإِن تَمَقُّوهُمْ﴾ عنهم في تنبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَرُوا﴾ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٥)</sup>.

[١٥] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأُولَدُكُمْ فَتَنَةٌ لَّكُمْ شَاغِلَةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه، باشتغالكم بالأموال والأولاد.

[١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِلِهِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما أمرت به سماع قبول ﴿وَاطِيعُوا وَأَنِيعُوا﴾ في الطاعة ﴿خَيْرًا لَّأَنفُسِكُمْ﴾ خير «يكن» مقدرة؛ جواب الأمر ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٧] ﴿إِن تُقِرُّوهُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن تصدقوا عن طيب قلب ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup>: ﴿يُضَعِّفْهُ﴾ بالشد؛ بالواحدة عشراً إلى سعمائة وأكثر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما يشاء ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ مجاز على الطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ في العقاب على المعصية.

[١٨] ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ العلانية ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

\*\*\*

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٤): أخرج الترمذي عن عكرمة عن ابن عباس، وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا أناس قد فقهوا في الدين عموماً أن يعاقبهم، فأقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) ومن سورة التحاتّي. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٤٦٤٢).

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) لآمين كثير وابن عمر.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مِنْ بَعْدِ طَلْقِهَا فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَوْفَرُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّذِي يَسْتَنْ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْنَ وَأُولَتْ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٥﴾

## سُورَةُ الطَّلَاقِ

[مدنية، ثلاث عشرة آية]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ المراد أمته، بقرينة ما بعده، أو: قل لهم: ﴿إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ لأولها؛ بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه؛ لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان <sup>(١)</sup> ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ احفظوها؛ لثراجها قبل فراغها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ﴾ منها، حتى تنقضي عدتهن ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ زنا ﴿فَتَحِيطُوا إِلَيْهَا وَكُسْرُهَا﴾ <sup>(٢)</sup>؛

يُسْتَأْذَنُ أَوْ يُبَيَّنُ، فَيُخْرِجْنَ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِنَّ ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الطلاق ﴿أَمْرًا﴾ مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مِنْ بَعْدِ طَلْقِهَا فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ قاربين انقضاء عدتهن ﴿وَأَوْفَرُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على المراجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهود عليه، أو له ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كرب الدنيا والآخرة.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يخطر بباله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ [بالغ أمره] <sup>(٣)</sup> مراده، وفي فراءة بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ميقانًا.

[٤] ﴿وَالَّذِي يَسْتَنْ مِنْ الْمَحِيضِ﴾ بمعنى الحيض ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ﴾ شككتم في عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْنَ﴾ لصغرن؛ فعدتهن ثلاثة أشهر، والمسألان في غير التوقي عنهن أزواجهن، أمّا هُنَّ فعدتهن ما في آية: ﴿يَرْبِصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿وَأُولَتْ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ﴾ انقضاء عدتهن؛ مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن: ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

[٥] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور في العدة ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ حكمه ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ سيئاته ويُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا.

(١) البخاري (٤٩٠٨) ومسلم (١٤٧١) عن عبد الله بن عمر، ولفظه عبد البخاري: «أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ، فنهيظ فيه رسول الله ﷺ ثم قال: «اليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم يحيض فطهر؛ فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسيها؛ فذاك الدعة كما أمر الله ﷻ».

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٣) وهي فراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالإضافة: «بالغ أمره».

(٤) قرأ الكوفيون وابن عامر، همزة محققة بعدها ياء وقرأ الباقون بحذف الياء، وحقق الهمزة منهم قالون وقبيل، وسهلها ورش، وأبدلها ياء ساكنة مع مد الألف بالإشباع بالسالكين البري وأبو عمرو.

(٥) البقرة: ٢٣٤.

أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ أَنْ لُبِصْتُمْ فَرِحُوا عَلَيْهِمْ وَإِنَّ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَلْيَبِغُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَبِضَعُوا حَمْلَهُمْ فَإِنْ أَرْضَعْتُمْ لَهُمْ فَأَجْرُهُمْ أَتَمَرُؤُنَا بِبَنَاتِكُمْ فَمَعَ وَفَّ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرَّضْ لَهُمْ أُخْرَى ۖ لِيُنْفِقُوا دُسَعَةً مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ فُيِّرْ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكِلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۚ وَكَانَ مِنْ قَرَابَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۖ فَاسْتَبَنَّا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بَنَاهَا عَدَابًا تُكْرَأُ ۚ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَقِبَهُ أَمْرُهَا خُسْرًا ۚ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۚ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِ آيَاتِ اللَّهِ مُبَشِّرًا لِمُخْرَجِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۚ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ

من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أعلمكم بذلك الخلق والتفصيل ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

\*\*\*

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُمْ﴾ أي: المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي: بعض مساكنكم ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ أي: سعتكم، عطف بيان، أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف؛ أي: أمكنة سعتكم لا ما دونها ﴿وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِيُبْصِتُوا عَلَيْهِمْ﴾ المساكن فيحتجج إلى الخروج: أو: النفقة، فيفتد منكم ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَلْيَبِغُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَبِضَعُوا حَمْلَهُمْ فَإِنْ أَرْضَعْتُمْ لَهُمْ﴾ أولادكم منهم ﴿فَأَجْرُهُمْ﴾ على الإرضاع ﴿وَأَتَمَرُوا بِبَنَاتِكُمْ﴾ وبهمن ﴿بِمَعْرِيفٍ﴾ بجميل في حق الأولاد، بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة، والأم من فعله ﴿فَسَرَّضْ لَهُمْ﴾ للأب ﴿أُخْرَى﴾ ولا تكرر الأم على إرضاعه.

[٧] ﴿لِيُنْفِقُوا﴾ على المطلقات والمريضات ﴿دُسَعَةً مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ فُيِّرْ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ أعطاه ﴿اللَّهُ﴾ على قدره ﴿لَا يَكِلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وقد جعله بالفتح.

[٨] ﴿وَكَانَ﴾ هي: كاف الجر، دخلت على «أي» بمعنى: «كم» ﴿مِنْ قَرَابَةٍ﴾ أي: وكثير من القرى ﴿عَنَّتْ﴾ عصت؛ يعني: أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ فاستبنتها في الآخرة، وإن لم تجز؛ لتحقق وقوعها ﴿حَسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بَنَاهَا عَدَابًا تُكْرَأُ﴾ يسكون الكاف وضمها<sup>(١)</sup>؛ فظلياً، وهو عذاب النار.

[٩] ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عَقِبَهُ أَمْرُهَا خُسْرًا﴾ خساراً وهلاكاً.

[١٠] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرر الوعيد توكيد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ أصحاب العقول ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت للمنادى، أو بيان له ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو القرآن.

[١١] ﴿رَسُولًا﴾ أي: محمداً ﷺ، منصوب بفعل مقدرة؛ أي: وأرسل ﴿يَتْلُو عَلَيْهِ آيَاتِ اللَّهِ مُبَشِّرًا﴾ بفتح الياء وكسرها<sup>(٢)</sup> كما تقدم ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيُخَالِفُوا الصَّالِحِينَ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة<sup>(٣)</sup> بالنون ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ هو رزق الجنة، التي لا ينقطع نعمها.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني: سبع أرضين ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ﴾ الوحي ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جبريل

(١) بالضم قراءة نافع وابن ذكوان وشعبة.

(٢) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٣) لنافع وابن عامر.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّ إِلَىٰ رُوحِكَ وَاللَّهُ  
عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ  
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا  
بَيَّنَّتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا  
نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ  
تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ  
هُوَ مَوْلَاكُمْ وَجَبْرِيلُ وَمُصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكُ بِكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ  
ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلِقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكُنَّ  
مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَلِيلَاتٍ تَتَّبِعْنَ عِيدَاتٍ سَلَّحَتْ تَتَّبِعْتِ  
وَأَنْكَارٌ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا  
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ  
لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ  
كَفَرُوا لَاتَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُخْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

[مدنية، اثنتا عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَتْلُوهُنَّ لِيِزِيدَ لَهُمَّ خَيْرًا مَّا كَانُوا أَتَيْنَهُ﴾ **لَكَ** من أُنْتِكَ مارية القطبية؛ لا واقعا هي بيت حفصة وكانت غائبة، فجاءت وسَقَّ عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها؛ حيث قلت: «هي حرام على» ﴿يَتْلُوهُنَّ﴾ بتحريرا **مَرَاتٍ** **أَزْوَجِكَ** أي: رضاهن **وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ** غفر لك هذا التحريم.

(٥٠) ما جاء في نزول الآيات (٤: ١): أخرج البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان يكثر عند زينب ابنة جشش ويشرب عندها عسلًا، فواصيت أنا وحفصة أنا أيضًا دخن عليها النبي ﷺ فلتفت: إني لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداها فقالت له ذلك، فقال: ولا، بل شربت عسلًا عند زينب ابنة جشش، ولن أعود له، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنْ تُحِبُّ مَا مَلَكَ إِلَهُكَ﴾ إلى ﴿إِنْ تُؤْتِيَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسْرَأْتُنِي إِلَى عَبْسِ أَرْجُونِي. يُونُسَ﴾ لقوله: شربت عسلًا البخاري - كتاب الطلاق (٦٨) باب (٨). وأخرج السنائي عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرماها على نفسه، فأزله الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنْ تُحِبُّ مَا مَلَكَ إِلَهُكَ﴾ إلى آخر الآية. السنائي - كتاب عشرة النساء (٣٧) باب (٤) الغيرة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن السنائي (٣٦٩٥). قال الحافظ: وقد خلف في الذي حرم على نفسه وعوتب على تحريمه ... والراجح من الأقوال كلها: قصة مارية؛ لاختصاص عائشة وحفصة بها بخلاف العسل فإنه اجتمع فيه جماعة منهن. انظر: [الفتح (٩/ ٢٠٠، ٢٠١)].

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرجه البخاري عن أنس قال: قال عمر رضي الله عنه: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: «عسى ربه إن صلفكن أن يقبله أرواحنا خيرًا منكم» فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التحريم (٦٦) باب (٥).

(١) الآية (٨٩). (٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف؛ «نظأهرا».

(٣) هذا قول ابن مسعود وعكرمة والضحاك، وقيل غير ذلك، ولعل هذا على سبيل التمثيل والتنويه بفضل الصالحين خاصة، والله أعلم.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف؛ (نظاها).



[٨] ﴿يَتَّابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا نُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ بفتح النون وضمة (١)، صادقة؛ بأن لا يُعاد إلى الذنب، ولا يُراد العود إليه ﴿وَعَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ تَرْجِيَةً تَفْعٌ ﴿أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْزَىٰ اللَّهُ بِالدَّارِ﴾ النَّارِ ﴿الَّتِي وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَوَ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ﴾ مستأنف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَكَ﴾ إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ ربنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٩] ﴿يَتَّابُهَا الَّذِينَ جَاهِدُوا الْكَافِرَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهاز والمقت ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي.

[١٠] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ نُوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَفَاحَتَاهُمَا﴾ في الدين؛ إذ كفرتا، وكانت امرأة نوح واسمها «واهلة» تقول لقومه: إنه مجنون. وامرأة لوط واسمها «واعلة» تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلاً؛ بإيقاد النار ونهاها بالتدخين ﴿فَلَمَّا يُغْنِيَا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عَنْمَا مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿وَسَيِّئًا وَقِيلَ لَهُمَا﴾: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ من كفار قوم نوح وقوم لوط.

[١١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ﴾ أمنت بموسى، واسمها (آسية)، فعذبا فرعون، بأن أوتد يديها ورجليها، وألقى على صدرها رحي عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرق عنها من وُكِّل بها ظللنها الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ في حال التعذيب: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكُثِفَ لها فرأته، فنهَل عليها التعذيب ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وتعذبه ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوَارِ الظَّالِمِينَ﴾ أهل دينه، فقبض الله روحها، وقال ابن كيسان: رفعت إلى الجنة حية، فهي تأكل وتشرب (٢).

[١٢] ﴿وَمَرْيَمَ﴾ عطف على: «امرأة فرعون» ﴿أَبْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: جبريل، حيث نفخ في نجيب درعها، بخلق الله - تعالى (٣). فعلة الواصل إلى فرجها، فحملت بعيسى ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ شراعه ﴿وَكُتِبَ﴾ المنزلة ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْآفَتِينَ﴾ من القوم المطيعين.

\*\*\*

(١) بالضم قراءة شعة.

(٢) هذا من الأمور الغيبية التي يحتاج إثباتها إلى دليل صحيح ثابت.

(٣) قوله: «بخلق الله تعالى»: متعلق بـ «فننفخنا»، وكان المقام للإضمار بأن يقول: «بخلقنا»، وفعلة: أي: فعل جبريل، وهو: النفخ. ومعنى: خلقه: إيصال أثره، وهو: الريح، والهواء الحاصل به إلى فرجها.

يَتَّابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا نُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ جَارِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْزَىٰ اللَّهُ النَّارِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَّابُهَا الَّذِينَ جَاهِدُوا الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أُوتِيتُمْ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ نُوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَفَاحَتَاهُمَا فَلَمَّا يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ لَهُمَا ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوَارِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْآفَتِينَ ﴿١٢﴾

## سُورَةُ الْمَلِكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝<sup>(١)</sup> الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝<sup>(٢)</sup> الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَاتَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَقْوَىٰ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ۝<sup>(٣)</sup> ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝<sup>(٤)</sup> وَلَقَدْ رَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِصُبْحٍ وَجَعَلْنَا نُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝<sup>(٥)</sup> وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ السَّعِيرُ ۝<sup>(٦)</sup> إِذَا الْفُؤَادُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝<sup>(٧)</sup> تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝<sup>(٨)</sup> قَالُوا بَلَىٰ فَرَجَاءَ نَذِيرٍ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝<sup>(٩)</sup> وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝<sup>(١٠)</sup> فَأَعْرِضُوا بَذَنِيهِمْ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝<sup>(١١)</sup> الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝<sup>(١٢)</sup>

## سُورَةُ الْمَلِكِ

[مكية، ثلاثون آية] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ: تنزه عن صفات المحدثين<sup>(١)</sup> ۝ الَّذِي بِيَدِهِ: في تصرفه<sup>(٢)</sup> ۝ الْمُلْكُ: السلطان والقدرة ۝ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(١) هائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يفر له: تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ». أبو داود - كتاب الصلاة (٢) في عدد الآي. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٤٧).

(١) هذه العبارة مرهقة، ويستخدمها البعض لنفي الصفات الثابتة لله - عز وجل - كالسمع والبصر وغيرها من الصفات؛ التي يؤولها البعض بزعم تنزيه الله عز وجل عن مشابهة خلقه، وتباركه؛ على وزن تفاعل؛ من البركة والنماء والزيادة وكثرة الخير ودوامه. وقال الطبري: تعاضم وتعالى.

(٢) وهذا تعطيل بصفة اليد وعدول عن ظاهر اللفظ، وحلاف ما فهمه السلف منها؛ كما قال ابن جرير: «الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ» ييده ملك الدنيا والآخرة وسلطتهما نافذ فيما أمره وقضاهه كما أن تقدير الكلام على تفسيره: «بيده أي»: «في تصرفه» يكون مضطرباً كما قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وتكون العبارة غير مستقيمة؛ ويكون المعنى: «تنزه عن صفات المحدثين الذي في تصرفه السلطان والقدرة، وهما يسا في التصرف. فتؤس بهذه الصفة لله ﷻ وتنبها له على الوجه اللائق به.

(٣) يشير المصنف إلى اختلاف المتكلمين في الموت؛ حيث ذهب بعضهم إلى أنه أمر وجودي؛ أي: شيء يوحده، وهو ضد الحياة، وذهب آخرون إلى أنه أمر عدمي؛ أي ليس شيئاً يخلق وإنما هو عدم الحياة؛ وعلى هذا القول يكون «خلق الموت» بمعنى قدر الموت. والأول هو الصحيح أن الموت أمر وجودي كالحق؛ يخقه الله عند نهاية الحياة. وهو ظاهر الآية.

(٤) أي: شذوذاً.

(٥) بضمها قراءة الكسائي.

[٢] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ: في الدنيا «وَالْحَيَاةَ» في الآخرة، أو هما في الدنيا؛ فالنطفة تعرض لها الحياة، وهي: ما به الإحساس، والموت؛ ضدها، أو: عدمها<sup>(١)</sup>؛ قولان، والخلق على الثاني بمعنى التقدير «لِيَبْلُوَكُمْ» ليختبركم في الحياة «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» أطوع لله «وَهُوَ الْعَزِيزُ» في انتقامه ممن عصاه «الْعَلِيمُ» لمن تاب إليه.

[٣] «الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا» بعضها فوق بعض، من غير مماسة «مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ» لهن: أو: لغيرهن «مِنْ تَقْوَىٰ» تباين وعدم تناسب «فَارْجِعِ الْبَصَرَ» أعده إلى السماء «هَلْ تَرَىٰ» فيها «مِنْ فُطُورٍ» صدوع وشقوق؟ [٤] «ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ» كرة بعد كرة «يَنْقَلِبْ» يرجع «إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا» ذليلاً؛ لعدم إدراك خلل «وَهُوَ حَسِيرٌ» منقطع عن رؤية خلل.

[٥] «وَلَقَدْ رَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا» القربى إلى الأرض «يَمْصَّبِحُ» بنجوم «وَجَعَلْنَا نُجُومًا» مراجع «لِلشَّيْطَانِ» إذا استرقوا السمع، بأن يفصل شهاب عن الكوكب، كالقيس يؤخذ من النار، فيقتل الجني أو يخيله، لا أن الكوكب يزول عن مكانه «وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ» النار الموقدة.

[٦] «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ السَّعِيرُ» هي.

[٧] «إِذَا الْفُؤَادُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا» صوتاً منكراً كصوت الحمار «وَهِيَ تَفُورُ» تغلي.

[٨] «تَكَادُ تَمَيَّزُ» وقرئ: «تَتَمَيَّزُ» على الأصل تنقطع «مِنْ الْغَيْظِ» غضباً على الكافر «كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ» جماعة منهم «سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا» سؤال توبيخ: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ» رسول ينذركم عذاب الله - تعالى -؟

[٩] «قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ» ما «أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ» يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالكذب، وأن يكون من كلام الكفار للثائر.

[١٠] «وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ» أي: سماع تفهم «أَوْ نَعْقِلُ» أي: عقل تفكر «مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ».

[١١] «فَأَعْرِضُوا بَذَنِيهِمْ» حيث لا ينفع الاعتراف «بَذَنِيهِمْ» وهو تكذيب النذر «فَسَحَقًا» يسكون الحياء وضمها<sup>(٥)</sup> «لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ» فبعداً لهم عن رحمة الله.

[١٢] «إِنَّ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ» يخافونه «بِالْغَيْبِ» في غيبته عن أعين الناس؛ فيطيعونه سراً، فيكون علانية أولى «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» أي: الجنة.

[١٣] ﴿وَأَسِرُّوا﴾ أيها الناس ﴿فَوَلَّكُمُ أَوْجَهُوْا بِمِثِّهِ إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تعالى ﴿عَلِمَ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم به؟ وسبب نزول ذلك: أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد<sup>(١)</sup>.

[١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تسرون، أي: أيتني علمه بذلك ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيه لا.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ سهلة للشيء فيها ﴿فَاتَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَلِلَّهِ الشُّكُورُ﴾ من القبور للجزء.

[١٦] ﴿وَأَمِنُوا﴾ بتحقيق الهزئين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينها وبين الأخرى، وتركه، وإبدالها ألفاً<sup>(٢)</sup> ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ سلطانه وقدرته<sup>(٣)</sup> ﴿أَنْ يَخْفِيَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تنحرك بكم وترتفع فوقكم.

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحا ترميكم بالحصىاء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاناة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ إنذارى بالعذاب؛ أي: إنه حق.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٌ﴾ إنكارى عليهم بالكذب عند إهلاكهم؛ أي: إنه حق.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَفَتْ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿وَيَقْبُضْنَ﴾ أجنحتهن بعد البسط؛ أي: وقابضات ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ يَكُنْ شَيْءٌ بَصِيرٌ﴾ المعنى: ألم يستدلوا بنبوت الطير في الهواء، على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم، وغيره من العذاب؟.

[٢٠] ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ بدل من «هَذَا» ﴿هُوَ جُدُّكُمْ﴾ أعوان ﴿لَكُمْ﴾ صلة «الذي» ﴿يَضْرِبُكُمْ﴾ صفة الجند ﴿مَنْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: غيره، يدفع عنكم عذابه؟ أي: لا ناصر لكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْكَاذِبُونَ﴾ إِلَّا فِي غُرُورٍ غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم.

[٢١] ﴿أَنْتُمْ هَذَا الَّذِي يَرْفُقُونَ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَكُمْ﴾ أي: المطر عنكم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: فمن يرزقكم؟ أي: لا رازق لكم غيره ﴿وَبَلَّ لُجُوجًا﴾ تهادوا ﴿فِي عُرِّيٍّ﴾ تكبر ﴿وَيَقُورُ﴾ تباعد عن الحق.

[٢٢] ﴿أَفَنْ يَبْشَى مُبْكَيًا﴾ واقفا ﴿عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَتَى بِشَى سَوَاءً﴾ معتدلاً ﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وخبر «مَنْ» الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى؛ أي: أهدى، والمثل في المؤمن والكافر، أيهما على هدى.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول. وعراه في زاد المسير لابن عباس.

(٢) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٣) وهذا تعطيل لصفة العو، وعدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف ما دلت عليه النصوص المتواترة من علوه. شبحاته وتعالى. على خلقه بذاته المقدسة واستوائه على عرشه.

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ وَأَوْجَهُوْا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٌ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَتْ وَيَقْبُضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝ أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُدُّكُمْ يَضْرِبُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۝ أَمْ هَذَا الَّذِي يَرْفُقَكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُورٍ ۝ أَفَنْ يَبْشَى مُبْكَيًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَتَى بِشَى سَوَاءً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» مزيدة، والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدًا على هذه النعم.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للحساب.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وعد الحشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين الإنذار.

بعض المتجربين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول! فذهب ماء عينه وعمي، نعوذ بالله من الحرجة على الله وعلى آياته.

### سُورَةُ الْقَائِرَةِ

[مكية، ثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ت﴾ أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراحه به ﴿وَالْقَائِرَةِ﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من الخير والصلاح.

[٢] ﴿مَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: انتفى الجنون عنك، بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا رد لقولهم: إنه مجنون.

[٣] ﴿وَأَنْتَ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع.

[٤] ﴿وَأَنْتَ لَمَلَىٰ خَلْقٍ﴾ دين ﴿عَظِيمٍ﴾.

[٥] ﴿فَسْتَصِرَّ وَبَصُرُونَ﴾.

[٦] ﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَقْتُولُ﴾ مصدر؛ كالمعقول؛ أي: الفتون؛ بمعنى: الجنون؛ أي: أهلك أم بهم؟

[٧] ﴿وَأَنْتَ رَبُّكَ هُوَ أَظْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ له، «وأعلم» بمعنى عالم.

[٨] ﴿فَلَا تُطِيعُ الْمُكْذِبِينَ﴾.

[٩] ﴿وَدَوَّا﴾ غموا ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تُدْهِنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ يلينون لك، وهو معطوف على ﴿تُدْهِنُ﴾ وإن جعل جواب التمني المفهوم من «ودوا» فدر قبله بعد الفاء: «هم».

[١٠] ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مُهِينٍ﴾ حقير ﴿هَمَّازٍ﴾ عتاب؛ أي: مغتاب ﴿مُشَّامٍ بَيِّمٍ﴾ ساع بالكلام بين الناس، على وجه الإفساد بينهم.

[١٢] ﴿مَنَاجٍ لِلنَّحْرِ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿مُتَنَرِّجٍ﴾ ظالم ﴿أَيِّمٍ﴾ آثم. [١٣] ﴿عُتْلٍ﴾ غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَلِكَ رِزِيمٍ﴾ ذبيح في قريش، وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانين عشرة سنة، قال ابن عباس<sup>(٤)</sup>: لا نعلم أن الله وصف أحدا بما وصفه به من العيوب فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً، وتعلق بـ«زريم» الظرف قبله.

[١٤] ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبِينٍ﴾ أي: لأن، وهو متعلق بما دل عليه. [١٥] ﴿إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَهْلُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾: هي ﴿أَسْطِطُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: كُذِّبَ بها لإلغائها عليه بما ذكر، وفي قراءة<sup>(٥)</sup>: ﴿أَنَّ﴾ بهمزتين مفتوحتين.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّا تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَغْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٢٠﴾

### سُورَةُ الْقَائِرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَائِرَةِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١٧﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿١٨﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿١٩﴾ وَإِنَّكَ لَمَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٢٠﴾ فَسْتَصِرَّ وَبَصُرُونَ ﴿٢١﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٢٢﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٢٣﴾ فَلَا تُطِيعُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٤﴾ وَدُّوْا لَوْ تَدْعُهُمْ فَيَذَرُوكُمْ هُنَّ ﴿٢٥﴾ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿٢٦﴾ هَمَّازٍ مُشَّامٍ بَيِّمٍ ﴿٢٧﴾ مَنَاجٍ لِلنَّحْرِ مُتَعَدِّ أَيْمٍ ﴿٢٨﴾ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رِزِيمٍ ﴿٢٩﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبِينٍ ﴿٣٠﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ عَائِلُنَا قَالَ أَسْطِطُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ سَنَسِيحُهُ عَلَى الْخُطُومِ ﴿٣٢﴾

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريباً ﴿سَيِّئَتْ﴾ اسودت ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ﴾ أي: قال الحزنة لهم: ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ﴾ بإنذاره ﴿تَدْعُونَ﴾ أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حال تأتي، عبر عنها بطريق المضي؛ لتحقيق وقوعها.

[٢٨] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين بعذابه، كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: لا مجير لهم منه.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّا تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَغْلَمُونَ﴾ بالباء والياء<sup>(١)</sup>، عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بين، أنحن، أم أنتم، أم هم؟ [٣٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائراً في الأرض ﴿فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جارية؛ تسالها<sup>(٢)</sup> الأيدي والدلاء كما أنكم؛ أي: لا يأتي به إلا الله - تعالى - فكيف تنكرون أن يبعثكم؟! ويستحب أن يقول القارئ عقب «معين»: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث<sup>(٣)</sup>، وتليت هذه الآية عند

(١) بالياء قراءة الكسائي.

(٢) في نسخة القاضي: «لا تسالها» وهو خطأ بين.

(٣) وهذا الحكم يحتاج إلى دليل من المصوم ﷺ ولم يرد حديث بذلك.

(٤) وأخرج البخاري (٤٩١٧) عنه قال: ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رِزِيمٍ﴾، قال: رجل من قريش، له زمة مثل زمة الشاة. والزمة: ما يقطع من أذن الشاة. وقيل: المعنى: أنه الذي يعرف بالشو كما تعرف الشاة برنمها.

(٥) لحزمة وشعة، وكذلك ابن عامر لكن مع تسهيل الهزلة الثانية.

[١٦] ﴿سَيَسْمِعُ عَلَى الثَّرَاتِ﴾ سنجعل على أنفه علامة، يُعَيِّرُ بها ما عاش، فحطيم أنفه بالسيف يوم بدر.

[١٧] ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ امتحنا أهل مكة بالهط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْبَنَاءِ﴾ البستان ﴿إِذْ أَقْبَتُوا لَصْنَمَتِهَا﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مُتَّبِعِينَ﴾ وقت الصباح؛ كي لا يشعر بهم المساكين؛ فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.

[١٨] ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾ في يمينهم بشيعة الله - تعالى -، والجملة مستأنفة؛ أي: وشأنهم ذلك.

[١٩] ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ نار أحرقتها ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ كالليل الشديد الظلمة؛ أي: سوداء.

[٢١] ﴿فَنَادَا مُّصِيبِينَ﴾.

[٢٢] ﴿أَنِ اعْبُدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾ غلبكم، تفسير لـ«نادوا» أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ مریدين القطع، وجواب الشرط دل عليه ما قبله.

[٢٣] ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ يتساورون.

[٢٤] ﴿أَن لَّا يَخْتَفُوا أَيَّامَ عَذَابِكُمْ﴾ تفسير لما قبله، أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن.

[٢٥] ﴿وَعَذَابُكَ عَلَى حَرْثٍ﴾ منع للفراء ﴿قَدِيرٍ﴾ عليه في ظنهم.

[٢٦] ﴿فَمَا زَالُوا﴾ سوداء محترقة ﴿فَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ﴾ عنها؛ أي: ليست هذه.

[٢٧] ثم قالوا لمعلموها: ﴿يَلْ نَحْنُ نَحْمُومُونَ﴾ نمرتها، بمنعنا لفقرها منها.

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ خيرهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ لَوْلَا هَٰذَا﴾ هَلَا ﴿تَسُبُّونَ﴾ الله تائبين.

[٢٩] ﴿فَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ضَالِّينَ﴾ بمنع الفراء حقهم.

[٣٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَامِؤْنَ﴾.

[٣١] ﴿فَالُوا يَا لِلتَّيْبَةِ﴾ وتلنا هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ﴾.

[٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا﴾ بالتشديد والتخفيف <sup>(١)</sup> ﴿حَزَنًا نَّيْبًا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ ليقبل توبتنا، ويرد علينا خيراً من جنتنا، روي أنهم أبدلوا خيراً منها.

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿الْقَائِلَ﴾ لمن خالف أمرنا، من كفر مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عذابها، ما خالفوا أمرنا.

[٣٤] ﴿وَنَزَلَ مَا قَالُوا﴾ إن بعثنا نُعطى أفضل منكم: ﴿إِن لِّلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.

[٣٥] ﴿فَتَجْمَعُ الْكُلُوبُ﴾ كلهم ﴿أَي: تابعين لهم في العطاء﴾.

[٣٦] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟.

[٣٧] ﴿أَمْ﴾ أي: بل أ ﴿لَكُمْ كِتَابٌ﴾ منزل ﴿فِيهِ تَذَرُوسُونَ﴾ أي: تقرأون؟.

[٣٨] ﴿إِن لَّكُمْ فِيهِ مَا تَخْتَارُونَ﴾ تختارون.

[٣٩] ﴿أَمْ لَكُمْ أَنْبَاءٌ﴾ عهد ﴿عَلَيْتَ بَلَاغَةً﴾ واقفة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

(١) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) هذا أحد قولي العلماء في تفسير الآية، وأنها ليست من آيات الصفات، وأصحاب هذا القول من السلف لا ينفون عن الله - تعالى - صفة الساق التي ثبتت بالسنّة الصحيحة، وإنما يثبتونها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

والقول الثاني: أن المراد في الآية هنا أن الله يكشف عن ساقه - سبحانه -، ويدل على هذا القول ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة...» الحديث. رواه البخاري (٤٩١٩).

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٦﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٧﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿١٩﴾ فَنَادَا مُّصِيبِينَ ﴿٢٠﴾ أَنِ اعْبُدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ فَنَاطَلُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٢﴾ أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٣﴾ وَعَذَابُكَ عَلَىٰ حَرْثٍ قَدِيرٍ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ ﴿٢٥﴾ يَلْ نَحْنُ مُخْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٧﴾ فَاذْكُرُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَامِؤْنَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا لَوْلَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣٠﴾ عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا حَزَنًا نَّيْبًا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣١﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ إِن لِّلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٣٣﴾ أَفَتَجْمَعُ الْمُسَالِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٦﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٣٧﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٣٨﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٤٠﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٤١﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٤٢﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٤٣﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٤٤﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٤٥﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٤٦﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٤٧﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٤٨﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٤٩﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٥٠﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٥١﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٥٢﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٥٣﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٥٤﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٥٥﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٥٦﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٥٧﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٥٨﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٥٩﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا إِلَيْكُمْ رَاغِبِينَ ﴿٦٠﴾

متعلق معنى بـ«علينا»، وفي هذا الكلام معنى القسم؛ أي: أقسمنا لكم، وجوابه: [٤٠] ﴿إِن لَّكُمْ لَمَذَاحٌ﴾ به لأنفسكم.

[٤١] ﴿سَنَسْأَلُهُمْ أَيُّهُمْ يَدْلِكُ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم، من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿رَبِّهِمْ﴾ كفيلاً لهم؟ ﴿أَمْ هُمْ﴾ أي: عندهم ﴿شُرَكَاءُ﴾ موافقون لهم في هذا القول، يكفلون به لهم؟ فإن كان كذلك ﴿فَيُنَادُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ الكافلين لهم به ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

[٤٢] اذكر ﴿يَوْمَ يُكْفَتُ عَنْ سَاقٍ﴾ هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء <sup>(٢)</sup>؛ يقال: كشفت الحرب عن ساق: إذا اشتد الأمر فيها ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ﴾ امتحاناً لإيمانهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تصوير ظهورهم طبقاً واحداً.

[٥٠] ﴿فَاجْنِبْهُ رَبِّهِ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء.  
 [٥١] ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ بضم الياء وفتحها <sup>(١)</sup> ﴿بِأَصْبَرِهِ﴾ ينظرون إليك نظراً شديداً، يكاد أن يصرعك، ويسقطك من مكانك ﴿لَنَا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسداً: ﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ﴾ بسبب القرآن الذي جاء به.  
 [٥٢] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الجن والإنس، لا يحدث بسبب جنون.

### سُورَةُ الْحَاقَّةِ

[مكية، إحدى، أو: اثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَاقَّةُ﴾ القيامة، التي يحق فيها ما أتت من البعث والحساب والجزاء، أو: المظهرة لذلك.  
 [٢] ﴿مَا الْهَاقَّةُ﴾ تعظيم لشأنها، وهما: مبتدأ وخبر، خبر: «الهاقة» <sup>(٢)</sup>.  
 [٣] ﴿وَمَا أَزْيَكُ﴾ أعلمك ﴿مَا الْهَاقَّةُ﴾ زيادة تعظيم لشأنها، ف«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لدأدرى.  
 [٤] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تفرع القلوب بأهوالها.  
 [٥] ﴿فَأَنَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالْقَارِعَةِ﴾ بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة.  
 [٦] ﴿وَأَنَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديد الصوت ﴿عَاصِفَةٍ﴾ قوية شديدة على عاد، مع قوتهم وشدتهم.  
 [٧] ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسها بالقهقير ﴿عَلَيْهِمْ سَنَعُ لَيْلٍ وَنَكِيَّةَ نِجَامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء <sup>(٣)</sup> ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات، شُبَّهَتْ بتتابع فِعْلِ الحاسم، في إعادة الكي على الداء كَرَّةً بعد أخرى، حتى ينحسم.  
 ﴿فَزَيَّ الْقَوْمُ ذَيْبَ صَرْعَى﴾ مطروحين هالكين ﴿كَانَتْهُمْ أَعْمَارُ﴾ أصول ﴿عَقْلٍ حَاقِيَةٍ﴾ ساقطة فارعة.  
 [٨] ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ صفة «نفس» مقدرة <sup>(٤)</sup>، أو التاء للمبالغة؛ أي: باقي؟ لا.

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿١٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿١٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكْهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١٩﴾ فَاجْتَنِبْ رِبَّهُ فَجَنَّاهُ مِنَ الصَّلَاحِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٢١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

### سُورَةُ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ مَا الْهَاقَةُ ﴿١﴾ وَمَا أَزْيَكُ مَا الْهَاقَةُ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٣﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٤﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاصِفَةٍ ﴿٥﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَنَعٌ لَيْلٍ وَنَكِيَّةٌ نِجَامٍ ﴿٦﴾ فَزَيَّ الْقَوْمُ ذَيْبَ صَرْعَى ﴿٧﴾ كَانَتْهُمْ أَعْمَارُ ﴿٨﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٩﴾

[٤٣] ﴿خَشِيعَةً﴾ حال من ضمير «يدعون»؛ أي: ذليلة ﴿أَبْصَرُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿رَهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ فلا يأتون به، بأن لا يصلوا. [٤٤] ﴿فَذَرْنِي﴾ دعني ﴿وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [٤٥] ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنِّي كَيْدِي مَتِينٌ﴾ شديد لا يطاق. [٤٦] ﴿أَمْ﴾ بل أَمْ ﴿تَسْأَلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾ مما يعطونكه ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون لذلك؟ [٤٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ، الذي فيه الغيب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يقولون؟ [٤٨] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة، وهو يونس <sup>(١)</sup> ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غمًا في بطن الحوت.

[٤٩] ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكْهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لكن رُحِمَ فليذ غير مذموم.

(١) بالفتح قراءة نافع.

(٢) أي: وجملة المبتدأ والحبر: خبر «الهاقة».

(٣) الأولى عدم تعيين هذه الأيام، على هذا النحو، من غير دليل صحيح يصار إليه. ويكفي إطلاق القرآن أنها «سبع ليال وثمانية أيام».

(٤) أي: «من نفس باقية».

[٩] ﴿وَبِمَا قَسَمْنَا لَكَ فَتَنًا وَمِنَ الْفِتَنِ مَا ظَلَمْنَا فِيهِ﴾<sup>(١)</sup> أتباعه، وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي: مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةُ ﴿وَالَّذِينَ نَكَحْتُمُ أَيُّ أَهْلِهَا، وَهِيَ قَرَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ بِالْفَتَلَاتِ ذَاتِ الْخَطَا.   
 [١٠] ﴿فَقَسَمُوا لَكُمْ رُسُلَهُمْ﴾ أي: لُوطًا وَغَيْرِهِ ﴿فَلَنَضَعَهُمْ لَأَمَّةً رَابِيَةً زَائِدَةً فِي الشَّدَةِ عَلَى غَيْرِهَا.

[١١] ﴿إِنَّا لَنَّا نَلْقَى الْأَمَّةَ﴾ عِلَا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، مِنَ الْجِبَالِ وَغَيْرِهَا، زَمَنَ الطُّوفَانِ ﴿حَمَلَكُمُ﴾ يَعْنِي أَبَاءَكُمْ؛ إِذْ أَنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ ﴿فِي الْبَارِيَةِ﴾ السَّفِينَةِ الَّتِي عَمَلَهَا نُوحٌ، وَنَحَا هُوَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِيهَا، وَغَرِقَ الْبَاقُونَ.

[١٢] ﴿لَنُنَزِّلَهُنَّ﴾ أي: هَذِهِ الْفَعْلَةُ وَهِيَ نَجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، وَاهْلَاكُ الْكَافِرِينَ ﴿لَكُمُ نَذِيرٌ﴾ عِظَةٌ وَنَهْيٌ وَلِتَحْفَظُهَا ﴿أَذُنٌ وَدِعَةٌ﴾ حَافِظَةٌ لِمَا تَسْمَعُ.   
 [١٣] ﴿فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَهِيَ الثَّانِيَةُ.   
 [١٤] ﴿وَنُفِثَتْ﴾ رَفَعَتْ ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكُّنَا﴾ ذِكَا ﴿وَحِدَةٌ﴾.   
 [١٥] ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قَامَتِ الْقِيَامَةُ.

[١٦] ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكُتِبَ عَلَيْهَا الْأُمُورُ﴾ ضَعِيفَةٌ.   
 [١٧] ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ يَعْنِي الْمَلَائِكَةُ ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ جَوَانِبِ السَّمَاءِ ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: الْمَلَائِكَةُ الْمَذْكُورِينَ ﴿يَوْمَئِذٍ مُّتَنِينَ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ مِنْ صُفُوفِهِمْ.

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لِلْحَسَابِ﴾ لَا تَحْفَظُ بِالْبَاءِ وَالْيَاءِ<sup>(٢)</sup> ﴿يَسْكُرُ حَافِيَةً﴾ مِنَ السَّرَارِ.

[١٩] ﴿فَأَذَّنَ مَنْ أَوَّلَ كِتَابِهِ يَسْمِعُهُ﴾ يَقُولُ خُطَابًا لِمَجَاعَتِهِ لِمَا شَرُّ بِهِ: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خَذُوا ﴿أَفَرَأَوْ كِتَابَهُ﴾ تَنَازَعُ فِيهِ «هَؤُلَاءِ» وَ«أَفَرَأَوْ»<sup>(٣)</sup>.

[٢٠] ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ مُّتَنِينَ﴾ تَقَبَّلْتُ ﴿أَنِّي مُلْكٌ جَسِيَّةٌ﴾.   
 [٢١] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ مُرَضِيَةٌ.

[٢٢] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

[٢٣] ﴿فَقُطِفَهَا﴾ ثَمَارُهَا ﴿وَأَنبَتَتْ﴾ قَرِيبَةً، يَتَنَاوَلُهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالْمُضْطَجِعُ.

[٢٤] يُقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا حَيْثَا﴾ حَالٌ؛ أَيُّ مَتَّعْتَيْنِ ﴿بِمَا أَشْفَقْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الْمَاضِيَةِ فِي الدُّنْيَا.

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوَّلَ كِتَابِهِ يَسْمَالُهُ﴾ يَقُولُ يَا لِلتَّيْبَةِ ﴿لَتَشْنِي لَرَأْوَتٍ كِتَابِيَّةً﴾.

[٢٦] ﴿وَلَرَأْوَتٍ مَا جَسِيَّةٌ﴾.

[٢٧] ﴿وَلَتَشْنِي﴾ أي: الْمَوْتَةُ فِي الدُّنْيَا ﴿كَانَتْ أَلْفَاضِيَّةً﴾ الْقَاطِعَةُ لِحَيَاتِي، بَأَن لَّا أَبْعَثُ.

[٢٨] ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي﴾.

[٢٩] ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ قُوتِي وَحُجَّتِي، وَهَاءُ «كِتَابِيَّةٌ» وَ«جَسَابِيَّةٌ» وَ«مَالِيَّةٌ» وَ«سُلْطَانِيَّةٌ» لِلْسَّكْتِ ثَبَتٌ وَقَفًا وَوَصْلًا؛ اتِّبَاعًا لِلْمَصْحَفِ الْإِمَامِ

(١) وَهِيَ قِرَاءَةُ الْكَسَائِيِّ وَأَبِي عَمْرٍو، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: «قَبْلَهُ» بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْبَاءِ.

(٢) بِالْيَاءِ قِرَاءَةُ حَمْزَةٍ وَالْكَسَائِيِّ.

(٣) التَّنَازَعُ هُوَ: تَوَجُّهُ عَامِلِينَ إِلَى مَعْمُولٍ وَاحِدٍ. وَالْعَامِلَانِ هُنَا: هَؤُلَاءِ «هَؤُلَاءِ» وَالْمَعْمُولُ هُوَ: «كِتَابِيَّةٌ»؛ فَأَيُّهَا أَعْمَلْتُ، فَيُقَدَّرُ لِلْآخِرِ مَفْعُولُهُ، وَقَدْ أَعْمَلَ الثَّانِي عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ، وَالْأَوَّلُ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ، وَأَضْمَرَ فِي الْآخِرِ، وَحَذَفَ لِأَنَّهُ فَضْلَةٌ.

(٤) أَيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٥) أَيُّ السَّبْعَةِ، وَهُوَ حَمْزَةٌ، وَالْمُشْرَةُ، وَهُوَ يَعْقُوبُ.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ، وَالْمُؤَيِّنَاتُ بِالْحَاطَةِ ﴿نَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاذْكُرْنَاهُمْ أَحَدَةً رَابِيَةً﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكُرَةً وَتَعِبَهَا أَذُنٌ وَدِعَةٌ﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكُّنَا ذَكَا وَحِدَةٌ﴾ ﴿فِيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكُتِبَ عَلَيْهَا الْأُمُورُ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِينَ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوَّلَ كِتَابِهِ يَسْمِعُهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْوَمُ أَكْتَابِيَّةٌ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ جَسَابِيَّةٌ﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ قُطِفَهَا دَائِيَّةٌ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَشْفَقْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوَّلَ كِتَابِهِ يَسْمَالُهُ فَيَقُولُ لَتَشْنِي لَرَأْوَتٍ كِتَابِيَّةٌ ﴿وَلَرَأْوَتٍ مَا جَسَابِيَّةٌ﴾ يَلِيَّتُهَا كَانَتْ أَلْفَاضِيَّةٌ ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ

وَالنَّقْلُ<sup>(٤)</sup>، وَمِنْهُمْ<sup>(٥)</sup> مَنْ حَذَفَهَا وَصَلًا.

[٣٠] ﴿خُذْرُهُ﴾ خُطَابٌ لِحَزْنَةِ جَهَنَّمَ ﴿فَعُغِّلُوهُ﴾ اجْمَعُوا يَدِيهِ إِلَى عُنُقِهِ فِي الْغُلِّ.

[٣١] ﴿قُرُ الْمَجِيمِ﴾ النَّارُ الْحَرَقَةُ ﴿سَلُّوهُ﴾ أَدْخُلُوهُ.

[٣٢] ﴿قُرُ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بِذِرَاعِ الصَّلَكِ ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أَدْخُلُوهُ فِيهَا بَعْدَ إِدْخَالِهِ النَّارِ، وَلَمْ تَمْنَعْ الْفَاءُ مِنْ تَعَلُّقِ الْفِعْلِ بِالظَّرْفِ الْمَتَقَدِّمِ.

[٣٣] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.

يَنْ أَحَدِهِ هُوَ اسْمُ «مَا»، وَ«مِنْ» زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ النْفِي، وَ«مِنْكُمْ» حَالٌ مِنْ «أَحَدٍ»  
 «عَنْهُ حَجَرَيْنِ» مَانِعِينَ، خَيْرُ «مَا»، وَجُمِعَ؛ لِأَنَّهُ «أَحَدٌ» فِي سِيَاقِ النْفِي بِمَعْنَى  
 الْجَمْعِ، وَضَمِيرُ «عَنْهُ» لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ أَيُّ لَا مَانِعَ لَنَا عَنْهُ، مِنْ حَيْثُ الْعِقَابُ.  
 [٤٨] «وَإِنَّهُ» أَيُّ: الْقُرْآنُ «لَنَذْكُرَنَّ لِمَنْ تَقِيَنَّ». [٤٩] «وَإِنَّا لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ  
 مِنْكُمْ» أَيُّهَا النَّاسُ «شُكَّائِينَ» بِالْقُرْآنِ، وَمُصَدِّقِينَ. [٥٠] «وَإِنَّهُ» أَيُّ:  
 الْقُرْآنُ «لَنَحْشُرَنَّ عَلَى الْكَافِرِينَ» إِذَا رَأَوْا ثَوَابَ الْمُصَدِّقِينَ، وَعِقَابَ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ  
 «وَإِنَّهُ» أَيُّ: الْقُرْآنُ «لَنَحْقُقَنَّ الْيَقِينَ» أَيُّ: لِلْيَقِينِ الْحَقَّ. [٥١] «فَسَبِّحْ» نَزْهُ  
 «وَأَسْمِرْ» زَائِدَةٌ (٧) «رَبِّكَ الْعَظِيمِ» سُبْحَانَهُ.

### سُورَةُ الْمَعَارِجِ

[مكية، أربع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] «سَأَلَ سَائِلٌ» دَعَا دَاعٍ «بِعَذَابٍ وَاقِعٍ».  
 [٢] «لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ» هُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ (٤)، قَالَ: «اللَّهُمَّ  
 إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ» الْآيَةُ (٥).  
 [٣] «مِنْ اللَّهِ» مُتَّصِلٌ بِوَقَائِعِ «ذِي الْمَعَارِجِ» مُصَاعِدِ الْمَلَائِكَةِ، وَهِيَ  
 السَّمَاوَاتُ.  
 [٤] «تَنْزِيلُ» بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ (٦) «الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ» جِبْرِيلُ «إِلَيْهِ» إِلَى  
 مَهْبِطِ أَمْرِهِ مِنَ السَّمَاءِ (٧) «فِي يَوْمٍ» مُتَّعِلٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أَيُّ: يَقَعُ الْعَذَابُ بِهِمْ  
 فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ «كَأَنَّهُ يَقْدَرُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَافِرِ، لَمَا يَلْقَى  
 فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَكُونُ أَحْفَظَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يَصْلِيهَا فِي  
 الدُّنْيَا؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ (٨).  
 [٥] «فَاصْبِرْ» وَهَذَا قَبْلُ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْقِتَالِ «صَبْرًا جَيِّدًا» أَيُّ: لَا جُرْعَ  
 فِيهِ.  
 [٦] «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ» أَيُّ: الْعَذَابَ «بَعِيدًا» غَيْرَ وَاقِعٍ.  
 [٧] «وَرَنَّهُ قَرِيبًا» وَاقِعًا لَا مُحَالَةً.  
 [٨] «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ» مُتَّعِلٌ بِمَحْذُوفٍ أَيُّ: يَقَعُ «كَالْنَهْلِ» كَذَابُ  
 الْفُضَّةِ.  
 [٩] «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» كَالصُّوفِ؛ فِي الْخِفَةِ وَالطَّرِيانِ بِالرَّيْحِ.  
 [١٠] «وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا» قُرْبُ قَرِيبِهِ؛ لِاشْتِغَالِ كُلِّ بِحَالِهِ.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ (١) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٢) فَلَا أَقْسَرُ  
 بِمَا تُبْصِرُونَ (٣) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٤) إِنَّهُ يُقُولُ رَسُولٌ كَرِيمٌ (٥) وَمَا هُوَ  
 يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ (٦) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ (٧)  
 (٨) نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٩) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (١٠)  
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (١١) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (١٢) فَمَا مِنْكُمْ  
 مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ (١٣) وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِمَنْ تَقِيَنَّ (١٤) وَإِنَّا  
 لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (١٥) وَإِنَّا وَلَحْشَرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (١٦)  
 (١٧) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (١٨) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (١٩)

### سُورَةُ الْمَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢)  
 مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ  
 فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا  
 (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَرَنَّهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ  
 كَالْهَيْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا (١٠)

[٣٥] «فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ» قَرِيبٌ يَنْتَفِعُ بِهِ. [٣٦] «وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ»  
 غَشِيلٌ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ شَجَرٌ فِيهَا. [٣٧] «لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ»  
 الْكَافِرُونَ. [٣٨] «وَلَا» «لَا» زَائِدَةٌ «أَقْسَرُ بِمَا تُبْصِرُونَ» مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.  
 [٣٩] «وَمَا لَا تُبْصِرُونَ» مِنْهَا؛ أَيُّ: بِكُلِّ مَخْلُوقٍ [٤٠] «إِنَّهُ» أَيُّ: الْقُرْآنُ  
 «لَقَدْ رُسِلَ رَسُولٌ كَرِيمٌ» أَيُّ: قَالَهُ رَسُولُهُ عَنْ اللَّهِ - تَعَالَى - [٤١] «وَمَا هُوَ يَقُولُ»  
 شَاعِرٌ قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ. [٤٢] «وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ» بِالنَّاءِ  
 وَالْيَاءِ (١) فِي الْفَعْلَيْنِ، وَ«مَا» مُزِيدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَشْيَاءَ بَسِيرَةٍ  
 وَتَدَّكُرُوهَا، مِمَّا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّلَةِ وَالْعَقَابِ فَلَمْ تَغْنِ عَنْهُمْ  
 شَيْئًا. [٤٣] «بَرَّ هُوَ» نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. [٤٤] «وَلَوْ تَقَوَّلَ» أَيُّ: النَّبِيُّ  
 «عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ» بَأَن قَالَتْ عَنَّا مَا لَمْ نَقُلْهُ. [٤٥] «لَأَخَذْنَا مِنْهُ لُطْفًا»  
 «مِنْهُ» عِقَابًا «بِالْيَمِينِ» بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ (٢). [٤٦] «ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ»  
 نَبَاطُ الْقَلْبِ، وَهُوَ عِرْقٌ مُتَّصِلٌ بِهِ، إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ. [٤٧] «فَمَا مِنْكُمْ

(١) بآيَاءِ قِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامَرٍ فِي الْفَعْلَيْنِ: «يُؤْمِنُونَ»، وَ«يَتَذَكَّرُونَ».

(٢) تَفْسِيرُ الْيَمِينِ بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ خِلَافَ ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَعَدُولُ بِهِ عَنْهُ، وَلَوْ قَالَ: لِأَنَّهُ أَشَدُّ فِي الْبَطْشِ، أَوْ أَقْوَى، لَكَانَ أَوْضَحَ وَأَظْهَرَ، مَعَ مَا فِيهَا مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْيَمِينِ لِلَّهِ ﷻ عَلَى الْوَجْهِ اللَّاتِي بِهِ، وَكَلَّمَا يَدِيهِ سُبْحَانَهُ يَمِينَ. كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ (١٨٢٧) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.

(٣) أَيُّ: الْبَاءُ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَلَيْسَ لَفْظُهُ «اسْمٌ».

(٤) قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ» كَمَا عِنْدَكَ فَامْطَرِ عَلَيْنَا حِسَابَكَ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا بِعَذَابٍ إِلَيْهِ. الْأَنْفَالُ: ٣٢.

(٥) بآيَاءِ قِرَاءَةِ الْكَسَايَا.

(٦) وَهَذَا مِنْ تَأْوِيلِ الْمُعْطَلَةِ الَّتِي يَنْفُونَ عَنْهُ عَلَى اللَّهِ - شُبْحَانَهُ - بِذَاتِهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَفِي الْآيَةِ إِثْبَاتُ عُرُوجِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى اللَّهِ - شُبْحَانَهُ -.

(٨) حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ، وَضَعْفُهُ الْأَلْفَانِي، وَانْظُرِ التَّعْلِيلَ عَلَى الْآيَةِ رَقْمَ (٥) مِنْ سُورَةِ السَّجْدَةِ.



[١١] ﴿يُصْرَوْنَ لَهُمْ﴾ أي: يبصر الأجواء بعضهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿يُؤَذِّنُ الْمُجْرِمُ﴾ بمعنى الكافر ﴿لَوْ﴾ بمعنى «أن» ﴿يَقْتَدِي بَيْنَ عَذَابٍ يُؤَمِّدُ﴾ بكسر الميم وفتحها<sup>(١)</sup> ﴿يَتَّبِعُهُ﴾.

[١٢] ﴿وَصَحْبِيَّتِهِ﴾ زوجته ﴿وَأَلِيَّتِهِ﴾.

[١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته؛ لفصله منها ﴿أَلَى تَوْبَةٍ﴾ تضمه.

[١٤] ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ذلك الافتداء، عطف على «يقندي».

[١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردٌّ لما يؤذنه ﴿إِنَّمَا﴾ أي: ان نار ﴿لَطْفِي﴾ اسم لجهنم؛ لأنها تنلطي؛ أي: تتهلب على الكفار.

[١٦] ﴿نَزَاعَةٌ لِلنَّشْوَى﴾ جمع «نشوة»، وهي جلدة الرأس.

[١٧] ﴿تَقُولُوا مَنْ أَذَرَّ وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان؛ بأن تقول: إلى أي.

[١٨] ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَرَعَنَ﴾ أمسكه في وعائه، ولم يؤد حق الله منه.

[١٩] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ حال مقدره، وتفسيره:

[٢٠] ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقت مَسَّ الشرِّ.

[٢١] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقت مَسَّ الخير؛ أي: المال، لحق الله منه.

[٢٢] ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ مواظبون.

[٢٤] ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ هو الزكاة.

[٢٥] ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُومِ﴾ المتعفف عن السؤال؛ فيحرم.

[٢٦] ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ﴾ الجزاء.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابٍ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٨] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نزوله.

[٢٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ لَوْمَةٍ مِّنْهُمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[٣٠] ﴿إِلَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَلَا تَنْهَىٰ عَنْهُ﴾ ملوئيت.

[٣١] ﴿وَمَنْ أَتَّبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

[٣٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ لَوْمَةٍ مِّنْهُمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup> بالإفراد؛ ما اتسموا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رَعُونَ﴾ حافظون.

[٣٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ لَوْمَةٍ مِّنْهُمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وفي قراءة<sup>(٣)</sup> بالجمع ﴿يَقِيمُونَهَا﴾ يقيمونها ولا يكتُمونها.

[٣٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها.

[٣٥] ﴿وَأُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمَةٍ﴾.

يُصْرَوْنَ لَهُمْ يَوْمَ يَقْدِرُ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ يَوْمِ بَيْنِهِ

وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَطْفِي نَزَاعَةٌ لِلنَّشْوَى تَدْعُو مَنْ أَذَرَّ

وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ

جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ

عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ

وَالْمَرْغُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابِ

رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ وَالَّذِينَ هُمْ

عَنْ لَوْمَةٍ مِّنْهُمْ يَتَوَكَّلُونَ إِلَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

فَلَا تَنْهَىٰ عَنْهُم مَّلَؤَيْتٍ فَمَنِ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ لَوْمَةٍ مِّنْهُمْ يَتَوَكَّلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

وَأُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمَةٍ وَأُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمَةٍ

فَمَنِ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ

لَوْمَةٍ مِّنْهُمْ يَتَوَكَّلُونَ إِلَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

فَلَا تَنْهَىٰ عَنْهُم مَّلَؤَيْتٍ فَمَنِ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

[٣٦] ﴿فَمَنِ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ نحوك ﴿مُطْعِمِينَ﴾ حال؛ أي: مديني النظر.

[٣٧] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منك ﴿عَزِينَ﴾ حال - أيضًا؛ أي: جماعات جلقاً جلقاً، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لمن دخل هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم.

[٣٨] قال تعالى: ﴿يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَبِيِّهِ﴾.

[٣٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّمَا خَلَقْتُهُمْ﴾ كغيرهم ﴿مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من نطف، فلا يطمع بذلك في الجنة، وإنما يطمع فيها بالتقوى.

(١) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٢) لاين كثير.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالجمع: ﴿بشهاداتهم﴾.

## سُورَةُ نُوحٍ

[مكية، ثمان، أو: تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْهُمْ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.
- [٢] ﴿قَالَ يَفْقَهُوا إِنِّي لَكُم مِّنْ ذُنُوبٍ مِّثْقَلٍ ذَرَّةٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ بين الإنذار.
- [٣] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن أقول لكم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾
- [٤] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» زائدة، فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو: تبعيضية؛ لإخراج حقوق العباد ﴿وَوَخِّرْكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بعدابكم إن لم تؤمنوا ﴿إِذَا جَاءَ لَا يَخِرُّ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لآمتنم.
- [٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: دائماً متصلاً.
- [٦] ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمان.
- [٧] ﴿وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعُمْ﴾ «عَذَابُهُمْ» لئلا يسمعو كلامي ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا بِآيَاتِهِ﴾ غطوا رؤوسهم بها؛ لئلا ينظروني ﴿وَأَصْرُوا﴾ على كفرهم ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿أَسْتَغْفِرُوا﴾ «أَسْتَغْفِرُوا».
- [٨] ﴿فَدَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾ أي: بأعلى صوتي.
- [٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ صوتي ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.
- [١٠] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا ذُنُوبَكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

## سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي لَكُم مِّنْ ذُنُوبٍ مِّثْقَلٍ ذَرَّةٍ مِّنْ نَّارٍ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخِرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعُمْ ﴿٧﴾ وَأَصْرُوا وَأَسْتَغْفِرُوا بِآيَاتِهِ ﴿٨﴾ فَدَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٩﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٠﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا ذُنُوبَكُمْ إِنَّهُ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿١١﴾

[٤٠] ﴿فَلَا﴾ «لا» زائدة ﴿أَقِيمْ رَبِّكَ الْغَرْبَ وَالْمَغْرِبَ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾.

[٤١] ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ﴾ تأتي بدلهم ﴿غَيْرًا نَّيْمًا وَمَا تَحْنُ يَسْتَبِينَ﴾ «عاجزين عن ذلك».

[٤٢] ﴿فَدَرَّهُمْ﴾ أتركهم ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْمِزُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾ يلقوا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب.

[٤٣] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿يَرَكَنًا﴾ إلى الحشر ﴿كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نَصَبٍ﴾<sup>(١)</sup> وفي قراءة بضم الحرفين؛ شيء منصوب؛ كعلم أو راية ﴿يُورِضُونَ﴾ يسرعون.

[٤٤] ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة ﴿أَبْصَرُ رَهَقَهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذَلِكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ «ذلك» مبتدأ، وما بعدها الخبر، ومعناه: يوم القيامة.

\*\*\*

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ حفص وابن عامر: ﴿نَصَبٍ﴾ بضم النون والصاد.

(٢) في نسخة القاضي: «يصرون».

[١١] ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ وكانوا قد مُنِغَوْهُ ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كثير الدور.

[١٢] ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِئْكُمْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ جارية.

[١٣] ﴿لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: تأمّنون وقار الله إياكم بأن تؤمّنوا؟!.

[١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ جمع طَوْر، وهو الحال، فَطَوْرًا: نطفة، وطَوْرًا: علقة، إلى تمام خلق الإنسان، والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه.

[١٥] ﴿وَالَّذِينَ تَرَوَاهُمْ﴾ تنظروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض؟.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي: في مجموعهن؛ الصادق بالسماء الدنيا ﴿نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ مصباحًا مضيئًا، وهو أقوى من نور القمر.

[١٧] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ إذ خلق أبائكم آدم منها ﴿تِبَاقًا﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ يُبَيِّدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ للبعث ﴿إِخْرَاجًا﴾.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ مبسطة.

[٢٠] ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿فِي جَبَالٍ﴾ واسعة.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة والفقراء ﴿مَنْ لَرَّ رَيْدَهُ نَالَهُ﴾ [وَوَلَدَهُ<sup>(١)</sup>] وهم الرؤساء، المتعم عليهم بذلك، و«ولد» بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما، والأول، قيل: جمع «ولد» بفتحهما ك«خشب»، و«خشب»، وقيل: بمعناه ك«بخل»، و«بخل» ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ طغيانًا وكفرا.

[٢٢] ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿مَكْرًا كَبِيرًا﴾ عظيمًا جدًّا، بأن كذبوا نوحًا وأذوه ومن اتبعه.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا﴾ للسفلة: ﴿لَا تَدْرُنَّ الْهَيْكَلَ﴾ وَلَا تَدْرُنَّ وَدًّا ﴿بِفَتْحِ الْوَاوِ وَضْمِهَا<sup>(٢)</sup>﴾ وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ هي أسماء أصنامهم.

[٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ بها ﴿كِبِيرًا﴾ من الناس، بأن أمرهم بعبادتهم ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ عطفًا على «قد أضلوا» دعا عليهم لما أوحى إليه: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ<sup>(٣)</sup>﴾.

[٢٥] ﴿مِمَّا﴾ «ما» صلة ﴿[خَطَايَاهُمْ]<sup>(٤)</sup>﴾ وفي قراءة: ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ بالهمز ﴿أَغْرَقُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء<sup>(٥)</sup>.

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ﴾ أي: غير ﴿اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ يمتنعون عنهم العذاب. [٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ أي: نازل دار،

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِئْكُمْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ الْتَرَوَاهُمْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿ثُمَّ يُبَيِّدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَالًا﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَرَّ رَيْدَهُ نَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ آبَاكَ﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرْنِ الْهَيْكَلَ وَلَا تَذَرْنِ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كِبِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أَعْرَفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنِي بَصُلًا عَبْدًا وَلَا يَصِلُوا إِلَّا فَا جَرًا كَفَارًا ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾

والمعنى: أحذرا.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنِي بَصُلًا عَبْدًا وَلَا يَصِلُوا إِلَّا فَا جَرًا كَفَارًا﴾ من يفجر ويكفر، قال ذلك لما تقدم من الإيعاء إليه.

[٢٨] ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي﴾ وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ منزلي، أو: مسجدي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ هلاكًا، فأهلكوا.

\*\*\*

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: «وَوَلَدَ» بفتح الواو واللام.

(٢) بالضم قراءة نافع.

(٣) هود: ٣٦.

(٤) وهي قراءة أبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: «خَطِيئَتِهِمْ» بالهمز.

(٥) أي في الدنيا؛ وهذا قول الضحاك؛ وذلك أنهم كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من الجانب. وقال ابن السائب: سيدخلون في الآخرة نازًا، فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال؛ لأن الوعد حق. وهذا قول الأكثرين. وقال آخرون: هي نار البرزخ، والمراد: عذاب القبر.

## سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِك بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝  
وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ  
وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ  
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ  
اللَّهُ أَحَدًا ۝ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَنَاجِدُهَا مُلِثَتْ حَرَسًا  
شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن  
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْهُ سَهَابًا رَّصَدًا ۝ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ  
بِنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ  
وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرَفَ الْفَقْدَا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ  
اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى  
آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَحْزَنُ ۖ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا ۝

## سُورَةُ الْجِنِّ

[مكية، ثمان وعشرون آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أنخبرت بالوحي من الله - تعالى - ﴿أَنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين، وذلك في صلاة الصبح بطن نخل<sup>(١)</sup> (موضع بين مكة والطائف)،

وهم الذين ذكروا في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يتعجب منه؛ في فصاحته وغزارة معانيه، وغير ذلك.

[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ ﴿وَلَمْ نُشْرِك بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ اليوم ﴿بِرَبِّنَا﴾ أسأله.

[٣] ﴿وَأَنَّهُ﴾ الضمير للشأن، فيه وفي الموضعين بعده ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ تنزهه جلالة وعظمته، عما نسب إليه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾.

[٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ غلوا في الكذب؛ بوصفه بالصاحبة والولد.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بوصفه بذلك، حتى تبينا كذبهم بذلك.

[٦] قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يُؤْذُونَ﴾ يستعذون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف، فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ بعدوهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ فقالوا: شذنا الجن والإنس.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ يا إنس ﴿وَأَن﴾ مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته.

[٨] قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ رُفْنَا استراق السمع ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ نجومًا مخرقة، وذلك لما بعث النبي ﷺ.

[٩] ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي: قبل بعثته ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾ أي: نستسمع ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ سَهَابًا رَّصَدًا﴾ أُرْصِدْ له ليرى به.

[١٠] ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعد استراق السمع ﴿بِنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيرًا.

[١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قوم غير صالحين ﴿كَمَا طَرَفَ الْفَقْدَا﴾ فرقًا مختلفين؛ مسلمين وكافرين.

[١٢] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ لا نفوته كائنين في الأرض، أو: هارين منها في السماء.

[١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَحْزَنُ؛ بتقدير: ﴿هو﴾ بعد الفاء ﴿بَحْسًا﴾ نقصًا من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلمًا؛ بالزيادة في سيئاته.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حين بين الشياطين وخبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما بكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن سمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعو إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبت يهدي إلى الرشد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدًا، وأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ (٧٢) باب (١).

(١) الصواب: «بطن نخلة» كما تقدم في تفسير سورة الأحقاف الآية (٢٩)، و«بطن نخلة»: موضع بين مكة والطائف. أما «بطن نخل»: فهو موضع في نجد على بعد ليشتين من المدينة.

(٢) الأحقاف: ٢٩.

[١٤] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرُونَ بكفرهم ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ قصدوا هداية.

[١٥] ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَأَنَّهُمْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقوداً، وأَنَّهُم ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ في اثني عشر موضعاً هي: ﴿وَأَنَّهُمْ عَذَابِي﴾ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ وما بينهما، بكسر الهمزة: استنفاً، وبفتحها<sup>(١)</sup> بما يورج به.

[١٦] قال - تعالى - في كفر مكة: ﴿وَأَنَّهُمْ لِيُخَفَّفَ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ ن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وأنهم، وهو معطوف على «أنه استمع» ﴿لَوْ أَسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأَسْفَيْنَهُمْ مِنَّةً عَدَا﴾ كثيراً من السماء، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين.

[١٧] ﴿لِنُفْيِنَهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلم كيف شكرهم، علم ظهور ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ القرآن ﴿تَنَسَّلْهُ﴾ بالنون والياء<sup>(٢)</sup>؛ ندخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقاً.

[١٨] ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا﴾ فيها ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ بأن تشركوا، كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسهم وبمعهم أشركوا.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ بالفتح، والكسر<sup>(٣)</sup> استنفاً، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبدُه بطن نخل<sup>(٤)</sup> ﴿كَأَدْوَاهُ﴾ أي: الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ بكسر اللام وضمها<sup>(٥)</sup>؛ جمع لبدة؛ كاللبد في ركوب بعضهم بعضاً ازدحاماً، حرصاً على سماع القرآن.

[٢٠] ﴿إِنَّا﴾<sup>(٦)</sup> مجيباً للكفار في قولهم: ارجع عما أنت فيه، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي إِلَهاً﴾ ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا﴾ غيًّا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ خيراً.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿مُلْتَصِدًا﴾ ملتجئاً.

[٢٣] ﴿وَلَا بُلْغًا﴾ استثناء من مفعول «أَمْلِكُ»؛ أي: لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عنه ﴿وَرَسُولِي﴾ عطف على «بلاغاً»، وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض؛ لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في التوحيد، فلم يؤمن ﴿وَكَانَ تَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ حال من ضمير «مَنْ» في: «له»؛ رعاية لمنهاها، وهي حال مقدرة، والمعنى: يدخلونها مُقَدَّرًا خلودهم ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾.

[٢٤] ﴿حَقٌّ إِنَّا رَأَوُا﴾ ابتدائية، فيها معنى الغاية لمقدَّر قبلها؛ أي: لا يزالون على كفرهم، إلى أن يروا ﴿مَّا يُوعَدُونَ﴾ به من العذاب ﴿فَنَسْتَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم يوم بدر، أو: يوم القيامة ﴿مَنْ أضعَفُ ناصِرًا وَأَقْلُ عَدَدًا﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون؟ على القول الأول، أو: أنا أم هم؟ على الثاني.

[٢٥] فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: ﴿قُلْ إِنِّي﴾ أي: ما أَدْرِي أَقْرَبُ مَّا تُوعَدُونَ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَمْ رَبِّي أَمَدًا﴾ غاية وأجلاً لا

يعلمه إلا هو؟

[٢٦] ﴿عَلَّمُ الْغَيْبِ﴾ ما غاب به<sup>(٧)</sup> عن العباد ﴿فَلَا يَظْهَرُ﴾ يطلع ﴿عَلَّ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ من الناس.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَنْ أَرْضَنَ مِنْ رَسُولِي فَإِنَّهُ﴾ مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿يَسْلُكُ﴾ يجعل ويسير ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: الرسول ﴿وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا﴾ ملائكة يحفظونه، حتى يبلغه في جملة الوحي.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ﴾ الله علم ظهور ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي: الرسل ﴿وَرَسَلَتْ رَبَّهُمْ﴾ روعي بجمع الضمير معنى «مَنْ» ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عطف على مقدَّر؛ أي: فعلم ذلك ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ تمييز، وهو محول عن المفعول، والأصل: أحصى عدد كل شيء.

\*\*\*

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٤) الصواب: «تَحْلَةً» كما تقدم.

(٥) بالضم قراءة هشام بخلاف عنه.

(٦) وهي قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم، وقرأ حمزة وعاصم: ﴿قُلْ﴾.

(٧) كذا بالأصل، والمناسبات حذف «به».

التكاليف.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَسَدٌ﴾ [وَطَاءٌ] <sup>(١)</sup> موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أبين قولاً.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا شَوَكًا﴾ تصرفاً في أشغالك لا تنفرغ فيه لتلاوة القرآن.

[٨] ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك <sup>(٢)</sup> ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ تَبَيَّلًا﴾ مصدر «تبَّتل»، جيء به رعاية للفاصل، وهو ملزوم التبتل.

[٩] ﴿هُوَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ موكلًا له أمورك.

[١٠] ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة، من أذاهم ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا﴾ لا جرح فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

[١١] ﴿وَذَرْنِي﴾ اتركني ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه، والمعنى: أنا كافيكهم، وهم صناديد قريش ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ التمتع ﴿وَمَهْلَكُ قِيلًا﴾ من الزمن؛ فقللوا بعد يسير منه بيد.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ قيودًا ثقلاً؛ جمع «نكل» بكسر النون ﴿وَجَحِيمًا﴾ نارًا محرقة.

[١٣] ﴿وَكَلَّمَكَ نَارُ غُصْنٍ﴾ يُعَصَّسُ به في الخلق، وهو: الرُّقُوم، أو: الضَّرِيع، أو: الغسيل، أو: شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ تزلزل ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا﴾ رملاً مجتمعاً ﴿مُهَيَّيًّا﴾ سائلاً بعد اجتماعه، وهو من: هال يهيل، وأصله: تهَيُّول؛ استقبلت الضمة على الياء فقلبت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلت الضمة كسرة لمجانسة الياء.

[١٥] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ هو محمد ﷺ ﴿شَاهِدًا عَلَيْكَ﴾ يوم القيامة، بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو موسى - عليه الصلاة والسلام -.

[١٦] ﴿فَقَصَّ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذَنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا﴾ شديدًا.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمًا﴾ مفعول «تتقون»؛ أي: عذابه؛ أي: بأي حصن تحصنون من عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ جمع أشيب؛ لشدة هوله، وهو يوم القيامة، والأصل في شين «شيبًا» الضم، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشَيِّبُ نواصي الأطفال، وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة.

[١٨] ﴿الْأَسْمَاءُ مُنْقَطِرٌ﴾ ذات انقطاع؛ أي: انشقاق ﴿بِوَاءٍ﴾ بذلك اليرم لشدة ﴿كَانَ وَعْدٌ﴾ - تعالى - مجيء ذلك ﴿مَفْعُولًا﴾ أي: هو كائن لا محالة.

[١٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات الخوفية ﴿تَذَكُّرٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالآيمان والطاعة.

## سُورَةُ الْمُرْجَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُرْجِلُ ﴿١﴾ فَرِ الْبَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَضْفُهُ، أَوْ أَنْفَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَبِّلَ الْفُرْءَ أَنْ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا شَوَكًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَيَّلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهْلَكُهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذُعَصَةً وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيًّا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَقصَّ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذَنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا ﴿١٧﴾ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٨﴾ الْأَسْمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾

## سُورَةُ الْمُرْجَاتِ

[مكية: أو: إلا قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ إلى آخرها؛ فمدني، تسع عشرة، أو: عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْجِلُ﴾ النبي، وأصله: «المرزمل»، أدغمت التاء في الزاي؛ أي: المتلطف بشباهه حين مجيء الوحي له؛ خوفاً منه لهيبته.

[٢] ﴿فَرِ الْبَيْلَ﴾ صل ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[٣] ﴿نَضْفُهُ﴾ بدل من «قليلًا»، وقتته بالنظر إلى الكل ﴿أَوْ أَنْفَضَ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثلث.

[٤] ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ إلى الثالث، و«أو» للتخيير ﴿وَرَبِّلَ الْفُرْءَ﴾ ثبتت في تلاوته ﴿تَرْتِيلًا﴾.

[٥] ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ قرأنا ﴿ثَقِيلًا﴾ مهيباً، أو: شديداً؛ لما فيه من

(١) هذه قراءة أبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: (ووطئ) يفتح الواو وسكون الطاء؛ أي أثبت قراءة وطيئاً.

(٢) ذكر اسم الرب في الآية أعم من قصره على ذكر البسملة في ابتداء القراءة، وإنما المعنى: دم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً، بالتوحيد والتعظيم، على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك.



فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿١﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿٢﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٣﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَكَرَ ﴿٤﴾  
 ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٥﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَرٌ ﴿٦﴾ إِنَّ هَذَا  
 إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٧﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٩﴾  
 لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿١٠﴾ لَوَاحٍ لِّلْبَشَرِ ﴿١١﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ﴿١٢﴾ وَمَا جَعَلْنَا  
 أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَنْدَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا  
 لِيَسْتَفِينَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ  
 الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ  
 وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ  
 وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى  
 لِّلْبَشَرِ ﴿١٣﴾ كَذَآءُ الْقَمَرِ ﴿١٤﴾ وَإِلَىٰ ذَا دَبْرٍ ﴿١٥﴾ وَالصُّبْحُ إِذَا اسْفَرَفَتْ ﴿١٦﴾ إِنَّهَا  
 لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿١٧﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿١٨﴾ لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ  
 ﴿١٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٢٠﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّاتٍ  
 يَسَّاءُونَ ﴿٢٢﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٣﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٢٤﴾ قَالُوا لَوْلَا  
 مِنَّا الْمَصْلِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَوْلَا نَفْعُ الْمُسْكِينِ ﴿٢٦﴾ وَكُنَّا نَحْنُ خَاسِرُونَ  
 الْحَافِظِينَ ﴿٢٧﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٢٨﴾ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٢٩﴾

والولد ﴿٢٩﴾ وَتَهَيَّأَ ﴿٣٠﴾ ﴿١٥١﴾ ثُمَّ يَطْعَمُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥٢﴾ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴿١٦﴾ لَا أَزِيدُهُ  
 عَلَىٰ ذَلِكَ ﴿١٦﴾ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا الْقُرْآنَ عِندَنَا ﴿١٧﴾ سَأُرْهِقُهُمْ  
 أَكْلَهُ ﴿١٧﴾ صَعِيدًا ﴿١٧﴾ مشقة من العذاب، أو: جبلًا من نار، يصعد فيه ثم يهوي  
 أبدًا.

﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ فَكَّرُوا ﴿١٨﴾ فيما يقول في القرآن، الذي سمعه من النبي ﷺ  
 ﴿وَقَدَّرُوا﴾ في نفسه ذلك. ﴿١٩﴾ وَقِيلَ لَعَنَ وَعَذَّبَ ﴿١٩﴾ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿١٩﴾ على  
 أي حال كان تقديره. ﴿٢٠﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ في  
 وجهه قومه، أو فيما يقدح به فيه. ﴿٢٢﴾ ثُمَّ عَبَسَ ﴿٢٢﴾ قبض وجهه وكَلَحَهُ؛  
 ضيقًا بما يقول ﴿وَوَسَّوَسَ﴾ زاد في القبض والكُلُوح. ﴿٢٣﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ ﴿٢٣﴾ عن

الإيمان ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ تكبر عن اتباع النبي ﷺ. ﴿٢٤﴾ فَقَالَ ﴿٢٤﴾ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ إِلَّا يَغُرُّ بُؤْسًا ﴿٢٥﴾ ينقل عن السحرة. ﴿٢٥﴾ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾  
 إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ كما قالوا: ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُهُمُ الشَّرُّ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿سَأَصْلِيهِ﴾  
 أدخله ﴿سَقَرٌ﴾ جهنم. ﴿٢٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ تعظيم لشأنها. ﴿٢٨﴾  
 لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ شيقًا من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان.  
 ﴿٢٩﴾ لَوَاحٍ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ مُحَرَّقة لظاهر الجلد. ﴿٣٠﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ﴿٣٠﴾ ملكًا  
 خزنونها؛ قال بعض الكفار وكان قويًّا شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر،  
 واكفوني أتم اثنين<sup>(١)</sup>.

﴿٣١﴾ قال - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي: فلا يطاقون  
 كما يتوهمون ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَنْدَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ ضلالًا ﴿لِّلَّذِينَ  
 كَفَرُوا﴾ بأن يقولوا: لِمَ كانوا تسعة عشر؟ ﴿لِيَسْتَفِينَ﴾ لِيَسْتَفِينَ الَّذِينَ أُوْتُوا  
 الْكِتَابَ ﴿أي: اليهود صِدْقُ النَّبِيِّ ﷺ في كونهم تسعة عشر، الموافق لما في  
 كتابهم ﴿وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقًا لموافقتهم ما  
 أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا بِالْكِتَابِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من  
 غيرهم، في عدد الملائكة ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك بالمدينة  
 ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بمكة: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا﴾ العدد ﴿مَثَلًا﴾ سموه لغرابته  
 بذلك، وأعرب حالًا ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلال منكبر هذا العدد، وهدى  
 مُصَدِّقَهُ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة؛  
 في قوتهم وأعمالهم ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ﴾ أي: سقر ﴿إِلَّا ذِكْرَى لِّلْبَشَرِ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿وَالْقَمَرِ﴾. ﴿٣٣﴾ ﴿وَاللَّيْلِ﴾ ﴿إِذَا﴾  
 بفتح الدال ﴿ذَبَرَ﴾<sup>(٢)</sup> جاء بعد النهار، وفي قراءة: ﴿إِذَا أَدْبَرَ﴾ بسكون  
 الدال بعدها همزة، أي: مضى. ﴿٣٤﴾ ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا اسْفَرَفَتْ﴾ ظهر.

﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّمَا﴾ أي: سقر ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ البليات العظام. ﴿٣٦﴾ ﴿نَذِيرًا﴾  
 حال من «إحدى»، وذكر لأنها بمعنى العذاب ﴿لِّلْبَشَرِ﴾. ﴿٣٧﴾ ﴿لَمَن شَاءَ﴾  
 منكَّرٌ بدل من «البشر» ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير، أو: الجنة، بالإيمان ﴿أَوْ  
 يَتَأَخَّرَ﴾ إلى الشر، أو: النار، بالكفر. ﴿٣٨﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾  
 مرهونة مأخوذة بعملها في النار. ﴿٣٩﴾ ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وهم المؤمنون،  
 فنانجون منها. ﴿٤٠﴾ كانوا ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَّاءُونَ﴾ بينهم. ﴿٤١﴾ ﴿عَنِ  
 الْمُجْرِمِينَ﴾ وحالهم. ﴿٤٢﴾ ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار: ﴿مَا  
 سَلَكَكُمْ﴾ ما أدخلكم ﴿فِي سَقَرٍ﴾. ﴿٤٣﴾ ﴿قَالُوا لَوْلَا نَفْعُ الْمَصْلِينَ﴾.  
 ﴿٤٤﴾ ﴿وَلَوْلَا نَفْعُ الْمُسْكِينِ﴾. ﴿٤٥﴾ ﴿وَكُنَّا نَحْنُ خَاسِرُونَ﴾ في الباطل ﴿مَعَ  
 الْفَافِظِينَ﴾. ﴿٤٦﴾ ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ البعث والجزاء ﴿٤٧﴾ ﴿حَتَّىٰ أَتَيْنَا  
 الْيَقِينَ﴾ الموت.

(١) وأخرج البخاري عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سمة: أي اقتران أنزل أول؟ فقال: ﴿يَتَأْتِي النَّازِعَاتُ﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ الَّذِي مَلَأَ﴾، فقال أبو سمة: سألت حابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: ﴿يَتَأْتِي النَّازِعَاتُ﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ الَّذِي مَلَأَ﴾. فقال: لا أجرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الم نشر (٧٤) باب (١). قال الحافظ: «المعاد بالأولية في قوله: «أول ما نزل سورة الم نشر» أولية مخصوصة بما بعد فرة الوحي، أو مخصوصة بالآمر والإندار، لا أن المراد أنها أولية مطلقة». [الفتح ٥٤٦/٨]. وقال النووي: الصواب أن أول ما نزل على الإطلاق: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ﴾. كما صرح به في حديث عائشة.

(١) المحل. ١٠٣.

(٢) ذلك عن رجل يقال له: أبو الأشد أسيد بن كلبه بن خلف الجمحي. كما في تفسير البغوي وغيره، وروي غير ذلك، ولم يثبت منه شيء صحيح تقوم به الحجة.

(٣) وهي قرينة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ نقة السبعة: ﴿إِذَا أَدْبَرَ﴾ بسكون الدال بعدها همزة.



[٤٨] ﴿فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم.

[٤٩] ﴿فَمَا﴾ مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ خبره، متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه<sup>(١)</sup> ﴿عَنِ التَّذِكُّرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال من الضمير، والمعنى: أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن التذكرة؟ [٥٠] ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ وحشية. [٥١] ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أسد؛ أي: هربت منه أشد الهرب. [٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثَنَّرَةً﴾ أي: من الله - تعالى - باتباع النبي؛ كما قالوا: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفُوكَ حَتَّىٰ تَنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

[٥٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: عذابها. [٥٤] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿تَذَكَّرُوا﴾ عظة. [٥٥] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ قرأه فاتعظ به. [٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والفاء<sup>(٣)</sup> ﴿إِلَّا أَنْ يَسَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ﴾ بأن يتقى ﴿وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾ بأن يغفر لمن اتقاه.

### سُورَةُ الْقِيَامَةِ

[مكية، أربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا﴾ زائدة في الموضعين ﴿أَقِيمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. [٢] ﴿وَلَا أَقِيمْ بِالْقَيْسِ أَلْوَامَةً﴾ التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف؛ أي: ليتعن، دل عليه: [٣] ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَكْفَرًا﴾ أي: الكافر ﴿أَلَّنْ تَجْعَ عِظَامُهُ لِبُعْثِ وَالْإِحْيَاءِ﴾ [٤] ﴿بَلْ﴾ نفي ﴿تَجْمَعُهَا﴾ جمعها ﴿فَتَدِيرُ﴾ مع جمعها ﴿عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ وهو: الأصابع؛ أي: نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟ [٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة، ونصبه به ﴿أَنْ﴾ مقدرة؛ أي: أن يكذب ﴿أَمَانَتُهُ﴾ أي: يوم القيامة، دل عليه: [٦] ﴿يَسْتَلْ أَتَىٰ﴾ متى ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. [٧] ﴿فَإِنَّا يَرَىٰ الْقَفْرُ﴾ بكسر الراء وفتحها<sup>(٤)</sup>؛ ذهش وتغير، لما رأى مما كان يكذبه. [٨] ﴿وَحَسَفَ الْقَفْرُ﴾ أظلم وذهب ضوؤه. [٩] ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فطلعا من المغرب، أو: ذهب ضؤؤهما، وذلك في يوم القيامة.

[١٠] ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ الفرار؟ [١١] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَرَرْ﴾ لا ملجأ ينجصن به. [١٢] ﴿إِنِّي رَأَيْتُ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرَّ﴾ مستقر الخلائق؛ فيحاسبون ويجازون. [١٣] ﴿يَبْئُتُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وآخره. [١٤] ﴿بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد؛ تنطلق جوارحه بعمله، والهال للمبالغة، فلا بد من جزائه. [١٥] ﴿وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَادِيرُهُ﴾ جمع

فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ لَهُمْ عَنِ التَّذِكُّرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثَنَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٣﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٤﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٥﴾

### سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالْقَيْسِ أَلْوَامَةً ﴿٢﴾ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلْ قَدِيرٌ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ سَعَلَ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَأَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَحَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَرَرْ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَبْئُتُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَادِيرُهُ ﴿١٥﴾ لَا تَحْزَنُ بِهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ رُفُوءُهُ أَنَّهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَعَ بِقُرْآنِهِ أَنَّهُ ﴿١٨﴾ فَوَيْلٌ عَلَيْنَا بَيَانُهُ ﴿١٩﴾

«معذرة»، على غير قياس؛ أي: لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه.

[١٦] قال - تعالى - لنبية: ﴿لَا تَحْزَنِي بِهِ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ خوف أن ينفلت منك. [١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ قراءة جبريل ﴿فَاتَّبَعَ قُرْآنَهُ﴾ استمع قراءته، فكان يستمع ثم يقرؤه. [١٩] ﴿فَوَيْلٌ لَّنَا عَلَيْنَا بَيَانُهُ﴾ بالتهجيم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها<sup>(٥)</sup>.

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١٦ - ١٩): أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تَحْزَنِي بِهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه الوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأقول الله الآلة التي في ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: ﴿لَا تَحْزَنِي بِهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ قال: علينا أن نجتمع في صدرك وقرأته أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَعَ بِقُرْآنِهِ أَنَّهُ﴾ فإذا أنزله فاستمع ﴿فَوَيْلٌ لَّنَا عَلَيْنَا بَيَانُهُ﴾ علي أن نبيه بلسانك، قال: فكأن أنه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) باب (٢) سورة القيامة (٧٦).

(١) لأن القاعدة: أن الجار والمجرور إذا وقع خبراً، حذف متعلقه وجواباً، وانتقل ضميره إليه.

(٢) الإسراء: ٩٣.

(٣) نالاء قراءة نافع.

(٤) بالفتح قراءة نافع.





[٣١] ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَةٍ﴾ جنته<sup>(٣)</sup>، وهم المؤمنون ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ ناصبه فعل مقدر؛ أي: «أوعد»، بفسره: «أعد لهم عذاباً أليماً» مؤلماً، وهم الكافرون.

### سورة المرسلات

[مكية، خمسون آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾ أي: الرياح متتابعة؛ كعُرف الفرس، يتلو بعضها بعضاً، ونصبه على الحال.

[٢] ﴿فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا﴾ الرياح الشديدة.

[٣] ﴿وَالْمُنْزِلَاتُ نَزْلًا﴾ الرياح تنشر المطر.

[٤] ﴿فَالْفَرْقَتُ فَرَقًا﴾ أي: آيات القرآن، تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

[٥] ﴿فَالْمُلَاقِيَتُ ذِكْرًا﴾ أي: الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء، والرسول يلقون الوحي إلى الأمم.

[٦] ﴿عَذْرًا أَوْ تَذْرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله - تعالى - وفي قراءة<sup>(٤)</sup>: بضم ذال «تذراً»، وقرئ<sup>(٥)</sup>: بضم ذال «عذراً».

[٧] ﴿إِنَّمَا تُعْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ﴾ أي: كفار مكة؛ من البعث والعذاب لا تقع؛ كائن لا محالة.

[٨] ﴿فَإِذَا الْجُحُومُ طُمِسَتْ﴾ محي نورها.

[٩] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ شُقَّتْ﴾.

[١٠] ﴿وَإِذَا الْكِبَالُ سُفِّتْ﴾ فُتَّتْ وَشُيِّرَتْ.

[١١] ﴿وَإِذَا ارْتُفِلْ وَُتَّتْ﴾ بالواو، وبالهمزة<sup>(٦)</sup> بدلاً منها؛ أي: جمعت لوقت.

[١٢] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: يوم لا ينفعهم كيدهم ولا هم ينصرون.

[١٣] ﴿يَوْمَ الْفُصْلُ﴾ بين الخلق، ويؤخذ منه جواب «إذا»؛ أي: وقع الفصل بين الخلائق.

[١٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُصْلِ﴾ تهويل لشأنه.

[١٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيد لهم.

[١٦] ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ﴾ بتكذيبهم؛ أي: أهلكتناهم.

[١٧] ﴿وَلَمْ يَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ من كذبوا ككفار مكة؛ فنهلكهم.

[١٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل؛ فنهلكهم.

[١٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تأكيد.

وَمَنْ أَلِيلٌ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿١٠﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿١١﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أُمُرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمَثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿١٢﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٣﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٥﴾

### سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالْمُنْزِلَاتُ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَرْقَتُ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلَاقِيَتُ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ تَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعُ ﴿٧﴾ فَإِذَا الْجُحُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْكِبَالُ سُفِّتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ أُفَّتْ ﴿١١﴾ لَا يَوْمَ أُحُلَّتْ ﴿١٢﴾ يَوْمَ الْفُصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَبِّعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

[٢٦] ﴿وَمِنْ أَلِيلٍ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ صل التطوع فيه؛ كما تقدم من: ثلثيه أو نصفه أو ثلثه.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديدًا؛ أي: يوم القيامة لا يعملون له.

[٢٨] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا قُوَّةَهُمْ﴾ قوتنا ﴿أَمَرْنَاهُمْ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا جَلَدَنَا﴾ أَمَثَلَهُمْ في الخلقة بدلاً منهم، بأن نهلكهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ تأكيد، ووقعت «إذا» موقع «إن» نحو: «إن يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ»<sup>(١)</sup>، لأنه تعالى لم يشأ ذلك، وإذا لما يقع.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالطاعة.

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ بالتاء والياء<sup>(٢)</sup>، اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمًا﴾ في فعله.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار إذ نزلت عليه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ﴾ فإنه ليتلوها واني لأتلوها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: «أكلوها» فابتلناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيت شرها». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المرسلات (٧٧) باب (٤).

(٢) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بخلاف عنه.

(١) فاطر: ١٦.

(٣) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي، وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، فثبتها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

(٤) لدافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٦) بالواو قراءة أبي عمرو، وقرأ بغيره السبعة: «أفقت» بالهمزة.

- [٢٠] ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ جَعَلَهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١١﴾ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿١٢﴾ فَقَدَرْنَا فَعَرَّا الْقَدْرُونَ ﴿١٣﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَحْمِلْ الْأَرْضَ كَمَا هِيَ ﴿١٥﴾ أَحْيَاةً وَأَمْوَاتًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَينَ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا ﴿١٧﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾ أَطْلُقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٩﴾ أَطْلُقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ ﴿٢٠﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٢١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ ﴿٢٢﴾ كَأَنَّهُ رَجُلٌ ضَعُفٌ ﴿٢٣﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَعِيعَةً رُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٢٩﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٠﴾ إِنْ الْمُنْتَفِقِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ﴿٣١﴾ وَفُورِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣٢﴾ كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ كَلُوا وَتَتَعَوَّأُ قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْزِيُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا تِرْكَعُوا ﴿٣٨﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾
- [٢١] ﴿وَلَا يَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ خَيْرٌ، وهو الرحم.
- [٢٢] ﴿إِنْ قَدَرْنَا مَعْلُومٌ﴾ وهو وقت الولادة.
- [٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا﴾ عَلَى ذَلِكَ ﴿فَنِعْمَ الْقَدْرُونَ﴾ نَحْنُ.
- [٢٤] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٢٥] ﴿أَلَمْ تَحْمِلْ الْأَرْضَ كَمَا هِيَ﴾ مَصْدَرُ «كَفَّتْ» بِمَعْنَى ضَمًّا؛ أَي: ضَامَةً.
- [٢٦] ﴿أَحْيَاةً﴾ عَلَى ظَهْرِهَا ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ فِي بَطْنِهَا.
- [٢٧] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَينَ﴾ جَبَلًا مَرْتَفَعًا ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا﴾ عَذْبًا.
- [٢٨] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٢٩] وَيُقَالُ لِلْمُكَذِّبِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿أَطْلُقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.
- [٣٠] ﴿أَطْلُقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ﴾ هُوَ دُخَانُ جَهَنَّمَ، إِذَا ارْتَفَعَ افْتَرَقَ ثَلَاثَ فُرُقٍ لِعِظَمِهِ.
- [٣١] ﴿لَا ظِلِيلٍ﴾ كَتَبَ يَظْلَهُمْ مِنْ حَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ يَرُدُّ عَنْهُمْ شَيْئًا ﴿مِنَ اللَّهَبِ﴾ النَّارِ.
- [٣٢] ﴿وَفُورِكَ أَي: النَّارِ تَجْزِي بِشَرِّ﴾ هُوَ مَا تَطَارَى مِنْهَا ﴿كَالْقَاصِرِ﴾ مِنَ الْبِنَاءِ، فِي عِظَمِهِ وَارْتِفَاعِهِ [٢٣] ﴿كَأَنَّهُ [جَمَلَاتُ]﴾ (١) جَمْعُ: «جَمَالَةٌ» جَمْعُ: «جَمَل»، وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿جَمَلَتُ﴾ «ضَعُفْتُ» فِي هَيْئَتِهَا وَلَوْنِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «شَرَارُ النَّارِ أَسْوَدُ كَالْقَاصِرِ» (٢)، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي سُودَ الْإِبِلِ: ضَفْرًا؛ لِشُوبِ سَوَادِهَا بِصَفَرَةٍ، فَقِيلَ: «صَفَرُ» فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى سُودٍ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ: وَقِيلَ: لَا، وَ«الشَّرُّ» جَمْعُ: «شَرٌّ»، وَ«الشَّرَارُ» جَمْعُ «شَرَارَةٍ»، وَالْقِر: الْقَارُ (٣).
- [٣٤] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٣٥] ﴿هَذَا أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ فِيهِ بَشْيَةٌ.
- [٣٦] ﴿وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ﴾ فِي الْعَذْرِ ﴿فَعِيعَةً رُونَ﴾ عَطَفَ عَلَى «يُؤَدِّنُ»، مِنْ غَيْرِ تَسْبِيغٍ عَنْهُ (٤)، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي حِيزِ النَفْيِ؛ أَي: لَا إِذْنَ فَلَا اعْتِدَارَ.
- [٣٧] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٣٨] ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتُمْ﴾ أَيْهَا الْمُكَذِّبُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ قَبْلَكُمْ، فَتَحَاسِبُونَ وَتُعَذِّبُونَ جَمِيعًا.
- [٣٩] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ ﴿فَكِيدُوا﴾ فَافْعَلُوا.
- [٤٠] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٤١] ﴿إِنْ الْكُفَّيْنَ فِي ظُلُلٍ﴾ أَي: تَكَاثَفَ أَشْجَارُ، إِذْ لَا شَمْسَ يُظِلُّ مِنْ حَرِّهَا وَيُؤْمِنُونَ نَابِعَةً مِنَ الْمَاءِ.
- [٤٢] ﴿وَفُورِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فِيهِ إِعْلَامُ بِأَنَّ الْمَأْكُلَ وَالْمَشْرَبَ فِي الْجَنَّةِ بِحَسَبِ شَهْوَاتِهِمْ، بِخِلَافِ الدُّنْيَا فَيَحْسَبُ مَا يَجِدُ النَّاسَ فِي الْأَغْلَبِ.
- [٤٣] وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حَالٌ؛ أَي: مَتْنَعِينَ ﴿بِمَا كُنتُمْ

أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿١١﴾ جَعَلَهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١١﴾ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿١٢﴾ فَقَدَرْنَا فَعَرَّا الْقَدْرُونَ ﴿١٣﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَحْمِلْ الْأَرْضَ كَمَا هِيَ ﴿١٥﴾ أَحْيَاةً وَأَمْوَاتًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَينَ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا ﴿١٧﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾ أَطْلُقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٩﴾ أَطْلُقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ ﴿٢٠﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٢١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ ﴿٢٢﴾ كَأَنَّهُ رَجُلٌ ضَعُفٌ ﴿٢٣﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَعِيعَةً رُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٢٩﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٠﴾ إِنْ الْمُنْتَفِقِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ﴿٣١﴾ وَفُورِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣٢﴾ كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ كَلُوا وَتَتَعَوَّأُ قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْزِيُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا تِرْكَعُوا ﴿٣٨﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾

تَعْمَلُونَ» مِنَ الطَّاعَةِ.

[٤٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كَمَا جَزَيْنَا الْمُتَّقِينَ ﴿تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٦] ﴿كَلُوا وَتَتَعَوَّأُ﴾ خِطَابٌ لِلْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا ﴿قَلِيلًا﴾ مِنَ الزَّمَانِ، وَغَايَتُهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَفِي هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ ﴿إِنَّكُمْ تُجْزَوْنَ﴾.

[٤٧] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا﴾ صَلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لَا يَصَلُّونَ.

[٤٩] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٥٠] ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ﴾ أَي: الْقُرْآنُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أَي: لَا يُمْكِنُ إِيمَانُهُمْ بِغَيْرِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بَعْدَ تَكْذِيبِهِمْ بِهِ؛ لِأَسْتِمَالِهِ عَلَى الْإِعْجَازِ الَّذِي لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

\*\*\*

(١) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَشُعْبَةُ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: «جَمَلَاتُ».

(٢) ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّهُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ شَرَّ بَارِ جَهَنَّمَ أَسْوَدُ كَالْقَاصِرِ (٣٠٧/٨)، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ بِهَذَا اللفظ.

(٣) وَهُوَ الزَّفْتُ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْوُوعًا: عِنْدَ مَالِكٍ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي الشَّعْبِ مُخْتَصَرًا: «أَتَرُونَهَا حَرَاءً كَنَارِكُمْ هَذِهِ! لَهَا أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ الْقَارِ وَالْقَارِ: الزَّفْتُ». وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ (٣٦٧٠).

(٤) أَي: لَيْسَتْ الْغَاةُ فِي «فَيَحْذَرُونَ» غَاةَ السَّبَبَةِ؛ لِقُدْرَةِ بَعْدِهَا «وَأَل»، وَيَنْصَبُ بِهَا الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ؛ نَحْوُ: ﴿لَا يَقْضَى عَلَيْهِمْ فِيمَوْثُوا﴾ [فَاطِرُ: ٣٦].

## سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ بَسَّاسَةٌ لَّنْ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾  
 كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾ ثُوْكَلَا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾ اَلَمْ نَجْعَلِ اَلْاَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾  
 وَالجِبَالَ اُوتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنٰكُمْ اَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾  
 وَجَعَلْنَا اَلَيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَدَيْنَا  
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ  
 الْمُعْصِرِ مَاءً ثَمَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا  
 اَلْاَفْقَافَا ﴿١٦﴾ اِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْخَعُ فِي الصُّورِ  
 فَتَأْتُونَ اَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ  
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ اِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلظَّالِمِينَ  
 مَعَابًا ﴿٢٢﴾ لَّيْسَ فِيهَا اَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُونَهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾  
 اِلَّا اَلْحَمِيمَ وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ اِنَّهُمْ كَانُوا  
 لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ  
 اَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ اِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

## سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، إحدى وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ عَمَّ عَنْ أَي شَيْءٍ ﴿٢﴾ بَسَّاسَةٌ لَّنْ ﴿٣﴾ يسأل بعض قريش بعضًا.  
 ﴿٤﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٥﴾ بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء  
 به النبي ﷺ من القرآن، المشتغل على البعث وغيره. ﴿٦﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مَخْتَلِفُونَ ﴿٧﴾  
 فالؤمنون يثبتونه، والكافرون ينكرونه. ﴿٨﴾ كَلَّا ﴿٩﴾ ردع ﴿١٠﴾ سَيَعْمُونَ ﴿١١﴾ ما  
 يحل بهم على إنكارهم له. ﴿١٢﴾ ثُوْكَلَا سَيَعْمُونَ ﴿١٣﴾ تأكيد، وجيء فيه بـ«ثم»  
 للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول. ﴿١٤﴾ ثُمَّ أَوَمَّا - تَعَالَى - إلى القدرة  
 على البعث فقال: ﴿١٥﴾ اَلَمْ نَجْعَلِ اَلْاَرْضَ مِهْدًا ﴿١٦﴾ فرائضاً كالمهد.  
 ﴿١٧﴾ وَالجِبَالَ اُوتَادًا ﴿١٨﴾ تثبت بها الأرض، كما تثبت الخيام بالأوتاد؟

والاستفهام للتقرير.

﴿٨﴾ وَخَلَقْنٰكُمْ اَزْوَاجًا ﴿٩﴾ ذَكَرُوا وَإِنَاثًا.  
 ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿١١﴾ راحة لأبدانكم.  
 ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا اَلَيْلَ لِبَاسًا ﴿١٣﴾ ساتراً بسواده.  
 ﴿١٤﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١٥﴾ وقتاً للعمايش.  
 ﴿١٦﴾ وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا ﴿١٧﴾ سبع سموات ﴿١٨﴾ شِدَادًا ﴿١٩﴾ جمع «شديدة»؛  
 أي: قوية محكمة، لا يؤثر فيها مرور الزمان.  
 ﴿٢٠﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا ﴿٢١﴾ منيراً ﴿٢٢﴾ وَهَّاجًا ﴿٢٣﴾ وقادًا؛ يعني: الشمس.  
 ﴿٢٤﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرِ ﴿٢٥﴾ السحابات التي حان لها أن تمطر؛  
 كالمُعْصِرِ: الحارية التي دنت من الحيض ﴿٢٦﴾ مَاءً ثَمَّاجًا ﴿٢٧﴾ صاباً.  
 ﴿٢٨﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا ﴿٢٩﴾ كالحنطة ﴿٣٠﴾ وَنَبَاتًا ﴿٣١﴾ كالنخيل.  
 ﴿٣٢﴾ وَجَعَلْنَا سَبَاتِينَ ﴿٣٣﴾ ملتفة؛ جمع: «لفيف»؛ كـ«شريف»  
 و«أشراف».

﴿٣٤﴾ اِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿٣٥﴾ بين الخلائق ﴿٣٦﴾ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿٣٧﴾ وقتاً للنواب  
 والعقاب.  
 ﴿٣٨﴾ يَوْمَ يُفْخَعُ فِي الصُّورِ ﴿٣٩﴾ القرن، بدل من «يوم الفصل»؛ أو: بيان له،  
 والنافع إسرافيل ﴿٤٠﴾ فَتَأْتُونَ اَفْوَاجًا ﴿٤١﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿٤٢﴾ اَفْوَاجًا ﴿٤٣﴾ جماعات  
 مختلفة.

﴿٤٤﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ ﴿٤٥﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(١)</sup>، شققت؛ لنزول  
 الملائكة ﴿٤٦﴾ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿٤٧﴾ ذات أبواب.  
 ﴿٤٨﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ ﴿٤٩﴾ دُهِبَ بها عن أماكنها ﴿٥٠﴾ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٥١﴾ هباءً؛  
 أي: ينثله في خفة سيرها.

﴿٥٢﴾ اِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٥٣﴾ راصدة؛ أو: مرصدة.  
 ﴿٥٤﴾ لِلظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾ الكافرين فلا يتجاوزونها ﴿٥٦﴾ مَعَابًا ﴿٥٧﴾ مرجعاً لهم  
 فيدخلونها.

﴿٥٨﴾ لَّيْسَ فِيهَا اَحْقَابًا ﴿٥٩﴾ مقدراً لبيهم ﴿٦٠﴾ وَجِبَاً اَحْقَابًا ﴿٦١﴾ دهوراً لا  
 نهاية لها، جمع: «خفب» بضم أوله.  
 ﴿٦٢﴾ لَا يَدْخُلُونَهَا بَرْدًا ﴿٦٣﴾ نوماً<sup>(٢)</sup>، فإنهم لا يدقونهم ﴿٦٤﴾ وَلَا شَرَابًا ﴿٦٥﴾ ما  
 يشرب تلذذاً.

﴿٦٦﴾ اِلَّا ﴿٦٧﴾ لَكِنْ ﴿٦٨﴾ حَمِيمًا ﴿٦٩﴾ ماءً حاراً غاية الحرارة ﴿٧٠﴾ وَغَسَّاقًا ﴿٧١﴾  
 بالتخفيف والتشديد<sup>(٣)</sup>؛ ما يسيل عن صديد أهل النار، فإنهم يدقونهم.

﴿٧٢﴾ لَجُوزُوا بِذَلِكَ ﴿٧٣﴾ وَجَزَاءً ﴿٧٤﴾ موافقاً لعملهم، فلا ذنب أعظم من  
 الكفر، ولا عذاب أعظم من النار.

﴿٧٥﴾ اِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ ﴿٧٦﴾ حِسَابًا ﴿٧٧﴾ لإنكارهم البعث.  
 ﴿٧٨﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٧٩﴾ القرآن ﴿٨٠﴾ كِذَابًا ﴿٨١﴾ تكذيباً. ﴿٨٢﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ  
 من الأعمال ﴿٨٣﴾ اَحْصَيْنَاهُ ﴿٨٤﴾ ضبطناه ﴿٨٥﴾ كِتَابًا ﴿٨٦﴾ كُتِبَ في اللوح المحفوظ؛  
 لنجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن.

﴿٨٧﴾ فَذُقُوا ﴿٨٨﴾ أي: فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب: ذوقوا  
 جزاءكم ﴿٨٩﴾ وَلَنْ تَزِيدَكُمْ اِلَّا عَذَابًا ﴿٩٠﴾ فوق عذابكم.

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) شُعْبِي النُّومُ بَرْدًا؛ لأنه يبرد صاحبه. وهي لغة هذيل. وقال ابن عباس: البرد: برد الشراب. وقال الزجاج: لا يدقون فيها برد ريح، ولا ظل نَوْمٍ. فجعل البرد: برد كل شيء له راحة.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

[٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مكان فوز في الجنة. [٣٢] ﴿حَدَائِقَ﴾ بساتين، بدل من: «مَفَازًا»، أو: بيان له ﴿وَأَعْنَابًا﴾ عطف على «مَفَازًا». [٣٣] ﴿وَوَاعِصَ﴾ جوارى تكعبت ثدييهن، جمع «كاعب» ﴿أَرْبَابًا﴾ على سن واحد، جمع «ترب» بكسر التاء وسكون الراء. [٣٤] ﴿وَكُنُوسًا﴾ خمرًا مائلة محالها، وفي سورة «الفتح»: ﴿وَأَكْثَرُ مِنْ حَرِّ﴾. [٣٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: الجنة، عند شرب الخمر، وغيرها من الأحوال ﴿لَقَوْمًا﴾ باطلا من القول ﴿وَلَا [يَكْذِبُونَ]﴾<sup>(١)</sup> بالتخفيف؛ أي: كذبا، وبالتشديد؛ أي: تكذيبا من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر. [٣٦] ﴿جَزَاءَ مَن رَّبَّيَ﴾ أي: جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَلَهُ﴾ بدل من «جزاء» ﴿جَسَابًا﴾ أي: كثيرًا، من قولهم: أعطاني فأحسبني؛ أي: أكثر علي حتى قلت: حشبي. [٣٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالجر والرفع<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا يَبِينُهَا الرَّحْمَنُ﴾ كذلك<sup>(٣)</sup>، ويرفعه مع جر «رب»<sup>(٤)</sup> ﴿لَا يَدْرُكُونَ﴾ أي: الخلق ومنه تعالى ﴿خَطَابًا﴾ أي: لا يقدر أحد أن يخاطبه، خوفا منه.

[٣٨] ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ «لا يملكون» ﴿يَوْمَ الزُّلْغَى﴾ جبريل، أو: جند الله ﴿وَالْمَلَكَةُ صَفًا﴾ حال؛ أي: مصطفين ﴿لَا يَكْثُرُونَ﴾ أي: الخلق ﴿لَا مَن أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولاً ﴿صَوَابًا﴾ من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى. [٣٩] ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ لَحُوقٌ﴾ الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا﴾ مرجعًا؛ أي: رجع إلى الله بطاعته؛ ليسلم من العذاب فيه. [٤٠] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يا كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ عذاب يوم القيامة الآتي، وكل أت قريب ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ «عذابا» بصفته ﴿يَنْظُرُ النَّارُ﴾ كل امرئ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ﴾ من خير وشئ ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا﴾ حرف تنبيه ﴿يَلْبِثُنِي كُنتُ نُرَابًا﴾ يعني: فلا أعذب، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى: للبهائم بعد الانقراض من بعضها البعض: كوني ترابًا<sup>(٥)</sup>.

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُفًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالْمُتَّقِينَ سَبَقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُنَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ رَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصُرْهَا خَشِيعَةً ﴿٩﴾ يَقُولُونَ لِمَ كُنَّا تَمْرُدُونَ فِي الْخَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَلَمْ نَكُنْ عَظَمًا خَجَرًا ﴿١١﴾ قَالُوا بَلَىٰ إِنْ كُنَّا إِلَّا ذِكْرًا مُّزْدُودًا ﴿١٢﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْأَوَّلِ الْمُعْذَرُونَ ﴿١٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٤﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْأَوَّلِ الْمُعْذَرُونَ ﴿١٥﴾

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مكية، ست وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْقًا﴾ نزعًا بشدة. [٢] ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُفًا﴾ الملائكة تَشَاطُفُ أرواح المؤمنين؛ أي: تَشْلُهَا برفق. [٣] ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى؛ أي: تنزل. [٤] ﴿فَالْمُتَّقِينَ سَبَقًا﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. [٥] ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا؛ أي: تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف؛ أي: لتبعن يا كفار مكة، وهو عامل في: [٦] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولى بها يرجف كل شيء؛ أي: يتزلزل، فوصفت بما يحدث منها. [٧] ﴿تَتَّبِعُنَا الرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة<sup>(١)</sup>.

(١) محمد: ١٥.

(٢) بالتخفيف قراءة الكسائي.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: بالجر والرفع، والرفع قراءة السبعة عدا ابن عامر وعاصم.

(٥) وهي قراءة ثالثة سبعة. حمزة والكسائي.

(٦) كما في حديث أبي هريرة مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «يقضي الله بين خلقه: الجن والإنس والبهائم، وأنه يُقْبِدُ يومئذٍ الجماء من الفرائض، حتى إذا لم يبق نعمة عند واحدة لأخرى، قال الله: كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا». أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧/٣٠، ١٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٦٦) (٦٠٦/٤).

(٧) الأولى عدم التنصيص، وإثنا يقال: «أربعون» فقط كما في الحديث.

(٨) أي: وتركه، وقرأ نافع والكسائي وابن عامر بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٩) حمزة والكسائي وشعبة.

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا نَارُكَ ﴿٨﴾ وَلَهْدِيكَ  
إِلَى رَبِّكَ فَتَحْشَى ﴿٩﴾ فَأَرْسَلْنَا الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿١٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿١١﴾  
أَذْبَرَ سَمْعَى ﴿١٢﴾ فَحَسَرَ فَاذَى ﴿١٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿١٤﴾ فَأَخَذَهُ  
اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿١٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴿١٦﴾  
إِنَّمَا أَشَدُّ حَقْلًا أَمَّ السَّمَاءَ بَنَاهَا ﴿١٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿١٨﴾  
وَأَعْطَشَ لِبَآئِهَا وَأَخْرَجَ صُحَّهَا ﴿١٩﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٠﴾  
أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٢١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٢٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ  
وَلَا تَعْمَكُمُ ﴿٢٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ  
مَا سَعَى ﴿٢٥﴾ وَبُورَّتِ الْجَنَّةُ لِمَن يَرَى ﴿٢٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَى ﴿٢٧﴾ وَءَاثَرَ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَن خَافَ  
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣١﴾  
يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ فِيمَا أَنتَ مِن  
ذِكْرِهَا ﴿٣٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُتَمِّتْهَا ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا ﴿٣٥﴾  
كَلَّا أَهْمُ يَوْمَ تَبْرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوِصَّهَا ﴿٣٦﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْأَيْمَنِ طَوًى﴾ اسم الوادي، بالتثنية وتركة<sup>(١)</sup>،  
نقال: [١٧] ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ تجاوز الحد في الكفر.  
[١٨] ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا نَارُكَ﴾ ادعوك ﴿إِلَى أَنْ تَرَكُ﴾ وفي قراءة<sup>(٢)</sup> بتشديد الزاي  
يادغام التاء الثانية في الأصل فيها؛ تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله.  
[١٩] ﴿وَأَعْيَدِكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته ببهان ﴿فَتَحْشَى﴾ فتخافه.  
[٢٠] ﴿فَأَرْسَلْنَا الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ من آياته التسع، وهي اليد أو العصا.  
[٢١] ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ فرعون موسى ﴿وَعَصَى﴾ الله - تعالى.  
[٢٢] ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسَعَى﴾ في الأرض بالفساد.  
[٢٣] ﴿فَحَسَرَ فَاذَى﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فَكَذَى﴾.  
[٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ لا رب فوقى.  
[٢٥] ﴿فَأَنذَرَهُ اللَّهُ﴾ أهلكه بالفرق ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة ﴿الْآخِرَةِ﴾ أي: هذه  
الكلمة ﴿وَالْأُولَى﴾ أي: قوله قبلها: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ  
غَيْرِي﴾<sup>(٣)</sup>، وكان بينهما أربعون سنة.

\*\*\*

[٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ الله - تعالى ..  
[٢٧] ﴿إِنَّمَا أَشَدُّ حَقْلًا أَمَّ السَّمَاءَ بَنَاهَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها، وإدخال  
ألف بين المسهلة والأخرى، وتركة<sup>(٤)</sup>؛ أي: منكمرو البعث ﴿أَشَدُّ حَقْلًا أَمَّ  
السَّمَاءَ﴾ أشد خلقًا؟ ﴿بَنَاهَا﴾ بيان لكيفية خلقها.  
[٢٨] ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ تفسير لكيفية البناء؛ أي: جعل سميتها في جهة العلو  
رفيعًا، وقيل: سَمَكُهَا: سقفها ﴿فَسَوَّاهَا﴾ جعلها مستوية بلا عيب.  
[٢٩] ﴿وَأَعْطَشَ لِبَآئِهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ صُحَّهَا﴾ أبرز نور شمسها،  
وأضيف إليها الليل؛ لأنه ظلها، والشمس؛ لأنها سراجها.  
[٣٠] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بسطها، وكانت مخلوقة قبل السماء  
من غير دحوي.  
[٣١] ﴿أَخْرَجَ﴾ حال بإضمار «قد»؛ أي: مُخْرِجًا ﴿مِنْهَا مَاءَهَا﴾ بتفجير  
عيونها ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ ما ترعاه النعم من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من  
الأقوات والثمار، وإطلاق المرعى عليه استعارة.  
[٣٢] ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن.  
[٣٣] ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول له لمقدّر؛ أي: فعل ذلك متعة، أو: مصدر؛ أي:  
تمتيعًا ﴿لَكُمْ وَلِأَعْيُنِكُمْ﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم.  
[٣٤] ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ الفخة الثانية.  
[٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ بدل من «إذا» ﴿مَا سَعَى﴾ في الدنيا من خير وشر.  
[٣٦] ﴿وَبُورَّتِ﴾ أظهرت ﴿الْجَنَّةُ﴾ النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَى﴾ لكل راء.  
وجواب «إذا»: [٣٧] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى﴾ كفر. [٣٨] ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾  
باتباع الشهوات. [٣٩] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ مأواه.  
[٤٠] ﴿وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمانة  
﴿عَنِ الْهَوَى﴾ المؤدي باتباع الشهوات. [٤١] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾  
وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والمطيع في الجنة.  
[٤٢] ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: كفار مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى وقوعها  
وقيامها؟  
[٤٣] ﴿فِيمَا أَنتَ مِن ذِكْرِهَا﴾ في أي شيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرِهَا﴾ أي: ليس عندك  
علمها حتى تذكرها.  
[٤٤] ﴿إِلَى رَبِّكَ مُتَمِّتْهَا﴾ منتهى علمها، لا يعلمه غيره.  
[٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿مَّن يَخْشَاهَا﴾ يخافها.  
[٤٦] ﴿كَلَّا أَهْمُ يَوْمَ تَبْرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا﴾ في قبورهم ﴿وَلَا عَشِيَّةً أَوْ صُحَاهَا﴾ عشية  
يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشيّة؛ لما بينهما من الملاسة؛ إذ هما  
طرفا النهار، وحسّن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

(١) بترك التثنية قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) لنافع وابن كثير.

(٣) القصص: ٣٨.

(٤) فالقراءات خمس كلها سبعة. راجع التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.



## سُورَةُ عَبَسَ

[مكية، اثنتان وأربعون آية\*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] عَبَسَ النَّبِيُّ: كَلَجَ وَجْهَهُ ﴿وَتَوَلَّى﴾: أَعْرَضَ، لِأَجْلِ [٢] أَن جَاءَهُ الْآخِثُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَطَعَهُ عَمَّا هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ، مِمَّنْ يَرْجُو إِسْلَامَهُ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ الَّذِي <sup>(١)</sup> هُوَ حَرِيصٌ عَلَى إِسْلَامِهِمْ، وَلَمْ يَدْرِ الْأَعْمَى أَنَّهُ مَشْغُولٌ بِذَلِكَ فَنَادَاهُ: عَلِمَنِي مِمَّا عَلِمْتُكَ اللَّهُ. فَانصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ؛ فَعَوَّتَبَ فِي ذَلِكَ بِمَا نَزَلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ إِذَا جَاءَ: «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَيْنِي فِيهِ رَبِّي» <sup>(٢)</sup> وَيَسْطَلُ لَهُ رِدَاءَهُ. [٣] ﴿وَمَا يَذْكُرُكَ﴾ يَعْلَمُكَ ﴿لَعَلَّكَ يَرْكُ﴾: فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الزَّيْ؛ أَيُّ: يَتَطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، بِمَا يَسْمَعُ مِنْكَ. [٤] ﴿أَوْ يَذْكُرُكَ﴾: فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ؛ أَيُّ: يَنْتَظِرُ ﴿فَتَنْفَعُهُ﴾ الذِّكْرُ: الْعِظَةُ الْمَسْمُوعَةُ مِنْكَ، وَفِي قِرَاءَةٍ <sup>(٣)</sup> يَنْصَبُ «تَنْفَعُهُ» جَوَابَ التَّرْجِي. [٥] ﴿أَنَا مَنِ اسْتَعْنَى﴾ بِالْمَالِ [٦] ﴿قُلْتُ لَمْ تَصْنَعْ﴾: وَفِي قِرَاءَةٍ <sup>(٤)</sup> بِتَشْدِيدِ الصَّادِ؛ بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِيهَا؛ ثَقِيلٌ وَتَضَرُّعٌ. [٧] ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكُ﴾: يَوْمُنَ.

[٨] ﴿وَأَنَا مَن جَاءَكَ يَسْعَى﴾: حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ «جَاءَهُ». [٩] ﴿وَهُوَ يَخْتَلَى﴾: اللَّهُ، حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ «يَسْعَى»، وَهُوَ الْأَعْمَى. [١٠] ﴿قُلْتُ عَنْهُ لَللَّهِ فِيهِ حِزْفٌ﴾: حِزْفُ التَّاءِ الْأُخْرَى فِي الْأَصْلِ؛ أَيُّ: تَشْتَغَلُ؟ [١١] ﴿كَلَّا﴾: لَا تَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ﴿إِنَّمَا﴾: أَيُّ: السُّورَةُ أَوْ الْآيَاتُ ﴿يَذْكُرُكَ﴾: عِظَةُ لِلخَلْقِ. [١٢] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾: حَفِظَ ذَلِكَ، فَاتَعَطَّ بِهِ. [١٣] ﴿فِي صُحُوفٍ﴾: خَبَرٌ ثَانٍ لِ«إِنَّمَا» <sup>(٥)</sup>، وَمَا قَبْلَهُ اعْتِرَاضٌ ﴿مُكْرَمَةٍ﴾: عِنْدَ اللَّهِ. [١٤] ﴿تُرْوَعَةٌ﴾: فِي السَّمَاءِ ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾: مُنْزَهَةٌ عَنِ مَسِّ الشَّيَاطِينِ. [١٥] ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾: كَتَبَتْ يَنْسَخُونَهَا مِنَ اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ. [١٦] ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾: مُطْعِمِينَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهَمَّ الْمَلَائِكَةُ. [١٧] ﴿قُلْتُ الْإِنْسَانُ﴾: لَعَنَ الْكَافِرَ ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾: اسْتَفْهَامُ تَوْبِيخٍ؛ أَيُّ: مَا حَمَلَهُ عَلَى الْكُفْرِ؟ [١٨] ﴿بَيْنَ أَيْ تَتَوَخَّاهُ خَلْقُهُ﴾: اسْتَفْهَامُ تَقْرِيرٍ. [١٩] ثُمَّ يَبِينُهُ فَقَالَ: ﴿مِنْ تَلْفُظٍ خَلْقُهُ مُقَدَّرٌ﴾: عِلَاقَةٌ ثُمَّ مَضْعَةٌ، إِلَى أَنْحَرِ خَلْقِهِ. [٢٠] ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ﴾: أَيُّ: طَرِيقَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ﴿يَسْتَرْهُ﴾. [٢١] ﴿ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْرَءْهُ﴾: جَعَلَهُ فِي قَبْرِ يَسْتَرِهِ. [٢٢] ﴿ثُمَّ إِنَّا شَاءَ أَنْشُرْهُ﴾: لِلْبَعْثِ. [٢٣] ﴿كَلَّا﴾: حَقًّا ﴿لَمَّا يَقْضُ﴾: لَمْ يَفْعَلْ ﴿مَا أَمَرُكَ﴾: بِهِ رَبُّهُ. [٢٤] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾: نَظَرَ اعْتِبَارٍ ﴿إِلَى طَمَاضِهِ﴾: كَيْفَ قَدَّرَ وَذُبِّرَ لَهُ. [٢٥] ﴿أَنَا صَبَبْتُ﴾: مِنَ السَّحَابِ ﴿صَبَابًا﴾. [٢٦] ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ﴾: بِالنَّبَاتِ ﴿شَفَقًا﴾. [٢٧] ﴿فَأَنْبَأْتُ فِيهَا حَبًّا﴾: كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ. [٢٨] ﴿وَعَبًّا وَقَضْبًا﴾: هُوَ الْقُثِّ الرَّطْبُ. [٢٩] ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾. [٣٠] ﴿وَحَدَائِقَ غُلَابًا﴾: بَسَاتِينَ كَثِيرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ  
أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَتَهُ ۚ الذِّكْرَى ۚ  
أَنَا مَنِ اسْتَعْنَى ۚ فَنَنْصَرِفُ ۚ  
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكُ ۚ وَهُوَ يَخْتَلَى ۚ  
لَعَلَّكَ يَرْكُ ۚ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ  
فِي صُحُوفٍ مُّطَهَّرَةٍ ۚ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ  
كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۚ  
ثُمَّ السَّبِيلَ ۚ أَنشُرْهُ ۚ  
ثُمَّ إِنَّا شَاءَ أَنْشُرْهُ ۚ  
كَلَّا لَمَّا يَقْضُ مَا أَمَرُهُ ۚ  
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ  
أَنَا صَبَبْتُ الْمَاءَ صَبَابًا ۚ  
ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَقًا ۚ  
فَأَنْبَأْتُ فِيهَا حَبًّا ۚ  
وَعَبًّا وَقَضْبًا ۚ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۚ  
وَحَدَائِقَ غُلَابًا ۚ وَنَخْلًا  
وَأَنَّا مَتَّعْنَاكُمْ أَفْعَادًا ۚ  
فَإِذَا جَاءَتْ الْأَصَاةُ ۚ  
يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ  
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۚ وَصَدِيقَتِهِ ۚ  
وَنَبِيِّهِ ۚ  
لِكُلِّ أَمْرٍ مِّمَّنْهُمْ ۚ  
يَوْمَ يَدْعُ شَأْنُ يَعْينِيهِ ۚ  
وَجُودُهُ يَوْمَ يَدْعُ مُمْسِرَةً ۚ  
صَاحِبَكُمُ ۚ  
مُسْتَبْشِرَةً ۚ  
وَجُودُهُ يَوْمَ يَدْعُ عَلَيْهَا عَذْرَةً ۚ

الأشجار. [٣١] ﴿وَفَلَاحًا وَأَنَّا﴾: مَا تَرَعَاهُ الْبَهَائِمُ، وَقِيلَ: الثَّيْنُ. [٣٢] ﴿وَنَسَاءً﴾: مَتْعَةً، أَوْ: تَمَتُّعًا، كَمَا تَقْدُمُ فِي السُّورَةِ قَبْلَهَا ﴿لَكُرُؤًا وَفَلَاحًا﴾: تَقْدُمُ فِيهَا أَيْضًا. [٣٣] ﴿وَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَافَةُ﴾: النَّفْخَةُ الثَّانِيَّة. [٣٤] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْكُفْرُ مِنْ أَخِيهِ﴾. [٣٥] ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾. [٣٦] ﴿وَصَدِيقَتِهِ﴾: زَوْجَتَهُ ﴿وَنَبِيِّهِ﴾: «يَوْمَ» بَدَلٌ مِنْ «إِذَا»، وَجَوَابُهَا دَلَّ عَلَيْهِ: [٣٧] ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّمَّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعِينُهُ﴾: حَالٌ يَشْغَلُهُ عَنْ شَأْنٍ غَيْرِهِ؛ أَيُّ: اشْتَغَلَ كُلُّ وَاحِدٍ بِنَفْسِهِ. [٣٨] ﴿وَجُودُهُ يَوْمَ يَدْعُ مُمْسِرَةً﴾: مُضْبِغَةٌ. [٣٩] ﴿صَاحِبَكُمُ مُسْتَبْشِرَةً﴾: فَرَحَةٌ، وَهَمُّ الْمُؤْمِنُونَ. [٤٠] ﴿وَجُودُهُ يَوْمَ يَدْعُ عَلَيْهَا عَذْرَةً﴾: غِبَارٌ. [٤١] ﴿وَنَعْمَتَهَا﴾: تَغْشَاهَا ﴿فَذَرَّةً﴾: ظِلْمَةٌ وَسَوَادٌ. [٤٢] ﴿وَأُولَئِكَ﴾: أَهْلُ هَذِهِ الْحَالَةِ ﴿هُمْ الْكَافِرَةُ الْفَجِرَةُ﴾: أَيُّ: الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفَجْرِ.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ السُّورَةِ: أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَنْزَلَ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾: فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى؛ أَنَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَجَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْشُدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عِظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَعَجَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرَضَ عَنْهُ وَيَقِيلُ عَلَى الْآخَرِ وَيَقُولُ: «أَتَرَى بِنَا أَقُولُ بَلَاءًا؟» فَيَقُولُ: لَا، فَنَفِي هَذَا أَنْزَلَ. التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٧٣) وَمِنْ سُورَةِ عَبَسَ. (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٦٥١).

(١) كَذَا فِي أَكْثَرِ الطَّبَوَيْ، وَفِي حَاشِيَةِ الصَّارِي قَالَ: «نَعَتْ لِأَشْرَافِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الْمُنَاسِبُ التَّعْبِيرُ بِالذِّنِّ». وَفِي حَاشِيَةِ الْجَمَلِ قَالَ: «... فَكَأَنَّهُ جَاءَ عَلَى الِاسْتِعْمَالِ الْقَلِيلِ مِنْ اسْتِعْمَالِ «الَّذِي» فِي الْجَمْعِ، عَلَى حَذٍّ: «وَتَشَفَّعْتُ كَالَّذِي تَحْضَرُ» [الْوَبَاءُ: ٦٩].

(٢) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ الزَّلْزَلِ ص ٣٨٥، وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْكَائِنِ الشَّافِ ص (١٨١): ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ بِلا إِسْنَادٍ، وَأَخْرَجَهُ الْبُيْهَقِيُّ فِي الْفَرْدُوسِ (٦٨٠٥) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، مِنْ غَيْرِ إِسْنَادٍ. وَهُوَ فِي مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى (٤٣١/٤) رَقْمَ (٣١٢٣) عَنْ أَنَسٍ بِإِسْنَادٍ ظَاهِرِهِ الصَّحَّةُ بَلْفُظٍ: «... فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهُ ذَلِكَ يَكْرَهُهُ.

(٣) بِالرَّافِعِ قِرَاءَةُ السَّعَةِ عَدَا عَاصِمٍ، وَقَرَأَ عَاصِمٌ بِالنَّصَبِ.

(٤) لِلنَّاعِ وَأَبْنِ كَثِيرٍ.

(٥) وَالْخَبَرُ الْأَوَّلُ: «تَذَكُّرَةٌ».

قُرئت بأجسادها. [٨] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ الجارية تدفن حية، خوف العار والحاجة ﴿سُيِّلَتْ﴾ تبيكت لغالتها. [٩] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ وقرئ (٣) بكسر التاء حكاية لما تخاطب به، وجوابها أن تقول: قُتِلَتْ بلا ذنب. [١٠] ﴿وَإِذَا الْصُّحُفُ انشُفَّتْ﴾ صف الأعمال ﴿نُشِرتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٤)؛ فُتحت وبُسطت. [١١] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ نُزعت عن أماكنها، كما ينزع الجند عن الشاة. [١٢] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ النار [سُيِّرَتْ] بالتخفيف والتشديد (٥)؛ أُجِحت. [١٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَةُ أَرْلَتْ﴾ فُزيت لأهلها ليدخلوها. وجواب «إذا» أول السورة، وما عطف عليها: [١٤] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾ من خير وشر. [١٥] ﴿فَلَا أَفْسِسُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِالْحَنِينِ﴾. [١٦] ﴿الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ هي النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد تُخس. بضم النون؛ أي: ترجع في مجراها وراءها، بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كُوراجعاً إلى أوله، وتكيس بكسر النون: تدخل في كتابها؛ أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها. [١٧] ﴿وَالْأَيْلِ إِذَا سَمَسَتْ﴾ أقبل بظلامه، أو: أدير. [١٨] ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ امتد حتى يصير نهراً يتأ. [١٩] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله. تعالى، وهو جبريل، أُضيف إليه لنزوله به. [٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شديد القوى ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: الله. تعالى - ﴿مَكِينٍ﴾ ذي مكانة، متعلق به عند. [٢١] ﴿شُعَاعُ ثَمٍّ﴾ تطيعه الملائكة في السماوات ﴿أَيُّنَ﴾ على الوحي. [٢٢] ﴿وَمَا سَاجِدٌ﴾ محمد ﷺ عطف على «إنه»، إلى آخر المقسم عليه ﴿يَسْجُدُ﴾ كما زعمتم. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ البين، وهو الأعلى بناحية المشرق. [٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء [بِطِينٍ] (٦)؛ أي: بمشهم، وفي قراءة بالضاد؛ أي: ببخيل، فيتنقص شيئاً منه. [٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿يَقُولُ شَيْطَانٍ﴾ مسترق السمع ﴿رَجِيمٍ﴾ مرجوم. [٢٦] ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾ فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه؟ [٢٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن. [٢٨] ﴿لَسَنَّا يَكُنُ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ باتباع الحق. [٢٩] ﴿وَمَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ الاستقامة على الحق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلاق، اشتقاقاً منكم عَلَيْهِ (٧).

\*\*\*

تَرَاهُمْ قَاتِرَةً ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۖ

## سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۖ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۖ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ ۖ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ وَإِذَا الْصُّحُفُ نُشِرَتْ ۖ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلَتْ ۖ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۖ فَلَا أَفْسِسُ بِالْحَنِينِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ۖ وَالْأَيْلِ إِذَا عَسَّعَسَ ۖ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ۖ إِنَّهُ لَقَوْلٌ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۖ مُطَاعٌ ثَوَّامِينَ ۖ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَحْجُونٍ ۖ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ۖ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۖ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۖ لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ

## سورة التكاثر

[مكية، تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لُفَّت وذهب بنورها. [٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ انقضت وتساقت على الأرض (١). [٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ذهب بها عن وجه الأرض؛ فصارت هباء منبهاً. [٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾ تُركت بلا راع، أو: بلا حلب؛ لما دهاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها. [٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جمعت بعد البعث؛ ليقص لبعض من بعض، ثم تصير تراباً. [٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٢)؛ أوقدت فصارت نازاً. [٧] ﴿وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ﴾

(١) النجوم لا تصافق على الأرض، وإنما تفتت وتتأثر. فالأولى: عدم ذكر الأرض.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوذاً ﴿قُتِلَتْ﴾.

(٤) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) بالتخفيف قراءة السبعة عدا نافع وابن ذكوان وحفص.

(٦) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالضاد؛ ﴿بُضْنِينَ﴾.

(٧) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الخلاين ص (٢٦١): «التعظيم في متعلق المشيئة أولى؛ لحذف المفعول. والتقدير: وما تشاءون شيئاً من خير أو شر؛ إلا أن يشاء الله ذلك. ويدخل في ذلك الاستقامة دخولاً أولياً للآية السابقة، وبذلك تدل الآية على مشيئة الله التكوينية خلافاً للمعتزلة».

## سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

[مكية، تسع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ» انشقت.

[٢] «وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ» انقضت ونساقطت.

[٣] «وَلِذَا الْيَمَامُ فُجِرَتْ» فُتِح بعضها في بعض، فصارت بحرًا واحدًا، واختلط العذب بالمالح.

[٤] «وَإِذَا الْآبُقُورُ بُعِثَتْ» قُلب ترابها، وبُعث موتاها.

[٥] وجواب «إذا» وما عطف عليها: «عَلِمَتْ نَفْسٌ أَي: كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة» مِمَّا قَدَّمَتْ من الأعمال [٦] «وَأُخْرَتْ» منها، فلم تعمله.

[٦] «يَأْيُهَا الْإِنْسَنُ الْكَافِرُ» مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ حتى عصيته.

[٧] «الَّذِي خَلَقَكَ» بعد أن لم تكن «فَسَوَّيَكَ» جعلك مستوي الخلق، سالم الأعضاء «فَعَدَّلَكَ» بالتخفيف والتشديد (١)، جعلك معتدل الخلق، متناسب الأعضاء؛ ليست يد أو رجل أطول من الأخرى.

[٨] «فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا» صلة «شَاءَ رَبُّكَ».

[٩] «كَلَّا» ردع عن الاعتزاز بكرم الله - تعالى (٢) - «بَلْ تَكَذِّبُونَ» أي: كفار مكة «بِالَّذِينَ» بالجزاء على الأعمال.

[١٠] «وَأَنْ عَلَيْكُمْ لَحُفَظِينَ» من الملائكة لأعمالكم.

[١١] «كِرَامًا» على الله «كَبِيرِينَ» لها.

[١٢] «يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» جميعه.

[١٣] «إِنَّ الْأَذْيَارَ» المؤمنين الصادقين في إيمانهم «لَنُيَبِّرَنَّ» جنه.

[١٤] «وَأَنْ الْفَجَّارَ» الكفار «لَنُجَبِّرَنَّ» نار محرقه.

[١٥] «يَصْلَوْنَهَا» يدخلونها ويقاضون عجزها «يَوْمَ الْبَازِغِ» الجزاء.

[١٦] «وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ» بمخرجين.

[١٧] «وَمَا أَدْرَاكَ» أعلمك «مَا يَوْمَ الْبَازِغِ».

[١٨] «ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ» تعظيم لشأنه.

[١٩] «[يَوْمَ] بِالرَّفْعِ» (٣) أي: هو يوم «لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا» من المنفعة «وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» لا أمر لغيره فيه؛ أي: لم يمكن أحدًا من التوسط فيه، بخلاف الدنيا.

\*\*\*

## سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۖ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ۖ وَإِذَا الْبِحَارُ

فُجِرَتْ ۖ وَإِذَا الْآبُقُورُ بُعِثَتْ ۖ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

وَأُخْرَتْ ۖ يَأْيُهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۖ الَّذِي

خَلَقَكَ فَسَوَّيَكَ فَعَدَّلَكَ ۖ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۖ

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۖ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كَرَامًا

كَتَبِينَ ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۖ إِنَّ الْأَذْيَارَ لَنُيَبِّرَنَّ ۖ وَلَنْ

الْفَجَّارَ لَنُجَبِّرَنَّ ۖ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَئِذٍ ۖ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۖ

ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ ۖ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۖ

## سُورَةُ الْمَطْفِفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۖ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۖ

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوَّذَوْهُمْ يُخْسِرُونَ ۖ لَا يُبْطِنُ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۖ

## سُورَةُ الْمَطْفِفِينَ

[مكية، أو: مدنية، ست وثلاثون آية\*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «وَيْلٌ» كلمة عذاب، أو: واد في جهنم «لِلْمُطَفِّفِينَ».

[٢] «الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ» الكيل.

[٣] «وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوَّذَوْهُمْ يُخْسِرُونَ» أي: كالوا لهم «أو وَّزَّوَّهُمْ» أي: وزنوا لهم «يُخْسِرُونَ» ينقصون الكيل أو الوزن.

[٤] «أَلَا» استفهام توبيخ «يُبْطِنُ» يتيقن «أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ».

[٥] «يَوْمَ عَظِيمٍ» أي: فيه، وهو يوم القيامة.

[٦] «يَوْمَ» بدل من محل «اليوم»؛ فناصبه: «مَبْعُوثُونَ» «يَقُومُ النَّاسُ» من قبورهم «رَبِّ الْعَالَمِينَ» الخلائق؛ لأجل أمره وحسابه وجزائه.

(١) ما جاء في نزول السورة: أخرج ابن ماجه عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أحبب الناس كبرًا، فأمر الله . شيعته .: «وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ» فأحسوا الكيل بعد ذلك. ابن ماجه - كتاب الصلوات (١٢) باب (٣٥) التوفي في الكيل والوزن. (حس) صحيح سنن ابن ماجه (١٨٠٨).

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) قول الخليلي: «ردع عن الاعتزاز بكرم الله تعالى» بعيد أنه ذهب إلى أن جواب الإنسان الكافر على سؤال: «مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» في الآية السادسة هو: غرّه كرم الله. وهذا قول ضعيف مردود، والكافر إنما غرّه جهله بربه وبصفاته. وقد يتوجه هذا الجواب ويقلل من تحمل على أن السؤال موجه إلى المؤمن العاصي، لكن الخطأ في الآية للكافر.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: «يَوْمَ» بالفتح.

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ  
الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرِكْ مَا سِجِّينَ ﴿٨﴾ كِتَابَ مَرْفُومٍ ﴿٩﴾  
وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا كَذَّبَ  
بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾  
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ  
يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا  
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾  
وَمَا أَذْرِكْ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابَ مَرْفُومٍ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُفَرِّقُونَ ﴿٢١﴾  
إِنَّ الْأَنْبَاءَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرْيَافِ يُنْظَرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي  
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خِشْمُهُ  
مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ رِجْلِهِ مِنْ  
تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنَايَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُفَرِّقُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا  
مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِضَحْكَوْنٍ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾  
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا  
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾

[٧] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾  
قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل: هو مكان  
أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده.  
[٨] ﴿وَمَا أَذْرِكْ مَا سِجِّينَ﴾ ما كتاب سجين.  
[٩] ﴿كِتَابَ مَرْفُومٍ﴾ مختم.  
[١٠] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمَكْذِبِينَ﴾  
[١١] ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ الجزء، بدل، أو: بيان «للمكذبين».  
[١٢] ﴿وَمَا كَذَّبَ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ متجاوز الحد «أثيم» صيغة مبالغة.  
[١٣] ﴿إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الحكايات  
التي سطرت قديماً، جمع: «أسطورة» بالضم أو: «إسطارة» بالكسر.  
[١٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بَلْ رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾

فغشيها ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، فهو كالصدأ.  
[١٥] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فلا  
يرونه.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ لدخول النار المحرقة.

[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم: ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾.

[١٨] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: كتاب أعمال المؤمنين،  
الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من  
الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش.

[١٩] ﴿وَمَا أَذْرِكْ﴾ أعلمك ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ ما كتاب عليين؟.

[٢٠] ﴿هُوَ﴾ كِتَابُ مَرْفُومٍ ﴿مَخْتُمٌ﴾.

[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ الْمُفَرِّقُونَ﴾ من الملائكة.

[٢٢] ﴿إِنَّ الْأَنْبَاءَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ جنة.

[٢٣] ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ﴾ الشُّرُفِ فِي الْحِجَالِ <sup>(١)</sup> ﴿يُنْظَرُونَ﴾ ما أعطوا من  
النعيم.

[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجة النعم وحشنة.

[٢٥] ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ خمر خالصة من الدنس ﴿مَخْمُومٍ﴾ على  
إنائها، لا يَفُكُ خَشْمُهُ إِلَّا هُمْ.

[٢٦] ﴿يَخِشْمُهُمْ مِسْكٌ﴾ أي: آخر شربه، تفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِي  
ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله.

[٢٧] ﴿وَمِنْ رِجْلِهِ﴾ أي: ما يخرج به ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾، فُسِّرَ بقوله:

[٢٨] ﴿عَيْنَا﴾ فنصبه بـ «أمدح» مقدراً ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُفَرِّقُونَ﴾ منها، أو:

ضُحْنٌ «بشرب» معنى: يلتذ.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كأني جهل ونحوه ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾  
كعثار وبلال ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء بهم.

[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ أي: المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يشير المجرمون إلى  
المؤمنين، بالهفء والحاجب استهزاء.

[٣١] ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَاكِهِينَ﴾ وفي

قراءة <sup>(٢)</sup> ﴿فَاكِهِينَ﴾: معجبين بذكرهم المؤمنين.

[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ لإيمانهم

بمحمد ﷺ.

[٣٣] قال - تعالى -: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ أي: الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين

﴿حَافِظِينَ﴾ لهم، أو: لأعمالهم؛ حتى يردوهم إلى مصالحهم.

[٣٤] ﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

(١) جمع: «خجلة»، وهي: القبة فوق السرى.

(٢) للبيعة عدا حفص وابن عامر بخلاف عنه.

[٣٥] ﴿عَلَى الْأَرْبَابِكُمْ﴾ في الجنة ﴿يَنْظُرُونَ﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يعبدون، فيضحكون منهم، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.  
[٣٦] ﴿هَلْ تُؤْتِي﴾ جوزي ﴿الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَنْفَعُونَ؟﴾ نعم.

### سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

[مكية، ثلاث، أو: خمس وعشرون آية]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. [٢] ﴿وَأُذُنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ﴾ أي: وخفت لها أن تسمع وتطيع.  
[٣] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ زيد في سمعتها، كما تمدُّ الأديم، ولم يبق عليها بناء ولا جبل.

[٤] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿وَنَفَثَتْ﴾ عنه.  
[٥] ﴿وَأُذُنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب «إذا» وما عطف عليها محذوف، دل عليه ما بعده؛ تقديره: لقي الإنسان عمله.

[٦] ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهد في عملك ﴿إِلَى﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ وهو الموت ﴿كَذَٰكَ فَلْيَقْدِرْ﴾ أي: ملاق عملك المذكور، من خير أو شر يوم القيامة.

[٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ﴾ كتاب عمله ﴿بِيسْرَةٍ﴾ هو المؤمن.  
[٨] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عرض عمله عليه كما في حديث الصحيحين، وفيه: «مَنْ تَوَقَّشَ الْحِشَابَ هَلَكَ»<sup>(١)</sup> وبعد العرض يُجَاوِزُ عنه.  
[٩] ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ بذلك.  
[١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ هو الكافر، ثقل بمناء إلى عنقه وتَجَلَّ سِراره وراء ظهره، فأخذ بها كتابه.

[١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثُبُورًا﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه.

[١٢] ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة<sup>(٢)</sup> بضم الباء وفتح الصاد واللام المشددة.

[١٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ بطرا باتباعه هواه.  
[١٤] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿كُنَّ﴾ يَجُورُ ﴿رَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾.

[١٥] ﴿يَلَنَ﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ عالما برجوعه إليه<sup>(٣)</sup>.  
[١٦] ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِالسَّفْقِ﴾ هو الحمرة في الأفق، بعد غروب الشمس.

[١٧] ﴿وَالْأَيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾ جَمَعَ ما دخل عليه، من الدواب وغيرها.  
[١٨] ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا انشَقَّتْ﴾ اجتمع وتم نوره، وذلك في الليالي البيض.  
[١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس، أصله: «تركبون» حذف نون الرفع؛ لتوالي الأمثال، والواو؛ للالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالا بعد حال، وهو

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٥﴾ عَلَى  
الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٦﴾ هَلْ تُؤْتِي الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٧﴾

### سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأُذُنَتْ لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَفَّتْ ﴿٤﴾ وَأُذُنَتْ لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا  
الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ  
كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ  
إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ  
يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾  
إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسِمُ  
بِالسَّفْقِ ﴿١٦﴾ وَالْأَيْلَ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرَ إِذَا انشَقَّتْ ﴿١٨﴾  
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ  
عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة.

[٢٠] ﴿فَمَا لَهُمْ؟﴾ أي: الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أي مانع من الإيمان،  
أو: أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه؟  
[٢١] ﴿وَلَهُمْ﴾ مالهـم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْمَعُونَ﴾ يخضعون؛  
بأن يؤمنوا به لإعجازه.

[٢٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ﴾ بالبعث وغيره.  
[٢٣] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يجمعون في صنفهم، من الكفر  
والتكذيب وأعمال السوء.

[٢٤] ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.  
[٢٥] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ  
مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع ولا منقوص ولا ينمئ به عليهم.

\*\*\*

(ه) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَىٰ عَيْنَ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الْفُتُشُ كُورَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧٤) سورة ﴿إِذَا الْفُتُشُ كُورَتْ﴾، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٥٣).

(١) البخاري (٤٩٣٩)، مسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) لنافع وابن كثير وابن عامر والكساوي؛ «يُصَلَّى».

(٣) البصر غير العلم، فالواجب إثبات ما أثبت الله لنفسه أو أثبت له رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلاله - سبحانه -.

[٤] ﴿قِيلَ﴾ ﴿لَعَنَ﴾ ﴿أَصْحَابُ الْأَخْضَدِ﴾ ﴿الشَّقِ فِي الْأَرْضِ﴾.

[۵] ﴿النَّارِ﴾ بدل اشتمال منه ﴿ذَاتِ الْاُقُودِ﴾ ما توقد به.

[٦] ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ حولها على جانب الأخدود على الكراسي ﴿قُعُودٌ﴾.

[٧] رَهْمَ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۖ **الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٦﴾ بالله، من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن لم يرجعوا عن إيمانهم **شُؤْدً** حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلى من نَمَّ فأحرقهم <sup>(٣)</sup>.

[٨] ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَمِيدِ﴾  
المحمود.

[٩] ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَسُوا الْمَوْتِ وَالْمُؤْتَمِنَ﴾ بالإحراق ﴿ثُمَّ لَوْ تَبَيَّنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جُمُعٌ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: عذاب لإحراقهم المؤمنين في الآخرة، وقيل: في الدنيا بأن أخرجت النار فأحرقتهم، كما تقدم.

[١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

[۱۲] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالكفار ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بحسب إرادته.

[۱۳] ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ﴾ ﴿الْخَلْقِ﴾ ﴿وَعِيدُ﴾ ﴿فَلَا يَعْجِزُهُ مَا يَرِيدُ﴾.

[١٤] ﴿وَهُوَ الْعَفْوَ﴾ للمذنبين المؤمنين ﴿الْوَدُودُ﴾ المتودد إلى أوليائه بالكرامة.

[١٥] ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكه <sup>(١)</sup> ﴿الْمَجِيدُ﴾ بالرفع؛ المستحق كمال صفات العلو <sup>(٢)</sup>.

[١٦] ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يعجزه شيء.

[۱۷] ﴿هَذَا أَنَا﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ الْجَنُودِ﴾.

[١٨] ﴿فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ بدل من الجنود، واستغني بذكر فرعون عن اتباعه، وحديثهم أنهم أهلكتوا بكفرهم، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن؛ ليتعظوا.

[۱۹] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ بما ذكر.

[۲۰] ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُخِيطٌ﴾ لا عاصم لهم منه.

[۲۱] ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ عظیم۔

[٢٢] ﴿فِي لَوَاحٍ﴾ هو في الهواء، فوق السماء السابعة ﴿مَحْفُوطٌ﴾ بالجر<sup>(٦)</sup>، من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(٧)</sup>.

\* \* \*

الجزء الثلاثون

سُورَةُ الْبُرُوجِ

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣  
فَقِيلَ أَتَأْتُونَ الْأَحْزَادَ ۝٤ الْتَارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا  
فُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا  
مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ  
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَرَدَّتْهُنَّ يُولُو أَفْهَمَهُ عَذَابَ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ  
عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ  
جَنَّاتُ خَبْرٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ  
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُ هُوَ بَدِيٌّ وَبَعِيدٌ ۝١٣ وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ ۝١٤  
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥ فَقَالَ لِمَ تُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُودِ  
۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَاللَّهُ مِنْ  
وَرَاءِهِمْ مُخِيطٌ ۝٢٠ بَلْ هُمْ فِرْعَوْنٌ مُجْتَبِئٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَحْضُومٍ ۝٢٢

سُورَةُ الْبُرُوجِ

[مكية ، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْارْجِ﴾ الكواكب اثنا عشر برجاً تقدمت في الفرقان<sup>(١)</sup>.

[٢] ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة.

[٣] ﴿وَشَآهِدْ﴾ يوم الجمعة ﴿وَمَنْشُودْ﴾ يوم عرفة، كذا فسرت الثلاثة في الحديث<sup>(١)</sup>؛ فالأول: موعود به، والثاني: شاهد بالعمل فيه، والثالث: تشهده الناس والملائكة، وجواب القسم محذوف صُدْرُهُ، تقديره: لقد.

(١) الفرقان: ٦١.

(٢) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٦٢) عن أبي هريرة مرفوعاً، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٢٠١).

(٣) روي ذلك عن الربيع بن أنس، وحكاه الفراء، وأكثر المفسرين أن هذا العذاب في جهنم.

(٤) **اللَّهُ وَكَانَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**، والإضافة هنا لأمر اختص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواؤه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء بليق بجلاله.

(٥) وكذا بالجور في قراءة حمرة والكسائي.

(٧) تحديد اللوح بما ذكر من الأمور الغيبية التي يحتاج الجازم بها إلى دليل صحيح عن المعصوم عليه السلام.

## سُورَةُ الطَّارِقِ

[مكية، سبع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَاللَّيْلَ وَالطَّارِقَ﴾ أصله: كل آتٍ ليلاً، ومنه النجوم لطلوعها ليلاً.

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ مبتدا وخبر، في محل المفعول الثاني لـ «أدرك»، وما بعد «ما» الأولى خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده. [٣] هو ﴿النَّجْمُ﴾؛ أي: الثريا، أو: كل نجم ﴿النَّجْمُ﴾ الماضي، لقبه الظلام بضوئه. وجواب القسم: [٤] ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ﴾ [لَهَا] عَلَيَّهَا حَافِظٌ يتخفيف «ما» فهي مزيدة، و«إن» مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: إنه، واللام فارقة، وتشديدها<sup>(١)</sup> فـ«إن» نافية، و«لها» بمعنى «إلا»، والحافظ من الملائكة، يحفظ عملها من خير وشر. [٥] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء؟ جوابه: [٦] ﴿خُلِقَ مِنْ شَيْءٍ دَافِقٍ﴾ ذي التدفّاق من الرّجل والمرأة، في رحمها. [٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للرجل ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾ للمرأة؛ وهي: عظام الصدر. [٨] ﴿إِنَّهُ﴾ - تعالى - ﴿عَلَى رَجَبٍ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿تَقَادَرُ﴾ فإذا اعتبر أصله علم أن القادر على ذلك قادر على بعثه. [٩] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ تختبر وتكشف ﴿السُّرُورُ﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات. [١٠] ﴿وَمَا لَمْ﴾ لمنكر البعث ﴿يَنْفُخْ﴾ يتمتع بها من العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٌ﴾ يدفعه عنه.

[١١] ﴿وَالنَّجْمَ﴾ ذات النّجم المطر؛ لعوده كل حين. [١٢] ﴿وَالْأَرْضَ﴾ ذات السَّحَابِ الشَّقْ عن النبات. [١٣] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ يفصل بين الحق والباطل. [١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِالْعَزَّةِ﴾ باللب والباطل. [١٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكائد للنبي ﷺ. [١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أستردهم من حيث لا يعلمون. [١٧] ﴿فَهَلْ﴾ يا محمد ﴿الْكَاذِبِينَ أَمْهُمْ﴾ تأكيد، حشنة مخالفة اللفظ؛ أي: أنظروهم ﴿رَوْدًا﴾ قليلاً، وهو مصدر مؤكّد لمعنى العامل، مصغر: «رودا»، أو: «روداء» على الترخيم، وقد أخذهم الله تعالى - بيدر، ونسخ الإمهال بآية السيف؛ أي: الأمر بالقتال والجهاد.

## سُورَةُ الْأَعْلَى

[مكية، تسع عشرة آية<sup>(\*)</sup>]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: نزه ربك عما لا يليق به، و«اسم» زائد<sup>(٢)</sup> ﴿الْأَعْلَى﴾ صفة لـ«ربك»<sup>(٣)</sup>. [٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَوْنٌ﴾ مخلوقه؛ جعله متناسب الأجزاء، غير متفاوت. [٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَى﴾ إلى ما قدره من خير وشر. [٤] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أنبت العشب. [٥] ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿عُتَاً﴾ جافاً هشياً ﴿أَحْوَى﴾ أسود يابسا. [٦] ﴿سَنَفَرْنَا﴾ القرن ﴿فَلَا تَنَسَى﴾ ما تفرّقه. [٧] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان، فكانه قيل

(\*) فائدة: أخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بـ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»، و«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»، و«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». النسائي - كتاب قيام الليل (٢٠) باب (٤٦) القراءة في الوتر. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٦٣٣).

(٢) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو.

(٣) الأعلى اسم من أسماء الله ﷻ، وهو يشتغل على إثبات صفة العلو لله - تعالى - ومعناه: الأعلى من كل شيء؛ ذاتاً وقهراً وشأناً.

(٤) ق: ٤٥.

(٢) بل يجب تنزيه الاسم كذلك، كما يجب تنزيه ذاته المقدسة سبحانه.

له: لا تعجل بها، إنك لا تنسى ولا تُعْبِ نفسك بالجهر بها. ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ منها. [٨] ﴿وَنُفِّسَكَ الْبَسْرَى﴾ للشرعية السهلة، وهي الإسلام. [٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ عِظْ بالقرآن ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ مَنْ تَذَكَّرَهُ، المذكور في: «سيدكر»؛ يعني: وإن لم تنفع، ونفعها لبعض، وعدم النفع لبعض آخر. [١٠] ﴿سَيَذَكِّرْ﴾ بها ﴿مَنْ يَخَفُ﴾ يخاف الله - تعالى - كآية ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾<sup>(٤)</sup>. [١١] ﴿وَبَنَجْنَهُ﴾ أي: الذكري؛ أي: يتركها جانباً لا يلتفت إليها ﴿الْأُنثَى﴾ بمعنى الشقي؛ أي: الكافر. [١٢] ﴿الَّذِي يَصَلِّيْ النَّارَ الْكُبْرَى﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا. [١٣] ﴿مَنْ لَا يَبُوءُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَخْشَى﴾ حياة هنيئة. [١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿مَنْ رَزَقَ﴾ تَطَهَّرَ بالإيمان. [١٥] ﴿وَوَدَّكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ مكبراً ﴿فَصَلِّ﴾ الصلوات الخمس. وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة مُعرضون عنها.

بأهلها.

- [٢] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْيَوْمِزُ﴾ عبر بها عن الذوات في الموضعين ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة.  
 [٣] ﴿عَالِيَةً نَّاصِبَةً﴾ ذات نصيب وتعب، بالسلاسل والأغلال.  
 [٤] ﴿تَضَلَّى﴾ بفتح التاء وضعا<sup>(١)</sup> ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾.  
 [٥] ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ﴾ شديدة الحرارة.  
 [٦] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ هو نوع من الشوك، لا ترعاه دابة؛ لحيتها.  
 [٧] ﴿لَا يَسْمُونَ وَلَا يُنَبِّئُونَ مِنْ جُوعٍ﴾.  
 [٨] ﴿وَجُوعُهُ يَوْمَيزُ نَاعَةً﴾ حسنة.

- [٩] ﴿لَيْسَ بَهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةً﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه.  
 [١٠] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ جَشَاءَ﴾ جشأ ومعنى.  
 [١١] ﴿لَا يُسْمَعُ﴾ بالياء والتاء<sup>(٢)</sup> ﴿فِيهَا﴾ [لاغية] أي: نفس ذات لغو، أي: هذيان من الكلام.

- [١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالماء، بمعنى: عيون.  
 [١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ ذاتا وقدرا ومحلا.  
 [١٤] ﴿وَأَكْوَابُ﴾ أقداح لا غرى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون، معدة لشربهم.

- [١٥] ﴿وَنَارًا﴾ وسائل ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجانب بعض، يستند إليها.  
 [١٦] ﴿وَرِزْقًا﴾ بسطط طافس لها غسل<sup>(٣)</sup> ﴿مَبْثُوثَةً﴾ مبسوطة.  
 [١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

- [١٨] ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾. [١٩] ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.  
 [٢٠] ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: بسططت، فيستدلون بها على قدرة الله - تعالى - ووجدانيته، وضدَّت بالإبل؛ لأنهم أشد ملاسة لها من غيرها، وقوله: ﴿سُطِحَتْ﴾ ظاهر في أن الأرض سطح؛ وعليه علماء الشرع، لا كره؛ كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع<sup>(٤)</sup>.

- [٢١] ﴿فَذَكِّرْ لَهُمْ نِعَمَ اللَّهِ وَدَلَائِلَ تَوْحِيدِهِ﴾ [إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ].  
 [٢٢] ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [فِي قِرَاءَةِ الصَّادِ بَدَلِ السَّيْنِ] أي: بمسلط، وهذا قبل الأمر بالجهاد.

- [٢٣] ﴿وَلَا﴾ لكن ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَكُفِّرْ﴾ بالقرآن.  
 [٢٤] ﴿فَيَقْبِضُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر.

- [٢٥] ﴿إِنْ إِيَّانَا يُلَاقِيهِمْ﴾ رجوعهم بعد الموت.  
 [٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَيْنَنَا جَسَاهُمْ﴾ جزاءهم لا نتركه أبدًا.

\*\*\*

وَتَجَبَّهَهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

### سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ وَجُوعُهُ يَوْمَيزُ خَشِيعَةً عَالِيَةً نَاصِبَةً تَضَلَّى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ لَا يَسْمُونَ وَلَا يُنَبِّئُونَ مِنْ جُوعٍ وَجُوعُهُ يَوْمَيزُ نَاعَةً لَسَعِيهَا رَاضِيَةً فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا الْعِيَةَ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابُ مَوْضُوعَةٌ وَنَارًا مَصْفُوفَةٌ وَرِزْقًا مَبْثُوثَةً أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ

- [١٦] ﴿بَلْ يُؤْثِرُونَ﴾ بالثحنانة والفوقانية<sup>(١)</sup> ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة. [١٧] ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.  
 [١٨] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: إفلاح من تزكى، وكون الآخرة خيرًا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: المنزلة قبل القرآن.  
 [١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وهي: عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

### سورة العنكبوت

[مكية، ست وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ﴾ القيامة؛ لأنها تغشى الخلائق

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ﴾ قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضًا في الصلاتين. مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٦) ما يقرأ في صلاة الجمعة.

(١) بالياء لأبي عمرو.  
 (٢) بالياء لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ نافع بالتاء مع ضمها؛ مبيهاً لمجهول، ﴿تُسْمَعُ﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَسْمَعُ﴾ فيها [لاغية] للما مع نصب ﴿لاغية﴾.  
 (٣) ﴿وَرِزْقًا﴾؛ جمع: ﴿رِزْقَةً﴾ تظليل الزاي. و﴿طَافَسَ﴾؛ جمع: ﴿طَافَسَةً﴾ بتظليل الفاء والطاء، وتسمى أيضًا: سجدة. وال (تخل): لا (دهذب).  
 (٤) بل الصحيح أنها كروية كما ثبت بالعلم الحديث وبينه ثقت من علماء المسلمين من قبل، وأما بسطها وتسطيحها فلا يتنافى مع كرويتها في نفسها وذلك لابعاد أطرافها، فكل قطعة منها على حدة ممدودة مسطحة، والكروية كائنة لجللتها، كما قال - تعالى -: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَسَمَهَا﴾.  
 (٦) لهشام، وقرأ حمزة بخلف عن خلاد: بإشمام الصاد الزاي، وقرأ بقية السبعة بالصاد، وهو الوجه الثاني خلاد.



## سُورَةُ الْفَجْرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أي: فجر كل يوم.

[٢] ﴿وَلَيْلٍ عَشْرٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة.

[٣] ﴿وَالشَّفْعِ الرَّوْحِ﴾ و﴿وَالْوَتْرِ﴾ يفتح الواو وكسرها<sup>(١)</sup>؛ لغتان: الفرد.

[٤] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾ مقيلاً ومدبراً.

[٥] ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ الْقِسْمِ﴾ وقسمٌ يُرَى جَمْرٌ عقل؟ وجواب القسم محذوف؛ أي: لتُعَذِّبُنِي يا كفار مكة.

[٦] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

[٧] ﴿إِنَّمَا﴾ هي عاد الأولى، فدارم عطف بيان، أو: بدل، ومنع الصرف؛ للعلمية والتأنيث ﴿ذَاتِ الْإِيمَادِ﴾ أي: الطول، كان طول الطويل منهم أربعمئة ذراع<sup>(٢)</sup>.

[٨] ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِنْهَا فِي الْيَلْدِ﴾ في بطشهم وقوتهم.

[٩] ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا﴾ قطعوا ﴿الصَّخْرَ﴾ جمع «صخرة»، واتخذوها بيوتاً ﴿بِالْوَادِ﴾ وادي القرى.

[١٠] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ﴾ كان يَتَذَّرُ أربعة أوتاد، يشد إليها يدي ورجلي من يُعَذِّبُهُ.

[١١] ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ تجبروا ﴿فِي الْيَلْدِ﴾.

[١٢] ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ القتل وغيره.

[١٣] ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾ نوع ﴿عَذَابٍ﴾.

[١٤] ﴿إِنَّا رَبُّكَ لِكَاِلِمِرْصَادٍ﴾ يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء؛ ليجازيهم عليها.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ الْكَافِرُ﴾ إِذَا مَا أَبْتَلَنَاهُ اختبره ﴿رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال وغيره ﴿وَنَعَمَ﴾ فيقول رَبِّي أَكْرَمَنِي.

[١٦] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْتَلَنَاهُ فَقَدَّرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ فيقول رَبِّي أَهْلَنَنِي.

[١٧] ﴿كَلَّا﴾ ردع؛ أي: ليس الإكرام بالغنى، والإهانة بالفقر، وإنما هو بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتبهون لذلك ﴿بَلْ لَا يُكْرَمُونَ﴾ أَلَيْسَ لَهُمْ لا يحسنون إليه مع غناهم، أو: لا يعطونه حقه من الميراث.

[١٨] ﴿وَلَا يَمْشُؤْنَ﴾ أنفسهم أو غيرهم ﴿عَلَى طَعَارٍ﴾ أي: إطعام أَلَيْسَ لَهُمْ.

[١٩] ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ الْثَرَاتِ الميراث ﴿أَكْلاً لَمًّا﴾ أي: شديداً، لَلَّهُمْ نصيب النساء والصبيان من الميراث، مع نصيبهم منه أو: مع ما لهم.

[٢٠] ﴿وَيُجِبُونَ﴾ أَلْمَالَ حَبًّا جَمًّا أي: كثيراً فلا ينفقونه، وفي قراءة

(١) بالكسر حمزة والكسائي.

(٢) هذان الإسرائيليات التي لا تصح، وتتأني مع ما صح عنه ﷺ من تناقض الخلق من لدن آدم ﷺ والذي كان طوله ستون ذراعاً فقط، ومعنى ﴿ذَاتِ الْإِيمَادِ﴾ أي: ذات الأبنية المرفوعة على العتد، أو: البناء المرتفع، وقال مجاهد وقادة: كانوا أهل عمود لا يقيمون؛ أي لحياهم، واختاره ابن جرير، ووافقه ابن كثير.

(٣) والقراءة المذكورة أولاً بالياء في الأربعة لأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالياء، إلا أنه قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ﴿تَمْشُونَ﴾. وقرأ بقتهم: ﴿تَمْشُونَ﴾.

(٤) تأويل الجيء بأمر الله خلاف ظاهر النص، وعدول عما فهمه السلف من الآية، والجيء صفة من صفات الفعل الثانية لله ﷻ على ما يليق به.

(٥) كما جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم (٢٨٤٢) مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «يؤتى بهم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها». والزمام: هو: الحطام الذي يقاد به البعير.

إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ۚ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۚ

إِنَّ الْإِنْسَانَ آيَاتٍ بِهِمْ ۚ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ ۚ

## سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ لَيْلٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ۝

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجَرٍ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝

إِرمَ ذَاتِ الْإِيعَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِنْهَا فِي الْيَلْدِ ۝ وَتَمُودَ الَّذِينَ

جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي

الْيَلْدِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ

عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبُّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝ فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا أَبْتَلَنَاهُ

رَبَّهُ فَأَكْرَمَهُ ۚ وَنَعَمَ ۚ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْتَلَنَاهُ

فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۚ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْلَنَنِ ۝ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرَمُونَ

الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ

الْثَرَاتِ أَكْلاً لَمًّا ۝ وَتُجِبُونَ أَلْمَالَ حَبًّا جَمًّا ۝ كَلَّا إِذَا

دُكِّي الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝

بالفوقانية في الأفعال الأربعة<sup>(٣)</sup>.

[٢١] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿إِذَا دُكِّي الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ زلزلت، حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم.

[٢٢] ﴿وَسَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره<sup>(٤)</sup> ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي: الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ حال؛ أي: مصطفين، أو: ذوي صفوف كثيرة.[٢٣] ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك<sup>(٥)</sup> لها زفير وتغيظ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا»، وجوابها:

﴿يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ﴾ أي: الكافر ما فرط فيه ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا ينفعه تذكره ذلك.

\*\*\*

## سورة البقرة

[مكية، عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ أَحْسَنُ بِمَا يُدْعَىٰ ٱلْبَدْعُ﴾ مكية.  
 [٢] ﴿وَأَنذَرْتُ﴾ يا محمد ﴿حِلَّالَ﴾ ﴿بَيْتِ ٱلْبَدْعِ﴾ بأن يُخِلَّ لك فنقاتل فيه، وقد أنذر الله له هذا الوعد يوم الفتح، فالجملة اعتراض بين القسم به وما عطف عليه.

[٣] ﴿وَوَالِدٌ﴾ أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾ أي: ذريته، و«ما» بمعنى «من».  
 [٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ﴾ أي: الجنس ﴿فِي كَبَدٍ﴾ نصب وشدة؛ بكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أيظن الإنسان؛ قوي قريش، وهو أبو الأشد ابن كلد، بقوته. ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿أَن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ والله قادر عليه.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عداوة محمد ﴿مَا لَأَكِيدُ﴾ كثيرا بعضه على بعض. [٧] ﴿أَيَحْسَبُ أَن﴾ أي: أنه ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيما أنفقه، فيعلم قدره؟ والله عالم<sup>(١)</sup> بقدره، وأنه ليس بما يُكْتَر به، ومجازه به فعله السيئ.

[٨] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ استفهام تقرير؛ أي: جعلنا ﴿لَهُ عَيْنَيْنِ﴾.  
 [٩] ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ بيانا له طريق الخير والشر.

[١١] ﴿فَلَا فَهْلًا﴾ أقبح العقبة جاوزها.

[١٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا ٱلْعُقْبَةُ﴾ التي يقتحمها؛ تعظيما لشأنها، والجملة اعتراض.

[١٣] ويحسن سبب جوازها بقوله: ﴿فَأَكْ رَقِيَّةً﴾<sup>(٢)</sup> من الرق بأن أعتقها.

[١٤] ﴿أَوْ ٱطْعَمُ﴾<sup>(٣)</sup> في يوم ذي مسغبة جماعة.

[١٥] ﴿يَنِمَّا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قرابة.

[١٦] ﴿أَوْ يَشْكُرَ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعُقْبَةَ﴾ لُصُوق بالتراب؛ لفقره، وفي قراءة بدل الفعلين<sup>(٤)</sup> مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة<sup>(٥)</sup>، وينون الثاني<sup>(٦)</sup>، فيقدر قبل العقبة؛ اقتحام<sup>(٧)</sup>، والقراءة المذكورة<sup>(٨)</sup> بيانه.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطف على «اقتحم»، و«ثم» للترتيب الذكري، والمعنى: كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَسُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟﴾ أوصى بعضهم بعضا ﴿بِٱلْقَسْرِ﴾ على الطاعة، وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَةِ﴾ الرحمة على الخلق. [١٨] ﴿أُولَٰئِكَ ٱلْمُوصَفُونَ بِهَذِهِ ٱلصَّفَاتِ﴾ أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُ ٱلشَّقَةِ﴾ الشمال.

[٢٠] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمزة والواو بدله<sup>(٩)</sup>، مُطَبَّقَةٌ.

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢١﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٢﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٣﴾ وَلَا يُؤْتِي وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٤﴾ يَٰأَيُّهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٥﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٢٦﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٧﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّاتِي ﴿٢٨﴾

## سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا ٱلْبَدْعِ ﴿٢٩﴾ وَأَنْتَ حَلُّ هَذَا ٱلْبَدْعِ ﴿٣٠﴾ وَٱلْوَدَّ وَمَا وَلَدَ ﴿٣١﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٣٢﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٣٣﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا كِيدَ ﴿٣٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّهُ مِرَّةً وَأَحَدٌ ﴿٣٥﴾ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٣٦﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٣٧﴾ وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿٣٨﴾ فَلَا أَفْتَحُمُ ٱلْعُقْبَةَ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْعُقْبَةُ ﴿٤٠﴾ فَكُ رَقِيَّةً ﴿٤١﴾ أَوْ ٱطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿٤٢﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿٤٣﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَسُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلضَّرِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَةِ ﴿٤٥﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْيَمِينَةِ ﴿٤٦﴾

[٢٤] ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكره: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيبة في الآخرة، أو: وقت حياتي في الدنيا. [٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ﴾ بكسر الذال ﴿عَذَابُهُ﴾ أي: الله ﴿أَحَدٌ﴾ أي: لا يكله إلى غيره. [٢٦] ﴿وَوَ﴾ كذا ﴿لَا يُؤْتِي وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ وفي قراءة<sup>(١)</sup> بفتح الذال والياء، فضمير «عذابه» و«وثاقه» للكافر، والمعنى: لا يُعَذِّبُ أَحَدٌ مثل تعذيبه، ولا يُؤْتِي مثل إيقافه. [٢٧] ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآمنة، وهي المؤمنة. [٢٨] ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يقال لها ذلك عند الموت؛ أي: أرجعي إلى أمره وإرادته<sup>(٢)</sup> ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مُرْضِيَةً﴾ عند الله بعملك؛ أي: جامعة بين الوصفين، وهما حالان، ويقال لها في القيامة: [٢٩] ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ جملة ﴿عِبَادِي﴾ الصالحين [٣٠] ﴿وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾ معهم.

\*\*\*

(١) للكسائي.

(٢) وهذه طريقة نفاة الصفات يزعم تنزيه الله ﷻ عن مشابهة خلقه، والصواب أن الرجوع إلى الله: نقاؤه. شبهة. يوم القيامة، والوقوف بين يديه للحساب والجزاء، على ما يليق بجلاله، أو يكون المراد بالنفس: الروح، ولقاؤها ربها حين خروجها من الجسد ساعة الموت.

(٣) العلم غير الرؤية وإن كان من لوازمها؛ وصحيح المفسر جرأ على طريقته في تأويل الصفات كما هي طريقة أهل التأويل.

(٤) (٥) للكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٦) أي: قوله: «فَأَكْ» و«أطعم».

(٧) أي: «وما أدراك ما اقتحام العقبة».

(٨) أي: بالمصدرين المرفوعين: «فَأَكْ»، و«أطعم». وقوله: «بيانه» أي هذه القراءة بيان معنى الاقتحام المقدر؛ أي: اقتحام العقبة هو: فُك رَقِيَّةً أو إطعام.

(٩) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

## سُورَةُ الْبُقْعَةِ

[مكية، خمس عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَالشَّمْسُ وَنَجْمُهَا ﴿١﴾ وَنَجْمُهَا ﴿٢﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٣﴾ تَبَعَهَا طَالِعًا عِنْدَ غُرُوبِهَا ﴿٤﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٥﴾ بَارْتِفَاعَهُ ﴿٦﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٧﴾ يَغْطِيهَا بِظِلْمَتِهِ، وَإِذَا فِي الثَّلَاثَةِ لَجُودِ الظَّرْفِيَّةِ (١)، وَالْعَامِلُ فِيهَا فَعَلَ الْقِسْمَ. [٥] وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ﴿٦﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ﴿٧﴾ بَسَطَهَا. [٧] وَنَفْسٍ ﴿٨﴾ بِمَعْنَى نَفُوسٍ ﴿٩﴾ وَمَا سَوَّاهَا ﴿١٠﴾ فِي الْخَلْقَةِ، وَمَا فِي الثَّلَاثَةِ مَصْدَرِيَّةٌ، أَوْ بِمَعْنَى «مَنْ». [٨] فَالْهَمْزُ مُجَوَّرٌ وَتَقْوُونَهَا ﴿٩﴾ يَتَرَنَّ لَهَا طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَخَّرَ التَّقْوَى؛ رِغَاةَ لِرُؤُوسِ الْآيِ. [٩] وَجَوَابُ الْقِسْمِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حَذَفَتْ مِنْهُ اللَّامُ طُولُ الْكَلَامِ ﴿مَنْ رَزَقْنَاهَا﴾ طَهَّرَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. [١٠] ﴿قَدْ حَاطَ﴾ خَسِرَ ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾ أَخْفَاهَا بِالْمَعْصِيَةِ، وَأَصْلُهُ: دَسَّسَهَا؛ أَبْدَلَتْ السِّينَ الثَّانِيَةَ أَلْفًا تَخْفِيفًا. [١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رَسَلَهَا صَالِحًا ﴿يَطْعُونَهَا﴾ بِسَبَبِ طَغْيَانِهَا. [١٢] ﴿إِذْ أَبْعَثَ﴾ أَسْرَعَ ﴿أَشَقَّيْنَاهَا﴾ وَأَسَمَهُ قُدَّارٌ، إِلَى عَقْرِ النَّاقَةِ بِرِضَاهُمْ. [١٣] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صَالِحٌ: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ أَيْ: ذُرْوَاهَا ﴿وَسَقَيْهَا﴾ شَرَبَهَا فِي يَوْمِهَا، وَكَانَ لَهَا يَوْمٌ وَلَهُمْ يَوْمٌ. [١٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فِي قَوْلِهِ ذَلِكَ عَنِ اللَّهِ، الْمُرْتَبُّ عَلَيْهِ نَزُولُ الْعَذَابِ بِهِمْ، إِنْ خَالَفُوهُ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ قَتَلُوهَا لِيَسْلَمَ لَهُمْ مَاءُ شَرَبِهَا. [١٥] ﴿فَقَدِمَتْ﴾ أَطْبَقَ ﴿عَلَيْهِمْ رُدَّتْهُمْ﴾ الْعَذَابُ ﴿بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ أَيْ: الدَّمْدَمَةُ عَلَيْهِمْ؛ أَيْ: عَشَّاهُمْ بِهَا، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. [١٦] ﴿وَلَا﴾ بِالْوَاوِ وَالْفَاءِ (٢) ﴿يَخَافُ عَقْبَهَا﴾ تَبَعْتُهَا.

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مكية، إحدى وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ كَبَلَ وَالْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ نَهِيَهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿١١﴾ لِلنَّارِ. [١٢] ﴿إِنْ عَلَيْنَا لَأَهْدِيَنَّ﴾ لَتَبَيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَىٰ مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ؛ لِيُمْتَكِنَ أَمْرُنَا بِسُلُوكِ الْأَوَّلِ، وَنَهْيُنَا عَنْ ارْتِكَابِ الثَّانِي. [١٣] ﴿وَلَا لَنَا الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ أَيْ: الدُّنْيَا؛ فَمَنْ طَلَبَهُمَا مِنْ غَيْرِنَا فَقَدْ أَخْطَأَ. [١٤] ﴿فَأَذَرْنَاهُ﴾ خَوْفَتِكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿نَارًا تَلْفَلْ﴾ بِحَذْفِ إِحْدَى الثَّانِيَيْنِ مِنَ الْأَصْلِ، وَفَرَى (٢) بِبَيُونَتِهَا؛ أَيْ: تَتَوَقَّدُ.

(١) أَيْ: فَلَا تَفِيدُ الشَّرْطِيَّةَ.

(٢) بِالْفَاءِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ عَسَرَ، وَقُرْأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالْوَاوِ.

(٣) أَيْ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالْآيَةُ الثَّامِنَةُ مِنْ نَفْسِ السُّورَةِ.

(٤) أَيْ: شَذَوْدًا.

﴿وَنَقُورُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ نَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup> فيكون المراد الضُّحَى المؤبد. [١٧]  
 ﴿وَسَيَجْزِيهَا﴾ يبعد عنها ﴿الْأَلْفَى﴾ بمعنى التقي. [١٨] ﴿الَّذِي يُؤَقِّ مَالَهُ  
 يَرْزُقُ﴾ من كتابه به عند الله - تعالى - بأن يخرج له - تعالى - لا رياء ولا سمعة؛  
 فيكون زاكياً عند الله، وهذا نزل في الصديق عليه السلام لما اشترى بلالاً المذنب  
 على إيمانه واعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليد كان له عنده فنزلت:  
 [١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾. [٢٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك  
 ﴿أَتَيْعَةً وَتَوْبَةً لِنَفْسِهِ﴾ أي: طلب ثواب الله<sup>(٢)</sup>. [٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ بما  
 يُعطاه من الثواب في الجنة<sup>(٣)</sup>، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله -  
 تعالى - عنه، فيبعد عن النار ويثاب.

### سُورَةُ الضُّحَى

[مكية، إحدى عشرة آية]

ولما نزلت كبر ﷺ آخرها فسُنَّ التكبير آخرها<sup>(٤)</sup>. وروي<sup>(٥)</sup>  
 الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها، وهو: الله أكبر، أو:  
 لا إله إلا الله والله أكبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالضُّحَى﴾ أي: أول النهار أو كله. [٢] ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ غطي  
 بظلامه أو سكن. [٣] ﴿وَمَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ تركك يا محمد ﴿وَمَا قَلَّ﴾  
 أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن  
 ربه ودعه وقلاه<sup>(٦)</sup>. [٤] ﴿وَالْآخِرَةَ حَبَرٌ لَكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك  
 ﴿وَمِنَ الْأُولَى﴾ الدنيا. [٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من  
 الخيرات عطاءً جزيلاً ﴿فَرَحَتْنِي﴾ به، فقال ﷺ: [إذن لا أرضى وواحد من  
 أمتي في النار]<sup>(٧)</sup> إلى هنا تم جواب القسم بمُشْتَقَّين بعد مُتَّفَقَيْن. [٦] ﴿أَلَمْ  
 يَجِدْكَ﴾ استفهام تقرير؛ أي: وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك، أو:  
 بعدها ﴿فَتَوَّأْنِي﴾ بأن ضُمَّكَ إلى عمك أبي طالب. [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾  
 عما أنت عليه من الشريعة ﴿فَهَدَى﴾ أي: هداك إليها. [٨] ﴿وَوَجَدَكَ

### سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝  
 وَلَآ آخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ  
 فَتَرْضَى ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝  
 وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝  
 وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

### سُورَةُ الشَّحْجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنَّا وَزْرَكَ ۝

[١٥] ﴿لَا يَصْلِيهَا﴾ يدخلها ﴿إِلَّا الْآتَمَتْنِي﴾ بمعنى الشقي. [١٦] ﴿الَّذِي  
 كَذَّبَ﴾ النبي ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر موزول لقوله - تعالى -:

(٥) ما جاء في برول الآيات (٣١): أخرجه البخاري عن جندب بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يبق ليدين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد  
 تركك؛ لم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأقول الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَى﴾ و﴿اللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الضحى (٩٣) باب (١) كيف  
 نزل الوحي وأول ما نزل.

(١) النساء: ٤٨.

(٢) في الآية إنبات صفة الوجه لله ﷻ، وسبق الإشارة إلى كلام ابن القيم في الرد على من قال: إن لفظ الوجه مجاز، وبيان بطلان هذا القول. وقال ابن كثير في تفسير الآية: أي طمأن في أن يحصل  
 له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات.

(٣) أخرجه نحوه الواحد في أسباب النزول ص (٣٩٢) عن ابن عباس، وأخرجه نحوه أيضاً الآجري في الشريعة (٣/ ٥٤ رقم ١٣٥١)، وإسناده ضعيف لا يقطع عنه في الاستيعاب (٥١٨/٣)،  
 ٥١٩. وفي الطبري (١٤٦/٣٠)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٠) عن عبد الله بن الربيع رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق عليه السلام. دون ذكر قصة بلال وإعناقه له، ولا  
 قول الكفار عن ذلك. وقال البيهقي في المجمع (١٣٨/٧): فروه الزرار، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وشيخ الزرار لم يسمعه. وأخرجه الحاكم (٥٢٥/٢) وصححه  
 على شرط مسلم ووافقه الذهبي فهو حسن بمجموع طرقه؛ وانظر الاستيعاب (٥١٧/٣).

(٤) قال الشيخ ابن باز رحمه الله في مجموع فتاوى ومقالات الجزء الأول عندما سئل: هل ثبت التكبير من سورة الضحى إلى آخر القرآن؟ قال: لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ كما صرح بذلك الحافظ ابن  
 كثير رحمه الله في أول تفسير سورة الضحى، ولكن ذلك عادة جرى عليها بعض القراء لحديث ضعيف ورد في ذلك، فالأولى ترك ذلك لأن العبادات لا تثبت بالأحاديث الضعيفة والله الموفق.  
 (٥) أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق أبي الحسن البرقي المقرئ عن أبي بن كعب مرفوعاً [الدر المنثور (٦٠٨/٦)]، ورواه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ١٤٥)  
 (٦) ثم قال: (هذا حديث غريب، وهو مما أنكر على البرقي، قال أبو حاتم: منكره)، وانظر أول تفسير سورة الضحى لابن كثير حيث ذكر عن الشافعي ما يدل على تصحيحه لهذا الحديث.

(٦) متفق عليه من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه؛ البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٧) لم أجد بهذا اللفظ، وأخرج البيهقي في شعبه عن ابن عباس قال: رضاه أن يدخل أمة كلهم الجنة. شعب الإيمان (١٦٤/٢). وقال ابن القيم في الجواب الكافي ص (٢١) في معرض الرد على  
 من يحتج ويتكلم مثل ذلك؛ قال: «وهمهم من يعتر بهم فاسد، فقيمه هو وأضرابه من نصوص القرآن والسنة؛ فأتكلوا عليه؛ كاتكلوا بعضهم على قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾  
 قالوا: وهو لا يرضى أن يكون في النار أحد من أمة، وهذا من أفبح الجهل، وأبين الكذب عليه؛ فإنه يرضى بما يرضى به ربه ﷻ، والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة والمسرئين =

عَالِيًّا فَقِيرًا ﴿فَأَعْنَتْ﴾ أَغْنَاكَ بِمَا قَعَمَكَ بِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَغَيْرِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَيْسَ الْغَنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنْ الْغَنَى غِنَى النَّفْسِ» (١). [٩] ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ بِأَخْذِ مَالِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. [١٠] ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ تَزْجِرْهُ لِفَقْرِهِ. [١١] ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ عَلَيْكَ بِالْبُيُوتَةِ وَغَيْرِهِ ﴿فَوَحَلْتَ﴾ أَخْغِرَ، وَحَدَفَ ضَمِيرُهُ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ رِاعِيَةً لِلْفَرَاضِ.

### سُورَةُ الشُّرَحِ

[مكية، ثمان آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ اسْتَفْهَمَ تَقْرِيرَ؛ أَي: شَرَحْنَا ﴿لَكَ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿صَدْرَكَ﴾ بِالْبُيُوتَةِ وَغَيْرِهَا. [٢] ﴿وَوَضَعْنَا﴾ حَطَطْنَا ﴿عَنْكَ﴾ وَزَرَكْ. [٣] ﴿الَّذِي أَنْصَبَ﴾ أَثْقَلَ ﴿ظَهْرَكَ﴾ وَهَذَا كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ (٢). [٤] ﴿وَوَضَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بَانَ تُذَكَّرُ مَعَ ذِكْرِي، فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَالشَّهَادَةِ وَالْحُطْبَةِ، وَغَيْرِهَا. [٥] ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ الشَّدَّةُ ﴿يُسْرًا﴾ سَهْلَةً. [٦] ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وَالْبُيُوتِ ﷺ قَاتَسَى مِنَ الْكُفَارِ شَدَّةً، ثُمَّ حَصَلَ لَهُ الْيُسْرُ بِبَصَرِهِ عَلَيْهِمْ. [٧] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ مِنَ الصَّلَاةِ ﴿فَانصَبْ﴾ اتَّعَبَ فِي الدَّعَاءِ. [٨] ﴿وَلِلَّهِ رَبِّكَ فَاوْزَعُ﴾ تَضَرَّعَ.

### سُورَةُ التِّينِ

[مكية، أو: مدنية، ثمان آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾؛ أَي: الْمَأْكُولِينَ، أَوْ: جَبَلَيْنِ بِالشَّامِ، يُتَبَيَّنُ الْمَأْكُولِينَ. [٢] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِ مُوسَى، وَمَعْنَى: «سِينِينَ»: الْمُبَارَكُ، أَوْ: الْحَسَنُ بِالْأَشْجَارِ الْمُشْمَرَةِ. [٣] ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ مَكَّةُ؛ لِأَمْنِ النَّاسِ فِيهَا جَاهِلِيَّةً وَإِسْلَامًا. [٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الْجِنْسُ ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تَعْدِيلِ لُصُورَتِهِ. [٥] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ فِي بَعْضِ أَفْرَادِهِ ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ كَنَاءَةٌ عَنِ الْهَرَمِ وَالضَّعْفِ، فَيَنْقُصُ عَمَلُ الْمُؤْمِنِ عَنْ زَمَنِ الشَّبَابِ وَيَكُونُ لَهُ أَجْرُهُ؛ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: [٦] ﴿إِلَّا﴾ لَكِنَّ الْآلِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مَقْطُوعٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا بَلَغَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكِبَرِ مَا يُعْجِزُهُ عَنِ الْعَمَلِ، كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يُفْعَلُ» (٣). [٧] ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ أَيُّهَا الْكَافِرُ ﴿بَعْدَ﴾ بَعْدَ مَا ذُكِرَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، ثُمَّ رُدُّهُ إِلَى أَرْضِ الْعَمْرِ، الدَّالُّ عَلَى الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَيْعِ ﴿بِالذِّبِ﴾ بِالْجُزْءِ الْمَسْبُوقِ بِالْبَيْعِ وَالْحَسَابِ؛ أَي: مَا يَجْعَلُكَ مَكْذُوبًا بِذَلِكَ، وَلَا جَاعِلَ لَهُ! [٨] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ لَلْحَافِيِينَ﴾ أَي: هُوَ أَفْضَى الْقَاضِيْنَ، وَحُكْمُهُ بِالْجُزْءِ مِنْ ذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ قَرَأَ وَالتِّينَ إِلَى آخِرِهَا فَلْيَقُلْ: بَلَى وَأَنَا عَلَى

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿وَالِلَّهِ رَبِّكَ فَاوْزَعُ﴾

### سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّبِ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ لَلْحَافِيِينَ﴾

### سُورَةُ الْعَنَّاكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْعَى﴾ أَنْ رَءَاهُ اسْتَعْصَى ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّكَ لَارْجِعُ﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَتَّبِعْهُ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿كَذَلِكَ مِنْ الشَّاهِدِينَ﴾ (٤).

### سُورَةُ الْحَافِيَةِ

[مكية، تسع عشرة آية. صدرها إلى: ﴿مَا لَمْ يَنْهَ﴾ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ بَغَارُ حَرَاءَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠).]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَقْرَأْ﴾ أَوْجَدَ الْقِرَاءَةَ، مَبْدَأًا ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الْخَلَائِقَ. [٢] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ الْجِنْسَ ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جَمْعُ عَلَقَةٍ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْيَسِيرَةُ مِنَ الدَّمِ الْغَلِيظِ. [٣] ﴿أَقْرَأْ﴾ تَأْكِيدٌ لِلأَوَّلِ ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي لَا يُوَازِيهِ كَرِيمٌ، حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي «أَقْرَأْ». [٤] ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الْخَطَّ ﴿بِالْقَلَمِ﴾ وَأَوَّلُ مِنْ خَطِّهِ بِهِ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١). [٥] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾ الْجِنْسَ ﴿مَا لَمْ يَنْهَ﴾ قَبْلَ تَعْلِيمِهِ، مِنَ الْهُدَى وَالْكِتَابَةِ وَالصَّنَاعَةِ وَغَيْرِهَا. [٦] ﴿كَلَّا﴾ حَقًّا ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن يحيى بن أبي كبير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّذِيرُ﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؛ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّذِيرُ﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؛ فقال: لا أحرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. سبق تحريجه والتعليق عليه في أول سورة المدثر.

- على الكبا، فحاشا رسول له أن يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى. (١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) عن أبي هريرة مرفوعا. (٢) الفتح: ٢. (٣) أخرجه الطبري عن إبراهيم بن موله (٥١١/٢٤)، وأخرج البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: «إذا مرض العبد أو سافر، كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا». (٤) أخرجه الترمذي (٣٣٤٧) وأبو داود (٨٨٧) وأحمد (٧٣٤٤) عن أبي هريرة مرفوعا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٨٤). (٥) البخاري (٤٩٥٣). (٦) قاله الضحاك. وقيل: بل آدم عليه السلام.

يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٧﴾ مَا صَدَرَ مِنْهُ أَي: يعلمه (١٧) فيجازيه عليه أي: اعجب منه يا مخاطب؛ من حيث نهيه عن الصلاة، ومن حيث إن المنهي على الهدى أمر بالتقوى، ومن حيث إن الناهي مكذب متول عن الإيمان. [١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَيْنَ﴾ لام قسم ﴿لَوْ بَيِّنْتُ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿وَلَنَسْتَفْتِيَنَّ﴾ بِالنَّاصِيَةِ ﴿لَنَجُوزَ بِنَاصِيَتِهِ إِلَى النَّارِ﴾ [١٦] ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كَذِبِيَّ حَاطِيَةٍ﴾ وَضَفَّهَا بِذَلِكَ مجاز، والمراد صاحبها. [١٧] ﴿فَلْيَدْعُ﴾ تَادِيَةً أَي: أهل ناديه، وهو المجلس يُتَدَيُّ، يتحدث فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني؛ لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً مجزداً ورجالاً مُرْداً. [١٨] ﴿سَتَنُذِرُ الْزَّانِيَةَ﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه، كما في الحديث: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً» (١٩) ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تُطِيعُ﴾ يا محمد في ترك الصلاة ﴿وَأَسْجُدْ﴾ صل لله ﴿وَأَقْرَبْ﴾ منه بطاعته (٢٠).

### سُورَةُ الْقَدَرِ

[مكية، أو: مدنية، خمس، أو: ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن، جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي: الشرف العظيم. [٢] ﴿وَمَا أَذْرَبْكَ﴾ أعلمتك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تعظيم لشأنها، وتعجب منه. [٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها. [٤] ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَلِمَةَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل ﴿وَالرُّوحُ﴾ أي: جبريل ﴿ذِيهَا﴾ في الليلة ﴿يَاذِنُ رَبِّهِمْ﴾ بأمره ﴿وَمَنْ كُلِّي آمَرَ﴾ قضاه الله فيها، لتلك السنة إلى قابل، «ومن» سببية بمعنى الباء. [٥] ﴿سَلَّمَ مِنْ حَيْثُ خَبِرَ مُقَدِّمٌ وَمُبْتَدَأٌ﴾ (٦) ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ بفتح اللام وكسرهما (٧)، إلى وقت طلوعه، جعلت سلاماً لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تشعروا بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سلمت عليه.

### سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات] (٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا يَكْفُرُ الْإِسْلَامُ عَنْ يَوْمٍ أَوَّلِهِ إِلَى يَوْمٍ آخِرِهِ﴾ أي:

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ أَرَأَيْتُمْ أَنْ يَكْفُرَ الْإِسْلَامُ عَنْ يَوْمِهِ إِلَى يَوْمِهِ ﴿١٨﴾ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٩﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿٢٠﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٢١﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَا تُطِيعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿٢٣﴾

### سُورَةُ الْقَدَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَلِمَةَ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ مِنْ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

### سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكْفُرُ الْإِسْلَامُ عَنْ يَوْمٍ أَوَّلِهِ إِلَى يَوْمٍ آخِرِهِ ﴿١﴾ تَأْيِيدُهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٢﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٣﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٤﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْبَيِّنَةُ ﴿٥﴾ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾

لَيْتَنِي (١) ﴿أَنْ رَأَيْتُ﴾ أي: نفسه ﴿اسْتَفْتَيْتُ﴾ بالمال، نزل في أبي جهل، و«رأى» علمية (٢) «واستفتى»: مفعول ثان، «وأن رآه» مفعول له. [٨] ﴿إِنْ يَكُ رَيْكَ﴾ يا إنسان ﴿الْحَقُّ﴾ أي: الرجوع، تخويف له فيجازي الطاعني بما يستحقه. [٩] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ هو أبو جهل. [١٠] ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا سَأَلَ﴾ [١١] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ﴾ المنهي ﴿عَنِ الْمُنَافِقِ﴾ [١٢] ﴿أَوْ﴾ للتقسيم (١٣) ﴿أَمَرَ بِالْفَقْرِ﴾ [١٣] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبي ﷺ ﴿عَنِ الْإِيمَانِ﴾ [١٤] ﴿أَرَأَيْتَ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٩، ٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقبل: نعم. فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجعهم منه إلا وهو ينكسر على عقبه ويثني يديه. قال: فقبل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجنحة فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لأخطفه الملائكة عضواً عضواً» قال: فأقول الله ﷻ لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿كَلَّا إِنْ أَنْزَلْنَاهُ لَنَكُونَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تُطِيعُهُ﴾ زاد عبد الله في حديثه قال: وأمره بما أمره به. وزاد ابن عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يعني قومه. وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه، فنهده النبي ﷺ فقال: أتهددني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي نادياً. فأقول الله ﷻ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ عبداً إِذَا سَأَلَ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُنَافِقِ﴾ ﴿لَوْ أَمَرَ بِالْفَقْرِ﴾ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. قال ابن عباس: والذي نفسي بيده، لو دعا ناديه لأخذته الزبانية. أحمد - المسند (١/ ٣٢٩). وأخرجه الترمذي، وفيه: «فأقول الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿سَنُذِرُ الْزَّانِيَةَ﴾ ﴿سَنُذِرُ الْزَّانِيَةَ﴾». كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٨٥) سورة اقرأ باسم ربك. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٦٨). (٥٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي حبة البصري قال: لما نزلت: ﴿لَوْ أَمَرَ بِالْفَقْرِ﴾، قال جبريل ﷺ: يا محمد، إن ربك يأمر أن تقرأ هذه السورة أي بن كعب، فقال النبي ﷺ: «يا أي، إن ربي ﷻ أمرني أن أقرأك هذه السورة فبكي وقال: ذكرت ثمة؟ قال: فنعيم. أحمد - المسند (٣/ ٤٨٩)، وصححه الأرنؤوط في تخريجها على المسند (٣٨١/٢٥) رقم (١٦٠٠٠).

(٢) قال الصاوي في حاشيته: «الأولى أن يقول: بمعنى الواو». فهو ﷺ على الهدى وأمر بالتقوى.

(٣) العلم غير الرؤية إن كان من لوازمها، وسبق التنبيه على ذلك مرات. (٤) أخرج نحوه الترمذي (٢٣٤٩) وأحمد (٢٣١٧) موفقاً، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٥٥٧).

(٥) أي: مبتدأ مؤخر.

(٦) بالكسر قراءة الكسائي.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ۝

## سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۚ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۚ

## سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۚ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۚ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۚ فَأَنْزَلَ بِهِنَّ نَعْفًا ۚ فَوسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۚ

## سُورَةُ الْجَلَالِينِ

[مكية، أو: مدنية، إحدى عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «وَالْعَادِيَّاتِ» الخيل تعدو في الغزو، وتضبح «ضَبْحًا» هو صوت أحوافها إذا عذت. [٢] «وَالْمُورِيَّاتِ» الخيل، توري النار «قَدْحًا» بحوافرها؛ إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل. [٣] «وَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا» الخيل، تغير على العدو وقت الصبح، بإغارة أصحابها. [٤] «فَأَنْزَلَ» هَيَّجَنَ «يَدَ» بمكان عذوهر، أو: بذلك الوقت «نَعْفًا» غبارًا، بشدة حركتهن. [٥] «فوسَطْنَ» يدَ» بالنقع «جَمْعًا» من الغدو؛ أي: صرن وسطه، وغطف الفعل على الاسم؛ لأنه في تأويل الفعل؛ أي: واللاتي عذون فأوزين فأغزون. [٦] «وَأَنزَلَ الْإِنْسَانَ الْكَافِرَ» لِرَبِّهِ لَكُونُ» لكسور؛ يمجده نعمته - تعالى.. [٧] «وَأَنزَلَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ» أي: كنوده «لَتَشِيدُ» يشهد على نفسه بصنعه. [٨] «وَأَنزَلَ لِحَبِّ الْحَيْرِ» أي: المال «لَتَشِيدُ» الحب له، فيسخر به. [٩] «فَأَنزَلَ يَلْعَنُ» إذا بغض وأخرج «مَا فِي الْقُبُورِ» من الموتى؛ أي:

عَبَدَةُ الأصنام، عطف على «أهل» «مُنْفَكِينَ» خبر «يكن»؛ أي: زائلين عما هم عليه «حَقٌّ تَأْيِيدُهُمْ» أي: أنهم «أَلْبِينَةُ» أي: الحجة الواضحة، وهي محمد ﷺ. [٢] «رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ» بدل من «البينة»، وهو النبي ﷺ «يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً» من الباطل. [٣] «وَبِهَا كُتِبَ» أحكام مكتوبة «قِيَمَةٌ» مستقيمة؛ أي: يتلو مضمون ذلك، وهو القرآن، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر. [٤] «وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» في الإيمان به ﷺ «إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ» أي: هو ﷺ، أو: القرآن الجائي به معجزة له، وقبل مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاءه، فحسده من كفر به منهم. [٥] «وَمَا أَسْرَوْا» في كتابهم التوراة والإنجيل «إِلَّا لِيُعَذِّبُوا اللَّهَ» أي: أن يعبدوه، فحذفت «أَن» وزيدت اللام «وَلِيُحْصِرَ لَهٗ الَّذِينَ» من الشرك «حُفَاءَ» مستقيمين على دين إبراهيم، ودين محمد إذا جاء، فكيف كفروا به! «وَيُتِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ» الملة «الْقِيَمَةُ» المستقيمة. [٦] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» حال مقدرة؛ أي: مقدرا خلودهم فيها من الله - تعالى - «أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ». [٧] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» الخليفة. [٨] «جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ» إقامة «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» بطاعته<sup>(١)</sup> «وَرَضُوا عَنْهُ» بثوابه «ذَٰلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ» خاف عقابه فانتهى عن معصيته - تعالى.

## سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ» حُرُوت لقيام الساعة «زِلْزَالَهَا» تحريكها الشديد المناسب لعظمتها. [٢] «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» كنوزها وموتاهها، فألقتها على ظهرها. [٢] «وَقَالَ الْإِنْسَانُ» الكافر بالبعث: «مَا لَهَا» إنكارًا لتلك الحالة. [٤] «يَوْمَئِذٍ» بدل من «إذا»، وجوابها: «تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا» تخبر بما عمل عليها من خير وشر. [٥] «يَاذُ» بسبب أن «رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا» أي: أمرها بذلك، وفي الحديث: «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها»<sup>(١)</sup>. [٦] «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ» ينصرفون من موقف الحساب «أَشْتَاتًا» متفرقين؛ فأخذ ذات اليمين إلى الجنة، وأخذ ذات الشمال إلى النار «يُسْرَوًا أَعْمَالَهُمْ» أي: جزاءها؛ من الجنة أو النار. [٧] «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» رتبة ثلثة صغيرة «خَيْرًا يَرَهُ» ير ثوابه. [٨] «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» ير جزاءه<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) فائدة: سمي الرسول ﷺ هذه الآية: «الجامعة الفأدة» كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أنزل علي فيها إلا هذه الآية الجامعة الفأدة» «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ». ومعنى «الفأدة»: الوحيدة الفريدة في أحكامها. البخاري (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧).

(٢) إن كان مراد المفسر أن أرضا حصل لهم بسبب طاعتهم لله - سبحانه - فهذا حق، وإن كان يقصد تفسير الرضا بالتوفيق إلى الطاعة فيكون من تأويل صفة الرضا لله ﷻ ببعض لوزمها، ومذهب السلف إلباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه -.. (٢) أخرجه الترمذي (٣٣٥٣) وأحمد (٨٦٥٠) عن أبي هريرة مرفوعًا، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٨٣٤).

[٣] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ زيادة تهويل لها، و«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني ل«أدري». [٤] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه دل عليه «القارعة» أي: تقرر ﴿يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ كغوغاء الجراد المنتشر، يوح بعضهم في بعض للخيرة، إلى أن يدعوا للحساب.

[٥] ﴿وَيَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ كالصوف المندوف، في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض.

[٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ في الجنة؛ أي: ذات رضى؛ بأن يرضاها؛ أي: مرضية له.

[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته.

[٨] ﴿فَأَمَّهُمْ﴾ فمسكه ﴿هَاسِيَةً﴾ [٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ﴾

أي: ما هاربة؟ هي: [١٠] ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ شديدة الحرارة، وهاء «هيه» للسكت تثبت وصلاً ووقفاً، وفي قراءة (٢) تحذف وصلاً.

### سورة التكاثر

[مكية، ثمان آيات] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ شغلهم عن طاعة الله ﴿التَّكَاثُرُ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال.

[٢] ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ بأن متم دفنتم فيها، أو: عددتم الموتى تكاثراً.

[٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. [٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبة تفاخركم، عند النزاع، ثم في القبر.

[٥] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ علماً يقيناً، عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به.

[٦] ﴿لَتَرْوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ النار؛ جواب قسم محذوف، وخذف منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء (٣).

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تأكيد ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ مصدر؛ لأن «رأى» و«عين» بمعنى واحد.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ﴾ خذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿يَوْمَ يُرْثِيهَا﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ الْوَيْسِ﴾ ما يلتذ به في الدنيا، من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب، وغير ذلك.

\*\*\*

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن محمود بن لبيد قال: لما نزلت: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فقرأها حتى بلغ: ﴿لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يُرْثِيهَا عَنِ الْوَيْسِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نسأل وإنما هما الأسودان: الماء والنمر، وسبوا على رقابنا والعدو حاضر، مع أي نعيم نسأل؟ قال: «إن ذلك سيكون». أحمد - المسند (٥/ ٤٢٩). وأخرجه الترمذي عن الزبير بن العوام وعن أبي هريرة، وفيه لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يُرْثِيهَا عَنِ الْوَيْسِ﴾. (حسن الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٧٢، ٢٦٧٣).

(١) كلما في النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي إشارة إلى الاختلاف في عدد آياتها؛ فقيل: عشر آيات، أو: إحدى عشرة آية.

(٢) وهي قراءة حمزة.

(٣) أي من: «الترون»، وأصله: «ترعون» بوزن: «تفعلون»؛ فحذفت لام الفعل وعينه؛ أي: الهزرة والباء من أصل الفعل: «رأى»، ثم أُلقيت حركة الهزرة، وهي الفتحة، على الراء قبلها، فسقطت الهزرة، وتحركت الباء وانفتح ما قبلها؛ فقلبت ألفاً؛ فالتقى ساكنان، فحذفت الألف، ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة؛ فحذفت نون الرفع لتوالي الأفعال، وحركت الواو بالضم؛ فصارت «لترؤن».

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٣﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٤﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿٦﴾

### سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ

يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ

كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي

عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَاسِيَةٌ ﴿٩﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾



## سُورَةُ الْغَصَنِ

[مكية: أو: مدنية، ثلاث آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾ الدهر، أو: ما بعد الزوال إلى الغروب، أو: صلاة العصر.

[٢] ﴿إِذَا الْإِنْسَانُ﴾ الجنس ﴿لَنِي خُسْرٍ﴾ في تجارته<sup>(١)</sup>.

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسران ﴿وَوَاصُوا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿وَوَاصُوا بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

## سُورَةُ الْهُمَزِ

[مكية، أو: مدنية، وأبانتها تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَّةٍ﴾ أي: كثير الهمز واللمز؛ أي: الغيبة، نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين؛ كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما.

[٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد<sup>(٢)</sup> ﴿مَا لَا وَعَدَدُ﴾ أحصاه وجعله عُدَّةً لحوادث الدهر<sup>(٣)</sup>.

[٣] ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخَذَ﴾ جعله خالداً لا يموت.

[٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿لَيُبَدِّلَنَّهُ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: ليطرحنَّ في الحطمة التي تحطم كل ما ألقى فيها.

[٥] ﴿وَمَا أَزِيدُكَ﴾ أعلمك ﴿مَا لُحْمَةً﴾.

[٦] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسفرة.

[٧] ﴿الَّتِي تَطْلُعُ﴾ تشرف ﴿عَلَى الْأَفْقِدَةِ﴾ القلوب فتحرِّقُها، وألها أشدُّ من ألم غيرها للطفها.

[٨] ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ﴾ جمع الضمير رعاية معنى «كل» ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمز وبالواو بدله<sup>(٤)</sup>: مطبقة.[٩] ﴿فِي [عُنْدِ]﴾ بضم الحرفين، وبفتحهما<sup>(٥)</sup> ﴿مُؤَمَّدَةٌ﴾ صفة لما قبله، فتكون النار داخل العقد.

## سُورَةُ الْفِيلِ

[مكية، خمس آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّتِي تَرَى﴾ استفهام تعجب؛ أي: اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَفِيلِ﴾ هو: «محمود» وأصحابه: أبرهة ملك اليمن وجيشه؛ بنى بصنعاء كنيسة؛ ليضربَ إليها الحاج عن مكة؛ فأحدث رجل من كنانة فيها

## سُورَةُ الْغَصَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَوَاصُوا بِالْحَقِّ وَوَاصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

## سُورَةُ الْهُمَزِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَّةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدُهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخَذَ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّهُ فِي الْحُطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا لُحْمَةً ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

## سُورَةُ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّتِي تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَعُدَّهِمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

وطلَّحَ قِيَّاتُهَا بالغزرة احتقاراً بها؛ فحلف أبرهة ليهدم الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن مقدمها «محمود»، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله: [٢] ﴿الَّتِي تَجْعَلُ﴾ أي: جعل ﴿كَعُدَّهِمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضَلُّلٍ﴾ خسارة وهلاك. [٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات جماعات؛ قيل: لا واحد له؛ كأساطير. وقيل: واحده «أبؤل»، أو: «إبأل»، أو: «أبيل»؛ كعُجُول ومفتاح وسكين. [٤] ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ. [٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفتته؛ أي: أهلكهم الله - تعالى - كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدة، وأصغر من الحبيضة، يخرق البيضة والرجل والفيل، ويصل إلى الأرض<sup>(٦)</sup>، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

\*\*\*

(١) أي في مناجرتهم ومساعيهم وصرف أعمارهم في أمور لا تنفعهم في الآخرة. والخرسان: ذهب رأس مال الإنسان، في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٣) هذا قول عكرمة. وقال غيره: المعنى: أي عدته مرة بعد أخرى حيا له وشغفاً به. وقيل: جعله أصنافاً وأنواعاً؛ كعقار، ومناخ، ونقود.

(٤) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

(٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) ما ذكره المفسر من أوصاف ودقائق يحتاج إلى دليل صحيح ثابت عن المعصوم ﷺ.

## سُورَةُ الْمُتَاوُونَ

[مكية، أو: مدنية، أو: نصفها، ونصفها، ست، أو: سبع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ بالجزء والحساب؛ أي: هل عرفته؟ وإن لم تعرفه [٢] ﴿فَذَلِكِ﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء ﴿الَّذِي يَدْعُ﴾ أَلَيْسَ؟ أي: يدفعه بعنف عن حقه.
- [٣] ﴿وَلَا يَحْضُ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَى طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاصي بن وائل، أو: الوليد بن المغيرة.
- [٤] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾. [٥] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ غافلون، يؤخرونها عن وقتها.
- [٦] ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ في الصلاة وغيرها. ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ كالإبرة والفأس والقدر والقشعة.

## سُورَةُ الْكَوْثَرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿الْكَوْثَرَ﴾ هو نهر في الجنة، هو حوضه ترد عليه أمته، أو: الكوثر: الخير الكثير؛ من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها.
- [٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة عيد النحر ﴿وَأَنْحَرْ﴾ نسكك.
- [٣] ﴿إِنَّا شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ المنقطع عن كل خير، أو المنقطع العقب، نزلت في العاصي بن وائل<sup>(١)</sup>؛ سَمَّى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم.

\*\*\*

## سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ ۝ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ۝ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝

## سُورَةُ الْمُتَاوُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۝ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝

## سُورَةُ الْكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝ إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝

## سُورَةُ قُرَيْشٍ

[مكية، أو: مدنية، أربع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ [٢] ﴿إِلَافِهِمْ﴾ تأكيد، وهو مصدر «آلف» بالمد. [٣] ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ إلى اليمن ﴿وَالصَّيْفِ﴾ إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم: ولد النضر بن كنانة. [٤] ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ تعلق به لـ «إيلاف»، والفاء زائدة ﴿رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾. [٥] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أي: من أجله ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي: من أجله، وكان يصيهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

\*\*\*

(٥) فائدة: أخرجه مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغشى إغشاة ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ سورة»، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾». مسلم. كتاب الصلاة (٤) باب (١٤) حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة.

(١) أخرجه الواحدى بنحوه في أسباب النزول عن يزيد بن رومان ص (٤٠٤)، وهو مرسل. وأخرج البراز عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم؛ ألا ترى إلى هذا الصنوبر المنبت من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السداة، وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه، قال: فنزلت: ﴿إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول لميل الوادعي ص (٢٣٧). والآية تعم كل من أبغض النبي ﷺ.

## سُورَةُ الْكَافُرُونَ

[مكية أو مدنية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. [٢] ﴿لَا أَعْبُدُ فِي الْحَالِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام. [٣] ﴿وَلَا أَشْتَرُ عِبِيدُونَ﴾ في الحال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله - تعالى - وحده. [٤] ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾. [٥] ﴿وَلَا أَشْتَرُ عِبِيدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق «ما» على الله على وجه المقابلة. [٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الشرك ﴿وَلِي دِينِ﴾ الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، وحذف ياء الإضافة القراء السبعة وفقاً ووصلاً، وأثبتها يعقوب<sup>(١)</sup> في الحالين.

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مدنية، ثلاث آيات]\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ نبيه ﷺ على أعدائه ﴿وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة. [٢] ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات، بعدما كان يدخل فيه واحد واحد، وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. [٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: متلبساً بحمده ﴿وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَاقِبًا﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكبر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه<sup>(٢)</sup>، وعلم بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

## سُورَةُ الْمَسَدِ

[مكية، خمس آيات]\*\*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] لما دعا النبي ﷺ قومه وقال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا يَذِيرُ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup>. فقال عمه أبو لهب: تبا لك ألهذا دعوتنا؟<sup>(٤)</sup> نزل: ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَايَ أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: جملته، وعبر عنها باليدين مجازاً؛ لأن أكثر الأفعال تراول بهما، وهذه الجملة دعاء ﴿وَتَبَّتْ﴾ خسرت هو، وهذه خبر كقولهم: أهلكه الله وقد هلك. [٢] ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَى النَّبِيِّ بِالْعَذَابِ﴾ إن كان

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعها؟ قلت: نعم؛ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قال: صدقت. مسلم. كتاب التفسير (٥٤) رقم (٢١). وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال النبي ﷺ: «أناكم أهل البين هم أرق قلوباً، والإيمان يان، والفقه يان، الحكمة يمانية». أحمد. المسند (٢٧٧/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٧٧٠٩). وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» قال: قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال: «الاس خير، وأنا وأصحابي خير»، وقال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية». أحمد. المسند (٢٢/٣)، (١٨٧). وأخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة (إذا جاء) (١١٠) باب (١).

(هه) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عِبْرَتَكَ الْأُولَى﴾» سعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، =

(١) وهو من العشرة.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٤) عن عائشة، وهو في البخاري (٤٩٦٧) بلفظ: «ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

(٣) سبأ: ٤٦. (٤) البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٥) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم.

## سُورَةُ الْإِنشَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝  
لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

## سُورَةُ الْفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ  
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝  
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝

## سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ  
النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي  
يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝  
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝

## سُورَةُ الْإِنشَاءِ

[مكية، أو: مدنية، أربع، أو: خمس آيات] (\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] سئل النبي ﷺ عن ربه؛ فَنَزَلَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَاَللَّهُ خَبِيرُهُ،  
و«أحد» بدل منه، أو: خير ثاب. [٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر؛ أي:

المقصود في الحوائج على الدوام. [٣] ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لانتهاء مجانسته ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لانتهاء الحدوث عنه. [٤] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: مكافئًا ومماثلًا، والله «متعلق بـ» كُفُوًا» وقُدِّم عليه؛ لأنه محط القصد بالنفي، وأخر «أحد» وهو اسم «يكن» عن خبرها؛ رعاية للفاصلة.

## سُورَةُ الْفَلَقِ

[مكية، أو: مدنية، خمس آيات] (\*\*)

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمحملة<sup>(١)</sup>، فأحضر بين يديه ﷺ وأمر بالتعوذ بالسورتين؛ فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خفقة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما تُثبِط من عقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الصبح. [٢] ﴿وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك. [٣] ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا أظلم، والقمر إذا غاب. [٤] ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ السواحر تنفث ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ التي تعقدها في الخيط، تنفع فيها بشيء تقوله من غير ريق، وقال الزمخشري معه<sup>(٢)</sup> كينات لبيد المذكور. [٥] ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه؛ كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة الشامل لها «ما خلق» بعده؛ لشدة شرها.

## سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ خالقهم ومالكهم، خُصُّوا بالذكر تشريفًا لهم، ومناسبة للاستفادة من شرِّ الموشوس في صدورهم.  
[٢] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾.  
[٣] ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ بدلان، أو: صفتان، أو: عطفًا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادةً للبيان.

= لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وفريش، فقال: «رَأَيْتُمْ كَمْ لَوْ أَحْبَرْتُمْ أَنْ خِيَلًا بِالْوَادِي تَرِيدُ أَنْ تَغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكْتُمُ مَصْلَفِي؟» قالوا: نعم، ما حربنا عليك إلا صدقًا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتم؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يُدَا إِلَىٰ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْكَ مَالُكَ وَمَا كَسَبْتَ ﴿١﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٢).

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه الترمذي عن أبي بن كعب ؓ أن المشركين قالوا رسول الله ﷺ: انسب لنا نزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ. الترمذي، كتاب تفسير القرآن (٤٨)، باب ومن سورة الإخلاص. وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في المسند (١٣٤/٥)، وحسن الألباني هذا الجزء من الحديث في ضعيف سنن الترمذي (٢٦٦)، وحسنه في الاستيعاب (٥٨٠/٣).

(٥٥) فائدة: أخرجه الترمذي عن عقة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: قد أنزل الله عليّ آيات لم يُرَ مثلهن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة، وإلى آخر السورة، الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٢)، وأخرجه مسلم (٨١٤) أيضًا مختصراً. وأخرج الترمذي أيضًا عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الحان وعين الإنسان حتى نزلت الموعودتان، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما. الترمذي - كتاب الطب (٢٩) باب (١٦) ما جاء في الرقية بالمعوذتين. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٨١).

(١) جاء نحو هذا عن زيد بن أرقم؛ قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود؛ قال فاشتكى؛ فأثام جبريل فنزل عليه بالمعوذتين، وقال: فإن رجلاً من اليهود سحر، والسحر في يفر فلان؛ قال: فأرسل عليًّا فجاء به. قال: فأمره أن يحس العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحل حتى قام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال... أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٢٤٧/١)، رقم (٢٧١)، وأخرجه بنحوه - دون ذكر النزول بالمعوذتين - النسائي في المجتبى (٤٠٨٠)، وأحمد في المسند (٣٦٧/٤)، وصححه في الاستيعاب (٥٨٩/٣). وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الجلالين ص (٣١٥): «... وإذا ثبت أن السورتين مكيّتان؛ يُعَدُّ أن يكون سحر الرسول ﷺ سبب نزولهما؛ إلا أن يقال بجواز تكرار النزول لآية. أو السورة، أو السور» اهـ.

(٢) أي: الريق؛ ففي النفت قولان.

[٤] ﴿مِنْ شَرِّ أَلْوَسَاسٍ﴾ الشيطان، سُمي بالحدث<sup>(١)</sup> لكثرة ملاسته له ﴿الْخَنَاسِ﴾ لأنه يَخْنُسُ ويتأخر عن القلب، كلما ذُكر الله.

[٥] ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ قلوبهم، إذا غَفَلُوا عن ذكر الله.

[٦] ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي؛ كقوله - تَعَالَى -: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾<sup>(٢)</sup>، أو: «من الجنة» بيان له، و«الناس» عطف على «الوسواس»، وعلى كُلِّ يشمل شَرَّ لبيد وبناته المذكورين. واعترض الأول بأن النَّاسَ لا يوسوس في صدورهم النَّاسُ؛ إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب بأنَّ الناس يوسوسون أيضًا بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه، بالطريق المؤدي إلى ذلك. واللَّهُ - تَعَالَى - أعلم.

[واللَّهُ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى اللَّهُ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، دائمًا أبدًا، وحسبنا اللَّهُ ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بِاللَّهِ العلي العظيم]<sup>(٣)</sup>.



## خاتمة

(نسأل الله حسنها)

يقول مُراجعُه وجامع حواشيه

الفقير إلى عفو مولاه ورضاه وجبيل ستره وحسن لقاءه

أبو عبد الرحمن هُشَيْرُ الْحَمْدِ سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ

كان الفراغ من مراجعة تفسير الجلالين وجمع حواشيه ليلة الجمعة غرة جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ،

وكان البدء في هذا العمل قبل قرابة عشر سنوات، واللَّهُ أسأل أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

\*\*\*

(١) أي: المصدر، وقوله: «لكثرة ملاسته له»؛ أي ملازمته للوسوسة، كما تقول: زيد عدل. وما ذكره المفسر ليس بتعين؛ فإن الوَسْوَاسَ - كما يستعمل في المصدر - يطلق كذلك على نفس الشيطان، وعلى ما يخطر بالقلب من شر.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) ما بين المعقوفين موجود في نهاية تفسير الفاتحة، وأثبتته هنا للمناسبة. وقال في حاشية الجمل: كأن هذه العبارة من وضع تلامذة المحلي، أو من وضع السيوطي، قصد بها ختم تفسير المحلي، والإشارة إلى فراغه وانفضائه، ويبدو جدًا أنها من كلام المحلي؛ لما عرفت سابقًا أنه كان قد شرع في تفسير النصف الأول، وأنه ابتداءً بالفاتحة، وأنه اختتمته المنية بعد الفراغ منها، وقبل الشروع في البقرة وما بعدها، وإذا كان كذلك فيبعد منه أن يأتي بعبارة تشعر بالانتهاء والاختتام أثناء تفسير النصف الأول. فتأمل. وآخر هذه العبارة هو قوله: «وإليه المآب»... ثم قال: «...فعلى هذا يكون ما في هذه النسخة من قوله: وصلى اللَّهُ على سيدنا محمد... إلى آخره» ليس من نسخة المحلي، وإنما هو من وضع بعض الناس، وبدل عليه ثبوته في بعض النسخ دون بعض.

## فهرس الكتاب

٢٨٥	سُورَةُ الْقَصَصِ	(ا)	تقريط فضيلة الشيخ الدكتور/ احمد عيسى المعصراوي
٣٩٦	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ	(ج)	مقدمة الشيخ وحدي الغزاوي
٤٠٤	سُورَةُ الرُّومِ	(هـ)	مقدمة المحقق
٤١١	سُورَةُ لُقْمَانَ	(ز)	التعريف بالتفسير والمفسرين
٤١٥	سُورَةُ السَّجْدَةِ	(ح)	مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به
٤١٨	سُورَةُ الْأَحْزَابِ	(ي)	منهج العمل في الكتاب
٤٢٨	سُورَةُ سَبَأٍ	١	سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
٤٣٤	سُورَةُ هَاجِرٍ	٢	سُورَةُ الْبَقَرَةِ
٤٤٠	سُورَةُ يَسٍ	٥٠٠	سورة آل عمران
٤٤٦	سُورَةُ الصَّافَّاتِ	٧٧	سُورَةُ النِّسَاءِ
٤٥٣	سُورَةُ ص	١٠٦	سورة المائدة
٤٥٨	سُورَةُ الزُّمَرِ	١٢٨	سورة الانعام
٤٦٧	سُورَةُ غَافِرٍ أَوْ الْمُؤْمِنِ	١٥١	سُورَةُ الْأَنْعَامِ
٤٧٧	سُورَةُ حَمِ السَّجْدَةِ	١٧٧	سُورَةُ الْأَنْفَالِ
٤٨٣	سُورَةُ الشُّورَى	١٨٧	سُورَةُ التَّوْبَةِ
٤٨٩	سُورَةُ الزُّحُرْفِ	٢٠٨	سُورَةُ يُوسُفَ
٤٩٦	سُورَةُ الدُّخَانِ	٢٢١	سُورَةُ هُودٍ
٤٩٩	سُورَةُ الْجَاثِيَةِ	٢٢٥	سُورَةُ يُوسُفَ
٥٠٢	سُورَةُ الْأَعْفَافِ	٢٤٩	سُورَةُ الرَّعْدِ
٥٠٧	سُورَةُ الْبَقَرَةِ (مُحَمَّد)	٢٥٥	سُورَةُ إِبرَاهِيْمَ
٥١١	سُورَةُ الْفَتْحِ	٢٦٢	سُورَةُ الْحَجَرِ
٥١٥	سُورَةُ الْحَجَرَاتِ	٢٦٧	سُورَةُ النَّحْلِ
٥١٨	سُورَةُ ق	٢٨٢	سُورَةُ الْإِسْرَاءِ
٥٢٠	سُورَةُ الدَّارِيَاتِ	٢٩٣	سُورَةُ الْكَهْفِ
٥٢٣	سُورَةُ الطُّورِ	٣٠٥	سُورَةُ مَرْيَمَ
٥٢٦	سُورَةُ النَّجْمِ	٣١٢	سُورَةُ طه
٥٢٨	سُورَةُ الْقَمَرِ	٣٢٢	سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ
٥٣١	سُورَةُ الرَّحْمَنِ	٣٣٢	سُورَةُ الْحَجِّ
٥٣٤	سُورَةُ الْوَاقِعَةِ	٣٤٢	سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ
٥٣٧	سُورَةُ الْخَبِيدِ	٣٥٠	سُورَةُ النَّوْرِ
٥٤٢	سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ	٣٥٩	سُورَةُ الْفُرْقَانِ
٥٤٥	سُورَةُ الْحَشْرِ	٣٦٧	سُورَةُ الشُّعَرَاءِ
٥٤٩	سُورَةُ الْمُؤْتَحِنَةِ	٣٧٧	سُورَةُ النَّحْلِ

٥٩٢ .	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ	٥٥١ .	سُورَةُ الصَّفِّ
٥٩٣ .	سُورَةُ الْفَجْرِ	٥٥٣ .	سُورَةُ الْجُمُعَةِ
٥٩٤ .	سُورَةُ الْبَلَدِ	٥٥٤ .	سُورَةُ الْمُتَفِقُونَ
٥٩٥ .	سُورَةُ الشَّمْسِ	٥٥٦ .	سُورَةُ النَّجْمِ
٥٩٥ .	سُورَةُ اللَّيْلِ	٥٥٨ .	سُورَةُ الطَّلَاقِ
٥٩٦ .	سُورَةُ الضُّحَى	٥٦٠ .	سُورَةُ النَّجْمِ
٥٩٧ .	سُورَةُ الشَّرْحِ	٥٦٢ .	سُورَةُ الْمُثَنِّ
٥٩٧ .	سُورَةُ التِّينِ	٥٦٤ .	سُورَةُ الْحَقِّ
٥٩٧ .	سُورَةُ الْعَلَقِ	٥٦٦ .	سُورَةُ الْحَاقَّةِ
٥٩٨ .	سُورَةُ الْقَمَرِ	٥٦٨ .	سُورَةُ الْمُعَارِجِ
٥٩٨ .	سُورَةُ الْبَيِّنَةِ	٥٧٠ .	سُورَةُ نُوحٍ
٥٩٩ .	سُورَةُ الزُّزُرَةِ	٥٧٢ .	سُورَةُ الْجِنِّ
٥٩٩ .	سُورَةُ الْغَايَاتِ	٥٧٤ .	سُورَةُ الْمُزَّمِّلِ
٦٠٠ .	سُورَةُ الْقَارِعَةِ	٥٧٥ .	سُورَةُ الْمُذَنَّبِ
٦٠٠ .	سُورَةُ التَّكْوِينِ	٥٧٧ .	سُورَةُ الْقِيَامَةِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْقَصْرِ	٥٧٨ .	سُورَةُ الْإِنشَاءِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْهُمَزَةِ	٥٨٠ .	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْفِيلِ	٥٨٢ .	سُورَةُ النَّبَاِ (النَّسَائِلِ)
٦٠٢ .	سُورَةُ هُرَيْشٍ	٥٨٢ .	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
٦٠٢ .	سُورَةُ الْمَاعُونِ	٥٨٥ .	سُورَةُ عَبَسَ
٦٠٢ .	سُورَةُ الْكَوْثَرِ	٥٨٦ .	سُورَةُ التَّكْوِينِ
٦٠٣ .	سُورَةُ الْكَافُرُونَ	٥٨٧ .	سُورَةُ الْإِنْشِقَاطِ
٦٠٣ .	سُورَةُ النَّصْرِ	٥٨٧ .	سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ
٦٠٣ .	سُورَةُ الْمَسَدِ	٥٨٩ .	سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ
٦٠٤ .	سُورَةُ الْإِخْلَاصِ	٥٩٠ .	سُورَةُ الْبُرُوجِ
٦٠٤ .	سُورَةُ الْفَلَقِ	٥٩١ .	سُورَةُ الطَّارِقِ
٦٠٤ .	سُورَةُ النَّاسِ	٥٩١ .	سُورَةُ الْأَعْلَى

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

**[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)**

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com